(فهرسة الجزء الثامن من تفسير فتح البيان)

(تمت)

(فهرسة الجزء الثامن من تفسير ابن كثير)

(تمت)

(الجزء الثامن)

من التفسير المسمى فتح البيان

فى مقاصد القرآن للسيد الامام المجتهد المحقق

الهمام المؤيد من مولاه المعين البارى أبى الطيب

صديق بن حسن القنوجى البخارى ملك

مدينة بهوپال حالا بالاقطار الهندية

لازالت كواكب فضله

فى الآفاق زاهرة

مصيبه آمين

وبهامشه تفسير الامام الجليل الكبير الحافظ عماد الدين أبى الفداء اسمعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى المولود سنة سبعمائة وعشر المتوفى سنة سبعمائة وأربعة وسبعين وهذا التفسير جليل فسر بالاحاديث والآثار مسندة من أصحابها مع الكلام على ما يحتاج اليه جرحا وتعديلا اهـ من كشف الظنون

(الطبعة الاولى)

(بالمطبعة الكبرى الميرية ببولاق مصر المحمية)

سنة ١٣٠١ هجرية

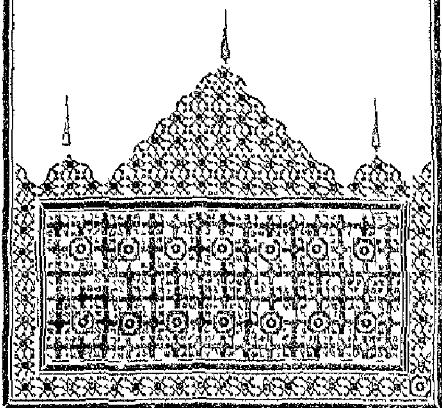


ـ ـ سرد وبه قال

وبه وقرأ ابن كثير الخ بادغام النون

دل النون لم تقرأ الجمهور بالسكون واء

القراءة عنهم ـ ارها من الواو كالايخفى اهـ مصححه



(سورة يس هي ثلاث أو ثنتان وثمانون آية)

والاول أولى وهي مكية قال القرطبي بالاجماع الا ان فرقة قالت ونكتب ما قدموا
وآثارهم نزلت في بني سلمة من الانصار حين أرادوا أن يتركوا ديارهم وينتقلوا الى جوار
مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيأتي بيان ذلك وعن ابن عباس قال نزلت
بمكة وعن عائشة مثله وأخرج الدارمي والترمذي ومحمد بن نصر والبيهقي في الشعب عن
أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس من
قرأ يس كتب له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات قال الترمذي هذا حديث غريب
لا نعرفه الا من حديث حميد بن عبد الرحمن وفي اسناده هرون أبو محمد وهو شيخ مجهول
وفي الباب عن أبي بكر ولا يصح لضعف اسناده وأخرج الدارمي وأبو يعلى والطبراني
والبيهقي وغيرهم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ يس في ليلة
ابتغاء وجه الله غفر له في تلك الليلة قال ابن كثير اسناده جيد وأخرج احمد وأبو داود
والنسائي وابن ماجه والطبراني وابن حبان والحاكم والبيهقي عن معقل بن يسار أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يس قلب القرآن لا يقرؤها عبد يريد الله والدار الآخرة
الا غفر له ما تقدم من ذنبه فاقرؤها على موتاكم وقد ذكر له أحد اسنادين أحدهما فيه
مجهول والآخر ذكر فيه عن أبي عثمان وقال ليس بالنهدي عن أبيه عن معقل وأخرج

(تفسير سورة لقمان وهي [illegible] آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم
الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى
ورحمة للمحسنين الذين يقيمون
الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة
هم يوقنون أولئك على هدى من
ربهم وأولئك هم المفلحون) تقدم
في أول سورة البقرة عامة الكلام
على ما يتعلق بصدر هذه السورة
وهو انه سبحانه وتعالى جعل هذا
القرآن هدى وشفاء ورحمة
للمحسنين وهم الذين أحسنوا
العمل في اتباع الشريعة فأقاموا
الصلاة المفروضة بحدودها
وأوقاتها وما يتبعها من نوافل
راتبة وغير راتبة وآتوا الزكاة
المفروضة عليهم الى مستحقيها
ووصلوا أرحامهم وقراباتهم وأيقنوا
بالجزاء في الدار الآخرة فرغبوا
الى الله في ثواب ذلك لم يراؤا به ولا
أرادوا جزاء من الناس ولا شكورا
فمن فعل ذلك كذلك فهو من الذين
قال الله تعالى أولئك على هدى
من ربهم وأولئك هم المفلحون
أي على بصيرة وبينة ومنهج واضح جلي
وأولئك هم المفلحون أي في الدنيا
والآخرة (ومن الناس من
يشتري لهو الحديث ليضل عن
سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا
أولئك لهم عذاب مهين واذا تتلى
عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم
يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره
بعذاب أليم) لما ذكر تعالى حال

السعداء وهم الذين يهتدون بكتاب الله ويتنفعون بسماعه كما قال تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله الآية عطف بذكر حال الأشقياء الذين أعرضوا عن الانتفاع بسماع كلام الله وأقبلوا على استماع المزامير والغناء بالألحان وآلات الطرب كما قال ابن مسعود في قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله قال هو والله الغناء روى ابن جرير حدثني يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني يزيد بن يونس عن أبي صخر عن أبي معاوية البجلي عن سعيد بن جبير عن أبي الصهباء البكري أنه سمع عبد الله بن مسعود وهو يسأل عن هذه الآية ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله فقال عبد الله بن مسعود الغناء والله الذي لا إله إلا هو يرددها ثلاث مرات حدثنا عمرو بن علي حدثنا صفوان بن عيسى أخبرنا حميد الخراط عن عمار عن سعيد بن جبير عن أبي الصهباء أنه سأل ابن مسعود عن قول الله ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال الغناء وكذا قال ابن عباس وجابر وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد ومكحول وعمرو بن شعيب وعلي بن بذيمة وقال الحسن البصري نزلت هذه الآية ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم في الغناء والمزامير وقال قتادة قوله ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم والله لعله لا ينفق فيه مالا ولكن شراؤه استحبابه بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق وما يضر على ما ينفع وقيل أراد بقوله يشتري لهو الحديث اشتراء المغنيات من الجواري قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي حدثنا وكيع عن خلاد الصفار عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن وأكل أثمانهن حرام وفيهن أنزل الله عز وجل علي ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله وهكذا رواه الترمذي وابن جرير من حديث عبيد الله بن زحر بنحوه ثم قال الترمذي هذا حديث غريب وضعف علي بن يزيد المذكور قلت علي وشيخه والراوي عنه كلهم ضعفاء والله أعلم وقال الضحاك في قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال يعني الشرك وبه قال

الطبراني وابن مردويه قال السيوطي بسند ضعيف عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من داوم على قراءة يس كل ليلة ثم مات مات شهيدا

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(يس) قرأ الجمهور بسكون النون وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وحفص وقالون وورش بادغام النون في الواو التي بعدها وقرئ بفتح النون وكسرها فالفتح على البناء أو على أنه مفعول لفعل مقدر تقديره اتل يس والكسر على البناء أيضا كجير وقيل الفتح والكسر للفرار من التقاء الساكنين وأما وجه قراءة الجمهور فلكونها مسرودة على نمط التعديد فلاحظ لها من الإعراب وقرئ بضم النون على البناء كمنذ وحيث وقط وقيل على أنها خبر مبتدأ محذوف أي هذه يس ومنعت من الصرف للعلمية والتأنيث واختلف في معنى هذه اللفظة فقيل معناها يا رجل أو يا إنسان قال ابن الأنباري الوقف على يس حسن لمن قال هو افتتاح السورة ومن قال معناها يا رجل لم يقف عليه وقال سعيد بن جبير وغيره هو اسم من أسماء محمد صلى الله عليه وآله وسلم دليله إنك لمن المرسلين ومنه قوله تعالى سلام على آل ياسين أي آل محمد ومنه قول الشاعر

يا نفس لا تمحضي بالنصح جاهدة * على المودة إلا آل ياسينا

وسيأتي في الصافات ما المراد بآل ياسين قال الواحدي قال ابن عباس والمفسرون يريد يا إنسان يعني محمدا صلى الله عليه وآله وسلم وقال أبو بكر الوراق معناه يا سيد البشر وقال مالك هو اسم من أسماء الله تعالى روى ذلك عنه أشهب وحكى أبو عبد الرحمن السلمي عن جعفر الصادق أن معناه يا سيد وقال كعب هو قسم أقسم الله به ورجح الزجاج أن معناه يا محمد واختلفوا هل هو عربي أو غير عربي فقال سعيد بن جبير وعكرمة حبشي وقال الكلبي سرياني تكلمت به العرب فصار من لغتهم وقال الشعبي هو بلغة طي وقال الحسن هو بلغة كلب وقد تقدم في طه وفي مفتتح سورة البقرة ما يغني عن التطويل هاهنا والأولى أن يقال الله أعلم بمراده به (والقرآن الحكيم) بالجر على أنه مقسم به ابتداء وقيل هو معطوف على يس على تقدير كونه مجرورا بإضمار القسم قال النقاش لم يقسم الله لأحد من أنبيائه بالرسالة في كتابه إلا لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم تعظيما وتمجيدا والحكيم المحكم الذي لا يتناقض ولا يتخالف أو الحكيم قائله أو ذي الحكمة أو لأنه دليل

قوله قرأ الجمهور بسكون النون لم يقرأ الجمهور بالسكون وإنما القراءة عنهم بإدغامها في الواو وقوله وقرأ ابن كثير الخ بإدغام النون القراءة عنهم بإظهارها من الواو كما لا يخفى اهـ مصححه

عبد الرحمن بن زيد بن أسلم واختاره ابن جرير انه كل كلام يصد عن آيات الله واتباع سبيله وقوله ليضل عن سبيل الله اى انما صنع هذا للتخالف للاسلام وأهله وعلى قراءة فتح الياء تكون اللام لام العاقبة أو تعليلا للأمر القدري اى قيضوا لذلك ليكونوا كذلك وقوله تعالى ويتخذها هزوا قال مجاهد ويتخذ سبيل الله هزوا اى يستهزئ بها وقال قتادة يعني ويتخذ آيات الله هزوا وقول مجاهد أولى وقوله أولئك لهم عذاب مهين اى كما استهانوا بآيات الله وسبيله أهينوا يوم القيامة في العذاب الدائم المستمر ثم قال تعالى واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن (٤) في أذنيه وقرا أى هذا المقبل على اللهو واللعب والطرب اذا تليت عليه الآيات القرآنية ولى عنها وأعرض وأدبر اى وتصامم وما به صمم كأنه ما يسمعها لانه يتأذى بسماعها اذ لا انتفاع له بها ولا أرب له فيها فبشره بعذاب أليم اى يوم القيامة يؤلمه كما تألم بسماع كتاب الله وآياته (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم) هذا ذكر مآل الابرار من السعداء في الدار الآخرة الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وعملوا الاعمال الصالحة التابعة للشريعة انهم جنات النعيم اى يتنعمون فيها بأنواع الملاذ والمسار من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمراكب والنساء والنضرة والسماع الذى لم يخطر ببال أحد وهم في ذلك مقيمون دائما فيها لا يظعنون ولا يبغون عنها حولا وقوله تعالى وعد الله حقا اى هذا كائن لا محالة لانه من وعد الله والله لا يخلف الميعاد لانه الكريم المنان الفعال لما يشاء القادر على كل شئ وهو العزيز الذى قد قهر كل شئ ودان له كل شئ الحكيم في أقواله وأفعاله الذى جعل القرآن هدى للمؤمنين قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى الآية وقوله وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا (خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين) يبين سبحانه بهذا قدرته العظيمة على خلق السموات والارض وما فيهما وما بينهما فقال تعالى خلق السموات بغير عمد قال الحسن وقتادة ليس لها عمد مرئية ولا غير مرئية وقال ابن عباس وعكرمة

ناطق بالحكمة بطريق الاستعارة أو وصف المتصف بها على الاسناد المجازي وجواب القسم (انك لمن المرسلين) الذين أرسلوا على طريقة مستقيمة وهذا رد على من أنكر رسالته من الكفار بقولهم لست مرسلا وقوله (على صراط مستقيم) خبر ثان أى انك على الطريق القيم الموصل الى المطلوب قال الزجاج على طريقة الانبياء الذين تقدموك ويجوز أن يكون في محل نصب على الحال (تنزيل العزيز الرحيم) قرأ نافع وغيره برفع تنزيل على انه خبر مبتدا محذوف أى هو تنزيل ويجوز أن يكون خبرا لقوله يس ان جعل اسما للسورة وقرئ بالنصب على المصدرية اى نزل الله ذلك تنزيل العزيز والمعنى أن القرآن تنزيل العزيز الرحيم وقيل المعنى انك يا محمد تنزيل العزيز والاول أولى وقيل هو منصوب على المدح على قراءة النصب وعبر سبحانه عن المنزل بالمصدر مبالغة حتى كأنه نفس المنزل وقرئ بالجر على النعت للقرآن أو البدل منه واللام في قوله (لتنذر) يجوز أن يتعلق بتنزيل أو بفعل مضمر يدل عليه لمن المرسلين اى أرسلناك لتنذر (قوما) اى العرب وغيرهم (ما أنذر) ما هي النافية أى لم تنذر (آباؤهم) ويجوز أن تكون ما موصولة أو موصوفة اى لتنذر قوما الذى أنذره آباؤهم أو لتنذرهم عذابا أنذره آباؤهم أو مصدرية اى انذار آبائهم وعلى القول بأنها نافية المعنى ما أنذر آباؤهم برسول من أنفسهم ويجوز أن يراد ما أنذر آباؤهم الاقربون لتطاول مدة الفترة والا فآباؤهم الأبعدون قد أنذروا بإسماعيل وبعيسى ومن قبلهما (فهم غافلون) اى فهم بسبب ذلك غافلون أو وهم غافلون عما أنذرنا به آباءهم قال أبو السعود الضمير للفريقين اى فهم جميعا غافلون وقد ذهب أكثر اهل التفسير الى ان المعنى على النفي وهو الظاهر من النظم القرآني لترتيب فهم غافلون على ما قبله (لقد حق) اللام هي الموطئة للقسم أى والله لقد ثبت وتحقق ووجب القول أى الحكم والقضاء الازلي أو العذاب (على أكثرهم) اى أكثر اهل مكة أو أكثر الكفار على الاطلاق أو أكثر كفار العرب وهم من مات على الكفر وأصر عليه طول حياته فيتفرع قوله (فهم لا يؤمنون) على ما قبله بهذا الاعتبار اى لان الله سبحانه قد علم منهم الاصرار على ما هم فيه من الكفر والموت عليه وقيل المراد بالقول المذكور هنا قوله سبحانه فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك وقيل نزلت هذه الآية في أبي جهل وصاحبيه المخزوميين وجملة (انا جعلنا في أعناقهم أغلالا) تقرير لما قبلها مثلت حالهم

بحال

ومجاهد لها عمد لا ترونها وقد تقدم تقرير هذه المسئلة في أول سورة الرعد بما أغنى عن اعادته وألقى في الارض رواسي يعني الجبال أرست الارض وثقلتها لئلا تضطرب باهلها على وجه الماء ولهذا قال ان تميد بكم اي لئلا تميد بكم وقوله تعالى وبث فيها من كل دابة اي وذرأ فيها من اصناف الحيوانات مما لا يعلم عدد اشكالها وألوانها الا الذي خلقها ولما قرر سبحانه انه الخالق نبه على انه الرازق بقوله وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم اي من كل زوج من النبات كريم اي حسن المنظر وقال الشعبي والناس أيضا من نبات الارض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لئيم (٥) وقوله تعالى هذا خلق الله اي هذا الذي ذكره تعالى من خلق السموات والارض وما بينهما صادر عن فعل الله وخلقه وتقديره وحده لا شريك له في ذلك ولهذا قال تعالى فأروني ماذا خلق الذين من دونه اي مما تعبدون وتدعون من الاصنام والانداد بل الظالمون يعني المشركين بالله العابدين معه غيره في ضلال اي جهل وعمى مبين اي واضح ظاهر لا خفاء به (ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد) اختلف السلف في لقمان هل كان نبيا أو عبدا صالحا من غير نبوة على قولين الاكثرون على الثاني وقال سفيان الثوري عن الاشعث عن عكرمة عن ابن عباس قال كان لقمان عبدا حبشيا نجارا وقال قتادة عن عبد الله بن الزبير قلت لجابر بن عبد الله ما انتهى اليكم من شأن لقمان قال كان قصيرا أفطس الانف من النوبة وقال يحيى بن سعيد الانصاري عن سعيد بن المسيب قال كان لقمان من سودان مصر ذو مشافر اعطاه الله الحكمة ومنعه النبوة وقال الاوزاعي حدثني عبد الرحمن بن حرملة قال جاء رجل اسود الى سعيد بن المسيب يسأله فقال له سعيد بن المسيب لا تحزن من اجل انك اسود فانه كان من اخير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر بن الخطاب ولقمان الحكيم كان أسود نوبيا ذا مشافر وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبي عن ابي الاشهب عن خالد الربعي قال كان لقمان عبدا حبشيا نجارا فقال له مولاه اذبح لنا هذه الشاة فذبحها قال اخرج اطيب مضغتين فيها فاخرج اللسان والقلب ثم مكث ماشاء الله ثم قال اذبح لنا هذه الشاة فذبحها فقال أخرج اخبث مضغتين فيها فأخرج اللسان والقلب فقال له مولاه امرتك ان تخرج

فقال الذين غلت أعناقهم (فهي) اي الاغلال منتهية (الى الاذقان) جمع ذقن وهو أسفل اللحيين لان الغل يجمع اليد الى العنق فلا يقدرون عند ذلك على الالتفات ولا يتمكنون من عطفها لان طوق الغل الذي في عنق المغلول يكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود خارجا من الحلقة الى الذقن فلا يخليه يطاطئ رأسه فلا يزال مقمحا وهو معنى قوله (فهم مقمحون) اي رافعون رؤسهم غاضون أبصارهم قال الفراء والزجاج المقمح الغاض بصره بعد رفع رأسه ومعنى الاقماح رفع الرأس وغض البصر قال أقمح البعير رأسه وقمح اذا رفع رأسه ولم يشرب الماء قال الازهري أراد الله ان ايديهم لما غلت عند اعناقهم رفعت الاغلال الى أذقانهم ورؤسهم صعداء فهم مرفوعو الرؤس برفع الاغلال اياها وقال قتادة معنى مقمحون مغلولون والاول أولى وقال أبو عبيدة قمح البعير اذا رفع رأسه عن الحوض ولم يشرب وعنه أيضا هو مثل ضربه الله لهم في امساكهم عن الهدى كامساك المغلول كما يقال فلان حمار أي لا يبصر الهدى قال الفراء هذا ضرب مثل اي حبسناهم عن الانفاق في سبيل الله وهو كقوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك وبه قال الضحاك وقيل الآية اشارة الى ما يفعل بقوم في النار من وضع الاغلال في اعناقهم كما قال تعالى اذ الاغلال في اعناقهم وقرأ ابن عباس انا جعلنا في أيمانهم أغلالا قال الزجاج اي في أيديهم قال النحاس وهذه القراءة تفسير ولا يقرأ بما خالف المصحف قال وفي الكلام حذف على قراءة الجماعة اي انا جعلنا في أعناقهم وفي أيديهم أغلالا فهي الى الاذقان فلفظ هي كناية عن الأيدي لا عن الاعناق والعرب تحذف مثل هذا ونظيره سرابيل تقيكم الحر أي وسرابيل تقيكم البرد لان ما وقى من الحر وقى من البرد لان الغل اذا كان في العنق فلا بد أن يكون في اليد ولا سيما وقد قال الله فهي الى الاذقان فقد علم انه يراد به الأيدي فهم مقمحون أي رافعو رؤسهم لا يستطيعون الاطراق لان من غلت يداه الى ذقنه ارتفع رأسه وروى عن ابن عباس انه قرأ انا جعلنا في أيديهم أغلالا وعن ابن مسعود انه قرأ انا جعلنا في ايمانهم أغلالا كما روى سابقا عن ابن عباس وعنه قال الاغلال ما بين الصدر الى الذقن فهم مقمحون كما تقمح الدابة باللجام (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) أي منعناهم عن الايمان بموانع فهم لا يستطيعون الخروج من الكفر الى الايمان كالمضروب أمامه وخلفه بالاسداد والسد بضم السين

اطيب مضغتين فيها فأخرجتهما وامرتك ان تخرج اخبث مضغتين فيها فأخرجتهما فقال لقمان انه ليس من شئ أطيب منهما اذا طابا ولا اخبث منهما اذا خبثا وقال شعبة عن الحكم عن مجاهد كان لقمان عبدا صالحا ولم يكن نبيا وقال الاعمش قال مجاهد كان لقمان عبدا اسود عظيم الشفتين مشقق القدمين وقال حكام بن سالم عن سعيد الزبيدى عن مجاهد كان لقمان الحكيم عبدا حبشيا غليظ الشفتين مصفح القدمين قاضيا على بنى اسرائيل وذكر غيره انه كان قاضيا على بنى اسرائيل فى زمان داود عليه السلام وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا الحكم حدثنا (٦) عمرو بن قيس قال كان لقمان عبدا أسود غليظ الشفتين مصفح القدمين فأتاه رجل وهو فى مجلس اناس يحدثهم فقال له ألست الذى كنت ترعى معى الغنم فى مكان كذا وكذا قال نعم قال فما بلغ بك ما ارى قال صدق الحديث والصمت عما لا يعنى وقال ابن ابى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال ان الله رفع لقمان الحكيم بحكمته فرآه رجل كان يعرفه قبل ذلك فقال له الست عبد بنى فلان الذى كنت ترعى بالامس قال بلى قال فما بلغ بك ما ارى قال قدر الله واداء الامانة وصدق الحديث وترك مالا يعنينى فهذه الآثار منها ما هو مصرح فيه بنفى كونه نبيا ومنها ما هو مشعر بذلك لان كونه عبدا قد مسه الرق ينافى كونه نبيا لان الرسل كانت تبعث فى احساب قومها ولهذا كان جمهور السلف على انه لم يكن نبيا وانما ينقل كونه نبيا عن عكرمة ان صح السند اليه فانه رواه ابن جرير وابن ابى حاتم من حديث وكيع عن اسرائيل عن جابر عن عكرمة قال كان لقمان نبيا وجابر هذا هو ابن يزيد الجعفى وهو ضعيف والله أعلم وقال عبد الله بن وهب أخبرنى عبد الله بن عياش القتبانى عن عمر مولى غفرة قال وقف رجل احمد
على لقمان الحكيم فقال انت لقمان انت عبد بنى الحسحاس قال نعم قال انت راعى الغنم قال نعم قال انت الاسود قال اما سوادى فظاهر فما الذى يعجبك من امرى قال وطء الناس بساطك وغشيهم بابك ورضاهم بقولك قال يا ابن اخى ان صغيت الى ما اقول لك كنت كذلك قال لقمان غضى بصرى وكفى لسانى وعفة طعمى وحفظى فرجى وقولى بصدقى ووفائى بعهدى وتكرمتى ضيفى وحفظى جارى وتركى مالا يعنينى فذاك الذى صيرنى الى ما ترى وقال ابن ابى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابن فضيل حدثنا عمرو بن واقد

وفتحها الغتان قال الضحاك سدا أى الدنيا وسدا أى الآخرة وقيل بالعكس (فأغشيناهم) بالغين المعجمة أى غطينا أبصارهم على حذف مضاف وقرئ بالعين المهملة من العشا وهو ضعف البصر ومنه ومن يعش عن ذكر الرحمن فهم بسبب ذلك (لا يبصرون) اى لا يقدرون على ابصار شئ قال الفراء فألبسنا أبصارهم غشوة اى عمى فهم لا يبصرون سبيل الهدى وكذا قال قتادة ان المعنى لا يبصرون الهدى وقال السدى لا يبصرون محمدا صلى الله عليه وآله وسلم حين ائتمروا على قتله وعن ابن عباس قال فى السد كانوا يمرون على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فلا يرونه وعنه أيضا قال اجتمعت قريش بباب النبى صلى الله عليه وآله وسلم ينتظرون خروجه ليؤذوه فشق ذلك عليه فأتاه جبريل بسورة يس وأمره بالخروج عليهم فأخذ كفا من تراب وخرج وهو يقرؤها ويذر التراب على رؤسهم فما رأوه حتى جاز فجعل أحدهم يلمس رأسه فيجد التراب وجاء بعضهم فقال ما يجلسكم قالوا ننتظر محمدا فقال لقد رأيته داخل المسجد قال قوموا فقد سحركم قال الضحاك فى الآية اى عموا عن البعث وعموا عن قبول الشرائع فى الدنيا قال تعالى وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم قال البيضاوى هذا تمثيل آخر من أحاط بهم سدان فغطى أبصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم ووراءهم فى انهم محبوسون فى مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر فى الآيات والدلائل (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) أى انذارك اياهم وعدمه سواء وهذا بيان لشأنهم بطريق التوبيخ بعد بيانه بطريق التمثيل وجملة (لا يؤمنون) مستأنفة مبينة لما قبلها من الاستواء أو حال مؤكدة أو بدل منه روى أن عمر بن عبد العزيز قرأ هذه الآية على غيلان القدرى فقال كأنى لم أقرأها أشهدك أنى تائب عن قولى فى القدر فقال عمر اللهم ان صدق فتب عليه وان كذب فسلط عليه من لا يرحمه فأخذه هشام بن عبد الملك من عنده فقطع يديه ورجليه وصلبه على باب دمشق وعن ابن عباس فى الآية قال كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ فى المسجد فيجهر بالقراءة حتى تأذى به ناس من قريش حتى قاموا ليأخذوه واذا أيديهم مجموعة بأعناقهم واذا هم عمى لا يبصرون فجاؤا الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا ننشدك الله والرحم يا محمد قال ولم يكن بطن من بطون قريش الا وللنبى صلى الله عليه وآله وسلم فيهم قرابة فدعا النبى صلى الله عليه وآله وسلم حتى ذهب ذلك عنهم فنزلت يس الى قوله لا يؤمنون قال فلم يؤمن من ذلك النفر

عن عبد الله بن رباح عن ربيعة عن أبي الدرداء أنه قال يوماً وذكر لقمان الحكيم فقال ما أوتي ما أوتي عن أهل ولا مال ولا حسب ولا خصال ولكنه كان رجلاً صمصامة سكيتاً طويل التفكر عميق النظر لم ينم نهاراً قط ولم يره أحد قط يبزق ولا يتنحنح ولا يبول ولا يتغوط ولا يغتسل ولا يعبث ولا يضحك وكان لا يعيد منطقاً نطقه إلا أن يقول حكمة يستعيدها إياه أحد وكان قد تزوج وولد له أولاد فماتوا فلم يبك عليهم وكان يغشى السلطان ويأتي الحكام لينظر ويتفكر ويعتبر فبذلك أوتي ما أوتي وقد ورد أثر غريب عن قتادة رواه ابن أبي حاتم فقال حدثنا أبي حدثنا العباس بن الوليد حدثنا زيد بن يحيى بن عبيد الخزاعي حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة قال خير الله لقمان الحكيم بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة على النبوة قال فأتاه جبريل وهو نائم فذر عليه الحكمة أو رش عليه الحكمة قال فأصبح ينطق بها قال سعيد فسمعت عن قتادة يقول قيل للقمان كيف اخترت الحكمة على النبوة وقد خيرك ربك فقال إنه لو أرسل إلي بالنبوة عزمة لرجوت فيه الفوز منه ولكنت أرجو أن أقوم بها ولكنه خيرني فخفت أن أضعف عن النبوة فكانت الحكمة أحب إلي فهذا من رواية سعيد بن بشير وفيه ضعف قد تكلموا فيه بسببه فالله أعلم والذي رواه سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة في قوله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة أي الفقه في الإسلام ولم يكن نبياً ولم يوح إليه وقوله ولقد آتينا لقمان الحكمة أي الفهم والعلم والتعبير أن اشكر لله أي أمرناه أن يشكر الله عز وجل على ما آتاه الله ومنحه ووهبه من الفضل الذي خصصه به عمن سواه من أبناء جنسه وأهل زمانه ثم قال تعالى ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه أي إنما يعود نفع ذلك وثوابه على الشاكرين لقوله تعالى ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون وقوله ومن كفر فإن الله غني حميد أي غني عن العباد لا يتضرر بذلك ولو كفر أهل الأرض كلهم جميعاً فإنه الغني عما سواه فلا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه (وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون) يقول تعالى مخبراً عن وصية لقمان لولده وهو لقمان بن عنقاء بن سدون واسم

أحد وفي الباب روايات في سبب نزول ذلك هذه الرواية أحسنها وأقربها إلى الصحة وقال الزجاج في الآية أي من أضله الله هذا الإضلال لم ينفعه الإنذار وإنما ينفع الإنذار من ذكر في قوله (إنما تنذر من اتبع الذكر) أي القرآن (وخشي الرحمن بالغيب) أي في الدنيا (فبشره) الفاء لترتيب البشارة أو الأمر بها على ما قبلها من اتباع الذكر والخشية أي بشر هذا الذي اتبع الذكر (بمغفرة) عظيمة (وأجر كريم) أي حسن وهو الجنة ثم أخبر سبحانه بإحيائه الموتى فقال (إنا نحن نحيي الموتى) أي نبعثهم بعد الموت وقال الحسن والضحاك أي نحييهم بالإيمان بعد الجهل والأول أولى وهو بيان لشأن عظيم ينطوي على الإنذار والتبشير انطواء إجمالياً ثم توعدهم بكتب آثارهم فقال (ونكتب) في صحف الملائكة (ما قدموا) أي أسلفوا من الأعمال الصالحة والطالحة (وآثارهم) أي ما أبقوه من الحسنات التي لا ينقطع نفعها بعد الموت كمن سن سنة حسنة كعلم علموه أو كتاب صنفوه أو حبس حبسوه أو بناء بنوه من مسجد أو رباط أو قنطرة أو نحو ذلك أو السيئات التي تبقى بعد موت فاعلها كمن سن سنة سيئة كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين وسكة أحدثها فيها تخسيرهم وشيء أحدث فيه صد عن ذكر الله من ألحان وملاه ونحو ذلك قال مجاهد وابن زيد ونظيره قوله علمت نفس ما قدمت وأخرت وقوله ينبؤ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر وقيل المراد بالآية آثار المشائين إلى المساجد وبه قال جماعة من الصحابة والتابعين قال النحاس وهو أولى ما قيل في الآية لأنها نزلت في ذلك ويجاب عنه بأن الاعتبار بعموم الآية لا بخصوص سببها وعمومها يقتضي كتب جميع آثار الخير والشر والإحياء هو المعتبر والكتابة مؤكدة معظمة لأمره فلهذا أقدم الإحياء وقرئ يكتب على البناء للفاعل والمفعول عن أبي سعيد الخدري قال كان بنو سلمة في ناحية من المدينة فأرادوا أن ينتقلوا إلى قرب المسجد فأنزل الله إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال إنه يكتب آثاركم ثم قرأ عليهم الآية فتركوا أخرجه الترمذي وحسنه والبزار والحاكم وصححه وغيرهم وفي صحيح مسلم وغيره من حديث جابر قال إن بني سلمة أرادوا أن يبيعوا ديارهم ويتحولوا قريباً من المسجد فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم (وكل شيء) من أعمال العباد وغيرها كائناً ما كان وقرأ الجمهور بنصب كل على الاشتغال وقرئ

أسمه ثاران في قول حكاه السهيلي وقد ذكره الله تعالى بأحسن الذكر وأنه آتاه الحكمة وهو يوصي ولده الذي هو أشفق الناس عليه وأحبهم إليه فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف ولهذا أوصاه أولا بأن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا ثم قال محذرا له ان الشرك لظلم عظيم أي هو أعظم الظلم قال البخاري حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا أينا لم يلبس ايمانه بظلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٨) انه ليس بذلك ألا تسمع الى قول لقمان يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ورواه مسلم من حديث الاعمش به ثم قرن بوصيته اياه بعبادة الله وحده البر بالوالدين كما قال تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وكثيرا ما يقرن تعالى بين ذلك في القرآن وقال ههنا ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن قال مجاهد مشقة وهن الولد وقال قتادة جهدا على جهد وقال عطاء الخراساني ضعفا على ضعف وقوله وفصاله في عامين أي تربيته وارضاعه بعد وضعه في عامين كما قال تعالى والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة الآية ومن ههنا استنبط ابن عباس وغيره من الائمة أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لانه قال في الآية الاخرى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وانما يذكر تعالى تربية الوالدة وتعبها ومشقتها في سهرها ليلا ونهارا ليذكر الولد باحسانها المتقدم اليه كما قال تعالى وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ولهذا قال أن اشكر لي ولوالديك الي المصير أي فاني سأجزيك على ذلك أوفر جزاء قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد الله بن أبي شيبة ومحمود بن غيلان قالا حدثنا عبيد الله أخبرنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن سعيد بن وهب قال قدم علينا معاذ بن جبل وكان بعثه النبي صلى الله عليه وسلم فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال اني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وان تطيعوني لا آلوكم خيرا وان المصير الى الله والى الجنة أو الى النار اقامة فلا ظعن وخلود فلا موت وقوله وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما أي ان حرصا عليك كل الحرص على أن تتابعهما على دينهما فلا تقبل منهما ذلك ولا يمنعك ذلك من أن تصاحبهما في الدنيا معروفا أي

بالرفع على الابتداء (أحصيناه في امام) أي كتاب مقتدى به (مبين) موضح لكل شئ قال مجاهد وقتادة وابن زيد أراد اللوح المحفوظ وقالت فرقة أراد صحائف الاعمال (واضرب لهم مثلا أصحاب القرية) قد تقدم الكلام على نظير هذا في البقرة والنحل والمعنى اضرب لاجلهم مثلا أو اضرب لاجل نفسك أصحاب القرية مثلا أي مثلهم عند نفسك بأصحاب القرية فعلى الاول لما قال تعالى انك لمن المرسلين وقال لتنذر قوما قال قل لهم ما أنا بدعا من الرسل فان قبلي بقليل جاء أصحاب القرية المرسلون وأنذروهم بما أنذرتكم وذكروا التوحيد وخوفوا بالقيامة وبشروا بنعيم دار المقامة وعلى الثاني لما قال ان الانذار لا ينفع من أضله الله وكتب عليه انه لا يؤمن قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم اضرب لنفسك ولقومك مثلا أي مثل لهم عند نفسك مثلا بأصحاب القرية حيث جاءهم ثلاثة رسل ولم يؤمنوا وصبر الرسل على الايذاء وأنت جئت اليهم واحدا وقومك أكثر من قوم الثلاثة فانهم جاؤا الى اهل قرية وانت بعثك الى الناس كافة والمعنى واضرب لهم مثلا مثل اصحاب القرية أي اذكر لهم قصة عجيبة قصة اصحاب القرية فترك المثل وأقيم اصحاب القرية مقامه في الاعراب وقيل لا حاجة الى الاضمار بل المعنى اجعل اصحاب القرية لهم مثلا على أن يكون مثلا واصحاب القرية مفعولين لاضرب او يكون اصحاب القرية بدلا من مثلا وقد قدمنا الكلام على المفعول الاول من هذين المفعولين هل هو مثلا او اصحاب القرية وقد قيل ان ضرب المثل يستعمل تارة في تطبيق حالة غريبة بحالة اخرى مثلها كما في قوله ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط ويستعمل أخرى في ذكر حالة غريبة وبيانها للناس من غير قصد الى تطبيقها بنظيرة لها كما في قوله وضربنا لكم الامثال أي بينا لكم احوالا بديعة غريبة هي في الغرابة كالامثال فقوله سبحانه ههنا واضرب لهم مثلا يصح اعتبار الامرين فيه قال القرطبي هذه القرية هي انطاكية في قول جميع المفسرين فيه قال ابن عباس وبريدة وهي ذات أعين وسور عظيم من صخر داخله خمسة اجبل دورها اثنا عشر ميلا والعواصم بلاد قصبتها انطاكية وهي بأرض الروم (اذ جاءها المرسلون) بدل اشتمال من اصحاب القرية والمرسلون هم أصحاب عيسى بعثهم الى اهل انطاكية للدعاء الى الله وكانوا عبدة أوثان وانما أضاف سبحانه الارسال الى نفسه في قوله (اذ أرسلنا اليهم اثنين) لان عيسى أرسلهم بأمر الله سبحانه

و يجوز

شيئا الوسماوابتع سبيل من أناب الي يعني المؤمنين الي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون قال الطبراني في كتاب العشرة حدثنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن احمد بن حنبل حدثنا احمد بن أيوب بن راشد حدثنا مسلمة بن علقمة عن داود بن أبي هند ان سعد بن مالك قال أنزلت في هذه الآية وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الآية قال كنت رجلا برا بأمي فلما أسلمت قالت يا سعد ما هذا الذي أراك قد أحدثت لتدعن دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بي فيقال يا قاتل أمه فقلت لا تفعلي يا أمه فاني لا أدع ديني هذا لشيء فمكثت يوما وليلة لم تأكل (٩) فأصبحت قد جهدت فمكثت يوما آخر وليلة لم تأكل فأصبحت قد جهدت فمكثت يوما وليلة أخرى لا تأكل فأصبحت قد اشتد جهدها فلما رأيت ذلك قلت يا أمه تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني هذا لشيء فان شئت فكلي وان شئت لا تأكلي فأكلت (يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله ان الله لطيف خبير يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الأصوات لصوت الحمير) هذه وصايا نافعة قد حكاها الله سبحانه عن لقمان الحكيم ليمتثلها الناس ويقتدوا بها فقال يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل أي ان المظلمة أو الخطيئة لو كانت مثقال حبة خردل وجوز بعضهم أن يكون الضمير في قوله انها ضمير الشأن والقصة وجوز على هذا رفع مثقال والأول أولى وقوله عز وجل يأت بها الله أي أحضرها الله يوم القيامة حين يضع الموازين القسط وجزى عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر كما قال تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا الآية وقال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ولو كانت تلك الذرة محصنة محجبة في داخل صخرة صماء أو غائبة ذاهبة في أرجاء السموات والأرض فان الله يأتي بها لأنه لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولهذا قال تعالى ان الله لطيف خبير أي لطيف العلم فلا تخفى عليه الأشياء وان دقت ولطفت وتضاءلت خبير بدبيب النمل في الليل البهيم وقد زعم بعضهم أن المراد بقوله فتكن في صخرة أنها صخرة تحت الأرضين السبع وذكره السدي باسناده ذلك

ويجوز أن يكون ارسالهم الله بعد رفع عيسى الى السماء من غير واسطة (فكذبوهما) في الرسالة وقيل ضربوهما وسجنوهما قيل واسم الاثنين يوحنا وشمعون وقيل أسماء الثلاثة صادق ومصدوق وشلوم قاله ابن جرير وغيره وقيل شمعان ويوحنا وبولس وقال وهب اسمهما يحيى وبولس وقال كعب صادق وصدوق (فعززنا بثالث) قرئ بتشديد الزاي وتخفيفها قال الجوهري عززنا يخفف ويشدد أي قوينا وشددنا فالقراءتان على هذا بمعنى وقيل التخفيف بمعنى غلبنا وقهرنا ومنه وعزني في الخطاب والتشديد بمعنى قوينا وكثرنا قيل وهذا الثالث هو شمعون وقيل غيره وعن ابن عباس قال كان بين موسى بن عمران وبين عيسى بن مريم ألف سنة وتسعمائة سنة ولم يكن بينهما فترة وانه أرسل بينهما ألف نبي من بني اسرائيل سوى من أرسل من غيرهم وكان بين ميلاد عيسى والنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وتسع وستون سنة بعث في أولها ثلاثة أنبياء وهو قوله اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث والذي عزز به شمعون وكان من الحواريين وكانت الفترة التي لم يبعث الله فيها رسولا أربعمائة سنة وأربعا وثلاثين سنة أخرجه ابن سعد وابن عساكر (فقالوا انا اليكم مرسلون) أي قال الثلاثة جميعا وجاؤا بكلامهم هذا مؤكدا لسبق التكذيب للاثنين والتكذيب لهما تكذيب للثالث لانهم أرسلوا جميعا بشيء واحد وهو الدعاء الى الله عز وجل وهذه الجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر كأنه قيل ما قال هؤلاء الرسل بعد التعزيز لهم بثالث وكذلك جملة (قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا) فانها مستأنفة كأنه قيل فما قال لهم أهل انطاكية فقيل قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا أي مشاركون لنا في البشرية فلا مزية لكم علينا تختصون بها والخطاب للثلاثة ثم صرحوا بجحود انزال الكتب السماوية فقالوا (وما أنزل الرحمن من شيء) مما تدعونه أنتم ويدعيه غيركم ممن قبلكم من الرسل وأتباعهم (ان أنتم الا تكذبون) في دعوى ما تدعون من ذلك (قالوا) أي فأجابوهم باثبات رسالتهم بكلام مؤكد تأكيدا بليغا لتكرر الانكار من أهل انطاكية وهو قولهم (ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون) فأكدوا الجواب بالقسم الذي يفهم من قولهم ربنا يعلم وبان وباللام قال الزمخشري ووجه التكرار ان الأول ابتداء اخبار والثاني جواب عن انكار انتهى وهذا مخالف لما في المفتاح من انهم أكدوا في المرة الأولى لان تكذيب الاثنين تكذيب للثالث لاتحاد المقالة فلما بالغوا

بالمعروف عن ابن مسعود وابن عباس وجماعة من الصحابة ان صح ذلك ويروى هذا عن عطية العوفي وأبي مالك والثوري والمنهال بن عمرو وغيرهم. وهذا والله أعلم كأنه متلقى من الاسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب والظاهر والله أعلم ان المراد ان هذه الحبة في حقارتها ولو كانت داخل صخرة فان الله سيبديها ويظهرها بلطيف علمه كما قال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله للناس كائنا ما كان (١٠) ثم قال يا بني أقم الصلاة أي بحدودها وفروضها وأوقاتها وأمر بالمعروف وانه عن المنكر أي بحسب طاقتك وجهدك واصبر على ما أصابك علم أن الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر لا بد أن يناله من الناس أذى فأمره بالصبر وقوله ان ذلك من عزم الامور أي ان الصبر على أذى الناس لمن عزم الامور وقوله ولا تصعر خدك للناس يقول لا تعرض بوجهك عن الناس اذا كلمتهم أو كلموك احتقارا منك لهم واستكبارا عليهم ولكن ألن جانبك وابسط وجهك اليهم كما جاء في الحديث ولو أن تلقى أخاك ووجهك اليه منبسط واياك واسبال الازار فانها من المخيلة والمخيلة لا يحبها الله قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ولا تصعر خدك للناس يقول لا تتكبر فتحتقر عباد الله وتعرض عنهم بوجهك اذا كلموك وكذا روى العوفي وعكرمة عنه وقال مالك عن زيد بن أسلم ولا تصعر خدك للناس لا تتكلم وأنت معرض وكذا روي عن مجاهد وعكرمة ويزيد بن الاصم وأبي الجوزاء وسعيد بن جبير والضحاك وابن زيد وغيرهم وقال ابراهيم النخعي يعني بذلك التشدق في الكلام والصواب القول الاول قال ابن جرير وأصل الصعر داء يأخذ الابل في أعناقها أو رؤسها حتى تلتفت أعناقها عن رؤسها فشبه به الرجل المتكبر ومنه قول عمرو بن حني التغلبي

وكنا اذا الجبار صعر خده * أقمنا له من ميله فتقوما

وقال أبو طالب في شعره

وكنا قديما لا نقر ظلامة * اذا ما ثنوا صعر الرؤس نقيمها

وقوله ولا تمش في الارض مرحا أي خيلاء متكبرا جبارا عنيدا لا تفعل ذلك يبغضك الله ولهذا قال ان الله لا يحب كل مختال فخور أي مختال معجب في نفسه فخور اي على غيره وقال تعالى ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا وقد

في تكذيبهم زادوا التأكيد وما ذهب اليه الزمخشري نظرا الى أن مجموع الثلاثة لم يسبق منهم اخبار ولا تكذيب لهم في المرة الاولى فالتأكيد لمجرد الاعتناء والاهتمام بالخبر انتهى قاله الشهاب (وما علينا الا البلاغ المبين) أي ما يجب علينا من جهة ربنا الا تبليغ رسالته على وجه الظهور والوضوح بالادلة الواضحة وهي ابراء الاكمه والابرص والمريض واحياء الميت وليس علينا غير ذلك وهذه جملة مستأنفة كالتي قبلها وكذلك جملة (قالوا انا تطيرنا بكم) فانها مستأنفة جوابا عن سؤال مقدر أي انا تشاءمنا بكم لانقطاع المطر عنا بسببكم لم يجدوا جوابا يجيبون به على الرسل الا هذا الجواب المبني على الجهل المنبئ عن الغباوة العظيمة وعدم وجود حجة يدفعون الرسل بها وعادة الجهال أن يتيمنوا بكل شئ مالوا اليه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه فان أصابهم بلاء أو نعمة قالوا بشؤم هذا وبركة هذا قال مقاتل حبس عنهم المطر ثلاث سنين فقالوا هذا بشؤمكم قيل انهم أقاموا ينذرونهم عشر سنين وقيل انما تطيروا لما بلغهم من ان كل نبي اذا دعا قومه فلم يجيبوه كان عاقبتهم الهلاك وأصل التطير التفاؤل بالطير فانهم كانوا يزعمون أن الطائر السانح سبب للخير والبارح سبب للشر ثم استعمل في كل ما يتشاءم به وفي المختار وطائر الانسان عمله الذي قلده والطير أيضا الاسم من التطير ومنه قولهم لا طير الا طير الله وتطير من الشئ وبالشئ والاسم الطيرة بوزن عنبة وهو ما يتشاءم به من الفأل الردئ وفي الحديث انه كان يحب الفأل ويكره الطيرة وقوله تعالى قالوا اطيرنا بك أصله تطيرنا فادغم ثم رجعوا الى التجبر والتكبر لما ضاقت صدورهم وأعيتهم العلل فقالوا (لئن لم تنتهوا) اللام للقسم أي والله لئن لم تتركوا هذه الدعوى وتعرضوا عن هذه المقالة (لنرجمنكم) بالحجارة قال الفراء عامة ما في القرآن من الرجم المراد به القتل وقال قتادة هو على بابه من الرجم بالحجارة (وليمسنكم منا عذاب أليم) اى شديد فظيع وقيل معناه التحريق بالنار أو القتل وقيل الشتم وقيل هو التعذيب المؤلم من غير تقييد بنوع خاص وهذا هو الظاهر لكنهم حنثوا في هذا القسم لانهم لم يتمكنوا من رد لا دلائل الله اياهم ثم أجاب عليهم الرسل دفعا لما زعموه من التطير بهم و (قالوا طائركم معكم) اى شؤمكم معكم من جهة أنفسكم لازم في أعناقكم وليس هو من شؤمنا قال الفراء طائركم أي رزقكم وقدركم وعملكم وبه قال قتادة وقرأ الجمهور طائركم اسم فاعل اى ما طار لكم من الخير والشر وقرأ الحسن

تقدم الكلام على ذلك في موضعه وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي حدثنا محمد بن عمران بن أبي ليلى حدثنا أبي عن ابن أبي ليلى عن عيسى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن ثابت بن قيس بن شماس قال ذكر الكبر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فشدد فيه فقال ان الله لا يحب كل مختال فخور فقال رجل من القوم والله يا رسول الله اني لاغسل ثيابي فيعجبني بياضها ويعجبني شراك نعلي وعلاقة سوطي فقال ليس ذلك الكبر انما الكبر أن تسفه الحق وتغمط الناس ورواه من طريقة أخرى بمثله وفيه قصة طويلة ومقتل ثابت ووصيته بعد موته وقوله واقصد في (١١) مشيك اى امش مشيا مقتصدا ليس بالبطيء المتثبط ولا بالسريع المفرط بل عدلا وسطا بين بين وقوله واغضض من صوتك اى لا تبالغ في الكلام اى لا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه ولهذا قال ان أنكر الاصوات لصوت الحمير قال مجاهد وغير واحد ان أقبح الاصوات لصوت الحمير اى غاية من رفع صوته انه يشبه بالحمير في علوه ورفعه ومع هذا هو بغيض الى الله تعالى وهذا التشبيه في هذا بالحمير يقتضي تحريمه وذمه غاية الذم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس لنا مثل السوء العائد في هبته كالكلب يقيء ثم يعود في قيئه وقال النسائي عند تفسير هذه الآية حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث عن جعفر بن ربيعة عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله واذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان فانها رأت شيطانا وقد أخرجه بقية الجماعة سوى ابن ماجه من طرق عن جعفر بن ربيعة وفي بعض الالفاظ بالليل فالله أعلم فهذه وصايا نافعة جدا وهي من قصص القرآن العظيم عن لقمان الحكيم وقد روي عنه من الحكم والمواعظ أشياء كثيرة فلنذكر منها أنموذجا ودستورا الى ذلك قال الامام أحمد حدثنا علي بن اسحق اخبرنا ابن المبارك اخبرنا سفيان اخبرني نهيك بن يجمع الضبي عن ابن عمر قال أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لقمان الحكيم كان يقول ان الله اذا استودع شيأ حفظه وروى ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا عيسى بن يونس عن الاوزاعي عن موسى بن سليمان عن القاسم بن مخيمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه يا بني اياك والتقنع فانه مخوفة بالليل مذمة بالنهار وقال حدثنا أبي حدثنا عمرو بن عثمان بن ضمرة حدثنا (٣) البري بن يحيى قال قال لقمان لابنه يا بني ان الحكمة أجلست المساكين

(٣) قوله البري بن يحيى كذا بالاصل وحرر

الحسن اطيركم اى تطيركم (أئن ذكرتم) قرئ بهمزة استفهام بعدها ان الشرطية على الخلاف بينهم في التسهيل والتخفيف وادخال ألف بين الهمزتين وعدمه وقرئ بهمزتين مفتوحتين وقرئ أين على صيغة الظرف واختلف سيبويه ويونس اذا اجتمع استفهام وشرط أيهما يجاب فذهب سيبويه الى انه يجاب الاستفهام وذهب يونس الى انه يجاب بالشرط وعلى القولين فالجواب هنا محذوف اى أئن ذكرتم ووعظتم وخوفتم فتطيرتم لدلالة ما تقدم عليه وقرئ أن ذكرتم بهمزة مفتوحة اى لان ذكرتم والقرا آت كلها سبعية ثم أضربوا عما يقتضيه الاستفهام والشرط من كون التذكير سبب الشؤم أو مصحح التوعد فقالوا (بل أنتم قوم مسرفون) اى ليس الامر كذلك بل أنتم قوم عادتكم الاسراف في المعصية فمن ثم أتاكم الشؤم من قبلكم لا من قبل رسل الله وتذكيرهم أو بل أنتم مسرفون في تطيركم قاله قتادة وقال يحيى بن سلام مسرفون في كفركم وقال ابن بحر السرف هنا الفساد والاسراف في الاصل مجاوزة الحد في مخالفة الحق أي متجاوزون الحد بشرككم وهذا لا ينافي كون أهل انطاكية أول المؤمنين برسل عيسى فان الملك وقومه آمنوا وهلاك قاتلي حبيب لا يستلزم هلاك أهل انطاكية (وجاء من أقصى المدينة) وهي القرية السابق ذكرها وعبر عنها هنا بالمدينة اشارة لكبرها واتساعها (رجل يسعى) هو حبيب بن مرى وكان نجارا وقيل اسكافا وقيل قصارا وقال مجاهد ومقاتل هو حبيب بن اسرائيل النجار وكان ينحت الاصنام وقال وهب كان يعمل الحرير وقال قتادة كان يعبد الله في غار فلما سمع بخبر الرسل جاء يسعى أي يشتد عدوا وقال ابن عباس اسم صاحب يس حبيب وكان الجذام قد أسرع فيه قال القرطبي وهو ممن آمن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن أحد بنبي غير نبينا صلى الله عليه وآله وسلم الا بعد ظهوره وأما نبينا فآمن به قبل ظهوره كثير انتهى وفيه من البعد والضعف مالا يخفى ويدفعه قوله سبحانه (قال يا قوم اتبعوا المرسلين) أي رسل عيسى عليه السلام ولم يذكر نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ولا دلت الآية عليه والجملة مستأنفة كأنه قيل فماذا قال لهم عند مجيئه فقيل قال الخ أي اتبعوا هؤلاء الذين أرسلوا اليكم فانهم جاؤا بحق ثم أكد ذلك وكرره فقال (اتبعوا من لا يسألكم) بدل من المرسلين باعادة العامل أو تابع له (أجرا) على ما جاؤكم به من الهدى (وهم) أي الرسل (مهتدون)

مجالس الملوك وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا عبدة بن سليمان أخبرنا ابن المبارك حدثنا عبد الرحمن المسعودي عن عون بن عبد الله قال
قال لقمان لابنه يا بني اذا أتيت نادي قوم فارمهم بسهم الاسلام يعني السلام ثم اجلس في ناحيتهم فلا تنطق حتى تراهم قد نطقوا
فان أفاضوا في ذكر الله فأجل سهمك معهم وان أفاضوا في غير ذلك فتحول عنهم الى غيرهم وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا عمرو بن عثمان بن
سعيد بن كثير بن دينار حدثنا ضمرة عن حفص بن عمر قال وضع لقمان جرابا من خردل الى جانبه وجعل يعظ ابنه وعظة ويخرج
خردلة حتى نفد الخردل فقال يا بني لقد وعظتك موعظة لو وعظها جبل تفطر قال فتفطر ابنه وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا يحيى بن
عبد الباقي المصيصي حدثنا أحمد بن عبد الرحمن (١٢) الحراني حدثنا عثمان بن عبد الرحمن الطرائفي حدثنا أنس بن سفيان المقدسي
عن خليفة بن سلام عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذوا السودان فان ثلاثة منهم من سادات أهل الجنة لقمان الحكيم والنجاشي وبلال المؤذن قال الطبراني أراد الحبش

(فصل في الخمول والتواضع) وذلك متعلق بوصية لقمان عليه السلام لابنه وقد جمع في ذلك الحافظ أبو بكر ابن أبي الدنيا كتابا مفردا نحن نذكر منه مقاصده قال حدثنا ابراهيم ابن المنذر حدثنا عبد الله بن موسى المدني عن أسامة بن زيد عن حفص ابن عبد الله بن أنس عن جده أنس ابن مالك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رب أشعث ذي طمرين يصفح عن أبواب الناس اذا أقسم على الله لأبره ثم رواه من حديث جعفر بن سليمان عن ثابت وعلي بن زيد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وزاد منهم البراء بن مالك وقال أبو بكر بن سهل التميمي حدثنا ابن أبي مريم حدثنا نافع بن يزيد عن عياش ابن عباس عن عيسى بن عبد الرحمن عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر رضي الله عنه انه دخل المسجد فاذا هو بمعاذ بن جبل يبكي عند قبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ما يبكيك يا معاذ قال حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم
سمعته يقول ان اليسير من الرياء شرك وان الله يحب الأتقياء الأخفياء الأبرياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يعرفوا قلوبهم
مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة حدثنا الوليد بن شجاع حدثنا عثام بن علي عن حميد بن عطاء الأعرج عن عبد الله بن
الحرث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره لو قال
اللهم اني أسألك الجنة لأعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا وقال أيضا حدثنا اسحق بن ابراهيم حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن

ولو كانوا متهمين بعدم الصدق لسألوكم المال فاهتدوا ثم أيضا تبعا لهم ثم أبرز الكلام في معرض النصيحة لنفسه وهو يريد مناصحة قومه فقال (ومالي لا أعبد الذي فطرني) أي أي مانع من جانبي يمنعني من عبادة الذي خلقني ثم رجع الى خطابهم لبيان انه ما أراد نفسه بل أرادهم بكلامه فقال (واليه ترجعون) أضاف الفطرة الى نفسه والرجوع اليهم لان الفطرة أثر النعمة وكانت عليه أظهر والرجوع فيه معنى الزجر فكان بهم أليق ولذلك لم يقل اليه أرجع وفيه مبالغة في التهديد وهذه الطريقة أحسن من ادعاء الالتفات ثم عاد الى المساق الاول وهو التلطف في الارشاد والنصيحة لقصد التأكيد ومزيد الايضاح فقال (أأتخذ من دونه) أي غيره (آلهة) فجعل الانكار متوجها الى نفسه وهم المرادون به أي لا أتخذ من دون الله آلهة وأعبدها وأترك عبادة من يستحقها وهو الذي فطرني ثم بين حال هذه الأصنام التي يعبدونها من دون الله سبحانه انكارا عليهم وبيانا لضلال عقولهم وقصور ادراكهم فقال (ان يردن الرحمن بضر) أي سوء ومكروه وشرط وجوابه (لا تغن عني شفاعتهم شيئا) من النفع كائنا ما كان أي لا شفاعة لها فتغني عني (ولا ينقذون) من ذلك الضر الذي أرادني الرحمن به وهذه الجملة صفة لآلهة أو مستأنفة لبيان حالها في عدم النفع والدفع (اني اذا) أي اني اذا اتخذت من دونه آلهة وعبدت غير الله (لفي ضلال مبين) ظاهر واضح لان ايثار ما لا يسمع ولا ينفع ولا يدفع ضرا وترجيحه ما على الخالق المقتدر على النفع والضر واشراكه به ضلال بين لا يخفى على عاقل وهذا تعريض بهم كما سبق والضلال الخسران ثم صرح بايمانه تصريحا لا يبقى بعده شك فقال (اني آمنت بربكم فاسمعون) بكسر النون وهي نون الوقاية وهي اللغة العالية وقرئ بفتحها وهي غلط قال المفسرون أراد القوم قتله فأقبل هو على المرسلين فقال اني آمنت بربكم أيها الرسل فاسمعوا ايماني واشهدوا لي به وقيل انه خاطب بهذا الكلام قومه لما أرادوا قتله تصلبا في الدين وتشددا في الحق وعدم المبالاة بالقتل فلما قال هذا القول وصرح بالايمان وثبوا عليه فقتلوه وقيل وطئوه بأرجلهم وقال الحسن حرقوه حرقا وعلقوه في سور المدينة وقبره في سور انطاكية حكاه الثعلبي وقيل حفروا له حفيرة وألقوه فيها وقيل انهم لم يقتلوه بل رفعه الله الى السماء وهو في الجنة وبه قال الحسن وقال السدي رموه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي حتى قتلوه وقيل نشروه بالمنشار حتى خرج من بين رجليه فوالله ما خرجت

روحه

روحه الا في الجنة فدخلها وذلك قوله تعالى (قيل ادخل الجنة) أي قيل له ذلك عند موته تكريماً له بدخولها بعد قتله كما هي سنة الله في شهداء عباده ولم يذكر لفظ له في نظم الآية لأن الغرض بيان القول دون المقول له فإنه معلوم وعلى قول من قال إنه رفع إلى السماء ولم يقتل يكون المعنى أنهم لما أرادوا قتله نجاه الله من القتل وقيل له ادخل الجنة وفيه دليل على أن الجنة مخلوقة الآن وعليه فالأمر أمر تكوين لا أمر امتثال على حد قوله أن يقول له كن فيكون فالمعنى أدخله الله الجنة من بعد أن ادخلها ورأى نعيمها وشاهدها (قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) الجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر أي فماذا قال بعد أن قيل له ادخل الجنة فدخلها فقال يا ليت قومي الخ وهم الذين قتلوه فنصحهم حياً وميتاً قال ابن أبي ليلى سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين علي بن أبي طالب وهو أفضلهم ومؤمن آل فرعون وصاحب يس وهم الصديقون ذكره الزمخشري وما في بما هي المصدرية وقيل موصولة أي بالذي غفر لي ربي والباء صلة يعلمون والعائد محذوف أي غفر لي ربي واستضعف هذا لأنه لا معنى لتمنيه أن يعلم قومه بذنوبه المغفورة وليس المراد إلا التمني منه بأن يعلم قومه بغفران ربه له وإليه أشار في التقرير وقال الفراء إنها استفهامية جاءت على الأصل بمعنى التعجب والباء صلة غفر كأنه قال بأي شيء غفر لي ربي يريد به المهاجرة عن دينهم والمصابرة على أذيتهم قال الكسائي لو صح هذا لقال بم من غير ألف ويجاب عنه بأنه قد ورد في لغة العرب إثباتها وإن كان مكثوراً بالنسبة إلى حذفها وفي معنى تمنيه قولان أحدهما أنه تمنى أن يعلموا بحاله ليعلموا حسن مآله وحميد عاقبته إرغاماً لهم وقيل إنه تمنى أن يعلموا بذلك ليؤمنوا مثل إيمانه فيصيروا إلى مثل حاله ولما وقع ما وقع منهم مع حبيب النجار غضب الله له وعجل لهم النقمة وأهلكهم بالصيحة فقال (وما أنزلنا على قومه من بعده) أي على قوم حبيب النجار من بعد قتلهم له أو من بعد رفع الله له إلى السموات على الاختلاف السابق (من جند من السماء) لإهلاكهم وللانتقام منهم أي لم نحتج إلى إرسال جنود من السماء لإهلاكهم كما وقع ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر من إرسال الملائكة لنصرته وحرب أعدائه وذلك لأن الله أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون بعض لحكمة اقتضت ذلك وعن ابن مسعود في الآية قال يقول ما كابدناهم بالجموع أي الأمر أيسر علينا من ذلك (وما كنا منزلين)

سالم بن أبي الجعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من أمتي من لو أتى باب أحدكم يسأله ديناراً أو درهماً أو فلساً لم يعطه ولو سأل الله الجنة لأعطاه إياها ولو سأله الدنيا لم يعطه إياها ولم يمنعها إياه لهوانه عليه ذو طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره وهذا مرسل من هذا الوجه وقال أيضاً حدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا جعفر بن سليمان حدثنا عوف قال قال أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من ملوك الجنة كل أشعث أغبر ذو طمرين لا يؤبه له الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم وإذا خطبوا النساء لم ينكحوا وإذا قالوا لم ينصت لهم حوائج أحدهم تتجلجل في صدره لو قسم نوره يوم القيامة بين الناس لوسعهم قال وأنشدني عمر بن شبة عن ابن عائشة قال قال عبد الله بن المبارك

الا رب ذي طمرين في منزل غدا
زرابيه مبثوثة ونمارقه
قد اطردت أنهاره حول قصره
وأشرق والتفت عليه حدائقه

وروي من حديث عبيد الله بن زحر عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعاً قال الله من أغبط أوليائي عندي مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة أحسن عبادة ربه وأطاعه في السر وكان غامضاً في الناس لا يشار إليه بالأصابع إن صبر على ذلك قال ثم أنفذ رسول الله بيده وقال عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه وعن عبد الله بن عمرو قال أحب عباد الله إلى الله الغرباء قيل ومن الغرباء قال الفرارون بدينهم يجتمعون يوم القيامة إلى عيسى بن مريم وقال الفضيل بن عياض بلغني أن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة ألم أنعم عليك ألم أعطك ألم أسترك ألم ألم ألم أجعل ذكرك ثم قال الفضيل إن استطعت أن لا تعرف فافعل وما عليك أن لا يثنى عليك وما عليك أن تكون مذموماً عند الناس محموداً عند الله وكان ابن محيريز يقول اللهم إني أسألك ذكراً خاملاً وكان الخليل بن أحمد يقول اللهم اجعلني عندك من أرفع خلقك واجعلني في نفسي من أوضع خلقك وعند الناس من أوسط خلقك ثم قال باب ما جاء في الشهرة حدثنا أحمد بن عيسى المصري حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحرث وابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال حسب امرئ من الشر إلا من عصم الله أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه وإن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن إلى قلوبكم وأعمالكم وروى مثله عن إسحاق بن البهلول عن ابن أبي

فديك عن محمد بن عبد الواحد الحسني عن عبد الواحد بن أبي كثير عن جابر بن عبد الله مرفوعا مثله وروى عن الحسن مرسلا نحوه فقيل للحسن فانه يشار اليك بالاصابع فقال انما المراد من يشار اليه في دينه بالبدعة وفي دنياه بالفسق وعن علي رضي الله عنه قال لا تبتدأ لأن تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر وتعلم واكتم واصمت تسلم تسر الابرار وتغيظ الفجار وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله ما صدق الله من أحب الشهرة وقال أيوب ما صدق الله عبد الا سره أن لا يشعر بمكانه وقال محمد بن العلاء من أحب الله أحب أن لا يعرفه الناس وقال سماك بن سلمة اياك وكثرة الاخلاء وقال أبان بن عثمان ان أحببت أن يسلم لك دينك فأقل من المعارف وكان أبو العالية اذا جلس اليه أكثر من ثلاثة نهض وتركهم وقال حدثنا علي بن الجعد أخبرنا شعبة عن عوف عن أبي رجاء قال رأى طلحة قوما يمشون معه فقال ذباب طمع وفراش النار وقال ابن ادريس عن هرون بن أبي عنترة عن سليم بن حنظلة قال بينا نحن حول أبي اذ علاه عمر بن الخطاب بالدرة وقال انها مذلة للتابع وفتنة للمتبوع وقال ابن عون عن الحسن خرج ابن مسعود فاتبعه أناس فقال والله لو تعلمون ما أغلق عليه بابي ما اتبعني منكم رجلان وقال حماد بن زيد كنا اذا مررنا على المجلس ومعنا أيوب فسلم ردوا ردا شديدا وكان ذلك نعمة وقال عبد الرزاق عن معمر كان أيوب يطيل قميصه فقيل له في ذلك فقال ان الشهرة فيما مضى كانت في طول القميص واليوم في تشميره واصطنع مرة نعلين على حذو نعلي النبي صلى الله عليه وسلم فلبسهما أياما ثم خلعهما وقال لم أر الناس يلبسونهما وقال ابراهيم النخعي لا تلبس من الثياب ما يشهر في الفقهاء ولا ما يزدريك السفهاء وقال الثوري كانوا يكرهون من الثياب الجياد التي يشتهر بها ويرفعون الناس اليه فيها أبصارهم والثياب الردية التي يحتقر فيها ويستذل دينه وحدثنا خالد بن خداش حدثنا حماد عن أبي حنيفة صاحب الزيادي قال كنا عند أبي قلابة اذ دخل عليه رجل عليه أكسية فقال اياكم وهذا الحمار النهاق وقال الحسن رحمه الله ان قوما جعلوا الكبر في قلوبهم والتواضع في ثيابهم فصاحب الكساء بكسائه أعظم من صاحب المطرف بمطرفه ما لهم تفاقدوا وفي بعض الاخبار ان موسى عليه السلام قال لبني اسرائيل ما لكم تأتوني عليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب البسوا ثياب الملوك وألينوا قلوبكم بالخشية ﴿فصل في

أي وما صح في قضائنا وحكمتنا أن ننزل لاهلاككم جندا لسبق قضائنا وقدرنا بأن اهلاككم بالصيحة لا بانزال الجند وقال قتادة ومجاهد والحسن اي ما أنزلنا عليهم من رسالة من السماء ولا نبي بعد قتله وروى عن الحسن انه قال هم الملائكة النازلون بالوحي على الانبياء والظاهر ان معنى النظم القرآني تحقير شأنهم وتصغير أمرهم اي ليسوا بأحقاء بأن ننزل لاهلاكهم جندا من السماء بل أهلكناهم بصيحة واحدة كما يفيده قوله (ان كانت) أي العقوبة أو النقمة أو الاخذة (الا صيحة واحدة) صاح بها جبريل فأهلكهم قرئ صيحة بالنصب على ان كان ناقصة واسمها ضمير يعود الى ما يفهم من السياق كما قدمنا وقرئ برفعها على ان كان تامة أي وقع وحدث وأنكرها أبو حاتم وكثير من النحويين بسبب التأنيث في قوله ان كانت وقيل غير ذلك وقرأ ابن مسعود ان كانت الا زقية واحدة والزقية الصيحة قال النحاس وهذا مخالف للمصحف وأيضا فان اللغة المعروفة زقا يزقو اذا صاح ومنه المثل أثقل من الزواقي فكان يجب على هذا أن يكون زقوة ويجاب عنه بما ذكره الجوهري قال الزقو والزقي مصدر وقد زقا الصدا يزقو زقا أي صاح وكل صائح زاق والزقية الصيحة قال المفسرون أخذ جبريل بعضادتي باب المدينة ثم صاح بهم صيحة فاذا هم ميتون لا يسمع لهم حس كالنار اذا طفئت وهو معنى قوله (فاذا هم خامدون) ميتون شبههم بالنار اذا طفئت لان الحياة كالنار الساطعة في الحركة والالتهاب والموت كخمودها (يا حسرة على العباد) النصب على أنها منادى منكر كأنه نادى الحسرة وقال لها هذا أوانك فاحضري وقيل انها منصوبة على المصدرية والمنادى محذوف والتقدير يا هؤلاء تحسروا حسرة وقرئ بالضم على النداء قال الفراء في توجيه هذه القراءة ان الاختيار النصب وأنها لو رفعت النكرة لكان صوابا واستشهد بأشياء نقلها عن العرب منها أنه سمع منهم يا مهتم بأمرنا لا تهتم قال النحاس وفي هذا ابطال باب النداء أو أكثره قال وتقدير ما ذكره يا أيها المهتم لا تهتم بأمرنا وحقيقة الحسرة أن يلحق الانسان من الندم ما يصير به حسيرا قال ابن جرير المعنى يا حسرة من العباد على أنفسهم وتندما وتلهفا في استهزائهم برسل الله وقرئ يا حسرة العباد على الاضافة ورويت هذه القراءة عن أبي وقال الضحاك انها حسرة الملائكة على الكفار حين كذبوا الرسل وقيل هي من قول الرجل الذي جاء من أقصى المدينة وقيل ان القائل يا حسرة على العباد هم

الكفار المكذبون والعباد الرسل وذلك أنهم لما رأوا العذاب تحسروا على قتلهم وتمنوا الايمان قاله أبو العالية ومجاهد وقيل ان التحسر عليهم هو من الله عز وجل بطريق الاستعارة لتعظيم ما جنوه وقرئ يا حسره بسكون الهاء اجراء للوصل مجرى الوقف وقرئ يا حسرتا كما قرئ بذلك في سورة الزمر قال ابن عباس أي يا ويلا للعباد وعنه قال الندامة على العباد يوم القيامة وأل في العباد للجنس (ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون) مستأنفة مسوقة لبيان ما كانوا عليه من تكذيب الرسل والاستهزاء بهم وان ذلك هو سبب التحسر عليهم ثم عجب سبحانه من حالهم حيث لم يعتبروا بأمثالهم من الامم الخالية فقال (ألم يروا كم أهلكنا) اى ألم يعلموا كثرة من أهلكنا (قبلهم من القرون) التى أهلكناها من الامم الخالية والاستفهام للتقرير على حد قوله ألم نشرح لك صدرك (أنهم اليهم لا يرجعون) بدل من أهلكنا على المعنى قال سيبويه انه بدل من كم وهي الخبرية فلذلك جاز أن يبدل منها ما ليس باستفهام والمعنى ألم يروا أن القرون الذين أهلكناهم أنهم اليهم لا يرجعون وقال الفراء كم في موضع نصب من وجهين أحدهما بيروا والوجه الآخر بأهلكنا قال النحاس القول الاول محال لان كم لا يعمل فيها ما قبلها الا انها استفهام ومحال أن يدخل الاستفهام في حيز ما قبله وكذا حكمها اذا كانت خبرا وان كان سيبويه قد أومأ الى بعض هذا فجعل أنهم بدلا من كم وقد رد ذلك المبرد أشد رد ثم بين سبحانه رجوع الكل الى المحشر بعد بيان عدم الرجوع الى الدنيا فقال (وان كل لما جميع لدينا محضرون) قرئ لما مشددا ومخففا قال الفراء من شدد جعل لما بمعنى الا وان بمعنى ما أى ما كل الا جميع ومعنى جميع مجموعون فهو فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له وأما على قراءة التخفيف فان هي المخففة من الثقيلة وما بعدها مرفوع بالابتداء واللام هي الفارقة بين المخففة والنافية قال أبو عبيدة وما على هذه القراءة زائدة والتقدير عنده وان كل لجميع والحاصل ان كل أشير بها الاستغراق الافراد وشمولهم وجميع أشير بها الاجتماع الكل في مكان واحد وهو المحشر وقيل معنى محضرون معذبون والاولى انه على معناه الحقيقي من الاحضار للحساب والجزاء ثم ذكر سبحانه البرهان على التوحيد والحشر مع تعداد النعم وتذكيرها فقال (وآية لهم) على البعث والتوحيد (الارض الميتة) فآية خبر مقدم وتنكيرها للتفخيم ولهم صفتها أو متعلقة بآية لانها بمعنى علامة والارض مبتدأ

حسن الخلق)* ابو التياح عن انس رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من احسن الناس خلقا عطاء عن ابن عمر قيل يارسول الله اى المؤمنين افضل قال احسنهم خلقا نوح بن عباد عن انس مرفوعا ان العبد ليبلغ بحسن خلقه درجات الآخرة وشرف المنازل وانه لضعيف العبادة وانه ليبلغ بسوء خلقه درك جهنم وهو عابد سيار بن هرون عن حميد عن انس مرفوعا ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة المطلب عن عائشة مرفوعا ان العبد ليبلغ بحسن خلقه درجة قائم الليل صائم النهار وقال ابن ابى الدنيا حدثنى ابو مسلم عبد الرحمن بن يونس حدثنا عبد الله بن ادريس اخبرنى ابى وعمى عن جدى عن ابى هريرة رضى الله عنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكثر ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن اكثر ما يدخل الناس النار فقال الاجوفان الفم والفرج وقال اسامة بن شريك كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءته الاعراب من كل مكان فقالوا يارسول الله ما خير ما اعطى الانسان قال حسن الخلق وقال يعلى بن مماك عن ام الدرداء عن ابى الدرداء يبلغ به قال ما شئ اثقل فى الميزان من حسن الخلق وكذا رواه عطاء عن ام الدرداء به مسروق عن عبد الله بن عمرو مرفوعا ان من خياركم احاسنكم اخلاقا حدثنا عبد الله بن ابى بدر حدثنا محمد بن عنين عن محمد بن ابى سارة عن الحسن بن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليعطى العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطى المجاهد فى سبيل الله يغدو عليه الاجر ويروح مكحول عن ابى ثعلبة مرفوعا ان احبكم الى واقربكم منى مجلسا احاسنكم اخلاقا وان ابغضكم الى وأبعدكم منى منزلا فى الجنة مساويكم اخلاقا الثرثارون المتشدقون المتفيهقون ابو اويس عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعا الا اخبركم بأكملكم ايمانا احاسنكم اخلاقا الموطؤن اكنافا الذين يؤلفون ويألفون وقال الليث عن يزيد بن عبد الله بن اسامة عن بكر بن ابى الفرات قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق رجل وخلقه فتطعمه النار عبد الله بن غالب الحدانى عن ابى سعيد مرفوعا خصلتان لا يجتمعان فى مؤمن البخل وسوء الخلق وقال ميمون بن مهران عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من ذنب اعظم عند الله من سوء الخلق وذلك ان صاحبه لا يخرج من ذنب الا وقع فى آخر حدثنا على بن الجعد حدثنا ابو المغيرة الاحمسى حدثنا

عبد الرحمن بن إسحاق عن رجل من قريش قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من ذنب أعظم عند الله من سوء الخلق إن الخلق الحسن ليذيب الذنوب كما تذيب الشمس الجليد وإن الخلق السيء ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل وقال عبد الله بن إدريس عن أبيه عن جده عن أبي هريرة مرفوعا إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط وجوه وحسن خلق وقال محمد ابن سيرين حسن الخلق عون على الدين

﴿ فصل في ذم الكبر ﴾

قال علقمة عن ابن مسعود رفعه لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من كبر ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان وقال إبراهيم بن أبي عبلة عن أبي سلمة عن عبد الله بن عمرو مرفوعا من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر أكبه الله على وجهه في النار حدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنا أبو معاوية عن عمر بن راشد عن إياس بن سلمة عن أبيه مرفوعا لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب عند الله من الجبارين فيصيبه ما أصابهم من العذاب وقال مالك ابن دينار ركب سليمان بن داود عليهما السلام ذات يوم البساط في مائتي ألف من الإنس ومائتي ألف من الجن فرفع حتى سمع تسبيح الملائكة في السماء ثم خفض حتى مست قدمه ماء البحر فسمعوا صوتا لو كان في قلب صاحبكم مثقال حبة ذرة من كبر لخسف به أبعد مما رفع حدثنا أبو خيثمة حدثنا يزيد عن هرون عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال كان أبو بكر يخطبنا فيذكر بدء خلق الإنسان حتى إن أحدنا ليقذر نفسه يقول خرج من مجرى البول مرتين وقال الشعبي من قتل اثنين فهو جبار ثم تلا أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وقال الحسن عجبا لابن آدم يغسل الخرء بيده في اليوم مرتين ثم يتكبر يعارض جبار السموات حدثنا خالد بن خداش حدثنا حماد بن زيد عن علي بن الحسن عن العتي بن ضمرة سمع أبيا فذكر حديث ضرب مثل الدنيا ما يخرج من ابن آدم (٣) وقال الحسن عن يحيى عن أبي قال إن مطعم ابن آدم ضرب مثلا للدنيا وإن قزحه وملحه وقال محمد بن الحسين بن علي من ولد علي رضي الله عنه ما دخل قلب رجل شيء من كبر إلا نقص من عقله قدر ذلك وقال يونس بن عبيد ليس مع السجود كبر ولا مع التوحيد نفاق ونظر طاوس إلى عمر بن عبد العزيز وهو يختال في مشيته وذلك قبل أن يستخلف فطعن طاوس في جنبه بإصبعه وقال ليس هذا شأن من في بطنه خرء

ويجوز أن يكون آية مبتدأ لكونها قد تخصصت بالصفة وما بعدها الخبر قرئ ميتة بالتشديد والتخفيف (أحييناها) مستأنفة مبينة لكيفية كونها آية وقيل هي صفة للأرض فنبههم الله بهذا على إحياء الموتى وذكرهم نعمه وكمال قدرته فإنه سبحانه أحيى الأرض بالنبات وأخرج منها الحبوب التي يأكلونها ويتغذون بها وهو معنى قوله (وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون) وهو ما يقتاتونه من الحبوب وتقديم منه للدلالة على أن الحب معظم ما يؤكل وأكثر ما يقوم به المعاش (وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب) أي جعلنا في الأرض جنات من أنواع النخل والعنب وخصصهما بالذكر لأنهما أعلى الثمار وأنفعها للعباد والنخل والنخيل بمعنى والواحدة نخلة وفي المصباح النخل اسم جمع والواحدة نخلة وكل جمع يفرق بينه وبين واحده بالتاء فأهل الحجاز يؤنثونه وأهل نجد وتميم يذكرونه وأما النخيل بالياء فمؤنثة قال ابن أبي حاتم لا اختلاف في ذلك والأعناب جمع عنب والعنبة الواحدة من العنب (وفجرنا فيها من العيون) أي فجرنا في الأرض بعضا من العيون فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه أو المفعول العيون ومن مزيدة على رأي من جوز زيادتها في الإثبات والمراد بالعيون عيون الماء وقرأ الجمهور بالتشديد وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى واللام في قوله (ليأكلوا من ثمره) متعلقة بجعلنا والضمير المجرور يعود إلى المذكور من الجنات والنخيل وقيل هو راجع إلى ماء العيون لأن الثمر منه قاله الجرجاني وقرئ ثمره بضمتين وبفتحتين وهما سبعيتان وقرأ الأعمش بضم الثاء وإسكان الميم وقد تقدم الكلام على هذا في الأنعام (وما عملته أيديهم) أي ليأكلوا من ثمره ويأكلوا مما عملته أيديهم كالعصير والدبس ونحوهما وكذلك ما غرسوه وحفروه وعالجوه على أن ما موصولة وفيه تجوز على هذا وقيل هي نافية والمعنى لم يعملوه بل العامل له هو الله عز وجل أي وجدوها معمولة ولا صنع لهم فيها وهو قول الضحاك ومقاتل وقيل إنها نكرة موصوفة والكلام فيها كالذي في الموصولة وقيل إنها مصدرية أي ومن عمل أيديهم والمصدر واقع موقع المفعول به فيعود المعنى إلى معنى الموصولة أو الموصوفة وعن ابن عباس في الآية قال وجدوها معمولة لم تعملها أيديهم يعني الفرات ودجلة ونهر بلخ وأشباهها (أفلا يشكرون) الاستفهام للتقريع والتوبيخ لهم بعدم شكرهم للنعم المعدودة والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أيرون هذه

النعم

---

(٣) قوله وقال الحسن عن يحيى إلى قوله وملحه كذا في النسخ وحرر اهـ

فقال له كالمعتذر اليه يا عم لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى تعلمتها قال ابو بكر بن ابي الدنيا كان بنو امية يضربون أولادهم حتى يتعلموا هذه المشية *(فصل في الاختيال)* عن ابن ابي ليلى عن ابن بريدة عن أبيه مرفوعا من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه ورواه عن اسحق بن اسمعيل عن سفيان عن زيد بن أسلم عن ابن عمر مرفوعا مثله وحدثنا محمد بن بكار حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن الاعرج عن أبي هريرة مرفوعا لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ازاره و بينما رجل يتبختر في بردة أعجبته نفسه خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة ورواه الزهري (١٧) عن سالم عن أبيه بينما رجل الى آخره (ألم تر أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير) يقول تعالى منبها خلقه على نعمه عليهم في الدنيا والآخرة بانه سخر لهم ما في السموات من نجوم يستضيئون بها في ليلهم ونهارهم وما يخلق فيها من سحاب وأمطار وثلج وبرد وجعله اياها سقفا محفوظا وما خلق لهم في الارض من قرار وأنهار وأشجار وزروع وثمار وأسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة من ارسال الرسل وانزال الكتب وازاحة الشبه والعلل ثم مع هذا كله ما آمن الناس كلهم بل منهم من يجادل في الله اي في توحيده وارسال الرسل ومجادلته في ذلك بغير علم ولا مستند من حجة صحيحة ولا كتاب مأثور صحيح ولهذا قال تعالى ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير أي مبين مضيء واذا قيل لهم اي لهؤلاء المجادلين في توحيد الله اتبعوا ما أنزل الله اي على رسوله من الشرائع المطهرة قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا اي لم يكن لهم حجة الا اتباع الآباء الاقدمين قال الله تعالى أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيأ ولا يهتدون اي فما ظنكم أيها المحتجون بصنيع آبائهم انهم كانوا على ضلالة وأنتم خلف لهم فيما كانوا فيه ولهذا قال تعالى أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير (ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى

الم أو أينعمون بها فلا يشكرونها (سبحان الذي خلق الازواج كلها) مستأنفة مسوقة لتنزيهه سبحانه عما وقع منهم من ترك الشكر لنعمه المذكورة والتعجب من اخلالهم بذلك وقد تقدم الكلام مستوفى في معنى سبحان وهو في تقدير الامر للعباد بان ينزهوه عما لا يليق به والازواج الانواع والاصناف وكل زوج صنف لانه مختلف في الالوان والطعوم والاشكال والصغر والكبر فاختلافها هو ازدواجها قال قتادة يعني الذكر والانثى (مما تنبت الارض) بيان للازواج والمراد كل ما ينبت فيها من الاشياء المذكورة وغيرها لانه أصناف (ومن أنفسهم) أي خلق الازواج من أنفسهم وهم الذكور والاناث (ومما لا يعلمون) من أصناف خلقه في البر والبحر والسماء والارض في الاودية والبحار أشياء لا يعلمها الناس ولم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا الى معرفتها ووجه الاستدلال بهذه الآية انه اذا انفرد بالخلق فلا ينبغي ان يشرك به (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) الكلام في هذا كما قدمنا في قوله وآية لهم الارض الخ والمعنى ان ذلك علامة دالة على توحيد الله وقدرته ووجوب الهيته والسلخ الكشط والنزع قال سلخه الله من دينه ثم يستعمل بمعنى الاخراج فجعل سبحانه ذهاب الضوء ومجيء الظلمة كالسلخ من الشيء وهو استعارة تبعية (فاذا هم مظلمون) أي داخلون في الظلام مفاجأة وبغتة يقال أظلمنا أي دخلنا في ظلام الليل وأظهرنا دخلنا في وقت الظهر وكذلك أصبحنا وأمسينا وقيل منه بمعنى عنه والمعنى نسلخ عنه ضوء النهار فاذا هم في ظلمة لان ضوء النهار يتداخل في الهواء فيضيء فاذا خرج منه أظلم قال الفراء يرمي بالنهار على الليل فيأتي بالظلمة وذلك ان الاصل هي الظلمة والنهار داخل عليه فاذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل أي كشط وأزيل فتظهر الظلمة وظاهره يشعر بان النهار طارئ على الليل قال المرزوقي الآية دلت على ان الليل قبل النهار لان المسلوخ منه يكون قبل المسلوخ كما ان المعطى قبل العطاء لكن كلامه في سورة الرعد مؤذن بان بين الليل والنهار تعاقبا وتداخلا قال تعالى يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل (والشمس تجري لمستقر لها) يحتمل أن تكون الواو للعطف على الليل والتقدير وآية لهم الشمس ويجوز أن تكون ابتدائية والشمس مبتدأ وما بعدها الخبر ويكون الكلام مستأنفا مشتملا على ذكر آية مستقلة قيل وفي الكلام حذف والتقدير تجري لمجرى مستقر لها أي تنتهي في سيرها الا حين مستقرها وقيل اللام بمعنى الى قيل والمراد

عذاب غليظ) يقول تعالى مخبرا عمن أسلم وجهه لله أي أخلص له العمل وانقاد لأمره واتبع شرعه ولهذا قال وهو محسن أي في عمله باتباع ما به أمر وترك ما عنه زجر فقد استمسك بالعروة الوثقى أي فقد أخذ موثقا من الله متينا أنه لا يعذبه وإلى الله عاقبة الأمور ومن كفر فلا يحزنك كفره أي لا تحزن عليهم يا محمد في كفرهم بالله وبما جئت به فإن قدر الله نافذ فيهم وإلى الله مرجعهم فينبئهم بما عملوا أي فيجزيهم عليه إن الله عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه خافية ثم قال تعالى نمتعهم قليلا أي في الدنيا ثم نضطرهم أي نلجئهم إلى عذاب غليظ أي فظيع صعب مشق على النفوس كما قال تعالى إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون لله ما في السموات والأرض إن الله هو الغني الحميد) يقول تعالى مخبرا عن هؤلاء المشركين به أنهم يعرفون أن الله خالق السموات والأرض وحده لا شريك له ومع هذا يعبدون معه شركاء يعترفون أنها خلق له وملك له ولهذا قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله أي إذ قامت عليكم الحجة باعترافكم بل أكثرهم لا يعلمون ثم قال تعالى لله ما في السموات والأرض أي هو خلقه وملكه إن الله هو الغني الحميد أي الغني عما سواه وكل شيء فقير إليه الحميد في جميع ما خلق له الحمد في السموات والأرض على ما خلق وشرع وهو المحمود في الأمور كلها (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير) يقول تعالى مخبرا عن عظمته وكبريائه وجلاله وأسمائه الحسنى وصفاته العلا وكلماته التامة التي لا يحيط بها أحد ولا اطلاع لبشر على كنهها قدرناه وإحصائها كما قال سيد البشر وخاتم الرسل لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فقال تعالى ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله أي ولو أن جميع أشجار الأرض جعلت أقلاما وجعل البحر مدادا وأمده سبعة أبحر معه فكتبت بها كلمات الله الدالة على عظمته وصفاته وجلاله لتكسرت الأقلام ونفد ماء البحار ولو جاء أمثالها مددا وإنما ذكرت السبعة على وجه المبالغة ولم يرد الحصر ولا أن ثم سبعة أبحر موجودة محيطة بالعالم كما يقوله من تلقاه من الإسرائيليات

بالمستقر يوم القيامة فعنده تستقر ولا تبقى لها حركة وقيل مستقرها هو أبعد ما تنتهي إليه ولا تجاوزه وقيل نهاية ارتفاعها في الصيف ونهاية هبوطها في الشتاء وقيل مستقرها تحت العرش لأنها تذهب إلى هنالك فتسجد فتستأذن في الرجوع فيؤذن لها وهذا هو الراجح وقال الحسن إن للشمس في السنة ثلثمائة وستين مطلعا تنزل في كل يوم مطلعا ثم لا تنزل إلى الحول فهي تجري في تلك المنازل وهو مستقرها وقيل إن الشمس في الليل تسير وتشرق على عالم آخر من أهل الأرض وإن كنا لا نعرفه ويؤيد هذا القول ما قاله الفقهاء في باب المواقيت كالشمس الرملي من أن الأوقات الخمسة تختلف باختلاف الجهات والنواحي فقد يكون المغرب عندنا عصرا عند آخرين ويكون الظهر صبحا عند آخرين وهكذا وقيل غير ذلك وقرئ لا مستقر لها بلا التي لنفي الجنس وبناء مستقر على الفتح وقرئ لا مستقر بلا التي بمعنى ليس ومستقر اسمها ولها خبرها (ذلك) أي ذلك الجري على ذلك الحساب الذي يكل الفطن عن استخراجه وتتحير الأفهام عن استنباطه (تقدير العزيز) أي الغالب القاهر بقدرته على كل مقدور (العليم) أي المحيط علمه بكل شيء ويحتمل أن تكون الإشارة راجعة إلى المستقر أي ذلك المستقر تقدير الله أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قوله والشمس تجري لمستقر لها قال مستقرها تحت العرش وفي لفظ للبخاري وغيره من حديثه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد عند غروب الشمس فقال يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس قلت الله ورسوله أعلم قال إنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فذلك قوله والشمس تجري لمستقر لها وفي لفظ من حديثه أيضا عند أحمد والترمذي والنسائي وغيرهم قال يا أبا ذر أتدري أين تذهب هذه قلت الله ورسوله أعلم قال فإنها تذهب حتى تسجد بين يدي ربها فتستأذن في الرجوع فيأذن لها وكأنها قد قيل لها اطلعي من حيث جئت فتطلع من مغربها ثم قرأ ذلك مستقر لها وذلك قراءة عبد الله وأخرج الترمذي والنسائي وغيرهما من قول ابن عمر نحوه قال النووي اختلف المفسرون فيه فقال جماعة بظاهر الحديث قال الواحدي فعلى هذا القول إذا غربت الشمس كل يوم استقرت تحت العرش إلى أن تطلع وقيل تجري إلى مستقرها أي أجل لا تتعداه وعلى هذا فمستقرها انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وأما سجود الشمس فهو تمييز وإدراك يخلقه الله تعالى فيها والله أعلم (والقمر

التي لا تصدق ولا تكذب بل كما قال تعالى في الآية الاخرى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا فليس المراد بقوله بمثله آخر فقط بل بمثله ثم بمثله ثم بمثله ثم هلم جرا لانه لا حصر لآيات الله وكلماته قال الحسن البصري لو جعل شجر الارض أقلاما وجعل البحور مدادا وقال الله ان من أمري كذا ومن أمري كذا لنفد ماء البحور وتكسرت الاقلام وقال قتادة قال المشركون انما هذا كلام يوشك أن ينفد فقال الله تعالى ولو ان ما في الارض من شجرة أقلام اي لو كان شجر الارض أقلاما ومع البحر سبعة ابحر ما كان لينفد عجائب ربي وحكمته (١٩) وخلقه وعلمه وقال الربيع بن أنس ان مثل علم العباد كلهم في علم الله كقطرة من ماء البحور كلها وقد أنزل الله ذلك ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام الآية يقول لو كان البحر مدادا لكلمات الله والاشجار كلها أقلاما لانكسرت الاقلام وفني ماء البحر وبقيت كلمات الله قائمة لا يفنيها شيء لان أحدا لا يستطيع أن يقدر قدره ولا يثني عليه كما ينبغي حتى يكون هو الذي يثني على نفسه ان ربنا كما يقول وفوق ما نقول وقد روي ان هذه الآية نزلت جوابا لليهود قال ابن اسحق حدثني ابن أبي محمد عن سعيد بن جبير او عكرمة عن ابن عباس ان أحبار يهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يا محمد أرأيت قولك وما أوتيتم من العلم الا قليلا ايانا تريد أم قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا فقالوا ألست تتلو فيما جاءك انا قد أوتينا التوراة فيها تبيان لكل شيء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها في علم الله قليل وعندكم من ذلك ما يكفيكم وأنزل الله فيما سألوه عنه من ذلك ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام الآية وهكذا روي عن عكرمة وعطاء بن يسار وهذا يقتضي ان هذه الآية مدنية لا مكية والمشهور انها مكية والله أعلم وقوله ان الله عزيز حكيم أي عزيز قد عز كل شيء وقهره وغلبه فلا مانع لما أراد ولا مخالف ولا معقب لحكمه حكيم في خلقه وأمره وأقواله وأفعاله وشرعه وجميع شؤنه وقوله تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة اي ما خلق جميع الناس وبعثهم يوم المعاد بالنسبة الى قدرته الا كنسبة نفس واحدة الجميع هين عليه انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر أي لا يأمر بالشيء الا مرة واحدة فيكون ذلك الشيء لا يحتاج الى تكرره وتوكيده فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة وقوله ان الله سميع

قدرناه منازل) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو برفع القمر على الابتداء وقرأ الباقون بالنصب على الاشتغال وانتصاب منازل على انه مفعول لان قدرنا بمعنى صيرنا ويجوز أن يكون منتصبا على الحال أي قدرنا سيره حال كونه ذا منازل ويجوز أن يكون منتصبا على الظرفية أي في منازل واختار أبو عبيد النصب في القمر قال لان قبله فعلا وهو نسلخ وبعده فعلا وهو قدرنا قال النحاس أهل العربية جميعا فيما علمت على خلاف ما قال منهم الفراء قال الرفع أعجب الي قال وانما كان الرفع عندهم أولى لانه معطوف على ما قبله ومعناه وآية لهم القمر قال أبو حاتم الرفع أولى لانك شغلت الفعل عنه بالضمير فرفعته بالابتداء والمنازل هي الثمانية والعشرون التي ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين أو ليلة اذا نقص الشهر وهي معروفة وسيأتي ذكرها فاذا صار القمر في آخرها عاد الى أولها فيقطع الفلك في ثمان وعشرين ليلة ثم يستتر ليلتين ثم يطلع هلالا فيعود في قطع تلك المنازل من الفلك كالعرجون أخرج الخطيب عن ابن عباس في الآية قال هي ثمانية وعشرون منزلا ينزلها القمر في كل شهر أربعة عشر منها شامية وأربعة عشر منها يمانية فأولها الشرطين والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعواء والسماك وهو آخر الشامية والغفر والزباني والاكليل والقلب والشولة والنعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبية ومقدم الدلو ومؤخر الدلو والحوت وهو آخر اليمانية سئل الرملي هل القمر الموجود في كل شهر هو الموجود في الآخر أو غيره فأجاب بان في كل شهر قمرا جديدا انتهى وهذا يدل على صحة هذا الامتثال ان ثبت بالنص من الشارع ويمكن مثله القول في الشمس لكن لا دليل على ذلك كله (حتى عاد) في آخر منازله في رأي العين (كالعرجون القديم) هو عود الشمراخ بالضم اذا يبس واعوج والقديم الذي أتى عليه الحول فاذا قدم عتق ويبس وتقوس واصفر فشبه القمر به من ثلاثة أوجه فاذا سار هذه الثمانية وعشرين منزلا عاد كالعرجون القديم كما كان في أول الشهر وهذا يدفع ما ذكره الرملي فليتأمل وقال ابن عباس العرجون القديم أصل العذق العتيق قال الزجاج العرجون هو عود العذق الذي فيه الشماريخ وهو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف أي سار في منازله حتى اذا

بصير أي كما هو سميع لأقوالهم بصير بأفعالهم كسمعه وبصره بالنسبة الى نفس واحدة كذلك قدرته عليهم كقدرته على نفس واحدة ولهذا قال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة الآية (ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري الى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير) يخبر تعالى أنه يولج الليل في النهار يعني يأخذ منه في النهار فيطول ذاك ويقصر هذا وهذا يكون زمن الصيف يطول النهار الى الغاية ثم يشرع في (٣٠) النقص فيطول الليل ويقصر النهار وهذا يكون في الشتاء وسخر الشمس والقمر كل يجري الى أجل مسمى قيل الى غاية محدودة وقيل الى يوم القيامة وكلا المعنيين صحيح ويستشهد للقول الاول بحديث أبي ذر رضي الله عنه الذي في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا ذر أتدري أين تذهب هذه الشمس قلت الله ورسوله أعلم قال فانها تذهب فتسجد تحت العرش ثم تستأذن ربها فيوشك أن يقال لها ارجعي من حيث جئت وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو صالح حدثنا يحيى بن أيوب عن ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس انه قال الشمس بمنزلة الساقية تجري بالنهار في السماء في فلكها فاذا غربت جرت بالليل في فلكها تحت الارض حتى تطلع من مشرقها قال وكذلك القمر اسناده صحيح وقوله وأن الله بما تعملون خبير كقوله ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والارض ومعنى هذا أنه تعالى الخالق العالم بجميع الاشياء كقوله تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن الآية وقوله تعالى ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل أي انما يظهر لكم آياته لتستدلوا بها على أنه الحق أي الموجود الحق الاله الحق وأن كل ما سواه باطل فانه الغني عما سواه وكل شيء فقير اليه لأن كل ما في السموات والارض الجميع خلقه وعبيده لا يقدر أحد منهم على تحريك ذرة الا باذنه ولو اجتمع كل أهل الارض على أن يخلقوا ذبابا لعجزوا عن ذلك ولهذا قال تعالى ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير أي العلي الذي لا أعلى منه الكبير الذي هو أكبر من كل شيء فكل شيء خاضع حقير بالنسبة اليه (ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور واذا غشيهم موج

كان في آخر الشهر دق واستقوس وصغر حتى صار كالعرجون القديم وعلى هذا فالنون زائدة قال قتادة هو العذق اليابس المنحني من النخلة قال ثعلب العرجون الذي يبقى في النخلة اذا قطعت والقديم البالي وقال الخليل العرجون أصل العذق وهو أصفر عريض يشبه به الهلال اذا انحنى وكذا قال الجوهري انه أصل العذق الذي يعوج وتقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابسا وعرجه ضرب به بالعرجون وعلى هذا فالنون أصلية قرأ الجمهور بضم العين والجيم وقرئ بكسر العين وفتح الجيم وهما لغتان (لا الشمس ينبغي لها) مرفوعة بالابتداء أي لا يصح ولا يمكن للشمس ولا يستقيم ولا يتسهل (أن تدرك القمر) في سرعة السير وتنزل في المنزل الذي فيه القمر وتجتمع معه في وقت واحد وتداخله في سلطانه فتطمس نوره لان ذلك يخل بتكوين النبات وتعيش الحيوان ولان لكل واحد منهما سلطانا على انفراد ولا يتمكن أحدهما من الدخول على الآخر فيذهب سلطانه الى أن يأذن الله بالقيامة فتطلع الشمس من مغربها ويفهم من الآية أن حركتها بالتسخير لا بالارادة وانما نفى الله تعالى الادراك عن الشمس دون عكسه لان سير القمر أسرع لأنه يقطع فلكه في شهر والشمس لا تقطع فلكها الا في سنة فكانت جديرة بأن توصف بنفي الادراك لبطء سيرها وكان القمر خليقا بأن يوصف بالسبق لسرعة سيره كما سيأتي وقال الضحاك معناه اذا طلعت الشمس لم يكن للقمر ضوء واذا طلع القمر لم يكن للشمس ضوء وقال مجاهد لا يشبه ضوء أحدهما ضوء الآخر وقال الحسن انهما لا يجتمعان في السماء ليلة الهلال خاصة وكذا قال يحيى بن سلام وقيل معناه اذا اجتمعا في السماء كان أحدهما بين يدي الآخر في منزل لا يشتركان فيه وقيل القمر في سماء الدنيا والشمس في السماء الرابعة ذكره النحاس والمهدوي قال النحاس وأحسن ما قيل في معناه وأبينه أن سير القمر سريع والشمس لا تدركه في السير وأما قوله تعالى وجمع الشمس والقمر فذلك حين حبس الشمس عن الطلوع على ما تقدم بيانه في الانعام ويأتي في سورة القيامة أيضا وجمعهما علامة لانقضاء الدنيا وقيام الساعة (ولا الليل سابق النهار) أي لا يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه ويجيء كل واحد منهما في وقته ولا يسبق صاحبه وقيل المراد من الليل والنهار آيتاهما وهما الشمس والقمر فيكون عكس قوله لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر أي ولا القمر سابق الشمس وايراد السبق مكان الادراك لسرعة سير القمر

كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور) يخبر تعالى انه الذي سخر البحر لتجري فيه الفلك بامره أي بلطفه وتسخيره فانه لولا ما جعل في الماء من قوة تحمل بها السفن لما جرت ولهذا قال ليريكم من آياته أي من قدرته ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور أي صبار في الضراء شكور في الرخاء ثم قال تعالى واذا غشيهم موج كالظلل أي كالجبال والغمام دعوا الله مخلصين له الدين كما قال تعالى واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه وقال تعالى فاذا ركبوا في الفلك الآية ثم قال تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد قال (٢١) مجاهد أي كافر كأنه فسر المقتصد ههنا بالجاحد كما قال تعالى فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون وقال ابن زيد هو المتوسط في العمل وهذا الذي قاله ابن زيد هو المراد في قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد الآية فالمقتصد ههنا هو المتوسط في العمل ويحتمل أن يكون مرادا هنا أيضا ويكون من باب الانكار على من شاهد تلك الاهوال والامور العظام والآيات الباهرات في البحر ثم بعدما أنعم الله عليه بالخلاص كان ينبغي أن يقابل ذلك بالعمل التام والدؤوب في العبادة والمبادرة الى الخيرات فمن اقتصد بعد ذلك كان مقصرا والحالة هذه والله أعلم وقوله تعالى وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور فالختار هو الغدار قاله مجاهد والحسن وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم وهو الذي كلما عاهد نقض عهده والختر أتم الغدر وأبلغه قال عمرو بن معديكرب

وانك لو رأيت أبا عمير
ملأت يديك من غدر وختر

وقوله كفور أي جحود للنعم لا يشكرها بل يتناساها ولا يذكرها

(يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) يقول تعالى منذرا للناس يوم المعاد وآمرا لهم بتقواه والخوف منه والخشية من يوم القيامة حيث لا يجزي والد عن ولده أي لو أراد أن يفديه بنفسه لما قبل منه وكذلك الولد لو أراد فداء والده بنفسه لم يقبل منه ثم عاد بالموعظة عليهم بقوله فلا تغرنكم الحياة الدنيا أي لا تلهينكم بالطمأنينة فيها عن الدار الآخرة ولا يغرنكم بالله الغرور يعني الشيطان قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة فانه يغر ابن آدم ويعده ويمنيه وليس من ذلك شئ كما قال تعالى يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان

وهما سيران لا يزال أمرهما على هذا الترتيب الى أن تقوم الساعة فيجمع الله بين الشمس والقمر وتطلع الشمس من مغربها وهذا الايماء ان الليل برتبته سابق في الوجود على النهار برتبته وهو أحد قولين واستدل بعضهم بهذه الآية على ان النهار مخلوق قبل الليل وان الليل لم يسبقه بالخلق ووجه الاستدلال ان المعنى ليس الليل سابق النهار يعني بل النهار هو السابق وهذا نظر الى ما له تحله الليل يحله النهار والآية محتملة لكل من القولين (وكل في فلك يسبحون) التنوين في كل عوض من المضاف اليه أي وكل واحد منهما والفلك هو الجسم المستدير أو السطح المستدير أو الدائرة قال العماد بن كثير في البداية والنهاية حكى ابن حزم وابن الجوزي وغير واحد الاجماع على أن السموات كرية مستديرة واستدل عليه بهذه الآية قال الحسن يدورون وقال ابن عباس في فلكة مثل فلكة المغزل قالوا ويدل على ذلك أن الشمس تغرب كل ليلة من المغرب ثم تطلع في آخرها من المشرق قال ابن حزم حكى الاجماع على ان السموات مستديرة جمع وأقاموا عليه الادلة وخالف في ذلك فرق يسيرة من أهل الجدل وقال ابن العربي السموات ساكنة لا حركة فيها جعلها الله ثابتة مستقرة هي لنا كالسقف للبيت ولهذا سماها السقف المرفوع واستخرج أهل البديع من لفظ كل في فلك صنعة القلب ونحوه قوله تعالى وربك فكبر والسبح السير بانبساط وسهولة والجمع باعتبار اختلاف مطالعهما فكأنهما متعددان بتعددها أو المراد الشمس والقمر والكواكب ثم ذكر سبحانه وتعالى نوعا آخر مما امتن به على عباده من النعم فقال (وآية لهم) ارتفاع آية على انها خبر مقدم والمبتدأ أنا حملنا أو العكس أي علامة ودلالة وقيل معنى آية هنا العبرة وقيل النعمة وقيل النذارة وقد اختلف في معنى (أنا حملنا ذريتهم) والى من يرجع الضمير لان الضمير الاول وهو قوله وآية لهم لاهل مكة أو لكفار العرب أو للكفار على الاطلاق الكائنين في عصر محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقيل الضمير يرجع الى القرون الماضية والمعنى ان الله حمل ذرية القرون الماضية (في الفلك المشحون) فالضميران مختلفان وهذا حكاه النحاس عن الاخفش وقيل الضميران لكفار مكة ونحوهم والمعنى ان الله حمل ذرياتهم من أولادهم وضعفائهم على الفلك فامتن الله عليهم بذلك أي انهم يحملونهم معهم في السفن اذا سافروا أو يبعثون أولادهم للتجارة لهم فيها وانما ذكر ذريتهم دونهم لانه أبلغ في الامتنان عليهم وأبلغ في التعجب من قدرته وقيل

الذرية الآباء والأجداد والفلك هو سفينة نوح أي ان الله حمل آباء هؤلاء وأجدادهم في سفينة نوح قال الواحدي والذرية تقع على الآباء كما تقع على الأولاد قال أبو عثمان وسمى الآباء ذرية لان منهم ذرء الأبناء وقيل الذرية النطف الكائنة في بطون النساء وشبه البطون بالفلك المشحون قاله علي بن أبي طالب ذكره الماوردي والراجح القول الثاني ثم الأول ثم الثالث وأما الرابع ففي غاية البعد والنكارة وقد تقدم الكلام في الذرية واشتقاقها في سورة البقرة مستوفى وقيل ان الضمير في قوله لهم يرجع الى العباد المذكورين في قوله يا حسرة على العباد لانه قال بعد ذلك وآية لهم الأرض الميتة وقال وآية لهم الليل ثم قال وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فكأنه قال وآية للعباد أنا حملنا ذريات العباد ولا يلزم أن يكون المراد بأحد الضميرين البعض منهم وبالضمير الآخر البعض الآخر وهذا قول حسن والمشحون المملوء الموقر والفلك يطلق على الواحد والجمع كما تقدم في يونس عن أبي مالك في الآية قال في سفينة نوح حمل فيها من كل زوجين اثنين وعن أبي صالح نحوه وعنه في الآية قال يعني الابل خلقها الله كما رأيت فهي سفن البر يحملون عليها ويركبونها ومثله عن الحسن وعكرمة وعبد الله بن شداد ومجاهد (وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) أي وخلقنا لهم مما يماثل الفلك ما يركبونه على أن ما هي الموصولة ومن زائدة وقال مجاهد وقتادة وجماعة من أهل العلم من المفسرين وهي الابل خلقها لهم للركوب في البر مثل السفن المركوبة في البحر والعرب تسمي الابل سفائن البر وقيل المعنى وخلقنا لهم سفنا أمثال تلك السفن يركبونها قاله الحسن والضحاك وأبو مالك وقال النحاس وهذا أصح لانه متصل الاسناد عن ابن عباس وقيل هي السفن المتخذة بعد سفينة نوح قلت والعموم أولى ولا وجه للتخصيص فيشمل كل ما يركب حيوانا كان أو جمادا دخانا كان أو ريحا كالعجلات الحادثة في هذا الزمان وما سيحدث في المستقبل مما تلاحق الأفكار وتعامل الأيدي والأنظار (وان نشأ نغرقهم) هذا من تمام الآية التي امتن الله بها عليهم ووجه الامتنان أنه لم يغرقهم في لجج البحار مع قدرته على ذلك أو لم يحرقهم بنار العجلات الدخانية الحادثة الآن والضمير يرجع الى أصحاب الذرية أو الى الذرية أو الى الجميع على اختلاف الأقوال (فلا صريخ لهم) الصريخ بمعنى المصرخ والمصرخ هو المغيث أي فلا مغيث لهم يغيثهم ان شئنا اغراقهم أو احراقهم وقيل هو المنعة وكما يطلق الصريخ على المغيث

الأخرى قال وهب بن منبه قال عزير عليه السلام فلما رأيت بلاء فوق بلاء اشتد مرضي وكثر همي ولا تتوجع تضرعت الى ربه وصليت وصمت فاذا أنا أتضرع الى الله عز وجل اذ أتاني الملك فقلت له أخبرني هل تشفع أرواح الصديقين للظلمة أو الآباء لأبنائهم قال ان القيامة فيها فصل القضاء وملك ظاهر ليس فيه رخصة لا يتكلم فيه أحد الا باذن الرحمن ولا يؤخذ فيه والد عن ولده ولا ولد عن والده ولا أخ عن أخيه ولا عبد عن سيده ولا يهتم أحدهم بغيره ولا يحزن لحزنه ولا أحد يرحمه كل مشفق على نفسه ولا يؤخذ انسان عن انسان كل يهمه همه ويبكي عوله (٢٢) ويحمل وزره ولا يحمل وزره معه غيره رواه ابن أبي حاتم (ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت ان الله عليم خبير) هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها فلا يعلمها أحد الا بعد اعلامه تعالى بها فعلم وقت الساعة لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب لا يجليها لوقتها الا هو وكذلك انزال الغيث لا يعلمه الا الله ولكن اذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك ومن شاء الله من خلقه وكذلك لا يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلقه تعالى سواه ولكن اذا أمر بكونه ذكرا أو أنثى أو شقيا أو سعيدا علم الملائكة الموكلون بذلك ومن شاء الله من خلقه وكذلك لا تدري نفس ماذا تكسب غدا في دنياها وأخراها وما تدري نفس بأي أرض تموت في بلدها أم غيره من أي بلاد الله كان لا علم لأحد بذلك وهذه شبيهة بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو الآية وقد وردت السنة بتسمية هذه الخمس مفاتيح الغيب قال الامام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثني حسين بن واقد حدثني عبد الله بن بريدة سمعت أبي بريدة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خمس لا يعلمهن الا الله عز وجل ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت ان الله عليم خبير هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجوه (حديث ابن عمر) قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت ان الله عليم خبير انفرد باخراجه البخاري فرواه في

كتاب الاستسقاء في صحيحه عن محمد بن يوسف الفريابي عن سفيان بن سعيد الثوري به ورواه في التفسير من وجه آخر فقال حدثنا يحيى بن سليمان حدثنا ابن وهب حدثني عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر أن أباه حدثه أن عبد الله بن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم مفاتيح الغيب خمس ثم قرأ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام انفرد به أيضا ورواه الإمام أحمد عن غندر عن شعبة عن عمر بن محمد أنه سمع أباه يحدث عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أوتيت مفاتيح كل شيء إلا الخمس إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير وكذا رواه عن محمد بن جعفر عن شعبة عن عمرو بن مرة به وزاد في آخره قال قلت له أنت سمعته من عبد الله قال نعم أكثر من خمسين مرة ورواه أيضا عن وكيع عن مسعر عن عمرو بن مرة به وهذا إسناد حسن على شرط السنن ولم يخرجوه (حديث أبي هريرة) قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا إسحق عن جرير عن أبي حيان عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما بارزا للناس إذ أتاه رجل يمشي فقال يا رسول الله ما الإيمان قال الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر قال يا رسول الله ما الإسلام قال الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيأ وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال يا رسول الله ما الإحسان قال الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال يا رسول الله متى الساعة قال ما المسؤل عنها بأعلم من السائل ولكن سأحدثك عن أشراطها إذا ولدت الأمة ربتها فذلك من أشراطها وإذا كان الحفاة العراة رؤس الناس فذلك من أشراطها في خمس لا يعلمهن إلا الله إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام الآية ثم انصرف الرجل فقال ردوه علي فأخذوا ليردوه فلم يروا شيأ فقال هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم ورواه البخاري أيضا في كتاب الإيمان ومسلم من طرق عن أبي حيان به وقد تكلمنا عليه في أول شرح البخاري وذكرنا ثم حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في ذلك بطوله وهو من أفراد مسلم (حديث ابن عباس) قال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا عبد الحميد حدثنا شهر حدثنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا فأتاه جبريل فجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعا كفيه على ركبتي النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الإسلام فقال رسول

الغوث يطلق على الصارخ وهو المستغيث وهو من الأضداد كما صرح به أهل اللغة ويكون مصدرا بمعنى الإغاثة لأنه في الأصل بمعنى الصراخ وهو صوت مخصوص وكل منهما صحيح هنا قاله الشهاب (ولا هم ينقذون) أي لا يخلصون ولا ينجون يقال أنقذه واستنقذه إذا خلصه من مكروه (إلا رحمة منا) استثناء مفرغ من أعم العلل أي لا صريخ لهم ولا ينقذون لشيء من الأشياء إلا لرحمة منا كذا قال الكسائي والزجاج وغيرهما وقيل هو استثناء منقطع أي لكن لرحمة منا (ومتاعا) أي نمتعهم بالحياة الدنيا (إلى حين) وهو الموت قاله قتادة وقال يحيى بن سلام إلى القيامة (وإذا قيل لهم) بيان لإعراضهم عن الآيات التنزيلية بعد بيان إعراضهم عن الآيات الآفاقية التي كانوا يشاهدونها وعدم تأملهم فيها (اتقوا ما بين أيديكم) من الآفات والنوازل فإنها محيطة بكم (وما خلفكم) منها قال قتادة أي اتقوا ما بين أيديكم من الوقائع فيمن كان قبلكم من الأمم وما خلفكم في الآخرة وقال سعيد بن جبير ومجاهد ما بين أيديكم ما مضى من الذنوب وما خلفكم ما بقي منها وقيل ما بين أيديكم الدنيا وما خلفكم الآخرة قاله سفيان وحكى عكس هذا القول الثعلبي عن ابن عباس وقيل ما بين أيديكم ما ظهر لكم وما خلفكم ما خفي عنكم وجواب إذا محذوف والتقدير إذا قيل لهم ذلك أعرضوا كما يدل عليه إلا كانوا عنها معرضين (لعلكم ترحمون) أي رجاء أن ترحموا أو كي ترحموا أو راجين أن ترحموا (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم) ما هي النافية وصيغة المضارع للدلالة على التجدد ومن الأولى مزيدة للتوكيد والثانية للتبعيض والمعنى ما يأتيهم من آية دالة على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلى صحة ما دعا إليه من التوحيد في حال من الأحوال (إلا كانوا عنها معرضين) وظاهره يشمل الآيات التنزيلية والتكوينية والمراد بالإعراض عدم الالتفات إليها وترك النظر الصحيح فيها وهذه الآية مع ما قبلها قوله يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤن إذا أتتهم الرسل كذبوا وإذا أتوا بالآيات أعرضوا عنها (وإذا قيل لهم) إشارة إلى أنهم أخلوا بجميع التكاليف لأن جملتها ترجع إلى أمرين التعظيم لجانب الله والشفقة على خلق الله (أنفقوا مما رزقكم الله) أي تصدقوا على الفقراء مما أعطاكم الله وأنعم به عليكم من الأموال قال الحسن يعني اليهود أمروا بإطعام الفقراء وقال مقاتل إن المؤمنين قالوا لكفار قريش أنفقوا على المساكين مما زعمتم أنه لله من أموالكم

الله صلى الله عليه وسلم الإسلام أن تسلم وجهك لله عز وجل وتشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله قال فإذا فعلت ذلك فقد أسلمت قال إذا فعلت ذلك فقد أسلمت قال يا رسول الله فحدثني ما الإيمان قال الإيمان أن تؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وتؤمن بالموت وبالحياة بعد الموت وتؤمن بالجنة والنار والحساب والميزان وتؤمن بالقدر كله خيره وشره قال فإذا فعلت ذلك فقد آمنت قال إذا فعلت ذلك فقد آمنت قال يا رسول الله حدثني ما الإحسان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الإحسان أن تعمل لله كأنك

تراه فإن كنت لا تراه فإنه يراك قال يا رسول الله فحدثني متى الساعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله خمس لا يعلمهن إلا الله إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت الآية ولكن إن شئت حدثتك بمعالم لها دون ذلك قال أجل يا رسول الله فحدثني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأيت الأمة ولدت ربتها أو ربها ورأيت أصحاب البنيان يتطاولون في البنيان ورأيت الحفاة الجياع العالة رؤوس الناس فذلك من معالم الساعة وأشراطها قال يا رسول الله ومن أصحاب البنيان الحفاة الجياع العالة قال (١) العريب حديث غريب ولم يخرجوه حديث رجل من بني عامر عن ربعي بن حراش روى الإمام أحمد عن رجل من بني عامر أنه استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أألج فقال النبي صلى الله عليه وسلم لخادمه اخرجي إليه فإنه لا يحسن الاستئذان فقولي له فليقل السلام عليكم أأدخل قال فسمعته يقول ذلك فقلت السلام عليكم أأدخل فأذن لي فدخلت فقلت بم أتيتنا به قال لم آتكم إلا بخير أتيتكم أن تعبدوا الله وحده لا شريك له وأن تدعوا اللات والعزى وأن تصلوا بالليل والنهار خمس صلوات وأن تصوموا من السنة شهرا وأن تحجوا البيت وأن تأخذوا الزكاة من مال أغنيائكم فتردوها على فقرائكم قال فقال فهل بقي من العلم شئ الشئ لا تعلمه قال قد علمني الله عز وجل خيرا وإن من العلم ما لا يعلمه إلا الله عز وجل الخمس إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام الآية وهذا إسناد صحيح وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد جاء رجل من أهل البادية فقال إن امرأتي حبلى فأخبرني ما تلد وبلادنا مجدبة فأخبرني متى ينزل الغيث وقد علمت متى ولدت فأخبرني متى أموت فأنزل الله عز وجل إن الله عنده علم الساعة إلى قوله عليم خبير قال

(١) قوله العريب وقوله بعد أسلج كذا بالنسخ التي بأيدينا وحرر اهـ

من الحرث والأنعام كما في قوله سبحانه وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فكان جوابهم ما حكاه الله عنهم بقوله (قال الذين كفروا للذين آمنوا) استهزاء بهم وتهكما بقولهم (أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) أي من لو يشاء الله رزقه وقد كانوا سمعوا المسلمين يقولون إن الرازق هو الله وأنه يغني من يشاء ويفقر من يشاء فكأنهم حاولوا بهذا القول الإلزام للمسلمين وقالوا نحن نوافق مشيئة الله فلا نطعم من لم يطعمه الله وهذا غلط منهم ومكابرة ومجادلة بالباطل فإن الله سبحانه أغنى بعض خلقه وأفقر بعضا ابتلاء فمنع الدنيا من الفقير لا بخلا وأعطى الدنيا الغني لا استحقاقا وأمر الغني أن يطعم الفقير وابتلاه به فيما فرض له من ماله من الصدقة ولا اعتراض لأحد في مشيئة الله وحكمته في خلقه والمؤمن يوافق أمر الله وقولهم من لو يشاء الله أطعمه هو وإن كان كلاما صحيحا في نفسه ولكنهم لما قصدوا به الإنكار لقدرة الله وإنكار جواز الأمر بالإنفاق مع قدرة الله كان احتجاجهم من هذه الحيثية باطلا (إن أنتم) في قولكم لنا ذلك مع معتقدكم هذا (إلا في ضلال مبين) أي بين وهذا من تمام كلام الكفار والمعنى إنكم أيها المسلمون في سؤال المال وأمرنا بإطعام الفقراء لفي ضلال في غاية الوضوح والظهور وقيل هو من كلام الله سبحانه جوابا على هذه المقالة التي قالها الكفار وقيل هو من قول أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم وقال القشيري والماوردي إن الآية نزلت في قوم من الزنادقة وقد كان في كفار قريش وغيرهم من سائر العرب قوم يتزندقون فلا يؤمنون بالصانع فقالوا هذه المقالة استهزاء بالمسلمين ومناقضة لهم وحكى نحو هذا القرطبي عن ابن عباس ولهذا أظهر في مقام الإضمار قيل كان العاص بن وائل السهمي إذا سأله المسكين قال له اذهب إلى ربك فهو أولى بك مني ويقول قد منعه الله أفأطعمه أنا (ويقولون متى هذا الوعد) الذي تعدوننا به من البعث والعذاب والقيامة والمصير إلى الجنة والنار وهذا رجوع للكلام مع الكفار من قريش المعترفين بوجود الله تعالى (إن كنتم صادقين) فيما تقولونه وتعدوننا به قالوا ذلك استهزاء منهم وسخرية بالمؤمنين ومقصودهم إنكار ذلك بالمرة ونفي تحققه وجحد وقوعه فأجاب الله سبحانه عنهم بقوله (ما ينظرون) أي ما ينتظرون (إلا صيحة واحدة) وهي نفخة إسرافيل في الصور وهذه النفخة هي الأولى وهي نفخة الصعق التي يموت بها من كان موجودا على وجه الأرض وجعلوا منتظرين نظرا إلى قولهم متى تقع لأنهم قال متى تقع

مجاهد وهي مفاتيح الغيب التي قال الله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وقال الشعبي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت من حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وقوله تعالى وما تدري نفس بأي أرض تموت قال قتادة أشياء استأثر الله بهن فلم يطلع عليهن ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا إن الله عنده علم الساعة فلا يدري أحد من الناس متى تقوم الساعة في أي سنة أو في أي شهر أو ليل أو نهار وينزل الغيث فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث ليلا أو نهارا ويعلم ما في الأرحام فلا يعلم أحد ما في الأرحام أذكر أم أنثى أحمر أو أسود وما هو وما تدري نفس ماذا تكسب غدا أخير أم شر ولا تدري يا ابن آدم متى تموت لعلك الميت غدا لعلك المصاب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت أي ليس أحد من الناس يدري أين مضجعه من الأرض أفي بحر أم بر أو سهل أو جبل وقد جاء في الحديث إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له إليها حاجة فقال الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير في مسند أسامة بن زيد حدثنا إسحق بن إبراهيم أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب عن أبي المليح عن أسامة ابن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جعل الله منية عبد بأرض إلا جعل له فيها حاجة وقال عبد الله ابن الإمام أحمد حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو داود الحفري عن سفيان عن أبي إسحق عن مطر بن عكامس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قضى الله منية عبد بأرض جعل له إليها حاجة وهكذا رواه الترمذي في القدر من حديث سفيان الثوري به ثم قال حسن غريب ولا نعرف لمطر عن النبي صلى الله عليه وسلم غير هذا الحديث وقد رواه أبو داود في المراسيل فالله أعلم وقال الإمام أحمد حدثنا إسمعيل حدثنا أيوب عن أبي المليح بن أسامة عن أبي عزة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله قبض روح عبد بأرض جعل له فيها أو قال بها حاجة وأبو عزة هذا هو يسار بن عبد الله ويقال ابن عبد الهذلي وأخرجه الترمذي من حديث إسمعيل حدثنا عبد الله بن أبي حميد عن أبي المليح عن أبي عزة الهذلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له إليها حاجة فلم ينته حتى يقدمها ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عنده علم الساعة إلى عليم خبير حديث آخر قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا أحمد ابن ثابت الجحدري ومحمد بن يحيى القطعي قالا حدثنا عمر بن علي حدثنا إسمعيل عن قيس عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله

النبي والملائكة يفهم من كلامه أنه ينتظر وقوعه (تأخذهم وهم يخصمون) أي يختصمون في ذات بينهم في البيع والشراء ونحوهما من أمور الدنيا ويتكلمون في الأسواق والمجالس وفي متصرفاتهم فتأتيهم الساعة أغفل ما كانوا عنها وقد صح هذا في الأحاديث الصحيحة وهي معروفة في كتب السنة وقرئ يخصمون بسكون الخاء وتخفيف الصاد من خصم يخصم والمعنى يخصم بعضهم بعضا وقرئ بإخفاء فتحة الخاء وتشديد الصاد وبإظهار فتحة الخاء وتشديد الصاد وبكسر الخاء وتشديد الصاد والأصل في القراآت الثلاث يختصمون وقرأ أبي على الأصل والقراآت كلها سبعية (فلا يستطيعون توصية) أي لا يستطيع بعضهم أن يوصي إلى بعض بما له وما عليه أو لا يستطيع أن يوصيه بالتوبة والإقلاع عن المعاصي بل يموتون في أسواقهم ومواضعهم قال أبو هريرة تقوم الساعة والناس في أسواقهم يتبايعون ويذرعون الثياب ويحلبون اللقاح وفي حوائجهم فلا يستطيعون توصية الآية وعن الزبير بن العوام قال إن الساعة تقوم والرجل يذرع الثوب والرجل يحلب الناقة ثم قرأ الآية وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته ولا يطعمه ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه ولا يطعمها (ولا إلى أهلهم يرجعون) أي إلى منازلهم التي ماتوا خارجين عنها بل يموتون حيث يسمعون الصيحة لأن الساعة لا تمهلهم بشيء وقيل المعنى لا يرجعون إلى أهلهم قولا وهذا إخبار عما ينزل بهم عند النفخة الأولى ثم أخبر سبحانه عما ينزل بهم عند النفخة الثانية فقال (ونفخ في الصور) وهي النفخة التي يبعثون بها من قبورهم وبين النفختين أربعون سنة أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما بين النفختين أربعون قالوا يا أبا هريرة أربعين يوما قال أبيت قالوا أربعين شهرا قال أبيت قالوا أربعين سنة قال أبيت ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة وعبر عن المستقبل بلفظ الماضي حيث قال ونفخ تنبيها على تحقق وقوعه كما ذكره أهل البيان وجعلوا هذه الآية مثالا له والصور بإسكان الواو وهو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل

عليه وسلم اذا أراد الله قبض عبد بارض جعل له اليها حاجة ثم قال البزار وهذا الحديث لا نعلم أحدا رفعه الا عمر بن علي المقدمي

وقال ابن أبي الدنيا حدثني سليمان بن أبي شيخ قال انشدني محمد بن الحكم لأعشى همدان

فما تزود مما كان يجمعه * سوى حنوط غداة البين مع خرق وغير نفحة أعواد تشب له * وقل ذلك من زاد لمنطلق

لا تأسين على شئ فكل فتى * الى منيته سيار في عنق وكل من ظن أن الموت يخطئه * معلل بأباطيل من الحمق

بأيما بلدة تقدر منيته * إن لا يسير اليها طائعا يسق (٢٦) أورده الحافظ ابن عساكر رحمه الله

في ترجمة عبد الرحمن بن عبد الله بن الحرث وهو أعشى همدان وكان الشعبي زوج أخته وهو متزوج بأخت الشعبي وقد كان ممن طلب العلم والفقه ثم عدل الى صناعة الشعر فعرف به وقد روى ابن ماجه عن أحمد بن ثابت وعمر بن شبة كلاهما عن عمر بن عكرمة مرفوعا اذا كان أجل احدكم بأرض أتت له اليها حاجة فاذا بلغ أقصى أثره قبضه الله عز وجل فتقول الأرض يوم القيامة يارب هذا ما أودعتني قال الطبراني حدثنا اسحق بن ابراهيم حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن أيوب عن أبي المليح عن اسامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما جعل الله منية عبد بأرض الا جعل له اليها حاجة آخر تفسير سورة لقمان والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل

(تفسير سورة الم السجدة وهي مكية)

روى البخاري في كتاب الجمعة حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن سعد بن ابراهيم عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج عن أبي هريرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الفجر يوم الجمعة الم تنزيل السجدة وهل أتى على الانسان ورواه مسلم أيضا من حديث سفيان الثوري وقال الامام أحمد حدثنا اسود بن عامر اخبرنا الحسن بن صالح عن ليث عن أبي الزبير عن جابر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك تفرد به أحمد

(بسم الله الرحمن الرحيم الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون) قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة بما أغنى عن اعادته ههنا وقوله تنزيل

كما وردت بذلك السنة واطلاق هذا الاسم على القرن معروف في لغة العرب وقد مضى هذا مستوفى في سورة الانعام وقال قتادة الصور جمع صورة أي نفخ في الصور الارواح (فاذا هم من الاجداث) أي القبور جمع جدث وهو القبر وقرئ الاجداف بالفاء وهي لغة واللغة الفصيحة بالثاء المثلثة (الى ربهم ينسلون) أي يسرعون ويعدون ويخرجون منها أحياء بسرعة بطريق الجبر والقهر لا بطريق الاختيار فالنسل والنسلان الاسراع في السير يقال نسب الذئب ينسل كضرب يضرب ويقال ينسل بالضم أيضا وهو الاسراع في المشي (قالوا) عند بعثهم من القبور بالنفخة (ياويلنا) يادعوا ويلهم كأنهم قالوا له احضر فهذا أوان حضورك وهو مصدر لا فعل له من لفظه بل من معناه وهو هلك وهؤلاء القائلون هم الكفار قال ابن الانباري الوقف على ياويلنا وقف حسن ثم يبتدئ الكلام بقوله (من بعثنا من مرقدنا) أي من مضطجعنا لاختلاط عقولهم بما شاهدوا من الهول وما داخلهم من الفزع انهم كانوا نياما وقرئ من بعثنا على الاستفهام وبكسر الميم على انها حرف جر وفي قراءة أبي من أهبنا من هب من نومه اذا انتبه وقيل انهم يقولون ذلك اذا عاينوا جهنم وقال أبو صالح اذا نفخ النفخة الاولى رفع العذاب عن أهل القبور وهجعوا هجعة الى النفخة الثانية وعن أبي بن كعب في الآية قال ينامون قبل البعث نومة وعن مجاهد أنهم يستريحون من العذاب قبل النفخة الثانية ويذوقون طعم النوم انتهى فعليه يكون قولهم من مرقدنا حقيقة لان المرقد حقيقة هو مكان النوم وقيل ان الله يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا في الثانية عاينوا أهوال القيامة ودعوا بالويل (هذا ما وعد الرحمن) جواب عليهم من جهة الملائكة أو من جهة المؤمنين المتقين وقيل هو من كلام الكفرة يجيب به بعضهم على بعض قال بالاول الفراء وبالثاني مجاهد وقال قتادة هي من قول الله سبحانه وما في ما وعد موصولة وعائدها محذوف أي هذا الذي وعده الرحمن (وصدق) فيه (المرسلون) قد حق عليكم وعد ربكم ومفعولا الوعد والصدق محذوفان أي وعدكموه الرحمن وصدقكموه المرسلون والاصل وعدكم به وصدقكم فيه أو وعدناه الرحمن وصدقناه المرسلون على ان هذا من قول المؤمنين أو من قول الكفار أقروا حين لا ينفعهم الاقرار (ان) أي (ما كانت) تلك النفخة الثانية التي حكيت عنهم آنفا (الا صيحة واحدة) صاحها اسرافيل بنفخه في الصور (فاذا هم جميع لدينا محضرون)

الكتاب لا ريب فيه أي لا شك فيه ولا مرية أنه منزل من رب العالمين ثم قال تعالى مخبرا عن المشركين أم يقولون افتراه أي اختلقه من تلقاء نفسه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون أي يتبعون الحق (الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم) يخبر تعالى أنه الخالق للأشياء فخلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش وقد تقدم الكلام على ذلك ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أي بل هو المالك لأزمة الأمور الخالق لكل شيء المدبر لكل شيء القاهر على كل شيء فلا ولي لخلقه سواه ولا شفيع إلا من بعد إذنه أفلا تتذكرون يعني أيها العابدون غيره المتوكلون على من عداه تعالى وتقدس وتنزه أن يكون له نظير أو شريك أو وزير أو نديد أو عديل لا إله إلا هو ولا رب سواه وقد أورد النسائي ههنا حديثا فقال حدثنا إبراهيم بن يعقوب حدثني محمد بن الصباح حدثنا أبو عبيدة الحداد حدثنا الأخضر بن عجلان عن أبي جريج المكي عن عطاء عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيدي فقال إن الله خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش في اليوم السابع فخلق التربة يوم السبت والجبال يوم الأحد والشجر يوم الاثنين والمكروه يوم الثلاثاء والنور يوم الأربعاء والدواب يوم الخميس وآدم يوم الجمعة في آخر ساعة من النهار بعد العصر وخلقه من أديم الأرض أحمرها وأسودها وطيبها وخبيثها من أجل ذلك جعل الله من بني آدم الطيب والخبيث هكذا أورد هذا الحديث إسنادا وقد أخرج مسلم والنسائي أيضا من حديث حجاج بن محمد الأعور عن ابن جريج عن إسمعيل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحو من هذا السياق وقد علله البخاري في كتاب التاريخ الكبير فقال وقال بعضهم أبو هريرة عن كعب الأحبار وهو أصح وكذا علله غير واحد من الحفاظ والله أعلم وقوله تعالى يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه أي يتنزل أمره من أعلى السموات إلى أقصى تخوم الأرض السابعة كما قال تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن الآية وترفع الأعمال إلى ديوانها

أي فإذا هم مجموعون محضرون لدينا بسرعة للحساب والعقاب (فاليوم لا تظلم نفس) من النفوس (شيئا) مما تستحقه أي لا ينقص من ثواب عملها شيئا من النقص ولا تظلم فيه بنوع من أنواع الظلم وهذا حكاية لما سيقال لهم حين يرون العذاب المعد لهم تحقيقا للحق وتقريعا لهم (ولا تجزون إلا) جزاء (ما كنتم تعملون) في الدنيا أو إلا بما كنتم تعملونه أي بسببه أو في مقابلته ولما ذكر الله سبحانه حال الكافرين أتبعه بحكاية حال عباده الصالحين وجعله من جملة ما يقال للكفار يومئذ زيادة لحسرتهم وتكميلا لجزعهم وتتميما لما نزل بهم من البلاء وما شاهدوه من الشقاء فإذا رأوا ما أعد الله لهم من العذاب وما أعده لأوليائه من أنواع النعم بلغ ذلك من قلوبهم مبلغا عظيما وزاد في ضيق صدورهم زيادة لا يقادر قدرها فقال (إن أصحاب الجنة اليوم في شغل) لما هم فيه من اللذات التي هي ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر عن الاهتمام بأمر الكفار ومصيرهم إلى النار وإن كانوا من قراباتهم والأولى عدم تخصيص الشغل بشيء معين والشغل هو الشأن الذي يصد المرء ويشغله عما سواه من شؤونه لكونه أهم عنده من الكل إما لإيجابه كمال المسرة والبهجة أو كمال المساءة والغم والمراد هنا هو الأول وما فيه من التنكير والإبهام للإيذان بارتفاعه عن رتبة البيان وقال قتادة ومجاهد شغلهم ذلك اليوم بافتضاض العذارى وبه قال ابن عباس وابن مسعود وعكرمة وعن ابن عمر أن المؤمن كلما أراد زوجه وجدها عذراء وقد روي نحوه مرفوعا وعن ابن عباس أيضا قال في ضرب الأوتار وقال أبو حاتم هذا لعله خطأ من المستمع وإنما هو افتضاض الأبكار على شط الأنهار تحت الأشجار وقال وكيع شغلهم بالسماع وقال ابن كيسان بزيارة بعضهم بعضا وقيل شغلهم كونهم ذلك اليوم في ضيافة الله الجبار وقيل شغلهم عما فيه أهل النار على الإطلاق أو عن أهاليهم في النار لا يهمهم أمرهم ولا يبالون بهم كيلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم والمراد به ما هم فيه من فنون الملاذ التي تلهيهم عما عداها بالكلية وأما أن المراد به افتضاض الأبكار أو السماع أو ضرب الأوتار أو التزاور أو ضيافة الجبار كما روى كل واحد منها عن واحد من أكابر السلف فليس مرادهم بذلك حصر شغلهم فيما ذكروه فقط بل بيان أنه من جملة أشغالهم وتخصيص كل منهم كلا من تلك الأمور بالذكر محمول على اقتضاء مقام البيان إياه قرئ شغل بضمتين وبضم الشين وسكون الغين

فوق سماء الدنيا ومسافة ما بينها وبين الارض مسيرة خمسمائة سنة وسمك السماء خمسمائة سنة وقال مجاهد وقتادة والضحاك النزول
من الملك في مسيرة خمسمائة عام وصعوده في مسيرة خمسمائة عام ولكنه يقطعها في طرفة عين ولهذا قال تعالى في يوم كان مقداره
ألف سنة مما تعدون ذلك عالم الغيب والشهادة أي المدبر لهذه الامور الذي هو شهيد على أعمال عباده يرفع اليه جليلها وحقيرها
وصغيرها وكبيرها هو العزيز الذي قد عز كل شيء فقهره وغلبه ودانت له العباد والرقاب الرحيم بعباده المؤمنين فهو عزيز في رحمته رحيم
في عزته (الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ (٢٨) خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه
من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون) يقول تعالى مخبرا انه الذي احسن خلق الاشياء وأتقنها وأحكمها وقال مالك عن زيد بن اسلم الذي احسن كل شيء خلقه قال احسن خلق كل شيء كأنه جعله من المقدم والمؤخر ثم لما ذكر تعالى خلق السموات والارض شرع في ذكر خلق الانسان فقال تعالى وبدأ خلق الانسان من طين يعني خلق أبا البشر آدم من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين أي يتناسلون كذلك من نطفة تخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة ثم سواه يعني آدم لما خلقه من تراب خلقه سويا مستقيما ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة يعني العقول قليلا ما تشكرون اي بهذه القوى التي رزقكموها الله عز وجل فالسعيد من استعملها في طاعة ربه عز وجل (وقالوا أئذا ضللنا في الارض أئنا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون) يقول تعالى مخبرا عن
المشركين في استبعادهم المعاد حيث قالوا أئذا ضللنا في الارض اي تمزقت أجسامنا وتفرقت في اجزاء الارض وذهبت أئنا لفي خلق جديد اى أئنا لنعود بعد تلك الحال يستبعدون ذلك وهذا انما هو بعيد بالنسبة الى قدرهم العاجزة لا بالنسبة الى قدرة الذي بدأهم وخلقهم من العدم الذي انما امره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون ولهذا قال تعالى بل هم بلقاء ربهم كافرون ثم قال تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم الظاهر من هذه الآية ان ملك الموت شخص معين من الملائكة كما هو المتبادر من حديث البراء المتقدم ذكره في سورة ابراهيم وقد سمي في بعض الآثار بعزرائيل وهو المشهور قاله قتادة

وهما لغتان كما قال الفراء وقرئ بفتحتين وبفتح الشين وسكون الغين (فاكهون) وقرئ فاكهين وفكهون قال الفراء هما لغتان كالفاره والفره والحاذر والحذر وقال الكسائي وأبو عبيدة الفاكه والفكه ذو الفاكهة مثل تامر ولابن والفكه المتفكه المتنعم وقال قتادة الفكهون المعجبون وقال أبو زيد يقال رجل فكه اذا كان طيب النفس ضحوكا وقال مجاهد والضحاك كما قال قتادة وقال السدي كما قال الكسائي وقال ابن عباس فاكهون فرحون وقيل ناعمون متلذذون في النعمة من الفكاهة وهي التمتع والتلذذ مأخوذ من الفاكهة وفسرها ابن عباس بطيب العيش والنشاط (هم وأزواجهم في ظلال على الارائك متكئون) مستأنفة مسوقة لبيان كيفية شغلهم وتفكههم وتكميلها بما يزيدهم سرورا وبهجة من كون أزواجهم معهم على هذه الصفة من الاتكاء على الارائك تحت تلك الظلال والظلال جمع ظل وقرئ ظلل بضم الظاء جمع ظلة والظل هو الموضع الذي لا تقع عليه الشمس والظلة ما سترك عن الشمس وعلى القراءتين فالمراد الفرش والستور التي تظلهم كالخيام والحجال والارائك جمع أريكة كسفائن جمع سفينة والمراد بها السرر التي في الحجال قال أحمد بن يحيى ثعلب الاريكة لا تكون الا سريرا في قبة وقال مقاتل ان المراد بالظلال أكنان القصور وجملة (لهم فيها فاكهة) مبينة لما يتمتعون به في الجنة من المآكل والمشارب ونحوها ويتلذذون به من الملاذ الجسمانية والروحانية بعد بيان ما لهم فيها من مجالس الانس ومحافل القدس أي ولهم فيها فاكهة كثيرة من كل نوع من أنواع الفواكه (ولهم ما يدعون) ما هذه هي الموصولة والعائد محذوف أو موصوفة أو مصدرية ويدعون مضارع ادعى قال أبو عبيدة يدعون يتمنون والعرب تقول ادع علي ما شئت أي تمن وفلان في خير ما يدعي أي يتمنى قال الزجاج هو من الدعاء أي ما يدعو أهل الجنة يأتيهم من دعوت غلامي فيكون الافتعال بمعنى الفعل كالاحتمال بمعنى الحمل والارتحال بمعنى الرحل قيل افتعل بمعنى تفاعل أي ما يتداعونه كقولهم ارتموا وتراموا وقيل المعنى ان من ادعى منهم شيأ فهو له لان الله قد طبعهم على ان لا يدعي أحد منهم شيأ الا وهو يحسن ويجمل به أن يدعيه وقرئ يدعون بالتخفيف ومعناه واضح قال ابن الانباري والوقف على يدعون وقف حسن ثم يبتدئ (سلام) على معنى لهم سلام وقيل ان سلام هو خبر ما أي مسلم خالص أو ذو سلامة وقال الزجاج سلام بدل من ما أي

ولهم

وغير واحد وله أعوان وهكذا ورد في الحديث ان أعوانه ينتزعون الأرواح من سائر الجسد حتى اذا بلغت الحلقوم تناولها ملك
الموت قال مجاهد حويت له الارض فجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء ورواه زهير بن محمد عن النبي صلى الله عليه وسلم
بنحوه مرسلا وقاله ابن عباس رضي الله عنهما وروى ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيى بن أبي يحيى المقري حدثنا عمر بن سمرة عن
جعفر بن محمد قال سمعت أبي يقول نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ملك الموت عند رأس رجل من الانصار فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم يا ملك الموت ارفق بصاحبي فانه مؤمن فقال ملك الموت يا محمد طب نفسا وقر عينا بكل فاني مؤمن رفيق

ولهم أن يسلم الله عليهم وهذا منى أهل الجنة والاولى أن يحمل قوله ولهم ما يدعون
على العموم وهذا السلام يدخل تحته دخولا أوليا ولا وجه لقصره على نوع خاص وان
كان أشرف أنواعه تحقيقا لمعنى العموم ورعاية لما يقتضيه النظم القرآني وقيل ان سلام
مبتدأ وخبره الناصب لقولا أي سلام يقال لهم (قولا) وقيل التقدير سلام عليكم
وقرئ سلاما على المصدرية أو على الحالية بمعنى خالصا والسلام اما من التحية أو من
السلامة وقرئ سلم كأنه قال سلم لهم لا يتنازعون فيه وانتصاب قولا على انه مصدر لفعل
محذوف أي قال الله لهم ذلك قولا أو بقوله لهم قولا (من رب رحيم) أي من جهته قيل
يرسل الله سبحانه اليهم بالسلام وقال مقاتل ان الملائكة تدخل على أهل الجنة من كل
باب يقولون سلام عليكم يا أهل الجنة من رب رحيم وأخرج ابن ماجه وابن أبي الدنيا
في صفة الجنة والبزار وابن أبي حاتم والآجري في الرؤية وابن مردويه عن جابر قال قال
النبي صلى الله عليه وآله وسلم بينا أهل الجنة في نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا
الرب قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة وذلك قول الله سلام
قولا من رب رحيم قال فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شئ من النعيم ما داموا
ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم قال ابن كثير في اسناده
نظر وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في الآية قال ان الله هو يسلم عليهم
(وامتازوا اليوم أيها المجرمون) هو على اضمار القول مقابل ما قيل للمؤمنين أي ويقال
للمجرمين امتازوا أي اعتزلوا من كل خير يقال مزت الشئ من الشئ اذا عزلته عنه
ونحيته قال مقاتل معناه اعتزلوا اليوم يعني في الآخرة من الصالحين وقال السدي
كونوا على حدة وقال الزجاج انفردوا عن المؤمنين وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار
بهم الى الجنة وقيل ان لكل كافر في النار بيتا فيدخل ذلك البيت ويردم بابه فيكون فيه
أبد الآبدين لا يرى ولا يرى فعلى هذا القول يمتاز بعضهم عن بعض وقال قتادة عزلوا عن
كل خير وقال الضحاك يمتاز المجرمون بعضهم من بعض فيمتاز اليهود فرقة والنصارى
فرقة والمجوس فرقة والصابئون فرقة وعبدة الأوثان فرقة وقال داود بن الجراح يمتاز
المسلمون من المجرمين الا أصحاب الأهواء فانهم يكونون مع المجرمين ثم وبخهم سبحانه
وقرعهم بقوله (ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان) وهذا من جملة ما يقال

واعلم ان ما في الارض بيت مدر ولا
شعر في بر ولا بحر الا وأنا اتصفحهم
في كل يوم خمس مرات حتى اني
أعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم
بأنفسهم والله يا محمد لو أني اردت ان
أقبض روح بعوضة ما قدرت على
ذلك حتى يكون الله هو الآمر بقبضها
قال جعفر بلغني أنه انما يتصفحهم
عند مواقيت الصلاة فاذا حضرهم
عند الموت فان كان ممن يحافظ
على الصلاة دنا منه الملك ودفع عنه
الشيطان ولقنه الملك لا اله الا الله
محمد رسول الله في تلك الحال العظيمة
وقال عبد الرزاق حدثنا محمد بن
مسلم عن ابراهيم بن ميسرة قال
سمعت مجاهدا يقول ما على ظهر
الارض من بيت شعر أو مدر الا وملك
الموت يطوف به كل يوم مرتين
وقال كعب الاحبار والله ما من
بيت فيه أحد من اهل الدنيا الا
وملك الموت يطوف به كل يوم مرتين
يقوم على بابه كل يوم سبع مرات
ينظر هل فيه احد أمر به توفاه رواه
ابن ابي حاتم وقوله تعالى ثم الى ربكم
ترجعون اي يوم معادكم وقيامكم
من قبوركم لجزائكم (ولو ترى اذ
المجرمون ناكسو رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن
حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما
كنتم تعملون) يخبر تعالى عن حال المشركين يوم القيامة وقالهم حين عاينوا البعث وقاموا بين يدي الله عز وجل حقيرين ذليلين
ناكسي رؤسهم أي من الحياء والخجل يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا أي نحن الآن نسمع قولك ونطيع أمرك كما قال تعالى أسمع بهم
وأبصر يوم يأتوننا وكذلك يعودون على أنفسهم بالملامة اذا دخلوا النار بقولهم لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير وهكذا

هؤلاء يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا اى الى دار الدنيا نعمل صالحا انا موقنون اى قد أيقنا وتحققنا فيها ان وعدك حق ولقاءك حق وقد علم الرب تعالى منهم انه لو أعادهم الى دار الدنيا لكانوا كما كانوا فيها كفارا يكذبون بآيات الله ويخالفون رسله كما قال تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا الآية وقال ههنا ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها كما قال تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين اى من الصنفين فدارهم النار لا محيد لهم عنها ولا محيص لهم منها نعوذ بالله وكلماته التامة من ذلك فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا أي يقال لاهل النار على سبيل التقريع والتوبيخ ذوقوا هذا العذاب بسبب تكذيبكم به واستبعادكم وقوعه وتناسيكم له اذ عاملتموه معاملة من هو ناس له انا نسيناكم أي سنعاملكم معاملة الناسي لانه تعالى لا ينسى شيأ ولا يضل عنه شئ بل من باب المقابلة كما قال تعالى فاليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا وقوله تعالى وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون أى بسبب كفركم وتكذيبكم كما قال في الآية الاخرى لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا الى قوله فلن نزيدكم الا عذابا (انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) يقول تعالى انما يؤمن بآياتنا اى انما يصدق بها الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا أي استمعوا لها وأطاعوها قولا وفعلا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون أى عن اتباعها والانقياد لها كما يفعله الجهلة من الكفرة الفجرة قال الله تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ثم قال تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يعني بذلك قيام الليل وترك النوم والاضطجاع على الفرش الوطيئة قال مجاهد والحسن في قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يعني بذلك قيام الليل وعن أنس وعكرمة ومحمد بن المنكدر وأبي حازم وقتادة هو الصلاة بين العشاءين وعن أنس أيضا هو انتظار صلاة العتمة رواه ابن جرير باسناد جيد وقال الضحاك هو صلاة العشاء في جماعة وصلاة الغداة في جماعة يدعون ربهم خوفا وطمعا أي خوفا من وبال عقابه

لهم والعهد الوصية والتقدم بأمر فيه خير ومنفعة والمراد هنا ما كلفهم الله به على ألسنة الرسل من الاوامر والنواهي اى ألم أوصكم وأبلغكم على ألسن رسلي أن لا تطيعوا الشيطان قال الزجاج المعنى ألم اتقدم اليكم على لسان الرسل يا بني آدم وقال مقاتل يعني الذين أمروا بالاعتزال وقيل المراد بالعهد هنا الميثاق المأخوذ عليهم حين أخرجوا من ظهر آدم وقيل هو ما نصبه الله لهم وركزه فيهم من الدلائل العقلية التي في سمواته وأرضه وما أنزل عليهم من أدلة السمع وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم وانما عبر عنها بالعبادة لزيادة التحذير والتنفير عنها ولوقوعها في مقابلة عبادة الله وجملة (انه لكم عدو مبين) تعليل لما قبلها من النهي عن طاعة الشيطان وقبول وسوسته (وأن اعبدوني) أن في الموضعين هي المفسرة للعهد الذي فيه معنى القول ويجوز أن تكون مصدرية فيهما اى ألم اعهد اليكم بان لا تعبدوا وبان اعبدوني أو ألم أعهد اليكم في ترك عبادة الشيطان وفي عبادتي وتقديم النهي على الامر لما ان حق التخلية التقديم على التحلية كما في كلمة التوحيد وليتصل به قوله (هذا) اى عبادة الله وتوحيده أو دين الاسلام (صراط مستقيم) بليغ في الاستقامة ولا صراط أقوم منه ثم ذكر سبحانه عداوة الشيطان لبني آدم فقال (ولقد أضل منكم جبلا كثيرا) اللام هي الموطئة للقسم والجملة مستأنفة لتشديد التقريع وتأكيد التوبيخ أى والله لقد أضل قرئ جبلا بكسر الجيم والباء وتشديد اللام وبضم الجيم وسكون الباء وبضمتين مع تخفيف اللام وبضمتين مع تشديد اللام وقرئ بكسر الجيم واسكان الباء وتخفيف اللام قال النحاس وأبينها القراءة الاولى والدليل على ذلك انهم قد قرؤا اجمعوا والجبلة الاولين بكسر الجيم والباء وتشديد اللام فيكون جبلا جمع جبلة واشتقاق الكل من جبل الله الخلق اى خلقهم ومعنى الآية ان الشيطان قد أغوى خلقا كثيرا كما قال مجاهد وقال قتادة جموعا كثيرة وقال الكلبي أمما كثيرة قال الثعلبي والقراآت كلها بمعنى الخلق وقرئ جيلا بالجيم والياء التحتية قال الضحاك الجيل الواحد عشرة آلاف والكثير ما يحصيه الا الله عز وجل (أفلم تكونوا تعقلون) الهمزة للتوبيخ والتقريع والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام كما تقدم في نظائره أى أتشاهدون آثار العقوبات فلم تكونوا تعقلون أو أفلم تكونوا تعقلون عداوة الشيطان لكم أو أفلم تكونوا تعقلون شيأ أصلا

قرئ

وطمعاً في جزيل ثوابه ومما رزقناهم ينفقون فيجمعون بين فعل القربات اللازمة والمتعدية ومقدم هؤلاء وسيدهم وفخرهم في الدنيا والآخرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه

وفينا رسول الله يتلو كتابه * إذا انشق معروف من الصبح ساطع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه * إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

وقال الإمام أحمد حدثنا روح وعفان قالا حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عجب ربنا من رجلين رجل ثار من وطائه ولحافه من بين حبه وأهله إلى الصلاة رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي ورجل غزا في سبيل الله تعالى فانهزموا فعلم ما عليه من الفرار وما له في الرجوع فرجع حتى أهريق دمه رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي فيقول الله عز وجل للملائكة انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي ورهبة مما عندي حتى أهريق دمه وهكذا رواه أبو داود في الجهاد عن موسى بن إسمعيل عن حماد بن سلمة به بنحوه وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن معاذ بن جبل قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير فقلت يا نبي الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة وصلاة الرجل في جوف الليل ثم قرأ تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ جزاء بما كانوا يعملون ثم قال ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه فقلت بلى يا رسول الله فقال رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله فقلت بلى يا نبي الله فأخذ بلسانه ثم قال كف عليك هذا فقلت يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه في سننهم من طرق عن معمر به وقال الترمذي حسن صحيح ورواه ابن جرير من حديث شعبة عن الحكم قال سمعت عروة بن النزال يحدث عن معاذ بن

قرئ الفعلان بالخطاب وبالغيبة (هذه جهنم التي كنتم توعدون) بها في الدنيا على ألسنة الرسل والقائل لهم الملائكة وهو استئناف خوطبوا به بعد تمام التوبيخ عند إشرافهم على شفير جهنم ثم يقولون لهم (اصلوها) أمر تنكيل وإهانة كقوله ذق إنك أنت العزيز الكريم أي قاسوا حرها وادخلوها (اليوم) وذوقوا أنواع العذاب فيها (بما كنتم تكفرون) أي بسبب كفركم بالله في الدنيا وطاعتكم للشيطان وعبادتكم للأوثان (اليوم نختم على أفواههم) قال المفسرون إنهم ينكرون الشرك وتكذيب الرسل كما في قولهم والله ربنا ما كنا مشركين فيختم الله على أفواههم ختماً لا يقدرون معه على الكلام وفي هذا التفات من الخطاب إلى الغيبة للإيذان بأن أفعالهم القبيحة مستدعية للإعراض عن خطابهم ثم قال (وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) أي تكلمت أيديهم بما كانوا يفعلونه وشهدت أرجلهم عليهم بما كانوا يعملون باختيارها بعد إقدار الله تعالى لها على الكلام ليكون أدل على صدور الذنب منهم وقرئ لتكلمنا ولتشهد بلام كي وقيل سبب الختم على أفواههم ليعرفهم أهل الموقف وقيل ختم على أفواههم لأجل أن يكون الإقرار من جوارحهم لأن شهادة غير الناطق أبلغ في الحجة من شهادة الناطق لخروجه مخرج الإعجاز وقيل ليعلموا أن أعضاءهم التي كانت أعواناً لهم في معاصي الله صارت شهوداً عليهم وجعل ما تنطق به الأيدي كلاماً وإقراراً لأنها كانت المباشرة لغالب المعاصي وجعل نطق الأرجل شهادة لأنها حاضرة عند كل معصية وكلام الفاعل إقرار وكلام الحاضر شهادة وهذا اعتبار الغالب وإلا فالأرجل قد تكون مباشرة للمعصية كما تكون الأيدي مباشرة لها وأخرج أحمد ومسلم والنسائي والبزار وغيرهم عن أنس في الآية قال كنا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فضحك حتى بدت نواجذه قال أتدرون مم أضحك قلنا لا يا رسول الله قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب ألم تجرني من الظلم فيقول بلى فيقول إني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً وبالكرام الكاتبين شهوداً فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعداً لكن وسحقاً فعنكن كنت أناضل وأخرج مسلم والترمذي وابن مردويه والبيهقي عن أبي سعيد وأبي هريرة قالا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يلقى العبد ربه فيقول الله له ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع فيقول بلى أي

جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ألا ادلك على ابواب الخير الصوم جنة والصدقة تكفر الخطيئة وقيام العبد من جوف الليل وتلا هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون ورواه أيضا من حديث الثورى عن منصور بن المعتمر عن الحكم عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ومن حديث الاعمش عن حبيب بن أبي ثابت والحكم عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ مرفوعا بنحوه ومن حديث حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن شهر عن معاذ أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال قيام العبد من الليل وروى ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا يزيد ابن هرون حدثنا فطر بن خليفة عن حبيب بن أبي ثابت والحكم وحكيم بن جبير عن ميمون بن شبيب عن معاذ بن جبل قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقال ان شئت نبأتك بأبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة وقيام الرجل في جوف الليل ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم تتجافى جنوبهم عن المضاجع الآية ثم قال حدثنا أبي حدثنا سويد بن سعيد حدثنا على ابن مسهر عن عبد الرحمن بن اسحق عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد فنادى بصوت يسمع الخلائق سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع الآية فيقومون وهم قليل وقال البزار حدثنا عبد الله بن شبيب حدثنا الوليد بن عطاء بن الاغر حدثنا عبد الحميد بن سليمان حدثني مصعب عن زيد بن اسلم عن ابيه قال قال بلال لما نزلت هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع الآية كنا نجلس في المجلس وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون بعد المغرب الى العشاء فنزلت هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع ثم قال لا نعلم روى زيد بن أسلم عن بلال سواه وليس له طريق عن بلال غير هذه الطريق وقوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين الآية أى فلا يعلم احد عظمة ما اخفى الله لهم في الجنات من النعيم المقيم واللذات التي لم يطلع على مثلها احد لما اخفوا اعمالهم كذلك اخفى الله لهم من الثواب جزاء وفاقا فان الجزاء من

حيث

رب فيقول أفظننت أنك ملاقى فيقول لا فيقول انى أنساك كما نسيتنى ثم يلقى الثانى فيقول مثل ذلك ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول آمنت بك وبكتابك وبرسولك وصليت وصمت وتصدقت ويثنى بخير ما استطاع فيقول ألا نبعث شاهدنا عليك فيفكر في نفسه من الذى يشهد على فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقى فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله ما كان وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذى يسخط عليه وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث أبي موسى نحوه (ولو نشاء) أن نطمس (لطمسنا على أعينهم) أى أذهبنا أعينهم وجعلناها بحيث لا يبدو لها شق ولا جفن قال الكسائى طمس يطمس ويطمس والطميس والمطموس عند أهل اللغة الذى ليس في عينيه شق كما في قوله ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم قال السدى والحسن المعنى لتركناهم عميا يترددون لا يبصرون طريق الهدى واختار هذا ابن جرير قال ابن عباس في الآية أعميناهم وأضللناهم عن الهدى وقال عطاء ومقاتل وقتادة المعنى لو نشاء لفقأنا أعينهم وأعميناهم عن غيهم وحولنا أبصارهم من الضلالة الى الهدى فابصروا رشدهم واهتدوا وتبادروا الى طريق الآخرة (فاستبقوا الصراط) معطوف على لطمسنا أى تبادروا الى الطريق ليجوزوه ويمضوا فيه والصراط منصوب بنزع الخافض أى فاستبقوا اليه وقرئ فاستبقوا على صيغة الامر أى فيقال لهم استبقوا وفي هذا تهديد لهم (فأنى) أى فكيف (يبصرون) الطريق ويحسنون سلوكه ولا أبصار لهم ثم كرر التهديد لهم فقال (ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم) المسخ تبديل الخلقة أى تغيير الصورة وابطال القوى الى حجر أو غيره من الجماد أو بهيمة والمكانة المكان أى لو شئنا بدلنا خلقهم على المكان الذى هم فيه قيل والمكانة أخص من المكان كالمقامة والمقام قال الحسن أى لأقعدناهم وقيل لمسخناهم في المكان الذى فعلوا فيه المعصية وقيل المعنى لو نشاء لاهلكناهم في مساكنهم قاله ابن عباس وقال يحيى بن سلام هذا كله يوم القيامة قرأ الجمهور على مكانتهم بالافراد وقرئ على مكاناتهم بالجمع (فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون) أى لا يقدرون على ذهاب ولا مجيء قال الحسن فلا يستطيعون أن يمضوا أمامهم ولا يرجعوا وراءهم وكذلك الجماد لا يتقدم ولا يتأخر وقرئ مضيا بضم الميم وبفتحها وبكسرها قيل والمعنى لا يستطيعون رجوعا يقال مضى يمضى مضيا اذا ذهب في الارض ورجع يرجع رجوعا اذا عاد من

حسن العمل قال الحسن البصري أخفى قوم عملا فأخفى الله لهم ما لم تر عين ولم يخطر على قلب بشر رواه ابن أبي حاتم قال البخاري قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين الآية حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال أبو هريرة اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين قال وحدثنا سفيان حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال الله مثله قيل لسفيان رواية قال فأي شيء ورواه مسلم والترمذي

حسنت حاله (ومن نعمره ننكسه في الخلق) قرأ الجمهور ننكسه بفتح النون الأولى وسكون الثانية وضم الكاف مخففة وقرئ بضم النون الأولى وفتح الثانية وكسر الكاف مشددة والتنكيس جعل الشيء أعلاه أسفله والمعنى من نطل عمره نغير خلقه ونجعله على عكس ما كان عليه أولا من القوة والطراوة قال الزجاج المعنى من أطلنا عمره نكسنا خلقه فصار بدل القوة الضعف وبدل الشباب الهرم ومثل هذه الآية قوله سبحانه ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيأ وقوله ثم رددناه أسفل سافلين (أفلا يعقلون) قرأ الجمهور بالتحتية وقرئ بالفوقية على الخطاب أي أفلا يعقلون بعقولهم ان من قدر على ذلك قدر على البعث والنشور ولما قال كفار مكة ان القرآن شعر وان محمدا شاعر رد الله عليهم بقوله (وما علمناه الشعر) والمعنى نفي كون القرآن شعرا لان الشعر كلام متكلف موضوع ومقال مزخرف مصنوع منسوج على منوال الوزن والقافية مبني على خيالات وأوهام واهية فأين ذلك من التنزيل الجليل المنزه عن مماثلة كلام البشر المشحون بفنون الحكم والاحكام الباهرة الموصلة الى سعادة الدنيا والآخرة ثم نفى ان يكون النبي شاعرا فقال (وما ينبغي له) أي لا يصح له الشعر ولا يتأتى منه ولا يسهل عليه لو طلبه وأراد ان يقوله بالطبع والسجية كما جعلناه أميا لا يهتدي الى الخط لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض بل كان صلى الله عليه وآله وسلم اذا أراد ان ينشد بيتا قد قاله شاعر متمثلا به كسر وزنه فانه لما أنشد بيت طرفة بن العبد المشهور وهو قوله

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

قال ويأتيك من لم تزود بالاخبار وانشد مرة أخرى قول العباس بن مرداس السلمي

أتجعل نهبي ونهب العبيد * بين عيينة والاقرع

فقال بين الاقرع وعيينة وأنشد أيضا * كفى بالاسلام والشيب ناهيا * فقال أبو بكر يا رسول الله انما قال الشاعر * كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا * فقال أشهد انك رسول الله يقول الله عز وجل وما علمناه الشعر وما ينبغي له وقد وقع منه صلى الله عليه وآله وسلم كثير من مثل هذا قال الخليل كان الشعر أحب الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كثير من الكلام ولكن لا يتأتى منه انتهى ووجه عدم تعليمه الشعر وعدم قدرته عليه التكميل للحجة والدحض للشبهة كما جعله الله أميا لا يقرأ ولا يكتب وأما ما روى

من حديث سفيان بن عيينة به وقال الترمذي حسن صحيح ثم قال البخاري حدثنا اسحق بن نصر حدثنا أبو اسامة عن الأعمش حدثنا أبو صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخرا من بله ما أطلعتم عليه ثم قرأ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون قال أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح قرأ أبو هريرة قرات أعين انفرد به البخاري من هذا الوجه وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر أخرجاه في الصحيحين من رواية عبد الرزاق قال ورواه الترمذي في التفسير وابن جرير من حديث عبد الرحيم بن سليمان عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثله ثم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال حماد أحسبه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من يدخل الجنة ينعم لا ييأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة به وروى الامام أحمد حدثنا هرون حدثنا ابن وهب حدثني أبو صخر أن أبا حازم حدثه قال سمعت سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه يقول شهدت من رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا وصف فيه الجنة حتى انتهى ثم قال في آخر حديثه فيها ما لا عين رأت ولا أذن

سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قرأ هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع الى قوله يعملون وأخرجه مسلم في صحيحه عن هرون بن معروف وهرون بن سعيد كلاهما عن ابن وهب به وقال ابن جرير حدثني العباس بن أبي طالب حدثنا معلى بن أسد حدثنا سلام ابن أبي مطيع عن قتادة عن عقبة بن عبد الغافر عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يروي عن ربه عز وجل قال أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لم يخرجوه وقال مسلم أيضا في صحيحه حدثنا ابن أبي عمر وغيره حدثنا سفيان بن مطرف بن طريف (٣٤) وعبد الملك بن سعيد سمعا الشعبي يخبر عن المغيرة بن شعبة قال سمعته على المنبر يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال سأل موسى عليه السلام ربه عز وجل ما أدنى أهل الجنة منزلة قال هو رجل يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول أي رب كيف وقد أخذ الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم فيقال له أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول رضيت رب فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة رضيت رب فيقول هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك فيقول رضيت رب قال رب فأعلاهم منزلة قال أولئك الذين غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم ترعين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر قال ومصداقه من كتاب الله عز وجل فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين الآية ورواه الترمذي عن ابن أبي عمر وقال حسن صحيح قال ورواه بعضهم عن الشعبي عن المغيرة ولم يرفعه والمرفوع أصح قال ابن أبي حاتم حدثنا ابن نمير المدائني حدثنا أبو بدر بن شجاع ابن الوليد حدثنا زياد عن خيثمة عن محمد بن جحادة عن عامر بن عبد الواحد قال بلغني أن الرجل من أهل الجنة الجوني يمكث في مكانه سبعين سنة ثم يلتفت فاذا هو بامرأة أحسن مما كان فيه فيقول له قد آن لك أن يكون لنا منك نصيب فيقول من أنت فيقول أنا من المزيد فيمكث معها سبعين سنة ثم يلتفت فاذا هو بامرأة أحسن مما كان فيه فيقول له قد آن لك أن يكون لنا منك نصيب فيقول من أنت فتقول أنا التي قال الله فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وقال ابن لهيعة حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير قال يدخل عليهم الملائكة في مقدار كل يوم من أيام الدنيا ثلاث مرات معهم التحف من الله من جنات عدن ما ليس

عنه من قوله صلى الله عليه وآله وسلم

هل أنت الا أصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت

وقوله

أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

ونحو ذلك من الكلام الوارد من غير قصد كما يأتي ذلك في بعض آيات القرآن وليس بشعر ولا مراد به الشعر بل اتفق ذلك اتفاقا كما يقع في كثير من كلام الناس فانهم قد يتكلمون بما لو اعتبره معتبر لكان على وزن الشعر ولا يعدونه شعرا وذلك كقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وقوله وجفان كالجواب وقدور راسيات على أنه قد قال الأخفش ان قوله أنا النبي لا كذب ليس بشعر وقال الخليل في كتاب العين ان ما جاء من السجع على جزأين لا يكون شعرا قال ابن العربي والأظهر من حاله أنه قال لا كذب برفع الباء من كذب وبخفضها من عبد المطلب قال النحاس قال بعضهم انما الرواية بالاعراب واذا كان بالاعراب لم يكن شعرا لأنه اذا فتح الباء من الأول أو ضمها أو نونها وكسر الباء من الثاني خرج عن وزن الشعر وقيل ان الضمير في له عائد الى القرآن أي وما ينبغي للقرآن أن يكون شعرا أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم قال بلغني انه قيل لعائشة هل كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتمثل بشيء من الشعر قالت كان أبغض الحديث اليه غير أنه كان يتمثل ببيت أخي بني قيس فيجعل أوله آخره يقول ويأتيك من لم تزود بالأخبار فقال أبو بكر ليس هكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اني والله ما أنا بشاعر ولا ينبغي لي وهذا يرد ما نقلناه عن الخليل سابقا ان الشعر كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كثير من الكلام وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا استراث الخبر تمثل ببيت طرفة ويأتيك بالأخبار من لم تزود * وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتمثل من الأشعار ويأتيك الخ وأخرج البيهقي في سننه عن عائشة قالت ما جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيت شعر قط الا بيتا واحدا

تفاءل بما تهوى يكن فلقلما * يقال لشيء كان الا تحقق

قالت عائشة ولم يقل تحققا لئلا يعربه فيصير شعرا واسناده هكذا قال أخبرنا أبو عبد الله الحافظ يعني الحاكم حدثنا أبو حفص عمر بن أحمد بن نعيم حدثنا أبو محمد عبد الله بن هلال

في جناتهم وذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ويخبرون أن الله عنهم راض وروى ابن جرير حدثنا سهل بن موسى الرازي حدثنا الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن أبي اليمان الفزاري أو غيره قال الجنة مائة درجة أولها درجة فضة وأرضها فضة ومساكنها فضة وترابها المسك والثانية ذهب وأرضها ذهب ومساكنها ذهب وآنيتها ذهب وترابها المسك والثالثة لؤلؤ وأرضها لؤلؤ ومساكنها اللؤلؤ وآنيتها اللؤلؤ وترابها المسك وسبع وتسعون بعد ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم تلا هذه الآية فلا تعلم نفس ما أخفي لهم الآية (٣٥) وروى ابن جرير حدثني يعقوب بن ابراهيم حدثنا معتمر بن سليمان عن الحكم ابن أبان عن الغطريف عن جابر ابن زيد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح الامين قال يؤتى بحسنات العبد وسيآته ينقص بعضها من بعض فان بقيت حسنة وسع الله له في الجنة قال فدخلت على يزداد فحدث بمثل هذا الحديث قال فقلت فاين ذهبت الحسنة قال أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيآتهم الآية قلت قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين قال العبد يعمل سرا أسره الى الله لم يعلم به الناس فاسر الله له يوم القيامة قرة عين (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها انا من المجرمين منتقمون) يخبر تعالى عن عدله وكرمه انه لا يساوي في حكمه يوم القيامة من كان مؤمنا بآياته متبعا لرسله بمن كان فاسقا أي خارجا عن طاعة ربه مكذبا لرسله اليه كما قال تعالى أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون وقال تعالى أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار وقال تعالى لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة الآية ولهذا قال تعالى ههنا أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون أي عند الله يوم القيامة. وقد ذكر عطاء بن يسار والسدي وغيرهما انها نزلت في علي بن

النحوي الضرير حدثنا علي بن عمرو الانصاري حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن عروة عن عائشة فذكره وقد سئل المزي عن هذا الحديث فقال هو منكر ولم يعرف شيخ الحاكم ولا الضرير في اسناده قال البيضاوي والخازن قال العلماء ما كان يتزن له بيت شعر وان تمثل ببيت شعر جرى على لسانه الشريف مكسرا ولو كان ممن يقول الشعر لتطرقت التهمة عقلا في أن ما جاء به من عند نفسه ولهذا قال ويحق القول الخ كما يأتي لانه لم يبق الا العناد الموجب للهلاك وقال القرطبي اصابة الوزن منه صلى الله عليه وآله وسلم في بعض الاحيان لا توجب أنه يعلم الشعر كقوله أنا النبي لا كذب الخ والمعول عليه في الانفصال على تسليم ان هذا شعر ان التمثل بالبيت لا يوجب ان يكون قائله عالما بالشعر ولا ان يسمى شاعرا باتفاق العلماء كما ان من خاط خيطا على سبيل الاتفاق لا يكون خياطا قال الزجاج أي ما جعلناه شاعرا وهذا لا ينافي ان ينشئ شيأ من الشعر من غير قصد كونه شعرا قال النحاس وهذا أحسن ما قيل في هذا وقد قيل انما أخبر الله عز وجل انه ما علمه الشعر ومن لم يخبر انه لا ينشئ الشعر وقد قالوا كل من قال قولا موزونا لا يقصد به الى شعر فليس بشاعر وانما وافق الشعر فما يجري على اللسان من موزون الكلام لا يعد شعرا وانما يعد منه ما يجري على وزن الشعر مع القصد اليه ولما نفى ان يكون القرآن من جنس الشعر قال (ان هو) أي ما القرآن (الا ذكر) من الاذكار وموعظة من المواعظ يوعظ بها الانس والجن (وقرآن مبين) اي كتاب من كتب الله السماوية مشتمل على الاحكام الشرعية يقرأ في المحاريب ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته والعمل به فوز الدارين والدرجات فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين واقاويل الشعراء الكاذبين (لينذر) قرئ بالتحتية وبالفوقية وعلى الاولى المراد القرآن وعلى الثانية المراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم (من كان حيا) يعقل ما يخاطب به اي مؤمنا قلبه صحيح يقبل الحق ويأبى الباطل لان الكافر كالميت لا يتدبر ولا يتفكر (ويحق القول على الكافرين) اي وتجب كلمة العذاب على المصرين على الكفر الممتنعين من الايمان بالله وبرسوله وايرادهم في مقابلة من كان حيا فيه اشعار بأنهم لخلوهم عن آثار الحياة التي هي المعرفة اموات في الحقيقة ثم ذكر سبحانه قدرته العظيمة وانعامه على عبيده وجحد الكفار لنعمه فقال (أولم يروا) الهمزة للانكار والتعجيب من حالهم والواو للعطف على مقدر

أبي طالب وعقبة بن أبي معيط ولهذا فصل حكمهم فقال أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات أي صدقت قلوبهم بآيات الله وعملوا بمقتضاها وهي الصالحات فلهم جنات المأوى أي التي فيها المساكن والدور والغرف العالية نزلاً أي ضيافة وكرامة بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا أي خرجوا عن الطاعة فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها كقوله كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها الآية قال الفضيل بن عياض والله إن الأيدي لموثقة وإن الأرجل لمقيدة وإن اللهب ليرفعهم والملائكة تقمعهم وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون أي يقال لهم ذلك تقريعاً وتوبيخاً وقوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر قال ابن عباس يعني بالعذاب الأدنى مصائب الدنيا وأسقامها وآفاتها وما يحل بأهلها مما يبتلي الله به عباده ليتوبوا إليه وروي مثله عن أبي بن كعب وأبي العالية والحسن وإبراهيم النخعي والضحاك وعلقمة وعطية ومجاهد وقتادة وعبد الكريم الجزري وخصيف وقال ابن عباس في رواية عنه يعني به إقامة الحدود عليهم وقال البراء ابن عازب ومجاهد وأبو عبيدة يعني به عذاب القبر وقال النسائي أخبرنا عمرو بن علي أخبرنا عبد الرحمن بن مهدي عن إسرائيل عن أبي إسحق عن أبي الأحوص وأبي عبيدة عن عبد الله ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر قال سنون أصابتهم وقال عبد الله ابن الإمام أحمد حدثني عبد الله بن عمر القواريري حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة عن قتادة عن عزرة عن الحسن العرني عن يحيى بن الجزار عن ابن أبي ليلى عن أبي بن كعب في هذه الآية ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر قال القمر والدخان قد مضيا والبطشة واللزام ورواه مسلم من حديث شعبة به موقوفاً نحوه وعند البخاري عن ابن مسعود نحوه وقال عبد الله بن مسعود أيضاً في رواية عنه العذاب الأدنى ما أصابهم من القتل والسبي يوم بدر وكذا قال مالك عن زيد بن أسلم قال السدي وغيره لم يبق بيت بمكة إلا دخله الحزن على قتيل لهم أو أسير فأصيبوا أو غرموا ومنهم من جمع له الأمران وقوله تعالى ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها أي لا أظلم ممن ذكره الله بآياته وبينها له ووضحها ثم بعد ذلك تركها وجحدها وأعرض عنها وتناساها كأنه لا يعرفها قال

كما في نظائره والرؤية هي القلبية أي ألم يعلموا بالتفكر والاعتبار (أنا خلقنا لهم) أي لأجلهم وانتفاعهم (مما عملت أيدينا) أي مما أبدعناه وعملناه من غير واسطة ولا شركة وإسناد العمل إلى الأيدي مبالغة في الاختصاص والتفرد بالخلق كما يقول الواحد منا عملته بيدي للدلالة على تفرده بعمله وما بمعنى الذي وحذف العائد لطول الصلة ويجوز أن تكون مصدرية وإيثار هذه الجملة بعد قوله خلقنا للإشارة إلى حصر الخلق لهذه النعم فيه تعالى واستقلاله بها فهو كناية عرفية وقيل تمثيلية أي مما تولينا إحداثه ولم يقدر على إحداثه غيرنا وقوله (أنعاماً) مفعول خلقنا وهي جمع نعم وهي البقر والغنم والإبل وإنما خصها بالذكر وإن كانت الأشياء كلها من خلق الله وإيجاده لأن النعم أكثر أموال العرب والنفع بها أعم وقد سبق تحقيق الكلام فيها ثم ذكر سبحانه المنافع المرتبة على خلق الأنعام فقال (فهم لها مالكون) أي ضابطون قاهرون يتصرفون بها كيف شاؤوا ولو خلقناها وحشية لنفرت عنهم ولم يقدروا على ضبطها والمراد أنها صارت في أملاكهم ومعدودة في جملة أموالهم المنسوبة إليهم نسبة الملك وهذا أظهر ليكون قوله (وذللناها لهم) تأسيس النعمة على حيالها لا تتمة لما قبلها أي جعلناها لهم مسخرة لا تمتنع مما يريدون منها من منافعهم حتى الذبح ويقودها الصبي فتنقاد له ويزجرها فتنزجر (فمنها ركوبهم) الفاء لتفريع أحكام التذليل عليه أي فمنها مركوبهم الذي يركبونه كما يقال ناقة حلوب أي محلوبة يعني معظم منافعها الركوب وعدم التعرض للحمل لكونه من تتمة الركوب قرأ الجمهور ركوبهم بفتح الراء وقرئ بضمها على المصدر وقرأ أبي وعائشة ركوبتهم والركوب والركوبة واحد مثل الحلوب والحلوبة والحمول والحمولة وقال أبو عبيدة الركوبة تكون للواحدة والجماعة والركوب لا يكون إلا للجماعة وزعم أبو حاتم أنه لا يجوز فمنها ركوبهم بضم الراء لأنه مصدر والركوب ما يركب وأجاز ذلك الفراء كما يقال فمنها أكلهم ومنها شربهم (ومنها يأكلون) أي ما يأكلونه من لحمها ومن للتبعيض وإيثار الأسلوب هنا لأن الأكل يعم الأنعام كلها بخلاف الركوب فهو خاص بالإبل منها (ولهم فيها) أي لهم في الأنعام بقسميها (منافع) غير الركوب لها والأكل منها وهي ما ينتفعون به من أصوافها وأوبارها وأشعارها وما يتخذونه من الأدهان من شحومها وكذلك الحمل عليها والحراثة بها وجلودها ونسلها (و) لهم فيها (مشارب) مما يحصل من ألبانها جمع مشرب وهو موضع الشرب

قتادة إياكم والإعراض عن ذكر الله فإن من أعرض عن ذكره فقد اغتر أكبر الغرة وأعوز أشد العوز وعظم من أعظم الذنوب ولهذا
قال تعالى متهددا لمن فعل ذلك إنا من المجرمين منتقمون أي سننتقم ممن فعل ذلك أشد الانتقام. وروى ابن جرير حدثني عمران
ابن بكار الكلاعي حدثنا محمد بن المبارك حدثنا إسماعيل بن عياش حدثنا عبد العزيز بن عبيد الله عن عبادة بن نسي عن جنادة بن
أبي أمية عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثلاث من فعلهن فقد أجرم من عقد لواء في غير حق أو عق
والديه أو مشى مع ظالم ينصره فقد أجرم يقول الله تعالى إنا من المجرمين (٣٧) منتقمون ورواه ابن أبي حاتم من حديث
إسماعيل بن عياش به وهذا حديث غريب جدا (ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني إسرائيل وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) يقول تعالى مخبرا عن عبده ورسوله موسى عليه السلام أنه آتاه الكتاب وهو التوراة وقوله تعالى فلا تكن في مرية من لقائه قال قتادة يعني به ليلة الإسراء ثم روي عن أبي العالية الرياحي قال حدثني ابن عم نبيكم يعني ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أريت ليلة أسري بي موسى بن عمران رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى رجلا مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس ورأيت مالكا خازن النار والدجال في آيات أراهن الله إياه فلا تكن في مرية من لقائه أنه قد رأى موسى ولقي موسى ليلة أسري به وقال الطبراني حدثنا محمد ابن عثمان بن أبي شيبة حدثنا
الحسن بن علي الحلواني حدثنا روح بن عبادة حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أبي العالية عن ابن عباس عن النبي صلى الله
عليه وسلم في قوله تعالى وجعلناه هدى لبني إسرائيل قال جعل موسى هدى لبني إسرائيل وفي قوله فلا تكن في مرية من لقائه
قال من لقاء موسى وقوله تعالى وجعلناه أي الكتاب الذي آتيناه هدى لبني إسرائيل كما قال تعالى في سورة الإسراء وآتينا
موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا وقوله تعالى وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا
بآياتنا يوقنون أي لما كانوا صابرين على أوامر الله وترك زواجره وتصديق رسله واتباعهم فيما جاؤوهم به كان منهم أئمة يهدون إلى الحق

الشرب أو المشارب والظاهر أن المراد به ضروعها (أفلا يشكرون) الله على هذه النعم
ويوحدونه ويخصونه بالعبادة ثم ذكر سبحانه جهلهم واغترارهم ووضعهم كفران النعم
موضع شكرها فقال (واتخذوا من دون الله آلهة) من الأصنام ونحوها يعبدونها ولا قدرة
لها على شيء ولم يحصل لهم منها فائدة ولا عاد عليهم من ذلك عائدة (لعلهم ينصرون)
أي رجاء أن ينصروا من جهتهم إن نزل بهم عذاب أو دهمهم أمر من الأمور
(لا يستطيعون نصرهم) مستأنفة لبيان بطلان ما رجوه منها وأملوه من نفعها وانعكاس
تدبيرهم وجمعهم بالواو والنون جمع العقلاء بناء على زعم المشركين أنهم ينفعون
وينصرون ويعقلون (وهم لهم جند محضرون) أي والكفار جند للأصنام
يحضرونهم في الدنيا قال الحسن يمنعون منهم ويدفعون عنهم وقال قتادة أي يغضبون
لهم في الدنيا قال الزجاج ينتصرون للأصنام وهي لا تستطيع نصرهم وقيل المعنى
يعبدون الآلهة ويقومون بها فهم لهم بمنزلة الجند هذه الأقوال على جعل ضميرهم
للمشركين وضمير لهم للآلهة وقيل وهم أي الآلهة لهم أي للمشركين جند
يعدون ومحضرون معهم في النار فلا يدفع بعضهم عن بعض وقيل معناه وهذه الأصنام
لهؤلاء الكفار جند الله عليهم في جهنم لأنهم يلعنونهم ويتبرؤون منهم وقيل المعنى أن
الكفار يعتقدون أن الأصنام جند لهم محضرون يوم القيامة لإعانتهم ثم سلى سبحانه نبيه
صلى الله عليه وآله وسلم فقال (فلا يحزنك قولهم) الفاء لترتيب النهي على ما قبله ولا بد أن
يكون عبارة عن خسرانهم وحرمانهم بما علقوا به أطماعهم الفارغة وانعكاس الأمر عليهم
بترتب النهي على ما يسوءهم جاء النهي فإن ذلك مما يهون الخطر ويورث السلوة والنهي وإن
توجه بحسب الظاهر إلى قولهم لكنه في الحقيقة متوجه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم وهذا القول هو ما يفيده قوله واتخذوا من دون الله آلهة فإنهم لا بد أن يقولوا هؤلاء
آلهتنا وإنها شركاء لله في المعبودية ونحو ذلك وهو نهي للرسول صلى الله عليه وآله وسلم
عن التأثر لذلك بطريق الكناية على أبلغ وجه وآكده وقيل إنه نهي لهم عن الأسباب التي
تحزن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإن النهي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن
التأثر لما يصدر منهم هو من باب لا أرينك ههنا فإنه يراد به نهي من خاطبه عن الحضور لديه
لا نهي نفسه عن الرؤية وهذا بعيد والأول أولى والكلام من باب التسلية كما ذكرنا ويجوز

بامر الله ويدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ثم لما بدلوا وحرفوا وأولوا سلبوا ذلك المقام وصارت قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه فلا عمل صالحا ولا اعتقاد صحيحا ولهذا قال تعالى ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب قال قتادة وسفيان لما صبروا عن الدنيا وكذلك قال الحسن بن صالح قال سفيان هكذا كان هؤلاء ولا ينبغي للرجل أن يكون له اماما يقتدى به حتى يتحامى عن الدنيا قال وكيع قال سفيان لابد للدين من العلم كما لابد للجسد من الخبز وقال ابن بنت الشافعي قرأ أبي على عمي أو عمي على أبي سئل سفيان عن قول علي (٣٨) رضي الله عنه الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ألم تسمع قوله وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا قال لما أخذوا برأس الامر صاروا رؤسا ولهذا قال تعالى ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم بينات من الامر الآية كما قال ههنا ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون اي من الاعتقادات والاعمال (أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات أفلا يسمعون أولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون) يقول تعالى اولم يهد لهؤلاء المكذبين بالرسل ما أهلك الله قبلهم من الامم الماضية بتكذيبهم الرسل ومخالفتهم اياهم فيما جاؤهم به من قويم السبل فلم يبق منهم باقية ولا عين ولا أثر هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ولهذا قال يمشون في مساكنهم اي وهؤلاء المكذبون يمشون في مساكن أولئك المكذبين فلا يرون فيها احدا ممن كان يسكنها ويعمرها ذهبوا منها كأن لم يغنوا فيها كما قال فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا وقال وكأين من قرية أهلكناها الآيات وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد أفلم يسيروا في الارض الى قوله ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ولهذا قال ههنا ان في ذلك لآيات أي ان في ذهاب أولئك القوم ودمارهم وما حل بهم بسبب تكذيبهم الرسل ونجاة من آمن بهم لآيات وعبرا ومواعظ ودلائل متناظرة أفلا يسمعون أي أخبار من تقدم كيف كان أمرهم وقوله تعالى أولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز يبين تعالى لطفه بخلقه واحسانه اليهم في ارساله الماء اما من السماء أو من السيح وهو ما تحمله الانهار وينحدر من الجبال الى الاراضي المحتاجة اليه في أوقاته ولهذا قال تعالى الى الارض الجرز وهي التي لا نبات فيها كما قال تعالى وانا لجاعلون

ان يكون المراد بالقول المذكور قولهم انه ساحر وشاعر ومجنون (انا نعلم ما يسرون وما يعلنون) تعليل لما تقدم من النهي فان علمه سبحانه بما يظهرون وما يضمرون مستلزم للمجازاة لهم بذلك وان جميع ما صدر منهم لا يعزب عنه سواء كان خافيا أو باديا سرا أو جهرا مظهرا أو مضمرا وتقديم السر على الجهر للمبالغة في شمول علمه لجميع المعلومات وقرئ انا بالكسر والفتح على حذف لام التعليل وهو كثير في القرآن والشعر وفي كل كلام وكسرها أبو حنيفة وفتح الشافعي وكلاهما تعليل كما تقدم (أولم ير الانسان) مستأنفة مسوقة لبيان اقامة الحجة على من أنكر البعث وللتعجيب من جهله فان مشاهدة خلقهم في أنفسهم على هذه الصفة من البداية الى النهاية مستلزمة للاعتراف بقدرة القادر الحكيم على ما هو دون ذلك من بعث الاجسام وردها كما كانت والانسان المذكور في الآية المراد به جنس الانسان كما في قوله أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيأ ولا وجه لتخصيصه بانسان معين كما قيل انه عبد الله بن أبي وانه قيل له ذلك لما أنكر البعث وقال الحسن هو أمية بن خلف وقال سعيد بن جبير هو العاص بن وائل السهمي وقال قتادة ومجاهد هو أبي بن خلف الجمحي فان أحد هؤلاء وان كان سبب النزول فمعنى الآية خطاب الانسان من حيث هو لا انسان معين ويدخل من كان سبب النزول تحت جنس الانسان دخولا أوليا (انا خلقناه من نطفة) قذرة خسيسة مذرة خارجة من الاحليل الذي هو قناة النجاسة والنطفة هي اليسير من الماء وقد تقدم تحقيق معناها (فاذا هو خصيم مبين) هذه الجملة معطوفة على الجملة المنفية قبلها داخلة معها في حيز الانكار المفهوم من الاستفهام واذا هي الفجائية أي ألم ير الانسان أنا خلقناه من أضعف الاشياء وأخسها وأمهنها فاجأ خصومتنا في أمر قد قامت فيه عليه حجج الله وبراهينه وشهدت بصحته وبحقيته مبدأ فطرته شهادة بينة والمعنى العجب من جهل هذا المخاصم مع مهانة أصله ودناءة أوله كيف يتصدى لمخاصمة الجبار ويبرز لمجادلته في انكار البعث ولا يتفكر في بدء خلقه وانه من نطفة قذرة وهو غاية المكابرة والخصيم الشديد الخصومة الكثير الجدال ومعنى المبين المظهر لما يقوله الموضح له بقوة عارضته وطلاقة لسانه قال ابن عباس جاء العاص بن وائل الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعظم حائل ففته بيده فقال يا محمد أيحيي الله هذا بعد ما أرى قال نعم يبعث الله هذا ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم فنزلت

ماء عليها صعيدا جرزا أي يبسا لا تنبت شيأ وليس المراد من قوله الى الارض الجرز أرض مصر فقط بل هي بعض المقصود وان مثل
بها كثير من المفسرين فليست المقصود وحدها ولكنها مرادة قطعا من هذه الآية فانها في نفسها أرض رخوة غليظة تحتاج من
الماء ما لو نزل عليها مطرا لتهدمت أبنيتها فيسوق الله تعالى اليها النيل بما يتحمله من الزيادة الحاصلة من أمطار بلاد الحبشة وفيه طين
أحمر فيغشى أرض مصر وهي أرض سبخة مرملة محتاجة الى ذلك الماء وذلك الطين أيضا لينبت الزرع فيه فيستغلون كل سنة على
ماء جديد ممطور في غير بلادهم وطين جديد من غير أرضهم فسبحان (٣٩) الحكيم الكريم المنان المحمود أبدا قال ابن
لهيعة عن قيس بن حجاج عمن حدثه
قال لما افتتحت مصر أتى أهلها عمرو
ابن العاص حين دخل بؤنة من
أشهر العجم فقالوا أيها الامير ان
لنيلنا هذا سنة لا يجرى الا بها قال
وماذاك قالوا اذا كانت ثنتا عشرة ليلة
خلت من هذا الشهر عمدنا الى جارية
بكر بين أبويها فأرضينا أبويها
وجعلنا عليها من الحلى والثياب
أفضل ما يكون ثم ألقيناها في هذا
النيل فقال لهم عمرو ان هذا
لا يكون في الاسلام ان الاسلام
يهدم ما كان قبله فأقاموا بؤنة
والنيل لا يجرى حتى هموا بالجلاء
فكتب عمرو الى عمر بن الخطاب
بذلك فكتب اليه عمر انك قد أصبت
بالذي فعلت وقد بعثت اليك
ببطاقة داخل كتابي هذا فألقها في
النيل فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة
ففتحها فاذا فيها من عبد الله عمر
أمير المؤمنين الى نيل أهل مصر
أما بعد فانك ان كنت انما تجرى من
قبلك فلا تجر وان كان الله الواحد
القهار هو الذي يجريك فنسأل الله
ان يجريك قال فألقى البطاقة في
النيل فأصبحوا يوم السبت وقد
أجرى الله النيل ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة وقد قطع الله تلك السنة عن أهل مصر الى اليوم رواه الحافظ أبو القاسم اللالكائي
الطبري في كتاب السنة له ولهذا قال تعالى أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم
وأنفسهم أفلا يبصرون كما قال تعالى فلينظر الانسان الى طعامه أنا صببنا الماء صبا الآية ولهذا قال ههنا أفلا يبصرون وقال ابن
أبي نجيح عن رجل عن ابن عباس في قوله الى الارض الجرز قال هي التي لا تمطر الا مطرا لا يغني عنها شيأ الا ما يأتيها من السيول
وعن ابن عباس ومجاهد هي أرض باليمن وقال الحسن رحمه الله هي قرى فيما بين اليمن والشام وقال عكرمة والضحاك وقتادة

الآيات من آخر يس أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة الخ أخرجه ابن جرير وابن المنذر
وابن أبي حاتم في معجمه وعنه قال جاء عبد الله بن أبي في يده عظم حائل الى النبي صلى الله عليه
وآله وسلم وذكر مثل ما تقدم قال ابن كثير وهذا منكر لان السورة مكية وابن أبي انما كان
بالمدينة وعنه قال جاء أبي بن خلف الجمحي وذكر نحو ما تقدم وعنه أيضا قال نزلت في أبي
جهل وذكر نحو ما تقدم (وضرب لنا مثلا) بفته العظم والجملة معطوفة على الجملة المنفية
داخلة في حيز الانكار المفهوم من الاستفهام فهي تكميل للتعجيب من حال الانسان
وبيان جهله بالحقائق واهماله للتفكر في نفسه فضلا عن التفكر في سائر مخلوقات الله
ويجوز ان تكون جملة فاذا هو خصيم مبين معطوفة على خلقنا وهذه معطوفة عليها أي أورد
في شأننا قصة عجيبة في نفس الامر كالمثل في الغرابة وهي انكاره احياءنا للعظام أو قصة
عجيبة في زعمه واستبعدها وعدها من قبيل المثل وانكرها أشد الانكار وهي احياؤنا اياها
أو جعل لنا مثلا ونظيرا من الخلق وقاس قدرتنا على قدرتهم ونفى الكل على العموم فالمثل
على الاول هو انكارا حيائه للعظام وعلى الثاني هو احياؤها وأما على الثالث فلا فرق
بين ان يكون المثل هو الانكار او المنكر (ونسى خلقه) اى خلقنا اياه من المنى الدال
على بطلان ما ضرب به من المثل وذهل عنه وترك ذكره على طريقة اللداد والمكابرة فهو
اغرب من احياء العظم (قال من يحيي العظام وهي رميم) بالية استئناف جوابا عن
سؤال مقدر كأنه قيل ماهذا المثل الذي ضرب به فقيل قال من يحيي العظام وهي رميم وهذا
الاستفهام للانكار لانه قاس قدرة الله على قدرة العبد فانكر ان الله يحيي العظام البالية
حيث لم يكن ذلك في مقدور البشر يقال رم العظم يرم رما اذا بلي فهو رميم ورمام وانما قال
رميم ولم يقل رميمة مع كونه خبرا للمؤنث لانه اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرمة
والرفات وقيل لكونه معدولا عن فاعلة وكل معدول عن وجهه يكون مصروفا عن اعرابه كما
في قوله وما كانت أمك بغيا لانه مصروف عن باغية كذا قال البغوي والقرطبي وقال
بالاول صاحب الكشاف والاولى ان يقال انه فعيل بمعنى فاعل من رم الشئ صار اسما
بالغلبة او مفعول وهو يستوي فيه المذكر والمؤنث كما قيل في جريح وصبور ومن يثبت
الحياة في العظام ويقول ان عظام الميتة نجسة لان الموت يؤثر فيها من قبل ان الحياة تحلها
يتشبث بهذه الآية وهي عند الحنفية طاهرة وكذا الشعر والعصب لان الحياة لا تحلها فلا

والسدي وابن زيد الارض الجرز التي لا نبات فيها وهي مغبرة قلت وهذا كقوله تعالى وآية لهم الارض الميتة أحييناها الآيتين
(ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون فأعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون) يقول تعالى مخبرا عن استعجال الكفار وقوع بأس الله بهم وحلول غضبه ونقمته عليهم استبعادا وتكذيبا وعنادا ويقولون متى هذا الفتح أي متى تنصر علينا يا محمد كما تزعم ان لك وقتا تدال علينا وينتقم لك منا فمتى يكون هذا ما نراك أنت وأصحابك الا مختفين خائفين ذليلين قال الله تعالى قل يوم الفتح أي اذا حل بكم بأس الله وسخطه

وغضبه في الدنيا وفي الاخرى لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون كما قال تعالى فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم الآيتين ومن زعم ان المراد من هذا الفتح فتح مكة فقد أبعد النجعة وأخطأ فأفحش فان يوم الفتح قد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلام الطلقاء وقد كانوا قريبا من ألفين ولو كان المراد فتح مكة لما قبل اسلامهم لقوله تعالى قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون وانما المراد الفتح الذي هو القضاء والفصل كقوله فافتح بيني وبينهم فتحا الآية وكقوله قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق الآية وقال تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد وقال تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا وقال تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ثم قال تعالى فأعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون أي أعرض عن هؤلاء المشركين وبلغ ما أنزل اليك من ربك كقوله تعالى اتبع ما أوحي اليك من ربك لا اله الا هو الآية وانتظر فان الله سينجز لك ما وعدك وسينصرك على من خالفك انه لا يخلف الميعاد وقوله انهم منتظرون أي أنت نوشوبه منتظرون ويتربصون بكم الدوائر أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون وسترى أنت عاقبة صبرك عليهم وعلى أداء رسالة الله في نصرتك وتأييدك وسيجدون غب ما ينتظرونه فيك وفي أصحابك من وبيل عقاب الله لهم وحلول عذابه بهم وحسبنا الله ونعم الوكيل آخر تفسير سورة السجدة ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة الأحزاب وهي مدنية) قال الامام أحمد حدثنا خلف بن هشام حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة

يؤثر فيها الموت والمراد احياء العظام في الآخرة ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي حساس وقد استدل أبو حنيفة وبعض أصحاب الشافعي بهذه الآية على ان العظام مما تحله الحياة وقال الشافعي لا تحلها الحياة وان المراد بقوله من يحيي العظام من يحيي أصحاب العظام على تقدير مضاف محذوف ورد بان هذا التقدير خلاف الظاهر ثم أجاب سبحانه عن الضارب لهذا المثل فقال (قل) أي على سبيل تبكيته وتذكيره بما نسيه من فطرته الدالة على حقيقة الحال (يحييها الذي أنشأها) أي ابتدأها وخلقها (أول مرة) من غير شيء ومن قدر على النشأة الاولى قدر على النشأة الثانية (وهو بكل خلق عليم) لا تخفى عليه خافية ولا يخرج عن علمه خارج كائنا ما كان أي يعلم تفاصيل المخلوقات بعلمه وكيفية خلقها فيعلم أجزاء الاشخاص المتفتتة المتبددة أصولها وفصولها ومواقعها وطريق تمييزها وضم بعضها الى بعض على النمط السابق واعادة الاعراض والقوى التي كانت فيها أو احداث مثلها وقال الكرخي يعلمه مجملا ومفصلا أي قبل خلقه وبعد خلقه والآية حجة على من ينكر علمه سبحانه بالجزئيات وبظاهرها قوله سبحانه ان الله قد أحاط بكل شيء علما (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا) هذا رجوع منه سبحانه الى تقرير ما تقدم من دفع استبعادهم فنبه سبحانه على وحدانيته ودل على قدرته على احياء الموتى بما يشاهدونه من اخراج النار المحرقة من العود الندي الرطب وذلك ان الشجر المعروف بالمرخ والشجر المعروف بالعفار اذا قطع منهما عودان مثل السواكين وضرب أحدهما على الآخر انقدحت منهما النار وهما أخضران قيل المرخ هو الذكر والعفار هو الانثى ويسمى الاول الزند والثاني الزندة تقول العرب في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار أي استكثر منهما وذلك انهما من الشجر من أكثر الشجر نارا وقال الحكماء في كل شجر نار الا العناب لمصلحة الدق للثياب ولذلك تتخذ منه مطارق القصارين وبالجملة فمن بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الاخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به فمن قدر على جمع الماء والنار في الشجرة قدر على المضادة من الموت والحياة في البشر واجراء أحد الضدين على الآخر بالتعقيب أسهل في العقل من الجمع معا بلا ترتيب وقال الأخضر ولم يقل الخضراء اعتبارا باللفظ وقرئ الخضراء اعتبارا بالمعنى وقد تقرر انه يجوز تذكير اسم الجنس وتأنيثه كما في قوله نخل منقعر وقوله نخل خاوية فبنو تميم ونجد يذكرونه وأهل الحجاز

نوّنوه الا بادرا والموصول بدل من الموصول الاول (فاذا أنتم منه توقدون) أي تقدحون منه النار وتوقدونها من ذلك الشجر الاخضر ثم ذكر سبحانه ما هو أعظم من الانسان خلقا فقال (أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم) والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر كنظائره ومعنى الآية ان من قدر على خلق السموات والارض وهما في غاية العظم وكبر الاجزاء يقدر على اعادة خلق البشر الذي هو صغير الشكل ضعيف القوة كما قال سبحانه لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس قال الشهاب أي مثل هؤلاء الاناسي الذين ماتوا والمراد هم وأمثالهم على سبيل التقديم والتأخير أو المراد هم على طريق الكناية في نحو مثلك يفعل كذا قرأ الجمهور بقادر بصيغة اسم الفاعل وقرئ يقدر بصيغة الفعل المضارع ثم أجاب سبحانه عما أفاده الاستفهام من الانكار التقريري بقوله (بلى وهو الخلاق العليم) أي بلى هو قادر على ذلك وهو المبالغ في الخلق والعلم على أكمل وجه وأتمه وقرئ وهو الخالق ثم ذكر سبحانه ما يدل على كمال قدرته وتيسر المبدا والاعادة عليه فقال (انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون) اي انما شأنه سبحانه اذا تعلقت ارادته بشيء من الاشياء ان يقول له احدث فيحدث من غير توقف على شيء آخر أصلا وقد قدم تفسير هذا في سورة النحل وفي البقرة قرأ الجمهور فيكون بالرفع على الاستئناف وقرأ الكسائي بالنصب عطفا على يقول ثم نزه سبحانه نفسه عن ان يوصف بغير القدرة فقال (فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء) هذا تنزيه له تعالى عما وصفوه به وتعجيب مما قالوا في شأنه والملكوت في كلام العرب لفظ مبالغة في الملك كالجبروت والرحموت كأنه قال فسبحان من بيده مالكية الاشياء الكلية قال قتادة ملكوت كل شيء مفاتح كل شيء وقرئ ملكة بزنة شجرة وقرئ مملكة بزنة مفعلة وملك والملكوت أعم من الجميع (واليه ترجعون) قرأ الجمهور بالفوقية على الخطاب مبنيا للمفعول وقرئ بالتحتية على الغيبة مبنيا للمفعول أيضا وقرأ زيد بن علي على البناء للفاعل أي ترجعون اليه لا الى غيره وتردون وتعادون بعد الموت فلا فوت وذلك في الدار الآخرة بعد البعث

(سورة الصافات هي مائة واثنتان وثمانون آية وهي مكية)

عن زر قال قال لي أبي بن كعب كأين تقرأ سورة الاحزاب أو كأين تعدها قال قلت ثلاثا وسبعين آية فقال قط لقد رأيتها وانها لتعادل سورة البقرة ولقد قرأنا فيها الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم ورواه النسائي من وجه آخر عن عاصم وهو ابن أبي النجود وهو ابن بهدلة به وهذا اسناد حسن وهو يقتضي انه قد كان فيها قرآن ثم نسخ لفظه وحكمه أيضا والله أعلم (بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا) (٤١) هذا تنبيه بالاعلى على الادنى فانه تعالى اذا كان يأمر عبده ورسوله بهذا فلأن يأتمر من دونه بذلك بطريق الاولى والاحرى وقد قال طلق بن حبيب التقوى ان تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وان تترك معصية الله على نور من الله مخافة عذاب الله وقوله تعالى ولا تطع الكافرين والمنافقين أي لا تسمع منهم ولا تستشرهم ان الله كان عليما حكيما اي فهو أحق ان تتبع أوامره وتطيعه فانه عليم بعواقب الامور حكيم في أقواله وأفعاله ولهذا قال تعالى واتبع ما يوحى اليك من ربك أي من قرآن وسنة ان الله كان بما تعملون خبيرا أي فلا تخفى عليه خافية وتوكل على الله أي في جميع أمورك وأحوالك وكفى بالله وكيلا أي وكفى به وكيلا لمن توكل عليه وأناب اليه (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما) يقول تعالى موطئا قبل المقصود المعنوي أمرا معروفا حسيا وهو انه كما لا يكون للشخص الواحد قلبان في جوفه ولا تصير زوجته التي يظاهر منها بقوله أنت علي كظهر أمي أما له كذلك لا يصير الدعي ولدا للرجل اذا تبناه فدعاه ابنا له فقال ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم كقوله عز وجل ما هن أمهاتهم ان أمهاتهم الا اللائي ولدنهم الآية وقوله تعالى وما جعل أدعياءكم أبناءكم هذا هو المقصود بالنفي فانها نزلت في شأن زيد بن حارثة

رضي الله عنه مولى النبي صلى الله عليه وسلم كان النبي صلى الله عليه وسلم قد تبناه قبل النبوة فكان يقال له زيد بن محمد فأراد الله تعالى أن يقطع هذا الالحاق وهذه النسبة بقوله تعالى وما جعل أدعياءكم أبناءكم كما قال تعالى في أثناء السورة ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما وقال ههنا ذلكم قولكم بأفواهكم يعني تبنيكم لهم قول لا يقتضي أن يكون ابنا حقيقيا فانه مخلوق من صلب رجل آخر فما يمكن أن يكون له أبوان كما لا يمكن أن يكون للبشر الواحد قلبان والله تعالى يقول الحق وهو يهدي السبيل (٤) قال سعيد بن جبير يقول الحق أي العدل وقال قتادة وهو يهدي السبيل أي الصراط المستقيم وقد ذكر غير واحد ان هذه الآية نزلت في رجل من قريش كان يقال له ذو القلبين وانه كان يزعم ان له قلبين كل منهما بعقل وافر فأنزل الله تعالى هذه الآية ردا عليه هكذا روى العوفي عن ابن عباس وقاله مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة واختاره ابن جرير وقال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا زهير عن قابوس يعني ابن أبي ظبيان قال ان أباه حدثه قال قلت لابن عباس أرأيت قول الله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ما عني بذلك قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يصلي فخطر خطرة فقال المنافقون الذين يصلون معه ألا ترون له قلبين قلبا معكم وقلبا معهم فأنزل الله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وهكذا رواه الترمذي عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي عن صاعد الحراني عن عبد بن حميد وعن أحمد بن يونس كلاهما عن زهير وهو ابن معاوية به ثم قال وهذا حديث حسن وكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث زهير به وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري في قوله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه قال آيات بلغنا ان ذلك كان في زيد بن حارثة ضرب له مثل يقول ليس ابن رجل آخر ابنك وكذا قال مجاهد وقتادة وابن زيد انها نزلت في زيد ابن حارثة رضي الله عنه وهذا يوافق ما قدمناه من التفسير والله سبحانه وتعالى أعلم وقوله عز وجل ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله هذا أمر ناسخ لما كان في ابتداء الاسلام من جواز ادعاء الأبناء الأجانب وهم الأدعياء فأمر تبارك وتعالى برد نسبهم الى آبائهم في الحقيقة وان هذا هو العدل والقسط والبر قال البخاري رحمه الله حدثنا معلى بن أسد حدثنا عبد العزيز بن المختار عن موسى

قال القرطبي في قول الجميع قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأمرنا بالتخفيف ويؤمنا بالصافات أخرجه النسائي والبيهقي في سننه وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ يس والصافات يوم الجمعة ثم سأل الله أعطاه سؤله أخرجه ابن أبي داود في فضائل القرآن وابن النجار في تاريخه وعنه ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما سأله أهل حضرموت عند قدومهم عليه ان يقرأ عليهم شيئا مما أنزل اليه قرأ والصافات صفا حتى بلغ رب المشارق والمغارب الحديث أخرجه أبو نعيم في الدلائل والسلفي في الطيوريات

(بسم الله الرحمن الرحيم والصافات صفا) الواو للقسم والمقسم به الملائكة والمراد بالصافات التي تصف في السماء من الملائكة كصفوف الخلق في الدنيا قاله ابن مسعود وابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة وعن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم قالوا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال يتمون الصفوف المقدمة ويتراصون في الصف أخرجه أبو داود وقيل انها تصف أجنحتها في الهواء واقفة فيه حتى يأمرها الله بما يريد وقال الحسن صفا كصفوفهم عند ربهم في صلاتهم وقيل المراد بالصافات هنا الطير كما في قوله أولم يروا الى الطير فوقهم صافات والأولى هو الأول والصف ترتيب الجمع على خط كما يصف في الصلاة وقيل الصافات جماعة الناس المؤمنين اذا قاموا صفا في الصلاة وفي الجهاد ذكره القشيري (فالزاجرات زجرا) أي الفاعلات للزجر من الملائكة اما لأنها تزجر السحاب كما قال السدي واما لأنها تزجر عن المعاصي بالمواعظ والنصائح وقال قتادة المراد بالزاجرات الزواجر من القرآن وهي كل ما ينهى ويزجر عن القبيح والأول أولى وانتصاب صفا وزجرا على المصدرية لتأكيد ما قبلهما وقيل المراد بالزاجرات العلماء لأنهم هم الذين يزجرون أهل المعاصي عن المعاصي والزجر في الأصل الدفع بقوة وهو هنا قوة التصويت ومنه زجرت الابل والغنم اذا أفزعتها بصوتك (فالتاليات ذكرا) أي الملائكة التي تتلو القرآن كما قال ابن مسعود وابن عباس والحسن ومجاهد وابن جبير والسدي وقيل المراد جبريل وحده فذكر بلفظ الجمع تعظيما له مع انه لا يخلو من أتباع له من الملائكة وقال قتادة المراد كل من تلا ذكر الله وكتبه وقيل المراد

ابن عقبة قال حدثني سالم عن عبد الله بن عمر قال ان زيد بن حارثة رضي الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه الا زيد بن محمد حتى نزل القرآن ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله وأخرجه مسلم والترمذي والنسائي من طرق عن موسى بن عقبة به وقد كانوا يعاملونهم معاملة الابناء من كل وجه في الخلوة بالمحارم وغير ذلك ولهذا قالت سهلة بنت سهيل امرأة أبي حذيفة رضي الله عنها يا رسول الله انا كنا ندعو سالما ابنا وان الله قد أنزل ما أنزل وانه كان يدخل علي واني أجد في نفس أبي حذيفة من ذلك شيأ فقال صلى الله عليه وسلم أرضعيه تحرمي عليه الحديث ولهذا لما نسخ هذا (٤٣) الحكم أباح تبارك وتعالى زوجة الدعي وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش مطلقة زيد بن حارثة رضي الله عنه وقال عز وجل لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وقال تبارك وتعالى في آية التحريم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم احترازا عن زوجة الدعي فانه ليس من الصلب فاما الابن الولد من الرضاعة فمنزل منزلة ابن الصلب شرعا بقوله صلى الله عليه وسلم في الصحيحين حرموا من الرضاعة مايحرم من النسب فامادعوة الغير ابنا على سبيل التكريم والتحبيب فليس مما نهي عنه في هذه الآية بدليل ماروا الامام أحمد وأهل السنن الا الترمذي من حديث سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل عن الحسن العرني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قدمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أغيلمة بني عبد المطلب على حمرات لنا من جمع فجعل يلطخ أفخاذنا ويقول أبني لاترموا الجمرة حتى تطلع الشمس قال أبو عبيدة وغيره أبني تصغير ابني وهذا ظاهر الدلالة فان هذا في حجة الوداع سنة عشر وقوله ادعوهم لآبائهم في شأن زيد بن حارثة رضي الله عنه وقد قتل في يوم مؤتة سنة ثمان وأيضا ففي صحيح مسلم من حديث أبي عوانة الوضاح بن عبد الله اليشكري عن الجعد أبي عثمان البصري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يابني ورواه أبو داود والترمذي وقوله عز وجل فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم أمر تعالى برد أنساب الادعياء الى آبائهم ان عرفوا فان لم يعرفوا فهم اخوانهم في الدين ومواليهم أي عوضا عما فاتهم من النسب ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خرج من مكة عام عمرة القضاء وتبعتهم ابنة حمزة رضي الله عنها

آيات القرآن ووصفها بالتلاوة وان كانت متلوة كما في قوله ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل وقيل لان بعضها يتلو بعضا ويتبعه وذكر الماوردي ان التاليات هم الانبياء يتلون الذكر على أممهم وانتصاب ذكرا على انه مفعول به ويجوز ان يكون مصدرا كما قبله قيل وهذه الفاء في قوله فالزاجرات فالتاليات اما لترتيب الصفات أنفسها في الوجود أو لترتب موصوفاتها في الفضل وفي الكل نظر (ان الهكم لواحد) جواب القسم أي أقسم الله بهذه الاقسام انه واحد ليس له شريك وأجاز الكسائي فتح ان الواقعة في جواب القسم وانما أقسم بهذه الاشياء التنبيه على شرف ذواتها وكمال مراتبها والرد على عبدة الاصنام في قولهم وللتأكيد لما تقدم لاسيما والقرآن أنزل بلغة العرب واثبات المطالب بالحلف واليمين طريقة مألوفة عندهم قال ابن الانباري الوقف على لواحد وقف حسن ثم يبتدئ (رب السموات والارض) على معنى هو ربهما وقيل غير ذلك والمعنى في الآية ان وجود هذه المخلوقات على هذا الشكل البديع من أوضح الدلائل على وجود الصانع وقدرته وانه رب ذلك كله أي خالقه ومالكه (ومابينهما) أي من المخلوقات والكائنات (ورب المشارق) أعاد الرب فيها لما فيها من غاية ظهور آثار الربوبية وتجددها كل يوم قيل أراد مشارق الكواكب والظاهر انها مشارق الشمس قيل ان الله خلق للشمس كل يوم مشرقا ومغربا بعدد أيام السنة تطلع كل يوم من واحد منها وتغرب في واحد كذا قال ابن الانباري وابن عبد البر وأما قوله في سورة الرحمن رب المشرقين ورب المغربين فالمراد بالمشرقين أقصى مطلع تطلع منه الشمس في الايام الطوال وأقصر يوم في الايام القصار وكذلك في المغربين وأما ذكر المشرق والمغرب بالافراد فالمراد بهما الجهة التي تشرق منها الشمس والجهة التي تغرب فيها واقتصر على المشارق اكتفاء على حد سرابيل تقيكم الحر أي والمغارب للشمس ولم يعكس لان شروق الشمس سابق على غروبها وأيضا فالشروق أبلغ في النعمة وأكثر نفعا من الغروب فذكر المشرق تنبيها على كثرة احسان الله تعالى على عباده ولهذه الدقيقة استدل ابراهيم عليه السلام بالمشرق فقال ان الله يأتي بالشمس من المشرق قال الكرخي وجمع هنا المشرق وحذف مقابله وثناه في الرحمن وجمعه في المعارج وأفرده في المزمل مع ذكر مقابله في الثلاثة لان القرآن نزل على المعهود من أساليب كلام العرب وفنونه ومنها الاجمال والتفصيل والذكر والحذف والتثنية والجمع والافراد

تنادى يا عم يا عم فأخذها على رضى الله عنه وقال لفاطمة رضى الله عنها دونك ابنة عمك فاحملتها فاختصم فيها على وزيد وجعفر رضى الله عنهم فى أيهم يكفلها فكل أدلى بحجة فقال على رضى الله عنه أنا أحق بها وهى ابنة عمى وقال زيد ابنة أخى وقال جعفر ابن أبى طالب ابنة عمى وخالتها عندى يعنى أسماء بنت عميس فقضى بها النبى صلى الله عليه وسلم لخالتها وقال الخالة بمنزلة الام وقال لعلى رضى الله عنه أنت منى وأنا منك وقال لجعفر رضى الله عنه أشبهت خلقى وخلقى وقال لزيد رضى الله عنه أنت أخونا ومولانا فى هذا الحديث أحكام كثيرة من أحسنها (٤٤) أنه صلى الله عليه وسلم حكم بالحق وأرضى كلا من المتنازعين وقال لزيد رضى الله عنه أنت أخونا ومولانا كما قال تعالى فاخوانكم فى الدين ومواليكم وقال ابن جرير حدثنى يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية عن ابن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه قال قال أبو بكرة رضى الله الله عنه قال الله عز وجل ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم فانا ممن لا يعرف ابوه فانا من اخوانكم فى الدين قال ابى والله انى لاظنه انه لو علم ان أباه كان حمارا لانتمى اليه وقد جاء فى الحديث (٣) من ادّعى الى غير ابيه وهو يعلمه الا كفر وهذا تشديد وتهديد ووعيد أكيد فى التبرى من النسب المعلوم ولهذا قال عز وجل ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم ثم قال تعالى وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به اى اذا نسبتم بعضهم الى غير ابيه فى الحقيقة خطأ بعد الاجتهاد واستفراغ الوسع فان الله تعالى قد وضع الحرج فى الخطا ورفع اثمه كما ارشد اليه فى قوله تبارك وتعالى آمرا عباده ان يقولوا ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا وثبت فى صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل قد فعلت وفى صحيح البخارى عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد الحاكم فاصاب فله اجران وان اجتهد فاخطأ فله اجر وفى الحديث الآخر ان الله تعالى رفع عن امتى الخطأ والنسيان والامر الذى يكرهون عليه وقال تبارك وتعالى ههنا وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما اى وانما الاثم على من تعمد الباطل كما قال عز وجل لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم الآية وفى الحديث المتقدم من ادعى الى غير

باعتبارات مختلفة فافرد وأجمل فى المزمل أراد مشرق الصيف والشتاء ومغربهما وجمع وفصل فى المعارج أراد جميع مشارق السنة ومغاربها وهى تزيد على سبعمائة وثنى وفصل فى الرحمن اراد مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما وجمع وحذف هنا أراد جميع مشارق السنة واقتصر عليه لدلالته على المحذوف كما مرت الاشارة اليه وخص ما هنا بالجمع موافقة للجموع اول السورة وبالحذف مناسبة للزينة اذهى انما تكون غالبا بالضياء والنور وهما ينشآن من المشرق لا من المغرب وما فى الرحمن بالتثنية موافقة للتثنية فى يسجدان وفى فبأى آلاء ربكما تكذبان وبذكر المقابلين موافقة لبسط صفاته تعالى وانعاماته ثم وما فى المعارج بالجمع موافقة للجمع قبله وبعده وبذكر المقابلين موافقة لكثرة التأكيد فى القسم وجوابه وما فى المزمل بالافراد موافقة لما قبله من افراد ذكر النبى صلى الله عليه وآله وسلم وما بعده من افراد ذكر الله تعالى وبذكر المقابلين موافقة للحصر فى قوله لا اله الا هو ولبسط ما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ثمة (انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب) المراد بالسماء الدنيا التى تلى الارض من الدنو وهو القرب فهى أقرب السموات الى الارض قرأ الجمهور باضافة زينة الى الكواكب والمعنى زيناها بتزيين الكواكب أى بحسنها وقرئ بتنوين زينة وخفض الكواكب على انها بدل من الزينة على ان المراد بالزينة الاسم لا المصدر والتقدير بعد طرح المبدل منه انا زينا السماء بالكواكب فان الكواكب فى أنفسها زينة عظيمة فانها فى الليلة المظلمة فى أعين الناظرين لها كالجواهر المتلألئة على سطح أزرق وقرأ عاصم فى رواية أبى بكر عنه بتنوين زينة ونصب الكواكب على ان الزينة مصدر وفاعله محذوف والتقدير بان الله زين الكواكب بكونها مضيئة حسنة فى أنفسها أو تكون الكواكب منصوبة باضمار اعنى أو بدلا من السماء بدل اشتمال وقيل المعنى بضوء الكواكب لان الضوء والنور من أحسن الصفات وأكملها ولو لم تحصل هذه الكواكب فى السماء لكانت شديدة الظلمة عند غروب الشمس وقيل زينتها اشكالها المتناسبة والمختلفة فى الشكل كشكل الجوزاء وبنات نعش وغيرها وقيل غير ذلك (وحفظا) أى حفظناها حفظا وقيل زيناها بالكواكب للحفظ وقيل انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا (من كل شيطان مارد) أى عات متمرد خارج عن الطاعة يرمى بالكواكب والشهب كقوله انا زينا السماء الدنيا

(٣) قوله من ادعى الخ كذا فى النسخ التى بأيدينا وحرر الرواية اهـ مصححه

أبيه وهو يعلمه الا كفر وفي القرآن المنسوخ فإن كفرا بكم أن ترغبوا عن آبائكم قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس عن عمر رضي الله عنهم أنه قال ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق وأنزل معه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فرجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده ثم قال قد كنا نقرأ ولا ترغبوا عن آبائكم فانه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تطروني كما أطري عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام فانما أنا عبد الله فقولوا عبده ورسوله وربما قال

معمر كما أطرت النصارى ابن مريم ورواه في الحديث الآخر ثلاث من الناس كفر الطعن في النسب والنياحة على الميت والاستسقاء بالنجوم (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا) قد علم الله تعالى شفقة رسوله صلى الله عليه وسلم على أمته ونصحه لهم فجعله أولى بهم من أنفسهم وحكمه فيهم أنه كان مقدما على اختيارهم لأنفسهم كما قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وفي الصحيح والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين وفي الصحيح أيضا أن عمر رضي الله عنه قال يا رسول الله والله لانت أحب الي من كل شيء الا من نفسي فقال صلى الله عليه وسلم لا يا عمر حتى أكون أحب اليك من نفسك فقال والله يا رسول الله لانت أحب الي من كل شيء حتى من نفسي فقال صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر ولهذا قال تعالى في هذه الآية النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وقال البخاري عندها حدثنا ابراهيم بن المنذر حدثنا محمد بن فليح حدثنا أبي عن هلال بن علي عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن الا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة اقرؤوا ان شئتم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فأيما مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا وان ترك دينا أو ضياعا فليأتني فأنا مولاه تفرد به البخاري ورواه أيضا في الاستقراض وابن جرير وابن أبي حاتم من طرق عن فليح به مثله ورواه أحمد من حديث أبي حصين عن أبي صالح عن

الدنيا عاجلا مع وجد انها رجوم الشياطين (لا يسمعون الى الملا الاعلى) مستأنفة لبيان حالهم بعد حفظ السماء منهم وقال أبو حاتم أي لئلا يسمعوا ثم حذف ان فرفع الفعل وكذا قال الكلبي قال النسفي وفيه تعسف يجب صون القرآن عن مثله فان كل واحد من الحرفين غير مردود على انفراده ولكن اجتماعهما منكر والفرق بين سمعت فلانا يتحدث وسمعت اليه يتحدث وسمعت حديثه والى حديثه ان المعدى بنفسه يفيد الادراك والمعدى بالى يفيد الاصغاء مع الادراك انتهى والملأ الاعلى أهل السماء الذين يسكنونها وسمي الكل منهم أعلى باضافته الى ملأ الارض لانهم سكان السماء والضمير في يسمعون للشياطين وقيل ان جملة لا يسمعون صفة لكل شيطان وقيل جواب عن سؤال مقدر كأنه قيل فما حالهم بعد حفظ السماء عنهم فقال لا يسمعون الى الملا الاعلى قرأ الجمهور بسكون السين وتخفيف الميم وقرئ بتشديدهما والاصل يتسمعون فالاولى تدل على انتفاء سماعهم دون استماعهم والثانية تدل على انتفائهما وفي معنى الاولى قوله تعالى انهم عن السمع لمعزولون قال مجاهد كانوا يتسمعون ولكن لا يسمعون واختار الثانية أبو عبيدة قال لان العرب لا تكاد تقول سمعت اليه وتقول تسمعت اليه وكان ابن عباس يقرأ بتخفيفه ويقول انهم كانوا يتسمعون ولكن لا يسمعون (ويقذفون من كل جانب دحورا) أي يرمون من كل جانب من جوانب السماء ونواحيها وجهاتها بالشهب اذا أرادوا الصعود لاستراق السمع والدحور الطرد تقول دحرته دحرا ودحورا طردته وقرئ يقذفون مبنيا للمفعول وللفاعل وهي غير مطابقة لما هو المراد من نظم القرآن وقيل دحورا أي مدحورين وقيل هو جمع داحر نحو قاعد وقعود فيكون حالا وقيل انه مصدر لمقدر أي يدحرون دحورا وقال الفراء ان المعنى يقذفون بما يدحرهم أي بدحور ثم حذف الباء فانتصب بنزع الخافض قرأ الجمهور دحورا بضم الدال وقرئ بفتحها واختلف هل كان هذا الرمي لهم بالشهب قبل المبعث أو بعده فقال بالاول طائفة وبالآخر آخرون وقالت طائفة بالجمع بين القولين ان الشياطين لم تكن ترمى قبل المبعث رميا يقطعها عن السمع ولكن كانت ترمى وقتا ولا ترمى وقتا آخر وترمى من جانب ولا ترمى من جانب آخر ثم بعد المبعث رميت في كل وقت ومن كل جانب حتى صارت لا تقدر على استماع شيء (ولهم عذاب واصب) أي دائم لا ينقطع والمراد به العذاب في الآخرة غير العذاب الذي لهم في الدنيا من

ابى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى فى قوله النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم عن ابى سلمة عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول انا اولى بكل مؤمن من نفسه فايما رجل مات وترك دينا فالى ومن ترك مالا فهو لورثته ورواه ابو داود عن احمد بن حنبل به نحوه وقوله تعالى وازواجه امهاتهم اى فى الحرمة والاحترام والتوقير والاكرام والاعظام ولكن لا تجوز الخلوة بهن ولا ينتشر التحريم الى بناتهن واخواتهن بالاجماع وان سمى بعض العلماء بناتهن اخوات المؤمنين كما هو منصوص الشافعى رضى الله عنه فى المختصر وهو من باب اطلاق العبارة لا اثبات الحكم وهل يقال لمعاوية وامثاله خال المؤمنين فيه قولان للعلماء رضى الله عنهم ونص الشافعى رضى الله عنه على انه يقال ذلك وهل يقال له صلى الله عليه وسلم أبو المؤمنين فيدخل النساء فى جمع المذكر السالم تغليبا فيه قولان صح عن عائشة رضى الله عنها انها قالت لا يقال ذلك وهذا اصح الوجهين فى مذهب الشافعى رضى الله عنه وقد روى عن ابى بن كعب وابن عباس رضى الله عنهم انهما قرآ النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم وهو اب لهم وروى نحو هذا عن معاوية ومجاهد وعكرمة والحسن وهو احد الوجهين فى مذهب الشافعى رضى الله عنه حكاه البغوى وغيره واستأنسوا عليه بالحديث الذى رواه ابو داود رحمه الله حدثنا عبد الله بن محمد النفيلى حدثنا ابن المبارك عن محمد ابن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن ابى صالح عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم فاذا اتى احدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستطب بيمينه وكان يأمر بثلاثة احجار وينهى عن الروث والرمة واخرجه النسائى وابن ماجه من حديث ابن عجلان والوجه الثانى انه لا يقال ذلك واحتجوا بقوله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله اى فى حكم الله من المؤمنين والمهاجرين اى القرابات اولى بالتوارث من المهاجرين والانصار وهذه ناسخة لما كان قبلها من التوارث بالحلف والمؤاخاة التى كانت بينهم كما قال ابن عباس وغيره كان المهاجرى يرث الانصارى دون قراباته وذوى رحمه للاخوة التى آخى بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم

الرمى بالشهب وقال مقاتل يعنى دائما الى النفخة الاولى والاول أولى وقد ذهب جمهور المفسرين الى ان الواصب الدائم وقال السدى وأبو صالح والكلبى هو الموجع الذى يصل وجعه الى القلب مأخوذ من الوصب أو الوصوب وهو المرض وقيل هو الشديد (الا من خطف الخطفة) الاستثناء هو من قوله لا يسمعون أو من قوله ويقذفون وقيل الاستثناء راجع الى غير الوحى لقوله انهم عن السمع لمعزولون بل يخطف الواحد منهم خطفة مما يتفاوض فيه الملائكة ويدور بينهم مما سيكون فى العالم قبل ان يعلمه أهل الارض والخطف الاختلاس مسارقة وأخذ الشئ بسرعة قرأ الجمهور خطف بفتح الخاء وكسر الطاء مخففة وقرئ بكسرهما وتشديد الطاء وهى لغة تميم بن مر وبكر بن وائل وقرئ بفتح الخاء وكسر الطاء مشددة وقرأ ابن عباس بكسرهما مع تخفيف الطاء وقيل ان الاستثناء منقطع (فأتبعه) أى لحقه وتبعه (شهاب ثاقب) أى نجم مضئ أو مستوقد فيحرقه أو يقتله ويخبله وربما لا يحرقه فيلقى الى اخوانه ما خطفه وليست الشهب التى ترجم بها هى من الكواكب الثوابت بل من غير الثوابت وأصل الثقوب الاضاءة قال الكسائى ثقبت النار تثقب ثقابة اذا اتقدت وهذه الآية هى كقوله الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين قال ابن عباس اذا رمى الشهاب لم يخطئ من رمى به وتلا فأتبعه شهاب ثاقب وقال لا يقتلون بالشهاب ولا يموتون ولكنها تحرق وتخبل وتجرح فى غير قتل قال سليمان الجمل قالوا انه ليس المراد انهم يرمون باجرام الكواكب بل يجوز ان تنفصل منها شعلة يرمى بها الشيطان والكواكب باقية بحالها وهذا كمثل القبس الذى يؤخذ من النار وهى على حالها ويعود الشيطان مرة أخرى مع انه يعلم أنه يصاب ولا يصل الى مقصوده رجاء نيل المطلوب وطمعا فى السلامة كراكب البحر فانه يشاهد الغرق احيانا لكن يعود الى ركوبه رجاء السلامة ونيل المقصود (فاستفتهم) اى اسأل الكفار المنكرين للبعث (أهم أشد خلقا) وأقوى اجساما وأعظم أعضاء وأمتن بنية وأشق ايجادا وأصعب خلقا (أم من خلقنا) من السموات والارض والجبال والملائكة قال الزجاج المعنى فاسألهم سؤال تقرير أهم أحكم صنعة أم من خلقنا قبلهم ممن قبلهم من الامم السالفة يريد انهم ليسوا باحكم خلقا من غيرهم من الامم وقد أهلكناهم بالتكذيب فما الذى يؤمنهم من العذاب قرئ أم من خلقنا بتشديد الميم وهى أم المتصلة عطفت من على هم وقرئ بتخفيفها

وكذا قال سعيد بن جبير وغير واحد من السلف والخلف وقد أورد فيه ابن أبي حاتم حديثا عن الزبير بن العوام فقال حدثنا أبي حدثنا أحمد بن أبي بكر المصعبي من ساكني بغداد عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال أنزل الله عز وجل فينا خاصة معشر قريش والانصار وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض وذلك أنا معشر قريش لما قدمنا المدينة قدمنا ولا أموال لنا فوجدنا الانصار نعم الاخوان فواخيناهم ووارثناهم فآخى أبو بكر رضي الله عنه خارجة بن زيد وآخى عمر رضي الله عنه فلانا وآخى عثمان رضي الله عنه رجلا من بني زريق بن سعد (٤٧) الزرقي ويقول بعض الناس غيره قال الزبير رضي الله عنه وواخيت أنا كعب بن مالك (٣) جئته خرقا بتاعته فاستعلمته فوجدت السلاح قد ثقله فيما يرى فوالله يا بني لو مات يومئذ عن الدنيا ما ورثه غيري حتى أنزل الله تعالى هذه الآية فينا معشر قريش والانصار خاصة فرجعنا الى موارثنا وقوله تعالى الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا أي ذهب الميراث وبقي النصر والبر والصلة والاحسان والوصية وقوله تعالى كان ذلك في الكتاب مسطورا أي هذا الحكم وهو أن أولي الارحام بعضهم أولى ببعض حكم من الله مقدر مكتوب في الكتاب الاول الذي لا يبدل ولا يغير قاله مجاهد وغير واحد وان كان تعالى قد شرع خلافه في وقت لما له في ذلك من الحكمة البالغة وهو يعلم أنه سينسخه الى ما هو جار في قدره الازلي وقضائه القدري الشرعي والله أعلم (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذابا أليما) يقول تعالى مخبرا عن أولي العزم الخمسة وبقية الانبياء أنه أخذ عليهم العهد والميثاق في اقامة دين الله تعالى وابلاغ رسالته والتعاون والتناصر والاتفاق كما قال تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فهذا العهد والميثاق أخذ عليهم بعد ارسالهم وكذلك هذا ونص من بينهم على هؤلاء الخمسة وهم أولو العزم وهو من باب عطف الخاص على العام وقد صرح بذكرهم أيضا في هذه الآية وفي قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به

وهو استفهام ثان فالهمزة للاستفهام أيضا ومن مبتدأ وخبره محذوف أي الذين خلقناهم أشد فهما جملتان مستقلتان وغلب من يعقل على غيره فلذلك أتى بمن قاله السمين وتكتب أم مفصولة من من في هذا الموضع ثم ذكر خلق الانسان فقال (انا خلقناهم) أي في ضمن خلق أبيهم آدم (من طين لازب) أي لاصق يقال لزب يلزب لزوبا اذا لصق من باب دخل وقال قتادة وابن زيد اللازب اللاصق وقال عكرمة اللازب اللزج وقال سعيد ابن جبير اللازب الجيد الذي يلصق باليد وقال مجاهد هو اللازم والعرب تقول طين لازب ولازم تبدل الباء من الميم واللازم الثابت كما يقال صار الشئ ضربة لازب ومنه قول النابغة

لا تحسبون الخير لا شر بعده * ولا تحسبون الشر ضربة لازب

وحكى الفراء عن العرب طين لاتب بمعنى لازم واللاتب الثابت قال الاصمعي واللاتب اللاصق مثل اللازب والمعنى في الآية ان هؤلاء كيف يستبعدون المعاد وهم مخلوقون من هذا الخلق الضعيف ولم ينكروا من هو مخلوق خلقا أقوى منهم وأعظم وأكمل وأتم وقيل ان اللازب هو المنتن قاله مجاهد والضحاك قيل وقد قرئ لازم ولاتب ولا أدري من قرأ بذلك قال ابن عباس لازب ملتصق وقال اللزج الجيد وقال اللازب والحمأ والطين واحد كان أوله ترابا ثم صار حمأ منتنا ثم صار طينا لازبا فخلق الله منه آدم وعن ابن مسعود اللازب الذي يلصق بعضه الى بعض والآية تشهد عليهم بالضعف لان ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة أو احتجاج عليهم بان الطين اللازب الذي خلقوا منه تراب فمن أين استنكروا ان يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا أئذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر انكارهم البعث والغرض من هذا السياق اثبات المعاد والرد عليهم في دعوى استحالته ثم أضرب سبحانه عن الكلام السابق فقال (بل عجبت) يا محمد من قدرة الله سبحانه أو من تكذيبهم اياك قرأ الجمهور بفتح التاء من عجبت على الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وقرئ بضمها وقال الفراء قرأها الناس بنصب التاء ورفعها والرفع أحب الي لانها عن علي وعبد الله وابن عباس قال والعجب ان أسند الى الله فليس معناه من الله كمعناه من العباد قال الهروي قال بعض الائمة معنى بل عجبت بل جازيتهم على عجبهم لان الله أخبر عنهم في غير موضع بالتعجب من الخلق كما قال وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقالوا ان هذا لشئ عجاب أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم وقال على

(٣) قوله جئته خرقا بتاعته الخ هكذا في الاصل وحرر الرواية اه مصححه

ابراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه فذكر الطرفين والوسط الفاتح والخاتم ومن بينهما على الترتيب فهذه هي الوصية التي أخذ عليهم الميثاق بها كما قال تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم فبدأ في هذه الآية بالخاتم لشرفه صلوات الله عليه ثم رتبهم بحسب وجودهم صلوات الله عليهم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة الدمشقي حدثنا محمد بن بكار حدثنا سعيد بن بشير حدثني قتادة عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى واذ أخذنا من النبيين (٤٨) ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث فبدأ بي قبلهم سعيد بن بشير فيه ضعف وقد رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مرسلا وهو أشبه ورواه بعضهم عن قتادة موقوفا والله أعلم وقال أبو بكر البزار حدثنا عمرو بن علي حدثنا أبو أحمد حدثنا حمزة الزيات حدثنا عدي بن ثابت عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خيار ولد آدم خمسة نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وخيرهم محمد صلى الله عليه وسلم موقوف وحمزة فيه ضعف وقد قيل ان المراد بهذا الميثاق الذي أخذ منهم حين أخرجوا في صورة الذر من صلب آدم عليه الصلاة والسلام كما قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال ورفع أباهم آدم فنظر اليهم يعني ذريته وان فيهم الغني والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال رب لو سويت بين عبادك فقال اني أحببت ان أشكر ورأى فيهم الأنبياء مثل السرج عليهم النور وخصوا بميثاق آخر من الرسالة والنبوة وهو الذي يقول الله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وهذا قول مجاهد أيضا وقال ابن عباس الميثاق أبعد الغليظ العهد وقوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم قال مجاهد المبلغين المؤدين عن الرسل وقوله تعالى وأعد للكافرين أي من أممهم عذابا أليما أي موجعا فنحن نشهد ان الرسل قد بلغوا رسالات ربهم ونصحوا الأمم وأفصحوا لهم عن الحق المبين الواضح الجلي الذي لا لبس فيه ولا شك ولا امتراء وان كذبهم من كذبهم من الجهلة والمعاندين والمارقين والقاسطين فما جاءت به الرسل هو الحق ومن خالفهم فهو على الضلال (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها

ابن سليمان معنى القراءتين واحد والتقدير قل يا محمد بل عجبت لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم مخاطب بالقرآن قال النحاس وهذا قول حسن واضمار القول كثير وقيل ان معنى الاخبار من الله سبحانه عن نفسه بالعجب انه ظهر من أمره وسخطه على من كفر به ما يقوم مقام العجب من المخلوقين قال الهروي ويقال معنى عجب ربكم أي رضي ربكم وأثاب فسماه عجبا وليس بعجب في الحقيقة فيكون معنى عجبت هنا عظم فعلهم عندي وحكى النقاش ان معنى بل عجبت بل أنكرت قال الحسين بن الفضل التعجب من الله انكار الشيء وتعظيمه وهو لغة العرب وقيل معناه الانكار والذم وسئل الجنيد رحمه الله عن هذه الآية فقال ان الله لا يعجب من شيء ولكن وافق رسوله ولما عجب رسوله قال وان تعجب فعجب قولهم أي هو كما تقوله وقيل معناه انه بلغ في كمال قدرته وكثرة مخلوقاته الى حيث عجب منها (و) هؤلاء لجهلهم (يسخرون) منها والواو للحال أي والحال انهم يسخرون أو للاستئناف والمعنى وهم يسخرون منك بسبب تعجبك أو مما تقوله من اثبات المعاد (واذا ذكروا لا يذكرون) أي واذا وعظوا بموعظة من مواعظ الله أو مواعظ رسوله لا يتعظون بها ولا ينتفعون بما فيها قال سعيد بن المسيب أي اذا ذكر لهم ما حل بالمكذبين ممن كان قبلهم أعرضوا عنه ولم يتدبروا (واذا رأوا آية) أي معجزة من معجزات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانشقاق القمر (يستسخرون) أي يبالغون في السخرية قال قتادة يسخرون ويقولون انها سخرية يقال سخر واستسخر بمعنى مثل قر واستقر وعجب واستعجب والاول أولى لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى وقيل المعنى يستدعون السخري من غيرهم وقال مجاهد يستهزئون (وقالوا ان هذا الا سحر مبين) أي ما هذا الذي تأتينا به الا سحر واضح ظاهر (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) الاستفهام للانكار أي أنبعث اذا متنا فالعامل في اذا هو ما دل عليه أئنا لمبعوثون وهو أنبعث لا مبعوثون لتوسط ما يمنع من عمله فيه فبدلوا الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا الهمزة مبالغة في الانكار واشعارا بان البعث مستنكر في نفسه وفي هذه الحالة أشد استنكارا وهذا الانكار للبعث منهم هو السبب الذي لاجله كذبوا الرسل وما نزل عليهم واستهزؤا بما جاؤا به من المعجزات وقد تقدم تفسير معنى هذه الآية في مواضع (أو آباؤنا الاولون) هو مبتدأ وخبره محذوف أي آباؤنا الاولون مبعوثون يعنون انهم أقدم فبعثهم

أبعد وأبطل وقيل معطوف على ان واسمها وقيل على الضمير في مبعوثون لوقوع الفصل بينهما والهمزة للانكار داخلة على حرف العطف وهذا قرأ الجمهور بفتح الواو وقرئ بسكونها على ان أو هي العاطفة وليست الهمزة للاستفهام ثم أمر الله سبحانه رسوله بان يجيب عنهم تبكيتا لهم فقال (قل نعم) كلكم مبعوثون (وأنتم داخرون) أي صاغرون ذليلون والخطاب لهم ولآبائهم بطريق التغليب والجملة حال من فاعل ما دل عليه نعم قال الواحدي والدخور أشد الصغار ثم ذكر سبحانه ان بعثهم يقع بزجرة واحدة فقال (فانما) أي اذا كان الامر كذلك فانما (هي زجرة واحدة) أو لا تستبعدوه فانما هي زجرة واحدة والضمير للقصة أو البعثة المفهومة مما قبلها أي انما قصة البعث أو البعثة صيحة واحدة من اسرافيل بنفخه في الصور عند البعث وقال الحسن هي النفخة الثانية وسميت الصيحة زجرة لان المقصود منها الزجر كقولك زجر الراعي الابل أو الغنم اذا صاح عليها (فاذا هم) أحياء بصراء (ينظرون) أي يبصرون سوء أعمالهم أو ينظرون ما يفعل الله بهم من العذاب والاول أولى (وقالوا) أي قال أولئك المبعوثون لما عاينوا البعث الذي كانوا يكذبون به في الدنيا (ياويلنا) دعوا بالويل على أنفسهم قال الزجاج الويل كلمة يقولها القائل وقت الهلكة وقال الفراء ان أصله ياوي لنا ووي بمعنى الحزن كأنه قال ياحزن لنا قال النحاس ولو كان كما قال لكان منفصلا وهو في المصحف متصل ولا نعلم أحدا يكتبه الا متصلا والوقف هنا تام لان ما بعده كلام مستقل وقيل (هذا يوم الدين) تعليل لدعائهم بالويل على أنفسهم والدين الجزاء فكأنهم قالوا هذا اليوم الذي نجازى فيه بأعمالنا من الكفر والتكذيب للرسل فأجابهم الملائكة بقولهم (هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون) ويجوز أن يكون هذا من قول بعضهم لبعض والفصل الحكم والقضاء لانه يفصل فيه بين المحسن والمسيء (احشروا الذين ظلموا) هو أمر من الله سبحانه للملائكة بان يحشروا المشركين (وأزواجهم) وهم أشباههم في الشرك والتابعون لهم في الكفر والمشايعون لهم في تكذيب الرسل كذا قال قتادة وأبو العالية وقال الحسن ومجاهد المراد بأزواجهم نساؤهم المشركات الموافقات لهم على الكفر والظلم وقال الضحاك أزواجهم قرناؤهم من الشياطين يحشر كل كافر مع شيطانه وبه قال مقاتل قال ابن عباس تقول الملائكة للزبانية هذا القول أو خطاب من بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل

وكان الله بما تعملون بصيرا اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا) يقول تعالى مخبرا عن نعمته وفضله واحسانه الى عباده المؤمنين في صرفه أعداءهم وهزمه اياهم عام تألبوا عليهم وتحزبوا وذلك عام الخندق وذلك في شوال سنة خمس من الهجرة على الصحيح المشهور وقال موسى بن عقبة وغيره كان في سنة أربع وكان سبب قدوم الاحزاب ان نفرا من أشراف يهود بني النضير الذين كانوا قد أجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى خيبر منهم سلام ابن أبي الحقيق وسلام بن مشكم وكنانة بن الربيع خرجوا الى مكة

فاجتمعوا باشراف قريش وألبوهم على حرب النبي صلى الله عليه وسلم ووعدوهم من أنفسهم النصر والاعانة فأجابوهم الى ذلك ثم خرجوا الى غطفان فدعوهم فاستجابوا لهم أيضا وخرجت قريش في أحابيشها ومن تابعها وقائدهم أبو سفيان صخر بن حرب وعلى غطفان عيينة ابن حصن بن بدر والجميع قريب من عشرة آلاف فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسيرهم أمر المسلمين بحفر الخندق حول المدينة مما يلي الشرق وذلك باشارة سلمان الفارسي رضي الله عنه فعمل المسلمون فيه واجتهدوا ونقل معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب وحفر وكان في حفره ذلك آيات بينات ودلائل واضحات وجاء المشركون فنزلوا شرقي المدينة قريبا من أحد ونزلت طائفة منهم في أعالي أرض المدينة كما قال الله تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين وهم نحو من ثلاثة آلاف وقيل سبعمائة فأسندوا ظهورهم الى سلع ووجوههم الى نحو العدو

والخندق حفير ليس فيه ماء بينهم وبينهم يحجب الخيالة والرجالة ان تصل اليهم وجعل النساء والذراري في آطام المدينة وكانت بنو قريظة وهم طائفة من اليهود لهم حصن شرقي المدينة ولهم عهد من النبي صلى الله عليه وسلم وذمة وهم قريب من ثمانمائة مقاتل فذهب اليهم حيي بن أخطب النضري فلم يزل بهم حتى نقضوا العهد ومالؤا الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم الخطب واشتد الامر وضاق الحال كما قال الله تبارك وتعالى هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا ومكثوا محاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قريبا من شهر الا انهم لا يصلون اليهم ولم يقع بينهم قتال الا ان عمرو بن عبد

ودّ العامري وكان من الفرسان الشجعان المشهورين في الجاهلية ركب ومعه فوارس فاقتحموا الخندق وخلصوا الى ناحية المسلمين وندب رسول الله صلى الله عليه وسلم خيل المسلمين اليه فيقال انه لم يبرز اليه أحد فأمر عليا رضي الله عنه فخرج اليه فتجاولا ساعة ثم قتله علي رضي الله عنه فكان علامة على النصر ثم أرسل الله عز وجل على الأحزاب ريحا شديدة الهبوب قوية حتى لم يبق لهم خيمة ولا شيء ولا توقد لهم نار ولا يقر لهم قرار حتى ارتحلوا خائبين خاسرين كما قال الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم (٥٠) ريحا وجنودا قال مجاهد وهي الصبا ويؤيده الحديث الآخر نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وقال ابن جرير حدثني محمد بن المثنى حدثنا عبد الأعلى حدثنا داود عن عكرمة قال قالت الجنوب للشمال ليلة الأحزاب انطلقي ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال ان الحرة لا تسري بالليل قال وكانت الريح التي أرسلت عليهم الصبا ورواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج عن حفص بن غياث عن داود عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره وقال ابن جرير أيضا حدثنا يونس حدثنا ابن وهب حدثني عبيد الله بن عمر عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال أرسلني خالي عثمان بن مظعون رضي الله عنه ليلة الخندق في برد شديد وريح الى المدينة فقال ائتنا بطعام ولحاف قال فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لي وقال من أتيت من أصحابي فمرهم يرجعوا قال فذهبت والريح تسفي كل شيء فجعلت لا ألقى أحدا الا أمرته بالرجوع الى النبي صلى الله عليه وسلم قال فما يلوي أحدهم عنقه قال وكان معي ترس لي وكانت الريح تضربه علي وكان فيه حديد قال فضربته الريح حتى وقع بعض ذلك الحديد على كفي فأنفذها الى الأرض وقوله وجنودا لم تروها هم الملائكة زلزلتهم وألقت في قلوبهم الرعب والخوف فكان رئيس كل قبيلة يقول يا بني فلان الي فيجتمعون اليه فيقول النجاء النجاء لما ألقى الله عز وجل في قلوبهم من الرعب وقال محمد بن اسحق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما يا أبا عبد الله رأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه قال نعم يا ابن أخي قال وكيف كنتم تصنعون قال والله لقد كنا نجهد قال الفتى والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض

من الموقف الى الجحيم وعن عمر بن الخطاب قال أمثالهم الذين هم مثلهم يجيء أصحاب الربا مع أصحاب الربا وأصحاب الزنا مع أصحاب الزنا وأصحاب الخمر مع أصحاب الخمر أزواج في الجنة وأزواج في النار وعن ابن عباس أيضا قال أشباههم وفي لفظ نظراؤهم أي من العصاة عابد الصنم مع عبدة الأصنام وعابد الكوكب مع عبدة الكواكب كقوله وكنتم أزواجا ثلاثة ولا مانع من حمل الآية على الجميع (وما كانوا يعبدون من دون الله) من الأصنام والشياطين ونحوها وهذا العموم المستفاد من ما الموصولة فانها عبارة عن المعبودين لا عن العابدين كما قيل مخصوص لأن من طوائف الكفار من عبد المسيح ومنهم من عبد الملائكة فيخرجون بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ووجه حشر الأصنام مع كونها جمادات لا تعقل هو زيادة التبكيت لعابديها وتخجيلهم واظهار انها لا تنفع ولا تضر وقيل الموصول عبارة عن المشركين خاصة جيء به لتعليل الحكم على حد صلته فلا عموم ولا تخصيص (فاهدوهم الى صراط الجحيم) أي عرفوا هؤلاء المحشورين طريق النار وسوقوهم اليها يقال هديته الطريق وهديته اليها أي دللته عليها وفي هذا تهكم بهم وقال ابن عباس وجهوهم ودلوهم الى طريق النار (وقفوهم) أي احبسوهم في الموقف يقال وقفت الدابة أقفها وقفا فوقفت هي وقوفا يتعدى ولا يتعدى وهذا الحبس لهم يكون قبل السوق الى جهنم أي وقفوهم للحساب ثم سوقوهم الى النار بعد ذلك لأن الملائكة سارعوا الى ما أمروا به من حشرهم الى الجحيم فأمروا بذلك (انهم مسؤلون) تعليل للجملة الأولى أي ذلك ليس للعفو عنهم ولا ليستريحوا بتأخير العذاب في الجملة بل ليسئلوا لكن لا عن عقائدهم وأعمالهم كما قيل فان ذلك قد وقع قبل الأمر بهم الى الجحيم بل عما ينطق به قوله الآتي ما لكم بطريق التهكم والتوبيخ قال الكلبي أي مسؤلون عن أعمالهم وأقوالهم وأفعالهم أي جميعها وقال الضحاك عن خطاياهم وقيل عن لا اله الا الله وقيل عن ظلم العباد وقال ابن عباس احبسوهم انهم محبوسون وأخرج البخاري في تاريخه والدارمي والترمذي وابن جرير والحاكم وغيرهم عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما من داع دعا الى شيء الا كان موقوفا معه يوم القيامة لازما له لا يفارقه وان دعا رجل رجلا ثم قرأ وقفوهم انهم مسؤلون وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع

عن

عن عمره فيما أفناه وعن علمه ماذا عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه وفي رواية عن شبابه فيما أبلاه أخرجه الترمذي (ما لكم لا تناصرون) أي أي شيء لكم لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم في الدنيا وتأخير هذا السؤال الى ذلك الوقت لانه وقت تنجز العذاب وشدة الحاجة الى النصرة وحالة انقطاع الرجاء منها بالكلية فالتوبيخ حينئذ أشد وقعا وتأثيرا وأصل تناصرون تتناصرون فطرحت احدى التاءين تخفيفا وقيل الاشارة بقوله ما لكم الى قول أبي جهل يوم بدر نحن جميع منتصر ثم أضرب سبحانه عما تقدم الى بيان الحالة التي هم عليها هنالك فقال (بل هم اليوم مستسلمون) أي منقادون لعجزهم عن الحيلة قال قتادة مستسلمون خاضعون في عذاب الله وقال الاخفش ملقون أيديهم يقال استسلم للشيء اذا انقاد له وخضع (وأقبل بعضهم) أي بعض الكفار (على بعض يتساءلون) أي يتلاومون ويتخاصمون فقيل هم الاتباع والرؤساء يسأل بعضهم بعضا سؤال توبيخ وتقريع ومخاصمة قال ابن عباس ذلك اذا بعثوا في النفخة الثانية وقال مجاهد هو قول الكفار للشياطين وقال قتادة هو قول الانس للجن والاول أولى لقوله (قالوا انكم كنتم تأتوننا) في الدنيا (عن اليمين) أي من جهة الحق والدين والطاعة وتصدوننا عنها قال الزجاج كنتم تأتوننا من قبل الدين فتروننا أن الدين والحق ما تضلوننا به واليمين عبارة عن الحق وهذا كقوله تعالى اخبارا عن ابليس ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم قال الواحدي قال أهل المعاني ان الرؤساء كانوا قد حلفوا لهؤلاء الاتباع ان ما يدعونهم اليه هو الحق فوثقوا بأيمانهم فمعنى تأتوننا عن اليمين أي من ناحية الايمان التي كنتم تحلفونها فوثقنا بها قال والمفسرون على القول الاول وقيل المعنى تأتوننا عن اليمين التي نحبها ونتفاءل بها لتغرونا بذلك من جهة النصح والعرب تتفاءل بما جاء عن اليمين وتسميه السانح وقيل اليمين بمعنى القوة أي تمنعوننا بقوة وغلبة وقهر كما في قوله فراغ عليهم ضربا باليمين أي بالقوة وهذه الجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر وكذلك جملة (قالوا بل لم تكونوا مؤمنين) أي قال الرؤساء أو الشياطين لهؤلاء القائلين كنتم تأتوننا عن اليمين بل لم تكونوا مؤمنين ولم نمنعكم من الايمان والمعنى انكم لم تكونوا مؤمنين قط حتى ننقلكم عن الايمان الى الكفر بل كنتم من الاصل على الكفر فأقمتم عليه أجابوا بأجوبة خمسة الاول بل لم تكونوا الخ والثاني قوله (وما كان لنا عليكم من

وحملناه على أعناقنا قال قال حذيفة رضي الله عنه يا ابن أخي والله لو رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت فقال من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم يشترط له النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجع أدخله الله الجنة قال فما قام رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت الينا فقال مثله فما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت الينا فقال من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع يشترط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي (٥١) في الجنة فما قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن لي بد من القيام حين دعاني فقال صلى الله عليه وسلم يا حذيفة فاذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون ولا تحدثن شيئا حتى تأتينا قال فذهبت ودخلت في القوم والريح وجنود الله عز وجل تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قرارا ولا نارا ولا بناء فقام أبو سفيان فقال يا معشر قريش لينظر كل امرئ من جليسه قال حذيفة رضي الله عنه فأخذت بيد الرجل الذي الى جنبي فقلت من أنت فقال أنا فلان بن فلان ثم قال أبو سفيان يا معشر قريش انكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون والله ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فاني مرتحل ثم قام الى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فما أطلق عقاله الا وهو قائم ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الي أن لا تحدث شيئا حتى تأتي لو شئت لقتلته بسهم قال حذيفة رضي الله عنه فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه مرحل فلما رآني أدخلني بين رجليه وطرح علي طرف المرط ثم ركع وسجد واني لفيه فلما سلم أخبرته الخبر وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين الى بلادهم وقد رواه مسلم في صحيحه من حديث الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه قال كنا عند حذيفة بن اليمان رضي الله عنه فقال له رجل لو أدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلت معه وأبليت فقال له حذيفة أنت كنت تفعل ذلك لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاحزاب في ليلة ذات ريح شديدة وقر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا رجل يأتي

بجمع القوم يكون معي يوم القيامة فلم يجبه منا أحد ثم الثانية ثم الثالثة مثله ثم قال صلى الله عليه وسلم يا حذيفة قم فأتنا بخبر من القوم فلم أجد بدا إذ دعاني باسمي أن أقوم فقال ائتني بخبر القوم ولا تذعرهم علي قال فمضيت كأنما أمشي في حمام حتى أتيتهم فإذا أبو سفيان يصلي ظهره بالنار فوضعت سهما في كبد قوسي وأردت أن أرميه ثم ذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تذعرهم علي ولو رميته لأصبته قال فرجعت كأنما أمشي في حمام فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أصابني البرد حين فرغت وقررت فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم وألبسني من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها فلم أزل نائما حتى الصبح فلما أن أصبحت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا نومان ورواه يونس ابن بكير عن هشام بن سعد عن زيد ابن أسلم قال ان رجلا قال لحذيفة رضي الله عنه نشكو إلى الله صحبتكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم انكم أدركتموه ولم ندركه ورأيتموه ولم نره فقال حذيفة رضي الله عنه ونحن نشكو إلى الله إيمانكم به ولم تروه والله لا تدري يا ابن أخي لو أدركته كيف كنت تكون لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الخندق في ليلة باردة مطيرة ثم ذكر نحو ما تقدم مطولا وروى بلال بن يحيى العبسي عن حذيفة رضي الله عنه نحو ذلك أيضا وقد أخرج الحاكم والبيهقي في الدلائل من حديث عكرمة بن عمار عن محمد بن عبد الله الدؤلي عن عبد العزيز ابن أخي حذيفة قال ذكر حذيفة رضي الله عنه مشاهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جلساؤه أما والله لو شهدنا ذلك لكنا فعلنا وفعلنا فقال حذيفة لا تمنوا ذلك لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافون قعودا وأبو سفيان ومن معه من الأحزاب فوقنا وقريظة اليهود أسفل منا نخافهم على ذرارينا وما أتت علينا قط أشد ظلمة ولا أشد ريحا في أصوات ريحها أمثال الصواعق وهي ظلمة ما يرى أحدنا أصبعه فجعل المنافقون يستأذنون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة فما يستأذنه أحد منهم إلا أذن له ويأذن لهم فيتسللون ونحن ثلاثمائة أو نحو ذلك إذ استقبلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا رجلا حتى أتى علي وما علي جنة من العدو ولا من البرد إلا مرط لامرأتي ما يجاوز ركبتي قال فأتاني صلى الله عليه وسلم وأنا جاث على ركبتي فقال من هذا فقلت حذيفة قال حذيفة فتقاصرت الأرض فقلت بلى يا رسول

سلطان) أي قوة وقدرة وتسلط بقهر وغلبة حتى ندخلكم في الكفر ونخرجكم من الإيمان والثالث قوله (بل كنتم قوما طاغين) أي متجاوزين الحد في الكفر والضلال والرابع قوله (فحق علينا) أي وجب علينا وعليكم ولزمنا (قول ربنا) يعنون قوله تعالى لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين (إنا) جميعا (لذائقون) العذاب الذي ورد به الوعيد قال الزجاج أي ان المضل والضال في النار الخامس (فأغويناكم) أي أضللناكم عن الهدى ودعوناكم إلى ما كنا فيه من الغي وزينا لكم ما كنتم عليه من الكفر فاستجبتم لنا باختياركم واستحبابكم الغي على الرشد (إنا كنا غاوين) فلا عتب علينا في تعرضنا لإغوائكم بتلك الدعوة لأنا أردنا أن تكونوا أمثالنا في الغواية ومعنى الآية أقدمنا على إغوائكم لأنا كنا موصوفين في أنفسنا بالغواية فأقروا هاهنا بأنهم تسببوا لإغوائهم لكن لا بطريق القهر والغلبة ونفوا عن أنفسهم فيما سبق أنهم قهروهم وغلبوهم فقالوا وما كان لنا عليكم من سلطان ثم أخبر الله سبحانه عن الأتباع والمتبوعين بقوله (فإنهم يومئذ) أي يوم إذ يتساءلون ويتحاورون ويتخاصمون كما سبق (في العذاب مشتركون) كما كانوا مشتركين في الغواية (إنا كذلك نفعل بالمجرمين) أي بأهل الإجرام وهم المشركون كما يفيده قوله سبحانه (إنهم كانوا إذا قيل لهم) قولوا (لا إله إلا الله يستكبرون) عن القبول وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله وأنزل الله في كتابه وذكر قوما استكبروا فقال انهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون وقال إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله استكبر عنها المشركون يوم الحديبية يوم كاتبهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قضية المدة وعن ابن عباس قال كانوا إذا لم يشرك بالله يستنكفون (ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر) أي لقول شاعر (مجنون) لا يعقل يعنون النبي صلى الله عليه وآله وسلم فحكى الله سبحانه صدقه ورد عليهم بقوله (بل جاء بالحق) يعني القرآن المشتمل على التوحيد والوعد والوعيد (وصدق المرسلين) أي صدقهم

صدقهم فيما جاؤا به من التوحيد والوعيد واثبات الدار الآخرة ولم يخالفهم ولا جاء بشئ لم تأت به الرسل قبله (انكم) بسبب شرككم وتكذيبكم (لذائقوا العذاب الاليم) اى الشديد وفيه التفات من الغيبة الى الخطاب لاظهار كمال الغضب عليهم قرأ الجمهور لذائقوا بحذف النون وخفض العذاب وقرئ بحذفها ونصب العذاب وأجاز سيبويه أيضا والمعنى الصلاة بنصب الصلاة على هذا التوجيه وقد قرئ باثبات النون ونصب العذاب على الاصل ثم بين سبحانه ان ما ذاقوه من العذاب ليس الا بسبب أعمالهم فقال (وما تجزون الا) جزاء (ما) أو عملا (كنتم تعملون) من الكفر والمعاصي ثم استثنى المؤمنين فقال (الا عباد الله المخلصين) قرأ أهل المدينة والكوفة بفتح اللام اى الذين أخلصهم الله لطاعته وتوحيده وقرئ بكسرها أى الذين أخلصوا لله العبادة والتوحيد والاستثناء اما متصل على تقدير تعميم الخطاب في تجزون لجميع المكلفين أو منقطع أى لكن عباد الله المخلصين لا يذوقون العذاب (أولئك) المخلصون (لهم رزق) يرزقهم الله اياه (معلوم) في حسن منظره وطيبه ولذته ورائحته وطعمه وعدم انقطاعه قال قتادة يعني الجنة وقيل معلوم الوقت وهو ان يعطوا منه بكرة وعشيا كما في قوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا اولا نفس الله أعلم وقيل معلوم حصائصه من الدوام وتمحض اللذة وقيل معلوم القدر الذى يستحقونه باعمالهم من ثواب الله تعالى وقيل هو المذكور في قوله بعده (فواكه) فانه بدل من رزق أو هو فواكه وهذا هو الظاهر والفواكه جمع فاكهة وهي الثمار كلها رطبها ويابسها وخص الفواكه بالذكر لان أرزاق أهل الجنة كلها فواكه كذا قيل والاولى ان يقال ان تخصيصها بالذكر لانها أطيب ما يأكلونه وألذ ما تشتهيه أنفسهم وقيل ان الفواكه من اتباع سائر الاطعمة فذكرها اغنى عن ذكر غيرها (وهم مكرمون) في محل نصب على الحال اى ولهم من الله عز وجل اكرام عظيم برفع درجاتهم عنده وسماع كلامه ولقائه في الجنة أو مكرمون في نيل ثواب يصل اليهم من غير تعب وسؤال كما عليه رزق الدنيا قرئ مكرمون بتخفيف الراء وتشديدها (في جنات النعيم على سرر متقابلين) قال عكرمة ومجاهد معنى التقابل انه لا ينظر بعضهم في قفا بعضهم تواصلا وتحابا وقيل انها تدور بهم الاسرة كيف شاؤا فلا يرى بعضهم قفا بعض قرأ الجمهور سرر بضم الراء وقرئ بفتحها وهي لغة بعض تميم قيل على سرر مكللة بالدر والياقوت والزبرجد والسرير

الله كراهية ان اقوم فقمت فقال انه كائن في القوم خبر فائتني بخبر القوم قال وأناس أشد الناس فرعا وأشدهم قرا قال فخرجت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته قال فوالله ما خلق الله تعالى فرعا ولا قرا في جوفي الا خرج من جوفي فما أجد فيه شيأ قال فلما وليت قال صلى الله عليه وسلم يا حذيفة لا تحدثن في القوم شيأ حتى تأتيني قال فخرجت حتى اذا دنوت من عسكر القوم نظرت في ضوء نار لهم توقد فاذا رجل أدهم ضخم يقول بيده على النار ويمسح خاصرته ويقول الرحيل الرحيل ولم أكن أعرف أبا سفيان قبل ذلك فانتزعت سهما من كنانتي أبيض الريش فأضعه في كبد قوسي لارميه به في ضوء النار فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحدثن فيهم شيأ حتى تأتيني قال فامسكت ورددت سهمي الى كنانتي ثم اني شجعت نفسي حتى دخلت العسكر فاذا أدنى الناس مني بنو عامر يقولون يا آل عامر الرحيل الرحيل لا مقام لكم واذا الريح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبرا فوالله اني لاسمع صوت الحجارة في رحالهم وفرشهم الريح تضربهم بها ثم خرجت نحو النبي صلى الله عليه وسلم فلما انتصفت في الطريق أو نحوا من ذلك اذا أنا بنحو من عشرين فارسا أو نحو ذلك معتمين فقالوا أخبر صاحبك ان الله تعالى كفاه القوم فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مشتمل في شملة يصلي فوالله ما عدا أن رجعت راجعني القر وجعلت اقرقف فأومأ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وهو يصلي فدنوت منه فاسبل على شملة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر صلى فاخبرته خبر القوم وأخبرته اني تركتهم يرتحلون وأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا وأخرج أبو داود في سننه منه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر صلى من حديث عكرمة بن عمار به وقوله تعالى اذ جاؤكم من فوقكم أى الاحزاب ومن أسفل منكم تقدم عن حذيفة رضي الله عنه انهم بنو قريظة واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر أى من شدة الخوف والفزع وتظنون بالله الظنونا قال ابن جرير ظن بعض من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدائرة على المؤمنين وان الله سيفعل ذلك وقال محمد بن اسحق في قوله تعالى واذ زاغت الابصار وبلغت

القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يقدر على أن يذهب إلى الغائط وقال الحسن في قوله عز وجل (وتظنون بالله الظنونا) ظنون مختلفة ظن المنافقون أن محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه يستأصلون وأيقن المؤمنون أن ما وعد الله ورسوله حق وأنه سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام الأنصاري حدثنا أبو عامر ح وحدثنا أبي حدثنا أبو عامر العقدي حدثنا الزبير يعني (٥٤) ابن عبد الله مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه عن ربيح بن عبد الرحمن ابن أبي سعيد عن أبيه عن أبي سعيد رضي الله عنه قال قلنا يوم الخندق يا رسول الله هل من شيء نقول فقد بلغت القلوب الحناجر قال صلى الله عليه وسلم نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا قال فضرب وجوه أعدائه بالريح فهزمهم بالريح وكذا رواه الإمام أحمد بن حنبل عن أبي عامر العقدي (هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا) يقول تعالى مخبرا عن ذلك الحال حين نزلت الأحزاب حول المدينة والمسلمون محصورون في غاية الجهد والضيق ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم أنهم ابتلوا واختبروا وزلزلوا زلزالا شديدا فحينئذ ظهر النفاق وتكلم الذين في قلوبهم مرض بما في أنفسهم وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا أما المنافق فنجم نفاقه والذي في قلبه شبهة أو حسيكة لضعف حاله فتنفس بما لأن يجده من الوسواس في نفسه لضعف إيمانه وشدة ما هو فيه من ضيق الحال وقوم آخرون قالوا كما قال الله تعالى وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب يعني المدينة كما جاء في الصحيح أريت في المنام دار هجرتكم أرض بين حرتين فذهب وهلي أنها هجر فإذا هي يثرب وفي لفظ المدينة فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن مهدي حدثنا صالح بن عمر عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن البراء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله تعالى إنما هي طابة هي طابة

ما بين صنعاء إلى الجابية وما بين عدن إلى أيلة وقيل تدور بأهل المنزل الواحد والله أعلم ذكره القرطبي ثم ذكر سبحانه صفة أخرى لهم فقال (يطاف عليهم بكأس) مستأنفة جواب سؤال مقدر أو في محل نصب على الحال والكأس عند أهل اللغة اسم شامل لكل إناء فيه الشراب فإن كان فارغا فليس بكأس وقد تسمى الخمر نفسها كأسا تسمية للشيء باسم محله قال الشاعر

وكأس شربت على لذة ... وأخرى تداويت منها بها

وقال الضحاك والسدي كل كأس في القرآن فهي الخمر قال النحاس وحكى من يوثق به من أهل اللغة أن العرب تقول للقدح إذا كان فيه خمر كأس فإذا لم يكن فيه خمر فهو قدح كما يقال للخوان إذا كان عليه طعام مائدة فإذا لم يكن عليه طعام لم تقل له مائدة (من معين) صفة لكأس قال الزجاج أي من خمر تجري كما تجري العيون على وجه الأرض ظاهرة تراها العيون والمعين الماء الجاري وقوله (بيضاء لذة للشاربين) صفتان لكأس قال الزجاج أي ذات لذة فحذف المضاف ويجوز أن يكون الوصف بالمصدر لقصد المبالغة في كونها لذة ولا يحتاج إلى تقدير المضاف قال الحسن خمر الجنة أشد بياضا من اللبن لها لذة لذيذة يقال شراب لذ ولذيذ كما يقال نبات غض وغضيض واللذيذ كل شيء مستطاب وقيل البيضاء هي التي لم تعتصرها الرجال ثم وصف هذه الكأس من الخمر بغير ما يتصف به خمر الدنيا فقال (لا فيها غول) أي لا تغتال عقولهم فتذهب بها ولا يصيبهم منها مرض ولا صداع قال الفراء العرب تقول ليس فيها غيلة وغائلة وغول سواء وقال أبو عبيدة الغول أن تغتال عقولهم وقال الواحدي الغول حقيقته الإهلاك يقال غاله غولا واغتاله أي أهلكه والغول كل ما اغتالك أي أهلكك ومنه الغول بالضم شيء توهمته العرب ولها فيه أشعار كالعنقاء (ولا هم عنها ينزفون) أي يسكرون يقال نزف الشارب فهو منزوف ونزيف إذا سكر قرأ الجمهور ينزفون مبنيا للمفعول وقرئ بضم الياء وكسر الزاي من أنزف الرجل إذا ذهب عقله من السكر فهو نزيف ومنزوف ومنزف يقال أحصد الزرع إذا آن حصاده وأقطف الكرم إذا حان قطافه قال الفراء من كسر الزاي فله معنيان يقال أنزف الرجل إذا فنيت خمره وأنزف إذا ذهب عقله من السكر وتحمل هذه القراءة على معنى لا ينفد شرابهم لزيادة الفائدة قال النحاس والقراءة الأولى أبين وأصح في المعنى

تفرد به الامام أحمد وفي اسناده ضعف والله أعلم ويقال انما كان أصل تسميتها يثرب برجل نزلها من العماليق يقال له يثرب بن عبيد ابن مهلاييل بن عوص بن عملاق بن لاوذ بن آدم بن سام بن نوح قاله السهيلي قال وروي عن بعضهم انه قال ان لها في التوراة أحد عشر اسما المدينة وطابة وطيبة والجابرة والمحبة والمحبوبة والقاصمة والمجبورة والعذراء والمرحومة وعن كعب الاحبار قال انا نجد في التوراة يقول الله تعالى للمدينة ياطيبة وياطابة ويامسكينة لاتبتلي الكنوز أرفع أجاجرك على أجاجر القرى وقوله لامقام لكم أي ههنا يعنون عند النبي صلى الله عليه وسلم في مقام المرابطة فارجعوا أي الى بيوتكم ومنازلكم ويستأذن فريق منهم النبي قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما هم بنو حارثة قالوا بيوتنا نخاف عليها السرق وكذا قال غير واحد وذكر ابن اسحق ان القائل لذلك هو أوس بن قيظي يعني اعتذروا في الرجوع الى منازلهم بانها عورة أي ليس دونها مايحجبها من العدو فهم يخشون عليهم منهم قال الله تعالى وماهي بعورة أي ليس كما يزعمون ان يريدون الافرارا أي هربا من الزحف (ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وماتلبثوا بها الايسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لايولون الادبار وكان عهد الله مسئولا قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذا لاتمتعون الا قليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوأ او اراد بكم رحمة ولايجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) يخبر تعالى عن هؤلاء الذين يقولون ان بيوتنا عورة وماهي بعورة ان يريدون الافرارا أنهم لو دخل عليهم الاعداء من كل جانب من جوانب المدينة وقطر من أقطارها ثم سئلوا الفتنة وهي الدخول في الكفر لكفروا سريعا وهم لايحافظون على الايمان ولايستمسكون به مع أدنى خوف وفزع هكذا فسرها قتادة وعبد الرحمن بن زيد وابن جرير وهذا ذم لهم في غاية الذم ثم قال تعالى يذكرهم بما كانوا عاهدوا الله من قبل هذا الخوف ان لايولوا الادبار ولايفرون من الزحف وكان عهد الله مسئولا أي وان الله تعالى سيسألهم عن ذلك العهد لابد من ذلك ثم أخبرهم ان فرارهم ذلك لايؤخر آجالهم ولايطول أعمارهم بل ربما كان ذلك سببا في تعجيل أخذهم غرة ولهذا قال تعالى واذا لاتمتعون الاقليلا أي بعد هربكم وفراركم قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ثم قال تعالى قل من ذا الذي

لان معنى ينزفون عند جمهور المفسرين لاتذهب عقولهم فنفى الله سبحانه عن خمر الجنة الآفات التي تلحق في الدنيا من خمرها من الصداع والسكر وقال الزجاج وأبو علي الفارسي معنى لاينزفون بكسر الزاي لايسكرون قال المهدوي لايكون معنى ينزفون يسكرون لان قبله لافيها غول أي لاتغتال عقولهم فيكون تكريرا وهذا يقوي ما قاله قتادة ان الغول وجع البطن وكذا روى ابن أبي نجيح عن مجاهد وقال الحسن ان الغول الصداع وبه قال ابن عباس وقال ابن كيسان هو المغص فيكون معنى الآية لايكون فيها نوع من أنواع الفساد المصاحبة لشرب الخمر في الدنيا من مغص أو وجع بطن أو صداع أو عربدة أو لغو أو تأثيم ولاهم يسكرون منها ويؤيد هذا ان أصل الغول الفساد الذي يلحق في خفاء يقال اغتاله اغتيالا اذا أفسد عليه أمره في خفية ومنه الغول والغيلة القتل خفية وقرئ ينزفون بفتح الياء وكسر الزاي وقرئ بفتح الياء وضم الزاي عن ابن عباس قال في الخمر أربع خصال السكر والصداع والقيء والبول فنزه الله خمر الجنة عنها فقال لافيها غول أي لاتغول عقلهم من السكر ولاهم عنها ينزفون قال لايقيئون عنها كما يقيء صاحب خمر الدنيا عنها وعنه قال هي الخمر ليس فيها وجع بطن قال في الهود ذكر أولا الرزق وهو ماتلذذ به الاجسام وثانيا الاكرام وهو ماتلذذ به النفوس ثم ذكر المحل الذي هم فيه وهو جنات النعيم ثم أشرف المحل وهو السرر ثم لذة التأنس بان بعضهم مقابل بعضا وهو أتم السرور وآنسه ثم المشروب وانهم لايتناولون ذلك بأنفسهم بل يطاف عليهم بالكؤس ثم وصف مايطاف عليهم به من الطيب وانتفاء المفاسد ثم ذكر تمام النعمة الجسمانية وختمها كما بدأ باللذة الجسمانية من الرزق وهي أبلغ الملاذ وهي التأنس بالنساء فقال (وعندهم قاصرات الطرف) أي نساء حابسات الاعين غاضات العيون قصرن طرفهن على أزواجهن فلايردن غيرهم والقصر معناه الحبس وقيل القاصرات المحبوسات على أزواجهن والاول أولى لانه قال قاصرات الطرف ولم يقل مقصورات (عين) أي عظام العيون جمع عيناء وهي الواسعة العين والذكر أعين قال الزجاج معنى عين كبار الاعين حسانها وقال مجاهد العين حسان العيون عظام المقلة وقيل نجل العيون بضم النون جمع نجلاء وهي التي اتسع شقها سعة غير مفرطة وقال الحسن هن الشديدات بياض العين الشديدات سوادها والاول أولى (كأنهن بيض) جمع بيضة وهو معروف

يعصمكم من الله أي يمنعكم إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً أي ليس لهم ولا لغيرهم من دون الله مجير ولا مغيث (قد يعلم الله المعوّقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلاً أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً) يخبر تعالى عن إحاطة علمه بالمعوّقين لغيرهم عن شهود الحرب والقائلين لإخوانهم أي أصحابهم وعشائرهم وخلطائهم هلم إلينا أي إلى ما نحن فيه من الإقامة في الظلال والثمار وهم مع ذلك لا يأتون البأس إلا قليلاً أشحة عليكم أي بخلاء بالمودة والشفقة عليكم وقال السدي أشحة عليكم أي في الغنائم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت أي من شدة خوفه وجزعه وهكذا خوف هؤلاء الجبناء من القتال فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أي فإذا كان الأمن تكلموا كلاماً بليغاً فصيحاً عالياً وادعوا لأنفسهم المقامات العالية في الشجاعة والنجدة وهم يكذبون في ذلك وقال ابن عباس رضي الله عنهما سلقوكم أي استقبلوكم وقال قتادة أما عند الغنيمة فأشح قوم وأسوأه مقاسمة أعطونا أعطونا قد شهدنا معكم وأما عند البأس فأجبن قوم وأخذله للحق وهم مع ذلك أشحة على الخير أي ليس فيهم خير قد جمعوا الجبن والكذب وقلة الخير فيهم كما قال في أمثالهم الشاعر

أفي السلم أعيار جفاء وغلظة
وفي الحرب أمثال النساء العوارك

أي في حال المسالمة كأنهم الحمر والأعيار جمع عير وهو الحمار وفي الحرب كأنهم النساء الحيض ولهذا قال تعالى أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً أي سهلاً هيناً عنده (يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلاً) وهذا أيضاً من صفاتهم القبيحة في الجبن والخور والخوف يحسبون الأحزاب لم يذهبوا بل هم قريب منهم وإن لهم عودة إليهم وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم أي ويودون إذا جاءت الأحزاب أنهم لا يكونون حاضرين معكم في المدينة بل في البادية يسألون عن أخباركم وما كان من أمركم مع

(مكنون) أي مصون مستور من كننته إذا جعلته في كن قال الحسن وابن زيد شبهن ببيض النعام تكنها النعامة بالريش من الريح والغبار فلونه أبيض في صفرة وهو أحسن ألوان النساء عند العرب والأبدان أحسنها عند العجم والروم الأبيض المشرب بحمرة وقال سعيد بن جبير والسدي شبهن ببطن البيض قبل أن يقشر وتمسه الأيدي وبه قال ابن جرير قال المبرد وتقول العرب إذا وصفت الشيء بالحسن والنظافة كأنه بيض النعام المغطى بالريش وقيل المكنون المصون عن الكسر أي أنهن عذارى وقيل المراد بالبيض اللؤلؤ كما في قوله وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون والأول أولى وإنما قال مكنون ولم يقل مكنونات لأنه وصف البيض باعتبار اللفظ وعن ابن عباس في قوله كأنهن بيض مكنون قال اللؤلؤ المكنون وعنه قال بطن البيضة ينزع عنها فوقها وغشاؤها (فأقبل بعضهم على بعض) يعني أهل الجنة في الجنة (يتساءلون) أي يسأل هذا ذاك وذاك هذا حال شربهم عن أحوالهم التي كانت في الدنيا وما جرى لهم وما عملوه وذلك من تمام نعيم الجنة والتقدير فيقبل بعضهم على بعض وإنما عبر عنه بالماضي للتأكيد والدلالة على تحقق وقوعه قيل المعنى يشربون ويتحادثون على الشراب كعادة الشراب قال الشاعر

فما بقيت من اللذات إلا ۞ أحاديث الكرام على المدام

(قال قائل منهم) أي من أهل الجنة في حال إقبال بعضهم على بعض بالحديث وسؤال بعضهم لبعض (إني كان لي قرين) أي صاحب ملازم لي في الدنيا كافر بالبعث منكر له قيل كان قرينه شيطاناً وقيل كان من الإنس وقيل كانا أخوين وقيل كانا شريكين أحدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وهما اللذان قص الله خبرهما في سورة الكهف في قوله واضرب لهم مثلاً رجلين والأول أولى (يقول) لي (أئنك لمن المصدقين) بالبعث والجزاء وهذا الاستفهام من القرين لتوبيخ ذلك المؤمن وتبكيته بإيمانه وتصديقه بما وعد الله به من البعث وكان هذا القول منه في الدنيا قرأ الجمهور مصدقين بتخفيف الصاد من التصديق أي لمن المصدقين بالبعث وقرئ بتشديدها ولا أدري من قرأها ومعناها بعيد لأنها من التصدق لا من التصديق ويمكن تأويلها بأنه أنكر عليه التصدق بماله لطلب الثواب وعلل ذلك باستبعاد البعث ثم ذكر ما يدل على الاستبعاد للبعث عنده وفي زعمه فقال (أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمدينون) أي مجزيون بأعمالنا ومحاسبون

عدوكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا أي ولو كانوا بين أظهركم لما قاتلوا معكم إلا قليلا لكثرة جبنهم وذلتهم وضعف يقينهم والله سبحانه وتعالى العالم بهم (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما) هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره

الفرج من ربه عز وجل صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين ولهذا قال تعالى للذين تقلقوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة أي هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال تعالى لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ثم قال تعالى مخبرا عن عباده المؤمنين المصدقين بموعود الله لهم وجعله العاقبة حاصلة لهم في الدنيا والآخرة فقال تعالى ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة يعنون قوله تعالى في سورة البقرة أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب أي هذا ما وعدنا الله ورسوله من الابتلاء والاختبار والامتحان الذي يعقبه النصر القريب ولهذا قال تعالى وصدق الله ورسوله وقوله تعالى وما زادهم

إلا إيمانا وتسليما دليل على زيادة الإيمان وقوته بالنسبة إلى الناس وأحوالهم كما قال جمهور الأئمة إنه يزيد وينقص وقد قررنا ذلك في أول شرح البخاري ولله الحمد والمنة ومعنى قوله جلت عظمته وما زادهم أي ذلك الحال والضيق والشدة إلا إيمانا بالله وتسليما أي انقيادا لأوامره وطاعة لرسوله صلى الله عليه وسلم (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفورا رحيما) لما ذكر عز وجل عن المنافقين أنهم نقضوا العهد الذي كانوا عاهدوا الله عليه لا يولون الأدبار وصف المؤمنين بأنهم

ومحاسبون بها بعد أن صرنا ترابا وعظاما وقيل معنى مدينون مسوسون يقال دانه إذا ساسه وقد اختلف القراء في هذه الاستفهامات الثلاثة فقرأ نافع الأولى والثانية بالاستفهام بهمزة والثالثة بكسر الألف من غير الاستفهام ووافقه الكسائي إلا أنه يستفهم الثالثة بهمزتين وابن عامر الأولى والثالثة بهمزتين والثانية بكسر الألف من غير استفهام والباقون بالاستفهام في جميعها ثم اختلفوا فابن كثير يستفهم بهمزة واحدة غير مطولة وبعدها ساكنة خفيفة وأبو عمرو مطولة وعاصم وحمزة بهمزتين (قال هل أنتم مطلعون) القائل هو المؤمن الذي في الجنة بعد ما حكى لجلسائه فيها ما قاله له قرينه في الدنيا أي هل أنتم يا إخواني مطلعون إلى أهل النار لأريكم ذلك القرين الذي قال لي تلك المقالة كيف منزلته في النار وقيل أهل الجنة أنت أعرف به منا قال ابن الأعرابي والاستفهام هو بمعنى الأمر أي اطلعوا وقيل القائل هو الله سبحانه وقيل الملائكة والأول أولى وقرأ الجمهور مطلعون بتشديد الطاء مفتوحة وبفتح النون فاطلع ماضيا مبنيا للفاعل من الطلوع وقرأ ابن عباس ورويت هذه القراءة عن أبي عمرو مطلعون بسكون الطاء وفتح النون فأطلع بقطع الهمزة مضمومة وكسر اللام ماضيا مبنيا للمفعول وقرئ مطلعون بتخفيف الطاء وكسر النون فأطلع مبنيا للمفعول وأنكرها أبو حاتم وغيره قال النحاس هي لحن لأنه لا يجوز الجمع بين النون والإضافة ولو كان مضافا لقال هل أنتم مطلعي وإن كان سيبويه والفراء قد حكيا مثله ولكنه شاذ خارج عن كلام العرب (فاطلع فرآه في سواء الجحيم) أي فاطلع ذلك المؤمن على النار الذي صار يحدث أصحابه في الجنة بما قال له قرينه في الدنيا فرأى قرينه في وسط الجحيم وقال الزجاج سواء كل شيء وسطه قال النحاس فاطلع فيه قولان أحدهما أن يكون فعلا مستقبلا أي فأطلع أي أنا والثاني أن يكون فعلا ماضيا أي المؤمن قال ابن مسعود في الآية اطلع ثم التفت إلى أصحابه فقال لقد رأيت جماجم القوم تغلي قال ابن عباس إن في الجنة كوى ينظر منها أهلها إلى النار جمع كوة وهي الثقب في الحائط وهي بفتح الكاف وضمها وفي الجمع وجهان كسرها وضمها لكن مع الكسر يصح المد والقصر ومع الضم يتعين القصر (قال) ذلك الذي من أهل الجنة لما اطلع على قرينه ورآه في النار (تالله إن كدت لتردين) أي لتهلكني بالإغواء وفيه معنى التعجب قال الكسائي الردى الهلاك قال المبرد لو قيل لتردين لتوقعني في النار

استمروا على العهد والميثاق وصدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه قال بعضهم أجله وقال البخاري عهده وهو يرجع الى الاول ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا أى وما غيروا عهد الله ولا نقضوه ولا بدلوه قال البخاري حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه قال لما نسخنا المصحف فقدت آية من سورة الاحزاب كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها لم أجدها مع أحد الا مع خزيمة بن ثابت الانصاري رضي الله عنه الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه انفرد به البخاري دون مسلم وأخرجه أحمد في مسنده والترمذي والنسائي في التفسير من سننهما من حديث الزهري به وقال الترمذي حسن صحيح وقال البخاري أيضا حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد ابن عبد الله الانصاري حدثني أبي عن ثمامة عن انس بن مالك رضي الله عنه قال نرى هذه الآية نزلت في أنس بن النضر رضي الله عنه من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية انفرد به البخاري من هذا الوجه ولكن له شواهد من طرق أخر قال الامام احمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت قال قال انس عمي انس بن النضر رضي الله عنه سميت به لم يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فشق عليه وقال اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه لئن أراني الله تعالى مشهدا فيما بعد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله عز وجل ما اصنع قال فهاب ان يقول غيرها فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد فاستقبل سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال له انس رضي الله عنه يا أبا عمرو الى اين واها لريح الجنة اني اجده دون أحد قال فقاتلهم حتى قتل رضي الله عنه قال فوجد في جسده بضع وثمانون من ضربة وطعنة ورمية فقالت اخته عمتي الربيع ابنة النضر فما عرفت اخي الا ببنانه قال فنزلت هذه الآية من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا قال فكانوا يرون انها نزلت فيه وفي أصحابه رضي الله عنهم ورواه مسلم والترمذي والنسائي من حديث سليمان بن المغيرة به ورواه النسائي أيضا وابن جرير من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن انس رضي الله عنه به نحوه وقال ابن أبي حاتم حدثنا احمد بن سنان حدثنا يزيد بن هرون حدثنا حميد عن

لكان جائزا قال مقاتل المعنى والله لقد كدت أن تغويني فأنزل منزلتك والمعنى متقارب فمن أغوى انسانا فقد أهلكه (ولولا نعمة ربي) أى رحمته وانعامه على بالاسلام وهدايتي الى الحق وعصمتي عن الضلال (لكنت) معك في النار (من المحضرين) قال الماوردي ولا يستعمل أحضر الا في الشر ولما تم كلامه مع ذلك القرين الذي هو في النار عاد الى مخاطبة جلسائه من أهل الجنة فقال (أفما نحن بميتين) الهمزة للاستفهام التقريري وفيها معنى التعجب والفاء للعطف على محذوف كما في نظائره أى أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين وقرأ زيد بن على بمائتين قال ابن عباس في الآية قول الله لاهل الجنة كلوا واشربوا هنيأ بما كنتم تعملون قال هنيأ أى لا تموتون فيها فعند ذلك قالوا أفما نحن بميتين الى قوله الفوز العظيم وقيل هذا السؤال من أهل الجنة للملائكة حين ذبح الموت وقيل من قولهم توبيخا للكفار لما كانوا ينكرونه من البعث وانه ليس الا الموت في الدنيا والاول أولى (الا موتتنا الاولى) التي كانت في الدنيا وقوله هذا كان على طريقة الابتهاج والسرور بما أنعم الله عليهم من نعيم الجنة الذي لا ينقطع وانهم مخلدون لا يموتون أبدا والاستثناء مفرغ وقيل منقطع بمعنى لكن (وما نحن بمعذبين) كما يعذب الكفار ثم قال مشيرا الى ما هم فيه من النعيم (ان هذا) الامر العظيم والنعيم المقيم والخلود الدائم الذي نحن فيه (لهو الفوز العظيم) الذي لا يقادر قدره ولا يمكن الاحاطة بوصفه (لمثل) أى لنيل مثل (هذا) العطاء والفضل العظيم (فليعمل العاملون) فان هذه هي التجارة الرابحة لا العمل للدنيا الزائلة وحظوظها المشوبة بالآلام السريعة الانصرام فانها صفقة خاسرة نعيمها منقطع وخيرها زائل وصاحبها عن قريب منها راحل وهذا من تمام كلامه وقيل ان هذا من قول الله سبحانه قاله ابن عباس وقيل من قول الملائكة والاول أولى وأخرج ابن مردويه عن البراء بن عازب قال كنت امشي مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده في يدي فرأى جنازة فأسرع المشي حتى أتى القبر ثم جثا على ركبتيه فجعل يبكي حتى بل الثرى ثم قال لمثل هذا فليعمل العاملون واخرج ابن مردويه عن انس قال دخلت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم على مريض يجود بنفسه فقال لمثل هذا فليعمل العاملون (أذلك) الذي ذكره من نعيم الجنة وهو مبتدأ وخبره (خير) و(نزلا) تمييز والنزل في أصل اللغة الفضل والريع فاستعير للحاصل من الشيء والرزق

الذي

انس رضي الله عنه قال ان عمه يعني انس بن النضر رضي الله عنه غاب عن قتال بدر فقال غبت عن أول قتال قاتله رسول الله صلى الله
عليه وسلم المشركين لئن اشهدني الله عز وجل قتالا للمشركين ليرين الله تعالى ما اصنع قال فلما كان يوم احد انكشف المسلمون
وقال اللهم اني أعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعني اصحابه وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء يعني المشركين ثم تقدم فلقيه سعد يعني ابن معاذ
رضي الله عنه دون احد فقال انا معك قال سعد رضي الله عنه فلم استطع ان اصنع ما صنع فلما قتل قال فوجد فيه بضع وثمانون
ضربة سيف وطعنة رمح ورمية سهم وكانوا يقولون فيه وفي أصحابه نزلت فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر

الذي يصلح ان ينزلوا معه ويقيموا فيه والخير به بالنسبة الى ما اختاره الكفار على غيره والمعنى قل يا محمد لقومك على سبيل التوبيخ والتبكيت والتهكم أذلك الرزق المعلوم الذي حاصله اللذة والسرور خير نزلا (أم شجرة الزقوم) أي التي حاصلها الالم والغم قال الزجاج المعنى أذلك خير في باب الانزال التي يتقوت بها ام نزل اهل النار وهو الزقوم وهو ما يكره تناوله قال الواحدي وهو شيء مر كريه يكره اهل النار على تناوله فهم يتزقمونه فهي على هذا مشتقة من التزقم وهو البلع على جهد لكراهتها ونتنها واختلف فيها اهل هي من شجر الدنيا التي تعرفها العرب ام لا على قولين احدهما انها معروفة من شجر الدنيا فقال قطرب انها شجرة مرة كريهة الرائحة يكون بتهامة من اخبث الشجر وقال غيره بل هو كل نبات قاتل وقيل شجرة مسمومة متى مسها جسد أحد تورم فمات والاضافة من اضافة المسمى الى الاسم القول الثاني انها غير معروفة في شجر الدنيا وقيل انه قال ابن الزبعرى لصناديد قريش ان محمدا يخوفنا بالزقوم وهي بلسان بربر الزبد والتمر وقيل هي بلغة اهل اليمن قال قتادة لما ذكر الله هذه الشجرة افتتن بها الظلمة فقالوا كيف يكون في النار شجرة فانزل الله تعالى (انا جعلناها فتنة للظالمين) قال الزجاج اي حين افتتنوا بها وكذبوا بوجودها ولم يعلموا أن من قدر على خلق حيوان وهو السمندل يعيش في النار ويتلذذ بها قدر على خلق الشجر في النار وحفظه منها وقيل معنى جعلها فتنة لهم أنها محنة لهم لكونهم يعذبون بها والمراد بالظالمين هنا الكفار أو أهل المعاصي الموجبة للنار ثم بين سبحانه أوصاف هذه الشجرة ردا على منكريها فقال (انها شجرة تخرج) أي تنبت (في أصل الجحيم) أي في قعرها وأسفلها قال الحسن أصلها في قعر جهنم وأغصانها ترفع الى دركاتها أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال مر أبو جهل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو جالس فلما بعد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى فلما سمع أبو جهل قال من توعد يا محمد قال اياك قال بم توعدني قال أوعدك بالعزيز الكريم فقال أبو جهل أليس أنا العزيز الكريم فأنزل الله ان شجرة الزقوم طعام الأثيم الى قوله ذق انك أنت العزيز الكريم فلما بلغ أبا جهل ما نزل فيه جمع أصحابه فأخرج اليهم زبدا وتمرا فقال تزقموا من هذا فوالله ما يتوعدكم محمد الا بهذا فأنزل الله انها شجرة تخرج في أصل الجحيم الآية وعنه قال لو أن قطرة من زقوم جهنم أنزلت الى الارض لأفسدت على الناس معايشهم ثم قال الله

واخرجه الترمذي في التفسير عن عبد بن حميد والنسائي فيه أيضا عن اسحق بن ابراهيم كلاهما عن يزيد ابن هرون به وقال الترمذي حسن وقد رواه البخاري في المغازي عن حسان بن حسان عن محمد بن طلحة عن مصرف عن حميد عن انس رضي الله عنه به ولم يذكر نزول الآية ورواه ابن جرير من حديث المعتمر بن سليمان عن حميد عن أنس رضي الله عنه وقال ابن ابي حاتم حدثنا احمد بن الفضل العسقلاني حدثنا سليمان بن ايوب بن سليمان حدثنا عيسى بن موسى بن طلحة بن عبيد الله حدثني ابي عن جدي عن موسى بن طلحة عن ابيه طلحة رضي الله عنه قال لما ان رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد صعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه وعزى المسلمين بما أصابهم وأخبرهم بما لهم فيه من الاجر والذخر ثم قرأ هذه الآية من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه الآية كلها فقام اليه رجل من المسلمين فقال يا رسول الله من هؤلاء فأقبلت
وعلي ثوبان أخضران حضرميان فقال أيها السائل هذا منهم وكذا رواه ابن جرير من حديث سليمان بن أيوب الطلحي به وأخرجه
الترمذي في التفسير والمناقب أيضا وابن جرير من حديث يونس بن بكير عن طلحة بن يحيى عن موسى وعيسى ابني طلحة عن ابيهما
رضي الله عنه به وقال حسن غريب لا نعرفه الا من حديث يونس وقال ايضا حدثنا احمد بن عصام الانصاري حدثنا أبو عامر يعني
العقدي حدثني اسحق يعني ابن طلحة بن عبيد الله عن موسى بن طلحة قال دخلت على معاوية رضي الله عنه فلما خرجت دعاني
فقال الا أضع عندك يا ابن أخي حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

طلحة ممن قضى نحبه ورواه ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عبد الحميد الحماني عن اسحق بن يحيى بن طلحة الطلحي عن موسى بن طلحة قال قام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فقال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول طلحة ممن قضى نحبه ولهذا قال مجاهد في قوله تعالى فمنهم من قضى نحبه يعني عهده ومنهم من ينتظر قال يوما فيه القتال فيصدق في اللقاء وقال الحسن فمنهم من قضى نحبه يعني موته على الصدق والوفاء ومنهم من ينتظر الموت على مثل ذلك ومنهم من لم يبدل تبديلا وكذا قال قتادة وابن زيد وقال بعضهم نحبه نذره وقوله تعالى وما (٦٠) بدلوا تبديلا أي وما غيروا عهدهم وبدلوا الوفاء بالغدر بل استمروا على ما عاهدوا الله عليه وما نقضوه كفعل المنافقين الذين قالوا ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وقوله تعالى ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم اي انما يختبر عباده بالخوف والزلزال ليميز الخبيث من الطيب فيظهر أمر هذا بالفعل وأمر هذا بالفعل مع انه تعالى يعلم الشيء قبل كونه ولكن لا يعذب الخلق بعلمه فيهم حتى يعملوا بما يعلمه منهم كما قال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم فهذا علم بالشيء بعد كونه وان كان العلم السابق حاصلا به قبل وجوده وكذا قال تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولهذا قال تعالى ههنا ليجزي الله الصادقين بصدقهم اي بصبرهم على ما عاهدوا الله عليه وقيامهم به ومحافظتهم عليه ويعذب المنافقين وهم الناقضون لعهد الله المخالفون لأوامره فاستحقوا بذلك عقابه وعذابه ولكن هم تحت مشيئته في الدنيا ان شاء استمر بهم على ما فعلوا حتى لالى يلقوه به فيعذبهم عليه وان شاء تاب عليهم بان أرشدهم الى النزوع عن النفاق الى الايمان والعمل الصالح بعد الفسوق ولما كانت رحمته ورأفته تبارك وتعالى بخلقه هي الغالبة لغضبه جل جلاله قال تعالى ان الله كان غفورا رحيما (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا) يقول تعالى مخبرا عن الاحزاب لما اجلاهم عن المدينة بما أرسل عليهم من الريح والجنود الالهية ولولا ان الله تعالى جعل رسوله رحمة للعالمين لكانت هذه الريح عليهم أشد من الريح العقيم على عاد

تعالى (طلعها) الطلع حقيقة اسم لثمر النخل أول بروزه فاطلاقه على ثمر هذه الشجرة مجاز بالاستعارة والمعنى ثمرها وما تحمله (كأنه) في تناهي قبحه وهوله وشناعة منظره (رؤس الشياطين) فشبه المحسوس بالمتخيل وان كان غير مرئي للدلالة على انه غاية في القبح كما يقولون في تشبيه من يستقبحونه كأنه شيطان وفي تشبيه من يستحسنونه كأنه ملك كما في قوله تعالى ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم قال الزجاج والفراء الشياطين حيات هائلة لها رؤس وأعراف وهي من أقبح الحيات وأخبثها وأخفها جسما وقيل ان رؤس الشياطين اسم لنبت قبيح معروف باليمن يقال له الاستن ويقال له الشيطان قال النحاس وليس ذلك معروفا عند العرب وقيل هو شجر خشن منتن مر منكر الصورة يسمى ثمره رؤس الشياطين وقيل هو شجر يقال له الصرم فعلى هذا قد خوطب العرب بما تعرفه وهذه الشجرة موجودة فالكلام حقيقة وقيل انه خاطبهم بما ألفوه من الاستعارات (فانهم لآكلون) لشدة جوعهم أو لقهرهم على الاكل (منها) أي من الشجرة أو من طلعها والتأنيث لاكتساب الطلع التأنيث من اضافته الى الشجرة (فمالئون منها البطون) وذلك انهم يكرهون على أكلها حتى تمتلئ بطونهم فهذا طعامهم وفاكهتهم بدل رزق أهل الجنة (ثم ان لهم عليها) أي على الشجرة بعد الاكل منها (لشوبا من حميم) الشوب الخلط قال الفراء يقال شاب طعامه وشرابه اذا خلطهما بشيء يشوبهما شوبا وشيابة وقال ابن عباس شوبا مزجا أي يخالط طعامهم ويشاب بالحميم وهو الماء الحار فأخبر الله سبحانه أنه يشاب لهم طعامهم من تلك الشجرة بالماء الحار ليكون أفظع لعذابهم وأشنع لحالهم كما في قوله وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم قرأ الجمهور بفتح الشين وهو مصدر وقرأ شيبان النحوي بالضم قال الزجاج المفتوح مصدر والمضموم اسم بمعنى المشوب كالنقض بمعنى المنقوض (ثم ان مرجعهم) بعد شرب الحميم وأكل الزقوم (لالى الجحيم) وذلك انهم يوردون الحميم لشربه وهو خارج الجحيم كما تورد الابل ثم يردون الى الجحيم كما في قوله سبحانه يطوفون بينها وبين حميم آن وهذا قول الاقل والجمهور على انه داخلها وانهم لا يخرجون أصلا وقيل ان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها قال أبو عبيدة ثم بمعنى الواو وقرأ ابن مسعود ثم ان مقيلهم لالى الجحيم وعنه قال لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل هؤلاء ويقيل هؤلاء أهل الجنة وأهل النار وقرأ ان مقيلهم

ولكن قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم فسلط عليهم هواء فرق شملهم كما كان سبب اجتماعهم من الهوى وهم اخلاط من قبائل شتى احزاب وآراء فناسب ان يرسل عليهم الهواء الذى فرق جماعتهم وردهم خائبين خاسرين بغيظهم وحنقهم لم ينالوا خيرا لا فى الدنيا مما كان فى انفسهم من الظفر والمغنم ولا فى الآخرة بما تحملوه من الآثام فى مبارزة الرسول صلى الله عليه وسلم بالعداوة وهمهم بقتله واستئصال جيشه ومن هم بشىء وصدق همه بفعله فهو فى الحقيقة كفاعله وقوله تبارك وتعالى وكفى الله المؤمنين القتال أى لم يحتاجوا الى منازلتهم ومبارزتهم حتى يجلوهم عن بلادهم بل كفى الله وحده ونصر عبده وأعز جنده

لانى الجم (انهم ألفوا) اى وجدوا (آباءهم ضالين) تعليل لاستحقاقهم ما ذكر اى صادفوهم كذلك فاقتدوا بهم تقليدا وضلالا لا لحجة أصلا قال أبو السعود أى تقليد آبائهم فى الدين من غير ان يكون لهم ولا لآبائهم شىء يتمسك به أصلا (فهم على آثارهم يهرعون) أى من غير ان يتدبروا انهم على الحق أو لا مع ظهور كونهم على الباطل بادنى تأمل والاهراع الاسراع الشديد وقال الفراء الاسراع برعدة وقال أبو عبيدة يهرعون يستحثون من خلفهم ثم قال جاء فلان يرع الى النار اذا استحثه البرد اليها وقال المفضل يستحثون من شدة الاسراع قال الزجاج هرع وأهرع اذا استحث وازعج والمعنى يتبعون آباءهم فى سرعة كأنهم يزعجون الى اتباع آبائهم وذلك فى الدنيا (ولقد ضل قبلهم) أى قبل هؤلاء المذكورين (أكثر الاولين) من الامم الماضية بالتقليد ورفض الدليل وترك النظر والاستدلال (ولقد أرسلنا فيهم منذرين) أى أرسلنا فى هؤلاء الاولين رسلا أنذروهم العذاب وحذروهم عواقب الضلالة وبينوا لهم الحق فلم ينجع ذلك فيهم وكذلك لا ينجع فى مقلدة هذا الزمان فما أشبه الليلة بالبارحة (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) أى الذين أنذرتهم الرسل فانهم صاروا الى النار قال مقاتل يقول كان عاقبتهم العذاب يحذر كفار مكة والخطاب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم أو لكل من يتأتى منه التمكن من مشاهدة آثارهم ثم استثنى عباد المؤمنين فقال (الا عباد الله المخلصين) أى الذين أخلصهم الله بتوفيقهم الى الايمان والتوحيد وابتاعهم الدليل وترك التقليد وقرئ المخلصين بكسر اللام أى الذين أخلصوا لله طاعتهم ولم يشوبوها بشىء مما يغيرها ولما ذكر سبحانه انه أرسل فى الامم الماضية منذرين ذكر تفصيل بعض ما أجمله فقال (ولقد نادانا نوح) اللام هى الموطئة للقسم والمراد ان نوحا دعا ربه على قومه لما عصوه فاجاب الله دعاءه وأهلك قومه بالطوفان فالنداء هو نداء الدعاء لله والاستغاثة به كقوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقوله انى مغلوب فانتصر وحاصل ما يأتى من القصص سبع قصة نوح وقصة ابراهيم وقصة اسمعيل وقصة موسى وهارون وقصة الياس ولوط ويونس (فلنعم المجيبون) له نحن أى دعانا فأجبناه وأهلكنا قومه والواو للتعظيم (ونجيناه وأهله) المراد بأهله أهل دينه وهم من آمن معه وكانوا ثمانين أو زوجته وأولاده

ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده فلا شىء بعده أخرجاه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه وفى الصحيحين من حديث اسمعيل بن أبى خالد عن عبد الله ابن أبى أوفى رضى الله عنه قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاحزاب فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم وفى قوله عز وجل وكفى الله المؤمنين القتال اشارة الى وضع الحرب بينهم وبين قريش وهكذا وقع بعدها لم يغزهم المشركون بل غزاهم المسلمون فى بلادهم قال محمد بن اسحق لما انصرف اهل الخندق عن الخندق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم فلم تغز قريش بعد ذلك وكان صلى الله عليه وسلم هو يغزوهم بعد ذلك حتى فتح الله تعالى مكة عليه وهذا الحديث الذى ذكره محمد بن اسحق حديث صحيح كما قال الامام أحمد حدثنا يحيى عن سفيان حدثنى أبو اسحق قال سمعت سليمان بن صرد رضى الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب الآن نغزوهم ولا يغزونا وهكذا رواه البخارى فى صحيحه من حديث الثورى واسرائيل عن أبى اسحق به وقوله تعالى وكان الله قويا عزيزا أى بحوله وقوته ردهم خائبين لم ينالوا خيرا وأعز الله الاسلام واهله وصدق وعده ونصر رسوله وعبده فلله الحمد والمنة (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شىء قديرا) قد تقدم ان بنى قريظة لما قدمت جنود الاحزاب ونزلوا على

المدينة فنقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد وكان ذلك بسعي حيي بن أخطب النضري لعنه الله دخل
حصنهم ولم يزل بهم حتى نقض كعب بن أسد حتى نقض العهد وقال ويحك قد جئتك بعز الدهر جئتك بقريش وأحابيشها
وغطفان وقد عاهدوني أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا وأصحابه فقال له كعب بل والله جئتني بذل الدهر ويحك يا حيي اتركني
فلم يزل يفتل في الذروة والغارب حتى أجابه واشترط أنه إن ذهب الأحزاب ولم يصيبوا من محمد شيئا أن يدخل معهم
في الحصن فيكونوا أسوتهم فلما نقضت قريظة وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد ذلك عليه وعلى
المسلمين جدا فلما أيد الله تعالى بنصره وكبت الأعداء وردهم خائبين بأخسر صفقة ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة مؤيدا منصورا ووضع الناس السلاح فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل من وعثاء المرابطة في بيت أم سلمة رضي الله عنها إذ تبدى له جبريل عليه الصلاة والسلام معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة عليها قطيفة ديباج فقال أوضعت السلاح يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم نعم قال لكن الملائكة لم تضع أسلحتها وهذا الآن رجوعي من طلب القوم ثم قال إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تنهض الى بني قريظة وفي رواية فقال له عذيرك من مقاتل أوضعتم السلاح قال نعم قال لكنا لم نضع أسلحتنا بعد انهض الى هؤلاء قال صلى الله عليه وسلم أين قال بني قريظة فإن الله تعالى أمرني أن أزلزل عليهم فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم من فوره وأمر الناس بالمسير الى بني قريظة وكانت على أميال من
المدينة وذلك بعد صلاة الظهر وقال صلى الله عليه وسلم لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة فسار ولا
الناس فأدركتهم الصلاة في الطريق فصلى بعضهم في الطريق وقالوا لم يرد منا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تعجيل السير وقال
آخرون لا نصليها إلا في بني قريظة فلم يعنف واحدا من الفريقين وتبعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد استخلف على المدينة
ابن أم مكتوم رضي الله عنه وأعطى الراية لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم نازلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصرهم خمسا
وعشرين ليلة فلما طال عليهم الحال نزلوا على حكم سعد بن معاذ سيد الأوس رضي الله عنه لأنهم كانوا حلفاءهم في الجاهلية واعتقدوا

الثلاثة ونجاتهم أيضا الثلاث (من الكرب العظيم) هو الغرق وقيل بتكذيب قومه له وما
صدر منهم من أنواع الأذى (وجعلنا ذريته هم الباقين) وحدهم دون غيرهم كما
يشعر به ضمير الفصل وذلك أن الله تعالى أهلك الكفرة بدعائه ولم يبق منهم باقية ومن كان معه
في السفينة من المؤمنين ماتوا كما قيل ولم يبق إلا أولاده قال سعيد بن المسيب كان ولد نوح
ثلاثة والناس كلهم من ولد نوح فسام أبو العرب وفارس والروم واليهود والنصارى وحام
أبو السودان من المشرق الى المغرب السند والهند والنوب والزنج والحبشة والقبط
والبربر وغيرهم ويافث أبو الصقالبة والترك والخزر ويأجوج ومأجوج وغيرهم وقيل
إنه كان من مع نوح ذرية كما يدل عليه قوله ذرية من حملنا مع نوح وقوله قيل يا نوح اهبط
بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم فيكون
على هذا معنى الآية ذريته وذرية من معه دون ذرية من كفر فإن الله أغرقهم فلم يبق لهم
ذرية والأول أولى وأخرج الترمذي وحسنه وابن جرير وابن أبي حاتم عن سمرة بن جندب
عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الآية قال حام وسام ويافث وأخرج أحمد والترمذي
وحسنه وأبو يعلى وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه عن سمرة أن النبي صلى الله عليه
وآله وسلم قال سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم والحديثان هما من سماع
الحسن عن سمرة وفي سماعه منه مقال معروف وقد قيل إنه لم يسمع منه إلا حديث العقيقة
فقط وما عداه فمن الصحيفة قال ابن عبد البر وقد روي عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله
عليه وآله وسلم مثله وأخرج البزار وابن أبي حاتم والخطيب في تالي التلخيص عن أبي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولد نوح ثلاثة سام وحام ويافث فولد سام
العرب وفارس والروم والخير فيهم وولد يافث يأجوج ومأجوج والترك والصقالبة
ولا خير فيهم وولد حام القبط والبربر والسودان وهو من حديث إسماعيل بن عياش عن
يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عنه قلت في الآية دليل على أن الطوفان عم كل
البلاد وشمل جميع العباد ولم يبق أحد من الناس سوى من كان معه في السفينة والفرس
وسائر المجوس والكلدانيون أهل بابل والهند وأهل الصين وأصناف الأمم
المشرقية ينكرون الطوفان وأقر به بعض الفرس لكنهم قالوا لم يكن الطوفان سوى
الشام والمغرب ولم يعم العمران كله ولا أغرق إلا بعض الناس ولم يجاوز عقبة حلوان

ولا لع الى ممالك المشرق قالوا ووقع فى زمان طهمورث وان أهل المغرب لما أنذرحكماؤهم بالطوفان اتخذوا المبانى العظيمة كالهرمين بمصر ونحوهما ليدخلوا فيها عند حدوثه ولما لع طهمورث الانذار بالطوفان قبل كونه بمائة واحدى وثلاثين سنة أمر باختيار مواضع فى مملكته صحيحة الهواء والتربة فوجد ذلك باصبهان فأمر بتجليد العلوم ودفنها فيها فى أسلم المواضع ويشهد لهذا ما وجد بعد الثلثمائة من سنى الهجرة فى جى من مدينة أصبهان من التلال التى انشقت عن بيوت مملوءة أعدالا عدة كثيرة قد ملئت من لحاء الشجر التى تلبس بها القسى وتسمى التوز مكتوبة بكتابة لم يدر أحد ما هى ذكره المقريزى فى الخطط وقال بعض محققى الهنود ان سرى كشن الهندى قد أخبر قبل وفاته بسبعة أيام ان بلدة دواركا ستغرق عن قريب وأشار الى حصول الطوفان بأرض الهند والحق ما دلت عليه هذه الآية وغيرها من عموم الغرق للعمران وشمول الطوفان لجميع الارض ونوع الانسان ولا يلتفت الى قول من أنكره وأوله أو خصه ببعض الامكنة دون بعض فانه اذا جاءهم الله بطل نهر معقل والله يعلم وأنتم لا تعلمون (وتركنا عليه فى الآخرين) يعنى فى الذين يأتون بعده الى يوم القيامة من الامم وقال ابن عباس يقول يذكر بخير والمتروك هذا هو قوله (سلام على نوح) أى تركنا هذا الكلام بعينه والسلام هو الثناء الحسن أى يثنون عليه ثناء حسنا ويدعون له ويترحمون عليه قال الزجاج تركنا عليه الذكر الجميل الى يوم القيامة وذلك الذكر هو قوله سلام على نوح قال الكسائى فى ارتفاع سلام وجهان أحدهما وتركنا عليه فى الآخرين فقال سلام والثانى ان يكون المعنى وأبقينا عليه وتم الكلام ثم ابتدأ فقال سلام على نوح أى سلامة له من ان يذكر بسوء فى الآخرين قال المبرد أى تركنا عليه هذه الكلمة باقية يعنى يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكى كقوله سورة أنزلناها وقيل انه ضمن تركنا معنى قلنا قال الكسائى وفى قراءة ابن مسعود سلاما منصوب بتركنا أى تركنا عليه ثناء حسنا وقيل المراد بالآخرين أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم (فى العالمين) أى سلام ثابت أو مستقر أو مستمر على نوح فى العالمين من الملائكة والجن والانس وهذا يدل على عدم اختصاص ذلك بامة محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما قيل (انا كذلك نجزى المحسنين) هذه الجملة تعليل لما قبلها من التكرمة لنوح باجابة دعائه وبقاء الثناء من الله عليه وبقاء ذريته أى انا كذلك نجزى من كان محسنا

انه يحسن اليهم فى ذلك كما فعل عبد الله بن أبى ابن سلول فى بنى قينقاع حتى استطلقهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فظن هؤلاء ان سعدا سيفعل فيهم كما فعل ابن ابى فى أولئك ولم يعلموا ان سعدا رضى الله عنه كان قد أصابه سهم فى أكحله أيام الخندق فكواه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أكحله وأنزله فى قبة فى المسجد ليعوده من قريب وقال سعد رضى الله عنه فيما دعا به اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش شيأ فأبقنى لها وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فافجرها ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة فاستجاب الله تعالى دعاءه وقدر عليهم ان نزلوا على حكمه باختيارهم طلبا من تلقاء أنفسهم فعند ذلك استدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة ليحكم فيهم فلما أقبل وهو راكب على حمار قد وطؤا له عليه جعل الاوس يلوذون به ويقولون يا سعد انهم مواليك فأحسن فيهم ويرققونه عليهم ويعطفونه وهو ساكت لا يرد عليهم فلما أكثروا عليه قال رضى الله عنه لقد آن لسعد ان لا تأخذه فى الله لومة لائم فعرفوا انه غير مستبقيهم فلما دنا من الخيمة التى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا الى سيدكم فقام اليه المسلمون فأنزلوه اعظاما واكراما واحتراما له فى محل ولايته ليكون أنفذ لحكمه فيهم فلما جلس قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء وأشار اليهم قد نزلوا على حكمك فاحكم فيهم بما شئت فقال رضى الله عنه وحكمى نافذ عليهم قال صلى الله عليه وسلم نعم قال وعلى من فى هذه الخيمة قال نعم قال وعلى من ههنا وأشار الى الجانب الذى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض بوجهه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلالا واكراما واعظاما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فقال رضى الله عنه انى أحكم ان تقتل مقاتلتهم وتسبى ذريتهم وأموالهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حكمت بحكم الله تعالى من فوق سبعة أرقعة وفى رواية لقد حكمت بحكم الملك ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاخاديد فخدت فى الارض وجئ بهم مكتفين فضرب أعناقهم وكانوا ما بين السبعمائة الى الثمانمائة وسبى من لم ينبت منهم مع النساء وأموالهم وهذا كله مقرر مفصل بأدلته وأحاديثه وبسطه فى كتاب السيرة الذى أفردناه موجزا وبسيطا ولله الحمد والمنة ولهذا قال تعالى وأنزل الذين ظاهروهم أى عاونوا الاحزاب وساعدوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب

يعنى بنى قريظة من اليهود من بعض أسباط بنى اسرائيل كان قد نزل آباؤهم الحجاز قديما طمعا فى اتباع النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فعليهم لعنة الله وقوله تعالى من صياصيهم يعنى حصونهم قال مجاهد وعكرمة وعطاء وقتادة والسدى وغيرهم ومنه سمى صياصى البقر وهى قرونها لانها أعلى شئ فيها وقذف فى قلوبهم الرعب وهو الخوف لانهم كانوا مالؤا المشركين على حرب النبى صلى الله عليه وسلم وليس من يعلم كمن لا يعلم وأخافوا المسلمين وراموا قتلهم ليعزوهم فى الدنيا فانعكس عليهم الحال وانقلب اليهم (٦٤) القتال انشمر المشركون ففازوا بصفقة المغبون فكما راموا العز ذلوا وأرادوا استئصال المسلمين فاستؤصلوا وأضيف الى ذلك شقاوة الآخرة فصارت الجملة ان هذه هى الصفقة الخاسرة ولهذا قال تعالى فريقا تقتلون وتأسرون فريقا فالذين قتلوا هم المقاتلة والاسراء هم الاصاغر والنساء وقال الامام أحمد حدثنا هشيم بن بشير أخبرنا عبد الملك بن عمير عن عطية القرظى قال عرضت على النبى صلى الله عليه وسلم يوم قريظة فشكوا فى فأمر بى النبى صلى الله عليه وسلم ان ينظروا هل أنبت بعد فنظرونى فلم يجدونى أنبت فخلى عنى وألحقنى بالسبى وكذا رواه أهل السنن كلهم من طرق عن عبد الملك بن عمير به وقال الترمذى حسن صحيح ورواه النسائى أيضا من حديث ابن جريج عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن عطية بنحوه وقوله تعالى وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم أى جعلها لكم من قتلكم لهم وأرضا لم تطؤها قيل خيبر وقيل مكة رواه مالك عن زيد بن أسلم وقيل فارس والروم وقال ابن جرير يجوز ان يكون الجميع مرادا وكان الله على كل شئ قديرا وقال الامام احمد حدثنا يزيد أخبرنا محمد بن عمرو عن أبيه عن جده علقمة بن وقاص قال أخبرتنى عائشة رضى الله عنها قالت خرجت يوم الخندق أقفو الناس فسمعت وئيد الارض ورائى فاذا أنا بسعد بن معاذ رضى الله عنه ومعه ابن أخيه الحرث بن أوس يحمل مجنه قالت فجلست الى الارض فمر سعد رضى الله عنه وعليه درع من حديد قد خرجت منه أطرافه فانا أتخوف على أطراف سعد قالت وكان سعد رضى الله عنه من أعظم الناس وأطولهم فمر وهو يرتجز ويقول

لبث قليلا يشهد الهيجا جمل * ما أحسن الموت اذا حان الاجل

فى أقواله وأفعاله راسخا فى الاحسان معروفا به والكاف فى كذلك نعت مصدر محذوف أى جزاء كذلك الجزاء (انه من عبادنا المؤمنين) هذا بيان لكونه من المحسنين وتعليل له بانه كان عبدا مؤمنا مخلصا لله وذلك اجلال لشأن الايمان وشرفه وترغيب فى تحصيله والثبات عليه والازدياد منه كما قال فى مدح ابراهيم وانه فى الآخرة لمن الصالحين وفيه من الدلالة على جلالة قدرهما ما لا يخفى فلا يقال كيف مدح الرسول بذلك مع ان مرتبتهم فوق مرتبة المؤمنين (ثم أغرقنا الآخرين) أى الكفرة الذين لم يؤمنوا بالله ولا صدقوا نوحا معطوف على نجيناه والترتيب حقيقى لان نجاتهم بركوب السفينة حصلت قبل غرق الباقين والشهاب فهم انه معطوف على قوله وجعلنا ذريته فجعل الترتيب اخباريا لان اغراق الآخرين كان قبل جعل ذريته باقين ثم ذكر سبحانه قصة ابراهيم وبين انه ممن شايع نوحا فقال (وان من شيعته لابراهيم) أى من أهل دينه وممن شايعه ووافقه على الدعاء الى الله والى توحيده والايمان به قال مجاهد وابن عباس أى على منهاجه وسنته قال الاصمعى الشيعة الاعوان وهو مأخوذ من الشياع وهو الحطب الصغار التى توقد مع الكبار حتى تستوقد وكان بين نوح وابراهيم ألفان وستمائة واربعون سنة وما كان بينهما الانبيان هود وصالح والذين قبل نوح ثلاثة ادريس وشيث وآدم فجملة من قبل ابراهيم من الانبياء ستة والمعنى كان من اتباعه فى أصل الدين وان اختلفت فروع شرائعهما أو كان بين شريعتهما اتفاق كلى او أكثرى وان طال الزمان وقال الفراء المعنى وان من شيعة محمد لابراهيم فالهاء على هذا فى شيعته لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وكذا قال الكلبى ولا يخفى ما فى هذا من الضعف والمخالفة للسياق (اذ جاء ربه بقلب سليم) أى مخلص من الشرك والشك أو من آفات القلوب وقيل هو الناصح لله فى خلقه وقيل الذى يعلم ان الله حق وأن الساعة قائمة وان الله يبعث من فى القبور ومعنى مجيئه الى ربه يحتمل وجهين أحدهما عند دعائه الى توحيده وطاعته الثانى عند القائه فى النار وجاء استعارة تصريحية تبعية شبه اخلاصه قلبه بمجيئه بتحفة كأنه جاء به تحفة من عنده فى انه فاز برضاه والظرف فى قوله اذ جاء منصوب بفعل محذوف أى اذكر وقيل بما فى الشيعة من معنى المتابعة قال أبو حيان لا يجوز لان فيه الفصل بين العامل والمعمول باجنبى وهو ابراهيم والاولى ان يقال ان لام الابتداء تمنع ما قبلها عن العمل فيما

بعدها (إذ) أي وقت إذ (قال لأبيه) آزر (وقومه) من الكفار (ماذا) أي أيّ شيء (تعبدون أئفكا آلهة دون الله تريدون) انتصاب إفكا على أنه مفعول لأجله أي أتريدون آلهة من دون الله للإفك وتقديم هذه المعمولات للفعل عليه للاهتمام وقيل انتصاب إفكا على أنه مفعول به لتريدون وآلهة بدل منه جعلها نفس الإفك مبالغة وهذا أولى من الوجه الأول وقيل انتصابه على الحال أي أتريدون آلهة آفكين أو ذوي إفك قال المبرد الإفك أسوأ الكذب وهو الذي لا يثبت ويضطرب ومنه ائتفكت بهم الأرض (فما ظنكم برب العالمين) إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره وما ترونه يصنع بكم وهو تحذير مثل قوله ما غرك بربك الكريم وقيل المعنى أي شيء توهمتموه بالله حتى أشركتم به غيره (فنظر نظرة في النجوم) أي إليها (فقال إني سقيم) قال الواحدي قال المفسرون كانوا يتعاطون علم النجوم فعاملهم بذلك لئلا ينكروا عليه وذلك أنه أراد أن يكايدهم في أصنامهم ليلزمهم الحجة في أنها غير معبودة وكان لهم من الغد يوم عيد يخرجون إليه وأراد أن يتخلف عنهم فاعتل بالسقم وذلك أنهم كلفوه أن يخرج معهم إلى عيدهم فنظر إلى النجوم أي في علمها أو في كتابها يريهم أنه مستدل بها على حاله فلما نظر إليها قال إني سقيم أي مشارف للسقم وقال الحسن إنهم لما كلفوه أن يخرج معهم تفكر فيما يعمل فالمعنى على هذا أنه نظر فيما نجم له من الرأي أي فيما طلع له فعلم أن كل حي يسقم فقال إني سقيم قال الخليل والمبرد يقال للرجل إذا فكر في الشيء يدبره نظر في النجوم وقيل كانت الساعة التي دعوه إلى الخروج معهم فيها ساعة تغشاه فيها الحمى وقال الضحاك معنى إني سقيم سأسقم سقم الموت لأن من كتب عليه الموت يسقم في الغالب ثم يموت وهذا تورية وتعريض كما قال للملك لما سأله عن سارة هي أختي يعني أخوة الدين وقال سعيد بن جبير أشار لهم إلى مرض يسقم ويعدي وهو الطاعون وكانوا يهربون من ذلك قال ابن عباس سقيم أي مريض وقال مقاتل مطعون ولهذا قال (فتولوا عنه مدبرين) أي تركوه وذهبوا مخافة العدوى (فراغ إلى آلهتهم) يقال راغ يروغ روغا وروغانا إذا مال ومنه طريق رائغ أي مائل وقال السدي ذهب إليهم وقال أبو مالك جاء إليهم وقال الكلبي أقبل عليهم والمعنى متقارب وكانت اثنين وسبعين صنما من خشب وحجر وذهب وفضة ونحاس وحديد ورصاص وكان كبيرها من ذهب مكللا بالجواهر (فقال) إبراهيم للأصنام التي راغ إليها

قالت فخرجت فاقتحمت حديقة فإذا فيها نفر من المسلمين وإذا فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفيهم رجل عليه مسبغة له يعني المغفر فقال عمر رضي الله عنه ما جاء بك لعمري والله إنك لجريئة وما يؤمنك أن يكون تحوز قالت فما زال يلومني حتى تمنيت أن الأرض انشقت لي ساعتئذ فدخلت فيها فرفع الرجل السبغة عن وجهه فإذا هو طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فقال يا عمر ويحك إنك قد أكثرت منذ اليوم وأين التحوز أو الفرار إلا إلى الله تعالى قالت ورمى سعدا رضي الله عنه رجل من قريش يقال له ابن العرقة بسهم له وقال له خذها وأنا ابن العرقة فأصاب أكحله فقطعه فدعا الله (٦٥) تعالى سعد رضي الله عنه فقال اللهم لا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة قالت وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية قالت فرقأ كلمه وبعث الله تعالى الريح على المشركين وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا فلحق أبو سفيان ومن معه بتهامة ولحق عيينة بن بدر ومن معه بنجد ورجعت بنو قريظة فتحصنوا في صياصيهم ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وأمر بقبة من أدم فضربت على سعد رضي الله عنه في المسجد قالت فجاءه جبريل عليه السلام وإن على ثناياه لنقع الغبار فقال أوقد وضعت السلاح لا والله ما وضعت الملائكة بعد السلاح اخرج إلى بني قريظة فقاتلهم قالت فلبس رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته وأذن في الناس بالرحيل أن يخرجوا فمر على بني غنم وهم جيران المسجد حوله فقال من مر بكم قالوا مر بنا دحية الكلبي وكان دحية الكلبي تشبه لحيته وسنه ووجهه جبريل عليه الصلاة والسلام فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة فلما اشتد حصارهم واشتد البلاء قيل لهم انزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر فأشار إليهم أنه الذبح قالوا ننزل على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلوا على حكم سعد بن معاذ فنزلوا وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد بن معاذ رضي الله عنه فأتي به على حمار عليه إكاف من ليف قد حمل عليه وحف به قومه فقالوا يا أبا عمرو حلفاؤك ومواليك وأهل النكاية ومن قد علمت قالت فلا يرجع إليهم شيئا ولا يلتفت إليهم حتى إذا دنا من دورهم التفت إلى قومه فقال قد آن لي أن لا أبالي في الله لومة لائم قالت قال أبو سعيد فلما طلع قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا الى سيدكم فأنزلوه فقال عمر رضي الله عنه سيدنا الله قال أنزلوه فأنزلوه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احكم فيهم قال سعد رضي الله عنه فاني أحكم فيهم ان تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم وتقسم أموالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله تعالى وحكم رسوله ثم دعا سعد رضي الله عنه فقال اللهم ان كنت أبقيت على نبيك من حرب قريش شيأ فأبقني لها وان كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني اليك قال فانفجر كلمه وكان قد برأ منه الا مثل الخرص ورجع الى قبته التي ضرب عليه رسول الله صلى

الله عليه وسلم قالت عائشة رضي الله عنها فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما قالت فوالذي نفس محمد بيده اني لأعرف بكاء أبي بكر رضي الله عنه من بكاء عمر رضي الله عنه وأنا في حجرتي وكانوا كما قال الله تعالى رحماء بينهم قال علقمة فقلت أي أمه فكيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع قالت كانت عينه لا تدمع على أحد ولكنه كان اذا وجد فانما هو آخذ بلحيته صلى الله عليه وسلم وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن نمير عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها نحوا من هذا ولكن أخصر منه وفيه دعاء سعد رضي الله عنه (يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما) هذا أمر من الله تبارك وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بأن يخير نساءه بين أن يفارقهن فيذهبن الى غيره ممن يحصل لهن من عنده الحياة الدنيا وزينتها وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال ولهن عند الله تعالى في ذلك الثواب الجزيل فاخترن رضي الله عنهن وأرضاهن الله ورسوله والدار الآخرة فجمع الله تعالى لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة قال البخاري حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن ان عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءها حين أمره الله تعالى أن يخير أزواجه قالت فبدأ بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني ذاكر لك أمرا فلا عليك أن لا تستعجلي حتى تستأمري أبويك وقد علم ان أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه قالت ثم قال ان الله تعالى قال يا أيها النبي قل

استهزاء وسخرية (ألا تأكلون) من الطعام الذي كانوا يصنعونه لها وخاطبها كما يخاطب من يعقل لأنهم أنزلوها تلك المنزلة وكذا قوله (ما لكم لا تنطقون) فانه خاطبهم خطاب من يعقل والاستفهام للتهكم بهم لأنه قد علم انها جمادات لا تنطق قيل انهم تركوا عند أصنامهم طعامهم للتبرك بها وليأكلوه اذا رجعوا من عيدهم وقيل تركوه للسدنة وقيل ان ابراهيم هو الذي قرب اليها الطعام مستهزئا بها (فراغ عليهم ضربا باليمين) أي فمال عليهم ضربا وضربا مصدر مؤكد لفعل محذوف أو هو مصدر لراغ لأنه بمعنى ضرب قال الواحدي قال المفسرون يعني بيده اليمنى يضربهم بها وقال السدي بالقوة والقدرة لأن اليمين أقوى اليدين قال الفراء وثعلب ضربا بالقوة واليمين القوة وقال الضحاك والربيع ابن أنس المراد باليمين اليمين التي حلفها حين قال وتالله لأكيدن أصنامكم وقيل المراد باليمين هنا العدل كما في قوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين أي بالعدل واليمين كناية عن العدل كما ان الشمال كناية عن الجور وأولى هذه الأقوال أولاها (فأقبلوا اليه يزفون) أي أقبل اليه عبدة تلك الاصنام يسرعون لما علموا بما صنعه بها فقالوا نحن نعبدها وأنت تكسرها ويزفون في محل نصب على الحال من فاعل أقبلوا قرأ الجمهور بفتح الياء من زف الظليم يزف اذا عدا بسرعة وقرئ بضم الياء من أزف يزف أي دخل في الزفيف أو يحملون غيرهم على الزفيف قال الاصمعي أزففت الابل أي حملتها على أن تزف وقيل هما لغتان يقال زف القوم وأزفوا وزففت العروس وأزففتها حكى ذلك عن الخليل قال النحاس زعم أبو حاتم انه لا يعرف هذه اللغة يعني يزفون بضم الياء وقد عرفها جماعة من العلماء منهم الفراء وشبهها بقولهم أطردت الرجل أي صيرته الى ذلك وقال المبرد الزفيف الاسراع وقال الزجاج الزفيف أول عدو النعام وقال قتادة والسدي معنى يزفون يمشون وقال الضحاك يسعون وقال يحيى بن سلام يرعدون غضبا وقال مجاهد يختالون أي يمشون مشي الخيلاء وقيل يتسللون تسللا بين المشي والعدو والاولى تفسيره بيسرعون وقال ابن عباس يزفون يخرجون وقرئ يزفون على البناء للمفعول وقرئ على بناء يرمون وحكى الثعلبي عن الحسن ومجاهد وابن السميفع انهم قرؤا يرفون بالراء المهملة وهي ركض بين المشي والعدو ولما أنكروا على ابراهيم ما فعله بالاصنام ذكر لهم الدليل الدال على فساد عبادتها و(قال) مبكتا لهم وموبخا

لأزواجك إلى عظيماً إلا بينت فقلت له في أي هذا أستأمر أبوي فإني أريد الله تعالى ورسوله والدار الآخرة وكذا رواه معلقاً عن الليث حدثني يونس عن الزهري عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها فذكره وزاد قالت ثم فعل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مثل ما فعلت وقد حكى البخاري أن معمراً اضطرب فيه فتارة رواه عن الزهري عن أبي سلمة وتارة رواه عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها وقال ابن جرير حدثنا أحمد بن عبدة الضبي حدثنا أبو عوانة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه قال قالت عائشة رضي الله عنها نزل الخيار قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أريد أن أذكر لك (٦٧) أمراً فلا تقضي فيه شيئاً حتى تستأمري أبويك قالت قلت وما هو يا رسول الله قال فرده عليها فقالت وما هو يا رسول الله قالت فرده عليها فقالت وما هو يا رسول الله قالت فقرأ صلى الله عليه وسلم عليها يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها إلى آخر الآية قالت فقلت بل نختار الله ورسوله والدار الآخرة قالت ففرح بذلك النبي صلى الله عليه وسلم وحدثنا ابن وكيع حدثنا محمد ابن بشر عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها قالت لما نزلت آية التخيير بدأ بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عائشة إني عارض عليك أمراً فلا تفتاتي فيه حتى تعرضيه على أبويك أبي بكر وأم رومان رضي الله عنهما فقلت يا رسول الله وما هو قال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً قالت فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة ولا أؤامر في ذلك أبوي أبا بكر وأم رومان رضي الله عنهما فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استقرأ الحجر فقال إن عائشة رضي الله عنها قالت كذا وكذا فقلن ونحن نقول مثل ما قالت عائشة رضي الله عنهن كلهن ورواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج عن أبي أسامة عن محمد ابن عمرو به قال ابن جرير وحدثنا سعيد بن يحيى الأموي حدثنا أبي عن محمد بن إسحق عن عبد الله بن أبي بكر عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها قالت إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل (١) إلى نسائه أمر أن يخيرهن فدخل علي فقال سأذكر لك أمراً فلا تعجلي حتى تستشيري أباك فقلت وما هو يا رسول الله قال إني أمرت أن أخيركن وتلا عليها آية التخيير إلى آخر الآيتين

عليهم (أتعبدون ما تنحتون) أي أتعبدون أصناماً أنتم تنحتونها والنحت النجر والبري نحته ينحته بالكسر نحتاً أي براه والنحاتة البراية ووجه التوبيخ ظاهر وهو أن الخشب والحجر قبل النحت والإصلاح ما كان معبوداً البتة فإذا نحته وشكله على الوجه المخصوص لم يحدث فيه إلا آثار تصرفه عن هيئته فلو صار معبوداً لهم عند ذلك لزم أن الشيء الذي لم يكن معبوداً إذا حصل فيه آثار صار معبوداً وفساده واضح (والله خلقكم وما تعملون) أي وخلق الذي تصنعونه على العموم ويدخل فيها الأصنام التي تنحتونها دخولاً أولياً ويكون معنى العمل هنا التصوير والنحت ونحوهما نحو عمل الصائغ السوار أي صاغه ويرجحه ما قبله أي أتعبدون الذي تنحتون أو خلقكم وخلق عملكم وجعلها الأشعرية دليلاً على خلق أفعال العباد لله تعالى وهو الحق فإن فعلهم كان بخلق الله فيهم فكان مفعولهم المتوقف على فعلهم أولى بذلك ويرجح على الأول بعدم الحذف ويجوز أن تكون ما استفهامية أي أي شيء تعملون ومعنى الاستفهام التوبيخ والتقريع ويجوز أن تكون نافية أي أن العمل في الحقيقة ليس لكم فأنتم لا تعملون شيئاً وقد طول صاحب الكشاف الكلام في رد قول من قال إنها مصدرية ولكن بما لا طائل تحته وجعلها موصولة أولى بالمقام وأوفق بسياق الكلام والجملة إما حالية أو مستأنفة (قالوا ابنوا له بنياناً فألقوه في الجحيم) مستأنفة جواب سؤال مقدر كالجملة التي قبلها قالوا هذه المقالة لما عجزوا عن جواب ما أورده عليهم من الحجة الواضحة فتشاوروا فيما بينهم أن يبنوا له حائطاً من حجارة ويملؤه حطباً ويضرموه ثم يلقوه فيه والجحيم النار الشديدة الاتقاد قال الزجاج وكل نار بعضها فوق بعض فهي جحيم واللام في الجحيم عوض عن المضاف إليه أي في جحيم ذلك البنيان ثم لما ألقوه فيها نجاه الله منها وجعلها عليه برداً وسلاماً وهو معنى قوله (فأرادوا به كيداً) مكراً وحيلة أي احتالوا لإهلاكه (فجعلناهم الأسفلين) أي المقهورين المغلوبين بإبطال كيدهم وجعلناها برهاناً نيراً على علو شأنه لأنها قامت له بذلك عليهم الحجة التي لا يقدرون على دفعها ولا يمكنهم جحدها فإن النار الشديدة الاتقاد العظيمة الاضطرام المتراكمة الجمار إذا صارت بعد إلقائه فيها برداً وسلاماً ولم تؤثر فيه أقل تأثير كان ذلك من الحجة بمكان يفهمه كل من له عقل وصار المنكر له سافلاً ساقط الحجة ظاهر التعصب واضح التعسف وسبحان من يجعل المحن لمن يدعو إلى دينه منحاً ويسوق إليهم الخير بما هو من صور الضير (و) لما انقضت هذه

---

(١) بياض بالأصل

قالت فقلت وما الذي تقول لا تعجلي حتى تستشيري أبويك فإني أختار الله ورسوله فسر صلى الله عليه وسلم بذلك وعرض على نسائه فتتابعن كلهن فاخترن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وقال ابن أبي حاتم حدثنا يزيد بن سنان البصري حدثنا أبو صالح عبد الله ابن صالح حدثني الليث حدثني عقيل عن الزهري أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قالت عائشة رضي الله عنها أنزلت آية التخيير فبدأ بي أول امرأة من نسائه فقال صلى الله عليه وسلم إني ذاكر لك أمرا فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك قالت قد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه قالت ثم قال إن الله تبارك وتعالى قال يا أيها النبي قل لأزواجك الآيتين قالت عائشة رضي الله عنها فقلت أفي هذا أستأمر أبوي فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة ثم خير نساءه كلهن فقلن مثل ما قالت عائشة رضي الله عنهن وأخرجه البخاري ومسلم جميعا عن قتيبة عن الليث عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها مثله وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه فلم يعدها علينا شيئا أخرجاه من حديث الأعمش وقال الإمام أحمد حدثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو حدثنا زكريا ابن إسحق عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه قال أقبل أبو بكر رضي الله عنه يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ببابه جلوس والنبي صلى الله عليه وسلم جالس فلم يؤذن له ثم أقبل عمر رضي الله عنه فاستأذن فلم يؤذن له ثم أذن لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فدخلا والنبي صلى الله عليه وسلم جالس وحوله نساؤه وهو صلى الله عليه وسلم ساكت فقال عمر رضي الله عنه لأكلمن النبي صلى الله عليه وسلم لعله يضحك فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله لو رأيت ابنة زيد امرأة عمر سألتني النفقة آنفا فوجأت عنقها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدا ناجذه وقال هن حولي يسألنني النفقة فقام أبو بكر رضي الله عنه إلى عائشة ليضربها وقام عمر رضي الله عنه إلى حفصة كلاهما يقولان تسألان النبي صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده فنهاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن نساؤه والله لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا المجلس ما ليس عنده قال وأنزل الله عز وجل الخيار فبدأ بعائشة

الواقعة وأسفر الصبح لذي عينين وظهرت حجة الله لإبراهيم وقامت براهين نبوته وسطعت أنوار معجزته (قال إني ذاهب إلى ربي) أي مهاجر من مولدي وبلد قومي الذين فعلوا ما فعلوا تعصبا للأصنام وكفرا بالله وتكذيبا لرسله إلى حيث أمرني بالمهاجرة إليه أو إلى حيث أتمكن من عبادته وهذه الآية أصل في الهجرة والعزلة وأول من فعل ذلك إبراهيم عليه السلام وذلك حين خلصه الله من النار (سيهدين) فيما نويت إلى المكان الذي أمرني بالذهاب إليه أو إلى مقصدي وقيل ذاهب بعملي وعبادتي وقلبي ونيتي فعلى هذا ذهابه بالعمل لا بالبدن والأول أظهر قيل إن الله سبحانه أمره بالمصير إلى الشام وقد سبق بيان هذا في سورة الكهف مستوفى قال ابن عباس قال هذا حين هاجر قال مقاتل فلما قدم الأرض المقدسة سأل ربه الولد فقال (رب هب لي) ولدا صالحا (من الصالحين) يعينني على طاعتك ويؤنسني في الغربة هكذا قال المفسرون وعللوا ذلك بأن الهبة قد غلب معناها في الولد فتحمل عند الإطلاق عليه وإذا وردت مقيدة حملت على ما قيدت به كما في قوله ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا وعلى فرض أنهما تعارضا في طلب الولد فقوله (فبشرناه بغلام حليم) يدل على أنه ما أراد بقوله رب هب لي من الصالحين إلا الولد والمعنى بشرناه به على لسان الملائكة الذين جاؤه في صورة الأضياف ثم انتقلوا إلى قرية لوط كما تقدم في هود ويأتي في الذاريات ومعنى حليم أن يكون حليما عند كبره فكأنه بشر ببقاء ذلك الغلام حتى يكبر ويصير حليما لأن الصغير لا يوصف بالحلم قال الزجاج هذه البشارة تدل على أنه مبشر بابن ذكر وأنه يبقى حتى ينتهي في السن ويوصف بالحلم (فلما بلغ معه السعي) في الكلام حذف كما تشعر به هذه الفاء الفصيحة والتقدير فوهبناه له الغلام فنشأ حتى صار إلى السن التي يسعى فيها مع أبيه في أمور دنياه معينا له على أعماله قال مجاهد أي لما شب وأدرك سعيه سعي إبراهيم قال ابن عباس شب حتى بلغ سعيه سعي أبيه في العمل وقال مقاتل لما مشى معه قال الفراء كان يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة وقال الحسن هو سعي العقل الذي تقوم به الحجة وقال ابن زيد هو السعي في العبادة وقيل هو الاحتلام (قال) إبراهيم لابنه لما بلغ ذلك المبلغ (يا بني) بفتح الياء وكسرها سبعيتان (إني أرى في المنام أني أذبحك) أي أفعل الذبح أو أومر به فهما احتمالان ويشير للثاني قوله افعل ما تؤمر وتشير للأول قد صدقت الرؤيا والمعنى إني رأيت في المنام هذه الرؤيا

رضي الله عنها فقال اني أذكر لك أمرا ما أحب ان تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك قالت وما هو قال فتلا عليها يا أيها النبي قل
لأزواجك الآية قالت عائشة رضي الله عنها أفيك أستأمر أبوي بل أختار الله تعالى ورسوله وأسألك ان لا تذكر لامرأة من نسائك
ما اخترت فقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لم يبعثني معنفا ولكن بعثني معلما ميسرا لا تسألني امرأة منهن عما اخترت الا
أخبرتها انفرد باخراجه مسلم دون البخاري فرواه هو والنسائي من حديث زكريا بن اسحق المكي به وقال عبد الله ابن الامام
أحمد حدثنا شريح بن يونس حدثنا علي بن هاشم بن البريد عن محمد بن عبيد بن علي بن أبي رافع عن عثمان بن علي
ابن الحسين عن أبيه عن علي رضي الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خير نساءه الدنيا والآخرة ولم يخيرهن الطلاق وهذا منقطع وقد روي عن الحسن وقتادة وغيرهما نحو ذلك وهو خلاف الظاهر من الآية فانه قال فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا أي أعطيكن حقوقكن وأطلق سراحكن وقد اختلف العلماء في جواز تزويج غيره لهن لو طلقهن على قولين أصحهما نعم لو وقع ليحصل المقصود من السراح والله أعلم قال عكرمة وكان تحته يومئذ تسع نسوة خمس من قريش عائشة وحفصة وأم حبيبة وسودة وأم سلمة رضي الله عنهن وكانت تحته صلى الله عليه وسلم صفية بنت حيي النضرية وميمونة بنت الحرث الهلالية وزينب بنت جحش الاسدية وجويرية بنت الحرث المصطلقية رضي الله عنهن وأرضاهن أجمعين (يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ومن يقنت
منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما) يقول تعالى واعظا نساء النبي صلى الله عليه وسلم
اللاتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة واستقر أمرهن تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخبرن بحكمهن وتخصيصهن دون
سائر النساء بان من يأت منهن بفاحشة مبينة قال ابن عباس رضي الله عنهما وهو النشوز وسوء الخلق وعلى كل تقدير فهو شرط
والشرط لا يقتضي الوقوع كقوله تعالى ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك وكقوله عز وجل ولو
أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه

قال مقاتل رأى ابراهيم ذلك ثلاث ليال متتابعات قال قتادة رؤيا الانبياء حق اذا رأوا
شيأ فعلوه وقد اختلف أهل العلم في الذبيح هل هو اسحق أو اسمعيل عليهما السلام قال
القرطبي فقال أكثرهم الذبيح اسحق وممن قال بذلك العباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله
وهو الصحيح عن ابن مسعود ورواه أيضا عن جابر وعلي وابن عمر وعمر بن الخطاب قال
فهؤلاء سبعة من الصحابة قال ومن التابعين وغيرهم علقمة والشعبي ومجاهد وسعيد بن
جبير وكعب الاحبار وقتادة ومسروق وعكرمة والقاسم بن أبي بزة وعطاء ومقاتل وعبد
الرحمن بن سابط والزهري والسدي وعبد الله بن أبي الهذيل ومالك بن أنس كلهم قالوا
الذبيح اسحق وعليه أهل الكتابين اليهود والنصارى واختاره غير واحد منهم النحاس
وابن جرير الطبري وغيرهما قال وقال آخرون هو اسمعيل وممن قال بذلك أبو هريرة وأبو
الطفيل عامر بن واثلة وروي ذلك عن ابن عمر وابن عباس أيضا كما سيجيء ومن التابعين
سعيد بن المسيب والشعبي ويوسف بن مهران ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب
القرظي والكلبي وعلقمة وعن الاصمعي قال سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال
يا أصمعي أين عزب عنك عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة قال ابن كثير
في تفسيره وقد ذهب جماعة من أهل العلم الى ان الذبيح هو اسحق وحكى ذلك عن طائفة من
السلف حتى يقال عن بعض الصحابة وليس في ذلك كتاب ولا سنة وما أظن ذلك تلقى الا
عن أحبار أهل الكتاب وأخذ مسلما من غير حجة وكتاب الله شاهد ومرشد الى انه اسمعيل
فانه ذكر البشارة بالغلام الحليم وذكر انه الذبيح وقال بعد ذلك وبشرناه باسحق نبيا من
الصالحين انتهى واحتج القائلون بانه اسحق بان الله عز وجل قد أخبرهم عن ابراهيم حين
فارق قومه وهاجر الى الشأم مع امرأته سارة وابن أخيه لوط فقال اني ذاهب الى ربي
سيهدين انه دعا فقال رب هب لي من الصالحين وقال تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون من
دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب ولان الله قال وفديناه بذبح عظيم فذكر انه في الغلام
الحليم الذي بشر به ابراهيم وانما بشر باسحق لانه قال وبشرناه باسحق وقال هنا بغلام
حليم وذلك قبل أن يعرف هاجر وقبل ان يصير له اسمعيل وليس في القرآن انه بشر بولد الا
اسحق قال الزجاج الله أعلم أيهما الذبيح انتهى وهذا مذهب ثالث وهو الوقف عن الجزم
بأحد القولين وتفويض علم ذلك الى الله تعالى وما استدل به الفريقان يمكن الجواب

هو الله الواحد القهار فلما كانت محلتهن رفيعة ناسب ان يجعل الذنب لو وقع منهن مغلظا صيانة لجنابهن وحجابهن الرفيع ولهذا قال تعالى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين قال مالك عن زيد بن أسلم يضاعف لها العذاب ضعفين قال فى الدنيا والآخرة وعن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله وكان ذلك على الله يسيرا أى سهلا هينا ثم ذكر عدله وفضله فى قوله ومن يقنت منكن لله ورسوله أى يطع الله ورسوله ويستجب نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما أى فى الجنة فانهن فى منازل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أعلى عليين فوق منازل جميع الخلائق فى الوسيلة التى هى أقرب منازل الجنة الى العرش (يانساء النبى لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا) هذه آداب أمر الله تعالى بها نساء النبى صلى الله عليه وسلم ونساء الامة تبع لهن فى ذلك فقال تعالى مخاطبا لنساء النبى صلى الله عليه وسلم بانهن اذا اتقين الله عز وجل كما أمرهن فانه لا يشبههن أحد من النساء ولا يلحقهن فى الفضيلة والمنزلة ثم قال تعالى فلا تخضعن بالقول قال السدى وغيره يعنى بذلك ترقيق الكلام اذا خاطبن الرجال ولهذا قال تعالى فيطمع الذى فى قلبه مرض أى دغل وقلن قولا معروفا قال ابن زيد قولا حسنا جميلا معروفا فى الخير ومعنى هذا انها تخاطب الاجانب بكلام ليس فيه ترخيم أى لا تخاطب المرأة الاجانب كما تخاطب زوجها وقوله تعالى وقرن فى بيوتكن أى الزمن بيوتكن وقد فلا تخرجن لغير حاجة ومن الحوائج الشرعية الصلاة فى المسجد بشرطه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا اماء الله مساجد الله وليخرجن وهن تفلات وفى رواية وبيوتهن خير لهن وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا حميد بن مسعدة حدثنا أبو رجاء الكلبى روح بن المسيب ثقة حدثنا ثابت البنانى عن أنس رضى الله عنه قال جئن النساء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن يارسول الله ذهب الرجال بالفضل والجهاد فى سبيل الله تعالى فما لنا عمل ندرك به عمل المجاهدين فى سبيل الله تعالى فقال رسول الله

عنه والمناقشة له ومن جملة ما احتج به القائلون بانه اسمعيل ان الله وصفه بالصبر دون اسحق كما فى قوله واسمعيل واليسع وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد فى قوله انه كان صادق الوعد لانه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به ولان الله سبحانه قال وبشرناه باسحق نبيا فكيف يأمر بذبحه وقد وعده ان يكون نبيا وأيضا فان الله قال فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فكيف يؤمر بذبح اسحق قبل انجاز الوعد فى يعقوب وأيضا ورد فى الاخبار تعليق قرن الكبش فى الكعبة فدل على ان الذبيح اسمعيل ولو كان اسحق لكان الذبح واقعا ببيت المقدس وكل هذا أيضا يحتمل المناقشة والمسئلة ليست من العقائد التى كلفنا بمعرفتها فلا نسئل عنها فى القيامة فهى مما لا ينفع علمه ولا يضر جهله وزعم ابن عباس ان الذبيح اسمعيل وعنه قال المفدى اسمعيل وهو الاظهر وعنه قال فدى اسمعيل بكبشين أملحين أقرنين أعينين وعن ابن عمر قال اسمعيل ذبح عنه ابراهيم الكبش وعن الفرزدق الشاعر قال رأيت أبا هريرة يخطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويقول ان الذى أمر بذبحه اسمعيل وعن العباس ابن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال نبى الله داود يارب أسمع الناس يقولون رب ابراهيم واسحق ويعقوب فاجعلنى رابعا قال ان ابراهيم ألقى فى النار فصبر من أجلى وان اسحق جادلى بنفسه وان يعقوب غاب عنه يوسف وتلك بلية لم تنلك أخرجه البزار وابن جرير وابن أبى حاتم والحاكم وابن مردويه وفى اسناده الحسن بن دينار البصرى وهو متروك عن على بن زيد بن جدعان وهو ضعيف وأخرج الديلمى عن أبى سعيد الخدرى مرفوعا نحوه وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذبيح اسحق أخرجه الدارقطنى فى الافراد والديلمى وأخرج ابن مردويه عن أبى هريرة مرفوعا مثله وعن ابن مسعود قال سئل النبى صلى الله عليه وآله وسلم من أكرم الناس قال يوسف ابن يعقوب بن اسحق ذبيح الله أخرجه الطبرانى وابن مردويه وعن ابن مسعود موقوفا مثله وعن العباس مثله أخرجه البخارى فى تاريخه وغيره فى غيره وعن على قال كبش أعين أبيض أقرن قد ربط بسمرة فى أصل ثبير وعن ابن عباس قال فدى اسمعيل بكبشين أملحين أقرنين أعينين وبما سقناه من الاختلاف فى الذبيح هل هو اسحق أو اسمعيل وما استدل به المختلفون فى ذلك تعلم انه لم يكن فى المقام ما يوجب القطع أو يتعين رجحانه تعينا ظاهرا

وقد رجح كل قول طائفة من المحققين المصنفين كابن جرير فإنه رجح أنه إسحق ولكنه لم يستدل على ذلك إلا ببعض ما سقناه ههنا وكابن كثير فإنه رجح أنه إسمعيل وجعل الأدلة على ذلك أقوى وأصح وليس الأمر كذلك فإنها إن لم تكن دون أدلة القائلين بأن الذبيح إسحق لم تكن فوقها ولا أرجح منها ولم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك شيء وما روي عنه فهو إما موضوع أو ضعيف جداً ولم يبق إلا مجرد استنباطات من القرآن كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق وهي محتملة ولا تقوم حجة بمحتمل فالوقف هو الذي لا ينبغي مجاوزته وفيه السلامة من الترجيح بلا مرجح ومن الاستدلال بالمحتمل (فانظر ماذا ترى) قرئ بضم التاء الفوقية وكسر الراء والمفعولان محذوفان أي انظر ماذا تريني إياه من صبرك واحتمالك وقرئ بفتح التاء والراء من الرأي وهو مضارع رأيت وقرئ ترى بضم التاء وفتح الراء مبنياً للمفعول أي ماذا يخيل إليك ويسنح لخاطرك قال الفراء في بيان معنى القراءة الأولى انظر ماذا ترى من صبرك وجزعك وقال الزجاج لم يقل هذا أحد غيره وإنما قال العلماء ماذا تشير أي ما تريك نفسك من الرأي وقال أبو عبيد إنما يكون هذا من رؤية العين خاصة وكذا قال أبو حاتم وغلطهما النحاس وقال هذا يكون من رؤية العين وغيرها ومعنى القراءة الثانية ظاهر واضح وإنما شاوره ليعلم صبره لأمر الله وإلا فرؤيا الأنبياء وحي وامتثالها لازم لهم متحتم عليهم (قال يا أبت افعل ما تؤمر) به مما أوحي إليك من ذبحي وما موصولة وقيل مصدرية على معنى افعل أمرك والمصدر مضاف إلى المفعول وتسمية المأمور به أمراً والأول أولى (ستجدني إن شاء الله من الصابرين) على ما ابتلاني به من الذبح والتعليق بمشيئة الله سبحانه تبرك منه (فلما أسلما) أي استسلما لأمر الله وأطاعاه وانقادا له وخضعا قرأ الجمهور أسلما وقرأ علي وابن مسعود وابن عباس فلما سلما أي فوضا أمرهما إلى أمر الله وروي عن ابن عباس أنه قرأ استسلما قال قتادة أسلم أحدهما نفسه لله وأسلم الآخر ابنه يقال سلم لأمر الله وأسلم واستسلم بمعنى واحد وقد اختلف في جواب لما ماذا هو فقيل هو محذوف تقديره ظهر صبرهما أو أجزلنا لهما أجرهما أو فديناه بكبش هكذا قال البصريون وقال الكوفيون الجواب هو ناديناه والواو زائدة مقحمة واعترض عليهم النحاس بأن الواو من حروف المعاني ولا يجوز أن تزاد وقال الأخفش الجواب وتله للجبين والواو زائدة وروي هذا أيضاً عن الكوفيين ويرد عليه

صلى الله عليه وسلم من قعدت أو كلمة نحوها منكن في بيتها فإنها تدرك عمل المجاهدين في سبيل الله تعالى ثم قال لا نعلم رواه عن ثابت إلا روح بن المسيب وهو رجل من أهل البصرة مشهور وقال البزار أيضاً حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عمرو بن عاصم حدثنا همام عن قتادة عن مورق عن أبي الأحوص عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان وأقرب ما تكون بروحة ربها وهي في قعر بيتها ورواه الترمذي عن بندار عن عمرو بن عاصم به نحوه وروى البزار بإسناده المتقدم وأبو داود أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قال صلاة المرأة في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها وهذا إسناد جيد وقوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى قال مجاهد كانت المرأة تخرج تمشي بين يدي الرجال فذلك تبرج الجاهلية وقال قتادة ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى يقول إذا خرجتن من بيوتكن وكانت لهن مشية وتكسر وتغنج فنهى الله تعالى عن ذلك وقال مقاتل بن حيان ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى والتبرج أنها تلقي الخمار على رأسها ولا تشده فيواري قلائدها وقرطها وعنقها ويبدو ذلك كله منها وذلك التبرج ثم عمت نساء المؤمنين في التبرج وقال ابن جرير حدثني ابن زهير حدثنا موسى بن إسمعيل حدثنا داود يعني ابن أبي الفرات حدثنا علي بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال تلا هذه الآية ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى قال كانت فيما بين نوح وإدريس وكانت ألف سنة وإن بطنين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكان رجال الجبل صباحاً وفي النساء دمامة وكان نساء السهل صباحاً وفي الرجال دمامة وإن إبليس لعنه الله أتى رجلاً من أهل السهل في صورة غلام فأجر نفسه منه فكان يخدمه فاتخذ إبليس شيئاً من مثل الذي يزمر فيه الرعاء فجاء فيه بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حوله فانتابوهم يستمعون إليه واتخذوا عيداً يجتمعون إليه في السنة فيتبرج الرجال للنساء قال ويتزين الرجل لهن وإن رجلاً من أهل الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك فرأى النساء وصباحتهن فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك فتحولوا إليهن فنزلوا معهن وظهرت الفاحشة فيهن فهو قول الله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وقوله تعالى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله نهاهن أولاً

عن الشر ثم أمرهن بالخير من اقامة الصلاة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وايتاء الزكاة وهي الاحسان الى المخلوقين وأطعن الله ورسوله وهذا من باب عطف العام على الخاص وقوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وهذا نص في دخول أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في أهل البيت ههنا لانهن سبب نزول هذه الآية وسبب النزول داخل فيه قولا واحدا اما وحده على قول أو مع غيره على الصحيح وروى ابن جرير عن عكرمة انه كان ينادي في السوق انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا (٧٢) نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم خاصة وهكذا روى ابن أبي حاتم قال حدثنا علي بن حرب الموصلي حدثنا زيد بن الحباب حدثنا حسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت قال نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم خاصة وقال عكرمة من شاء باهلته انها نزلت في شأن نساء النبي صلى الله عليه وسلم فان كان المراد انهن كن سبب النزول دون غيرهن فصحيح وان اريد أنهن المراد فقط دون غيرهن ففي هذا نظر فانه قد وردت أحاديث تدل على ان المراد أعم من ذلك الحديث الاول قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد اخبرنا علي بن زيد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمر بباب فاطمة رضي الله عنها ستة اشهر اذا خرج الى صلاة الفجر يقول الصلاة يا اهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا ورواه الترمذي عن عبد ابن حميد عن عفان به وقال حسن غريب حديث آخر قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا ابو نعيم حدثنا يونس عن ابي اسحق اخبرني ابو داود عن ابي الحمراء قال رابطت المدينة هذه سبعة اشهر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا طلع الفجر جاء الى باب علي وفاطمة رضي الله عنهما فقال الصلاة الصلاة انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا أبو داود الاعمى هو نفيع ابن الحرث كذاب حديث آخر وقال الامام احمد ايضا حدثنا محمد بن مصعب حدثنا الاوزاعي حدثنا شداد ابو عمار قال دخلت على واثلة بن الاسقع رضي الله عنه وعنده قوم فذكروا عليا رضي الله عنه فشتموه فشتمته معهم فلما قاموا قال لي شتمت هذا الرجل قلت

اعتراض النحاس كما ورد على الاول (وتله للجبين) أي صرعه وأسقطه على شقه وقيل هو الرمي بقوة وأصله من رماه على التل وهو المكان المرتفع أو من التليل وهو العنق أي رماه على عنقه ثم قيل لكل اسقاط وان لم يكن على تل ولا على عنق وفي القاموس تله تلا من باب قتل فهو متلول وتليل صرعه وألقاه على عنقه وخده يقال تللت الرجل اذا ألقيته والتل الصرع والدفع والمراد انه أضجعه على جبينه على الارض والجبين ما انكشف من الجبهة قاله السمين وفي المصباح الجبين ناحية الجبهة من محاذاة النزعة الى الصدغ وهما جبينان عن يمين الجبهة وشمالها قاله الازهري وابن فارس وغيرهما فتكون الجبهة بين جبينين وجمعه جبن بضمتين مثل بريد وبرد وأجبنة مثل أسلحة وقيل المعنى كبه على وجهه كيلا يرى منه ما يؤثر الرقة لقلبه واختلف في الموضع الذي أراد ذبحه فيه فقيل هو مكة في المقام وقيل في المنحر بمنى عند الجمار وقيل على الصخرة التي بأصل جبل ثبير وقيل بالشام (وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) أي عزمت على الاتيان بما رأيته قال المفسرون لما أضجعه للذبح نودي من الجبل يا ابراهيم الخ وجعله مصدقا بمجرد العزم وان لم يذبحه لانه قد أتى بما أمكنه والمطلوب استسلامهما لامر الله وقد فعلا قال القرطبي قال أهل السنة ان نفس الذبح لم يقع ولو وقع لم يتصور رفعه فكان هذا من باب النسخ قبل الفعل لانه لو حصل الفراغ من امتثال الامر بالذبح ما تحقق الفداء قال ومعنى صدقت الرؤيا فعلت ما أمكنك ثم امتنعت لما منعناك هذا أصح ما قيل في هذا الباب وقالت طائفة ليس هذا مما ينسخ بوجه لان معنى ذبحت الشئ قطعته وقد كان ابراهيم يأخذ السكين فيمر بها على حلقه فتنقلب كما قال مجاهد وقال بعضهم كان كلما قطع جزأ التأم وقالت طائفة منهم السدي ضرب الله على عنقه صفيحة نحاس فجعل ابراهيم يحز ولا يقطع شيأ وهذا كله جائز في القدرة الالهية لكنه يفتقر الى نقل صحيح فانه امر لا يدرك بالنظر وانما طريقه الخبر ولو كان قد جرى ذلك لبينه الله تعظيما لرتبة اسمعيل وابراهيم وكان أولى بالبيان من الفداء وقال بعضهم ان ابراهيم ما أمر بالذبح الحقيقي الذي هو فري الاوداج وانهار الدم وانما رأى انه أضجعه للذبح فتوهم انه أمر بالذبح الحقيقي فلما أتى بما أمر به من الاضجاع قيل له قد صدقت الرؤيا وهذا كله خارج عن المفهوم ولا يظن بالخليل والذبيح ان يفهما من هذا الامر ما ليس له حقيقة حتى يكون منهما التوهم وأيضا فصحت

قد شقوه فشققته معهم قال ألا أخبرك بما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت بلى قال أتيت فاطمة رضي الله عنها أسألها عن علي رضي الله عنه فقالت توجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست انتظره حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه علي وحسن وحسين رضي الله عنهم آخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل فأدنى عليا وفاطمة رضي الله عنهما وأجلسهما بين يديه وأجلس حسنا وحسينا رضي الله عنهما كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم ثوبه أو قال كساءه ثم تلا صلى الله عليه وسلم هذه الآية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا (٧٣) وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحق

وقد رواه أبو جعفر بن جرير عن عبد الكريم عن ابن أبي عمر عن الوليد ابن مسلم عن أبي عمرو الأوزاعي بسنده نحوه وزاد في آخره قال واثلة رضي الله عنه فقلت وأنا يا رسول الله صلى الله عليك من أهلك قال صلى الله عليه وسلم وأنت من أهلي قال واثلة رضي الله عنه وانها لمن أرجى ما أرتجي ثم رواه أيضا عن عبد الأعلى بن واصل عن الفضل بن دكين عن عبد السلام بن حرب عن كلثوم المحاربي عن شداد بن أبي عمار قال اني لجالس عند واثلة بن الأسقع رضي الله عنه اذ ذكروا عليا رضي الله عنه فشتموه فلما قاموا قال اجلس حتى أخبرك عن هذا الذي شتموه اني عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاء علي وفاطمة وحسن وحسين رضي الله عنهم فألقى صلى الله عليه وسلم عليهم كساء له ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قلت يا رسول الله وأنا قال صلى الله عليه وسلم وأنت قال فوالله انها لأوثق عمل عندي حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا

(١٠ فتح البيان ثامن) عبد الله بن نمير حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح حدثني من سمع أم سلمة رضي الله عنها تذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في بيتها فأتته فاطمة رضي الله عنها ببرمة فيها خزيرة فدخلت عليه بها فقال صلى الله عليه وسلم لها ادعي زوجك وابنيك قالت فجاء علي وحسن وحسين رضي الله عنهم فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وهو على منامة له وكان تحته صلى الله عليه وسلم كساء خيبري قالت وأنا في الحجرة أصلي فأنزل الله عز وجل هذه الآية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت رضي الله عنها فأخذ صلى الله عليه وسلم فضل الكساء فغطاهم به ثم

هذه الأشياء لما احتيج الى الفداء أخرج الطبراني عن ابن عباس قال لما أراد ابراهيم أن يذبح اسحق قال لأبيه اذا ذبحتني فاعتزل لا أضطرب فينتضح عليك دمي فشده فلما أخذ الشفرة وأراد أن يذبحه نودي من خلفه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا وأخرج أحمد عنه مرفوعا مثله مع زيادة وأخرجه عنه موقوفا وأخرج ابن المنذر والحاكم وصححه من طريق مجاهد عنه قال فلما أسلما سلما أمراه وتله وضع وجهه الى الأرض فقال لا تذبحني وأنت تنظر عسى أن ترحمني فلا تجهز علي وأن أجزع فأنكص وأمتنع منك ولكن اربط يدي الى رقبتي ثم ضع وجهي الى الأرض فلما أدخل يده ليذبحه فلم تحل المدية حتى نودي أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا فأمسك يده وعنه أيضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رؤيا الأنبياء وحي أخرجه ابن أبي حاتم وأخرجه البخاري وغيره من قول عبيد بن عمير واستدل بهذه الآية

(انا كذلك) أي كما جزيناك (نجزي المحسنين) أي نجزيهم بامتثال الأمر بالخلاص من الشدائد والسلامة من المحن فالجملة كالتعليل لما قبلها قال مقاتل جزاه الله سبحانه باحسانه في طاعته العفو عن ذبح ابنه (ان هذا لهو البلاء المبين) الابتلاء والبلاء الاختبار والمعنى أن هذا هو الاختبار الظاهر حيث اختبره الله في طاعته بذبح ابنه وقيل ان هذا لهو النعمة الظاهرة حيث سلم الله ولده من الذبح وفداه بالكبش يقال أبلاه الله ابلاء وبلاء اذا أنعم عليه والأول أولى وان كان الابتلاء يستعمل في الاختبار بالخير والشر ومنه ونبلوكم بالشر والخير فتنة ولكن المناسب للمقام المعنى الأول قال أبو زيد هذا في البلاء الذي نزل به في أن يذبح ولده قال وهذا من البلاء المكروه (وفديناه بذبح عظيم) الذبح اسم المذبوح وجمعه ذبوح كالطحن اسم للمطحون وبالفتح المصدر ومعنى عظيم عظيم القدر ولم يرد عظيم الجثة وانما عظم قدره لأنه فدي به الذبيح أو لأنه متقبل قال النحاس العظيم في اللغة يكون للكبير وللشريف وأهل التفسير على أنه هنا للشريف أي المتقبل قال الواحدي قال أكثر المفسرين ومنهم ابن عباس أنزل عليه كبش قد رعى في الجنة أربعين خريفا وقال الحسن ما فدي الا بتيس من الأروى أهبط عليه من ثبير فذبحه ابراهيم فداء عن ابنه قال الزجاج قد قيل انه فدي بوعل والوعل التيس الجبلي ومعنى الآية جعلنا الذبح فداء له وخلصناه به من الذبح قال ابن عباس كبش عظيم

أخرج يده فألوى بها الى السماء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت فأدخلت رأسي البيت فقلت وأنا معكم يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم انك الى خير انك الى خير في اسناده من لم يسم وهو شيخ عطاء وبقية رجاله ثقات طريق أخرى قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا مصعب بن المقدام حدثنا سعيد بن زربي عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن أم سلمة رضي الله عنها قالت جاءت فاطمة رضي الله عنها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببرمة لها قد صنعت فيها عصيدة تحملها على طبق فوضعتها بين

يديه صلى الله عليه وسلم فقال أين ابن عمك وابناك فقالت رضي الله عنها في البيت فقال صلى الله عليه وسلم ادعيهم فجاءت الى علي رضي الله عنه فقالت أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت وابناك قالت أم سلمة رضي الله عنها فلما رآهم مقبلين مد صلى الله عليه وسلم يده الى كساء كان على المنامة فمده وبسطه وأجلسهم عليه ثم أخذ صلى الله عليه وسلم بأطراف الكساء الاربعة بشماله فضمه فوق رؤسهم وأومأ بيده اليمنى الى ربه فقال اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا طريق أخرى قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا عبد الله بن عبد القدوس عن الاعمش عن حكيم بن سعد قال ذكرنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند أم سلمة رضي الله عنها فقالت في بيتي نزلت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت أم سلمة جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيتي فقال لا تأذني لاحد فجاءت فاطمة رضي الله عنها فلم أستطع ان أحجبها عن أبيها ثم جاء الحسن رضي الله عنه فلم أستطع ان أحجبه عن جده صلى الله عليه وسلم وأمه رضي الله عنها ثم جاء الحسين رضي الله عنه فلم أستطع أن أحجبه ثم جاء علي رضي الله عنه فلم أستطع أن أحجبه فاجتمعوا فجللهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بكساء كان عليه ثم قال هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط قالت فقلت يا رسول الله وأنا قالت فوالله ما أنعم وقال انك الى خير طريق أخرى قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف عن أبي المعدل عن عطية الطفاوي عن أبيه قال ان أم سلمة رضي الله عنها حدثته قالت بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي يوما اذ قالت الخادم ان فاطمة وعليا رضي الله عنهما

ثم قيل قبل قد نبي قرناه معلقين على الكعبة الى ان احترق البيت في زمن ابن الزبير قال الشعبي رأيت قرني الكبش منوطين بالكعبة وقال ابن عباس والذي نفسي بيده لقد كان أول الاسلام وان رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة وقد يبس انتهى ومن المعلوم المقرر ان كل ما هو من الجنة لا تؤثر فيه النار ولم تطبخ لحم الكبش بل أكلته السباع والطيور تأمل قال أبو السعود لما ذبحه السيد ابراهيم قال جبريل الله أكبر الله أكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله أكبر فقال ابراهيم الله أكبر ولله الحمد فبقي هذا سنة انتهى عن ابن عباس ان رجلا قال نذرت لاذبحن نفسي فقال ابن عباس لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ثم تلا وفديناه بذبح عظيم وأمره بكبش فذبحه وقد استشهد أبو حنيفة بهذه الآية فيمن نذر ذبح ولده انه يلزمه ذبح شاة (وتركنا عليه في الآخرين) أي في الامم الآخرة التي تأتي بعده ولا وقف عليه لان قوله (سلام على ابراهيم) مفعول وتركنا والسلام الثناء الجميل وقال عكرمة سلام منا وقيل سلامة من الآفات والكلام في هذا كالكلام في قوله سلام على نوح في العالمين وقد تقدم في هذه السورة بيان معناه (كذلك نجزي المحسنين) أي مثل ذلك الجزاء العظيم نجزي من انقاد لامر الله ولم يقل انا كذلك هنا كما في غيره لانه قد سبق في هذه القصة فاستخف بتركها اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية (انه من عبادنا المؤمنين) أي الذين أعطوا العبودية حقها ورسخوا في الايمان بالله وتوحيده (وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين) أي بشرنا ابراهيم بولد يولد له ويصير نبيا بعد ان يبلغ السن التي يتأهل فيها لذلك ونبيا منصوب على الحال وهي حال مقدرة وقال ابن عباس انما بشر نبيا حين فداه الله من الذبح ولم تكن البشارة بالنبوة عند مولده قال الزجاج ان كان الذبيح اسحق فيظهر كونها مقدرة والاولى ان يقال ان من فسر الذبيح باسحق جعل البشارة هنا خاصة بنبوته وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشأنه ولا حاجة الى وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذي الحال ليس بشرط وانما الشرط المقارنة للفعل وقوله من الصالحين كما يجوز ان يكون صفة لنبيا يجوز أن يكون حالا من الضمير المستتر فيه فتكون أحوالا متداخلة (وباركنا عليه) أي على ابراهيم (وعلى اسحق) بمراده نعم الله عليهما وقيل كثرنا أولادهما وقيل ان الضمير في عليه يعود الى اسمعيل وهو بعيد وقيل المراد بالمباركة هنا هي الثناء الحسن عليهما الى يوم القيامة وقيل أخرجنا من

بالسدة قالت فقال صلى الله عليه وسلم لي قومي فتنحي عن أهل بيتي قالت فقمت فتنحيت في البيت قريبا فدخل علي وفاطمة ومعهما الحسن والحسين رضي الله عنهم وهما صبيان صغيران فأخذ الصبيين فوضعهما في حجره فقبلهما واعتنق عليا رضي الله عنه باحدى يديه وفاطمة رضي الله عنها باليد الاخرى فقبل فاطمة وقبل عليا وأغدق عليهم خميصة سوداء وقال اللهم اليك لا الى النار أنا وأهل بيتي قالت فقلت وأنا يارسول الله قال صلى الله عليه وسلم وأنت طريق أخرى قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد عن أم سلمة رضي الله عنها قالت ان هذه الآية نزلت في بيتي انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت وأنا جالسة على باب البيت فقلت يارسول الله ألست من أهل البيت فقال صلى الله عليه وسلم انك الى خير أنت من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت وفي البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم طريق أخرى رواه ابن جرير أيضا عن أبي كريب عن وكيع عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أم سلمة رضي الله عنها نحوه طريق أخرى قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا خالد بن مخلد حدثني موسى بن يعقوب حدثني هشيم بن هشيم بن عتبة بن أبي وقاص عن عبد الله بن وهب بن زمعة قال أخبرتني أم سلمة رضي الله عنها قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع فاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم ثم أدخلهم تحت ثوبه ثم جأر الى الله عز وجل ثم قال هؤلاء أهل بيتي قالت أم سلمة رضي الله عنها فقلت يارسول الله أدخلني معهم فقال صلى الله عليه وسلم أنت من أهلي طريق أخرى رواها ابن جرير أيضا عن أحمد بن محمد الطوسي عن عبد الرحمن بن صالح عن محمد بن سليمان الاصبهاني عن يحيى بن عبيد المكي عن عطاء عن عمر بن أبي سلمة عن أمه رضي الله عنها بنحو ذلك حديث آخر قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا محمد بن بشر عن زكريا عن مصعب بن شيبة عن صفية بنت شيبة قالت قالت عائشة رضي الله عنها خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن رضي الله عنه فأدخله معه ثم جاء الحسين رضي الله عنه فأدخله معه ثم جاءت فاطمة رضي الله عنها فأدخلها معه ثم جاء علي رضي الله عنه فأدخله معه ثم قال صلى الله عليه وسلم انما يريد الله ليذهب

صلبه ألف نبي أولهم يعقوب وآخرهم عيسى (ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين) أي محسن في عمله بالايمان والتوحيد وظالم لها بالكفر والمعاصي لما ذكر الله سبحانه البركة في الذرية بين ان كون الذرية من هذا العنصر الشريف والمحتد المبارك ليس بنافع لهم ولا يجري أمر الخبث والطيب على العرق والعنصر فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر وهذا مما يهدم أمر الطبائع والعناصر بل انما ينتفعون بأعمالهم لا بآبائهم فان اليهود والنصارى وان كانوا من ولد اسحق فقد صاروا الى ما صاروا اليه من الضلال المبين وان العرب وان كانوا من ولد اسمعيل فقد ماتوا على الشرك الا من أنقذه الله بالاسلام وفيه تنبيه على ان الظلم في أعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة وان المرء انما يعاب بسوء فعله ويعاقب على ما اجترحت يداه لا على ما وجد من أصله وفرعه ولما فرغ سبحانه من ذكر انجاء الذبيح من الذبح وما من عليه بعد ذلك من النبوة ذكر ما من به على موسى وهرون فقال (ولقد مننا على موسى وهرون) يعني بالنبوة وغيرها من النعم العظيمة التي أنعم الله بها عليهما (ونجيناهما وقومهما) المراد بقومهما هم المؤمنون من بني اسرائيل (من الكرب العظيم) هو ما كانوا فيه من استعباد فرعون اياهم وما كان يصيبهم من جهته من البلاء وقيل هو الغرق الذي أهلك فرعون وقومه والاول أولى (ونصرناهم) جاء بضمير الجمع قال الفراء الضمير لموسى وهرون وقومهما لان قبله ونجيناهما وقومهما وقيل الضمير عائد على الاثنين موسى وهرون تعظيما لهما والاول أولى (فكانوا) بسبب نصرنا وتأييدنا (هم الغالبين) على عدوهم من القبط بعد ان كانوا تحت أسرهم وقهرهم وهم تأكيد أو بدل أو فصل وهو الاظهر (وآتيناهما الكتاب) أي التوراة (المستبين) البين الظاهر فيما أتى به من الحدود والاحكام يقال استبان كذا أي صار بينا (وهديناهما الصراط المستقيم) أي القيم الذي لا اعوجاج فيه وهو دين الاسلام فانه الطريق الموصلة الى الحق والصواب عقلا وسمعا أو الى المطلوب وهو الجنة (وتركنا عليهما في الآخرين سلام) ثناء (على موسى وهرون) أي أبقينا عليهما في الامم المتأخرة الثناء الجميل وقد قدمنا الكلام في السلام وكذلك تقدم في هذه السورة تفسير قوله (انا كذلك) أي كما جزيناهما (نجزي المحسنين) تعليل لاحساننا بالايمان واظهار الجلالة

عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا ورواه مسلم عن ابي بكر بن ابي شيبة عن محمد بن بشر به طريق اخرى قال ابن ابي حاتم
حدثنا أبي حدثنا شريح بن يونس ابو الحرث حدثنا محمد بن يزيد عن العوام يعني ابن حوشب رضي الله عنه عن عم له قال دخلت مع ابي
على عائشة رضي الله عنها فسألها عن علي رضي الله عنه فقالت رضي الله عنها تسألني عن رجل كان من احب الناس الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكانت تحته ابنته احب الناس اليه لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليا وفاطمة وحسنا وحسينا
رضي الله عنهم فألقى عليهم ثوبا فقال اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت فدنوت
منهم فقلت يارسول الله وأنا من اهل
بيتك فقال صلى الله عليه وسلم تنحي
فانك على خير حديث آخر قال
ابن جرير حدثنا ابن المثنى حدثنا
بكر بن يحيى عن زبان العنزي حدثنا
مندل عن الاعمش عن عطية عن
ابي سعيد رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت
هذه الآية في خمسة في وفي علي
وحسن وحسين وفاطمة انما يريد
الله ليذهب عنكم الرجس اهل
البيت ويطهركم تطهيرا قد تقدم
ان فضيل بن مرزوق رواه عن
عطية عن ابي سعيد عن ام سلمة
رضي الله عنها كما تقدم وروى ابن
ابي حاتم من حديث هرون بن سعد
العجلي عن عطية عن ابي سعيد
رضي الله عنه موقوفا والله سبحانه
وتعالى اعلم حديث آخر قال ابن
جرير حدثنا ابن المثنى حدثنا ابو بكر
الحنفي حدثنا بكير بن مسمار قال
سمعت عامر بن سعد رضي الله عنه
قال قال سعد رضي الله عنه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
نزل عليه الوحي فأخذ عليا وابنيه
وفاطمة رضي الله عنهم فأدخلهم
تحت ثوبه ثم قال رب هؤلاء أهلي واهل بيتي حديث آخر وقال مسلم في صحيحه حدثني زهير بن حرب وشجاع بن مخلد
جميعا عن ابن علية قال زهير حدثنا اسمعيل بن ابراهيم حدثني ابن حيان حدثني يزيد بن حيان قال انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن
مسلمة الى زيد بن أرقم رضي الله عنه فلما جلسنا اليه قال له حصين لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت خلفه لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابن
أخي والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله صلى الله عليه وسلم فما حدثتكم فاقبلوا ومالا

فسددوا واصابه أمره (وان الياس لمن المرسلين) قال المفسرون هو نبي من أنبياء بني
اسرائيل وقصته مشهورة مع قومه قيل وهو الياس بن ياسين من سبط هرون أخي موسى
قال ابن اسحق وغيره كان الياس هو القيم بأمر بني اسرائيل بعد يوشع وقال قتادة هو
ادريس وقيل هو ابن عم اليسع والاول أولى وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم الخضر هو الياس أخرجه ابن مردويه قرئ الياس بهمزة مكسورة
مقطوعة وبوصلها وهما سبعيتان وتوجيههما انه اسم أعجمي تلاعبت به العرب فقطعوا
همزته تارة ووصلوها أخرى وقرأ ابن مسعود والاعمش ويحيى بن وثاب وان ادريس لمن
المرسلين وقرئ ايليس وقالوا فيه الياسين كاسماعيل قيل في الالياس والخضر انهما حيان
وكل الياس وكل بالفيافي كما وكل الخضر بالبحار قال السيوطي في الاتقان قال وهب
ان الياس عمر كما عمر الخضر وأنه يبقى الى آخر الدنيا اهـ وقال الحسن البصري قد هلكا
ولا نقول كما يقول الناس انهما حيان وهو الراجح طرافي الادلة والله أعلم وعلمه أتم وأحكم
ثم اختلف في كون الخضر نبيا مرسلا أو نبيا فقط أو هو من الاولياء وأما الياس
فهو نبي مرسل باتفاق وذكر الثعلبي أنه كان الياس على صفة موسى في الغضب والقوة
نشأ نشأة حسنة يعبد الله جعله الله نبيا رسولا وآتاه آيات وسخر له الجبال والاسود وغيرهما
وتوهم قوم أن اليسع هو الياس وليس كذلك لان الله تعالى أفرد كل واحد بالذكر وقال
وهب اليسع صاحب الياس وكانا قبل زكريا ويحيى وعيسى وقيل الياس هو ادريس وهذا
غير صحيح لان ادريس جد نوح والياس من ذريته وقيل الياس هو الخضر وقيل لا بل
الخضر هو اليسع (اذ) ظرف لقوله لمن المرسلين أو متعلق بمحذوف أي اذكر يا محمد
اذ (قال لقومه ألا تتقون) عذاب الله ثم انكر عليهم بقوله (أتدعون بعلا) هو اسم
لصنم كانوا يعبدونه أي أتعبدون صنما وتطلبون الخير منه قال ثعلب اختلف
الناس في قوله سبحانه بعلا فقالت طائفة البعل هنا الصنم وكان الشيطان يدخل في جوفه
ويتكلم بالضلال والسدنة يحفظونه ويعلمونه الناس وكان طوله عشرين ذراعا وله أربعة
اوجه فافتتنوا به وعظموه حتى أخدموه أربعمائة خادم وجعلوهم أنبياءه وقالت
طائفة البعل هنا الملك وقال ابن اسحق امرأة كانوا يعبدونها قال الواحدي والمفسرون
يقولون ربا وهو بلغة اليمن يقولون للسيد والرب البعل قال النحاس القولان صحيحان أي

أتدعون

فلا تكلفوا فيه ثم قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً خطيباً بماء يدعى خماً بين مكة والمدينة فحمد الله تعالى وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله تعالى فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله عز وجل ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي ثلاثاً فقال له حصين ومن أهل بيته يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته قال نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده قال ومن هم قال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس رضي الله عنهم قال كل هؤلاء حرم الصدقة بعده قال نعم ثم رواه عن محمد بن الريان عن حسان بن ابراهيم عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم رضي الله عنه فذكر الحديث بنحو ما تقدم وفيه فقلت له من أهل بيته نساؤه قال لا ايم الله ان المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع الى أبيها وقومها أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده هكذا وقع في هذه الرواية والاولى أولى والاخذ بها أحرى وهذه الثانية تحتمل انه أراد تفسير الاهل المذكورين في الحديث الذي رواه انما المراد بهم آله الذين حرموا الصدقة أو انه ليس المراد بالاهل الازواج فقط بل هم مع آله وهذا الاحتمال أرجح جمعاً بينها وبين الرواية التي قبلها وجمعاً أيضاً بين القرآن والاحاديث المتقدمة ان صحت فان في بعض أسانيدها نظراً والله تعالى أعلم ثم الذي لا يشك فيه من تدبر القرآن ان نساء النبي صلى الله عليه وسلم داخلات في قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً فان سياق الكلام معهن ولهذا قال تعالى بعد هذا كله واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة أي واعملن بما ينزل الله تبارك وتعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم في بيوتكن من الكتاب والسنة قاله قتادة وغير واحد واذكرن هذه النعمة التي خصصتن بها من بين الناس ان الوحي ينزل في بيوتكن دون سائر الناس وعائشة بنت الصديق رضي الله عنهما أولاهن بهذه النعمة وأحظاهن بهذه الغنيمة وأخصهن من هذه الرحمة العميمة فانه لم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي في فراش امرأة سواها كما نص على ذلك صلوات الله وسلامه عليه قال بعض العلماء رحمه الله لانه لم يتزوج بكراً سواها ولم ينم معها رجل في فراشها

أتدعون صنماً عملتموه رباً وكان من صفر بالشام بلد قرب بعلبك وصار بعلبك وهو من بلاد الشام (وتذرون أحسن الخالقين) أي وتتركون عبادة أحسن من يقال له خالق بأي معنى كان كما قاله الآمدي وانتصاب الاسم الشريف في قوله (الله ربكم ورب آبائكم الاولين) على انه بدل من أحسن هذا على قراءة حمزة والكسائي والربيع بن خثيم وابن أبي اسحق وغيرهم فانهم قرؤا بنصب الثلاثة الاسماء وقيل النصب على المدح وقيل على عطف البيان وحكى أبو عبيد أن النصب على النعت قال النحاس وهو غلط وانما هو بدل ولا يجوز النعت لانه ليس بتحلية واختار هذه القراءة أبو عبيد وأبو حاتم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وغيرهما بالرفع قال أبو حاتم بمعنى هو الله ربكم قال النحاس وأولى ما قيل انه مبتدأ وخبر بغير اضمار ولا حذف وحكي عن الاخفش ان الرفع أولى وأحسن قال ابن الانباري من رفع أو نصب لم يقف على أحسن الخالقين على جهة التمام لان الله مترجم عن أحسن الخالقين على الوجهين جميعاً والمعنى انه خالقكم وخالق من قبلكم فهو الذي يحق له العبادة (فكذبوه فانهم) بسبب تكذيبه (لمحضرون) في العذاب أو في النار وقد تقدم ان الاحضار المطلق مخصوص بالشر (الا عباد الله المخلصين) أي من كان مؤمناً به من قومه قرئ بكسر اللام وفتحها كما تقدم والمعنى على الكسر انهم أخلصوا لله وعلى الفتح ان الله استخلصهم من عباده والاستثناء متصل وفيه دلالة على ان في قومه من لم يكذبه فلذلك استثنوا وقد تقدم تفسير قوله (وتركنا عليه في الآخرين سلام على آل ياسين) قرأ نافع وابن عامر باضافة آل بمعنى آل ياسين وقرأ الباقون بكسر الهمزة وسكون اللام موصولة بياسين الا الحسن فانه قرأ الياسين بادخال آلة التعريف على ياسين قيل المراد على هذه القراءة كلها الياس وعليه وقع التسليم ولكنه اسم أعجمي والعرب تضطرب في هذه الاسماء الاعجمية ويكثر تغييرهم لها قال ابن جني العرب تتلاعب بالاسماء الاعجمية تلاعباً فياسين والياس والياسين شيء واحد قال الاخفش العرب تسمي قوم الرجل باسم الرجل الجليل منهم فيقولون المهالبة على انهم سموا كل رجل منهم بالمهلب قال فعلى هذا انه سمي كل رجل منهم بالياسين قال الفراء يذهب بالياسين الى أن يجعله جمعاً فيجعل أصحابه داخلين معه في اسمه قال أبو علي الفارسي تقدير الياسين الا ان الياءين للنسبة حذفتا كما حذفتا في الاشعريين والاعجمين ورجح الفراء وأبو عبيدة قراءة الجمهور قال لانه لم يقل في

سواه فناسب أن تختص هذه المزية وأن تشرف بهذه المرتبة العلية ولكن إذا كان أزواجه من أهل بيته فقرابته أحق بهذه التسمية كما تقدم في الحديث وأهل بيتي أحق وهذا يشبه ما ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم فقال هو مسجدي هذا فهذا من هذا القبيل فإن الآية إنما نزلت في مسجد قباء كما ورد في الأحاديث الأخر ولكن إذا كان ذلك أسس على التقوى من أول يوم فمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بتسميته بذلك والله أعلم وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الوليد (٧٨) حدثنا أبو عوانة عن حصين بن عبد الرحمن عن ابن جميلة قال إن الحسن بن علي رضي الله عنهما استخلف حين قتل علي رضي الله عنهما قال فبينما هو يصلي إذ وثب عليه رجل فطعنه بخنجر وزعم حصين أنه بلغه أن الذي طعنه رجل من بني أسد وحسن رضي الله عنه ساجد قال فيزعمون أن الطعنة وقعت في وركه فمرض منها أشهرا ثم برأ فقعد على المنبر فقال يا أهل العراق اتقوا الله فينا فإنا أمراؤكم وضيفانكم ونحن أهل البيت الذي قال الله تعالى إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قال فما زال يقولها حتى ما بقي أحد من أهل المسجد إلا وله حنين بكاء وقال السدي عن أبي الديلم قال قال علي بن الحسين رضي الله عنهما لرجل من أهل الشام أما قرأت في الأحزاب إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قال نعم ولأنتم هم قال نعم وقوله تعالى إن الله كان لطيفا خبيرا أي بلطفه بكن بلغتن هذه المنزلة وبخبرته بكن وأنكن أهل لذلك أعطاكن ذلك وخصكن بذلك قال ابن جرير رحمه الله واذكرن نعمة الله عليكن بأن جعلكن في بيوت تتلى فيها آيات الله والحكمة فاشكرن الله تعالى على ذلك واحمدنه هل إن الله كان لطيفا خبيرا أي ذا لطف بكن إذ جعلكن في البيوت التي تتلى فيها آيات الله والحكمة وهي السنة خبيرا بكن إذ اختاركن لرسوله أزواجا وقال قتادة واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة قال يمتن عليهن بذلك رواه ابن جرير وقال عطية العوفي في قوله تعالى إن الله كان لطيفا خبيرا يعني لطيفا باستخراجها خبيرا بموضعها رواه ابن أبي حاتم ثم قال وكذا روى عن الربيع بن أنس عن قتادة (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين

شيء من السور على آل فلان إنما جاء الاسم كذلك الياسين لأنه إنما هو بمعنى الياس أو بمعنى الياس وأتباعه وقال الكلبي المراد بآل ياسين آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال الواحدي وهذا بعيد لأن ما بعده من الكلام وما قبله لا يدل عليه قال ابن عباس نحن آل محمد آل ياسين وقيل آل القرآن لأن ياسين من أسماء القرآن وفيه بعد بعيد وقد تقدم تفسير قوله (إنا كذلك نجزي المحسنين) أي كما جزيناه بإبقاء سيرته الحسنة في الآخرين وتقدم أيضا تفسير قوله (إنه من عبادنا المؤمنين) مستوفى (وإن لوطا لمن المرسلين) قد تقدم ذكر قصة لوط عليه السلام مستوفى (إذ نجيناه وأهله أجمعين) الظرف متعلق بمحذوف هو اذكر ولا يصح تعلقه بالمرسلين لأنه لم يرسل وقت نجيته (إلا عجوزا في الغابرين) قد تقدم أن الغابر يكون بمعنى الماضي ويكون بمعنى الباقي فالمعنى إلا عجوزا في الباقين في العذاب أو الماضين الذين قد هلكوا (ثم دمرنا الآخرين) أي أهلكناهم بالعقوبة والمعنى أن في نجاته وأهله جميعا إلا العجوز وتدمير الباقين من قومه الذين لم يؤمنوا به دلالة بينة على ثبوت كونه من المرسلين (وإنكم لتمرون عليهم) خاطب بهذا العرب أو كفار مكة على الخصوص أي تمرون على منازلهم التي فيها آثار العذاب (مصبحين) أي داخلين في وقت الصباح وهو من أصبح التامة (وبالليل) المعنى تمرون على منازلهم في ذهابكم إلى الشام ورجوعكم منه نهارا وليلا والوقف عليه مطلق والباء للملابسة (أفلا تعقلون) ما تشاهدونه في ديارهم من آثار عقوبة الله النازلة بهم فإن في ذلك عبرة للمعتبرين وموعظة للمتدبرين واعلم أنه ختم قصة لوط ويونس بالسلام كما ختم قصة من قبلهما لأن الله تعالى قد سلم على جميع المرسلين في آخر السورة فاكتفى بذلك عن ذكر كل واحد منفردا بالسلام (وإن يونس لمن المرسلين) يونس هو ذو النون وهو ابن متى قال المفسرون وكان يونس قد وعد قومه العذاب فلما تأخر عنهم العذاب خرج عنهم وقصد البحر وركب السفينة فكان بذهابه إلى البحر كالفار من مولاه فوصف بالإباق وهو معنى قوله (إذ أبق إلى الفلك المشحون) أي المملوء وأصل الإباق الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير إذن ربه وصف به فهو استعارة تصريحية أو مجاز مرسل من استعمال المقيد في المطلق وقال المبرد تأويل أبق تباعد أي ذهب السفينة ومن ذلك قولهم عبد آبق وقد اختلف أهل العلم

والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عثمان بن حكيم حدثنا عبد الرحمن بن شيبة قال سمعت أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم تقول قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال قالت فلم يرعني منه ذات يوم الا ونداؤه على المنبر قالت وأنا أسرح شعري فلففت شعري ثم خرجت الى حجرتي حجرة بيتي فجعلت سمعي عند الجريد فاذا هو يقول عند المنبر يا أيها الناس ان الله تعالى يقول ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الى آخر الآية وهكذا رواه النسائي وابن جرير من حديث عبد الواحد بن زياد به من طريق أخرى عنها قال النسائي أيضا حدثنا محمد بن حاتم حدثنا سويد أخبرنا عبد الله عن شريك عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أم سلمة رضي الله عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم يا نبي الله مالي أسمع الرجال يذكرون في القرآن والنساء لا يذكرون فأنزل الله تعالى ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات وقد رواه ابن جرير عن أبي كريب عن أبي معاوية عن محمد ابن عمرو عن أبي سلمة أن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب حدثه عن أم سلمة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله أيذكر الرجال في كل شيء ولا نذكر فأنزل الله تعالى ان المسلمين والمسلمات الآية طريق أخرى قال سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال قالت أم سلمة رضي الله عنها يا رسول الله يذكر الرجال ولا نذكر فأنزل الله تعالى ان المسلمين والمسلمات الآية

حديث آخر قال ابن جرير حدثنا سيار بن مظاهر العنزي حدثنا أبو كدينة يحيى بن المهلب عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قالت النساء للنبي صلى الله عليه وسلم ماله يذكر المؤمنين ولا يذكر المؤمنات فأنزل الله تعالى ان المسلمين والمسلمات الآية وحدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال دخل نساء على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقلن قد ذكركن الله تعالى في القرآن ولم يذكر بشيء أما فينا ما يذكر فأنزل الله تعالى ان المسلمين والمسلمات الآية فقوله تعالى ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات دليل على ان الايمان غير الاسلام وهو أخص منه لقوله تعالى قالت الاعراب آمنا قل

هل كانت رسالته قبل التقام الحوت اياه أو بعده (فساهم فكان من المدحضين) المساهمة أصلها المغالبة وهي الاقتراع وهو أن يخرج السهم على من غلب قال المبرد أي فقارع أهل السفينة قال وأصله من السهام التي تجال والمعنى فصار من المغلوبين قال يقال دحضت حجته وأدحضها الله وأصله من الزلق عن مقام الظفر قال ابن عباس اقترع فكان من المقروعين وعنه قال بعث الله يونس الى أهل قريته فردوا عليه ما جاءهم به فامتنعوا منه فلما فعلوا ذلك أوحى الله اليه اني مرسل اليهم العذاب في يوم كذا وكذا فاخرج من بين أظهرهم فأعلم قومه الذي وعده الله من عذابه اياهم فقالوا ارمقوه فان خرج من بين أظهركم فهو والله كائن ما وعدكم فلما كانت الليلة التي وعدوا بالعذاب في صبيحتها أدلج فرآه القوم فحذروا فخرجوا من القرية الى براز من أرضهم وفرقوا بين كل دابة وولدها ثم عجوا الى الله وأنابوا واستقالوا فأقالهم الله وانتظر يونس الخبر عن القرية وأهلها حتى مر به مار فقال ما فعل أهل القرية قال ان نبيهم لما خرج من بين أظهرهم عرفوا انه قد صدقهم ما وعدهم من العذاب فخرجوا من القرية الى براز من الارض ثم فرقوا بين كل ذات ولد وولدها ثم عجوا الى الله وتابوا فقبل منهم وأخر عنهم العذاب فقال يونس عند ذلك لا أرجع اليهم كذابا أبدا ومضى على وجهه أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم ومعنى هذه المساهمة ان يونس لما ركب السفينة احتبست فقال الملاحون ههنا عبد أبق من سيده وهذا رسم السفينة اذا كان فيها آبق لا تجري فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس فقال أنا الآبق وزج بنفسه في الماء وقد قدمنا الكلام على قصته وما روي فيها في سورة يونس فلا نكرره (فالتقمه الحوت) يقال لقمت اللقمة والتقمتها اذا ابتلعتها أي فابتلعه الحوت ومعنى (وهو مليم) هو مستحق اللوم يقال رجل مليم اذا أتى بما يلام عليه وأما الملوم فهو الذي يلام سواء أتى بما يستحق أن يلام عليه أم لا وقيل المليم المعيب يقال ألام الرجل اذا عمل شيئا صار به معيبا وقيل داخل في الملامة وقال ابن عباس المليم المسيء قال سعيد بن جبير لما استهموا جاء حوت الى السفينة فاغرا فاه ينتظر أمر ربه حتى اذا ألقى نفسه في الماء أخذه الحوت (فلولا أنه كان من المسبحين) أي الذاكرين لله أو المصلين له أو من القائلين لا اله الا أنت الآية وقيل من العابدين وقال ابن عباس كل تسبيح في القرآن فهو صلاة وقال الحسن ما كانت له صلاة في بطن الحوت

ولكنه تقدم عمل صالح فذكر الله تعالى له طاعته القديمة (للبث في بطنه الى يوم يبعثون) أي لصار بطن الحوت له قبرا الى يوم البعث وقيل لبث في بطنه حيا واختلف المفسرون كم أقام في بطن الحوت فقال السدي والكلبي ومقاتل بن سليمان أربعين يوما وقال الضحاك عشرين يوما وقال عطاء سبعة أيام وقال مقاتل بن حيان ثلاثة أيام وقيل ساعة واحدة وقيل التقمه ضحى ولفظه عشية وفي هذه الآية ترغيب في ذكر الله وتنشيط للذاكرين له (فنبذناه بالعراء) النبذ الطرح والعراء قال ابن الاعرابي هو الصحراء وقال الاخفش الفضاء وقال أبو عبيدة الواسع من الارض وقال الفراء المكان الخالي وروي عن أبي عبيدة أيضا انه قال هو وجه الارض وقيل الارض الخالية عن الشجر والنبات وقيل بالساحل قاله ابن عباس والمعنى ان الله طرحه من بطن الحوت في الصحراء الواسعة التي لا نبات فيها أو أمر الحوت بنبذه وانما أضاف النبذ الى نفسه وان كان الحوت هو النابذ لان أعمال العباد مخلوقة لله (وهو) عند القائه (سقيم) لما ناله في بطن الحوت من الضرر فقد صار بدنه كبدن الطفل حين يولد وقيل كالفرخ الممعط أي الممروق شعره وقيل كان قد بلي لحمه ورق عظمه ولم تبق له قوة وقد استشكل بعض المفسرين الجمع بين ما وقع هنا من قوله فنبذناه بالعراء وقوله في موضع آخر لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فان هذه الآية تدل على انه لم ينبذ بالعراء وأجاب النحاس وغيره بان الله سبحانه أخبرهها انه نبذ بالعراء وهو غير مذموم ولولا رحمته عز وجل لنبذ بالعراء وهو مذموم (وأنبتنا عليه شجرة) فوقه تظلل عليه وقيل معنى عليه عنده وقيل معنى عليه له أي مظللة له (من يقطين) هو شجرة الدباء وقال المبرد اليقطين يقال لكل شجرة ليس لها ساق بل يمتد على وجه الارض نحو الدباء والبطيخ والحنظل فان كان لها ساق تقلها فيقال لها شجرة فقط وهذا قول الحسن ومقاتل وغيرهما وقال سعيد بن جبير هو كل شيء ينبت ثم يموت من عامه قال الجوهري اليقطين ما لا ساق له من الشجر كشجر القرع ونحوه قال الزجاج اشتقاق اليقطين من قطن بالمكان أي أقام به فهو يفعيل وقيل هو اسم أعجمي قال المفسرون كان يستظل بظلها من الشمس وقيض الله له أروية من الوحش تروح عليه بكرة وعشية فكان يشرب من لبنها حتى اشتد لحمه ونبت شعره ثم أرسله الله بعد ذلك قال ابن عباس يقطين القرع وعليه الجمهور وفائدته ان

لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وفي الصحيحين لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن فيسلبه الايمان ولا يلزم من ذلك كفره باجماع المسلمين فدل على انه أخص منه كما قررناه في أول شرح البخاري وقوله {والقانتين والقانتات} القنوت هو الطاعة في سكون أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وقال تعالى وله من في السموات والارض كل له قانتون يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين وقوموا لله قانتين فالاسلام بعده مرتبة يرتقي اليها وهو الايمان ثم القنوت ناشئ عنهما {والصادقين والصادقات} هذا في الاقوال فان الصدق خصلة محمودة ولهذا كان بعض الصحابة رضي الله عنهم لم تجرب عليه كذبة لا في الجاهلية ولا في الاسلام وهو علامة على الايمان كما ان الكذب امارة على النفاق ومن صدق نجا عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة واياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا والاحاديث فيه كثيرة جدا {والصابرين والصابرات} هذه سجية الاثبات وهي الصبر على المصائب والعلم بان المقدر كائن لا محالة وتلقي ذلك بالصبر والثبات وانما الصبر عند الصدمة الاولى أي أصعبه في أول وهلة ثم ما بعده أسهل منه وهو صدق السجية وثباتها {والخاشعين والخاشعات} أي السكون والطمأنينة والتؤدة والوقار والتواضع والحامل عليه الخوف من الله تعالى ومراقبته اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك {والمتصدقين والمتصدقات} الصدقة هي الاحسان الى الناس المحاويج الضعفاء الذين لا كسب لهم ولا كاسب يعطون من فضول الاموال طاعة لله تعالى واحسانا الى خلقه وقد ثبت في الصحيحين سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله فذكر منهم ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه وفي الحديث الآخر والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار والاحاديث في الحث عليها كثيرة جدا له موضع بذاته {والصائمين والصائمات} في الحديث الذي رواه ابن ماجه والصوم زكاة البدن أي تزكيه وتطهره وتنقيه من الاخلاط الرديئة طبعا وشرعا قال سعيد بن جبير من صام

رمضان وثلاثة أيام من كل شهر دخل في قوله تعالى والصائمين والصائمات ولما كان الصوم من أكبر العون على كسر الشهوة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء ناسب أن يذكر بعده والحافظين فروجهم والحافظات أي عن المحارم والمآثم إلا عن المباح كما قال عز وجل والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون وقوله تعالى والذاكرين الله كثيراً والذاكرات قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام ابن عبيد الله حدثنا محمد بن جابر عن علي بن الأقمر عن الأغر أبي مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا أيقظ الرجل امرأته من الليل فصليا ركعتين كانا تلك الليلة من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات وقد رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث الأعمش عن الأغر أبي مسلم عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال قلت يا رسول الله أي العباد أفضل درجة عند الله تعالى يوم القيامة قال صلى الله عليه وسلم الذاكرون الله كثيراً قال قلت يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله تعالى قال لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دماً لكان الذاكرون الله تعالى أفضل منه وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا إبراهيم بن عبد الرحمن عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في طريق مكة فأتى على جمدان فقال هذا جمدان سيروا فقد سبق المفردون قالوا وما المفردون قال صلى الله عليه وسلم الذاكرون الله كثيراً ثم قال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للمحلقين قالوا والمقصرين قال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للمحلقين قالوا والمقصرين قال والمقصرين تفرد به من هذا الوجه ورواه مسلم دون آخره وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن المثنى حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة عن زياد بن أبي زياد مولى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة قال إنه بلغني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عمل

الذباب لا تجتمع عنده وإنه أسرع الأشجار نباتاً امتداداً وارتفاعاً قال ابن جزي وخص الله القرع لأنه يجمع برد الظل ولين الملمس وكبر الورق وأن الذباب لا يقربه فإن جسد يونس حين ألقي لم يكن يتحمل الذباب وقيل اليقطين شجرة التين وقيل الموز وقال سعيد بن جبير اليقطين كل شيء يذهب على وجه الأرض وعنه قال إنما كانت رسالة يونس بعد ما نبذه الحوت وهو معنى قوله (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) هم قومه الذين هرب منهم إلى البحر وجرى له ما جرى بعد هربه كما قصه الله علينا في هذه السورة وهم أهل نينوى قال قتادة أرسل إلى أهل نينوى من أرض الموصل قبل أن يصيبه ما أصابه وأو في قوله أو يزيدون قيل بمعنى الواو والمعنى ويزيدون وقال الفراء أو ههنا بمعنى بل وهو قول مقاتل والكلبي وأبي عبيدة وقال المبرد والزجاج والأخفش أو ههنا على أصله والمعنى أو يزيدون في تقديركم إذا رآهم الرائي قال هؤلاء مائة ألف أو يزيدون فالشك إنما دخل على حكاية قول المخلوقين وقرأ جعفر بن محمد ويزيدون بدون ألف الشك قال السمين الشك بالنسبة إلى المخاطبين والإبهام بالنسبة إلى أن الله أبهم أمرهم والإباحة بالنسبة إلى الناظر وكذلك التخيير أي هو مخير بين أن يحزرهم كذا أو كذا وقد وقع الخلاف بين المفسرين هل هذا الإرسال هو الذي كان قبل التقام الحوت له ويكون الواو في وأرسلناه لمجرد الجمع بين ما وقع له مع الحوت وبين إرساله إلى قومه من غير اعتبار تقديم ما تقدم في السياق وتأخير ما تأخر أو هو إرسال له بعد ما وقع له من الحوت ما وقع على قولين وقد قدمنا الإشارة إلى الاختلاف بين أهل العلم هل كان قد أرسل قبل أن يهرب من قومه إلى البحر أو لم يرسل إلا بعد ذلك والراجح أنه كان رسولاً قبل أن يذهب إلى البحر كما يدل عليه ما قدمنا في سورة يونس وبقي مستمراً على الرسالة وهذا الإرسال المذكور هنا هو بعد تقدم نبوته ورسالته قال سعيد بن جبير إنما كانت رسالة يونس بعد ما نبذه الحوت ثم تلا فنبذناه بالعراء إلى قوله إلى مائة ألف أو يزيدون وقد تقدم ما يدل على أن رسالته كانت من قبل ذلك وليس في الآية ما يدل على ما ذكره كما قدمنا وقيل يجوز أن يكون إرساله إلى قوم آخرين غير القوم الأولين وفيه بعد وأخرج الترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي بن كعب قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قول الله هذا قال يزيدون عشرين ألفاً قال الترمذي غريب وكذا روي عن الكلبي ومقاتل وعن ابن عباس قال

آدمي عملاً قط أنجى له من عذاب الله تعالى من ذكر الله عز وجل وقال معاذ رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من تعاطي الذهب والفضة ومن أن تلقوا عدوكم غداً فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم ذكر الله عز وجل وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا زبان بن فائد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن رجلاً سأله فقال أي المجاهدين (٨٢) أعظم أجراً يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم أكثرهم لله تعالى ذكراً قال فأي الصائمين أكثر أجراً قال صلى الله عليه وسلم أكثرهم لله عز وجل ذكراً ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة كل ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثرهم لله ذكراً فقال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما ذهب الذاكرون بكل خير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل وسنذكر إن شاء الله تعالى بقية الأحاديث الواردة في كثرة الذكر عند قوله تعالى في هذه السورة يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً الآية وقوله تعالى أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً خبر عن هؤلاء المذكورين كلهم أي أن الله تعالى قد أعد لهم أي هيأ لهم مغفرة منه لذنوبهم وأجراً عظيماً وهو الجنة (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن تكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً) قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الآية وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة رضي الله عنه فدخل على زينب بنت جحش الأسدية رضي الله عنها أدمهم فخطبها فقالت لست بناكحته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى فانكحيه فقالت يا رسول الله أؤامر في نفسي فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً الآية قالت قد رضيته لي يا رسول الله منكحاً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قالت إذاً لا أعصي رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنكحته نفسي وقال ابن لهيعة عن ابن أبي عمرة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش لزيد

يزيدون ثلاثين ألفاً وروي عنه أنهم يزيدون بضعة وثلاثين ألفاً وكذا روي عن الحسن وروي عن ابن عباس أنهم يزيدون بضعة وأربعين ألفاً وقال سعيد بن جبير سبعين ألفاً ولا يتعلق بالخلاف في هذا كثير فائدة (فآمنوا فمتعناهم إلى حين) أي وقع منهم الإيمان بعد ما شاهدوا أعلام نزول العذاب فمتعهم الله في الدنيا إلى حين انقضاء آجالهم ومنتهى أعمارهم ولما كانت قريش وقبائل من العرب يزعمون أن الملائكة بنات الله أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يستفتيهم على طريقة التقريع والتوبيخ فقال (فاستفتهم) أي استخبرهم يا محمد (ألربك البنات ولهم البنون) أي كيف يجعلون لله على تقدير صدق ما زعموه من الكذب أدنى الجنسين وأوضعهما وهو الإناث ولهم أعلاهما وأرفعهما وهو الذكور وهل هذا إلا قسمة ضيزى لضعف عقولهم وسوء إدراكهم ومثله قوله ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذاً قسمة ضيزى ثم زاد في توبيخهم وتقريعهم فقال (أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون) فأضرب عن الكلام الأول إلى ما هو أشد منه في التبكيت والتهكم بهم أي كيف جعلوهم إناثاً وهم لم يحضروا عند خلقنا لهم وهذا كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم فبين سبحانه أن مثل ذلك لا يعلم إلا بالمشاهدة ولم يشهدوا ولا دل دليل على قولهم من السمع ولا هو مما يدرك بالعقل حتى ينسبوا إدراكه إلى عقولهم ثم أخبر سبحانه عن كذبهم فقال (ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون) استئناف من جهته تعالى غير داخل تحت الأمر بالاستفتاء مسوق لإبطال مذهبهم الفاسد ببيان أنه ليس منشأ له إلا الإفك الصريح والافتراء القبيح من دون دليل ولا شبهة دليل فإنه لم يلد ولم يولد قرأ الجمهور ولد الله فعلاً ماضياً مسنداً إلى الله وقرئ بإضافة ولد إلى الله على أنه خبر مبتدأ محذوف أي يقولون الملائكة ولد الله والولد بمعنى مفعول يستوي فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ثم كرر سبحانه تقريعهم وتوبيخهم فقال (أصطفى البنات على البنين) قرأ الجمهور بفتح الهمزة على أنها للاستفهام الإنكاري وقد حذف معها همزة الوصل استغناء بها وقرئ بهمزة وصل [illegible] ابتداء وتسقط في الدرج لكون الاستفهام منوياً قاله الفراء وحذف حرفه للعلم به من المقام أو على أن أصطفى وما بعده بدل من الجملة المحكية بالقول وعلى تقدير عدم الاستفهام والبدل فقد حكى جماعة من المحققين منهم الفراء أن التوبيخ يكون باستفهام وبغير استفهام كما في قوله

ابن حارثة رضي الله عنه فاستنكفت منه وقالت أنا خير منه حسبا وكانت امرأة فيها حدة فأنزل الله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الآية كلها وهكذا قال مجاهد وقتادة ومقاتل بن حيان انها نزلت في زينب بنت جحش رضي الله عنها حين خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم على مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه فامتنعت ثم أجابت وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها وكانت أول من هاجر من النساء يعني بعد صلح الحديبية فوهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قبلت فزوجها زيد بن حارثة رضي الله عنه يعني والله أعلم بعد فراقه زينب فسخطت هي وأخوها وقالا إنما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجنا عبده قال فنزل القرآن وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا إلى آخر الآية قال وجاء أمر أجمع من هذا النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم قال فذاك خاص وهذا أجمع وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم على جليبيب امرأة من الأنصار إلى أبيها فقال حتى أستأمر أمها فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم إذا قال فانطلق الرجل إلى امرأته فذكر ذلك لها فقالت لاها الله إذن ما وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا جليبيبا وقد منعناها من فلان وفلان قال والجارية في سترها تسمع قال فانطلق الرجل يريد أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقالت الجارية أتريدون أن تردوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره إن كان قد رضيه لكم فأنكحوه قال فكأنها جلت عن أبويها وقالا صدقت فذهب أبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن كنت رضيته فقد رضيناه قال صلى الله عليه وسلم فإني قد رضيته قال فزوجها ثم فزع أهل المدينة فركب جليبيب فوجدوه قد قتل وحوله ناس من المشركين قد قتلهم قال أنس رضي الله عنه فلقد رأيتها وإنها لمن أنفق بيت بالمدينة وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد يعني ابن سلمة عن ثابت عن كنانة بن نعيم العدوي عن أبي برزة الأسلمي قال إن جليبيبا كان امرأ يدخل على النساء يمر بهن ويلاعبهن فقلت لامرأتي لا يدخلن عليك جليبيب فإنه إن دخل عليكن لأفعلن ولأفعلن قالت وكانت الأنصار إذا كان لأحدهم أيم لم يزوجها حتى يعلم هل للنبي صلى الله عليه وسلم فيها حاجة أم لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل

أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وقيل هو على إضمار القول والاصطفاء أخذ صفوة الشيء (ما لكم كيف تحكمون) جملتان استفهاميتان ليس لإحداهما تعلق بالأخرى من حيث الإعراب استفهمهم أولا عما استقر لهم وثبت استفهام إنكار وثانيا استفهام تعجب من هذا الحكم الذي حكموا به والمعنى أي شيء ثبت لكم كيف تحكمون لله بالبنات وهو القسم الذي تكرهونه ولكم بالبنين وهو القسم الذي تحبونه (أفلا تذكرون) أي تتذكرون والمعنى ألا تعتبرون وتتفكرون فتتذكرون بطلان قولكم (أم لكم سلطان مبين) أي حجة واضحة ظاهرة على هذا الذي تقولونه ضرورة أن الحكم بذلك لا بد له من مستند حسي أو عقلي وحيث انتفى كلاهما فلا بد من مستند نقلي وهو إضراب عن توبيخ إلى توبيخ وانتقال من تقريع إلى تقريع (فأتوا بكتابكم) أي فأتوا بحجتكم الواضحة على هذا أو فأتوا بالكتاب الذي ينطق لكم بالحجة ويشتمل عليها (إن كنتم صادقين) فيما تقولونه (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) التفات الغيبة للإيذان بانقطاعهم عن درجة الخطاب واقتضاء حالهم أن يعرض عنهم وتحكى جناياتهم للآخرين قال أكثر المفسرين إن المراد بالجنة هنا الملائكة قيل لهم جنة لأنهم لا يرون وقال مجاهد هم بطن من بطون الملائكة يقال لهم الجنة وقال أبو مالك إنما قيل لهم الجنة لأنهم خزان على الجنان والنسب الصهر قال قتادة والكلبي قالوا لعنهم الله إن الله صاهر الجن فكانت الملائكة من أولادهم قالا والقائل بهذه المقالة اليهود وقال مجاهد والسدي ومقاتل إن القائل بذلك كنانة وخزاعة قالوا إن الله خطب إلى سادات الجن فزوجوه من سروات بناتهم فالملائكة بنات الله من سروات بنات الجن وقال الحسن أشركوا الشيطان في عبادة الله فهو النسب الذي جعلوه وقال ابن عباس زعم أعداء الله أنه تبارك وتعالى هو وإبليس أخوان ثم رد الله سبحانه عليهم بقوله (ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون) أي علموا أن هؤلاء الكفار الذين قالوا هذا القول محضرون النار ويعذبون فيها لكذبهم في قولهم ذلك والمراد به المبالغة في التكذيب ببيان أن الذين ادعى هؤلاء لهم تلك النسبة ويعلمون أنهم أعلم منهم بحقيقة الحال يكذبونهم في ذلك ويحكمون بأنهم معذبون لأجله حكما مؤبدا وقيل علمت الجنة أنهم أنفسهم محضرون للحساب والأول أولى لأن الإحضار إذا أطلق

من الانصار زوجني ابنتك قال نعم وكرامة يارسول الله ونعمة عين فقال صلى الله عليه وسلم اني لست اريدها لنفسي قال فلمن يارسول الله قال صلى الله عليه وسلم لجليبيب فقال يارسول الله أشاور أمها فأتى أمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب ابنتك فقالت نعم ونعمة عين فقال انه ليس يخطبها لنفسه انما يخطبها لجليبيب فقالت اجليبيب انيه لجليبيب انيه لجليبيب انه لا لعمر الله لا نزوجه فلما أراد أن يقوم ليأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره بما قالت أمها قالت الجارية من خدرها من خطبني اليكم فاخبرتها امها قالت أتردون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره ادفعوني اليه فانه لن يضيعني فانطلق أبوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شأنك بها فزوجها جليبيبا قال فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة له فلما أفاء الله عليه قال لاصحابه رضي الله عنهم هل تفقدون من أحد قالوا نفقد فلانا ونفقد فلانا قال صلى الله عليه وسلم انظروا هل تفقدون من أحد قالوا لا قال صلى الله عليه وسلم لكني أفقد جليبيبا قال صلى الله عليه وسلم فاطلبوه في القتلى فطلبوه فوجدوه الى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه فقالوا يارسول الله هاهو ذا الى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عليه فقال قتل سبعة وقتلوه هذا مني وأنا منه مرتين أو ثلاثا ثم وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ساعديه وحفر له ماله سرير الا ساعد النبي صلى الله عليه وسلم ثم وضعه في قبره ولم يذكر انه رضي الله عنه غسله قال ثابت رضي الله عنه فما كان في الانصار أيم أنفق منها وحدث اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة ثابتا هل تعلم ما دعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قال اللهم صب عليها صبا واجعل عيشها كدا وكدا قال فما كان في الانصار أيم أنفق منها هكذا أورده الامام أحمد بطوله وأخرجه مسلم والنسائي في الفضائل قصة قتله وذكر الحافظ ابو عمر بن عبد البر في الاستيعاب ان الجارية لما قالت في خدرها أتردون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره نزلت هذه الآية وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم وقال ابن جريج أخبرني عامر بن مصعب عن طاوس قال انه سأل ابن عباس عن ركعتين بعد العصر فنهاه وقرأ ابن عباس رضي الله عنه وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم فهذه الآية عامة في جميع الامور وذلك انه اذا

فالمراد به العذاب وقيل المعنى ولقد علمت الجنة انهم يحضرون الى الجنة ثم نزه سبحانه وتعالى نفسه الكريمة فقال (سبحان الله عما يصفون) أو هو حكاية لتنزيه الملائكة لله عز وجل عما وصفه به المشركون ذكره العمادي وأشار له أبو السعود والاستثناء في قوله (الا عباد الله المخلصين) منقطع والتقدير لكن عباد الله المخلصين بريئون عن ان يصفوا الله بشيء من ذلك وقد قرئ بفتح اللام وكسرها ومعناهما ما بيناه قريبا وقيل هو استثناء من المحضرين أي انهم يحضرون النار الا من أخلص فيكون متصلا لا منقطعا قاله أبو البقاء وعلى هذا تكون جملة التسبيح معترضة ثم خاطب الكفار على العموم أو كفار مكة على الخصوص فقال (فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين) أي فانكم وآلهتكم التي تعبدون من دون الله لستم بفاتنين على الله بافساد عباده واضلالهم وعلى متعلقة بفاتنين والواو في وما تعبدون اما للعطف على اسم ان أو هو بمعنى مع وما موصولة أو مصدرية أي فانكم والذي تعبدون أو وعبادتكم ومعنى فاتنين مضلين يقال فتنت الرجل وأفتنته ويقال فتنه على الشيء وبالشيء كما يقال أضله على الشيء وأضله به قال الفراء أهل الحجاز يقولون فتنته وأهل نجد يقولون أفتنته ويقال فتن فلان على فلان امرأته أي أفسدها عليه فالفتنة هنا بمعنى الاضلال والافساد قال مقاتل يقول ما أنتم بمضلين أحدا بآلهتكم الا من قدر الله له ان يصلى الجحيم وما في ما أنتم نافية وأنتم خطاب لهم ولمن يعبدونه على التغليب قال الزجاج أهل التفسير مجمعون فيما علمت ان المعنى ما أنتم بمضلين أحدا الا من قدر الله عز وجل عليه ان يضل والجملة تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين ببيان عجزهم عن اغوائهم واضلالهم والالتفات الى الخطاب لاظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمون الكلام (الا من هو صال الجحيم) أي الا من سبق له في علم الله الشقاوة وانه سيدخل النار والاستثناء مفرغ قاله السمين وهذا من حيث اللفظ واما من حيث المعنى فهو استثناء من المفعول المقدر قال ابن عباس في الآية انكم يامعشر المشركين وما تعبدون يعني الآلهة ما أنتم عليه بمضلين الا من سبق في علمه انه سيصلى الجحيم وعنه قال يقول انكم لا تضلون أنتم ولا أضل منكم الا من قضيت عليه انه صال الجحيم وعنه قال لا تفتنون الا من هو صال الجحيم قرأ الجمهور صال بكسر اللام لانه منقوص مضاف حذفت الياء لالتقاء الساكنين وحمل على لفظ من فأفرد كما أفرده وقرأ الحسن وابن أبي عبلة بضم اللام

حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد ههنا ولا رأي ولا قول كما قال تبارك وتعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما وفي الحديث والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به ولهذا شدد في خلاف ذلك فقال ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا كقوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم (وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه (٨٥) فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولا) يقول تعالى مخبراً عن نبيه صلى الله عليه وسلم أنه قال لمولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه وهو الذي أنعم الله عليه أي بالإسلام ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وأنعمت عليه أي بالعتق من الرق وكان سيداً كبير الشأن جليل القدر حبيباً إلى النبي صلى الله عليه وسلم يقال له الحب ويقال لابنه أسامة الحب بن الحب قالت عائشة رضي الله عنها ما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية إلا أمره عليهم ولو عاش بعده لاستخلفه رواه أحمد عن سعيد بن محمد الوراق ومحمد بن عبيد عن وائل بن داود عن عبد الله البهي عنها وقال البزار حدثنا خالد بن يوسف حدثنا أبو عوانة حدثنا محمد بن معمر حدثنا أبو داود حدثنا أبو عوانة أخبرني عمر بن أبي سلمة عن أبيه قال حدثني أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال كنت في المسجد فأتاني العباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما فقالا يا أسامة استأذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقلت علي والعباس يستأذنان فقال صلى الله عليه وسلم أتدري ما حاجتهما قلت لا يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم لكني أدري قال فأذن لهما قالا يا رسول الله جئناك لتخبرنا أي أهلك أحب إليك قال صلى الله عليه وسلم أحب أهلي إلي فاطمة بنت محمد قالا يا رسول الله ما نسألك عن فاطمة قال صلى الله عليه وسلم فأسامة بن زيد بن حارثة الذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد زوجه بابنة عمته زينب بنت جحش الأسدية رضي الله عنها وأمها أميمة بنت عبد المطلب وأصدقها عشرة دنانير وستين درهما

اللام مع واو بعدها وروي عنهما أنهما قرآ صال بضم اللام بدون الواو فأما مع الواو فعلى أنه جمع سلامة بالواو حملا على معنى من وحذفت نون الجمع للإضافة وأما بدون الواو فيحتمل أن يكون جمعا وإنما حذفت الواو خطا كما حذفت لفظا ويحتمل أن يكون مفردا ووجهه على هذا كسر اللام قال النحاس وجماعة أهل التفسير يقولون إنه لحن لأنه لا يجوز هذا قاض المدينة والمعنى أن الكفار وما يعبدونه لا يقدرون على إضلال أحد من عباد الله إلا من هو من أهل النار وهم المصرون وإنما يصر على الكفر من سبق القضاء عليه بالشقاوة وأنه ممن يصلى النار أي يدخلها ثم قال الملائكة مخبرين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم كما حكاه الله سبحانه عنهم (وما منا) في الكلام حذف والتقدير وما منا أحد أو وما منا ملك (إلا له مقام معلوم) في عبادة الله وقيل التقدير وما منا إلا من له مقام معلوم رجح البصريون التقدير الأول ورجح الكوفيون الثاني قال الزجاج هذا قول الملائكة وفيه مضمر والمعنى وما منا ملك إلا له مقام معلوم يعبد ربه فيه لا يتجاوزه وقيل مقام معلوم في القربة والمشاهدة وقيل عبد الله على مقامات مختلفة كالخوف والرجاء والمحبة والرضا والأول أولى وقيل هو من كلام النبي والمؤمنين أي وما منا إلا له مقام معلوم في الجنة أو بين يدي الله في القيامة وفيه بعد ثم قالوا (وإنا لنحن الصافون) أي في مواقف الطاعة وحول العرش داعين للمؤمنين قال قتادة هم الملائكة صفوا أقدامهم وقال الكلبي صفوف الملائكة في السماء كصفوف أهل الدنيا في الأرض أو نحن الصافون لله في الصلاة وهذا على القول الثاني إنهم المؤمنون والأول أظهر (وإنا لنحن المسبحون) أي المنزهون لله المقدسون له عما أضافه إليه المشركون وقيل المصلون وقيل المراد بقولهم المسبحون مجموع التسبيح باللسان وبالصلاة والمقصود أن هذه الصفات هي صفات الملائكة وليسوا كما وصفهم به الكفار من أنهم بنات الله وعن ابن عباس قال هذه الملائكة وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما في السماء موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم وذلك قول الملائكة وما منا إلا له مقام معلوم وإنا لنحن الصافون أخرجه ابن جرير وأبو الشيخ وابن مردويه وغيرهم وعن العلاء بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يوماً لأصحابه أطت السماء وحق لها أن تئط ليس فيها موضع قدم إلا عليه ملك راكع أو ساجد ثم قرأ وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون أخرجه محمد بن نصر وابن عساكر وعن ابن

وخمارا وملحفة ودرعا وخمسين مدا من طعام وعشرة أمداد من تمر قاله مقاتل بن حيان فمكثت عنده قريبا من سنة أو فوقها ثم وقع بينهما فجاء زيد يشكوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أمسك عليك زوجك واتق الله قال الله تعالى وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير ههنا آثارا عن بعض السلف رضي الله عنهم أحببنا أن نضرب عنها صفحا لعدم صحتها فلا نوردها وقد روى الإمام أحمد ههنا أيضا من رواية حماد بن زيد عن ثابت عن أنس رضي الله عنه فيه غرابة تركنا سياقه أيضا وقد روى البخاري أيضا بعضه مختصرا فقال حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا معلى بن منصور عن حماد بن زيد حدثنا ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال إن هذه الآية وتخفي في نفسك ما الله مبديه نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة رضي الله عنهما وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن هشام بن مرزوق حدثنا ابن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان قال سألني علي بن الحسين رضي الله عنهما ما يقول الحسن في قوله تعالى وتخفي في نفسك ما الله مبديه فذكرت له فقال لا ولكن الله تعالى أعلم نبيه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها فلما أتاه زيد رضي الله عنه ليشكوها إليه قال اتق الله وأمسك عليك زوجك فقال قد أخبرتك أني مزوجكها وتخفي في نفسك ما الله مبديه وهكذا روي عن السدي أنه قال نحو ذلك وقال ابن جرير حدثني إسحق بن شاهين حدثني خالد عن داود عن عامر عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لو كتم محمد صلى الله عليه وسلم شيأ مما أوحي إليه من كتاب الله تعالى لكتم وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه وقوله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها قال الوطر هو الحاجة والأرب أي لما فرغ منها وفارقها زوجناكها وكان الذي ولي تزويجها منه هو الله عز وجل بمعنى أنه أوحى إليه أن يدخل عليها بلا ولي ولا عقد ولا مهر ولا شهود من البشر قال الإمام أحمد حدثنا هاشم يعني ابن القاسم أخبرنا النضر حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال لما انقضت عدة زينب رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة اذهب فاذكرها علي فانطلق حتى أتاها وهي تخمر عجينها قال فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها

مسعود قال إن من السموات لسماء ما فيها موضع شبر إلا وعليه جبهة ملك أو قدماه قائما أو ساجدا ثم قرأ وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون وأخرج الترمذي وحسنه وابن جرير وابن مردويه عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون إن السماء أطت وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله قيل الأطيط أصوات الأقتاب وقيل أصوات الإبل وحنينها وقد ثبت في الصحيح وغيره أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر أصحابه بأن يصفوا كما تصف الملائكة عند ربهم فقالوا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال يقيمون الصفوف المقدمة ويتراصون في الصف قال القرطبي قال مقاتل هذه الآيات الثلاث نزلت ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند سدرة المنتهى فتأخر جبريل فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم أههنا تفارقني فقال جبريل ما أستطيع أن أتقدم عن مكاني هذا وأنزل الله حكاية عن قول الملائكة وما منا إلا له مقام معلوم إلى آخرها (وإن كانوا ليقولون) إن مخففة من الثقيلة وفيها ضمير شأن محذوف واللام هي الفارقة بينها وبين النافية أي وإن الشأن كان كفار العرب ليقولون الخ وهذا رجوع إلى الإخبار عن المشركين أي كانوا قبل المبعث المحمدي إذا عيروا بالجهل قالوا (لو أن عندنا ذكرا من الأولين) أي كتابا من كتبهم كالتوراة والإنجيل (لكنا عباد الله المخلصين) أي لأخلصنا العبادة له ولم نكفر به كما كفروا فجاءهم الذكر الذي هو سيد الأذكار والكتاب الذي هو معجز من بين الكتب (فكفروا به) قال ابن عباس لما جاء المشركين من أهل مكة ذكر الأولين وعلم الآخرين كفروا بالكتاب والفاء هي الفصيحة الدالة على محذوف مقدر في الكلام قال الفراء تقديره فجاءهم محمد بالذكر فكفروا به وهذا على طريق التعجب منهم ونظير ذلك قوله في سورة فاطر وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا والمراد بالنذير الرسول وقد قيل هنا أن الذكر هو الرسول (فسوف يعلمون) عاقبة كفرهم ومغبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام وفي هذا تهديد لهم شديد (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) مستأنفة مقررة للوعيد وتصديرها بالقسم لغاية الاعتناء بتحقيق مضمونها أي وبالله والمراد بالكلمة ما وعدهم الله به من النصر والغلبة والظفر على الكفار

وأقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي وقلت يا زينب أبشري أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك قالت ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربي عز وجل فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير إذن ولقد رأيتنا حين دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعمنا عليها الخبز واللحم فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته فجعل صلى الله عليه وسلم يتتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن يا رسول الله كيف وجدت أهلك فما أدري أنا (٨٧) أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أخبر فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه فألقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب ووعظ القوم بما وعظوا به لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم الآية كلها ورواه مسلم والنسائي من طرق عن سليمان بن المغيرة به وقد روى البخاري رحمه الله عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال إن زينب بنت جحش رضي الله عنها كانت تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فتقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات وقدمنا في سورة النور عن محمد بن عبد الله بن جحش قال تفاخرت زينب وعائشة رضي الله عنهما فقالت زينب رضي الله عنها أنا التي نزل تزويجي من السماء وقالت عائشة رضي الله عنها أنا التي نزل عذري من السماء فاعترفت لها زينب رضي الله عنهما وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن المغيرة عن الشعبي قال كانت زينب رضي الله عنها تقول للنبي صلى الله عليه وسلم إني لأدل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن إن جدي وجدك واحد وإني أنكحنيك الله عز وجل من السماء وإن السفير جبريل عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا أي إنما أبحنا لك تزويجها وفعلنا ذلك لئلا يبقى حرج على المؤمنين في تزويج مطلقات الأدعياء وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة قد تبنى زيد بن حارثة رضي الله عنه فكان يقال له زيد بن محمد فلما قطع الله تعالى هذه النسبة بقوله تعالى وما جعل أدعياءكم أبناءكم إلى قوله تعالى ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ثم زاد ذلك بيانا وتأكيدا بوقوع تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش رضي الله عنها لما طلقها زيد بن حارثة رضي الله عنه ولهذا

قال فما لغي بالكلمة قوله سبحانه كتب الله لأغلبن أنا ورسلي وقال الفراء سبقت كلمتنا بالسعادة لهم والأولى تفسير هذه الكلمة بما هو مذكور هنا فإنه قال (إنهم لهم المنصورون) فهذه هي الكلمة المذكورة سابقا وهذا تفسير لها وإنما سماها كلمة وهي كلمات لأنها لما انتظمت في معنى واحد كانت في حكم كلمة مفردة فهو مجاز من إطلاق الجزء على الكل (وإن جندنا) المراد بجند الله حزبه وهم الرسل وأتباعهم والجند الأنصار والأعوان والجمع أجناد وجنود والواحد جندي فالياء للوحدة مثل روم ورومي [illegible] قال الشيباني جاء هنا على الجمع يعني قوله (لهم الغالبون) من أجل أنه رأس آية وهذا الوعد لهم بالنصر والغلبة لا ينافيه انهزامهم في بعض المواطن وغلبة الكفار لهم فإن الغالب في كل موطن هو انتصارهم على الأعداء وغلبتهم لهم فخرج الكلام مخرج الغالب على أن العاقبة المحمودة لهم على كل حال وفي كل موطن كما قال سبحانه والعاقبة للمتقين والمراد الموعد بعلوهم على عدوهم في مقام الحجاج وملاحم القتال في الدنيا وعلوهم عليهم في الآخرة وعن ابن عباس إن لم ينصروا في الدنيا نصروا في العقبى والحاصل أن قاعدة أمرهم وأساسه الظفر والنصرة وإن وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة فالعبرة للغالب ويعطى الأكثر حكم الكل ويلحق القليل بالعدم أو الغلبة باعتبار عاقبة الحال وملاحظة المآل ثم أمر الله سبحانه رسوله بالإعراض عنهم والإغماض عما يصدر منهم من الجهالات والضلالات فقال (فتول عنهم حتى حين) أي أعرض عنهم إلى مدة معلومة عند الله سبحانه وهي مدة الكف عن القتال قال السدي ومجاهد حتى أمرك بالقتال وقال قتادة إلى الموت وقيل إلى يوم بدر وقيل إلى يوم فتح مكة وقيل هذه الآية منسوخة بآية السيف والأول أولى وكان صلى الله عليه وآله وسلم أول الأمر مأمورا بالتبليغ والإنذار والصبر على أذى الكفار تألفا لهم ثم أمر بالجهاد في السنة الثانية من الهجرة قال ابن حجر رحمه الله وغزواته صلى الله عليه وآله وسلم سبع وعشرون غزوة قاتل في ثمان منها بنفسه بدر وأحد والمصطلق والخندق وقريظة وخيبر وحنين والطائف انتهى (وأبصرهم) إذا نزل بهم العذاب بالقتل والأسر وما هنا بالهم (فسوف يبصرون) ذلك عن قريب حين لا ينفعهم الإبصار وسوف هنا للوعيد لا للتبعيد إذ ليس المقام مقامه كما تقول سوف أنتقم منك وأنت متهيئ للانتقام قاله

فإن بنات في آية التحريم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم لأن الدعي فإن ذلك كان كثيرا فيهم وقوله تعالى وكان أمر الله مفعولا أي وكان هذا الأمر الذي وقع قد قدره الله تعالى وحتمه وهو كائن لا محالة كانت زينب رضي الله عنها في علم الله ستصير من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا) يقول تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له أي فيما أحل له وأمره به من تزويج زينب رضي الله عنها التي طلقها دعيه زيد بن حارثة رضي الله عنه وقوله تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل أي هذا حكم الله تعالى في الأنبياء قبله لم يكن ليأمرهم بشيء وعليهم في ذلك حرج وهذا رد على من توهم من المنافقين نقصا في تزويجه امرأة زيد مولاه ودعيه الذي كان قد تبناه وكان أمر الله قدرا مقدورا أي وكان أمره الذي يقدره كائنا لا محالة وواقعا لا محيد عنه ولا معدل فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما) يمدح تبارك وتعالى الذين يبلغون رسالات الله أي إلى خلقه ويؤدونها بأماناتها ويخشونه أي يخافونه ولا يخافون أحدا سواه فلا تمنعهم سطوة أحد عن إبلاغ رسالات الله تعالى وكفى بالله حسيبا أي وكفى بالله ناصرا ومعينا وسيد الناس في هذا المقام بل وفي كل مقام محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قام بأداء الرسالة وإبلاغها إلى أهل المشارق والمغارب إلى جميع أنواع بني آدم وأظهر الله تعالى كلمته ودينه وشرعه على جميع الأديان والشرائع فإنه قد كان النبي قبله إنما يبعث إلى قومه خاصة وأما هو صلى الله عليه وسلم فإنه بعث إلى جميع الخلق عربهم وعجمهم قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا ثم ورث مقام البلاغ عنه أمته من بعده فكان أعلى من قام بها بعده أصحابه رضي الله عنهم بلغوا عنه كما أمرهم به في جميع أقواله وأفعاله وأحواله في ليله ونهاره وحضره وسفره وسره وعلانيته فرضي الله عنهم وأرضاهم ثم ورثه كل خلف عن سلفهم إلى زماننا هذا فبنورهم يقتدي المهتدون وعلى منهجهم يسلك الموفقون فنسأل الله الكريم المنان أن يجعلنا من خلفهم قال الإمام أحمد حدثنا ابن نمير أخبرنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن أبي سعيد

لا يعبد

الكرخي ولذا عبر بالإبصار عن قرب الأمر كأنه حاضر قدامه مشاهد له خصوصا إذا قيل إن الأمر للفور وقيل يبصرون العذاب يوم القيامة ثم هدد سبحانه بقوله (أفبعذابنا يستعجلون) كانوا يقولون من فرط تكذيبهم متى هذا العذاب (فإذا نزل بساحتهم) أي إذا نزل عذاب الله لهم بفنائهم والساحة في اللغة فناء الدار الواسع الخالي من الأبنية وجمعها سوح قال الفراء نزل بهم ونزل بساحتهم سواء قال الزجاج وكان عذاب هؤلاء بالقتل وقيل المراد به نزول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بساحتهم يوم فتح مكة شبه العذاب بجيش هجم عليهم فأناخ بفنائهم بغتة وهم في ديارهم وفي الضمير المستتر في نزل استعارة بالكناية والنزول تخييل وقرأ الجمهور نزل مبنيا للفاعل وقرئ مبنيا للمفعول والجار والمجرور قائم مقام الفاعل (فساء صباح المنذرين) أي بئس صباح الذين أنذروا بالعذاب والمخصوص بالذم محذوف أي صباحهم وخص الصباح بالذكر لأن العذاب كان يأتيهم فيه وإن وقع في وقت آخر وفي التعبير بالمنذرين إقامة الظاهر مقام المضمر واللام للجنس لا للعهد فإن أفعال الذم والمدح تقتضي الشيوع للإبهام والتفصيل فلا يجوز أن تقول بئس الرجل هذا ونعم الرجل هذا إذا أردت رجلا بعينه أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس قال صبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خيبر وقد خرجوا بالمساحي فلما نظروا إليه قالوا محمد والخميس فقال الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين الحديث ثم كرر سبحانه ما سبق تأكيدا للوعد بالعذاب وتسلية على تسلية فقال (وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون) حذف مفعول أبصر هنا وذكره أولا إما لدلالة الأول عليه فتركه هنا اختصارا أو قصدا إلى التعميم للإيذان بأن ما يبصره من أنواع عذابهم لا يحيط به الوصف وقيل هذه الجملة المراد بها أحوال القيامة والجملة الأولى المراد بها عذابهم في الدنيا وعلى هذا فلا يكون من باب التأكيد بل من باب التأسيس ثم نزه سبحانه نفسه عن قبيح ما يصدر منهم فقال (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) العزة الغلبة والقوة والمراد تنزيهه عن كل ما يصفونه به مما لا يليق بجنابه الشريف وقوله رب العزة بدل من ربك وأضيف الرب إلى العزة لاختصاصه بها كأنه قيل ذي العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه به وقيل المراد العزة المخلوقة الكائنة بين خلقه ويترتب على القولين مسألة اليمين فعلى الأول تنعقد بها اليمين لأنها صفة من صفاته بخلاف الثاني فإنه

لا ينعقد بها اليمين قاله السمين ثم ذكر ما يدل على تشريف رسله وتكريمهم فقال (وسلام على المرسلين) أى الذين أرسلهم الى عباده وبلغوا رسالاته وهو من السلام الذى هو التحية وقيل معناه أمن لهم وسلامة من المكاره أخرج ابن سعد وابن مردويه عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سلمتم على المرسلين فسلموا علىّ فانما أنا بشر من المرسلين وعن أنس مرفوعا نحوه باطول منه عند ابن مردويه وعمم الرسل بالسلام بعد ما خص البعض فى السورة لان فى تخصيص كل بالذكر تطويلا (والحمد لله رب العالمين) ارشاد لعباده الى حمده على ارسال رسله اليهم مبشرين ومنذرين وتعليم لهم كيف يصنعون عند انعامه عليهم وما يثنون به عليه وقيل انه الحمد على هلاك المشركين ونصر الرسل عليهم والاولى انه حمد لله سبحانه على كل ما أنعم به على خلقه أجمعين كما يفيده حذف المحمود عليه فان حذفه مشعر بالتعميم كما تقرر فى علم المعانى والحمد هو الثناء الجميل لقصد التعظيم عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه كان اذا أراد ان يسلم من صلاته قال سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين أخرجه سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأبو يعلى وابن مردويه وأخرج الطبرانى عن ابن عباس قال كنا نعرف انصراف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الصلاة بقوله سبحان ربك الى آخرها وأخرج الخطيب نحوه من حديث أبي سعيد وأخرج الطبرانى عن زيد بن أرقم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من قال دبر كل صلاة سبحان ربك الآيات ثلاث مرات فقد اكتال بالمكيال الاوفى من الاجر وأخرج حميد بن زنجويه فى ترغيبه عن على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه نحوه وعن على رضى الله تعالى عنه من أحب أن يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك الى آخرها ذكره النسفى والخازن قال النسفى اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون فى الله ونسبوه اليه مما هو منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه فى العاقبة من النصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين والحمد لله رب العالمين على ما قيض لهم من حسن العواقب (٣)

(سورة ص آياتها ست وثمانون وقيل خمس وثمانون وقيل ثمان وثمانون آية)

وهى مكية قال القرطبى فى قول الجميع قال ابن عباس نزلت بمكة وعنه قال لما مرض

الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحقرن أحدكم نفسه ان يرى أمر الله فيه فقال ثم لا يقوله فيقول الله ما يمنعك ان تقول منه فيقول رب خشيت الناس فيقول فأنا أحق أن يخشى ورواه أيضا عن عبد الرزاق عن الثورى عن زبيد عن عمرو بن مرة ورواه ابن ماجه عن أبي كريب عن عبد الله بن نمير وأبي معاوية كلاهما عن الاعمش به وقوله تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم نهى ان يقال بعد هذا زيد بن محمد أى لم يكن أباه وان كان قد تبناه فانه صلى الله عليه وسلم لم يعش له ولد ذكر حتى بلغ الحلم فانه صلى الله عليه وسلم ولد له القاسم والطيب والطاهر من خديجة رضى الله عنها فماتوا صغارا وولد له صلى الله عليه وسلم ابراهيم من مارية القبطية فمات أيضا رضيعا وكان له صلى الله عليه وسلم من خديجة أربع بنات زينب ورقية وام كلثوم وفاطمة رضى الله عنهم أجمعين فمات فى حياته صلى الله عليه وسلم ثلاث وتأخرت فاطمة رضى الله عنها حتى أصيبت به صلى الله عليه وسلم ثم ماتت بعده لستة أشهر وقوله تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليما كقوله عز وجل الله أعلم حيث يجعل رسالته فهذه الآية نص فى انه لا نبى بعده واذا كان لا نبى بعده فلا رسول بالطريق الاولى والاحرى لان مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فان كل رسول نبى ولا ينعكس وبذلك وردت الاحاديث المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث جماعة من الصحابة رضى الله عنهم قال الامام أحمد حدثنا أبو عامر الازدى حدثنا زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مثلى فى النبيين كمثل رجل بنى دارا فأحسنها وأكملها وترك فيها موضع لبنة لم يضعها فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ويقولون لو تم موضع هذه اللبنة فأنا فى النبيين موضع تلك اللبنة ورواه الترمذى عن بندار عن أبي عامر العقدى به وقال حسن صحيح حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا المختار بن فلفل حدثنا أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدى ولا نبى قال فشق ذلك على الناس فقال ولكن المبشرات قالوا يا رسول الله وما المبشرات قال رؤيا الرجل المسلم وهو جزء من أجزاء النبوة وهكذا رواه الترمذى عن

(٣) تمت التقييدات فى ٢٦ رمضان ذو الفقار

الحسن بن محمد الزعفراني عن عفان بن مسلم به وقال صحيح غريب من حديث المختار بن فلفل حديث آخر قال أبو داود الطيالسي حدثنا سليم بن حيان عن سعيد بن ميناء عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارا فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة فكان من دخلها فنظر إليها قال ما أحسنها إلا موضع هذه اللبنة فأنا موضع اللبنة ختم بي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ورواه البخاري ومسلم والترمذي من طرق عن سليم بن حيان به وقال الترمذي صحيح غريب من هذا الوجه قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل النبيين كمثل رجل بنى دارا فأتمها إلا لبنة واحدة فجئت أنا فأتممت تلك اللبنة انفرد بإخراجه مسلم من رواية الأعمش به حديث آخر قال أحمد حدثنا يونس ابن محمد حدثنا حماد بن زيد حدثنا عثمان بن عبيد الراسبي قال سمعت أبا الطفيل رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبوة بعدي إلا المبشرات قيل وما المبشرات يا رسول الله قال الرؤيا الحسنة أو قال الرؤيا الصالحة حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام ابن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل ابتنى بيوتا فأكملها وأحسنها وأجملها إلا موضع لبنة من زاوية من زواياها فجعل الناس يطوفون ويعجبهم البنيان ويقولون ألا وضعت ههنا لبنة فيتم بنيانك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت أنا اللبنة أخرجاه من حديث عبد الرزاق حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضا قال مسلم حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة وعلي بن حجر قالوا حدثنا إسمعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث إسمعيل بن جعفر وقال الترمذي حسن صحيح حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

أبو طالب دخل عليه رهط من قريش فيهم أبو جهل فقال إن ابن أخيك يشتم آلهتنا ويفعل ويفعل ويقول ويقول فلو بعثت إليه فنهيته فبعث إليه فجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدخل البيت وبينهم وبين أبي طالب قدر مجلس رجل فخشي أبو جهل أن يجلس إلى أبي طالب ويكون أرق عليه فوثب فجلس في ذلك المجلس فلم يجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مجلسا قرب عمه فجلس عند الباب فقال له أبو طالب أي ابن أخي ما بال قومك يشكونك يزعمون أنك تشتم آلهتهم وتقول وتقول قال وأكثروا عليه من القول وتكلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا عم إني أريدهم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب وتؤدي إليهم بها العجم الجزية ففزعوا لكلمته ولقوله فقال القوم كلمة واحدة نعم وأبيك عشرا قالوا فما هي قال لا إله إلا الله فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم وهم يقولون أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب فنزل فيهم ص والقرآن ذي الذكر إلى قوله لما يذوقوا عذاب أخرجه الترمذي وصححه والنسائي وأحمد وابن أبي شيبة وعبد بن حميد والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابن جرير وابن المنذر

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ص) قرأ الجمهور صاد بسكون الدال كسائر حروف التهجي في أوائل السور فإنها ساكنة الأواخر على الوقف وقرئ بكسرها من غير تنوين لالتقاء الساكنين وهذا أقرب وقيل وجه الكسر أنه من صادى يصادي إذا عارض والمعنى صاد القرآن بعملك أي عارضه وقابله فاعمل به وهذا حكاه النحاس عن الحسن البصري وقال إنه فسر قراءته هذه بهذا وعنه أن المعنى اتله وتعرض لقراءته وقرئ صاد بفتح الدال والفتح لالتقاء الساكنين وقيل نصب على الإغراء وقيل معناه صاد محمد قلوب الخلق واستمالها حتى آمنوا به ورويت هذه القراءة عن أبي عمرو وروي عن ابن أبي إسحق أيضا أنه قرأ صاد بالكسر والتنوين تشبيها لهذا الحرف بما هو غير متمكن من الأصوات وقرئ صاد بالضم من غير تنوين على البناء نحو منذ وحيث كما قرئ به في ق ون وقد بسط السمين الكلام على توجيه الكل وقال الخفاجي يجوز السكون على الحكاية والفتح لمنع الصرف للعلمية والتأنيث باعتبار أن هذا الاسم علم على السورة والجر مع التنوين نظرا إلى كون السورة قرآنا ويقال لها سورة داود

مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل بنى دارا فأتمها الا موضع لبنة واحدة فجئت أنا فأتممت تلك اللبنة ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وأبي كريب كلاهما عن أبي معاوية به حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح حدثنا سعيد بن سويد الكلبي عن عبد الاعلى بن هلال السلمي عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اني عبد الله لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته حديث آخر قال الزهري أخبرني محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله تعالى بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي أخرجاه في الصحيحين وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن اسحق حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله ابن هبيرة عن عبد الرحمن بن جبير قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما كالمودع فقال أنا النبي الامي ثلاثا ولا نبي بعدي أوتيت فواتح الكلم وجوامعه وخواتمه وعلمت كم خزنة النار وحملة العرش وتجوز بي وعوفيت وعوفيت أمتي فاسمعوا وأطيعوا ما دمت فيكم فاذا ذهب بي فعليكم بكتاب الله تعالى أحلوا حلاله وحرموا حرامه تفرد به الامام أحمد ورواه الامام احمد أيضا عن يحيى بن اسحق عن ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن عبد الله بن شريح الخولاني عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما فذكر مثله سواء والاحاديث في هذا كثيرة فمن رحمة الله تعالى بالعباد ارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم ثم من تشريفه له ختم الانبياء والمرسلين به واكمال الدين الحنيف له وقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال ضال مضل ولو تحرق وشعبذ وأتى بأنواع السحر والطلاسم والنيرنجيات فكلها محال وضلال عند أولي الالباب كما أجرى الله سبحانه وتعالى على يد الاسود العنسي باليمن ومسيلمة الكذاب باليمامة من الاحوال الفاسدة والاقوال الباردة ما علم كل ذي لب وفهم وحجى أنهما كاذبان ضالان لعنهما الله وكذلك كل مدع لذلك الى يوم القيامة حتى يختموا بالمسيح الدجال يخلق الله تعالى معه من الامور ما يشهد العلماء والمؤمنون بكذب من جاء بها وهذا من تمام

داود وقد اختلف في معنى ص فقال الضحاك معناه صدق الله وقال عطاء صدق محمد وقال سعيد بن جبير هو بحر يحيي الله به الموتى بين النفختين وقال محمد بن كعب هو مفتاح اسم الله وقال قتادة هو اسم من أسماء الله وعنه هو اسم من أسماء الرحمن وقال مجاهد هو فاتحة السورة وقال ابن عباس صن محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل هو مما استأثر الله بعلمه وهو أعلم بمراده به وهذا هو الحق كما قدمنا في فاتحة سورة البقرة قيل وهو اسم للحروف مسرودا على نمط التعديد أو اسم للسورة أو خبر مبتدأ محذوف أو منصوب باضمار اذكر أو اقرأ (والقرآن) هي واو القسم والاقسام بالقرآن فيه تنبيه على شرف قدره وعلو محله ومعنى (ذي الذكر) انه مشتمل على الذكر الذي فيه بيان كل شيء وقال مقاتل معنى ذي الذكر ذي البيان وقال الضحاك وابن عباس ذي الشرف والعظمة كما في قوله لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أي شرفكم أو الشهرة وقيل ذي الموعظة وقيل فيه ذكر ما يحتاج اليه في أمر الدين وقيل فيه ذكر أسماء الله تعالى وتمجيده وقيل فيه ذكر العقائد والشرائع والمواعيد وجواب القسم قوله ان ذلك لحق قاله الزجاج والكسائي والكوفيون وقال الفراء لا نجده مستقيما لتأخره جدا عن قوله والقرآن ورجح هو وثعلب ان الجواب قوله كم أهلكنا وقال الاخفش الجواب هو ان كل الا كذب الرسل وقيل هو صاد لان معناه حق فهو جواب لقوله والقرآن كما تقول حقا والله وجب والله ذكره ابن الانباري وروي أيضا عن ثعلب والفراء وهو مبني على ان جواب القسم يجوز تقدمه وهو ضعيف وقيل الجواب محذوف والتقدير لتبعثن ونحو ذلك وقال الحوفي تقديره لقد جاءكم الحق ونحوه وقال الزمخشري انه لمعجز والمحلي انك لمن المرسلين وقال ابن عطية تقديره ما الامر كما يزعم الكفار من تعدد الآلهة والقول بالحذف أولى وقيل ان قوله ص مقسم به وعلى هذا القول تكون الواو في والقرآن للعطف عليه ولما كان الاقسام بالقرآن دالا على صدقه وانه حق وانه ليس محلا للريب قال سبحانه (بل الذين كفروا في عزة وشقاق) فأضرب عن ذلك وكأنه قال لا ريب فيه قطعا ولم يكن عدم قبول المشركين له لريب فيه بل هم في عزة عن قبول الحق أي تكبر وتجبر وشقاق أي امتناع عن قبول الحق يعني ليس الحامل لهم عليه الدليل بل مجرد الحمية والخصام والتقليد والعزة عند العرب الغلبة والقهر يقال من عزبز أي من غلب أخذ السلب ومنه وعزني في الخطاب أي غلبني والشقاق مأخوذ من الشق

لطف الله تعالى بخلقه فإنهم بضرورة الواقع لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر إلا على سبيل الاتفاق إلى غيره ويكون في غاية الإفك والفجور في أقوالهم وأفعالهم كما قال تعالى هل أنبئكم على من تنزل الشياطين الآية وهذا بخلاف حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإنهم في غاية البر والصدق والرشد والاستقامة ويأمرون به وينهون عنه مع ما يؤيدون به من الخوارق للعادات والأدلة الواضحات والبراهين الباهرات فصلوات الله وسلامه عليهم دائما مستمرا ما دامت الأرض والسموات (يا أيها (٩٢) الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما) يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين بكثرة ذكرهم لربهم تبارك وتعالى المنعم عليهم بأنواع النعم وصنوف المنن لما لهم في ذلك من جزيل الثواب وجميل المآب قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد عن عبد الله بن سعيد حدثني مولى ابن عياش عن أبي بحرية عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا وما هو يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم ذكر الله عز وجل وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن سعيد بن أبي هند عن زياد مولى ابن عياش عن أبي بحرية واسمه عبد الله بن قيس التراغمي عن أبي الدرداء رضي الله عنه به قال الترمذي ورواه بعضهم عنه فأرسله قلت وقد تقدم هذا الحديث عند قوله تعالى والذاكرين الله كثيرا والذاكرات في مسند الإمام أحمد من حديث زياد بن أبي زياد مولى عبد الله بن عياش أنه بلغه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه فالله أعلم وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا فرج بن فضالة عن أبي سعيد الحمصي قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول دعاء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أدعه اللهم اجعلني أعظم شكرك وأتبع نصيحتك وأكثر ذكرك وأحفظ وصيتك ورواه الترمذي عن يحيى بن موسى عن وكيع عن أبي فضالة الفرج بن فضالة عن أبي سعيد الحمصي عن أبي هريرة رضي الله عنه فذكر

وهو الخلاف والعداوة وقد تقدم بيانه والتنكير فيهما للدلالة على شدتهما وتفاقمهما وقرئ في غرة أي في غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق والأول أولى ثم خوفهم سبحانه وهددهم بما فعله بمن قبلهم من الكفار فقال (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) يعني الأمم الخالية المهلكة بتكذيب الرسل أي كم أهلكنا الذين كانوا أمنع من هؤلاء وأشد قوة وأكثر أموالا وكم هي الخبرية الدالة على التكثير وهي في محل نصب بأهلكنا على أنها مفعول به ومن قرن تمييز ومن في من قبلهم هي لابتداء الغاية (فنادوا ولات حين مناص) النداء هو نداء الاستغاثة منهم عند نزول العذاب بهم وليس الحين حين مناص قال الحسن نادوا بالتوبة وليس حين التوبة ولا حين ينفع العمل والمناص مصدر ناص ينوص وهو الفوت والتأخر ولات بمعنى ليس بلغة أهل اليمن وقال النحاة هي لا التي بمعنى ليس زيدت عليها التاء كما في قولهم رب وربت وثم وثمت قال الفراء النوص التأخر وأنشد قول امرئ القيس

أمن ذكر ليلى إذ نأتك تنوص * فتقصر عنها خطوة وتبوص

قال يقال ناص عن قرنه ينوص نوصا ومناصا أي فر وراغ قال الفراء ويقال ناص ينوص إذا تقدم وقيل المعنى أنه قال بعضهم لبعض مناص أي عليكم بالفرار والهزيمة فلما أتاهم العذاب قالوا مناص فقال الله ولات حين مناص قال سيبويه والخليل لات مشبهة بليس والاسم فيها مضمر أي ليس حيننا حين مناص وقال الزجاج التقدير وليس أواننا قال ابن كيسان والقول قول سيبويه والوقف عليها عند الكسائي بالهاء وبه قال المبرد والأخفش وقال الأخفش إنها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الأحيان قال الكسائي والفراء والخليل وسيبويه والأخفش والتاء تكتب منقطعة عن حين وكذلك هي في المصاحف وقال أبو عبيد تكتب متصلة بحين فيقال ولاتحين وقد يستغنى بحين عن المضاف إليه قال أبو عبيد لم نجد العرب تزيد هذه التاء إلا في حين وأوان والآن فلعلهم يزيدونها في غير ذلك أيضا وقال ابن عباس ليس بحين نزو ولا فرار وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عكرمة عنه قال نادوا النداء حين لا ينفعهم وأنشد

تذكرت ليلى حين لات تذكر * وقد بنت منها والمناص بعيد

وعنه قال ليس هذا حين زوال وعنه قال لا حين فرار وقرأ الجمهور ولات بفتح التاء وقرئ بكسرها

مثله وقال غريب وهكذا رواه الامام احمد ايضا عن ابي النضر هاشم بن القاسم عن فرج بن فضالة عن ابي سعيد المري عن ابي هريرة رضي الله عنه فذكره وقال الامام احمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح عن عمرو بن قيس قال سمعت عبد الله بن بسر يقول جاء أعرابيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال احدهما يا رسول الله أي الناس خير قال صلى الله عليه وسلم من طال عمره وحسن عمله وقال الآخر يا رسول الله ان شرائع الاسلام قد كثرت علينا فمرني بأمر أتشبث به قال صلى الله عليه وسلم لا يزال لسانك رطبا بذكر الله تعالى وروى الترمذي وابن ماجه الفصل الثاني من حديث معاوية بن صالح به وقال الترمذي حديث حسن غريب وقال الامام احمد حدثنا شريح حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحرث قال ان دراجا ابا السمح حدثه عن ابي الهيثم عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقولوا مجنون وقال الطبراني حدثنا عبد الله بن احمد حدثنا عقبة بن مكرم العمي حدثنا سعيد بن سفيان الجحدري حدثنا الحسن بن أبي جعفر عن عقبة بن أبي شبيب الراسبي عن أبي الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذكروا الله ذكرا كثيرا (١) يقول المنافقون مراؤن وقال الامام أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا شداد أبو طلحة الراسبي سمعت أبا الوازع جابر بن عمرو يحدث عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من قوم جلسوا مجلسا لم يذكروا الله تعالى فيه الا رأوه حسرة يوم القيامة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا ان الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة الا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر فان الله تعالى لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولم يعذر أحدا في تركه الا مغلوبا على تركه فقال اذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم بالليل والنهار في البر والبحر وفي السفر والحضر والغنى والفقر والسقم والصحة والسر والعلانية وعلى كل حال وقال عز وجل وسبحوه بكرة وأصيلا فاذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته والاحاديث والآيات والآثار في الحث على ذكر الله تعالى كثيرة جدا وفي هذه الآية الكريمة الحث على الاكثار من ذلك وقد صنف الناس في الاذكار المتعلقة بآناء الليل والنهار

بكسرها كحين وجملة ولات حين مناص في محل نصب على الحال من ضمير نادوا (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم) أي عجب الكفار الذين وصفهم الله سبحانه بانهم في عزة وشقاق ان جاءهم رسول من أنفسهم ينذرهم بالعذاب ان استمروا على الكفر وأن وما في حيزها في محل نصب بنزع الخافض أي من أن جاءهم وهو كلام مستأنف مشتمل على ذكر نوع من أنواع كفرهم (وقال الكافرون هذا ساحر كذاب) قالوا هذا القول لما شاهدوا ما جاء به من المعجزات الخارجة عن قدرة البشر أي هذا المدعي للرسالة ساحر فيما يظهره من المعجزات كذاب فيما يدعيه من ان الله أرسله قيل ووضع الظاهر موضع المضمر لاظهار الغضب عليهم وان ما قالوه لا يتجاسر على مثله الا المتوغلون في الكفر المنهمكون في الغي اذ لا كفر أغلظ من أن يسموا من صدقه الله كاذبا ساحرا ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الابلج ولا يتعجبوا من الشرك وهو باطل لجلج ثم أنكروا ما جاء به صلى الله عليه وآله وسلم من التوحيد وما نفاه من الشركاء لله فقالوا (أجعل الآلهة) أي صيرها (الها واحدا) وقصرها على الله سبحانه (ان هذا لشيء عجاب) أي لامر بالغ في العجب الى الغاية ووجه تعجبهم من هذا القصر والحصر وقالوا كيف يسع الخلق كلهم اله واحد ومنشؤه ان القوم ما كانوا أصحاب نظر واستدلال بل كانت أوهامهم تابعة للمحسوسات فلما وجدوا في الشاهد أن الفاعل الواحد لا تفي قدرته وعلمه بضبط الخلائق قاسوا الغائب على الشاهد وان اسلافهم لكثرتهم وقوة عقولهم كانوا مطبقين على الشرك توهموا ان كونهم على هذه الحال محال أن يكونوا مبطلين فيه ويكون الانسان الواحد محقا ولعمري لو كان التقليد حقا كانت هذه الشبهة لازمة قاله الكرخي قال الجوهري العجيب الامر الذي يتعجب منه وكذلك العجاب بالضم والعجاب بالتشديد أكثر منه وقرأ الجمهور عجاب بالتخفيف وقرئ بتشديد الجيم قال مقاتل بالتخفيف لغة أزد شنوءة قيل والعجاب بالتخفيف والتشديد يدل على انه قد تجاوز الحد في العجب كما يقال الطويل للذي فيه طول والطوال للذي قد تجاوز حد الطول وكلام الجوهري يفيد اختصاص المبالغة بعجاب بتشديد الجيم لا بالتخفيف وقد قدمنا في صدر هذه السورة سبب نزول هذه الآيات (وانطلق الملأ منهم) المراد بالملا الاشراف كما هو مقرر في غير موضع من تفسير الكتاب العزيز عن ابن عباس قال نزلت حين انطلق أشراف قريش الى أبي طالب فكلموه في النبي صلى الله عليه وآله وسلم فائلس

(١) بياض بأصله

كالنسائي والمعمري وغيرهما ومن أحسن الكتب المؤلفة في ذلك كتاب الاذكار للشيخ محيي الدين النووي رحمه الله وقوله تعالى وسبحوه بكرة وأصيلا أي عند الصباح والمساء كقوله عز وجل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون وقوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته هذا تهييج الى الذكر أي انه سبحانه يذكركم فاذكروه أنتم كقوله عز وجل كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون وقال

النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم والصلاة من الله تعالى ثناؤه على العبد عند الملائكة حكاه البخاري عن أبي العالية ورواه أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عنه وقال غيره الصلاة من الله عز وجل الرحمة وقد قال لا منافاة بين القولين والله أعلم وأما الصلاة من الملائكة فبمعنى الدعاء للناس والاستغفار كقوله تبارك وتعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات الآية وقوله تعالى ليخرجكم من الظلمات الى النور أي بسبب رحمته بكم وثنائه عليكم ودعاء ملائكته لكم يخرجكم من ظلمات الجهل والضلال الى نور الهدى واليقين وكان بالمؤمنين رحيما أي في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فانه هداهم الى الحق الذي جهله غيرهم وبصرهم الطريق الذي ضل عنه وحاد عنه من سواهم من الدعاة الى الكفر أو البدعة وأشياعهم من الطغام وأما رحمته بهم في الآخرة فآمنهم من الفزع الاكبر وأمر ملائكته يتلقونهم بالبشارة بالفوز بالجنة والنجاة من النار وما ذاك الا لمحبته لهم ورأفته بهم قال الامام أحمد حدثنا محمد بن عدي عن حميد عن أنس رضي الله عنه قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه رضي الله عنهم وصبي في الطريق فلما رأت أمه القوم خشيت على ولدها أن يوطأ فأقبلت تسعى وتقول ابني ابني وسعت فأخذته فقال القوم يا رسول الله ما كانت هذه لتلقي ابنها في النار قال فخفضهم

بعضهم البعض (أن امشوا) أي امضوا على ما كنتم عليه ولا تدخلوا في دينه (واصبروا على آلهتكم) أي اثبتوا على عبادتها وقيل المعنى وانطلق الاشراف منهم فقالوا للعوام امشوا واصبروا على آلهتكم وأن هي المفسرة للقول المقدر أو لقوله وانطلق لانه متضمن معنى القول ويجوز أن تكون مصدرية معمولة للمقدر أو للمذكور أي بأن امشوا وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها أي اجتمعوا وأكثروا وهو بعيد جدا وخلاف ما يدل عليه الانطلاق والمشي بحقيقتهما وخلاف ما تقدم في سبب النزول وجملة (ان هذا لشيء يراد) تعليل لما تقدمه من الامر بالصبر أي يريده محمد بنا وبآلهتنا ويود تمامه من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه ليعلو علينا ويكون له أتباعا فيتحكم فينا بما يريد فيكون هذا الكلام خارجا مخرج التحذير منه والتنفير عنه وقيل ان هذا الامر يريده الله سبحانه وما أراده وحكم بامضائه فهو كائن لا محالة ولا ينفع فيه الا الصبر فاصبروا على عبادة آلهتكم وقيل المعنى ان دينكم لشيء يراد أي يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه وان هذا الامر شيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه أو أمر يراد بأهل الارض والاول أولى (ما سمعنا بهذا) الذي يقوله محمد من التوحيد (في الملة الآخرة) وهي ملة النصرانية فانها آخر الملل قبل ملة الاسلام كذا قال محمد بن كعب القرظي وقتادة ومقاتل والكلبي والسدي وبه قال ابن عباس وقال مجاهد يعنون به ملة قريش أي التي أدركنا عليها آباءنا وعن قتادة مثله وقال الحسن المعنى ما سمعنا ان هذا يكون في آخر الزمان وقيل ان المعنى ما سمعنا من اليهود والنصارى ان محمدا رسول الله (ان هذا الا اختلاق) أي ما هذا الا كذب اختلقه محمد وافتراه من تلقاء نفسه وافتعله ثم استنكروا أن يخص الله رسوله بمزية النبوة دونهم فقالوا (أأنزل عليه الذكر من بيننا) والاستفهام للانكار أي كيف يكون ذلك ونحن الرؤساء والاشراف قال الزجاج قالوا كيف أنزل على محمد القرآن من بيننا ونحن أكبر سنا وأعظم شرفا منه وهذا مثل قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فأنكروا أن يتفضل الله سبحانه على من يشاء من عباده بما شاء ولما ذكر استنكارهم لنزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دونهم بين السبب الذي لاجله تركوا التصديق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما جاء به فقال (بل هم في شك من ذكري)

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا والله لا يلقي حبيبه في النار إسناده على شرط الصحيحين ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب
الستة ولكن في صحيح الإمام البخاري عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى امرأة
من السبي قد أخذت صبيا لها فألصقته إلى صدرها وأرضعته فقال صلى الله عليه وسلم أترون هذه تلقي ولدها في النار وهي تقدر
على ذلك قالوا لا قال صلى الله عليه وسلم فوالله لله أرحم بعباده من هذه بولدها وقوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام الظاهر أن
المراد والله أعلم تحيتهم أي من الله تعالى يوم يلقونه سلام أي يوم يسلم (٩٥) عليهم كما قال عز وجل سلام قولا من رب

رحيم وزعم قتادة أن المراد أنهم يحيون بعضهم بعضا بالسلام يوم يلقون الله في الدار الآخرة واختاره ابن جرير قلت وقد يستدل له بقوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وقوله تعالى وأعد لهم أجرا كريما يعني الجنة وما فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح والملاذ والمناظر مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا) قال الإمام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا فليح بن سليمان حدثنا هلال بن علي عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما فقلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال أجل والله إنه لموصوف
في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل
ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن
يقولوا لا إله إلا الله فيفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وقد رواه البخاري في البيوع عن محمد بن سنان عن فليح بن سليمان
عن هلال بن علي به ورواه في التفسير عن عبد الله قيل ابن رجاء وقيل ابن صالح عن عبد العزيز بن أبي سلمة عن هلال عن عطاء بن
يسار عن عبد الله بن عمرو به ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن عبد الله بن رجاء عن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون به وقال البخاري

أي من القرآن أو الوحي لإعراضهم عن النظر الموجب لتصديقه وإهمالهم الأدلة
الدالة على أنه حق منزل من عند الله (بل لما يذوقوا عذاب) أي بل السبب أنهم لم
يذوقوا عذابي فاغتروا بطول المهلة ولو ذاقوا عذابي على ما هم عليه من الشرك والشك
لصدقوا ما جئت به من القرآن ولم يشكوا فيه وذوقهم له متوقع فإذا ذاقوه زال عنهم
الشك وصدقوا وتصديقهم لا ينفعهم حينئذ لأنهم صدقوا مضطرين فقوله بل لما يذوقوا
إضراب عن الإضراب الأول خلاف ما يفهم من الكشاف من تعلقه بالكلام من قبله
(أم) أي بل أ (عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) أي مفاتيح نعم ربك وهي النبوة
وما هو دونها من النعم حتى يعطوها من شاؤوا فما لهم ولإنكار ما تفضل الله به على هذا النبي
واختاره له واصطفاه لرسالته والمعنى أن النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء
من عباده لا مانع له فإنه العزيز الغالب القاهر الذي لا يغلب الوهاب المعطي بغير حساب
الذي له أن يهب كل ما يشاء لمن يشاء ثم رشح ذلك فقال (أم لهم ملك السموات والأرض
وما بينهما) أي بل ألهم ملك هذه الأشياء حتى يعطوا من شاؤوا ويمنعوا من شاؤوا
ويعترضوا على إعطاء الله سبحانه ما شاء لمن شاء والمعنى أنه ليس لهم مدخل في أمر هذا
العالم الجسماني الذي هو جزء يسير من خزائنه فمن أين لهم أن يتصرفوا فيها وقوله
(فليرتقوا في الأسباب) جواب شرط محذوف أي إن كان لهم ذلك فليصعدوا في الأسباب
أي المعارج والمناهج والطرق التي توصلهم إلى السماء أو إلى العرش حتى يستووا عليه
ويحكموا بما يريدون من عطاء ومنع ويدبروا أمر العالم بما يشتهون أو فليصعدوا وليمنعوا
الملائكة من نزولهم بالوحي على محمد صلى الله عليه وآله وسلم والأسباب أبواب السموات
التي تنزل الملائكة منها قاله مجاهد وقتادة قال الربيع بن أنس الأسباب أدق من الشعر
وأشد من الحديد ولكن لا ترى وقال السدي في الأسباب في الفضل والدين وقيل فليعملوا
في أسباب القوة إن ظنوا أنها مانعة وهو قول أبي عبيدة وقيل الأسباب الحبال أي إن
وجدوا حبالا يصعدون فيها إلى السماء فعلوا والأسباب عند أهل اللغة كل شيء يتوصل
به إلى المطلوب كائنا ما كان وفي هذا الكلام تهكم بهم وتعجيز لهم قال ابن عباس
الأسباب السماء أي لأنها أسباب الحوادث السفلية (جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب)
هذا وعد من الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالنصر عليهم والظفر وجند

في الينبوع وذلك بعد عن هلال عن عطاء عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه وقال وهب بن منبه ان الله تعالى أوحى الى نبي من أنبياء بني اسرائيل يقال له شعياء ان قم في قومك بني اسرائيل فاني منطق لسانك بوحي وأبعث أميا من الأميين أبعثه ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق لو يمر الى جنب سراج لم يطفئه من سكينته ولو يمشي على القصب لم يسمع من تحت قدميه أبعثه مبشرا ونذيرا لا يقول الخنى افتح به أعينا كمها وآذانا صما وقلوبا غلفا أسدده لكل أمر جميل وأهب له كل خلق كريم واجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى (٩٦) ضميره والحكمة منطقه والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والحق شريعته والعدل سيرته والهدى امامه والاسلام ملته وأحمد اسمه أهدي به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واعرف به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغني به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به بين أمم متفرقة وقلوب مختلفة وأهواء متشتتة واستنقذ به فئاما من الناس عظيمة من الهلكة وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر موحدين مؤمنين مخلصين مصدقين لما جاءت به رسلي ألهمهم التسبيح والتحميد والثناء والتكبير والتوحيد في مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم ومنقلبهم ومثواهم يصلون لي قياما وقعودا ويقاتلون في سبيل الله صفوفا وزحوفا ويخرجون من ديارهم ابتغاء مرضاتي ألوفا يطهرون الوجوه والاطراف ويشدون الثياب في الانصاف قربانهم دماؤهم وأناجيلهم في صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار وأجعل في أهل بيته وذريته السابقين والصديقين والشهداء والصالحين أمته من بعده يهدون بالحق وبه يعدلون وأعز من نصرهم وأؤيد من دعا لهم وأجعل دائرة السوء على من خالفهم أو بغى عليهم أو أراد أن ينتزع شيئا مما في أيديهم أجعلهم ورثة لنبيهم والداعية الى ربهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويوفون بعهدهم أختم بهم الخير الذي بدأته بأولهم ذلك فضلي أوتيه من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم هكذا رواه ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه اليماني رحمه الله ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الرحمن بن صالح حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله القرشي عن شيبان النحوي أخبرني قتادة عن عكرمة عن ابن

مرتفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هم جند حقير يعني الكفار مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بهم ولا تظن انهم يصلون الى شيء مما يضمرونه بك من الكيد وما في قوله ما هنالك شيء صفة لجند لافادة التعظيم أو التحقير أي جند أي جند وقيل هي زائدة يقال هزمت الجيش كسرته وتهزمت القربة اذا انكسرت وهذا الكلام متصل بما تقدم وهو قوله بل الذين كفروا في عزة وشقاق وهم جند من الاحزاب مهزومون فلا تحزن لعزهم وشقاقهم فاني أسلب عزهم وأهزم جمعهم وقد وقع ذلك ولله الحمد في يوم بدر وفيما بعده من مواطن الله وهو اخبار بالغيب وقيل مشار به الى نصرة الاسلام وقيل الى حفر الخندق يعني الى مكان ذلك قال الرازي والاصح عندي حمله على يوم فتح مكة لان المعنى انهم جند سيصيرون مهزومين في الموضع الذي ذكروا فيه هذه الكلمات وذلك الموضع هو مكة وما ذاك الا في يوم الفتح (كذبت قبلهم) استئناف مقرر لمضمون ما قبله ببيان أحوال العتاة الطغاة الذين هؤلاء جند من جنسهم بما فعلوا من الكفر والتكذيب وفعل بهم من العقاب والعذاب (قوم نوح) أي كذبوا رسولهم نوحا وكذا يقدر فيما بعد وتأنيث قوم باعتبار المعنى وهو أنهم أمة وطائفة وجماعة (وعاد وفرعون ذو الاوتاد) قال المفسرون كانت له أوتاد يعذب بها الناس وذلك انه كان اذا غضب على أحد وتد يديه ورجليه ورأسه على الارض وقيل كانت له أوتاد وحبال يلعب بها بين يديه وما أبرد هذا القول وقيل ذو القوة والبطش وقيل المراد بالاوتاد الجموع والجنود الكثيرة يعني انهم كانوا يقوون أمره ويشدون سلطانه كما يقوي الاوتاد ما ضربت عليه فالكلام خارج مخرج الاستعارة على هذا قال ابن قتيبة العرب تقول هم في عز ثابت الاوتاد يريدون ملكا دائما شديدا وأصل هذا ان البيت من بيوت الشعر انما يثبت ويقوم بالاوتاد وقيل المراد بالاوتاد هنا البناء المحكم أي وفرعون ذو الابنية المحكمة قال الضحاك والبنيان يسمى أوتادا والاوتاد جمع وتد وفيه لغات أفصحها فتح الواو وكسر التاء ويقال وتد بفتحهما وود بادغام التاء في الدال بوزن وج وودت وهي لغة أهل نجد قال الاصمعي ويقال وتد واتد مثل شغل شاغل (وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة) أي الغيضة وهي الاشجار الملتفة المجتمعة وقد تقدم تفسيرها في سورة الشعراء ومعنى (أولئك الاحزاب) انهم الموصوفون بالقوة والكثرة كقولهم فلان هو الرجل وقريش وان كانوا احزابا كما قال الله تعالى فيما تقدم جند ما هنالك

مهزوم

عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وقد كان أمر عليا ومعاذا رضي الله عنهما أن يسيرا الى اليمن فقال انطلقا فبشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا انه قد أنزل على يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ورواه الطبراني عن محمد بن نصر بن حميد البزار البغدادي عن عبد الرحمن بن صالح الازدي عن عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله العرزمي باسناده مثله وقال في آخره فانه قد أنزل على يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا على أمتك ومبشرا بالجنة ونذيرا من النار وداعيا الى شهادة ان لا اله الا الله باذنه وسراجا منيرا بالقرآن فقوله تعالى شاهدا أي لله بالوحدانية وانه لا اله غيره وعلى الناس

مهزوم من الاحزاب ولكن هؤلاء الذين قصهم الله علينا من الامم السالفة هم أكثر منهم عددا وأقوى أبدانا وأوسع أموالا وأعمارا وقيل ان المعنى ان مشركي قريش من أولئك الاحزاب وهم هم ومنهم وجد التكذيب وهذه الجملة مستأنفة أو خبر والمبتدأ قوله وعاد كذا قال أبو البقاء وهو ضعيف بل الظاهر أن عاد وما بعده معطوفات على قوم نوح والاولى أن تكون هذه الجملة خبر المبتدأ محذوف أو بدلا من الامم المذكورة (ان كل) أي ما كل حزب من هذه الاحزاب (الا كذب الرسل) لان تكذيب الحزب لرسوله المرسل اليه تكذيب لجميع الرسل لان دعوتهم واحدة وهي التوحيد أو هو من مقابلة الجمع بالجمع والمراد تكذيب كل حزب لرسوله والاستثناء مفرغ من أعم الاحوال أي ما كان أحد من الاحزاب في جميع أحواله الا وقع منه تكذيب الرسل وفي تكرير التكذيب وايضاحه بعد ابهامه والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية أولا وبالاستثنائية ثانيا وما في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد أنواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العقاب وأبلغه ثم قال (فحق عقاب) أي حق عليهم عقابي بتكذيبهم ومعنى حق ثبت ووجب وان تأخر فكأنه واقع بهم وكل ما هو آت قريب قرئ عقاب باثبات الياء وحذفها مطابقة لرؤس الآي وفي الآية زجر وتخويف للسامعين (وما ينظر) أي ما ينتظر (هؤلاء) أي كفار مكة (الا صيحة واحدة) وهي النفخة الكائنة عند قيام الساعة وقيل هي النفخة الثانية وعلى الاول المراد من عاصر نبينا صلى الله عليه وآله وسلم من الكفار وعلى الثاني المراد كفار الامم المذكورة أي ليس بينهم وبين ما أعد الله لهم من عذاب النار الا ان ينفخ في الصور النفخة الثانية وقيل المراد بالصيحة عذاب يفجأهم في الدنيا وجملة (ما لها من فواق) في محل نصب صفة لصيحة قال الزجاج فواق بفتح الفاء وضمها العقاب بمعنى واحد وهو الزمان الذي بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع وهو مشتق من الرجوع أيضا لانه يعود اللبن الى الضرع بين الحلبتين ويقال أفاق من مرضه أي رجع الى الصحة واليه ذهب قال مجاهد ومقاتل ان الفواق الرجوع وقال قتادة ما لها من مثنوية وقال السدي ما لها من افاقة وقيل ما لها من مردّ قال الجوهري ما لها من نظرة وراحة وافاقة وقال ابن عباس ما لها من رجعة والفيقة اسم اللبن الذي يجتمع بين الحلبتين وجمعها فيق وفواق وثم أفاويق جمع الجمع قال الفراء والسدوسي وأبو

بأعمالهم يوم القيامة وجئنا بك على هؤلاء شهيدا كقوله لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وقوله عز وجل ومبشرا ونذيرا أي بشيرا للمؤمنين بجزيل الثواب ونذيرا للكافرين من وبيل العقاب وقوله جلت عظمته وداعيا الى الله باذنه أي داعيا الخلق الى عبادة ربهم عن أمره لك بذلك وسراجا منيرا أي وأمرك ظاهر فيما جئت به من الحق كالشمس في اشراقها واضاءتها لا يجحدها الا معاند وقوله جل وعلا ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم أي لا تطعهم وتسمع منهم في الذي يقولونه ودع أذاهم أي اصفح وتجاوز عنهم وكل امرهم الى الله تعالى فان فيه كفاية لهم ولهذا قال جل جلاله وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا) هذه الآية الكريمة فيها أحكام كثيرة منها اطلاق النكاح على العقد وحده وليس في القرآن آية أصرح في ذلك منها وقد اختلفوا في النكاح هل هو حقيقة في العقد وحده أو في الوطء أو فيهما على ثلاثة أقوال واستعمال القرآن انما هو في العقد والوطء بعده الا في هذه الآية فانه استعمل في العقد وحده لقوله تبارك وتعالى اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وفيها دلالة لاباحة طلاق المرأة قبل الدخول بها وقوله تعالى المؤمنات خرج مخرج الغالب اذ لا فرق في الحكم بين المؤمنة والكتابية في ذلك بالاتفاق وقد استدل ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن المسيب والحسن البصري وعلي بن الحسين وزين العابدين وجماعة من السلف بهذه الآية على ان

الطلاق لا يقع الا اذا تقدمه نكاح لان الله تعالى قال اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن فعقب النكاح بالطلاق فدل على انه لا يصح ولا يقع قبله وهذا مذهب الشافعي وأحمد بن حنبل وطائفة كثيرة من السلف والخلف رحمهم الله تعالى وذهب مالك وأبو حنيفة رحمهما الله تعالى الى صحة الطلاق قبل النكاح فيما اذا قال ان تزوجت فلانة فهي طالق فعندهما متى تزوجها طلقت منه واختلفا فيما اذا قال كل امرأة أتزوجها فهي طالق فقال مالك لا تطلق حتى يعين المرأة وقال أبو حنيفة رحمه الله كل امرأة يتزوجها بعد هذا الكلام تطلق منه فاما الجمهور

فاحتجوا على عدم وقوع الطلاق بهذه الآية قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور المروزي حدثنا النضر بن شميل حدثنا يونس يعني ابن أبي اسحق قال سمعت آدم مولى خالد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اذا قال كل امرأة أتزوجها فهي طالق قال ليس بشئ من أجل ان الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن الآية وحدثنا محمد بن اسمعيل الاحمسي حدثنا وكيع عن مطر عن الحسن ابن مسلم بن يناق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال انما قال الله عز وجل اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن الا ترى ان الطلاق بعد النكاح وهكذا روى محمد بن اسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال الله تعالى اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن فلا طلاق قبل النكاح وقد ورد الحديث بذلك عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طلاق لابن آدم فيما لا يملك رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وقال الترمذي هذا حديث حسن وهو أحسن شئ روي في هذا الباب وهكذا روى ابن ماجه عن علي والمسور بن مخرمة رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا طلاق قبل النكاح وقوله عز وجل فما لكم عليهن من عدة تعتدونها هذا أمر مجمع عليه بين العلماء ان المرأة اذا طلقت قبل الدخول بها لا عدة عليها فتذهب فتتزوج في فورها من شاءت ولا يستثنى من هذا الا المتوفى عنها زوجها فانها تعتد منه أربعة أشهر وعشرا وان لم يكن دخل بها بالاجماع أيضا وقوله تعالى فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا المتعة ههنا أعم من أن يكون نصف الصداق المسمى أو المتعة الخاصة ان لم يكن قد سمى لها قال الله تعالى

عبيدة وابن زيد والسدي الفواق بفتح الفاء الراحة والافاقة أي لا يفيقون فيها كما يفيق المريض والمغشي عليه وبالضم الانتظار ومعنى الآية ان تلك الصيحة هي ميعاد عذابهم فاذا جاءت لم ترجع ولا تردعهم ولا تصرف عنهم ولا تتوقف مقدار فواق ناقة وهي ما بين حلبتي الحالب لها وهذا في المعنى كقوله تعالى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون (و) لما سمعوا ما توعدهم الله به من العذاب (قالوا) استهزاء وسخرية (ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب) والقط في اللغة النصيب من القط وهو القطع وبهذا قال قتادة وسعيد بن جبير قال الفراء القط في كلام العرب الحظ والنصيب ومنه قيل للصك قط قال أبو عبيدة والكسائي القط الكتاب بالجوائز والجمع القطوط وأصله من قط الشئ أي قطعه ومنه قط القلم ومعنى الآية سؤالهم لربهم أن يعجل لهم نصيبهم وحظهم من العذاب وهو مثل قوله ويستعجلونك بالعذاب وقال السدي سألوا ربهم ان يمثل لهم منازلهم من الجنة ليعلموا حقيقة ما يوعدون به وقال اسمعيل بن أبي خالد المعنى عجل لنا ارزاقنا وبه قال سعيد بن جبير والسدي وقال أبو العالية والكلبي ومقاتل لما نزل قوله وأما من أوتي كتابه بشماله قالت قريش زعمت يا محمد انا نؤتى كتابنا بشمالنا فعجل لنا قطنا قبل يوم الحساب قال ابن عباس سألوا الله ان يعجل لهم وقال قطنا نصيبنا من الجنة ثم أمر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يصبر على ما يسمعه من أقوالهم فقال (اصبر على ما يقولون) من أقوالهم الباطلة التي هذا القول الذي حكي عنهم من جملتها ووطن نفسك أن تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل اذاهم قيل وهذه الآية منسوخة بآية السيف وقيل محكمة وهو الصحيح ولما فرغ من ذكر قرون الضلالة وأمم الكفر والتكذيب وأمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر على ما يسمعه زاد في تسليته وتأسيه بذكر قصة داود وما بعدها فقال (واذكر عبدنا داود ذا الايد) أي اذكر قصته فانك تجد فيها ما تتسلى به والايد القوة قاله ابن عباس ومنه رجل أيد أي قوي وتأيد الشئ تقوى والايد مصدر بوزن البيع وهو مصدر وليس جمع يد يقال آد الرجل يئيد أيدا وايادا بالكسر اذا قوي واشتد فهو أيد مثل سيد وهين ومنه قولهم أيدك الله تأييدا والمراد ما كان فيه عليه السلام من القوة على العبادة قال الزجاج وكانت قوة داود على العبادة أتم قوة ومن قوته ما أخبرنا به نبينا صلى الله عليه وآله وسلم انه كان يصوم يوما ويفطر يوما

وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم وقال عز وجل لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين وفي صحيح البخاري عن سهل بن سعد وأبي أسيد رضي الله عنهما قالا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج أميمة بنت شراحيل فلما أدخلت عليه صلى الله عليه وسلم بسط يده إليها فكأنها كرهت ذلك فأمر أبا أسيد أن يجهزها ويكسوها ثوبين رازقيين قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما إن كان سمى لها صداقا فليس لها إلا النصف وإن لم يكن سمى لها صداقا فأمتعها على قدر عسره ويسره وهو السراح الجميل

(يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما) يقول تعالى مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم بأنه قد أحل له من النساء أزواجه اللاتي أعطاهن مهورهن وهي الأجور ههنا كما قاله مجاهد وغير واحد وقد كان مهره لنسائه اثنتي عشرة أوقية ونش وهو نصف أوقية فالجميع خمسمائة درهم إلا أم حبيبة بنت أبي سفيان فإنه أمهرها عنه النجاشي رحمه الله تعالى أربعمائة دينار وإلا صفية بنت حيي فإنه اصطفاها من سبي خيبر ثم أعتقها وجعل عتقها صداقها وكذلك جويرية بنت الحارث المصطلقية أدى عنها كتابتها إلى ثابت بن قيس بن شماس وتزوجها رضي الله عنهن أجمعين وقوله تعالى وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك أي وأباح لك التسري مما أخذت من المغانم وقد ملك صفية وجويرية فأعتقهما وتزوجهما وملك ريحانة بنت شمعون النضرية ومارية القبطية أم ابنه إبراهيم عليه السلام وكانتا من السراري رضي الله عنهما وقوله تعالى وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك الآية هذا عدل وسط بين الإفراط والتفريط فإن النصارى لا يتزوجون المرأة إلا إذا كان الرجل بينه وبينها سبعة أجداد فصاعدا واليهود يتزوج أحدهم بنت أخيه وبنت أخته فجاءت هذه الشريعة الكاملة الطاهرة بهدم إفراط النصارى فأباح

وكان يصلي نصف الليل وكان لا يرقد إلا أقل العدد وجملة (إنه أواب) تعليل لكونه ذا الأيد والأواب الرجاع عن كل ما يكرهه الله سبحانه إلى ما يحبه ولا يستطيع ذلك الأمر إلا من كان قويا في دينه وقيل معناه كلما ذكر ذنبه استغفر منه وتاب عنه وهذا داخل تحت المعنى الأول يقال آب يؤوب إذا رجع وقال ابن عباس الأواب المسبح بلغة الحبشة وأخرج الديلمي عن مجاهد قال سألت ابن عمر عن الأواب فقال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنه فقال هو الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر الله وعن ابن عباس قال الأواب الموقن (إنا سخرنا الجبال معه) استئناف مسوق لتعليل قوته في الدين وكونه رجاعا إلى مرضاته تعالى وإيثار مع على اللام لما أشير إليه في سورة الأنبياء من أن تسخير الجبال لم يكن بطريق تفويض التصرف الكلي فيها إليه كتسخير الريح وغيرها لسليمان بل بطريق التبعية له والاقتداء به قيل كان تسخيرها أنها تسير معه إذا أراد سيرها إلى حيث يريد (يسبحن) ولم يقل مسبحات ليدل على حدوث التسبيح من الجبال شيئا فشيئا وحالا بعد حال أي يقدس الله سبحانه وينزهه عما لا يليق به وجملة يسبحن في محل نصب على الحال وفي هذا بيان ما أعطاه الله من البرهان والمعجزة وهو تسبيح الجبال معه قال مقاتل كان داود إذا ذكر الله ذكرت الجبال معه وكان يفقه تسبيح الجبال وقال محمد بن إسحق أوتي داود من حسن الصوت ما يكون له في الجبال دوي حسن فهذا معنى تسبيح الجبال والأول أولى ومعنى يسبحن يصلين ومعه متعلق بسخرنا (بالعشي) أي وقت صلاة العشاء (والإشراق) أي وقت صلاة الضحى وهو أن تشرق الشمس ويتناهى ضوؤها والمعنى كان داود يسبح إثر صلاته عند طلوع الشمس وغروبها وقال الكلبي أي غدوة وعشية يقال أشرقت الشمس إذا أضاءت وذلك وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها قال الزجاج شرقت الشمس إذا طلعت وأشرقت إذا أضاءت عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قال لم يزل في نفسي من صلاة الضحى حتى قرأت هذه الآية وعنه قال لقد أتى علي زمان وما أدري وجه هذه الآية حتى رأيت الناس يصلون الضحى أخرجه ابن المنذر وابن مردويه وأخرج الطبراني في الأوسط وابن مردويه عنه قال كنت أمر بهذه الآية فما أدري ما هي حتى حدثتني أم هانئ بنت أبي طالب أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخل عليها يوم الفتح فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى الضحى ثم قال يا أم هانئ هذه صلاة الإشراق

بنت العم والعمة وبنت الخال والخالة وتحريم ما فرطت فيه اليهود من اباحة بنت الاخ والاخت وهذا شنيع فظيع وانما قال وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك فوحد لفظ الذكر لشرفه وجمع الاناث لنقصهن كقوله عن اليمين والشمائل يخرجهم من الظلمات الى النور وجعل الظلمات والنور وله نظائر كثيرة وقوله تعالى اللاتي هاجرن معك قال ابن ابي حاتم رحمه الله حدثنا محمد بن عمار بن الحرث الرازي حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا اسرائيل عن السدي عن أبي صالح عن أم هانئ قالت خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت (١٠٠) اليه فعذرني ثم أنزل الله تعالى انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك قالت فلم أكن أحل له لم أكن ممن هاجر معه كنت من الطلقاء ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن عبيد الله بن موسى به ثم رواه ابن أبي حاتم من حديث اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح عنها بنحوه ورواه الترمذي في جامعه وهكذا قال أبو رزين وقتادة ان المراد من هاجر معه الى المدينة وفي رواية عن قتادة اللاتي هاجرن معك أي أسلمن وقال الضحاك قرأ ابن مسعود واللاتي هاجرن من معك وقوله تعالى وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك الآية أي ويحل لك أيها النبي المرأة المؤمنة ان وهبت نفسها لك ان تتزوجها بغير مهر ان شئت ذلك وهذه الآية توالى فيها شرطان كقوله تعالى اخبارا عن نوح عليه السلام انه قال لقومه ولا ينفعكم نصحي ان أردت ان أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم وكقول موسى عليه السلام يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين وقال ههنا وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها الايجاز للنبي الآية وقد قال الامام احمد حدثنا اسحق اخبرنا مالك عن ابي حازم عن سهل بن سعد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءته امرأة فقالت يا رسول الله اني قد وهبت نفسي لك فقامت قياما طويلا فقام رجل فقال يا رسول الله زوجنيها ان لم يكن لك بها حاجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل عندك من شيء تصدقها اياه فقال ما عندي الا ازاري هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اعطيتها ازارك جلست لا ازار لك فالتمس شيأ فقال لا اجد شيأ فقال التمس ولو خاتما من حديد فالتمس فلم يجد شيأ

والاحاديث في صلاة الضحى كثيرة قد ذكرها الشوكاني في شرح المنتقى (والطير محشورة) أي وسخرنا له الطير حال كونها محشورة أي مجموعة اليه من كل ناحية تسبح الله معه قيل كانت تجمعها اليه الملائكة وقيل كانت تجمعها الريح (كل له أواب) أي كل واحد من داود والجبال والطير رجاع الى طاعة الله وأمره والضمير في له راجع الى الله عز وجل وقيل الى داود أي لاجل تسبيح داود مسبح فوضع أواب موضع مسبح والاول أولى وقد قدمنا ان الاواب الكثير الرجوع الى الله سبحانه (وشددنا ملكه) أي قويناه وثبتناه بالنصر في المواطن على أعدائه والقاء الرعب منه في قلوبهم وقيل كثرة الجنود قيل كان يبيت حول محرابه كل ليلة ستة أو ثلاثة وثلاثون ألف رجل يحرسونه وكان أشد ملوك الارض سلطانا وأخرج عبد بن حميد عن ابن عباس قال استعدى رجل من بني اسرائيل عند داود على رجل من عظمائهم فقال ان هذا غصبني بقرا لي فسأل داود الرجل عن ذلك فجحده فسأل الآخر البينة فلم تكن له بينة فقال لهما داود قوما حتى أنظر في أمركما فقاما من عنده فأتى داود في منامه فقيل له اقتل الرجل الذي استعدى فقال ان هذه رؤيا ولست أعجل حتى أتثبت فأتى الليلة الثانية في منامه فأمر أن يقتل الرجل فلم يفعل ثم أتى الليلة الثالثة فقيل له اقتل الرجل أو تأتيك العقوبة من الله فأرسل داود الى الرجل فقال ان الله أمرني ان أقتلك قال تقتلني بغير بينة ولا تثبت قال نعم والله لأنفذن أمر الله فيك فقال الرجل لا تعجل علي حتى أخبرك اني والله ما أخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته فبذلك أخذت فأمر به داود فقتل فاشتدت هيبته في بني اسرائيل وشدد به ملكه فهو قول الله وشددنا ملكه (وآتيناه الحكمة) المراد بها النبوة والمعرفة بكل ما يحكم به وقال مقاتل الفهم والعلم وقيل الزبور وعلم الشرائع وقيل الاصابة في الامور وقيل كل كلام وافق الحق فهو الحكمة وقال مجاهد العدل وقال أبو العالية العلم بكتاب الله وقال شريح السنة ولا مانع من حمل الآية على الكل (وفصل الخطاب) المراد به الفصل في القضاء وبه قال الحسن والكلبي ومقاتل وحكى الواحدي عن الاكثر أن فصل الخطاب الشهود والايمان لانها انما تنقطع الخصومة بهذا وبه قال أبي ابن كعب وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه البينة على المدعي واليمين على من انكر وقيل الفصل بين الحق والباطل وقاله شريح والشعبي وقتادة أيضا وقيل هو

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم هل معك من القرآن شئ قال نعم سورة كذا وسورة كذا السور يسميها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم زوجتكها بما معك من القرآن أخرجاه من حديث مالك وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا مرحوم سمعت ثابتا يقول كنت مع أنس جالسا وعنده ابنة له فقال أنس جاءت امرأة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا نبي الله هل لك في حاجة فقالت ابنته ما كان أقل حياءها فقال هي خير منك رغبت في النبي فعرضت عليه نفسها انفرد باخراجه البخاري من حديث مرحوم بن عبد العزيز عن ثابت البناني عن أنس به وقال أحمد أيضا حدثنا عبد الله بن بكير حدثنا سنان بن ربيعة عن الحضرمي عن أنس بن مالك ان امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ابنة لي كذا وكذا فذكرت من حسنها وجمالها فآثرتك بها فقال قد قبلتها فلم تزل تمدحها حتى ذكرت انها لم تصدع ولم تشتك شيأ قط فقال لا حاجة لي في ابنتك لم يخرجوه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا ابن أبي الوضاح يعني محمد بن مسلم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم خولة بنت حكيم وقال ابن وهب عن سعيد بن عبد الرحمن وابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه ان خولة بنت حكيم بن الاوقص من بني سليم كانت من اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية له عن سعيد بن عبد الرحمن عن هشام عن أبيه كنا نتحدث ان خولة بنت حكيم كانت وهبت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة صالحة فيحتمل ان ام سليم هي خولة بنت حكيم أوهي امرأة اخرى وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد ابن اسمعيل الاحمسي حدثنا وكيع حدثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب وعمر بن الحكم وعبد الله بن عبيدة قالوا تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة امرأة ست من قريش خديجة وعائشة وحفصة وام حبيبة وسودة وام سلمة وثلاث من بني عامر بن صعصعة وامرأتين من بني هلال بن عامر ميمونة بنت الحرث وهي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم وزينب ام المساكين وامرأة من بني أبي بكر بن كلاب من القرظات وهي التي اختارت الدنيا وامرأة من بني الجون وهي التي استعاذت منه وزينب بنت جحش الاسدية والسبيتين صفية بنت حيي بن أخطب وجويرية بنت الحرث بن عمرو بن المصطلق الخزاعية وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن ابن عباس وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي قال هي ميمونة بنت الحرث فيه انقطاع هذا مرسل والمشهور أن زينب التي

الايجاز بجعل المعنى الكثير في اللفظ القليل وقيل بيان الكلام وقيل علم الحكم والتبصر بالقضاء والمعاني متقاربة وعن أبي موسى الاشعري قال أول من قال أما بعد داود عليه السلام وهو فصل الخطاب أخرجه ابن أبي حاتم والديلمي وعن الشعبي انه سمع زياد بن أبيه يقول فصل الخطاب الذي أوتيه داود أما بعد أخرجه سعيد بن منصور ولما مدحه الله سبحانه بما تقدم ذكره أردف ذلك بذكر هذه القصة الواقعة له لما فيها من الاخبار العجيبة وقال (وهل أتاك نبأ الخصم) ومعنى الاستفهام هنا التعجب والتشويق الى استماع ما بعده لكونه أمرا غريبا كما تقول لمخاطبك هل تعلم ما وقع اليوم ثم تذكر له ما وقع قال مقاتل بعث الله الى داود ملكين جبريل وميكائيل لينبهه على التوبة فأتياه وهو في محرابه قال النحاس ولا خلاف بين أهل التفسير أن المراد بالخصم هنا الملكان والخصم مصدر يقع على الواحد والاثنين والجماعة ومعنى قوله (اذ تسوروا المحراب) أتوه من أعلى سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع وجاء بلفظ الجمع في تسوروا مع كونهما اثنين نظرا الى ما يحتمله لفظ الخصم من الجمع والمحراب الغرفة لانهم تسوروا عليه وهو فيها كذا قال يحيى ابن سلام وقال أبو عبيدة انه صدر المجلس ومنه محراب المسجد وقيل انهما كانا انسيين ولم يكونا ملكين والعامل في اذ النبأ أي هل أتاك الخبر الواقع في وقت تسورهم وبهذا قال ابن عطية ومكي وأبو البقاء وقيل العامل فيه أتاك وقيل معمول الخصم وقيل معمول لمحذوف أي وهل أتاك نبأ تحاكم الخصم عن ابن عباس ان داود حدث نفسه اذا ابتلي انه يعتصم فقيل له انك ستبتلى وستعلم الذي تبتلى فيه فخذ حذرك فقيل له هذا اليوم الذي تبتلى فيه فأخذ الزبور ودخل المحراب وأغلق باب المحراب وأخذ الزبور في حجره وأقعد منصفا يعني خادما على الباب وقال لا تأذن لاحد علي اليوم فبينما هو يقرأ الزبور اذ جاء طائر مذهب كأحسن ما يكون الطير فيه من كل لون فجعل يدور بين يديه فدنا منه فامكن ان يأخذه فتناوله بيده ليأخذه فاستوفز من خلفه فاطبق الزبور وقام اليه ليأخذه فطار فوقع على كوة المحراب فدنا منه ليأخذه فأفضى فوقع على خص فاشرف عليه لينظر أين وقع فاذا هو بامرأة عند بركتها تغتسل من الحيض فلما رأت ظله حركت رأسها فغطت جسدها أجمع بشعرها وكان زوجها غازيا في سبيل الله فكتب داود الى رأس الغزاة انظر أوريا فاجعله في حملة التابوت وكان حملة التابوت اما ان يفتح عليهم واما ان يقتلوا فقدمه في حملة

كانت تدعى ام المساكين هى زينب بنت خزيمة الانصارية وقد ماتت عند النبى صلى الله عليه وسلم فى حياته فالله أعلم والغرض من هذا ان اللاتى وهبن أنفسهن للنبى صلى الله عليه وسلم كثير كما قال البخارى حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا أبو أسامة قال هشام بن عروة حدثنا عن أبيه عن عائشة قالت كنت أغار من اللاتى وهبن أنفسهن للنبى صلى الله عليه وسلم وأقول أتهب المرأة نفسها فلما أنزل الله تعالى ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك قلت ما أرى ربك الا يسارع فى هواك وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين (١٠٢) حدثنا محمد بن منصور الجعفى حدثنا يونس بن بكير عن عنبسة بن الازهر عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وهبت نفسها له ورواه ابن جرير عن أبى كريب عن يونس بن بكير أى انه لم يقبل واحدة ممن وهبت نفسها له وان كان ذلك مباحا له ومخصوصا به لانه مردود الى مشيئته كما قال الله تعالى ان أراد النبى أن يستنكحها أى ان اختار ذلك وقوله تعالى خالصة لك من دون المؤمنين قال عكرمة أى لا تحل الموهوبة لغيرك ولو أن امرأة وهبت نفسها لرجل لم تحل له حتى يعطيها شيأ وكذا قال مجاهد والشعبى وغيرهما أى انها اذا فوضت المرأة نفسها الى رجل فانه متى دخل بها وجب عليه لها مهر مثلها كما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بروع بنت واشق لما فوضت فحكم لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بصداق مثلها لما توفى عنها زوجها والموت والدخول سواء فى تقرير المهر وثبوت مهر المثل فى المفوضة لغير النبى صلى الله عليه وسلم فاما هو عليه الصلاة والسلام فانه لا يجب عليه للمفوضة شئ ولو دخل بها لان له أن يتزوج بغير صداق ولا ولى ولا شهود كما فى قصة زينب بنت جحش رضى الله عنها ولهذا الله
قال قتادة فى قوله خالصة لك من دون المؤمنين يقول ليس لامرأة تهب نفسها لرجل بغير ولى ولا مهر الا للنبى صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى قد علمنا ما فرضنا عليهم فى أزواجهم وما ملكت أيمانهم قال ابى بن كعب ومجاهد والحسن وقتادة وابن جرير فى قوله قد علمنا ما فرضنا عليهم فى أزواجهم أى من حصرهم فى أربع نسوة حرائر وما شاؤا من الاماء واشتراط الولى والمهر والشهود عليهم وهم الامة وقد رخصنا لك فى ذلك فلم نوجب عليك شيأ منه لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما (ترجى من تشاء منهن

التابوت فقتل فلما انقضت عدتها خطبها داود فاشترطت عليه ان ولدت غلاما أن يكون الخليفة من بعده وأشهدت عليه خمسين من بنى اسرائيل وكتب عليه بذلك كتابا فما شعر بفتنته انه افتتن حتى ولدت سليمان وشب فتسور عليه الملكان المحراب وكان شأنهما ما قص الله فى كتابه وخر داود ساجدا فغفر الله له وتاب عليه أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف وابن أبى حاتم واخرج الحاكم وصححه والبيهقى فى الشعب قال ما أصاب داود ما أصابه بعد القدر الا من عجب بنفسه وذلك انه قال يارب ما من ساعة من ليل ولا نهار الا وعابد من آل داود يعبدك يصلى لك أو يسبح أو يكبر وذكر أشياء فكره الله ذلك فقال يا داود ان ذلك لم يكن الا بى فلولا عونى ما قويت عليه وعزتى وجلالى لأكلنك الى نفسك يوما قال يارب فاخبرنى به فاخبره فأصابته الفتنة ذلك اليوم وأخرج أصل القصة الحكيم الترمذى فى نوادر الاصول وابن جرير وابن أبى حاتم عن أنس مرفوعا باسناد ضعيف وأخرجها ابن جرير من وجه آخر عن ابن عباس مطولة وأخرجها جماعة عن جماعة من التابعين قال صاحب الكشاف بعد ذكر هذه القصة هذا ونحوه مما يقبح أن يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من أفناء المسلمين فضلا عن بعض أعلام الانبياء انتهى وقال القاضى عياض لا يجوز أن يلتفت الى ما سطره الاخباريون من اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله على شئ من ذلك ولا ورد فى حديث صحيح والذى نص عليه الله فى قصة داود وظن داود انما فتناه وليس فى قصة داود وأوريا خبر ثابت وهذا هو الذى ينبغى أن يعول عليه من أمر داود قال الرازى حاصل القصة يرجع الى السعى فى قتل رجل مسلم بغير حق والى الطمع فى زوجته وكلاهما منكر عظيم فلا يليق بعاقل أن يظن بداود عليه السلام هذا وقال غيره ان الله أثنى على داود قبل هذه القصة وبعدها وذلك يدل على استحالة ما نقلوه من القصة فكيف يتوهم عاقل أن يقع بين مدحين ذم ولو جرى ذلك من بعض الناس لاستهجنه العقلاء ولقالوا أنت فى مدح شخص كيف تجرى ذمه اثناء مدحك والله تعالى منزه عن مثل هذا فى كتابه القديم وروى سعيد بن المسيب والحرث الاعور عن على بن أبى طالب أنه قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة وهو حد الفرية على الانبياء وروى أنه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق فكذب المحدث به وقال ان كانت القصة على ما فى كتاب

وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقرّ أعينهنّ ولا يحزن ويرضين بما آتيتهنّ كلهنّ والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليماً حليماً) قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن بشر حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تعير النساء اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ألا تستحي المرأة أن تعرض نفسها بغير صداق فأنزل الله عز وجل ترجي من تشاء منهنّ وتؤوي إليك من تشاء الآية قالت إني أرى ربك يسارع لك في هواك وقد تقدم أن البخاري رواه من حديث أبي أسامة عن هشام بن عروة فدل هذا على أن المراد بقوله ترجي أي تؤخر من تشاء منهن أي من الواهبات وتؤوي إليك من تشاء أي من شئت قبلتها ومن شئت رددتها ومن رددتها فأنت فيها أيضاً بالخيار بعد ذلك إن شئت عدت فيها فأويتها ولهذا قال ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك قال عامر الشعبي في قوله تعالى ترجي من تشاء منهن الآية كن نساء وهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم فدخل ببعضهن وأرجى بعضهن لم ينكحن بعده منهن أم شريك وقال آخرون بل المراد بقوله ترجي من تشاء منهن الآية أي من أزواجك لا حرج عليك أن تترك القسم لهن فتقدم من شئت وتؤخر من شئت وتجامع من شئت وتترك من شئت هكذا روي عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وأبي رزين وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم ومع هذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقسم لهن ولهذا ذهب طائفة من الفقهاء من الشافعية وغيرهم إلى أنه لم يكن القسم واجباً عليه صلى الله عليه وسلم واحتجوا بهذه الآية الكريمة وقال البخاري حدثنا حبان بن موسى حدثنا عبد الله هو ابن المبارك أخبرنا عاصم الأحول عن معاذة عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستأذن في اليوم المرأة منا بعد أن نزلت هذه الآية ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك فقلت لها ما كنت تقولين فقالت كنت أقول إن كان ذلك إليّ فإني لا أريد يا رسول الله أن أوثر عليك أحداً فهذا الحديث عنها يدل على أن المراد من ذلك عدم وجوب القسم وحديثها الأول يقتضي أن الآية نزلت في الواهبات ومن ههنا اختار ابن جرير أن الآية عامة في الواهبات وفي النساء اللاتي عنده أنه مخير فيهن إن شاء قسم وإن شاء لم يقسم وهذا الذي اختاره حسن جيد قوي وفيه جمع بين الأحاديث ولهذا قال تعالى ذلك أدنى أن تقرّ أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن

الله فما ينبغي أن يلتمس خلافها وأعظم بأن قال غير ذلك وإن كان على ما ذكرت وكف الله عنها ستراً على نبيه فما ينبغي إظهارها عليه فقال عمر سماعي هذا الكلام أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس قال النسفي والذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله بقصته عليه السلام ليس إلا طلبه إلى زوج المرأة أن ينزل له عنها فحسب وإنما جاءت على طريق التمثيل والتعريض دون التصريح لكونها أبلغ في التوبيخ من قبل أن المتأمل إذا أداه إلى الشعور بالمعرض به كان أوقع في نفسه وأشد تمكناً من قلبه وأعظم أثراً فيه مع مراعاة حسن الأدب بترك المجاهرة انتهى قال أبو السعود وأما ما يذكر من أنه عليه السلام تزوج امرأة أوريا فهو إفك مبتدع مكروه ومكر مخترع تمجه الأسماع وتنفر عنه الطباع وويل لمن ابتدعه وأشاعه وتبًّا لمن اخترعه وأذاعه وسيأتي الكلام على ذنب داود عليه السلام في آخر هذه القصة (إذ) بدل من الأولى وقيل هو معمول لتسوروا وقال الفراء إن أحد الظرفين المذكورين بمعنى لما (دخلوا على داود ففزع منهم) لأنهما أتياه لا في غير وقت دخول الخصوم ودخلوا عليه بغير إذنه ولم يدخلوا من الباب الذي يدخل منه الناس قال ابن الأعرابي وكان محراب داود من الامتناع بالارتفاع بحيث لا يرتقي إليه آدمي بحيلة (قالوا لا تخف) جملة مستأنفة كأنه قيل فماذا قالوا لداود لما فزع منهم (خصمان) أي نحن خصمان وجيء بما يسبق بلفظ الجمع وهنا بلفظ التثنية لما ذكرنا من أن لفظ الخصم يحتمل المفرد والمثنى والمجموع فالكل جائز قال الخليل هو كما تقول نحن فعلنا كذا إذا كنا اثنين وقال الكسائي جمع لما كان خبراً فلما انقضى الخبر وجاءت المخاطبة أخبر الاثنان عن أنفسهما فقالا خصمان وقوله (بغى بعضنا على بعض) هو على سبيل الفرض والتقدير أو على سبيل التعريض لأن من المعلوم أن الملكين لا يبغيان ثم طلبا منه أن يحكم بينهما بالحق ونهياه عن الجور فقالا (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) أي لا تجر في حكمك يقال شط الرجل وأشط شططاً وإشطاطاً إذا جار في حكمه وتجاوز الحد قال أبو عبيد شططت عليه وأشططت عليه أي جرت فهو مما اتفق فيه فعل وأفعل وقال الأخفش معناه لا تسرف وقيل لا تفرط وقيل لا تمل والمعنى متقارب والأصل فيه البعد من شطت الدار إذا بعدت قال أبو عمرو والشطط مجاوزة القدر في كل شيء (واهدنا إلى سواء الصراط) أي وسطه ومحجته أي العدل والصواب والمعنى أرشدنا إلى الحق واحملنا عليه ثم لما أخبراه عن

كهن أى اذا علمن ان الله قد وضع عنك الحرج فى القسم فان شئت قسمت وان شئت لم تقسم لا جناح عليك فى أى ذلك فعلت ثم مع هذا أنت تقسم لهن اختيارا منك لا انه على سبيل الوجوب فرحن بذلك واستبشرن به وحملن جميلك فى ذلك واعترفن بمنتك عليهن فى قسمك لهن وتسويتك بينهن وانصافك لهن وعدلك فيهن وقوله تعالى والله يعلم ما فى قلوبكم أى من الميل الى بعضهن دون بعض مما لا يمكن دفعه كما قال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا حماد بن سلمة عن أيوب عن أبى قلابة عن عبد الله بن يزيد عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول اللهم هذا فعلى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك ورواه أهل السنن الاربعة من حديث حماد بن سلمة وزاد أبو داود بعد قوله فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك يعنى القلب واسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات ولهذا عقب ذلك بقوله تعالى وكان الله عليما أى بضمائر السرائر حليما أى يحلم و يغفر (لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شئ رقيبا) ذكر غير واحد من العلماء كابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وابن زيد وابن جرير وغيرهم ان هذه الآية نزلت مجازاة لأزواج النبى صلى الله عليه وسلم ورضا عنهن على حسن صنيعهن فى اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة لما خيرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم فى الآية فلما اخترن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جزاؤهن ان الله تعالى قصره عليهن وحرم عليه أن يتزوج بغيرهن أو يستبدل بهن أزواجا غيرهن ولو أعجبه حسنهن الا الاماء والسرارى فلا حرج عليه فيهن ثم انه تعالى رفع عنه الحرج فى ذلك ونسخ حكم هذه الآية وأباح له التزوج ولكن لم يقع منه بعد ذلك تزوج لتكون المنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليهن قال الامام أحمد حدثنا سفيان عن عمرو عن عطاء عن عائشة رضى الله عنها قالت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل الله له النساء ورواه أيضا من حديث ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة ورواه الترمذى والنسائى فى سننيهما وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد الرحمن بن عبد الملك بن شيبة حدثنى عمر بن أبى بكر حدثنى المغيرة بن عبد الرحمن الحزامى عن أبى النضر مولى عمر بن عبيد الله عن عبد الله بن وهب بن زمعة عن أم سلمة انها قالت لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل

الخصومة اجمالا شرعا فى تفصيلها وشرحها فقالا (ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة) المراد بالاخوة هنا اخوة الدين قاله ابن مسعود أو الصحبة أو الالفة أو اخوة الشركة والخلطة والنعجة هى الانثى من الضأن وقد يقال لبقر الوحش نعجة ويعبر بها عن المرأة لما هى عليه من السكون والعجز وضعف الجانب وقد يكنى عنها بالبقرة والحجر والناقة لان الكل مركوب قال الواحدى النعجة البقرة الوحشية والعرب تكنى عن المرأة بها وتشبه النساء بالنعاج من البقر قرأ الجمهور تسع وتسعون بكسر التاء وقرئ بفتحها قال النحاس وهى لغة شاذة وانما عنى بهذا داود لانه كان له تسع وتسعون امرأة وعنى بقوله (ولى نعجة واحدة) أوريا زوج المرأة التى أراد أن يتزوجها داود كما تقدم بيان ذلك (فقال أكفلنيها) اى ضمها الى وانزل لى عنها حتى اكفلها واصير بعلا لها قال ابن كيسان اجعلها كفلى ونصيبى قال ابن مسعود ما زاد داود على ان قال أكفلنيها وعن ابن عباس قال ما زاد داود على ان قال تحول لى عنها وهذا يخالف ما سبق عنه (وعزنى فى الخطاب) أى غلبنى يقال عزه يعزه عزا اذا غلبه وفى المثل من عز بز اى من غلب أخذ السلب والاسم العزة وهى القوة قال عطاء المعنى ان تكلم كان أفصح منى وان حارب كان أبطش منى لقوة ملكه فالغلبة كانت له على لضعفى فى يده وان كان الحق معى وهذا كله تمثيل وقرئ وعازنى أى غالبنى من المعازة وهى المغالبة (قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه) أى بسؤاله نعجتك ليضمها الى نعاجه التسع والتسعين ان كان الامر على ما تقول واللام هى الموطئة للقسم وهى وما بعدها جواب القسم المقدر وجاء بالقسم فى كلامه مبالغة فى انكار ما سمعه من طلب صاحب التسع والتسعين النعجة ان يضم اليه النعجة الواحدة التى مع صاحبه ولم يكن معه غيرها ويمكن انه انما قال بهذا بعد أن سمع الاعتراف من الآخر قال النحاس ويقال ان خطيئة داود هى قوله لقد ظلمك لانه قال ذلك قبل ان يتثبت (وان كثيرا من الخلطاء) وهم الشركاء واحدهم خليط وهو المخالط فى المال (ليبغى) اللام لام التوكيد وقعت فى خبر ان أى يتعدى (بعضهم على بعض) ويظلمه غير مراع لحقه (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم يتحامون ذلك ولا يظلمون خليطا ولا غيره والاستثناء متصل (وقليل ما هم) أى وقليل هم وما زائدة لتوكيد القلة والتعجب وقيل هى موصولة وهم مبتدأ وقليل خبره عن ابن عباس قال يقول قليل الذى هم فيه (وظن داود أنما فتناه) قال أبو عمرو

الله أن يتزوج من النساء ما شاء الا ذات محرم وذلك قول الله تعالى ترجي من تشاء منهن الآية فجعلت هذه ناسخة للتي بعدها في التلاوة كآيتي عدة الوفاة في البقرة الاولى ناسخة للتي بعدها والله أعلم وقال آخرون بل معنى الآية لا يحل لك النساء من بعد أي من بعد ما ذكرنا لك من صفة النساء اللاتي أحللنا لك من نسائك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك وبنات العم والعمات والخال والخالات والواهبة وما سوى ذلك من أصناف النساء فلا يحل لك هذا مروي عن أبي بن كعب ومجاهد في رواية عنه وعكرمة والضحاك في رواية وأبي رزين في رواية عنه وأبي صالح والحسن وقتادة في رواية والسدي وغيرهم قال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن داود بن أبي هند حدثني محمد بن أبي موسى عن زياد رجل من الانصار قال قلت لابي بن كعب أرأيت لو ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم توفين أما كان له أن يتزوج فقال وما يمنعه من ذلك قال قلت قول الله تعالى لا يحل لك النساء من بعد فقال انما أحل الله له ضربا من النساء فقال تعالى يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك الى قوله تعالى ان وهبت نفسها للنبي ثم قيل له لا يحل لك النساء من بعد ورواه عبد الله بن أحمد من طرق عن داود به وروى الترمذي عن ابن عباس قال نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصناف النساء الا ما كان من المؤمنات المهاجرات بقوله تعالى لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك فأحل الله فتياتكم المؤمنات وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي وحرم كل ذات دين غير الاسلام ثم قال ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله الآية وقال تعالى يا أيها النبي انا أحللنا لك

أزواجك اللاتي آتيت أجورهن الى قوله تعالى خالصة لك من دون المؤمنين وحرم ما سوى ذلك من أصناف النساء وقال مجاهد لا يحل لك النساء من بعد أي من بعد ما سمى لك من مسلمة ولا يهودية ولا نصرانية ولا كافرة وقال أبو صالح لا يحل لك النساء من بعد ولا أمر أن يتزوج أعرابية ولا غريبة ويتزوج بعد من نساء تهامة وما شاء من بنات العم والعمة والخال والخالة ان شاء ثلاثمائة وقال عكرمة لا يحل لك النساء من بعد أي التي سمى الله واختار ابن جرير رحمه الله ان الآية عامة فمن ذكر من أصناف النساء وفي النساء اللواتي في عصمته وكن تسعا وهذا الذي قاله جيد ولعله مراد كثير ممن حكينا عنه من

والهاء ظن بمعنى أيقن ومعنى فتناه ابتليناه وقال ابن عباس اختبرناه والمعنى انه عند ان تخاصما اليه وقال ما قال علم عند ذلك انه المراد وان مقصودهما التعريض به وبصاحبه الذي أراد ان ينزل له عن امرأته قال الواحدي قال المفسرون فلما قضى بينهما داود نظر أحدهما الى صاحبه وضحك فعند ذلك علم داود بما أراداه قرأ الجمهور فتناه بالتخفيف للتاء وتشديد النون وقرئ بالتشديد للتاء والنون وهي مبالغة في الفتنة وقرأ الضحاك أفتناه وقرئ فتناه بتخفيفهما واسناد الفعل الى الملكين (فاستغفر ربه) لذنبه (وخر راكعا) أي ساجدا وعبر بالركوع عن السجود لان كل واحد منهما فيه انحناء وقيل خر ساجدا بعدما كان راكعا قال ابن العربي لا خلاف بين العلماء ان المراد بالركوع هنا السجود فان السجود هو الميل والركوع هو الانحناء وأحدهما يدخل في الآخر ولكنه قد يختص كل واحد منهما بهيئته ثم جاء هذا على تسمية أحدهما بالآخر وقيل المعنى للسجود راكعا أي مصليا وقيل بل كان ركوعهم سجودا وقيل بل كان سجودهم ركوعا (وأناب) أي رجع الى الله بالتوبة من ذنبه قال المفسرون سجد داود أربعين يوما لا يرفع رأسه الا لحاجة أو لوقت صلاة مكتوبة ثم يعود ساجدا الى تمام أربعين لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادي ربه عز وجل ويسأله التوبة ثم أنزل الله التوبة والمغفرة وقد اختلف المفسرون في ذنب داود الذي استغفر له وتاب عنه على أقوال الاول انه نظر الى امرأة الرجل الذي أراد ان تكون زوجة له كذا قال سعيد بن جبير وغيره قال الزجاج ولم يتعمد داود النظر الى المرأة لكنه عاود النظر اليها وصارت الاولى له والثانية عليه الثاني انه أرسل زوجها في جملة الغزاة الثالث انه نوى ان مات زوجها أن يتزوجها الرابع ان أوريا بن حنان كان خطب تلك المرأة فلما غاب خطبها داود فزوجت منه لجلالته فاغتم لذلك أوريا فعتب الله عليه حيث لم يتركها لخاطبها الخامس انه لم يجزع على قتل أوريا كما كان يجزع على من هلك من الجند ثم تزوج امرأته فعاتبه الله على ذلك لان ذنوب الانبياء وان صغرت فهي عظيمة السادس انه حكم لاحد الخصمين قبل أن يسمع من الآخر كما قدمنا وأقول الظاهر من الخصومة التي وقعت بين الملكين تعريضا لداود عليه السلام انه طلب من زوج المرأة الواحدة ان ينزل له عنها ويضمها الى نسائه ولا ينافي هذا العصمة الكائنة للانبياء فقد نبهه الله على ذلك وعرض له بارسال ملائكته اليه ليتخاصموا في مثل قصته حتى يستغفر لذنبه ويتوب منه فاستغفر

السلف فان كثيرا منهم روى عنه هذا وهذا ولا منافاة والله أعلم ثم أورد ابن جرير على نفسه ما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها وعزم على فراق سودة حتى وهبت يومها لعائشة ثم اجاب بان هذا كان قبل نزول قوله تعالى لايحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج الآية وهذا الذى قاله من ان هذا كان قبل نزول الآية صحيح ولكن لا يحتاج الى ذلك فان الآية انما دلت على انه لا يتزوج عن عدا اللواتى فى عصمته وانه لا يستبدل بهن غيرهن ولا يدل ذلك على انه لا يطلق واحدة منهن من غير استبدال فالله أعلم وأما قصة سودة (١٠٦) ففى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها وهى سبب نزول قوله تعالى وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا الآية وأما قصة حفصة فروى أبو داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه من طرق عن يحيى بن زكريا بن أبى زائدة عن صالح بن صالح بن حى عن سلمة بن كهيل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها وهذا اسناد قوى وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو كريب حدثنا يونس بن بكير عن الاعمش عن أبى صالح عن ابن عمر قال دخل عمر على حفصة وهى تبكى فقال ما يبكيك لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقك انه كان طلقك مرة ثم راجعك من أجلى والله لئن كان طلقك مرة أخرى لا أكلمك أبدا ورجاله على شرط الصحيحين وقوله تعالى ولا أن تبدل بهن من أزواج الآية فنهاه عن الزيادة عليهن أو طلاق واحدة منهن واستبدال غيرها بها الا ما ملكت يمينه وقد روى الحافظ أبو بكر البزار حديثا مناسبا ذكره ههنا فقال حدثنا ابراهيم بن نصر حدثنا مالك بن اسمعيل حدثنا عبد السلام بن حرب عن اسحق بن عبد الله القرشى عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كان البدل فى الجاهلية ان يقول الرجل للرجل بادلنى امرأتك وأبادلك بامرأتى أى تنزل لى عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتى فأنزل الله تعالى ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن قال فدخل عيينة بن حصن الفزارى على النبى صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة فدخل بغير اذن فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين الاستئذان فقال يارسول الله ما استأذنت على رجل من مضر منذ أدركت ثم قال من هذه الحميراء الى جنبك فقال

وتاب عنه وقد قال تعالى وعصى آدم ربه فغوى وهو أبو البشر وأول الانبياء ووقع لغيره من الانبياء ما قصه الله علينا فى كتابه وفى الآية مايدل على صدور الذنب منه وهو قوله وظن داود انما فتناه وقوله فاستغفر ربه وقوله وأناب وقوله فغفرنا له ذلك والجواب عن هذا بان حسنات الابرار سيئات المقربين ليس كما ينبغى والاولى ما ذكرناه ثم أخبر سبحانه انه قبل استغفاره وتوبته فقال (فغفرنا له ذلك) الذنب الذى استغفر منه قال عطاء الخراسانى وغيره ان داود بقى ساجدا أربعين يوما حتى نبت الرعى حول وجهه وغمر رأسه قال ابن الانبارى الوقف على قوله ذلك تام ثم يبتدأ الكلام بقوله (وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) والزلفى القربة والكرامة بعد المغفرة لذنبه قال مجاهد الزلفى الدنو من الله عز وجل يوم القيامة والمراد بحسن المآب حسن المرجع وهو الجنة وأخرج ابن مردويه عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه ذكر يوم القيامة فعظم شأنه وشدته قال ويقول الرحمن عز وجل لداود عليه السلام مر بين يدى فيقول داود يارب أخاف ان تدحضنى خطيئتى خذ بقدمى فيأخذ بقدمه عز وجل فيمر قال فتلك الزلفى التى قال الله وان له عندنا لزلفى وحسن مآب وأخرج أحمد والبخارى وأبو داود والترمذى والنسائى وابن مردويه والبيهقى فى سننه عن ابن عباس انه قال فى السجود فى ص ليست من عزائم السجود وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سجد فيها وأخرج النسائى وابن مردويه بسند جيد عنه أيضا ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم سجد فى ص وقال سجدها داود توبة ونسجدها شكرا وأخرج ابن مردويه عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم سجد فى ص وعن أنس مثله مرفوعا أخرجه ابن مردويه وأخرج الدارمى وأبو داود وابن خزيمة وابن حبان والدارقطنى والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى فى سننه عن أبى سعيد قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو على المنبر ص فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تهيأ الناس للسجود فقال انما هى توبة نبى ولكنى رأيتكم تهيأتم للسجود فنزل فسجد (ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض) لما تمم سبحانه قصة داود أردفها ببيان تفويض أمر خلافة الارض اليه والجملة مقولة لقول مقدر معطوف على غفرنا أى وقلنا له ياداود انا استخلفناك على الارض أو جعلناك خليفة لمن قبلك من الانبياء لتأمر بالمعروف وتنهى

رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه عائشة أم المؤمنين قال أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق قال يا عيينة ان الله قد حرم ذلك فلما ان خرج قالت عائشة من هذا قال أحمق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه ثم قال البزار اسحق بن عبد الله لين الحديث جدا وانما ذكرناه لانا لم نحفظه الا من هذا الوجه وبينا العلة فيه (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم

أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم كان عند الله عظيما ان تبدوا شيأ أو تخفوه فان الله كان بكل شيء عليما) هذه آية الحجاب وفيها أحكام وآداب شرعية وهي مما وافق تنزيلها قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما ثبت ذلك في الصحيحين عنه انه قال وافقت ربي عز وجل في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فأنزل الله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقلت يا رسول الله ان نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو حجبتهن فأنزل الله آية الحجاب وقلت لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم لما تمالأن عليه في الغيرة عسى ربه ان طلقكن ان يبدله أزواجا خيرا منكن فنزلت كذلك وفي رواية لمسلم ذكر أسارى بدر وهي قصة رابعة وقد قال البخاري حدثنا مسدد عن يحيى عن حميد عن أنس بن مالك قال قال عمر بن الخطاب يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب وكان وقت نزولها في صبيحة عرس رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش التي تولى الله تزويجها بنفسه تعالى وكان ذلك في ذي القعدة من السنة الخامسة في قول قتادة والواقدي وغيرهما وزعم أبو عبيدة معمر بن المثنى وخليفة بن خياط ان ذلك كان في سنة ثلاث فالله أعلم قال البخاري حدثنا محمد بن عبد الله الرقاشي حدثنا معتمر بن سليمان سمعت أبي حدثنا أبو مجلز عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون فاذا هو يتهيأ للقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام فلما قام قام من قام وقعد ثلاثة نفر فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليدخل فاذا القوم جلوس ثم انهم قاموا فانطلقوا فجئت

عن المنكر وتدبر أمر الناس وفيه دليل على ان حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير قط (فاحكم بين الناس بالحق) أي بالعدل الذي هو حكم الله بين عباده لان الاحكام اذا كانت مطابقة للشريعة الحقة الالهية انتظمت مصالح العالم واتسعت أبواب الخيرات واذا كانت الاحكام على وفق الاهوية وتحصيل مقاصد الانفس أفضى الى تخريب العالم ووقوع الهرج فيه والمرج في الخلق وذلك يفضي الى هلاك ذلك الحاكم (ولا تتبع الهوى) أي هوى النفس في الحكم بين العباد وفيه تنبيه لداود عليه السلام ان الذي عوتب عليه ليس بعدل وان فيه شائبة من اتباع هوى النفس (فيضلك عن سبيل الله) بالنصب على انه جواب النهي والفاعل هو الهوى ويجوز ان يكون الفعل مجزوما بالعطف على النهي وانما حرك لالتقاء الساكنين فعلى الوجه الاول يكون المنهي عنه الجمع بينهما وعلى الثاني يكون النهي عن كل واحد منهما على حدة وسبيل الله هو طريق الحق أو طريق الجنة أو دلائله التي نصبها على الحق تشريعا وتكوينا (ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد) تعليل للنهي عن اتباع الهوى والوقوع في الضلال (بما نسوا يوم الحساب) الباء السببية ومعنى النسيان الترك قال الزجاج أي تركهم العمل لذلك اليوم صاروا بمنزلة الناسين وان كانوا ينذرون ويذكرون ولو أيقنوا بيوم الحساب لما نسوا في الدنيا وقال عكرمة والسدي في الآية تقديم وتأخير والتقدير ولهم عذاب يوم الحساب بما نسوا أي تركوا القضاء بالعدل والاول أولى (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا) مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها من أمر البعث والحساب أي ما خلقنا هذه الاشياء خلقا باطلا خارجا عن الحكمة الباهرة بل خلقناها للدلالة على قدرتنا فانتصاب باطلا على المصدرية أو على الحالية أو على انه مفعول لاجله والاشارة بقوله (ذلك) الى المنفي قبله وهو مبتدأ وخبره (ظن الذين كفروا) أي مظنونهم فانهم يظنون ان هذه الاشياء خلقت لا لغرض ويقولون انه لا قيامة ولا بعث ولا حساب وذلك يستلزم أن يكون خلق هذه المخلوقات باطلا (فويل للذين كفروا من النار) الفاء لافادة ترتب ثبوت الويل لهم على ظنهم الباطل أي فويل لهم بسبب النار المترتبة على ظنهم وكفرهم كما ان وضع الموصول موضع ضميرهم للاشعار بعلية الصلة لاستحقاقهم الويل ثم وبخهم وبكتهم فقال (أم نجعل

فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم انهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا الآية وقد رواه أيضا في موضع آخر ومسلم والنسائي من طرق عن معتمر بن سليمان به ثم رواه البخاري منفردا به من حديث أيوب عن أبي قلابة عن أنس رضي الله عنه بنحوه ثم قال حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال بنى النبي صلى الله عليه وسلم بزينب

بنت جحش بخبز ولحم فأرسلت على الطعام داعيا فيجيء قوم فيأكلون ويخرجون ثم يجيء قوم فيأكلون ويخرجون فدعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه فقلت يا رسول الله ما أجد أحدا أدعوه قال ارفعوا طعامكم وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق الى حجرة عائشة رضي الله عنها فقال السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته قالت وعليك السلام ورحمة الله كيف وجدت أهلك يا رسول الله بارك الله لك فتقرى حجر نسائه كلهن يقول لهن كما يقول لعائشة ويقلن له كما قالت عائشة ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم فاذا ثلاثة رهط في البيت يتحدثون وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فخرج منطلقا نحو حجرة عائشة فما أدري أخبرته أم أخبر ان القوم خرجوا فرجع حتى اذا وضع رجله في أسكفة الباب داخله والاخرى خارجة أرخى الستر بيني وبينه وأنزلت آية الحجاب انفرد به البخاري من بين أصحاب الكتب الستة سوى النسائي في اليوم والليلة من حديث عبد الوارث ثم رواه عن اسحق هو ابن منصور عن عبد الله بن بكر السهمي عن حميد عن أنس بنحو ذلك وقال رجلان انفرد به من هذا الوجه وقد تقدم في أفراد مسلم من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو المظفر حدثنا جعفر بن سليمان عن الجعد أبي عثمان اليشكري عن أنس بن مالك قال أعرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض نسائه فصنعت أم سليم حيسا ثم جعلته في تور فقالت اذهب بهذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقرئه مني السلام وأخبره ان هذا منا له قليل قال أنس والناس يومئذ في جهد فجئت به فقلت يا رسول الله بعثت بهذا أم سليم اليك وهي تقرئك السلام وتقول أخبره ان هذا منا له قليل فنظر اليه ثم قال ضعه فوضعته في ناحية البيت ثم قال اذهب فادع لي فلانا وفلانا فسمى رجالا كثيرا وقال ومن لقيت من المسلمين ودعوت من

الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض) قال مقاتل قال كفار قريش للمؤمنين انا نعطى في الآخرة كما تعطون فنزلت وأم هي المنقطعة المقدرة ببل والهمزة للاضراب الانتقالي عن تقرير أمر البعث والحساب والجزاء بما مر من نفي خلق العالم خاليا عن الحكم والمصالح الى تقريره وتحقيقه بما في الهمزة من انكار التسوية بين الفريقين ونفيها على أبلغ وجه وآكده أي بل أنجعل الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله وعملوا بفرائضه كالكفرة المفسدين في اقطار الارض بالمعاصي قال ابن عباس في الآية الذين آمنوا علي وحمزة وعبيدة بن الحرث والمفسدون في الارض عتبة وشيبة والوليد ثم أضرب سبحانه اضرابا آخر وانتقل عن الاول الى ما هو أظهر استحالة منه فقال (أم نجعل المتقين كالفجار) أي بل أنجعل أتقياء المؤمنين كأشقياء الكافرين والمنافقين وحمل الفجار على المنهمكين في معاصي الله سبحانه من المسلمين مما لا يساعده المقام وقيل المراد بالمتقين الصحابة ولا وجه للتخصيص بغير مخصص والاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ويجوز أن يراد بهذين الفريقين عين الاولين ويكون التكرير باعتبار وصفين آخرين هما أدخل في انكار التسوية من الوصفين الاولين (كتاب) أي القرآن كتاب (أنزلناه اليك) يا محمد (مبارك) أي كثير الخير والبركة (ليدبروا آياته) أي التي من جملتها هذه الآيات المعربة عن اسرار التكوين والتشريع وهو متعلق بأنزلناه وفي الآية دليل على ان الله سبحانه انما أنزل القرآن للتدبر والتفكر في معانيه لا لمجرد التلاوة بدون تدبر قال الحسن قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده قرأ الجمهور ليدبروا بالادغام وقرئ لتدبروا بالتاء الفوقية على الخطاب وهي قراءة علي رضي الله تعالى عنه والاصل لتتدبروا (وليتذكر أولوا الالباب) أي ليتعظ أهل العقول والبصائر والالباب جمع لب وهو العقل (ووهبنا لداود سليمان) أخبر سبحانه بان من جملة نعمه على داود انه وهب له سليمان ولدا ثم مدح سليمان فقال (نعم العبد) أي سليمان فالمخصوص بالمدح محذوف وقيل ان المدح هنا بقوله نعم العبد هو لداود والاول أولى وجملة (انه أواب) تعليل لما قبلها من المدح والاواب الرجاع الى الله بالتوبة كما تقدم بيانه (اذ عرض عليه بالعشي) أي اذكر ما صدر عنه وقت ان عرض عليه (الصافنات الجياد)

وقيل

قال لي ومن لقيت من المسلمين فجئت والبيت والصفة والحجرة ملأى من الناس فقلت يا أبا عثمان كم كانوا قال كانوا زهاء ثلاثمائة
قال أنس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم جئ به فجئت به إليه فوضع يده عليه ودعا وقال ما شاء الله ثم قال ليتحلق عشرة
عشرة وليسموا وليأكل كل إنسان مما يليه فجعلوا يسمون ويأكلون حتى أكلوا كلهم فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفعه
قال فجئت فأخذت التور فنظرت فيه فما أدري أهو حين وضعت أكثر أم حين أخذت قال وتخلف رجال يتحدثون في بيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم وزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم التي دخل بها معهم مولية وجهها إلى الحائط
فأطالوا الحديث فشقوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أشد الناس حياء ولو أعلموا كان ذلك عليهم عزيزا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم على حجره وعلى نسائه فلما رأوه قد جاء ظنوا أنهم قد ثقلوا عليه ابتدروا الباب فخرجوا وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أرخى الستر ودخل البيت وأنا في الحجرة فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته يسيرا وأنزل الله عليه القرآن فخرج وهو يتلو هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الآية قال أنس فقرأهن على الناس قبل الناس وأنا أحدث الناس بهن عهدا وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي جميعا عن قتيبة عن جعفر بن سليمان به وقال الترمذي حسن صحيح وعلقه البخاري في كتاب النكاح فقال وقال إبراهيم بن طهمان عن الجعد أبي عثمان عن أنس فذكر نحوه ورواه مسلم أيضا عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر عن الجعد به وقد روى هذا الحديث عبد الله بن المبارك عن شريك عن
بيان بن بشر عن أنس نحوه ورواه البخاري والترمذي من طريقين آخرين عن بيان بن بشر أبي بشر الأحمسي الكوفي عن أنس
نحوه ورواه ابن أبي حاتم أيضا من حديث أبي نضرة العبدي عن أنس بن مالك بنحو ذلك ولم يخرجوه ورواه ابن جرير من حديث
عمرو بن سعيد ومن حديث الزهري عن أنس بنحو ذلك وقال الإمام أحمد حدثنا بهز وهاشم بن القاسم قالا حدثنا سليمان بن
المغيرة عن ثابت عن أنس قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد اذهب فاذكرها علي قال فانطلق زيد
حتى أتاها قال وهي تخمر عجينها فلما رأيتها عظمت في صدري وذكر تمام الحديث كما قدمناه عند قوله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا

وقيل هو متعلق بنعم وهو مع كونه غير متصرف لا وجه لتقييده بذلك الوقت وقيل متعلق
بأواب ولا وجه لتقييد كونه أوابا بذلك الوقت والعشي من الظهر أو العصر إلى آخر النهار
والصافنات جمع صافن وقد اختلف أهل اللغة في معناه فقال القتيبي والفراء الصافن في
كلام العرب الواقف من الخيل أو غيرها وبه قال قتادة ومنه الحديث من أحب أن يتمثل له
الناس صفونا فليتبوأ مقعده من النار أي يديمون القيام له وقال الزجاج هو الذي يقف على
إحدى اليدين ويرفع الأخرى ويجعل على الأرض طرف الحافر منها حتى كأنه يقوم على
ثلاث وهي الرجلان وإحدى اليدين وقد يفعل ذلك بإحدى رجليه وهي علامة الفراهة
وقال أبو عبيدة الصافن الذي يجمع يديه ويسويهما وأما الذي يقف على سنبكه فاسمه
المتخيم والجياد جمع جواد يقال للفرس ذكرا كان أو أنثى إذا كان شديد العدو وقيل إنها
الطوال الأعناق مأخوذ من الجيد وهو العنق وقيل الذي يجود في الركض قيل كانت مائة
فرس وقيل كانت عشرين ألفا وقيل كانت عشرين فرسا وعن إبراهيم التيمي قال كانت
عشرين ألف فرس ذات أجنحة فعقرها وقيل إنها أخرجت له من البحر كانت لها أجنحة
وعن أبي هريرة قال الصافنات الجياد خيل خلقت على ما شاء وعن مجاهد قال صفون
الفرس رفع إحدى يديه حتى يكون على أطراف الحافر والجياد السراع لأنه يجود
بالركض وصفها بالصفون لأنه لا يكون في الهجان وإنما هو في العراب وقيل وصفها
بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعني إذا وقفت كانت
ساكنة مطمئنة في مواقفها وإذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها قيل إن سليمان
غزا أهل دمشق ونصيبين فأصاب ألف فرس وقيل ورثها من أبيه وأصابها أبوه من
العمالقة (فقال) اعترافا بما صدر منه وتمهيدا لما يعقبه من الأمر بردها
وعقرها والتعقيب باعتبار آخر العرض الممدود لا ابتدائه (إني أحببت حب الخير عن
ذكر ربي) انتصاب حب على أنه مفعول أحببت بعد تضمينه معنى آثرت قال الفراء يقول
آثرت حب الخير وكل من أحب شيئا فقد آثره وقيل انتصابه على المصدر بحذف الزوائد
والناصب له أحببت وقيل هو مصدر تشبيهي أي حبا مثل حب الخير والأول أولى والمراد
بالخير هنا الخيل قاله الزجاج وقال الفراء الخير والخيل في كلام العرب واحد والعرب تعاقب
بين الراء واللام فتقول انهملت العين وانهمرت وختلت وخترت قال النحاس وفي

وزاد في آخره بعد قوله وقعد القوم فأطالوا قال هاشم في حديثه لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم الآية وقد أخرجه مسلم والنسائي من حديث جعفر بن سليمان به وقال ابن جرير حدثني أحمد بن عبد الرحمن ابن أخي ابن وهب حدثني عمي عبد الله ابن وهب حدثني يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت إن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع وهو صعيد أفيح وكان عمر يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم احجب نساءك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فخرجت سودة بنت زمعة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة طويلة فناداها عمر بصوته الأعلى قد عرفناك يا سودة حرصا أن ينزل الحجاب قال فأنزل الله الحجاب هكذا وقع في هذه الرواية والمشهور أن هذا كان بعد نزول الحجاب كما رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت خرجت سودة بعدما ضرب الحجاب لحاجتها وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها فرآها عمر بن الخطاب فقال يا سودة أما والله ما تخفين علينا فانظري كيف تخرجين قالت فانكفأت راجعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي وإنه ليتعشى وفي يده عرق فدخلت فقلت يا رسول الله إني خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر كذا وكذا قالت فأوحى الله إليه ثم رفع عنه وإن العرق في يده ما وضعه فقال إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن لفظ البخاري فقوله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي حظر على المؤمنين أن يدخلوا منازل رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير إذن كما كانوا قبل ذلك يصنعون في بيوتهم في الجاهلية وابتداء الإسلام حتى غار الله لهذه الأمة فأمرهم بذلك وذلك من إكرامه تعالى هذه الأمة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم والدخول على النساء [illegible] الكلام الحديث ثم استثنى من ذلك فقال تعالى إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه قال مجاهد وقتادة وغيرهما أي غير متحينين نضجه واستواءه أي لا ترقبوا الطعام إذا طبخ حتى إذا قارب الاستواء تعرضتم للدخول فإن هذا مما يكرهه الله ويذمه وهذا دليل على تحريم التطفيل وهو الذي تسميه العرب الضيفن وقد صنف الخطيب البغدادي في ذلك كتابا في ذم الطفيليين وذكر من أخبارهم أشياء يطول إيرادها ثم قال تعالى ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا وفي صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله

الحديث الخيل معقود بنواصيها الخير فكأنها سميت خيرا لهذا وقيل لما فيها من المنافع وعن بمعنى على أي آثرت حب الخيل على ذكر ربي يعني صلاة العصر وبه قال علي وقال ابن عباس الخير المال وقيل أحببت بمعنى لزمت وقيل بمعنى قعدت من أحب البعير إذا سقط وبرك من الإعياء وقيل بمعنى أردت (حتى توارت بالحجاب) يعني الشمس ولم يتقدم لها ذكر ولكن المقام يدل على ذلك قال الزجاج إنما يجوز الإضمار إذا جرى ذكر الشيء أو دليل الذكر وقد جرى هنا الدليل وهو قوله بالعشي والتواري الاستتار عن الأبصار والحجاب ما يحجبها عن الأبصار قال قتادة وكعب الحجاب جبل أخضر محيط بالخلائق وهو جبل قاف وسمي الليل حجابا لأنه يستر ما فيه وقيل إن الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه وفيه بعد وبرودة وعن ابن مسعود قال توارت من وراء ياقوتة خضراء فخضرة السماء منها وعن ابن عباس قال كان سليمان لا يكلم إعظاما له فلقد فاتته صلاة العصر وما استطاع أحد أن يكلمه وقيل الضمير للخيل أي حتى توارت في المسابقة عن الأعين والأول أولى وقوله (ردوها علي) من تمام كلام سليمان أي أعيدوا عرضها علي مرة أخرى قال الحسن إن سليمان لما شغله عرض الخيل حتى فاتته صلاة العصر غضب لله وقال ردوها علي أي أعيدوها وقال ابن عباس ردوها أي الخيل وقيل الضمير يعود إلى الشمس ويكون ذلك معجزة له وإنما أمر بإرجاعها بعد مغيبها لأجل أن يصلي العصر والأول أولى (فطفق مسحا بالسوق والأعناق) الفاء هي الفصيحة التي تدل على محذوف في الكلام والتقدير هنا فردوها عليه قال أبو عبيدة طفق يفعل مثل ما زال يفعل وهو مثل ظل وبات وانتصاب مسحا على المصدرية بفعل مقدر أي يمسح مسحا لأن خبر طفق لا يكون إلا فعلا مضارعا وقيل هو مصدر في موضع الحال والأول أولى والسوق جمع ساق والأعناق جمع عنق والمراد أنه طفق يضرب أعناقها وسوقها بالسيف يقال مسح علاوته أي ضرب عنقه قال الفراء المسح هنا القطع قال والمعنى أنه أقبل يضرب سوقها وأعناقها لأنها كانت سبب فوت صلاته وكذا قال أبو عبيدة قال الزجاج ولم يكن يفعل ذلك إلا وقد أباحه الله له وجاز أن يباح ذلك لسليمان ويحظر في هذا الوقت وقد اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية فقال قوم المراد بالمسح ما تقدم وقال آخرون منهم الزهري وقتادة إن المراد به المسح على سوقها وأعناقها لكشف الغبار عنها حبا لها والقول الأول أولى بسياق

عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا أحدكم اخاه فليجب عرسا كان او غيره واصله فى الصحيحين وفى الصحيح أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى ذراع لاجبت ولو أهدى الى كراع لقبلت فاذا فرغتم من الذى دعيتم اليه فخففوا عن أهل المنزل وانتشروا فى الارض ولهذا قال تعالى ولا مستأنسين لحديث اى كما وقع لاولئك النفر الثلاثة الذين استرسل بهم الحديث ونسوا أنفسهم حتى شق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحى منكم وقيل المراد ان دخولكم منزله بغير اذنه كان يشق عليه ويتأذى به ولكن كان يكره ان ينهاهم عن ذلك من شدة حيائه عليه السلام حتى أنزل الله عليه النهى عن ذلك ولهذا قال تعالى والله لا يستحى من الحق اى ولهذا نهاكم عن ذلك وزجركم عنه ثم قال تعالى واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب أى وكما نهيتكم عن الدخول عليهن كذلك لا تنظروا اليهن بالكلية ولو كان لاحدكم حاجة يريد تناولها منهن فلا ينظر اليهن ولا يسألهن حاجة الا من وراء حجاب وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابن أبى عمر حدثنا سفيان عن مسعر عن موسى ابن أبى كثير عن مجاهد عن عائشة قالت كنت آكل مع النبى صلى الله عليه وسلم حيسا فى قعب فمر عمر فدعاه فأكل فأصابت أصبعه أصبعى فقال حس أو أوه لو أطاع فيكن ما رأتكن عين فنزل الحجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن أى هذا الذى أمرتكم به وشرعته لكم من الحجاب أطهر وأطيب وقوله تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم كان عند الله عظيما قال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا محمد بن أبى حماد حدثنا مهران عن سفيان عن داود بن أبى هند عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله قال نزلت فى رجل هم أن يتزوج بعض نساء النبى صلى الله عليه وسلم بعده قال رجل لسفيان أهى عائشة قال قد ذكروا ذلك وكذا قال مقاتل بن حيان وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وذكر بسنده عن السدى ان الذى عزم على ذلك طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه حتى نزل التنبيه على تحريم ذلك ولهذا أجمع العلماء قاطبة على ان من توفى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أزواجه انه يحرم على غيره تزوجها من بعده لانهن أزواجه فى الدنيا والآخرة وامهات المؤمنين كما تقدم واختلفوا فيمن دخل بها ثم طلقها فى

الكلام فانه ذكر انه آثرها على ذكر ربه حتى فاتته صلاة العصر ثم أمرهم بردها عليه ليعاقب نفسه بافسادها ما ألهاه عن ذلك وما صده عن عبادة ربه وشغله عن القيام بما افرضه الله عليه ولا يناسب هذا أن يكون الغرض من ردها عليه هو كشف الغبار عن سوقها وأعناقها بالمسح عليها بيده أو بثوبه ولا متمسك لمن قال ان افساد المال لا يصدر عن نبى فان هذا مجرد استبعاد باعتبار ما هو المتقرر فى شرعنا مع جواز أن يكون فى شرع سليمان ان مثل هذا مباح على ان افساد المال المنهى عنه فى شرعنا انما هو مجرد اضاعته لغير غرض صحيح وأما الغرض الصحيح فقد جاز مثله فى شرعنا كما وقع منه صلى الله عليه وآله وسلم من اكفاء القدور التى طبخت من الغنيمة قبل القسمة ولهذا نظائر كثيرة فى الشريعة ومن ذلك ما وقع من الصحابة من احراق طعام المحتكر قال ابن عباس مسحا عقرا بالسيف أى قطع سوقها وأعناقها بالسيف قال الرازى التفسير الحق المطابق لالفاظ القرآن ان تقول ان رباط الخيل كان مندوبا اليه فى دينهم كما انه كذلك فى ديننا ثم ان سليمان احتاج الى غزو فجلس وأمر باحضار الخيل وأمر باجرائها وذكر انى لا أحبها لاجل الدنيا ونصيب النفس وانما أحبها لامر الله تعالى وتقوية دينه وهو المراد بقوله عن ذكر ربى ثم انه أمر باعدائها واجرائها حتى توارت بالحجاب ثم أمر برد الخيل اليه فلما عادت اليه طفق يمسح والغرض من ذلك المسح أمور الاول تشريفها لكونها من أعظم الاعوان فى دفع العدو الثانى انه أراد ان يظهر انه فى ضبط السياسة والمملكة يبلغ الى انه يباشر الامور بنفسه الثالث انه كان أعلم بأحوال الخيل وأمراضها وعيوبها من غيره فكان يمسح حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض فهذا التفسير الذى ذكرناه ينطبق عليه لفظ القرآن ولا يلزمنا شئ من تلك المنكرات والمحظورات انتهى وما أبرد هذا التفسير من الرازى وأبعده عن النظم القرآنى والحق ما ذكرناه فان اللغة تشهد بضرب السوق والاعناق ولا وجه للعدول عنه الى تأويل ركيك وتوجيه بعيد بناء على عصمة الانبياء عليهم السلام (ولقد فتنا سليمان) أى ابتليناه واختبرناه بسلب ملكه قال الواحدى قال أكثر المفسرين تزوج سليمان امرأة من بنات الملوك فعبدت الصنم فى داره ولم يعلم بذلك سليمان فامتحن بسبب غفلته عن ذلك وقيل ان سبب الفتنة أنه تزوج سليمان امرأة يقال لها جرادة وكان يحبها حبا شديدا فاختصم اليه فريقان أحدهما من أهل جرادة فاحب أن يكون القضاء لهم ثم قضى بينهم

حـ ـ ... فلم يحل لعكرمة تزوجها على قول من ماسها ثم طلقها قبل ... خلت منه فهل شملها عموم قوله من بعده أم لا فأما من تزوجها ثم طلقها قبل أن يدخل بها فما أعلم في حلها لغيره والحالة هذه نزاعا والله أعلم وقال ابن جرير حدثني محمد بن المثنى حدثنا عبد الوهاب حدثنا داود عن عامر أن نبي الله صلى الله عليه وسلم مات وقد ملك قيلة ابنت الاشعث يعني ابن قيس فتزوجها عكرمة بن أبي جهل بعد ذلك فشق ذلك على أبي بكر مشقة شديدة فقال له عمر يا خليفة رسول الله انها ليست من نسائه انها لم يخيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يحجبها وقد برأها الله منه بالردة التي ارتدت مع قومها قال فاطمأن أبو بكر رضي الله عنه وسكن وقد عظم الله تبارك وتعالى ذلك وشدد فيه وتوعد عليه بقوله ان ذلكم كان عند الله عظيما ثم قال تعالى ان تبدوا شيأ أو تخفوه فان الله كان بكل شيء عليما أي مهما تكنه ضمائركم وتنطوي عليه سرائركم فان الله يعلمه فانه لا يخفى عليه خافية يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور (لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله ان الله كان على كل شيء شهيدا) لما أمر تبارك وتعالى النساء بالحجاب من الاجانب بين ان هؤلاء الاقارب لا يجب الاحتجاب منهم كما استثناهم في سورة النور عند قوله تعالى ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن او آباء بعولتهن او أبنائهن او أبناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن او نسائهن او ما ملكت ايمانهن او التابعين غير أولي الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء وفيها زيادات على هذه وقد تقدم تفسيرها والكلام عليها بما اغنى عن اعادته ههنا وقد سأل بعض السلف فقال لم يذكر العم والخال في هاتين الآيتين ما فأجاب عكرمة والشعبي بأنهما لم يذكرا لانهما قد يصفان ذلك لبنيهما قال ابن جرير حدثني محمد بن المثنى حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد حدثنا داود عن الشعبي وعكرمة في قوله تعالى لا جناح عليهن في آبائهن الآية قلت ما شأن العم والخال لم يذكرا قال لانهما ينعتانها لابنائهما وكرها ان تضع خمارها عند خالها او عمها وقوله تعالى ولا نسائهن يعني بذلك عدم الاحتجاب من النساء المؤمنات وقوله تعالى ولا ما ملكت ايمانهن يعني به ارقاءهن من الذكور والاناث كما تقدم التنبيه عليه وايراد الحديث فيه

بالحق وقيل السبب أنه احتجب عن الناس ثلاثة أيام لا يقضي بين أحد وقيل انه تزوج جرادة هذه وهي مشركة لانه عرض عليها الاسلام فقالت اقتلني ولا أسلم وقال كعب الاحبار انه لما ظلم الخيل بالقتل سلب ملكه وقال الحسن انه قارب بعض نسائه في شيء من حيض أو غيره وقيل انه أمر أن لا يتزوج امرأة الا من بني اسرائيل فتزوج امرأة من غيرهم وقيل ان سبب فتنته ما ثبت في الحديث الصحيح أنه قال لاطوفن الليلة على تسعين امرأة تأتي كل واحدة بفارس يقاتل في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله وقيل غير ذلك والمصير الى الحديث متعين قال السني وأما ما روي من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان فمن أباطيل اليهود انتهى أقول حديث الخاتم أخرجه النسائي وغيره وقواه السيوطي كما سيأتي فكونه من أباطيل اليهود ليس على ما ينبغي ثم بين سبحانه ما عاقبه به فقال (وألقينا على كرسيه جسدا) قال أكثر المفسرين هذا الجسد الذي ألقاه الله على كرسي سليمان هو شيطان اسمه صخر وكان متمردا عليه غير داخل في طاعته ألقى الله شبه سليمان عليه وما زال يحتال حتى ظفر بخاتم سليمان وذلك عند دخول سليمان الكنيف لانه كان يلقيه اذا دخل الكنيف فجاء صخر في صورة سليمان فأخذ الخاتم من امرأة من نساء سليمان فقعد على سرير سليمان وأقام أربعين يوما على ملكه وسليمان هارب وكان ملكه مرتبا على لبسه فاذا لبسه سخرت له الجن والانس والرياح وغيرها واذا نزعه زال عنه الملك قيل وكان خاتمه من الجنة نزل به آدم كما نزل بعصا موسى والحجر الاسود وبعود البخور وباوراق التين وقد نظم الخمسة بعضهم في قوله

وآدم معه انزل العود والعصا * لموسى من الآس النبات المكرم
وأوراق تين واليمين بمكة * وختم سليمان النبي المعظم

لكن يفتقر ذلك الى دليل يدل له من الاخبار المرفوعة الصحيحة وقال مجاهد ان شيطانا قال لسليمان كيف تفتنون الناس قال أرني خاتمك أخبرك فلما أعطاه اياه نبذه في البحر فذهب ملكه وقعد الشيطان على كرسيه ومنعه الله نساء سليمان فلم يقربهن وكان سليمان يستطعم فيقول أتعرفوني أطعموني فيكذبونه حتى أعطته امرأة يوما حوتا فشق بطنه فوجد خاتمه في بطنه فرجع اليه ملكه وهو معنى قوله (ثم أناب) أي رجع الى ملكه بعد أربعين وقيل معنى أناب رجع الى الله بالتوبة من ذنبه وهذا هو الصواب قيل فتن سليمان بعد

قال سعيد بن المسيب أعاينه بالأماء فقط رواه ابن أبي حاتم (وقوله تعالى واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيدا) أي واخشينه في الخلوة والعلانية فإنه شهيد على كل شيء لا يخفى عليه خافية فراقبن الرقيب (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) قال البخاري قال أبو العالية صلاة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء وقال ابن عباس يصلون يبركون هكذا علقه البخاري عنهما وقد رواه أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية كذلك وروى مثله عن الربيع أيضا وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس كما قاله سواء رواهما ابن أبي حاتم

وقال أبو عيسى الترمذي روي عن سفيان الثوري وغير واحد من أهل العلم قالوا صلاة الرب الرحمة وصلاة الملائكة الاستغفار ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو الأودي حدثنا وكيع عن الأعمش عن عمرو ابن مرة قال الأعمش أراه عن عطاء بن أبي رباح إن الله وملائكته يصلون على النبي قال صلاته تبارك وتعالى سبوح قدوس سبقت رحمتي غضبي والمقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين وأن الملائكة تصلي عليه ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعا وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثني أبي عن أبيه عن أشعث بن إسحق عن جعفر يعني ابن المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن بني إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام هل يصلي ربك فناداه ربه عز وجل يا موسى سألوك هل يصلي ربك فقل نعم أنا أصلي وملائكتي على أنبيائي ورسلي فأنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وقد أخبر سبحانه وتعالى بأنه يصلي على عباده المؤمنين في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته الآية وقال تعالى وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم الآية وفي الحديث إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف وفي الحديث الآخر اللهم صل على آل أبي أوفى وقال

ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة أخرج الحاكم وصححه والفريابي والحكيم الترمذي عن ابن عباس قال الشيطان الذي كان على كرسيه يقضي بين الناس أربعين يوما وكان لسليمان امرأة يقال لها جرادة وكان بين بعض أهلها وبين قوم خصومة فقضى بينهم بالحق إلا أنه ود أن الحق كان لأهلها فأوحى الله إليه أن سيصيبك بلاء فكان لا يدري أيأتيه من السماء أم من الأرض وأخرج النسائي وابن جرير وابن أبي حاتم بسند قال السيوطي قوي عن ابن عباس قال أراد سليمان أن يدخل الخلاء فأعطى جرادة خاتمه وكانت جرادة امرأته وكانت أحب نسائه إليه فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال لها هاتي خاتمي فأعطته فلما لبسه دانت له الإنس والجن والشياطين فلما خرج سليمان من الخلاء قال هاتي خاتمي قالت قد أعطيته سليمان قال أنا سليمان قالت كذبت لست سليمان فجعل لا يأتي أحدا يقول أنا سليمان إلا كذبه حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة فلما رأى ذلك عرف أنه من أمر الله وقام الشيطان يحكم بين الناس فلما أراد الله أن يرد على سليمان سلطانه ألقى في قلوب الناس إنكار ذلك الشيطان فأرسلوا إلى نساء سليمان فقالوا لهن تنكرن من أمر سليمان شيئا قلن نعم إنه يأتينا ونحن حيض وما كان يأتينا قبل ذلك فلما رأى الشيطان أنه قد فطن له ظن أن أمره قد انقطع فكتبوا كتبا فيها سحر وكفر فدفنوها تحت كرسي سليمان ثم أثاروها وقرؤها على الناس وقالوا بهذا كان يظهر سليمان على الناس ويغلبهم فأكفر الناس سليمان فلم يزالوا يكفرونه وبعث ذلك الشيطان بالخاتم فطرحه في البحر فتلقته سمكة فأخذته وكان سليمان يعمل على شط البحر بالأجر فجاء رجل فاشترى سمكا فيه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم فدعا سليمان فقال تحمل لي هذا السمك قال نعم بكم قال بسمكة من هذا السمك فحمل سليمان السمك ثم انطلق به إلى منزله فلما انتهى الرجل إلى باب داره أعطاه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم فأخذها سليمان فشق بطنها فإذا الخاتم في جوفها فأخذه فلبسه فلما لبسه دانت له الجن والإنس والشياطين وعاد إلى حاله وهرب الشيطان حتى لحق بجزيرة من جزائر البحر فأرسل سليمان في طلبه وكان شيطانا مريدا فجعلوا يطلبونه ولا يقدرون عليه حتى وجدوه يوما نائما فجاؤا فبنوا عليه بنيانا من رصاص فاستيقظ فوثب فجعل لا يثب في مكان من البيت إلا انماط معه الرصاص فأخذوه فأوثقوه وجاؤا به إلى سليمان فأمر به فنقر له تخت من رخام ثم أدخله في

رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة جابر وقد سألته أن يصلي عليها وعلى زوجها صلى الله عليك وعلى زوجك وقد جاءت الأحاديث المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمر بالصلاة عليه وكيفية الصلاة عليه ونحن نذكر منها ان شاء الله ما تيسر والله المستعان قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد أخبرنا أبي عن مسعر عن الحكم عن ابن أبي ليلى عن كعب بن عجرة قال قيل يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلاة قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على

محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد وقال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الحكم قال سمعت ابن أبي ليلى قال لقيني كعب بن عجرة فقال ألا أهدي لك هدية خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله قد علمنا أو عرفنا كيف السلام عليك فكيف الصلاة فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد وهذا الحديث قد أخرجه الجماعة في كتبهم من طرق متعددة عن الحكم وهو ابن عتيبة زاد البخاري وعبد الله ابن عيسى كلاهما عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى فذكرهم وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا هشيم بن بشير عن يزيد بن أبي زياد حدثنا عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة قال لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قال قلنا يا رسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت وابن على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وكان عبد الرحمن بن أبي ليلى يقول وعلينا معهم ورواه الترمذي بهذه الزيادة ومعنى قولهم أما السلام عليك فقد عرفناه هو الذي في التشهد الذي كان يعلمهم اياه كما كان يعلمهم السورة من القرآن وفيه السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته حديث آخر قال البخاري حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث عن ابن الهاد عن عبد الله بن خباب عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك فكيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد عبدك

جوفه ثم شدها بالنحاس ثم أمر به فطرح في البحر فذلك قوله ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا يعني الشيطان الذي كان سلط عليه وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال صخر الجني تمثل على كرسيه على صورته (قال رب اغفر لي) ما صدر عني من الذنب الذي ابتليتني لأجله وطلب المغفرة دأب الأنبياء والصلحاء هضما للنفس واظهار اللذل والخشوع وطلبا للترقي في المقامات ثم لما قدم التوبة والاستغفار جعلها وسيلة الى اجابة طلبته فقال (وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي) قال أبو عبيدة معناه لا يكون لأحد من بعدي وقيل لا ينبغي لأحد أن يسلبه مني بعد هذه السلبة أو لا يصح لأحد من بعدي لعظمته وليس هذا من سؤال نبي الله سليمان عليه السلام للدنيا وملكها والشرف بين أهلها بل المراد بسؤاله الملك أن يتمكن به من انفاذ حكم الله سبحانه والأخذ على يد المتمردين من عباده من الجن والانس ولو لم يكن من المقتضيات لهذا السؤال منه الا ما رآه عند قعود الشيطان على كرسيه من الأحكام الشيطانية الجارية في عباد الله لكفى وجملة (انك أنت الوهاب) تعليل لما قبلها مما طلبه من مغفرة الله له وهبة الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده لا بالأخيرة فقط فان المغفرة أيضا من أحكام وصف الوهابية قطعا قاله أبو السعود وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان عفريتا من الجن جعل يتفلت علي البارحة ليقطع علي صلاتي وان الله أمكنني منه فلقد هممت أن أربطه الى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا فتنظروا اليه كلكم فذكرت قول أخي سليمان وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي فرده الله خاسئا ثم ذكر سبحانه اجابته لدعوته واعطاءه لمسئلته فقال (فسخرنا له الريح) أي ذللناها له وجعلناها منقادة لأمره ثم بين كيفية التسخير لها بقوله (تجري بأمره رخاء) أي لينة الهبوب ليست بالعاصف مأخوذ من الرخاوة والمعنى انها ريح لينة لا تزعزع ولا تعصف مع قوة هبوبها وسرعة جريها ولا ينافي هذا قوله في آية أخرى ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره لأن المراد انها في قوة العاصفة ولا تعصف وقيل انها كانت تارة رخاء وتارة عاصفة على ما يريده سليمان ويشتهيه وهذا أولى في الجمع بين الآيتين (حيث أصاب) قال الزجاج اجماع أهل اللغة والمفسرين على ان معنى حيث أصاب حيث أراد وحقيقته حيث قصد وقال الأصمعي

ورسولك كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم حدثنا ابراهيم بن حمزة حدثنا ابن ابي حازم والدراوردي عن يزيد يعني ابن الهاد وقال كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم وأخرجه النسائي وابن ماجه من حديث ابن الهاد به حديث آخر قال الامام أحمد قرأت على عبد الرحمن مالك عن عبد الله ابن أبي بكر عن أبيه عن عمرو بن سليم انه قال أخبرني ابو حميد الساعدي انهم قالوا يارسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وبارك على

محمد وازواجه وذريته كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد وقد اخرجه بقية الجماعة سوى الترمذي من حديث مالك به حديث آخر قال مسلم حدثنا يحيى بن يحيى التميمي قال قرأت على مالك عن نعيم بن عبد الله المجمر اخبرني محمد بن عبد الله بن زيد الانصاري قال وعبد الله بن زيد هو الذي كان أري النداء بالصلاة اخبره عن ابي مسعود الانصاري قال أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد امرنا الله ان نصلي عليك يارسول الله فكيف نصلي عليك قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا انه لم يسأله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم وقد رواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث مالك به وقال الترمذي حسن صحيح وروى الامام أحمد وأبو داود والنسائي وابن خزيمة وابن حبان والحاكم في مستدركه من حديث محمد بن اسحق عن محمد بن ابراهيم التيمي عن محمد بن عبد الله بن زيد بن عبد ربه عن أبي مسعود البدري أنهم قالوا يارسول الله أما السلام فقد عرفناه فكيف نصلي عليك اذا نحن صلينا في صلاتنا فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وذكره ورواه الشافعي رحمه الله في مسنده عن أبي هريرة بمثله ومن ههنا ذهب الشافعي رحمه الله الى أنه يجب على المصلي ان يصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم في التشهد الاخير فان تركه لم تصح صلاته وقد شرع بعض المتأخرين من المالكية وغيرهم يشنع على الامام الشافعي في اشتراطه ذلك في

وابن الاعرابي العرب تقول أصاب الصواب وأخطأ الجواب وقيل معنى أصاب بلغة حمير أراد وليس من لغة العرب وقيل هو بلسان هجر والاول أولى وهو مأخوذ من اصابة السهم للغرض (و) سخرنا له (الشياطين) وقوله (كل بناء وغواص) بدل من الشياطين أي كل بناء منهم وغواص منهم يبنون له ما يشاء من المباني ويغوصون في البحر فيستخرجون له الدر منه وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر (وآخرين مقرنين في الاصفاد) معطوف على كل داخل في حكم البدل وهم مردة الجن والشياطين سخروا له حتى قرنهم في الاصفاد يقال قرنهم في الحبال اذا كانوا جماعة كثيرة والاصفاد الاغلال واحدها صفد قال الزجاج هي السلاسل فكل ما شددته شدا وثيقا بالحديد وغيره فقد صفدته قال أبو عبيدة صفدت الرجل فهو مصفود وصفدته فهو مصفد قال يحيى بن سلام ولم يكن يفعل ذلك الا بكفارهم فاذا آمنوا أطلقهم ولم يسخرهم (هذا) أي ما تقدم من تسخير الريح والشياطين له أو من الملك والمال والبسطة وهو بتقدير القول أي وقلنا له هذا (عطاؤنا) الذي أعطيناكه من الملك العظيم الذي طلبته (فامنن أو أمسك) أي فاعط من شئت وامنع من شئت قاله الحسن والضحاك وغيرهما وقال ابن عباس اعتق من الجن من شئت وامسك منهم من شئت (بغير حساب) لا حساب عليك في ذلك الاعطاء والامساك أو عطاؤنا لك بغير حساب لكثرته وعظمته وقال قتادة ان قوله هذا عطاؤنا اشارة الى ما أعطيه من قوة الجماع وهذا الاوجه لقصر الآية عليه لو قدرنا انه قد تقدم ذكره من جملة تلك المذكورات فكيف يدعى اختصاص الآية به مع عدم ذكره (وان له عندنا لزلفى) أي قربة في الآخرة (وحسن مآب) أي حسن مرجع وهو الجنة (واذكر عبدنا أيوب) عطف بيان وعدم تصدير قصة سليمان بهذا العنوان لكمال الاتصال بينه وبين داود عليهما السلام حتى كأن قصتيهما قصة واحدة (وأيوب) هو ابن عيص بن اسحق (اذ نادى ربه) بدل اشتمال من عبدنا (اني مسني الشيطان) قرأ الجمهور بفتح الهمزة على انه حكاية لكلامه الذي نادى به ربه ولو لم يحكه لقال انه مسه وقرئ بكسرها على اضمار القول وفي ذكر قصة أيوب ارشاد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى الاقتداء به في الصبر على المكاره (بنصب) قرأ الجمهور بضم النون وسكون الصاد فقيل هو جمع نصب كوثن ووثن وأسد وأسد وقيل هو لغة في النصب كرشد ورشد وقرئ بضمتين وبفتحتين

الصلاة ويزعم أنه قد تفرد بذلك وحكى الاجماع على خلافه أبو جعفر الطبري والطحاوي والخطابي وغيرهم فيما نقله القاضي عياض عنهم وقد تعسف هذا القائل في رده على الشافعي وتكلف في دعواه الاجماع في ذلك فانه قد روينا وجوب ذلك والامر بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة كما هو ظاهر الآية ومفسر بهذا الحديث عن جماعة من الصحابة منهم ابن مسعود وأبو مسعود البدري وجابر بن عبد الله ومن التابعين الشعبي وأبو جعفر الباقر ومقاتل بن حيان واليه ذهب الشافعي لا خلاف عنه في ذلك ولا بين أصحابه أيضا واليه ذهب الامام أحمد أخيرا فيما حكاه عنه أبو زرعة الدمشقي به وبه قال اسحق ابن راهويه والفقيه الامام محمد بن ابراهيم المعروف بابن المواز المالكي رحمهم الله حتى ان بعض أئمة الحنابلة أوجب أن يقال في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كما علمهم أن يقولوا لما سألوه وحتى ان بعض أصحابنا أوجب الصلاة على آله وممن حكاه البندنيجي وسليم الرازي وصاحبه نصر بن ابراهيم المقدسي ونقله امام الحرمين وصاحبه الغزالي قولا عن الشافعي والصحيح انه وجه على ان الجمهور على خلافه وحكوا الاجماع على خلافه والقول بوجوبه أظهر في الحديث والله أعلم والغرض ان الشافعي رحمه الله لقوله بوجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة سلف وخلف كما تقدم ولله الحمد والمنة فلا اجماع على خلافه في هذه المسئلة لا قديما ولا حديثا والله أعلم ومما يؤيد ذلك الحديث الآخر الذي رواه الامام أحمد وأبو داود والترمذي وصححه والنسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما من رواية حيوة بن شريح المصري عن أبي هانئ حميد بن هانئ عن عمرو ابن مالك أبي علي الجنبي عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته لم يمجد الله ولم يصل على النبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له أو لغيره اذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله عز وجل والثناء عليه ثم ليصل على النبي ثم ليدع بعد بما شاء وكذا الحديث الذي رواه ابن ماجه من رواية عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد الساعدي عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه ولا صلاة لمن لم يصل على النبي ولا صلاة لمن لم يحب الانصار ولكن عبد المهيمن هذا متروك وقد

ونفتح وسكون وهذه القراآت كلها بمعنى واحد وانما اختلفت القراآت باختلاف اللغات وقال أبو عبيدة ان النصب بفتحتين التعب والاعياء وعلى بقية القراآت الشر والبلاء (وعذاب) أي ألم قال قتادة ومقاتل النصب في الجسد والعذاب في المال قال النحاس وفيه بعد كذا قال والاولى تفسير النصب بالمعنى اللغوي وهو التعب والاعياء وتفسير العذاب بما يصدق عليه مسمى العذاب وهو الالم وكلاهما راجع الى البدن وقد أخرج أحمد في الزهد وابن أبي حاتم وابن عساكر عن ابن عباس خبرا طويلا في قصة أيوب أوله ان الشيطان عرج الى السماء فقال يارب سلطني على أيوب قال الله تعالى لقد سلطتك على ماله وولده ولم أسلطك على جسده الحديث بطوله وفيه نكارة شديدة فان الله سبحانه لا يمكن الشيطان من نبي من أنبيائه ويسلطه عليه بهذا التسليط العظيم وأسند المس الى الشيطان مع ان الله سبحانه هو الذي مسه بذلك اما لكونه لما عمل بوسوسته عوقب على ذلك بذلك النصب والعذاب فقد قيل انه أعجب بكثرة ماله وقيل استغاثه مظلوم فلم يغثه وقيل انه قال ذلك على طريقة الادب وقيل انه قال ذلك لان الشيطان وسوس الى اتباعه فرفضوه وأخرجوه من ديارهم وقيل المراد به ما كان يوسوس به الشيطان اليه حال مرضه وابتلائه من تحسين الجزع وعدم الصبر على المصيبة وقيل غير ذلك (اركض برجلك) أي قلنا له اركض كذا قال الكسائي والركض الدفع بالرجل يقال ركض الدابة اذا اضربها وقال المبرد الركض التحريك قال الاصمعي يقال ركضت الدابة ولا يقال ركضت هي لان الركض انما هو تحريك راكبها رجليه ولا فعل لها في ذلك وحكى سيبويه ركضت الدابة فركضت مثل جبرت العظم فجبر (هذا مغتسل بارد وشراب) هذا أيضا من مقول القول المقدر وفي الكلام حذف والتقدير فركض برجله فنبعت عين فقلنا له هذا مغتسل الخ وظاهر النظم الكريم ان الغسل والشرب كانا من عين واحدة والمغتسل هو الماء الذي يغتسل به والشراب الذي يشرب منه وقيل ان المغتسل هو المكان الذي يغتسل فيه قال قتادة هما عينان بأرض الشام في أرض يقال لها الجابية فاغتسل من احداهما فأذهب الله ظاهر دائه وشرب من الاخرى فأذهب الله باطن دائه وكذا قال الحسن وقال مقاتل نبعت عين حارة فاغتسل فيها فخرج صحيحا ثم نبعت عين أخرى فشرب منها ماء عذبا باردا (ووهبنا له أهله) معطوف على مقدر كأنه قيل فاغتسل وشرب فكشفنا عنه بذلك ما به من

رواه الطبراني من رواية أخيه ابن عباس وابن عباس ولكن في ذلك نظر وانما يعرف من رواية عبد المهيمن والله أعلم حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هرون أخبرنا اسمعيل عن أبي داود الأعمى عن بريدة قال قلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك قال قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد كما جعلتها على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد أبو داود الأعمى اسمه نفيع بن الحرث متروك حديث آخر موقوف روينا من طريق سعيد بن منصور ويزيد بن هرون ويزيد بن الحباب ثلاثتهم عن نوح بن قيس حدثنا سلامة الكندي ان عليا رضي الله عنه كان يعلم الناس هذا الدعاء اللهم داحي المدحوات وبارئ المسموكات وجبار القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ورأفة تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ لجيشات الأباطيل كما حمل فاضطلع بأمرك لطاعتك مستوفزا في مرضاتك غير نكل في قدم ولا وهن في عزم داعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ أمرك حتى أورى قبسا لقابس آلاء الله تصل بأهله أسبابه به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم وأبهج موضحات الأعلام ونائرات الأحكام ومنيرات الاسلام فهو أمينك المأمون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له في عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنآت له غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم أعل على بناء الناس بناءه وأكرم مثواه لديك ونزله وأتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة مرضي المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وحجة وبرهان عظيم هذا مشهور من كلام علي رضي الله عنه وقد تكلم عليه ابن قتيبة في مشكل الحديث وكذا أبو الحسين أحمد بن فارس اللغوي في جزء جمعه في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الا ان في اسناده نظرا قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي سلامة الكندي هذا ليس بمعروف ولم يدرك عليا كذا قال وقد روى الحافظ أبو القاسم الطبراني هذا الاثر عن محمد بن علي الصائغ عن سعيد بن منصور حدثنا نوح بن قيس عن سلامة الكندي قال كان علي رضي الله عنه يعلمنا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيقول اللهم داحي المدحوات وذكره موقوف حديث آخر قال ابن ماجه حدثنا زياد

ضر ووهبناله أهله قيل أحياهم الله بعد ان أماتهم وقيل جمعهم بعد تفرقهم وقيل غيرهم مثلهم ثم زاده مثلهم معهم وهو معنى قوله (ومثلهم معهم) فكانوا امثلي ما كانوا من قبل ابتلائه (رحمة منا وذكرى لأولي الألباب) أي وهبناهم له لأجل رحمتنا اياه وليتذكر بحاله أولوا الألباب فيصبروا على الشدائد كما صبر ويلجؤا الى الله كما لجأ ليفعل بهم ما فعل به من حسن العاقبة وقد تقدم في سورة الانبياء تفسير هذه الآية مستوفى فلا نعيده (وخذ) معطوف على اركض أو على وهبنا أو التقدير وقلنا له خذ (بيدك ضغثا) هو عثكال النخل بشماريخه وقيل هو قبضة من حشيش مختلط رطبها بيابسها وقيل الحزمة الكبيرة من القضبان وأصل المادة تدل على جمع المختلطات قال الواحدي الضغث مل‌ء الكف من الشجر والحشيش والشماريخ وعن ابن عباس قال الضغث هو الاسل وقال أيضا الضغث القبضة من المرعى الرطب وقال أيضا الحزمة (فاضرب به) أي بذلك الضغث (ولا تحنث) في يمينك والحنث الاثم ويطلق على فعل ما حلف على تركه أو ترك ما حلف على فعله لانهما سيان فيه وكان أيوب قد حلف في مرضه أن يضرب امرأته مائة جلدة واختلف في سبب ذلك فقال سعيد بن المسيب انها جاءته بزيادة على ما كانت تأتيه به من الخبز فخاف خيانتها فحلف ليضربنها وقال يحيى بن سلام وغيره ان الشيطان أغواها ان تحمل أيوب على ان يذبح سخلة تقربا اليه فانه اذا فعل ذلك برئ فحلف ليضربنها اذا عوفي مائة جلدة وقيل باعت ذوائبها برغيفين اذلم تجد شيأ وكان أيوب يتعلق بها اذا أراد القيام فلهذا حلف ليضربنها وأخرج أحمد في الزهد عن ابن عباس قال ان ابليس قعد على الطريق وأخذ تابوتا يداوي الناس فقالت امرأة أيوب يا عبد الله ان ههنا مبتلى من أمره كذا وكذا فهل لك ان تداويه قال نعم بشرط ان انا شفيته ان يقول انت شفيتني لا اريد منه أجرا غيره فأتت أيوب فذكرت له ذلك فقال ويحك ذاك الشيطان لله علي ان شفاني الله ان أجلدك مائة جلدة فلما شفاه الله أمره ان يأخذ ضغثا فيضربها به فأخذ عذقا فيه مائة شمراخ فضربها به ضربة واحدة وأخرج أحمد والطبراني عن أبي امامة بن سهل بن حنيف قال حملت وليدة في بني ساعدة من زناة لها من حملك قالت من فلان المقعد فسئل المقعد فقال صدقت فرفع ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال خذوا عثكولا فيه مائة شمراخ فاضربوه ضربة واحدة وله طرق اخرى وقد اختلف العلماء هل هذا خاص

ابن عبد الله حدثنا المسعودي عن عون بن عبد الله عن أبي فاختة عن الاسود بن يزيد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال اذا صليتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه قال فقالوا له علمنا قال قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه به الاولون والآخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل (١١٨) محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد وهذا موقوف

وقد روى اسمعيل القاضي عن عبد الله ابن عمرو أو عمر على الشك من الراوي قريبا من هذا حديث آخر قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا مالك ابن اسمعيل حدثنا أبو اسرائيل عن يونس بن خباب قال خطبنا بفارس فقال ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما فقال أنبأني من سمع ابن عباس يقول هكذا أنزل فقلنا أو قالوا يا رسول الله علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك قال اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وارحم محمدا وآل محمد كما رحمت آل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد فيستدل بهذا الحديث من ذهب الى جواز الترحم على النبي كما هو قول الجمهور ويعضده حديث الاعرابي الذي قال اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حجرت واسعا وحكى القاضي عياض عن جمهور المالكية منعه قال وأجازه أبو محمد بن أبي زيد حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر أخبرنا شعبة عن عاصم بن عبيد الله قال سمعت عبد الله بن عامر بن ربيعة يحدث عن أبيه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي صلاة لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلى علي فليقل عبد من ذلك أو ليكثر ورواه ابن ماجه من حديث شعبة به حديث آخر قال أبو عيسى الترمذي حدثنا بندار حدثنا محمد بن خالد بن عثمة حدثني موسى بن يعقوب الزمعي حدثني عبد الله بن كيسان ان عبد الله بن شداد أخبره عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة تفرد بروايته

بأيوب أو عام للناس كلهم وان من حلف خرج من يمينه بمثل ذلك قال الشافعي اذا حلف ليضربن فلانا مائة جلدة أو ضربا ولم يقل ضربا شديدا ولم ينو بقلبه فيكفيه مثل هذا الضرب المذكور في الآية حكاه ابن المنذر عنه وعن أبي ثور وأصحاب الرأي وقال عطاء هو خاص بأيوب ورواه ابن القاسم عن مالك ثم أثنى الله سبحانه على أيوب فقال (انا وجدناه) أي علمناه (صابرا) على البلاء الذي ابتليناه به فانه ابتلي بالداء العظيم في جسده وذهاب ماله وولده وأهله فصبر وليس في شكواه الى الله اخلال بذلك فانه ليس جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء والشكاية المذمومة انما هي اذا كانت للمخلوقين قال ابن مسعود أيوب رأس الصابرين يوم القيامة (نعم العبد) أي أيوب (انه أواب) أي رجاع الى الله تعالى بالاستغفار والتوبة (واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب) أي اذكرهم على ما أصابهم لتتأسى بهم قرأ الجمهور عبادنا بالجمع وقرئ بالافراد فعلى قراءة الجمهور يكون اسحق وابراهيم ويعقوب عطف بيان وعلى القراءة الاخرى يكون ابراهيم عطف بيان وما بعده عطف على عبدنا لا على ابراهيم وقد يقال لما كان المراد بعبدنا الجنس جاز ابدال الجماعة منه وقيل ان ابراهيم وما بعده بدل او النصب باضمار أعني وعطف البيان أظهر وقراءة الجمهور أبين وقد اختارها أبو حاتم وأبو عبيد (أولي الايدي والابصار) الايدي جمع اليد أما الجارحة فكنى بذلك عن الاعمال لان أكثر الاعمال انما تزاول باليد وقيل جمع اليد التي بمعنى القوة والقدرة قال قتادة أعطوا قوة في العبادة ونصرا في الدين قال الواحدي وبه قال مجاهد وسعيد بن جبير والمفسرون قال النحاس أما الابصار فمتفق على انها البصائر في الدين والعلم وأما الايدي فمختلف في تأويلها فأهل التفسير يقولون انها القوة في الدين وقوم يقولون الايدي جمع يد وهي النعمة أي هم أصحاب النعم الذين أنعم الله عز وجل عليهم وقيل هم أصحاب النعم على الناس والاحسان اليهم لانهم قد أحسنوا وقدموا خيرا واختار هذا ابن جرير قرأ الجمهور الايدي باثبات الياء وقرئ بغير ياء فقيل معناها معنى الاولى وانما حذفت الياء لدلالة كسرة الدال عليها وقيل الأيد القوة الا ان الزمخشري قال وتفسيره بالايد من التأييد قلق غير متمكن انتهى وكأنه انما قلق عنده لعطف الابصار عليه وهو غير مناسب للأيد من التأييد وقد يقال انه لا يراد حقيقة الجوارح اذ كل أحد كذلك انما المراد الكناية عن العمل الصالح والتفكر ببصيرته فلم يقلق حينئذ اذ لم يرد حقيقة الابصار

وكأنه

الترمذي رحمه الله ثم قال هذا حديث حسن غريب. حديث آخر قال اسمعيل القاضي حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن يعقوب بن زيد بن طلحة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني آت من ربي فقال لي ما من عبد يصلي عليك صلاة إلا صلى الله عليه بها عشرا فقام إليه رجل فقال يا رسول الله ألا أجعل نصف دعائي لك قال إن شئت قال ألا أجعل ثلثي دعائي لك قال إن شئت قال ألا أجعل دعائي لك كله قال إذن يكفيك الله هم الدنيا والآخرة فقال شيخ كان بمكة يقال له منيع لسفيان عمن أسنده قال لا أدري. حديث آخر قال اسمعيل القاضي حدثنا سعيد بن سلام العطار

حدثنا سفيان الثوري عن عبد الله بن محمد ابن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج في جوف الليل فيقول جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه وقال أبي يا رسول الله إني أصلي من الليل أفأجعل لك ثلث صلاتي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشطر قال أفأجعل لك شطر صلاتي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الثلثان قال أفأجعل لك صلاتي كلها قال إذن يغفر الله لك ذنبك كله وقد رواه الترمذي نحوه فقال حدثنا هناد حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل ابن أبي بن كعب عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال يا أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه قال أبي قلت يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي قال ما شئت قلت الربع قال ما شئت فإن زدت فهو خير لك قلت فالنصف قال ما شئت فإن زدت فهو خير لك قلت فالثلثين قال ما شئت فإن زدت فهو خير لك قلت أجعل لك صلاتي كلها قال إذن تكفى همك ويغفر لك ذنبك ثم قال هذا حديث حسن. وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي عن أبيه قال قال رجل يا رسول الله أرأيت إن جعلت صلاتي كلها عليك قال إذن يكفيك الله ما أهمك من دنياك وآخرتك. حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا أبو سلمة منصور بن سلمة الخزاعي ويونس هو ابن محمد قالا حدثنا ليث عن يزيد بن الهاد عن عمرو بن أبي عمرو عن أبي الحويرث عن محمد بن جبير بن مطعم عن عبد الرحمن بن عوف قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعته حتى دخل نخلا فسجد فأطال

وكأنه قيل أولي القوة والتفكر بالبصيرة وقد نحا الزمخشري إلى شيء من هذا قبل ذلك قاله السمين قال ابن عباس القوة في العبادة والإبصار الفقه في الدين وعنه قال الأيدي النعمة وقيل أولي الأعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالأيدي عن الأعمال وبالأبصار عن المعارف لأنها أقوى مباديها (إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار) تعليل لما وصفوا به من شرف العبودية وعلو الرتبة في العلم والعمل قرأ الجمهور بخالصة بالتنوين وعدم الإضافة على أنها مصدر بمعنى الإخلاص فيكون ذكرى منصوبا به أو بمعنى الخلوص فيكون ذكرى مرفوعا به أو يكون خالصة اسم فاعل على بابه وذكرى بدل منها أو بيان لها أو منصوب بإضمار أعني أو مرفوع على إضمار مبتدأ والدار مفعول به لذكرى أو ظرف إما على الاتساع أو على إسقاط الخافض وعلى كل تقدير فخالصة صفة لموصوف محذوف والباء للسببية أي بسبب خصلة خالصة لا شوب فيها وقرئ بإضافة خالصة إلى ذكرى على أن الإضافة للبيان لأن الخالصة قد تكون ذكرى وغير ذكرى كما في قوله بشهاب قبس لأن الشهاب يكون قبسا وغيره أو على أن خالصة مصدر مضاف إلى مفعوله والفاعل محذوف أي بأن أخلصوا ذكرى الدار وتناسوا عندها ذكرى الدنيا أو مصدر بمعنى الخلوص مضاف إلى فاعله قال مجاهد معنى الآية استصفيناهم بذكرى الآخرة فأخلصناهم بذكرها وقال قتادة كانوا يدعون إلى الآخرة وإلى الله وقال السدي أخلصوا بخوف الآخرة قال الواحدي من قرأ بالتنوين في خالصة كان المعنى جعلناهم لنا خالصين بأن خلصت لهم ذكرى الدار والخالصة مصدر بمعنى الخلوص والذكرى بمعنى التذكر أي خلص لهم تذكر الدار وهو أنهم يذكرون التأهب لها ويزهدون في الدنيا وذلك من شأن الأنبياء وأما من أضاف فالمعنى أخلصناهم بأن خلصت لهم ذكرى الدار والخالصة مصدر مضاف إلى الفاعل والذكرى على هذا المعنى الذكر قال ابن عباس أخلصوا بذكر الدار الآخرة أن يعملوا لها وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا وهذا شيء قد أخلصهم به فليس يذكر غيرهم في الدنيا بمثل ما يذكرون به يقويه قوله وجعلنا لهم لسان صدق عليا قاله الشيخ وفيه بعد وقال ابن جزي معناه إنا جعلناهم خالصين لنا وخصصناهم دون غيرهم وأما الباء على الأول فهي للتعليل وعلى الثاني هي لتعدية الفعل انتهى (وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار) الاصطفاء الاختيار والأخيار جمع خير بالتشديد والتخفيف كأموات في جمع ميت مشددا

السجود حتى خشيت أو خشيت ان يكون الله قد توفاه أو قبضه قال فجئت انظر فرفع رأسه فقال مالك يا عبد الرحمن قال فذكرت ذلك له فقال ان جبريل عليه السلام قال لى ألا أبشرك ان الله عز وجل يقول من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه طريق اخرى قال الامام أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا سليمان بن بلال حدثنا عمرو بن أبى عمرو عن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن عوف عن عبد الرحمن بن عوف قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوجه نحو صدقته فدخل فاستقبل القبلة فخر ساجدا فأطال السجود حتى ظننت ان الله قد قبض (١٢٠) نفسه فيها فدنوت منه ثم جلست فرفع رأسه فقال من هذا قلت عبد الرحمن قال ما شأنك قلت يا رسول الله سجدت سجدة خشيت ان الله قبض روحك فيها فقال ان جبريل أتانى فبشرنى ان الله عز وجل يقول لك من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه فسجدت لله عز وجل شكرا ورواه اسمعيل ابن اسحق القاضى فى كتابه عن يحيى ابن عبد الحميد عن الدراوردى عن عمرو بن عبد الواحد عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف به ورواه من وجه آخر عن عبد الرحمن حديث آخر قال أبو القاسم الطبرانى حدثنا محمد بن عبد الرحيم بن نجير بمصر حدثنا عمرو بن الربيع بن طارق حدثنا يحيى بن أيوب حدثنى عبيد الله بن عمر عن الحكم بن عتيبة عن ابراهيم النخعى عن الاسود بن يزيد عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة فلم يجد أحدا يتبعه ففزع عمر فأتاه بمطهرة من خلفه فوجد النبى صلى الله عليه وسلم ساجدا فى مشربة فتنحى عنه من خلفه حتى رفع النبى صلى الله عليه وسلم رأسه فقال أحسنت يا عمر حين وجدتنى ساجدا فتنحيت عنى ان جبريل أتانى فقال من صلى عليك من امتك واحدة صلى الله عليه عشر صلوات ورفعه عشر درجات وقد اختار هذا الحديث الحافظ الضياء المقدسى فى كتابه المستخرج على الصحيحين وقد رواه اسمعيل القاضى عن القعنبى عن سلمة ابن وردان عن أنس عن عمر بنحوه ورواه أيضا عن يعقوب بن حميد عن أنس بن عياض عن سلمة بن وردان عن مالك بن أوس بن الحدثان عن عمر بن الخطاب بنحوه حديث آخر قال الامام احمد حدثنا أبو كامل حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت بن سليمان مولى الحسن بن على عن عبد الله بن ابى طلحة عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والسرور يرى فى وجهه فقالوا يا رسول

ويحفظوا والمعنى انهم عندنا لمن المختارين من أبناء جنسهم من الاخيار (واذكر اسمعيل) قيل وجه ذكره مفردا بعد ذكر أبيه وأخيه وابن أخيه للاشعار بانه عريق فى الصبر الذى هو المقصود بالتذكير هنا (واليسع) هو ابن أخطوب بن العجوز استخلفه الياس على بنى اسرائيل ثم استنبئ (وذا الكفل) اختلف فى نبوته ولقبه وهو ابن عم اليسع أو هو بشر بن أيوب بعثه الله بعد أبيه وسماه ذا الكفل وكان مقيما بالشام حتى مات وعمره خمس وسبعون سنة وقد تقدم ذكر اليسع والكلام فيه فى الانعام وتقدم ذكر ذى الكفل والكلام فيه فى سورة الانبياء والمراد من ذكر هؤلاء انهم من جملة من صبر من الانبياء وتحمل الشدائد فى دين الله أمر الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بان يذكرهم ليسلك مسلكهم فى الصبر (وكل) أى كل المتقدمين من داود الى هنا (من الاخيار) الذين اختارهم الله سبحانه لنبوته واصطفاهم من خلقه (هذا ذكر) اشارة الى ما تقدم من ذكر أوصافهم الناطقة بمحاسنهم أى هذا ذكر جميل فى الدنيا وشرف يذكرون به أبدا جملة جيء بها ايذانا بان القصة قد تمت وأخذ فى أخرى (وان للمتقين) مع هذا الذكر الجميل (لحسن مآب) فى الآخرة والمآب المرجع وهذا شروع فى بيان أجرهم الجزيل الآجل بعد بيان ذكرهم الجميل فى العاجل وهو باب آخر من أبواب التنزيل والمعنى انهم يرجعون فى الآخرة الى مغفرة الله ورضوانه ونعيم جنته ثم بين حسن المرجع فقال (جنات عدن) قرئ بالنصب بدلا أو عطف بيان لحسن مآب وهو فى الاصل الاقامة يقال عدن بالمكان اذا أقام فيه وقيل هو اسم لقصر فى الجنة وقرئ برفع جنات على انها خبر مبتدأ محذوف أى هى جنات عدن (مفتحة لهم الابواب) حال من جنات والعامل فيها ما فى المتقين من معنى الفعل والابواب مرتفعة باسم المفعول كقوله وفتحت أبوابها والرابط بين الحال وصاحبها ضمير مقدر أى منها أو الالف واللام لقيامه مقام الضمير اذ الاصل أبوابها وقيل ارتفاع الابواب على البدل من الضمير فى مفتحة العائد على جنات وبه قال أبو على الفارسى أى مفتحة هى الابواب قال الفراء المعنى مفتحة لهم أبوابها والعرب تجعل الالف واللام خلفا من الاضافة وقال الزجاج المعنى مفتحة لهم الابواب منها قال الحسن ان الابواب يقال لها انفتحى فتنفتح انغلقى فتنغلق وقيل تفتح لهم الملائكة الابواب حال كونهم (متكئين

فيها

الله انا لنرى السرور في وجهك فقال انه أتاني الملك فقال يا محمد اما يرضيك ان ربك عز وجل يقول انه لا يصلي عليك احد من امتك
الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد من امتك الا سلمت عليه عشرا قال بلى ورواه النسائي من حديث حماد بن سلمة به وقد
رواه اسمعيل القاضي عن اسمعيل بن ابي اويس عن أخيه عن سليمان بن بلال عن عبيد الله بن عمر عن ثابت عن أنس عن أبي طلحة
بنحوه طريق اخرى قال أحمد حدثنا شريح حدثنا أبو معشر عن ابي اسحق بن كعب بن عجرة عن ابي طلحة الانصاري قال اصبح
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما طيب النفس يرى في وجهه البشر قالوا يا رسول الله اصبحت اليوم طيب النفس

فيها) أي في الجنات (يدعون فيها بفاكهة كثيرة) أي بألوان متنوعة متكثرة من الفواكه
(وشراب) كثير فحذف كثير لدلالة الاول عليه والاقتصار على دعاء الفاكهة للايذان بان
مطاعمهم لمحض التفكه والتلذذ دون التغذي قيل الجملة مستأنفة لبيان حالهم فيها أو
حال مما ذكر (وعندهم قاصرات الطرف) أي قاصرات طرفهن على أزواجهن وحابسات
العين لا ينظرن الى غيرهم وقد مضى بيانه في سورة الصافات (أتراب) أي متحدات في
السن والشباب أو متساويات في الحسن والجمال وقال مجاهد المعنى انهن متواخيات
لا يتباغضن ولا يتغايرن ولا يتحاسدن بنات ثلاث وثلاثين سنة وقيل لدات لهم أي
متقارنات في الولادة لان التحاب بين الاقران أثبت أو بعضهن لبعض أو (١) نصف
لا عجوز فيهن ولا صبية قال الشهاب لدات جمع لدة كعدة أصلها ولد وهو كالترب من يولد
معك في وقت واحد كأنهما وقعا على التراب في زمن واحد والاتراب جمع ترب واشتقاقه
من التراب لانه يمسهن في وقت واحد لاتحاد مولدهن والمعاني متقاربة (هذا ما توعدون
ليوم الحساب) أي هذا الجزاء الذي وعدتم به لاجل يوم الحساب فان الحساب علة
للوصول الى الجزاء والمعنى في يوم الحساب قرأ الجمهور توعدون على الخطاب التفاتا
وقرئ بالتحتية على الخبر واختار هذه القراءة أبو عبيد وأبو حاتم لقوله وان للمتقين فانه خبر
(ان هذا) المذكور من النعم والكرامات والجنات وأوصافها (لرزقنا) الذي انعمنا به
عليكم وأعطيناكموه (ماله من نفاد) أي لا ينقطع ولا يفنى أبدا ومثله قول عطاء غير مجذوذ
فنعم الجنة لا تنقطع عن أهلها (هذا) اي الامر هذا أو هذا كما ذكر أو هذا ذكر فيوقف
على هذا قال ابن الانباري وهذا وقف حسن قال ابن الاثير هذا في هذا المقام من الفصل
الذي هو خير من الوصل وهي علاقة وكيدة بين الخروج من الكلام الى كلام آخر أي خذ
هذا كيت وكيت وفيه بحث اذ يلزم حينئذ عطف الاخبار على الانشاء ولذا لم يذكر
الزمخشري هذا التقدير ثم ذكر سبحانه ما لأهل الشر بعد ان ذكر ما لاهل الخير فقال (وان
للطاغين) الذين طغوا على الله وكذبوا رسله (لشر مآب) أي لشر منقلب ينقلبون اليه ثم
بين ذلك فقال (جهنم) بدل أو عطف بيان (يصلونها) أي يصلون جهنم ويدخلونها
(فبئس المهاد) أي بئس ما مهدوا لانفسهم وهو الفراش مأخوذ من مهد الصبي أو المراد
بالمهاد الموضع والمخصوص بالذم محذوف أي بئس المهاد هي كما في قوله لهم من جهنم مهاد

يرى في وجهك البشر قال أجل
اتاني آت من ربي عز وجل فقال
من صلى عليك من امتك صلاة
كتب الله له بها عشر حسنات ومحا
عنه عشر سيآت ورفع له عشر
درجات ورد عليه مثلها وهذا ايضا
اسناد جيد ولم يخرجوه حديث آخر
روى مسلم وابو داود والترمذي
والنسائي من حديث اسمعيل بن
جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن
ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من صلى علي واحدة صلى الله
عليه بها عشرا قال الترمذي هذا
حديث حسن صحيح وفي الباب عن
عبد الرحمن بن عوف وعامر بن ربيعة
وعمار وابي طلحة وانس وابي بن
كعب وقال الامام احمد حدثنا
حسين بن محمد حدثنا شريك عن
ليث عن كعب عن ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال صلوا
علي فانها زكاة لكم وسلوا الله لي
الوسيلة فانها درجة في اعلى الجنة
ولا ينالها الا رجل وأرجو ان اكون
أنا هو تفرد به احمد وقد رواه البزار من
طريق مجاهد عن ابي هريرة بنحوه

فقال حدثنا محمد بن اسحق البكائي حدثنا عثمان بن سعيد حدثنا داود بن علية عن ليث عن مجاهد
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا علي فانها زكاة لكم وسلوا الله لي الدرجة الوسيلة من الجنة فسألناه
أو أخبرنا فقال هي درجة في أعلى الجنة وهي لرجل وانا ارجو ان اكون ذلك الرجل في اسناده بعض من تكلم به حديث آخر قال
الامام احمد حدثنا يحيى بن اسحق حدثنا ابن لهيعة عن عبد الرحمن بن جريج الخولاني سمعت ابا قيس مولى عمرو بن العاص سمعت
عبد الله بن عمرو يقول من صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة صلى الله عليه وملائكته بها سبعين صلاة فليقل عبد

(١) النصف بالتحريك المرأة بين الحدثة والمسنة اه صحاح اه منه دام ظله

من ذلك اولكثر وسمعت عبدالله بن عمرو يقول خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما كالمودع فقال أنا محمد النبي الامي قاله
ثلاث مرات ولا نبي بعدي اوتيت فواتح الكلام وخواتمه وجوامعه وعلمت كم خزنة النار وحملة العرش وتجوز بي وعوفيت
وعوفيت امتي فاسمعوا واطيعوا ما دمت فيكم فاذا ذهب بي فعليكم بكتاب الله أحلوا حلاله وحرموا حرامه حديث آخر قال ابو
داود الطيالسي حدثنا ابو سلمة الخراساني حدثنا ابو اسحق عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده فليصل
علي ومن صلى علي مرة واحدة صلى الله عليه عشرا ورواه النسائي في اليوم والليلة من حديث ابي داود الطيالسي
عن ابي سلمة وهو المغيرة بن سلمة
الخراساني عن ابي اسحق عمرو بن
عبدالله السبيعي عن انس به
حديث آخر عن انس قال الامام
احمد حدثنا محمد بن فضيل حدثنا
يونس بن عمرو عن يونس بن ابي
اسحق عن يزيد بن ابي مريم عن
أنس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من صلى علي صلاة
واحدة صلى الله عليه عشر صلوات
وحط عنه عشر خطيئات حديث
آخر قال الامام احمد حدثنا عبد
الملك بن عمرو وابو سعيد حدثنا
سليمان بن بلال عن عمارة بن غزية
عن عبدالله بن علي بن الحسين عن
ابيه علي بن الحسين عن أبيه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
البخيل من ذكرت عنده ثم لم يصل
علي وقال أبو سعيد فلم يصل علي
ورواه الترمذي من حديث سليمان
ابن بلال ثم قال هذا حديث حسن
غريب صحيح ومن الرواة من جعله
من مسند الحسين بن علي ومنهم من
جعله من مسند علي نفسه حديث
آخر قال اسمعيل القاضي حدثنا
حجاج بن منهال حدثنا حماد بن سلمة
عن معبد بن بلال العنزي حدثنا
رجل من أهل دمشق عن عوف بن مالك عن أبي ذر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان أبخل الناس من ذكرت عنده فلم يصل علي حديث آخر مرسل قال اسمعيل وحدثنا سليمان بن حرب حدثنا جرير
ابن حازم سمعت الحسن يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسب امرئ من البخل ان أذكر عنده فلا يصلي علي حديث آخر
قال الترمذي حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقي حدثنا ربعي بن ابراهيم عن عبد الرحمن بن اسحق عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن
أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان

شبه الله سبحانه ما تحتهم من نار جهنم بالمهاد (هذا فليذوقوه حميم وغساق) أي هذا حميم
وغساق فليذوقوه قاله الفراء والزجاج اي يقال لهم في ذلك اليوم هذه المقالة والحميم الماء
الحار الذي قد انتهى حره والغساق ما سال من جلود أهل النار من القيح ومن الصديد من
قولهم غسقت عينه اذا انصبت والغسقان الانصباب قال النحاس ويجوز أن يكون
المعنى الامر هذا وارتفاع حميم وغساق على انهما خبران لمبتدأ محذوف أي هو حميم
وغساق ويجوز أن يكون هذا في موضع نصب باضمار فعل يفسره ما بعده أي ليذوقوا
هذا فليذوقوه ويجوز أن يكون حميم مرتفعا على الابتداء وخبره مقدر قبله أي منه حميم
ومنه غساق وقيل الغساق ما قتل برده ومنه قيل لليل غاسق لانه أبرد من النهار وقيل هو
الزمهرير وقيل الغساق المنتن وقيل هو عين في جهنم يسيل اليها كل ذوب حية وعقرب
وقال قتادة هو ما يسيل من فروج النساء الزواني ومن نتن لحوم الكفرة وجلودهم وقال
محمد بن كعب هو عصارة أهل النار وقال السدي الغساق الذي يسيل من دموع أهل النار
يسقونه مع الحميم وكذا قال ابن زيد وقال مجاهد ومقاتل هو الثلج البارد الذي قد انتهى
برده وتفسير الغساق بالبارد أنسب بما تقتضيه لغة العرب وأنسب أيضا بمقابلة الحميم قرأ
أهل المدينة وأهل البصرة وبعض الكوفيين بتخفيف السين من غساق وقرئ بالتشديد
وهما لغتان بمعنى واحد كما قال الاخفش وقيل معناهما مختلف فمن خفف فهو اسم مثل
عذاب وجواب وصواب ومن شدد قال هو اسم فاعل للمبالغة نحو ضراب وقتال وقال
ابن عباس غساق الزمهرير وأخرج أحمد والترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم وابن حبان
والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم لو أن دلوا من غساق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا قال الترمذي بعد
اخراجه لا نعرفه الا من حديث رشدين بن سعد قلت ورشدين فيه مقال معروف
(وآخر من شكله) قرأ الجمهور وآخر مفردا مذكرا وقرئ أخر بضم الهمزة على انه جمع
وأنكر الاولى لقوله (أزواج) وأنكر عاصم والجحدري الثانية وقال لو كانت أخر لقال
من شكلها وارتفاع آخر على انه مبتدأ وخبره أزواج ويجوز أن يكون من شكله خبرا
مقدما وأزواج مبتدأ مؤخرا والجملة خبر آخر ويجوز أن يكون خبر آخر مقدرا أي ولهم
آخر ومن شكله أزواج جملة مستقلة ومعنى الآية على الاولى وعذاب آخر او مذوق
آخرا

آخر أو نوع آخر من شكل ذلك العذاب أو المذوق أو النوع الأول والشكل المثل وعلى الثانية ومذوقات أخر وأنواع أخر من شكل ذلك المذوق أو النوع المتقدم وإفراد الضمير في شكله على تأويل المذكور أي من شكل المذكور ومعنى أزواج أجناس وأنواع وأشباه وحاصل معنى الآيات لأهل النار حميما وغساقا وأنواعا من العذاب من مثل الحميم والغساق قال الواحدي قال المفسرون هو الزمهرير ولا يتم هذا الذي حكاه عن المفسرين إلا على تقدير أن الزمهرير أنواع مختلفة وأجناس متفاوتة ليطابق معنى أزواج أو على تقدير أن لكل فرد من أهل النار زمهريرا وجملة (هذا فوج) حكاية لقول الملائكة هم خزنة النار وذلك أن القادة والرؤساء إذا دخلوا النار ودخل بعدهم الأتباع قالت الخزنة للقادة هذا فوج يعنون الأتباع (مقتحم معكم) أي داخل معكم إلى النار بشدة والاقتحام الإلقاء في الشيء بشدة فإنهم يضربون بمقامع من حديد حتى يقتحموها بأنفسهم خوفا من تلك المقامع وقيل الاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها وفي المختار قحم في الأمر رمى بنفسه فيه من غير روية وبابه خضع وأقحم فرسه النهر فانقحم أي أدخله فدخل واقتحم الفرس النهر دخله وقوله (لا مرحبا بهم) من قول القادة والرؤساء لما قالت لهم الخزنة ذلك قالوا لا مرحبا بهم أي لا اتسعت منازلهم في النار والرحب السعة والمعنى لا كرامة لهم وهذا إخبار من الله سبحانه بانقطاع المودة بين الكفار وأن المودة التي كانت بينهم تصير عداوة وجملة لا مرحبا بهم دعائية لا محل لها من الإعراب وقال السمين في مرحبا وجهان أظهرهما أنه مفعول بفعل مقدر أي لا أتيتم مرحبا أو لا سمعتم مرحبا والثاني أنه منصوب على المصدر قال أبو البقاء أي لا رحبتكم داركم مرحبا بل ضيقا والجملة المنفية إما مستأنفة سيقت للدعاء عليهم بضيق المكان وقوله بهم بيان للمدعو عليهم وإما حالية وقد يعترض عليه بأنه دعاء والدعاء لا يقع حالا والجواب أنه على إضمار القول أي مقولا في حقهم لا مرحبا بهم وقيل إنها من تمام قول الخزنة والأول أولى كما يدل عليه جواب الأتباع الآتي (إنهم صالوا النار) تعليل من جهة القائلين لا مرحبا بهم أي إنهم صالو النار كما صليناها ومستحقون لها كما استحققناها (قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم) مستأنفة جواب سؤال مقدر أي قال الأتباع عند سماع ما قاله الرؤساء لهم بل أنتم أحق بما قلتم لنا ثم عللوا ذلك بقولهم (أنتم قدمتموه لنا) أي العذاب أو الصلي لنا وأوقعتمونا فيه ودعوتمونا إليه

ثم انسلخ قبل أن يغفر له ورغم أنف رجل أدرك أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة ثم قال حسن غريب قلت وقد رواه البخاري في الأدب عن محمد بن عبد الله حدثنا ابن أبي حازم عن كثير بن زيد عن الوليد بن رباح عن أبي هريرة مرفوعا نحوه ورويناه من حديث محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة به قال الترمذي وفي الباب عن جابر وأنس قلت وابن عباس وكعب بن عجرة وقد ذكرت طرق هذا الحديث في أول كتاب الصيام عند قوله إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما وهذا الحديث والذي قبله دليل على وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كلما ذكر وهو مذهب طائفة من العلماء منهم الطحاوي والحليمي ويتقوى بالحديث الآخر الذي رواه ابن ماجه حدثنا جبارة بن المغلس حدثنا حماد بن زيد حدثنا عمرو بن دينار عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي الصلاة علي أخطأ طريق الجنة جبارة ضعيف ولكن رواه إسمعيل القاضي من غير وجه عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي الصلاة علي أخطأ طريق الجنة وهذا مرسل يتقوى بالذي قبله والله أعلم وذهب آخرون إلى أنه تجب الصلاة عليه في المجلس مرة واحدة ثم لا تجب في بقية ذلك المجلس بل تستحب نقله الترمذي عن بعضهم ويتأيد بالحديث الذي رواه الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة يوم القيامة فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم تفرد به الترمذي من هذا الوجه ورواه الإمام أحمد عن حجاج ويزيد بن هرون كلاهما عن ابن أبي ذئب عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة مرفوعا مثله ثم قال الترمذي هذا حديث حسن وقد روي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه وقد رواه إسمعيل القاضي من حديث شعبة عن سليمان عن ذكوان عن أبي سعيد قال ما من قوم يقعدون ثم يقومون ولا يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم يوم القيامة حسرة وإن دخلوا الجنة لما يرون من الثواب وحكي عن بعضهم أنه إنما تجب الصلاة عليه عليه السلام في العمر مرة واحدة امتثالا لأمر الآية ثم هي مستحبة في كل حال وهذا هو الذي نصره القاضي عياض بعد ما حكى الإجماع على وجوب الصلاة عليه صلى الله عليه

وسلم في الجلة قال وقد حكى الطبرى ان محمل الآية على الندب وادعى فيه الاجماع قال ولعله فيما زاد على المرة والواجب فيه مرة كالشهادة له بالنبوة وما زاد على ذلك فمندوب ومرغب فيه من سنن الاسلام وشعار أهله قلت وهذا قول غريب فانه قد ورد الامر بالصلاة عليه في أوقات كثيرة فمنها واجب ومنها مستحب على ما نبينه فمنه بعد النداء للصلاة للحديث الذى رواه الامام أحمد حدثنا ابو عبد الرحمن حدثنا حيوة حدثنا كعب بن علقمة انه سمع عبد الرحمن بن جبير يقول انه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص يقول انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم مؤذنا فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فانه من صلى على صلى الله عليه (١٢٤)

بها عشرا ثم سلوا الى الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وأرجو ان أكون أنا هو فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة وأخرجه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى من حديث كعب بن علقمة طريق اخرى قال اسمعيل القاضى حدثنا محمد بن أبى بكر حدثنا عمرو بن على عن أبى بكر الجشمى عن صفوان بن سليم عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الله لى الوسيلة حقت عليه شفاعتى يوم القيامة حديث آخر قال اسمعيل القاضى حدثنا سليمان بن حرب حدثنا سعيد بن زيد عن ليث عن كعب هو كعب الاحبار عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على فان صلاتكم على زكاة لكم وسلوا الله لى الوسيلة قال فاما حدثنا واما سألناه قال الوسيلة أعلى درجة فى الجنة لا ينالها الا رجل وأرجو أن أكون أنا ذلك الرجل ثم رواه عن محمد بن أبى بكر عن معتمر عن ليث وهو ابن أبى سليم به وكذا الحديث الآخر قال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا بكر بن سوادة عن زياد بن نعيم عن لا ورقاء الحضرمى عن رويفع بن ثابت الانصارى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى على محمد وقال اللهم أنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتى وهذا اسناد لا بأس به ولم يخرجوه أثر حسن آخر قال اسمعيل القاضى حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنى معمر عن ابن طاوس عن ابيه سمعت ابن عباس يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا وأعطه سؤله فى الآخرة والاولى كما آتيت ابراهيم وموسى عليهما السلام اسناد جيد قوى صحيح ومن ذلك عند دخول المسجد

بما كنتم تقولون للناس ان الحق ما أنتم عليه وان الانبياء غير صادقين فيما جاؤا به (فبئس القرار) أى بئس المقر جهنم لنا ولكم ثم حكى عن الاتباع أيضا انهم أردفوا هذا القول بقول آخر وهو (قالوا ربنا من قدم لنا هذا) أى من دعانا اليه وسوغه لنا قال الفراء المعنى من سوغ لنا هذا وسنه وقيل معناه من قدم لنا هذا العذاب بدعائه ايانا الى الكفر (فزده عذابا ضعفا فى النار) أى عذابا بكفره وعذابا بدعائه ايانا فصار ذلك ضعفا ومثله قوله سبحانه ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار وقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب والضعف ان يزيد عليه مثله وقيل المراد بالضعف هنا الحيات والعقارب قال ابن مسعود أى أفاعى وحيات (وقالوا) اى كفار مكة كأبى جهل وامية بن خلف وأصحاب القليب وهم فى النار (ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار) أى الاراذل الذين لا خير لهم ولا جدوى وقيل انما سموهم اشرارا لانهم كانوا على خلاف دينهم قيل هو من قول الرؤساء وقيل من قول الطاغين المذكورين سابقا قال الكلبى ينظرون فى النار فلا يرون من كان يخالفهم من المؤمنين معهم فيها فعند ذلك قالوا هذا القول وقيل يعنون فقراء المؤمنين كعمار وخباب وصهيب وبلال وسالم وسلمان وقيل أرادوا أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم على العموم (أتخذناهم سخريا) فى الدنيا فأخطأنا (أم زاغت عنهم الابصار) فلم نعلم مكانهم قاله مجاهد والانكار المفهوم من الاستفهام متوجه الى كل واحد من الامرين قال الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم أبصارهم قال الفراء والاستفهام هنا بمعنى التوبيخ والتعجب قرئ بحذف همزة اتخذناهم فى الوصل وعلى هذا يحتمل أن يكون الكلام خبرا محضا وتكون الجملة فى محل نصب صفة ثانية لرجالا وان يكون المراد الاستفهام وحذفت اداته لدلالة أم عليها فتكون أم على الوجه الاول منقطعة بمعنى بل والهمزة أى بل أزاغت عنهم الابصار على معنى توبيخ أنفسهم على الاستسخار ثم الاضراب والانتقال منه الى التوبيخ على الازدراء والتحقير وعلى الثانى أم هى المتصلة وقرئ بهمزة استفهام سقطت لاجلها همزة الوصل ولا محل للجملة حينئذ وفيه التوبيخ لانفسهم على الامرين جميعا لان أم على هذه القراءة هى للتسوية وقرئ سخريا بضم السين وبكسرها قال أبو عبيدة من كسر جعله من الهزء ومن ضم جعله من التسخير (ان ذلك) أى ما تقدم من حكاية حالهم (لحق) أى لواقع ثابت فى الدار الآخرة

واستروح منه للحديث الذى رواه الامام أحمد حدثنا اسمعيل بن ابراهيم حدثنا ليث بن أبى سليم عن عبد الله بن الحسن عن امه فاطمة بنت الحسين عن جدته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم ثم قال اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك واذا خرج صلى على محمد وسلم ثم قال اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب فضلك وقال اسمعيل القاضى حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا سفيان بن عمرو التميمى عن سليمان الضبى عن على بن الحسين قال قال على بن أبى طالب رضى الله عنه اذا مررتم بالمساجد فصلوا على النبى صلى الله عليه وسلم واما الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فى الصلاة فقد قدمنا الكلام عليها فى التشهد الاخير ومن ذهب الى ذلك من العلماء مع الشافعى رحمه الله وأكرمه واما التشهد الاول فلا يجب فيه قولا واحدا وهل يستحب على قولين للشافعى ومن ذلك الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فى صلاة الجنازة فان السنة ان يقرأ فى التكبيرة الاولى فاتحة الكتاب وفى الثانية ان يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وفى الثالثة يدعو للميت وفى الرابعة يقول اللهم لا تحرمنا اجره ولا تفتنا بعده قال الشافعى رحمه الله حدثنا مطرف بن مازن عن معمر عن الزهرى أخبرنى ابو امامة ابن سهل بن حنيف انه أخبره رجل من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ان السنة فى الصلاة على الجنازة ان يكبر الامام ثم يقرأ بفاتحة الكتاب بعد التكبيرة الاولى سرا فى نفسه ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ويخلص الدعاء للجنازة وفى التكبيرات لا يقرأ فى شئ منها ثم يسلم سرا فى نفسه ورواه النسائى عن أبى امامة نفسه انه قال من السنة فذكره وهذا من الصحابى فى حكم المرفوع على الصحيح ورواه اسمعيل القاضى عن محمد بن المثنى عن عبد الاعلى عن معمر عن الزهرى عن أبى امامة بن سهل عن سعيد بن المسيب انه قال السنة فى الصلاة على الجنازة فذكره وهكذا روى عن أبى هريرة وابن عمر والشعبى ومن ذلك فى صلاة العيد قال اسمعيل القاضى حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا هشام الدستوائى حدثنا حماد بن أبى سليمان عن ابراهيم عن علقمة ان ابن مسعود وأبا موسى وحذيفة خرج عليهم الوليد بن عقبة قبل العيد يوما فقال لهم ان هذا العيد قد دنا فكيف التكبير فيه قال عبد الله تبدأ فتكبر تكبيرة تفتتح بها الصلاة وتحمد ربك وتصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم تدعو

لا يتخلف البتة (تخاصم أهل النار) خبر مبتدا محذوف ويجوز أن يكون خبرا بعد خبر وهذا على قراءة الجمهور برفع تخاصم والمعنى ان ذلك الذى حكاه الله عنهم لحق لابد أن يتكلموا به وهو تخاصم أهل النار فيها وما قالته الرؤساء للاتباع وما قالته الاتباع لهم والجملة بيان لاسم الاشارة وفى الابهام أولا والتبيين ثانيا مزيد تقرير له قرأ ابن أبى عبلة بنصب تخاصم على انه بدل من ذلك أو باضمار أعنى وقرئ تخاصم بصيغة الماضى فتكون جملة مستأنفة وانما سماه تخاصما لان قول القادة للاتباع لا مرحبا بهم وقول الاتباع للقادة بل أنتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول قولا جامعا بين التخويف والارشاد الى التوحيد فقال (قل انما أنا منذر) أى مخوف لكم من عذاب الله وعقابه لا ساحر ولا شاعر كما ادعيتم ومبشرا وانما اقتصر على الانذار لان كلامه معهم وهم انما يناسبهم الانذار (وما من اله) يستحق العبادة (الا الله الواحد) الذى لا شريك له (القهار) لكل شئ سواه (رب السموات والارض وما بينهما) من المخلوقات (العزيز) الذى لا يغالبه مغالب (الغفار) لمن أطاعه وقيل معنى العزيز المنيع الذى لا مثل له ومعنى الغفار الستار لذنوب خلقه ثم أمره الله سبحانه أن يبالغ فى انذارهم ويبين لهم عظم الامر وجلالته فقال (قل هو نبأ عظيم) أى ما أنذرتكم به من العقاب وما بينته لكم من التوحيد هو خبر عظيم ونبأ جليل من شأنه العناية به والتعظيم له والاعتناء به أمرا وائتمارا وعدم الاستخفاف به ومثل هذه الآية قوله عم يتساءلون عن النبأ العظيم وقال مجاهد وقتادة ومقاتل هو القرآن فانه نبأ عظيم لانه كلام الله قال الزجاج قل النبأ الذى أنبأتكم به عن الله نبأ عظيم يعنى ما أنبأتهم به من قصص الاولين وذلك دليل على صدقه ونبوته لانه لم يعلم ذلك الا بوحى من الله (أنتم عنه معرضون) صفة ثانية للنبأ أو جملة مستأنفة وهذا توبيخ لهم وتقريع لكونهم اعرضوا عنه ولم يتفكروا فيه فيعلموا صدقه ويستدلوا به على ما أنكروه من البعث (ما كان لى من علم بالملا الاعلى) استئناف مسوق لتقرير انه نبأ عظيم وارد من جهته تعالى بذكر نبأ من أنبائه على التفصيل من غير سابقة معرفة به ولا مباشرة سبب من أسبابها المعتادة فان ذلك حجة بينة دالة على ان ذلك بطريق الوحى من عند الله تعالى وان سائر أنبائه أيضا كذلك وان الانبياء لا يعلمون الغيب أصلا الا ما يوحى اليهم من جهته سبحانه وتعالى والملأ الاعلى هم

وتكبر وتفعل مثل ذلك ثم تكبر تفعل مثل ذلك ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ثم تقرأ ثم تكبر وتركع ثم تقوم فتقرأ وتحمد ربك وتصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك ثم تركع فقال حذيفة وأبو موسى صدق أبو عبد الرحمن اسناد صحيح ومن ذلك انه يستحب ختم الدعاء بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم قال الترمذى حدثنا أبو داود حدثنا النضر بن شميل عن أبى فروة الاسدى عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قال الدعاء موقوف بين السماء والارض لا يصعد منه شئ حتى تصلى على نبيك وهكذا رواه

أيوب بن موسى عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قوله ورواه معاذ بن الحرث عن أبى قرة عن سعيد بن المسيب عن عمر مرفوعا وكذا رواه رزين بن معاوية فى كتابه مرفوعا عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الدعاء موقوف بين السماء والارض لا يصعد حتى يصلى على فلا تجعلونى كغمر الراكب صلوا على أول الدعاء وآخره وأوسطه وهذه الزيادة انما تروى من رواية جابر بن عبد الله فى مسند الامام عبد بن حميد الكشى حيث قال حدثنا جعفر ابن عون أخبرنا موسى بن عبيدة عن ابراهيم بن محمد بن ابراهيم عن أبيه قال قال جابر قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلونى كقدح الراكب اذا علق تعاليقه أخذ قدحه فملأه من الماء فان كان له حاجة فى الوضوء توضأ وان كان له حاجة فى الشرب شرب والا اهرق ما فيه اجعلونى فى أول الدعاء وفى وسط الدعاء وفى آخر الدعاء وهذا حديث غريب وموسى بن عبيدة ضعيف الحديث ومن آكد ذلك دعاء القنوت لما رواه أحمد وأهل السنن وابن خزيمة وابن حبان والحاكم من حديث أبى الجوزاء عن الحسن بن على رضى الله عنهما قال علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن فى الوتر اللهم اهدنى فيمن هديت وعافنى فيمن عافيت وتولنى فيمن توليت وبارك لى فيما أعطيت وقنى شر ما قضيت فانك تقضى ولا يقضى عليك انه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت تباركت ربنا وتعاليت وزاد النسائى فى سننه بعد هذا وصلى الله على النبى ومن ذلك أنه يستحب الاكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة وليلة الجمعة قال الامام أحمد حدثنا حسين بن على الجعفى عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبى الاشعث الصنعانى عن أوس بن أوس الثقفى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه

الملائكة وزاد أبو السعود وآدم عليه السلام وابليس عليه اللعنة (اذ يختصمون) أى ما كان لى فيما سبق علم بوجه من الوجوه بحال الملا الاعلى وقت اختصامهم والضمير راجع الى الملا الاعلى والخصومة الكائنة بينهم هى فى أمر آدم قال ابن عباس قال الملائكة حين شوور وافى خلق آدم فاختصموا فيه وقالوا لا تجعل فى الارض خليفة وعنه قال هى الخصومة فى شأن آدم حيث قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها وأخرج عبد الرزاق وأحمد وعبد بن حميد والترمذى وحسنه وابن نصر فى كتاب الصلاة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتانى الليلة ربى فى أحسن صورة أحسبه قال فى المنام قال يا محمد هل تدرى فيم يختصم الملا الاعلى قلت لا فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها بين ثديى أو فى نحرى فعلمت ما فى السموات والارض ثم قال لى يا محمد هل تدرى فيم يختصم الملا الاعلى قلت نعم فى الكفارات والكفارات المكث فى المساجد بعد الصلوات والمشى على الاقدام الى الجماعات وابلاغ الوضوء فى المكاره الحديث وأخرج الترمذى وصححه ومحمد بن نصر والطبرانى والحاكم وابن مردويه من حديث معاذ بن جبل نحوه باطول منه وقال واسباغ الوضوء فى السبرات وأخرج الطبرانى وابن مردويه من حديث جابر بن سمرة نحوه باخصر منه وأخرجا أيضا من حديث أبى هريرة نحوه وفى الباب أحاديث وقيل الضمير لقريش اى يختصمون فيهم بعضهم يقول بنات الله وبعضهم يقول غير ذلك والاول أولى (ان يوحى الى الا انما أنا نذير مبين) جملة معترضة بين اختصامهم المجمل وبين تفصيله بقوله اذ قال ربك للملائكة والمعنى ما يوحى الى الا انى نذير أبين لكم ما تأتون من الفرائض والسنن وما تدعون من الحرام والمعصية قاله الفراء وقال كانك قلت ما يوحى الى الا الانذار قرأ الجمهور بفتح همزة انما على انها وما فى حيزها فى محل رفع لقيامها مقام الفاعل أى ما يوحى الى الا الانذار أو الا كونى نذيرا مبينا أو فى محل نصب أو جر بعد اسقاط لام العلة والقائم مقام الفاعل على هذا الجار والمجرور وقرأ أبو جعفر بكسر الهمزة لان فى الوحى معنى القول وهى القائمة مقام الفاعل على سبيل الحكاية كانه قيل ما يوحى الى الا هذه الجملة المتضمنة لهذا الاخبار وهو أن أقول لكم انما أنا نذير مبين والقصر هنا اضافى أى لا ساحر ولا كذاب كما زعمتم وخصه بالذكر لان الكلام مع المشركين وحاله معهم مقصور على الانذار ولما ذكر سبحانه خصومة الملائكة اجمالا فيما تقدم ذكرها هنا تفصيلا

وسلم من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا عليّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليّ قالوا يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت يعني وقد بليت قال إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث حسين بن علي الجعفي وقد صحح هذا الحديث ابن خزيمة وابن حبان والدارقطني والنووي في الأذكار حديث آخر قال أبو عبد الله بن ماجه حدثنا عمرو بن سواد المصري حدثنا عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحرث عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أيمن عن عبادة

بن نسي عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا الصلاة عليّ يوم الجمعة فإنه مشهود تشهده الملائكة وإن أحدا لا يصلي عليّ إلا عرضت على صلاته حتى يفرغ منها قال قلت وبعد الموت قال إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء فنبي الله حي يرزق هذا حديث غريب من هذا الوجه وفيه انقطاع بين عبادة بن نسي وأبي الدرداء فإنه لم يدركه والله أعلم وقد روى البيهقي من حديث أبي أمامة وابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في الأمر بالإكثار من الصلاة عليه ليلة الجمعة ويوم الجمعة ولكن في إسنادهما ضعف والله أعلم وروي مرسلا عن الحسن البصري فقال إسمعيل القاضي حدثنا سليمان بن حرب حدثنا جرير بن حازم سمعت الحسن البصري يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تأكل الأرض جسد من كلمه روح القدس مرسل حسن وقال الشافعي أخبرنا إبراهيم بن محمد أخبرنا صفوان بن سليم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا كان يوم الجمعة وليلة الجمعة فأكثروا الصلاة عليّ هذا مرسل وهكذا يجب على الخطيب أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة على المنبر في الخطبتين ولا تصح الخطبتان إلا بذلك لأنها عبادة وذكر الله شرط فيها فوجب ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم فيها كالأذان والصلاة هذا مذهب الشافعي وأحمد رحمهما الله ومن ذلك أنه يستحب الصلاة والسلام عليه عند زيارة قبره صلى الله عليه وسلم قال أبو داود حدثنا ابن عوف هو محمد حدثنا المقري حدثنا حيوة عن أبي صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام تفرد به أبو داود وصححه النووي في الأذكار

تعالى (إذ قال ربك للملائكة) إذ هذه بدل من إذ يختصمون لاشتمال ما في حيزها على الخصومة وقيل هي منصوبة بإضمار اذكر والأول أولى إذا كانت خصومة الملائكة في شأن من يستخلف في الأرض وأما إذا كانت في غير ذلك مما تقدم ذكره فالثاني أولى (إني خالق) أي فيما سيأتي من الزمن (بشرا) أي جسما من جنس البشر وهو آدم عليه السلام مأخوذ من مباشرته للأرض أو من كونه بادي البشرة أي ظاهر الجلد ليس على جلده صوف ولا شعر ولا وبر ولا ريش ولا قشر وقوله (من طين) متعلق بمحذوف هو صفة لبشرا أو بخالق ومعنى (فإذا سويته) صورته على صورة البشر وصارت أجزاؤه مستوية وأتممته (ونفخت) أي أجريت (فيه من روحي) أي من الروح الذي أملكه ولا يملكه غيري وقيل هو تمثيل ولا نفخ ولا منفوخ فيه والمراد جعله حيا بعد أن كان جمادا لا حياة فيه ويأباه ظاهر النظم الكريم فالأول أولى وقد مر الكلام عليه في سورة النساء والنفخ إجراء الروح إلى تجويف جسم صالح لإمساكها وإضافته الروح إليه تشريف لآدم عليه السلام والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوذه فيه وبه قال جمهور المتكلمين قاله الكرخي وقال النووي في شرح مسلم إنه الأصح عند أصحابنا وهو مشتبك بالبدن اشتباك الماء بالعود الأخضر وقال كثير منهم إنها عرض وهي الحياة التي صار البدن بوجودها حيا وقال الفلاسفة وكثير من الصوفية إنها ليست بجسم ولا عرض بل جوهر مجرد قائم بنفسه غير متحيز متعلق بالبدن للتدبير والتحريك غير داخل فيه ولا خارج عنه ووافقهم على ذلك الغزالي والراغب واحتج للأول بوصفها في الأخبار بالهبوط والعروج والتردد في البرزخ اهـ وقيل جوهر شريف قدسي يسري في بدن الإنسان سريان الضوء في الفضاء أو كسريان النار في الفحم ذكره الخازن وأقول علم الروح مما استأثر الله تعالى بعلمه ولا يعلمه أحد من خلقه كائنا من كان والخوض في معرفته من فضول الأعمال ولغو الكلام وقد قال الله عز وجل قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا (فقعوا له ساجدين) هو أمر من وقع يقع والسجود هنا هو سجود التحية لا سجود العبادة وفيه دليل على أن المأمور به ليس مجرد الانحناء كما قيل أي اسقطوا له ساجدين وقد مضى تحقيقه في سورة البقرة (فسجد الملائكة) في الكلام حذف تدل عليه الفاء والتقدير فخلقه فسواه ونفخ فيه من روحه فسجد له الملائكة (كلهم) يفيد أنهم سجدوا جميعا ولم

ثم قال أبو داود حدثنا احمد بن صالح قال قرأت على عبد الله بن نافع أخبرنى ابن أبى ذئب عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتجعلوا بيوتكم قبورا ولاتجعلوا قبرى عيدا وصلوا على فان صلاتكم تبلغنى حيثما كنتم تفرد به أبو داود أيضا وقد رواه الامام أحمد عن شريح عن عبد الله بن نافع وهو الصائغ به وصححه النووى أيضا وقد روى من وجه آخر عن على رضى الله عنه قال القاضى اسمعيل بن اسحق فى كتابه فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم حدثنا اسمعيل بن أبى أويس حدثنا جعفر بن ابراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب عن آخر من أهل بيته عن على بن الحسين بن على ان رجلا كان يأتى كل غداة فيزور قبر النبى صلى الله عليه وسلم ويصلى عليه ويصنع من ذلك ما اشتهر عليه على بن الحسين فقال له على بن الحسين مايحملك على هذا قال أحب السلام على النبى صلى الله عليه وسلم فقال له على بن الحسين هل لك أن أحدثك حديثا عن ابى قال نعم فقال له على بن الحسين أخبرنى ابى عن جدى انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتجعلوا قبرى عيدا ولاتجعلوا بيوتكم قبورا وصلوا على وسلموا حيثما كنتم فتبلغنى صلاتكم وسلامكم فى اسناده رجل مبهم لم يسم وقد روى من وجه آخر مرسلا قال عبد الرزاق فى مصنفه عن الثورى عن ابن عجلان عن رجل يقال له سهيل عن الحسن بن الحسن ابن على قال رأى قوما عند القبر فنهاهم وقال ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لاتتخذوا قبرى عيدا ولاتتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا على حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغنى فلعله رآهم يسيؤن الادب برفع أصواتهم فوق الحاجة فنهاهم وقد روى انه رأى رجلا ينتاب القبر فقال ياهذا ما انت ورجل بالاندلس منه الا سواء اى الجميع يبلغه صلوات الله وسلامه عليه دائما الى يوم الدين وقال الطبرانى فى معجمه الكبير حدثنا احمد بن رشد المصرى حدثنا سعيد بن ابى مريم حدثنا محمد بن جعفر أخبرنى حميد بن أبى زينب عن حسن بن حسن بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلوا على حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغنى ثم قال الطبرانى حدثنا العباس بن حمدان الاصبهانى حدثنا شعيب بن عبد الحميد الطحان أخبرنا يزيد بن هرون بن أبى شيبان عن الحكم بن عبد الله بن خطاب عن أم أنيس بنت الحسن بن على عن أبيها قال قال رسول الله صلى

يبق منهم احد وقوله (أجمعون) يفيد أنهم اجتمعوا على السجود فى وقت واحد فالاول لقصد الاحاطة والثانى لقصد الاجتماع قال فى الكشاف فأفادا معا انهم سجدوا عن آخرهم مابقى منهم ملك الا سجد أنهم سجدوا جميعا فى وقت واحد غير متفرقين فى أوقات وقيل انه أكد بتأكيدين للمبالغة فى التعميم وكان هذا السجود قبل دخول آدم الجنة أو بعده قولان (الا ابليس) الاستثناء متصل على تقدير انه كان متصفا بصفات الملائكة داخلا فى عدادهم فغلبوا عليه أو منقطع على ماهو الظاهر من عدم دخوله فيهم أى لكن ابليس (استكبر) أى انف من السجود جهلا منه بانه طاعة لله (و) كان استكباره استكبار كفر فلذلك (كان من الكافرين) أى صار منهم لمخالفته لامر الله واستكباره عن طاعته أو كان من الكافرين فى علم الله سبحانه وقد تقدم الكلام على هذا مستوفى فى سورة البقرة والاعراف وبنى اسرائيل والكهف وطه ثم ان الله سبحانه سأله عن سبب تركه للسجود الذى أمره به (قال يا ابليس مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى) وقرئ بالافراد أى ماصرفك وصدك عن السجود لما توليت خلقه من غير واسطة أب وأم وأضاف خلقه الى نفسه تكريما له وتشريفا مع انه سبحانه خالق كل شئ كما أضاف الى نفسه الروح والبيت والناقة والمساجد قال مجاهد اليد هنا بمعنى التأكيد والصلة مجازا كقوله ويبقى وجه ربك وقيل أراد باليد القدرة يقال مالى بهذا الامر يد ومالى به يدان أى قدرة وقيل التثنية فى اليد للدلالة على انها ليست بمعنى القوة والقدرة بل للدلالة على انهما صفتان من صفات ذاته سبحانه وهو الاولى وقيل التثنية لابراز كمال الاعتناء بخلقه عليه السلام المستدعى لاجلاله وتعظيمه قصدا الى تأكيد الانكار وتشديد التوبيخ وما فى قوله لما خلقت هى المصدرية أو الموصولة وقرئ لما بالتشديد مع فتح اللام على انها ظرف بمعنى حين كما قال أبو على الفارسى وعن عبد الله بن عمر قال خلق الله أربعا بيده العرش وجنة عدن والقلم وآدم أخرجه ابن جرير وأبو الشيخ فى العظمة والبيهقى وعن عبد الله بن الحرث قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلق الله ثلاثة أشياء بيده خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده أخرجه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة وأبو الشيخ فى العظمة والبيهقى فى الاسماء والصفات (أستكبرت) قرئ بهمزة الاستفهام وهو استفهام توبيخ وتقريع فتكون أم فى قوله (أم كنت) متصلة أى أتركت السجود

لاستكبارك

الله عليه وسلم أرأيت قول الله عزوجل ان الله وملائكته يصلون على النبي فقال ان هذا من المكتوم ولولا انكم سألتموني عنه ما أخبرتكم ان الله وكل بي ملكين لا اذكر عند عبد مسلم فيصلي على الا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ولا يصلي على أحد الا قال ذانك الملكان غفر الله لك ويقول الله وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين غريب جدا واسناده ضعيف شديد وقد قال الامام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن عبد الله بن السائب عن زاذان عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن أمتي السلام

لاستكبارك الحادث أم لاستكبارك القديم المستمر وقرئ بألف الوصل فتكون أم منقطعة والمعنى استكبرت عن السجود الذي أمرت به بل أكنت (من العالين) أي المستحقين للترفع عن طاعة أمر الله المتعالين عن ذلك وجملة (قال أنا خير منه) مستأنفة جواب سؤال مقدر ادعى اللعين لنفسه انه خير من آدم أي ولو كنت مساويا له في الشرف لكان يقبح ان أسجد له فكيف وأنا خير منه وفي ضمن كلامه هذا ان سجود الفاضل للمفضول لا يحسن ثم علل ما ادعاه من كونه خيرا منه بقوله (خلقتني من نار وخلقته من طين) وفي زعمه ان عنصر النار أشرف من عنصر الطين وأفضل منه لان الاجرام الفلكية أشرف من الاجرام العنصرية والنار أقرب العناصر من الفلك والارض أبعدها منه وأيضا النار لطيفة نورانية والارض كثيفة ظلمانية وهما خير منهما وذهب عنه ان النار انما هي بمنزلة الخادم لعنصر الطين ان احتيج اليها استدعيت كما يستدعى الخادم وان استغنى عنها طردت وأيضا فالطين يستولي على النار فيطفيها وأيضا فهي لا توجد الا بما أصله من عنصر الارض وان مآل النار الى الرماد الذي لا ينتفع به والطين أصل كل ما هو نام نابت كالانسان والشجرة ومعلوم ان الانسان والشجرة المثمرة خير من الرماد وأفضل وعلى كل حال فقد شرف آدم بشرف وكرم بكرامة لا يوازيها شئ من شرف العناصر وذلك ان الله تعالى خلقه بيديه ونفخ فيه من روحه وأمر بالسجود له والجواهر في أنفسها متجانسة وانما تشرف بعارض من عوارضها (قال فاخرج منها) مستأنفة كالتي قبلها أي فاخرج من الجنة أو من زمرة الملائكة وقيل من الخلقة التي كنت عليها لانه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته واسود بعدما كان أبيض وقبح بعدما كان حسنا واظلم بعدما كان نورانيا وهذا يدل على أنه لم يكن كافرا حين كان بين الملائكة ولان الله تعالى لم يحك عنه الا الاستكبار عن السجود فهذا دليل على أنه صار كافرا حين لم يسجد ذكره الطيبي ثم علل أمره بالخروج بقوله (فانك رجيم) أي مرجوم بالكواكب مطرود من كل خير ملعون بترك أمره (وان عليك لعنتي الى يوم الدين) أي طردي لك عن الرحمة وابعادي لك منها الى يوم الجزاء فأخبر الله سبحانه وتعالى ان تلك اللعنة مستمرة له دائمة عليه مادامت الدنيا ثم في الآخرة يلقى من أنواع عذاب الله وعقوبته وسخطه ما هو به حقيق وليس المراد أن اللعنة تزول عنه في الآخرة بل هو ملعون أبدا ولكن لما كان له في الآخرة ما ينسى عنده اللعنة ويذهل

وهكذا رواه النسائي من حديث سفيان الثوري وسليمان بن مهران الأعمش كلاهما عن عبد الله بن السائب فأما الحديث الآخر من صلى على عند قبري سمعته ومن صلى على من بعيد بلغته ففي اسناده نظر تفرد به محمد بن مروان السدي الصغير وهو متروك عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعا قال أصحابنا ويستحب للمحرم اذا لبى وفرغ من تلبيته ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم لما رواه الشافعي والدارقطني من رواية صالح بن محمد بن زائدة عن القاسم ابن محمد بن أبي بكر الصديق قال كان يؤمر الرجل اذا فرغ من تلبيته ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم على كل حال وقال اسمعيل القاضي حدثنا عارم بن الفضل حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا زكريا عن الشعبي عن وهب بن الاجدع قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول اذا قدمتم فطوفوا بالبيت سبعا وصلوا عند المقام ركعتين ثم ائتوا الصفا فقوموا عليه من حيث ترون البيت فكبروا سبع مرات تكبيرا بين حمد الله وثناء عليه وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ومسئلة لنفسك وعلى المروة مثل ذلك اسناد جيد حسن قوي وقالوا ويستحب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مع ذكر الله عند الذبح واستأنسوا بقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك قال بعض المفسرين يقول الله تعالى لا أذكر الا ذكرت معي وخالفهم في ذلك الجمهور وقالوا هذا موطن يفرد فيه ذكر الله تعالى كما عند الاكل والدخول والوقاع وغير ذلك مما لم ترد فيه السنة بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

حديث آخر قال اسمعيل القاضي حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا عمرو بن هرون عن موسى بن عبيدة عن محمد بن ثابت عن أبي

هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلوا على أنبياء الله ورسله فان الله بعثهم كما بعثنى فى اسناده ضعيفان وهما عمرو بن هرون وشيخه والله أعلم وقد رواه عبد الرزاق عن الثورى عن موسى بن عبيدة الزبيدى به ومن ذلك أنه يستحب الصلاة عليه عند طنين الاذن ان صح الخبر فى ذلك على ان الامام ابا بكر محمد بن اسحق بن خزيمة قد رواه فى صحيحه فقال حدثنا زياد بن يحيى حدثنا معمر بن محمد بن عبيد الله عن على بن ابى رافع عن ابيه عن ابى رافع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا طنت اذن احدكم فليذكرنى وليصل على وليقل ذكر الله من ذكرنى بخير (١٣٠) اسناده غريب وفى ثبوته نظر والله اعلم * (مسئلة) * وقد استحب اهل الكتابة ان يكرر الكاتب الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم كلما كتبه وقد ورد فى الحديث من طريق كادح بن رحمة عن نهشل عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على فى كتاب لم تزل الصلاة جارية له مادام اسمى فى ذلك الكتاب وليس هذا الحديث بصحيح من وجوه كثيرة وقد روى من حديث ابى هريرة ولا يصح ايضا قال الحافظ ابو عبد الله الذهبى شيخنا احسبه موضوعا وقد روى نحوه عن ابى بكر وابن عباس ولا يصح من ذلك شئ والله اعلم وقد ذكر الخطيب البغدادى فى كتابه الجامع لآداب الراوى والسامع قال رأيت بخط الامام احمد بن حنبل رحمه الله كثيرا ما يكتب اسم النبى صلى الله عليه وسلم من غير ذكر الصلاة عليه كتابة قال وبلغنى انه كان يصلى عليه لفظا (فصل) واما الصلاة على غير الانبياء فان كانت على سبيل التبعية كما تقدم فى الحديث اللهم صل على محمد وآله وازواجه وذريته فهذا جائز بالاجماع وانما وقع النزاع فيما اذا افرد غير الانبياء بالصلاة عليهم فقال قائلون يجوز ذلك واحتجوا بقول الله تعالى هو الذى يصلى عليكم وملائكته وبقوله اولئك عليهم صلوات من ربهم وبقوله خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم الاية وبحديث عبد الله بن ابى اوفى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل عليهم فأتاه ابى بصدقته فقال اللهم صل على آل ابى اوفى اخرجاه فى الصحيحين وبحديث جابر ان امرأته قالت يا رسول الله صل على وعلى زوجى فقال صلى الله عليك وعلى زوجك قال الجمهور من العلماء لا يجوز افراد غير الانبياء بالصلاة لان هذا قد صار شعارا للانبياء اذا ذكروا فلا يلحق بهم غيرهم فلا

بعده

عند الوقوع فيه منها صارت كأنه لم تكن يجتنب ما يكون فيه (قال رب فانظرنى) مستأنفة كما تقدم فيما قبلها أى أمهلنى وأخرنى ولا تعاجلنى (الى يوم يبعثون) يعنى آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم وأراد بذلك أن يجد فسحة لاغوائهم ويأخذ منهم ثاره (قال فانك من المنظرين) أى الممهلين (الى يوم الوقت المعلوم) الذى قدره الله لفناء الخلائق وهو عند النفخة الآخرة وقيل هو النفخة الاولى قيل انما طلب ابليس الانظار الى يوم البعث ليتخلص من الموت لانه اذا أنظر الى يوم البعث لم يمت قبل البعث وعند مجيء البعث لا يموت فحينئذ يتخلص من الموت فاجيب بما يبطل مراده وينقض عليه مقصده وهو الانظار الى يوم الوقت المعلوم وهو الذى يعلمه الله ولا يعلمه غيره فلما سمع اللعين انظار الله له الى ذلك الوقت (قال فبعزتك لاغوينهم أجمعين) فاقسم بعزة الله أنه يضل بنى آدم بتزيين الشهوات والمعاصى لهم وادخال الشبه عليهم حتى يصيروا غاوين جميعا ولا ينافيه قوله تعالى فبما أغويتنى فان اغواءه تعالى اياه أثر من آثار قدرته تعالى وعزته وحكم من أحكام قهره وسلطنته فمآل الاقسام بهما واحد ولعل اللعين أقسم بهما جميعا فحكى تارة قسمه باحداهما وأخرى باخرى ثم لما علم ان كيده لا ينجع الا فى أتباعه وأحزابه من أهل الكفر والمعاصى استثنى من لا يقدر على اضلاله ولا يجد السبيل الى اغوائه فقال (الا عبادك منهم المخلصين) أى الذين أخلصتهم لطاعتك وعصمتهم منى وقد تقدم تفسير هذه الآيات فى سورة الحجر وغيرها (قال فالحق والحق أقول) مستأنفة كالجمل التى قبلها قرأ الجمهور بنصب الحق فى الموضعين على أنه مقسم به حذف منه حرف القسم فانتصب أو هما منصوبان على الاغراء أى الزموا الحق أو مصدران مؤكدان لمضمون قوله (لاملأن جهنم) وقرئ برفع الاول ونصب الثانى فرفع الاول على أنه مبتدأ وخبره مقدر أى فالحق منى أو فالحق أنا أو خبره لاملأن أو هو خبر مبتدأ محذوف وأما نصب الثانى فبالفعل المذكور بعده أى وأنا أقول الحق وأجاز الفراء وأبو عبيد أن يكون منصوبا بمعنى حقا لاملأن جهنم واعترض عليهما بأن ما بعد اللام مقطوع عما قبلها وروى عن الفراء وسيبويه أيضا أن المعنى فالحق أن أملأ جهنم وروى عن ابن عباس ومجاهد أنهما قرآ برفعهما فرفع الاول على ما تقدم ورفع الثانى بالابتداء وخبره الجملة المذكورة

بعده والعائد محذوف وقرئ بخفضهما على تقدير حرف القسم قال الفراء كما يقول الله عز وجل لافعلن كذا وغلطه أبو العباس ثعلب وقال لا يجوز الخفض بحذف مضمر وقيل جملة لاملأن جواب القسم على قراءة الجمهور وجملة والحق أقول معترضة بين القسم وجوابه (منك) أي من جنسك من الشياطين (وممن تبعك منهم) أي من ذرية آدم فأطاعوك اذ دعوتهم الى الضلال والغواية و (أجمعين) تأكيد للمعطوف والمعطوف عليه وجوز الزمخشري أن يكون تأكيدا للضمير في منهم خاصة أي لاملأن جهنم من الشياطين ومن تبعهم من جميع الناس لا تفاوت في ذلك بين ناس وناس ثم أمر الله سبحانه رسوله أن يخبرهم بأنه انما يريد بالدعوة الى الله امتثال أمره لا عرض الدنيا الزائل فقال (قل ما أسألكم عليه من أجر) الضمير في عليه راجع الى تبليغ الوحي ولم يتقدم له ذكر ولكنه مفهوم من السياق وقيل هو عائد الى ما تقدم من قوله أأنزل عليه الذكر من بيننا وقيل الضمير راجع الى القرآن وقيل الى الدعاء الى الله على العموم فيشمل القرآن وغيره من الوحي ومن قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى ما أطلب منكم من جعل تعطونيه عليه قال ابن عباس قل يا محمد ما أسألكم على ما أدعوكم اليه من أجر عرض دنيا (وما أنا من المتكلفين) أي المتصنعين بما ليسوا من أهله حتى أنتحل النبوة وأتقول القرآن من تلقاء نفسي وأقول ما لا أعلم أو أدعوكم الى غير ما أمرني الله بالدعوة اليه والتكلف التصنع وفي البخاري ومسلم وغيرهما عن مسروق قال بينما رجل يحدث في المسجد فقال فيما يقول يوم تأتي السماء بدخان مبين قال دخان يكون يوم القيامة يأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم ويأخذ المؤمنين كهيئة الزكام قال فقمنا حتى دخلنا على عبد الله وهو في بيته وكان متكئا فاستوى قاعدا فقال يا أيها الناس من علم منكم علما فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فان من العلم أن يقول العالم لما لا يعلم الله أعلم قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين وأخرج البخاري عن عمر قال نهينا عن التكلف وأخرج الطبراني والحاكم والبيهقي عن سلمان قال نهانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان نتكلف للضيف (ان هو الا ذكر للعالمين) أي ما هذا القرآن أو الوحي أو ما أدعوكم اليه الا ذكر من الله عز وجل للجن والانس العقلاء

يقال قال أبو بكر صلى الله عليه أو قال علي صلى الله عليه وان كان المعنى صحيحا كما لا يقال قال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا لان هذا من شعار ذكر الله عز وجل وحملوا ما ورد في ذلك من الكتاب والسنة على الدعاء لهم ولهذا لم يثبت شعارا لآل أبي أوفى ولا لجابر وامرأته وهذا مسلك حسن وقال آخرون لا يجوز ذلك لان الصلاة على غير الانبياء قد صار من شعار أهل الاهواء يصلون على من يعتقدون فيهم فلا يقتدى بهم في ذلك والله أعلم ثم اختلف المانعون من ذلك هل هو من باب التحريم أو الكراهة التنزيهية أو خلاف الاولى على ثلاثة أقوال حكاه الشيخ أبو زكريا النووي في كتاب الادكار ثم قال والصحيح الذي عليه الاكثرون انه مكروه كراهة تنزيه لانه شعار أهل البدع وقد نهينا عن شعارهم والمكروه هو ما ورد فيه نهي مقصود قال أصحابنا والمعتمد في ذلك ان الصلاة صارت مخصوصة في لسان السلف بالانبياء كما ان قولنا عز وجل مخصوص بالله تعالى فكما لا يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا لا يقال أبو بكر أو علي صلى الله عليه هذا لفظه بحروفه قال وأما السلام فقال الشيخ أبو محمد الجويني من أصحابنا هو في معنى الصلاة فلا يستعمل في الغائب ولا يفرد به غير الانبياء فلا يقال علي عليه السلام وسواء في هذا الاحياء والاموات وأما الحاضر فيخاطب به فيقال سلام عليك وسلام عليكم أو السلام عليك أو عليكم وهذا مجمع عليه انتهى ما ذكره قلت وقد غلب هذا في عبارة كثير من النساخ للكتب ان يفرد علي رضي الله عنه بان يقال عليه السلام من دون سائر الصحابة أو كرم الله وجهه وهذا وان كان معناه صحيحا لكن ينبغي أن يسوى بين الصحابة في ذلك فان هذا من باب التعظيم والتكريم فالشيخان وأمير المؤمنين عثمان أولى بذلك منه رضي الله عنهم أجمعين قال اسمعيل القاضي حدثنا عبد الله بن عبد الواحد حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثني عثمان بن حكيم بن عبادة بن حنيف عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال لا تصلح الصلاة على أحد الا على النبي صلى الله عليه وسلم ولكن يدعى للمسلمين والمسلمات بالمغفرة وقال أيضا حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا حسين بن علي عن جعفر بن برقان قال كتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله أما بعد فان ناسا من الناس قد التمسوا الدنيا بعمل الآخرة وان ناسا من القصاص قد أحدثوا في الصلاة على خلفائهم وأمرائهم عدل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فاذا

حيا لكتابي هذا فرهم أن تكون صلاتهم على النبيين ودعاؤهم للمسلمين عامة ويدعوا ماسوى ذلك أ ثم حسن قال اسمعيل القاضي حدثنا معاذ بن أسد حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا ابن لهيعة حدثني خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن نبيه بن وهب ان كعبا دخل على عائشة رضي الله عنها فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كعب مامن فجر يطلع الا نزل سبعون الفا من الملائكة حتى يحفون بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم سبعون الفا بالليل وسبعون الفا بالنهار حتى اذا انشقت عنه الارض خرج في سبعين الفا من الملائكة (١٣٢) يزفونه* (فرع)* قال النووي اذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فليجمع بين الصلاة والتسليم فلا يقتصر على احدهما فلا يقول صلى الله عليه فقط ولا عليه السلام فقط وهذا الذي قاله منتزع من هذه الآية الكريمة وهي قوله يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما فالاولى ان يقال صلى الله عليه وسلم تسليما (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا) يقول تعالى متهددا ومتوعدا من آذاه بمخالفة أوامره وارتكاب زواجره واصراره على ذلك وايذاء رسوله بعيب او بنقص عياذا بالله من ذلك قال عكرمة في قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله نزلت في المصورين وفي الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وانا الدهر أقلب ليله ونهاره ومعنى هذا ان الجاهلية كانوا يقولون يا خيبة الدهر فعل بنا كذا وكذا فيسندون افعال الله تعالى الى الدهر ويسبونه وانما الفاعل لذلك هو الله عز وجل اى فنهى عن ذلك هكذا قرره الشافعي وابو عبيدة وغيرهما من العلماء رحمهم الله وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى يؤذون الله ورسوله نزلت في الذين طعنوا على النبي صلى الله عليه وسلم في تزويجه صفية بنت حيي بن أخطب والظاهر ان الآية عامة في كل من آذاه بشيء ومن آذاه فقد آذى الله كما ان من اطاعه فقد اطاع الله كما قال الامام أحمد حدثنا يونس حدثنا ابراهيم بن سعد عن عبيدة ابن أبي رائطة الحذاء التميمي عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن المغفل المزني قال قال النبي صلى الله عليه وسلم الله الله في أصحابي

دون الملائكة لان المراد الذكر والموعظة والتخويف وتذكير العواقب وهذا انما يناسب المكلفين وهم الثقلان فقط تأمل (ولتعلمن) أيها الكفار (نبأه) أي ما أنبأ به من الوعد والوعيد وغيرهما أو ما أخبر به من الدعاء الى الله وتوحيده والترغيب الى الجنة والتحذير من النار (بعد حين) قال قتادة والزجاج والفراء بعد الموت وقال عكرمة وابن زيد يوم القيامة وقال الكلبي من بقي علم ذلك لما ظهر أمره وعلا ومن مات علمه بعد الموت وقال السدي وذلك يوم بدر وقيل عند ظهور الاسلام وفشوه وكان الحسن يقول يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين وفيه من التهديد ما لا يخفى

(سورة الزمر ويقال لها سورة الغرف هي اثنتان وسبعون آية وقيل خمس وسبعون آية وهي مكية)

في قول الحسن وعكرمة وجابر بن زيد وأخرج النحاس في ناسخه عن ابن عباس قال نزلت بمكة سوى ثلاث آيات نزلن بالمدينة في وحشي قاتل حمزة يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الثلاث الآيات وقال آخرون الاسبع آيات من قوله قل يا عبادي الذين الى آخر السبع وأخرج النسائي عن عائشة قالت كان يصوم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى نقول ما يريد ان يفطر ويفطر حتى نقول ما يريد أن يصوم وكان يقرأ في كل ليلة بني اسرائيل والزمر وأخرجه الترمذي عنها بلفظ كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينام حتى يقرأ الزمر وبني اسرائيل

(بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب) ارتفاعه على انه خبر مبتدأ محذوف هو اسم اشارة أي هذا تنزيل وقال أبو حيان ان المبتدأ المقدر لفظ هو ليعود على قوله ان هو الا ذكر للعالمين كأنه قيل وهذا الذكر ما هو فقيل هو تنزيل الخ وقيل ارتفاعه على انه مبتدأ وخبره الجار والمجرور بعده أي تنزيل كائن من الله العزيز والى هذا ذهب الزجاج والفراء وأجاز الفراء والكسائي النصب على أنه مفعول به لفعل مقدر أي اتبعوا أو اقرؤا تنزيل الكتاب وقال الفراء يجوز نصبه على الاغراء اى الزموا والكتاب هو القرآن (من الله العزيز الحكيم) صلة للتنزيل أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف أو متعلق بمحذوف على أنه حال عمل فيه اسم الاشارة المقدر (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق)

لا تتخذوهم غرضاً بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله
ومن آذى الله يوشك أن يأخذه وقد رواه الترمذي من حديث عبيدة بن أبي رائطة عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن
المغفل به ثم قال وهذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وقوله تعالى والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا
أي ينسبون إليهم ما هم برآء منه لم يعملوه ولم يفعلوه فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً وهذا هو البهت البين أن يحكي أو ينقل عن
المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه على سبيل العيب والتنقص لهم ومن أكثر من يدخل في هذا الوعيد الكفرة بالله
ورسوله ثم الرافضة الذين يتنقصون
الصحابة ويعيبونهم بما قد برأهم
الله منه ويصفونهم بنقيض ما أخبر
الله عنهم فإن الله عز وجل قد أخبر
أنه قد رضي عن المهاجرين والأنصار
ومدحهم وهؤلاء الجهلة الأغبياء
يسبونهم ويتنقصونهم ويذكرون
عنهم ما لم يكن ولا فعلوه أبداً فهم في
الحقيقة منكوسو القلوب يذمون
الممدوحين ويمدحون المذمومين
وقال أبو داود حدثنا القعنبي حدثنا
عبد العزيز يعني ابن محمد عن العلاء
عن أبيه عن أبي هريرة أنه قيل
يا رسول الله ما الغيبة قال ذكرك
أخاك بما يكره قيل أفرأيت إن كان
في أخي ما أقول قال إن كان فيه
ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه
ما تقول فقد بهته وهكذا رواه
الترمذي عن قتيبة عن الدراوردي
به ثم قال حسن صحيح وقد قال ابن
أبي حاتم حدثنا أحمد بن سلمة حدثنا
أبو كريب حدثنا معاوية بن هشام
عن عمار بن أنس عن ابن أبي مليكة
عن عائشة قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لأصحابه أي الربا
أربى عند الله قالوا الله ورسوله أعلم
قال أربى الربا عند الله استحلال عرض امرئ مسلم ثم قرأ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً
مبيناً (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً
رحيماً لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً ملعونين أينما
ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً) يقول تعالى آمراً رسوله صلى الله عليه وسلم
تسليماً أن يأمر النساء المؤمنات خاصة أزواجه وبناته لشرفهن بأن يدنين عليهن من جلابيبهن ليتميزن عن سمات نساء الجاهلية

أي أنزلناه بسبب الحق وإثباته وإظهاره أو متلبسين بالحق أو متلبساً أو داعية الحق
واقتضائه للإنزال والمراد كل ما فيه من إثبات التوحيد والنبوة والمعاد وأنواع
التكاليف قال مقاتل يقول لم ننزله باطلاً لغير شيء وهذا ليس بتكرار لأن الأول كالعنوان
للكتاب والثاني لبيان ما في الكتاب أو المراد بالثاني هو الأول وإظهاره لتعظيمه ومزيد
الاعتناء بشأنه (فاعبد الله مخلصاً له الدين) الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أي مخلصاً له
الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر والإخلاص أن يقصد العبد بعمله وجه
الله سبحانه والدين العبادة والطاعة ورأسها توحيد الله وأنه لا شريك له وفي الآية دليل
على وجوب النية وإخلاصها عن الشوائب لأن الإخلاص من الأمور القلبية التي
لا تكون إلا بأعمال القلب وقد جاءت السنة الصحيحة أن ملاك الأمر في الأقوال والأفعال
النية كما في حديث إنما الأعمال بالنيات وحديث لا قول ولا عمل إلا بنية (ألا لله
الدين الخالص) مستأنفة مقررة لما قبلها من الأمر بالإخلاص أي أن الدين الخالص
من شوائب الشرك وغيره هو لله وما سواه من الأديان فليس بدين الله الخالص الذي
أمر به قال قتادة الدين الخالص شهادة أن لا إله إلا الله وقد أخرج ابن مردويه عن يزيد
الرقاشي أن رجلاً قال يا رسول الله إنا نعطي أموالنا التماس الذكر فهل لنا في ذلك من أجر
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا قال يا رسول الله إنا نعطي التماس الأجر والذكر
فهل لنا أجر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الله لا يقبل إلا ما أخلص له ثم تلا
هذه الآية وقال الحسن الدين الإسلام ولما أمر سبحانه بعبادته على وجه
الإخلاص وأن الدين الخالص له لا لغيره بين بطلان الشرك الذي هو مخالف للإخلاص
فقال (والذين اتخذوا من دونه أولياء) الموصول عبارة عن المشركين ومحله الرفع على
الابتداء وخبره قوله إن الله يحكم بينهم وجملة (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) في محل
نصب على الحال بتقدير القول والاستثناء مفرغ من أعم العلل والمعنى والذين لم يخلصوا
العبادة لله بل شابوها بعبادة غيره قائلين ما نعبدهم لشيء من الأشياء إلا ليقربونا إلى الله
تقريباً فالزلفى اسم أقيم مقام المصدر والضمير في نعبدهم راجع إلى الأشياء التي كانوا
يعبدونها من الملائكة وعيسى والأصنام وهم المرادون بالأولياء والمراد بالزلفى الشفاعة
كما حكاه الواحدي عن المفسرين قال قتادة كانوا إذا قيل لهم من ربكم وخالقكم ومن

وسمات الإماء والجلباب هو الرداء فوق الخمار قاله ابن مسعود وعبيدة والحسن البصري وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي وعطاء الخراساني وغير واحد وهو بمنزلة الإزار اليوم قال الجوهري الجلباب الملحفة قالت امرأة من هذيل ترثي قتيلا لها

تمشي النسور إليه وهي لاهية * مشي العذارى عليهن الجلابيب

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤسهن بالجلابيب ويبدين عينا واحدة وقال محمد بن سيرين سألت عبيدة السلماني عن قول الله عز وجل يدنين (١٣٤) عليهن من جلابيبهن فغطى وجهه ورأسه وأبرز عينه اليسرى وقال عكرمة تغطي ثغرة نحرها بجلبابها تدنيه عليها وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبد الله الطهراني فيما كتب إلي حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن خثيم عن صفية بنت شيبة عن أم سلمة قالت لما نزلت هذه الآية يدنين عليهن من جلابيبهن خرج نساء الأنصار كأن على رؤسهن الغربان من السكينة وعليهن أكسية سود يلبسنها وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو صالح حدثني الليث حدثنا يونس بن يزيد قال وسألناه يعني الزهري هل على الوليدة خمار متزوجة أو غير متزوجة قال عليها الخمار إن كانت متزوجة وتنهى عن الجلباب لأنه يكره لهن أن يتشبهن بالحرائر المحصنات وقد قال الله تعالى يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن وروي عن سفيان الثوري أنه قال لا بأس بالنظر إلى زينة نساء أهل الذمة وإنما نهي عن ذلك لخوف الفتنة لا لحرمتهن واستدل بقوله تعالى ونساء المؤمنين وقوله ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين أي إذا فعلن ذلك عرفن أنهن حرائر لسن بإماء ولا عواهر قال السدي في قوله تعالى يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين قال كان ناس من فساق أهل المدينة يخرجون بالليل حين يختلط الظلام إلى طرق المدينة فيعرضون للنساء وكانت مساكن أهل المدينة ضيقة فإذا كان الليل خرج النساء إلى الطرق يقضين حاجتهن فكان أولئك الفساق يبتغون ذلك منهن فإذا رأوا المرأة عليها جلباب قالوا هذه حرة فكفوا عنها وإذا رأوا المرأة ليس عليها جلباب قالوا هذه أمة فوثبوا عليها وقال مجاهد يتجلببن فيعلم أنهن حرائر فلا يتعرض لهن فاسق بأذى ولا ريبة وقوله

خالق السموات والأرض ومن أنزل من السماء ماء قالوا الله فيقال لهم ما معنى عبادتكم للأصنام قالوا ليقربونا إلى الله زلفى ويشفعوا لنا عنده قال الكلبي جواب هذا الكلام قوله في سورة الأحقاف فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة (إن الله يحكم بينهم) أي بين أهل الأديان يوم القيامة فيجازي كلا بما يستحقه فيدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار وقيل بين المخلصين للدين وبين الذين لم يخلصوا وحذف الأول لدلالة الحال عليه وقيل بين المتنازعين من الفريقين (فيما هم فيه يختلفون) أي في الذي اختلفوا فيه من الدين بالتوحيد والشرك فإن كل طائفة تدعي أن الحق معها (إن الله لا يهدي) أي لا يرشد لدينه ولا يوفق للاهتداء إلى الحق (من هو كاذب) في زعمه أن الآلهة تقربه إلى الله (كفار) أي كفر باتخاذها آلهة وجعلها شركاء لله لأنه فاقد للبصيرة غير قابل للاهتداء لتغييره الفطرة بالتمرن في الضلال والتمادي في الغي والجملة تعليل لما ذكر من حكمه والكفار صيغة المبالغة تدل على أن كفر هؤلاء قد بلغ إلى الغاية وقرأ الحسن والأعرج كذاب على صيغة المبالغة ككفار ورويت هذه عن أنس (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى) هذا مقرر لما سبق من إبطال قول المشركين بأن الملائكة بنات الله لتضمنه استحالة الولد في حقه سبحانه على الإطلاق فلو أراد أن يتخذ ولدا لامتنع اتخاذ الولد حقيقة ولم يتأت ذلك إلا بأن يصطفي (مما يخلق) أي يختار من جملة خلقه (ما يشاء) أن يصطفيه إذ لا موجود سواه إلا وهو مخلوق له ولا يصح أن يكون المخلوق ولدا للخالق لعدم المجانسة بينهما فلم يبق إلا أن يصطفيه عبدا كما يفيده التعبير بالاصطفاء مكان الاتخاذ فمعنى الآية لو أراد أن يتخذ ولدا لوقع منه شيء ليس هو من اتخاذ الولد بل إنما هو من الاصطفاء لبعض مخلوقاته ولهذا نزه سبحانه نفسه عن اتخاذ الولد على الإطلاق فقال (سبحانه) أي تنزيها له عن ذلك وجملة (هو الله الواحد) مبينة لتنزهه بحسب الصفات بعد تنزهه بحسب الذات أي هو المستجمع لصفات الكمال المتوحد في ذاته فلا مماثل له (القهار) لكل مخلوقاته ومن كان متصفا بهذه الصفات استحال وجود الولد في حقه لأن الولد مماثل لوالده ولا مماثل له سبحانه ومثل هذه الآية قوله سبحانه لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا والآية إشارة إلى قياس استثنائي حذفت صغراه ونتيجته تقريرهما لكمال

تعالى وكان الله غفورا رحيما أي لما سلف في أيام الجاهلية حيث لم يكن عندهن علم بذلك ثم قال تعالى متوعدا للمنافقين وهم الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر والذين في قلوبهم مرض قال عكرمة وغيره هم الزناة ههنا والمرجفون في المدينة يعني الذين يقولون جاء الأعداء وجاءت الحروب وهو كذب وافتراء لئن لم ينتهوا عن ذلك ويرجعوا إلى الحق لنغرينك بهم قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي لنسلطنك عليهم وقال قتادة لنحرشنك بهم وقال السدي لنعلمنك بهم ثم لا يجاورونك فيها أي في المدينة إلا قليلا ملعونين حال منهم في مدة إقامتهم في المدينة مدة قريبة مطرودين مبعدين أينما ثقفوا أي وجدوا أخذوا لذلتهم وقلتهم وقتلوا تقتيلا ثم قال تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل أي هذه سنته في المنافقين إذا تمردوا على نفاقهم وكفرهم ولم يرجعوا عما هم فيه أن أهل الإيمان يسلطون عليهم ويقهرونهم ولن تجد لسنة الله تبديلا أي وسنة الله في ذلك لا تبدل ولا تغير (يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا) يقول تعالى مخبرا لرسوله صلوات الله وسلامه عليه أنه لا علم له بالساعة وإن سأله الناس عن ذلك وأرشده أن يرد علمها إلى الله عز وجل كما قال الله تعالى في سورة الأعراف وهي مكية وهذه مدنية فاستمر الحال في رد علمها إلى الذي يقيمها لكن أخبره أنها قريبة بقوله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا كما قال تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وقال اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون وقال أتى أمر الله فلا تستعجلوه ثم قال إن الله لعن الكافرين أي أبعدهم من رحمته وأعد لهم سعيرا أي في الدار الآخرة خالدين فيها أي ماكثين مستمرين فلا خروج لهم منها ولا زوال لهم عنها لا يجدون وليا ولا نصيرا أي وليس لهم مغيث ولا معين ينقذهم مما هم فيه ثم قال يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا أي يسحبون في النار على وجوههم وتلوى وجوههم على جهنم يقولون وهم كذلك يتمنون لو كانوا في الدار الدنيا ممن أطاع الله وأطاع الرسول كما أخبر الله عنهم في حال

يصطفي أي لم يتخذ ولدا غير من قالوا في شأنه إنه ابن الله وهذا النفي باعترافهم شامل لسائر الخلائق فلم يرد اتخاذ الولد تأمل ثم لما ذكر سبحانه كونه منزها عن الولد بكونه إلها واحدا قهارا ذكر ما يدل على ذلك من صفاته فقال (خلق السموات والأرض بالحق) أي لم يخلقهما باطلا لغير شيء ومن كان هذا الخلق العظيم خلقه استحال أن يكون له شريك أو صاحبة أو ولد ثم بين كيفية تصرفه في السموات والأرض فقال (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) التكوير في اللغة طرح الشيء بعضه على بعض يقال كور المتاع إذا ألقى بعضه على بعض ومنه كور العمامة فمعنى تكوير الليل على النهار تغشيته إياه حتى يذهب ضوؤه ومعنى تكوير النهار على الليل تغشيته إياه حتى تذهب ظلمته وهو معنى قوله تعالى يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا هكذا قال قتادة وغيره وقال الضحاك أي يلقي هذا على هذا وهذا على هذا وهو مقارب للقول الأول وقيل معنى الآية أن ما نقص من الليل دخل في النهار وما نقص من النهار دخل في الليل وهو معنى قوله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ومنتهى النقصان تسع ساعات ومنتهى الزيادة خمس عشرة ساعة وقيل المعنى أن هذا يكر على هذا وهذا يكر على هذا كرورا متتابعا قال الراغب تكوير الشيء إدارته وضم بعضه على بعض ككور العمامة اه وقيل التكوير اللف واللي وقال ابن عباس يكور يحمل والإشارة بهذا التكوير المذكور في الآية إلى جريان الشمس في مطالعها وانتقاص الليل والنهار وازديادهما قال الرازي إن النور والظلمة عسكران عظيمان وفي كل يوم يغلب هذا ذاك وذاك هذا ثم ذكر تسخيره لسلطان النهار وسلطان الليل وهما الشمس والقمر فقال (وسخر الشمس والقمر) أي جعلهما منقادين لأمره بالطلوع والغروب لمنافع العباد ثم بين كيفية هذا التسخير فقال (كل يجري لأجل مسمى) أي يجري في فلكه إلى أن تنصرم الدنيا وذلك يوم القيامة وقد تقدم الكلام على الأجل المسمى بجريهما مستوفى في سورة يس (ألا هو العزيز الغفار) ألا حرف تنبيه وتصدير الجملة بها لإظهار كمال الاعتناء بمضمونها والمعنى تنبهوا أيها العباد فالله هو الغالب الساتر لذنوب خلقه بالمغفرة ثم بين سبحانه نوعا آخر من قدرته وبديع صنعته فقال (خلقكم من نفس واحدة) وهي نفس آدم (ثم جعل منها زوجها) جاء بثم للدلالة على ترتب خلق حواء

المرجان تقول ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا وقال تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وهكذا أخبر عنهم في حالهم هذه أنهم يودون أن لو كانوا أطاعوا الله وأطاعوا الرسول في الدنيا (وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا) وقال طاوس سادتنا يعني الأشراف وكبراءنا يعني العلماء رواه ابن أبي حاتم أي اتبعنا السادة وهم الامراء والكبراء من المشيخة وخالفنا الرسل واعتقدنا أن عندهم شيئا وأنهم على شيء فإذا هم ليسوا على شيء (ربنا آتهم ضعفين من العذاب) أي بكفرهم وإغوائهم إيانا (والعنهم لعنا كبيرا) قرأ بعض القراء بالباء الموحدة وقرأ آخرون بالثاء المثلثة وهما قريبا المعنى كما في حديث عبد الله بن عمرو أن أبا بكر قال يا رسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي قال قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم أخرجاه في الصحيحين يروى كثيرا وكبيرا وكلاهما بمعنى صحيح واستحب بعضهم أن يجمع الداعي بين اللفظين في دعائه وفي ذلك نظر بل الأولى أن يقول هذا تارة وهذا تارة كما أن القارئ مخير بين القراءتين أيتهما قرأ أحسن وليس له الجمع بينهما والله أعلم وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا ضرار بن صرد حدثنا علي بن هشام عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه في تسمية من شهد مع علي رضي الله عنه الحجاج بن عمرو بن غزية وهو الذي كان يقول عند اللقاء يا معشر الأنصار أتريدون أن تقولوا لربنا إذا لقيناه ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها) قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا إسحق بن إبراهيم حدثنا روح بن عبادة حدثنا عوف عن الحسن ومحمد وخلاس عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن موسى كان رجلا حييا وذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها هكذا أورد هذا الحديث ههنا مختصرا جدا وقد رواه في أحاديث الأنبياء بهذا السند بعينه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن موسى عليه السلام كان رجلا حييا

على خلق آدم وتراخيه عنه لأنها خلقت منه والعطف إما على مقدر وهو صفة لنفس قال الفراء والزجاج التقدير خلقكم من نفس خلقها واحدة ثم جعل منها زوجها ويجوز أن يكون العطف على معنى واحدة أي من نفس انفردت بالايجاد ثم جعل الخ والتعبير بالجعل دون الخلق مع العطف بثم للدلالة على أن خلق حواء من ضلع آدم أدخل في كونه آية باهرة دالة على كمال القدرة لأن خلق آدم هو على عادة الله المستمرة في خلقه وخلقها على الصفة المذكورة لم تجر به عادة لكونه لم يخلق سبحانه أنثى من ضلع رجل غيرها وقد تقدم تفسير هذه الآية مستوفى في سورة الأعراف ثم بين سبحانه نوعا آخر من قدرته الباهرة وأفعاله الدالة على ما ذكر فقال (وأنزل لكم من الأنعام) عبر بالانزال لما يروى أنه خلقها في الجنة ثم أنزلها فيكون الانزال حقيقة كما قيل في قوله وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد فإن آدم لما أهبط إلى الأرض أنزل معه الحديد ويحتمل أن يكون مجازا لأنها لما لم تعش إلا بالنبات والنبات إنما يعيش بالماء والماء منزل من السماء كانت الأنعام كأنها منزلة لأن سبب سببها منزل وهذا يسمى التدريج ومنه قوله تعالى قد أنزلنا عليكم لباسا وقيل إن أنزل بمعنى أنشأ وجعل أو بمعنى أعطى وقيل جعل الخلق إنزالا لأن الخلق إنما يكون بأمر ينزل من السماء (ثمانية أزواج) هي ما في قوله من الإبل اثنين ومن البقر اثنين ومن الضأن اثنين ومن المعز اثنين ويعني بالاثنين في الأربعة المواضع الذكر والأنثى والزوج ما معه آخر من جنسه أو حقه ويحصل منهما النسل فيطلق لفظ الزوج على المفرد إذا كان معه آخر من جنسه لا ينفك عنه ويحصل منهما النسل وكذا يطلق على الاثنين فهو مشترك والمراد هنا الاطلاق الأول وقد تقدم تفسير هذه الآية في سورة الأنعام ثم بين سبحانه نوعا آخر من قدرته البديعة فقال (يخلقكم في بطون أمهاتكم) قرأ حمزة بكسر الهمزة والميم وقرأ الكسائي بكسر الهمزة وفتح الميم وقرأ الباقون بضم الهمزة وفتح الميم وإنما قال في بطون أمهاتكم مع أن الانسان والحيوان مشترك في هذا الخلق لتغليب من يعقل ولشرف الانسان على سائر الخلق (خلقا) كائنا (من بعد خلق) الجملة استئنافية لبيان ما تتضمنه من الأطوار المختلفة في خلقهم وخلقا مصدر مؤكد للفعل المذكور ومن بعد خلق صفة له قال قتادة والسدي نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم لحما وقال ابن زيد خلقكم خلقا في بطون أمهاتكم من بعد خلقكم في ظهر آدم (في ظلمات ثلاث) هي ظلمة البطن وظلمة

الرحم

الرحم وطلمة المشيمة قاله مجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك وقال سعيد بن جبير ظلمة المشيمة وظلمة الرحم وظلمة الليل وقال أبو عبيدة ظلمة صلب الرجل وظلمة بطن المرأة وظلمة الرحم والرحم داخل البدن والمشيمة داخل الرحم قال ابن الاعرابي يقال لما يكون فيه الولد المشيمة والكيس والغلاف والجمع مشيم بحذف الهاء ومشايم ويقال لها من غيره السلى والاشارة بقوله (ذلكم الله ربكم) اليه سبحانه باعتبار افعاله السابقة والاسم الشريف خبره وربكم خبر آخر (له الملك) الحقيق في الدنيا والآخرة لاشركة لغيره فيه وهو خبر ثالث وقوله (لا اله الا هو) خبر رابع (فأنى تصرفون) أي فكيف تصرفون عن عبادته وتنقلبون عنها الى عبادة غيره أو تصرفون عن طريق الحق بعد هذا البيان ولما ذكر سبحانه النعم التي أنعم بها على عباده وبين لهم من بديع صنعه وعجيب فعله ما يوجب على كل عاقل ان يؤمن به عقبه بقوله (ان تكفروا فان الله غني عنكم) أي غير محتاج اليكم ولا الى ايمانكم ولا الى عبادتكم له فانه الغني المطلق (و) مع كون كفر الكافر لا يضره كما انه لا ينفعه ايمان المؤمن فهو أيضا (لا يرضى لعباده الكفر) أي لا يرضى لاحد من عباده الكفر ولا يحبه ولا يأمر به ولا يفعل فعل الراضي بان يأذن فيه ويقر عليه ويثيب فاعله ويمدحه بل يفعل فعل الساخط بان ينهى عنه ويذم عليه ويعاقب مرتكبه وان كان بارادته اذ لا يخرج شيء عنها قال أبو السعود عدم رضاه بكفر عباده لاجل منفعتهم ودفع مضرتهم رحمة عليهم لا لتضرره تعالى به انتهى ومثل هذه الآية قوله ان تكفروا أنتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد ومثلها ما ثبت في صحيح مسلم من قوله صلى الله عليه وآله وسلم يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على قلب أفجر رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيأ وقد اختلف المفسرون في هذه الآية هل هي على عمومها وان الكفر غير مرضي لله سبحانه على كل حال كما هو الظاهر أو هي خاصة والمعنى لا يرضى لعباده المؤمنين الكفر وقد ذهب الى التخصيص حبر الامة ابن عباس رضي الله تعالى عنه وتابعه على ذلك عكرمة والسدي وغيرهما ثم اختلفوا في الآية اختلافا آخر فقال قوم انه يريد كفر الكافر ولا يرضاه وقال الآخرون انه لا يريده ولا يرضاه والكلام في تحقيق مثل هذا يطول جدا وقد استدل القائلون بتخصيص هذه الآية والمثبتون للارادة مع عدم الرضا بما ثبت في آيات كثيرة من الكتاب

ستيرا لا يرى من جلده شئ استحياء منه فآذاه من آذاه من بني اسرائيل فقالوا ما يتستر هذا التستر الا من عيب في جلده اما برص واما أدرة واما آفة وان الله عز وجل أراد ان يبرئه مما قالوا لموسى عليه السلام فخلا يوما وحده فخلع ثيابه على حجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل الى ثيابه ليأخذها وان الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى الى ملا من بني اسرائيل فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله عز وجل وابرأه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بعصاه فوالله ان بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثا أو أربعا أو خمسا قال فذلك قوله تعالى يا أيها (١٣٧) الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها وهذا سياق حسن مطول وهذا الحديث من أفراد البخاري دون مسلم وقال الامام احمد حدثنا روح حدثنا عوف عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم وخلاس ومحمد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى كان رجلا حييا ستيرا لا يكاد يرى من جلده شئ استحياء منه ثم ساق الحديث كما رواه البخاري مطولا ورواه عنه في تفسيره عن روح عن عوف به ورواه ابن جرير من حديث الثوري عن جابر الجعفي عن عامر الشعبي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو هذا وهكذا رواه من حديث سليمان بن مهران الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير وعبد الله بن الحرث عن ابن عباس في قوله لا تكونوا كالذين آذوا موسى قال قال قومه له انك آدر فخرج ذات يوم يغتسل فوضع ثيابه على صخرة فخرجت الصخرة تشتد بثيابه وخرج يتبعها عريانا حتى انتهت به مجالس بني اسرائيل قال فرأوه ليس بآدر فذلك قوله فبرأه الله مما قالوا وهكذا رواه العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما سواء وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا روح بن حاتم وأحمد بن المعلى الادمي قالا حدثنا يحيى بن حماد حدثنا حماد بن سلمة عن علي ابن زيد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان موسى عليه السلام رجلا حييا وانه أتى أحسبه قال الماء ليغتسل فوضع ثيابه على صخرة وكان لا يكاد تبدو عورته فقال بنو اسرائيل ان موسى آدر أو به آفة يعنون انه لا يضع ثيابه فاحتملت الصخرة

ثيابه حتى صارت بحذاء مجالس بني اسرائيل فنظروا الى موسى كأحسن الرجال أو كما قال وذلك قوله فبرأه الله مما قالوا وكان عند
الله وجيها وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد بن العوام عن سفيان بن حسين عن الحكم عن سعيد
ابن جبير عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم في قوله فبرأه الله مما قالوا قال صعد موسى وهرون الجبل فمات هرون
عليه السلام فقال بنو اسرائيل لموسى عليه السلام أنت قتلته كان ألين لنا منك وأشد حياء فآذوه من ذلك فأمر الله الملائكة فحملته
فمروا به على مجالس بني اسرائيل فتكلمت (١٣٨) بموته فما عرف موضع قبره الا الرخم وان الله جعله أصم أبكم وهكذا رواه ابن
جرير عن علي بن موسى الطوسي عن عباد بن العوام به ثم قال وجائز أن يكون هذا هو المراد بالأذى وجائز أن يكون الأول هو المراد فلا قول أولى من قول الله عز وجل (قلت) يحتمل أن يكون الكل مرادا وأن يكون معه غيره والله أعلم قال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن شقيق عن عبد الله قال قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قسما فقال رجل من الأنصار ان هذه القسمة ما أريد بها وجه الله قال فقلت يا عدو الله أما لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فاحمر وجهه ثم قال رحمة الله على موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر أخرجاه في الصحيحين من حديث سليمان بن مهران الأعمش به طريق أخرى حدثنا حجاج سمعت اسرائيل ابن يونس عن الوليد بن أبي هشام مولى همدان عن زيد بن زائد عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه لا يبلغني أحد من أصحابي
عن أحد شيئا فاني أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مال
فقسمه قال فمررت برجلين وأحدهما يقول لصاحبه والله ما أراد محمد بقسمته وجه الله ولا الدار الآخرة قال فثبت حتى سمعت ما قالا
ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله انك قلت لنا لا يبلغني أحد عن أصحابي شيئا واني مررت بفلان وفلان
وهما يقولان كذا وكذا فاحمر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وشق عليه ثم قال دعنا منك لقد أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر
وقد رواه أبو داود في الأدب عن محمد بن يحيى الذهلي عن محمد بن يوسف الفريابي عن اسرائيل عن الوليد بن أبي هشام به مختصرا

العزيز انه سبحانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء وما تشاؤن الا أن يشاء الله ونحو هذا مما
يؤدي معناه كثير في الكتاب العزيز قال ابن عباس في قوله ان تكفروا الخ يعني الكفار
الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم فيقولون لا اله الا الله ثم قال ولا يرضى لعباده الكفر وهم
عباده المخلصون الذين قال ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فألزمهم شهادة أن لا اله الا
الله وحببها اليهم أخرجه ابن جرير فيكون عاما في اللفظ خاصا في المعنى كقوله عينا يشرب
بها عباد الله يريد بعض العباد وقال عكرمة لا يرضى لعباده المسلمين الكفر وعن قتادة قال
والله ما رضي الله لعبد ضلالة ولا أمره بها ولا دعاه اليها ولكن رضي لكم طاعته وأمركم
بها ونهاكم عن معصيته ثم لما ذكر سبحانه انه لا يرضى لعباده الكفر بين انه يرضى لهم
الشكر فقال (وان تشكروا يرضه لكم) أي يرضى لكم الشكر المدلول عليه بقوله وان
تشكروا أي يثبكم عليه وانما رضي لهم سبحانه الشكر لانه سبب سعادتهم في الدنيا والآخرة
كما قال سبحانه ولئن شكرتم لأزيدنكم قرئ باسكان الهاء من يرضه وبضمها وقرئ باشباع
الضمة على الهاء واختلاس الباقون والقراآت كلها سبعية (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أي
لا تحمل نفس حاملة للوزر حمل نفس أخرى وهذا بيان لعدم سراية كفر الكافر لغيره أصلا
وقد تقدم تفسير هذه الآية مستوفى (ثم الى ربكم مرجعكم) يوم القيامة (فينبئكم بما
كنتم تعملون) من خير وشر وفيه تهديد شديد (انه عليم بذات الصدور) أي بما تضمره
القلوب وتستره فكيف بما تظهره وتبديه وهذا تعليل للتنبئة بالأعمال (واذا مس
الانسان ضر) أي ضر كان في جسمه أو ماله أو أهله أو ولده من بلاء ومرض أو فقر
أو خوف أو شدة لان اللفظ مطلق فلا معنى لتقييده والمس في الأعراض مجاز وجواب اذا
قوله (دعا ربه منيبا اليه) أي راجعا اليه مستغيثا به في دفع ما نزل به تاركا لما كان يدعوه
ويستغيث به من ميت أو حي أو صنم أو غير ذلك في حال الرخاء لعلمه بأنها بمعزل عن القدرة
على كشف ضره (ثم اذا خوله نعمة منه) أي أعطاه وملكه يقال خوله الشيء أي ملكه اياه
ولا يستعمل في الجزاء بل في ابتداء العطية (نسي ما كان يدعو اليه من قبل) أي نسي الضر
الذي كان يدعو الله الى كشفه عنه من قبل أن يخوله ما خوله وقيل نسي الدعاء الذي كان
يتضرع به وتركه أو نسي ربه الذي كان يدعوه ويتضرع اليه ثم جاوز ذلك الى الشرك بالله وهو

معنى

لايبلغنى أحد عن أحد شيأ انى أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر وكذا رواه الترمذى فى المناقب عن الذهلى سواء الا أنه قال زيد بن زائدة ورواه أيضا عن محمد بن اسمعيل عن عبد الله بن محمد عن عبيد الله بن موسى وحسين بن محمد كلاهما عن اسرائيل عن السدى عن الوليد بن أبى هشام به مختصرا أيضا فزاد فى اسناده السدى ثم قال غريب من هذا الوجه وقوله تعالى وكان عند الله وجيها أى له وجاهة وجاه عند ربه عز وجل قال الحسن البصرى كان مستجاب الدعوة عند الله وقال غيره من السلف لم يسأل الله شيأ الا أعطاه ولكن منع الرؤية لما يشاء الله عز وجل وقال بعضهم من وجاهته العظيمة عند الله انه شفع فى أخيه هرون أن يرسله الله معه فأجاب الله سؤاله فقال ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين بتقواه وان يعبدوه عبادة من كانه يراه وان يقولوا قولا سديدا اى مستقيما لا اعوجاج فيه ولا انحراف ووعدهم انهم اذا فعلوا ذلك أثابهم عليه بان يصلح لهم أعمالهم أى يوفقهم للاعمال الصالحة وان يغفر لهم الذنوب الماضية وما قد يقع منهم فى المستقبل يلهمهم التوبة منها ثم قال تعالى ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما وذلك انه يجار من نار الجحيم ويصير الى النعيم المقيم قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عمرو بن عزف حدثنا خالد عن ليث عن أبى بردة عن أبى موسى الاشعرى قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر فلما انصرف أومأ الينا بيده فجلسنا فقال ان الله تعالى أمرنى أن آمركم أن تتقوا الله وتقولوا قولا سديدا ثم أتى النساء فقال ان الله أمرنى أن آمركن أن تتقين الله وتقلن قولا سديدا وقال ابن ابى الدنيا فى كتاب التقوى حدثنا محمد بن عباد بن موسى حدثنا عبد العزيز بن عمران الزهرى حدثنا عيسى بن سبرة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر الا سمعته يقول يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا الآية غريب جدا وروى عبد الرحيم بن زيد العمى عن أبيه عن محمد بن كعب عن ابن عباس موقوفا من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله قال عكرمة القول السديد لا اله الا الله وقال غيره السديد الصدق وقال مجاهد هو السداد وقال غيره هو الصواب والكل حق (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين

معنى قوله (وجعل لله أندادا) أى شركاء من الاصنام أو غيرها يستغيث بها ويعبدها وقال السدى يعنى أندادا من الرجال يعتمد عليهم فى جميع اموره (ليضل عن سبيله) أى ليضل الناس عن طريق الله التى هى الاسلام والتوحيد قرأ الجمهور بضم الياء وقرئ بفتحها وهما سبعيتان واللام للعاقبة ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يهدد من كان متصفا بتلك الصفة فقال (قل تمتع بكفرك قليلا) أى تمتعا قليلا أو زمانا قليلا فمتاع الدنيا قليل قال الزجاج لفظه لفظ الامر ومعناه التهديد والوعيد وفيه اشعار بان الكفر نوع تشه لاسند له واقناط للكافرين من التمتع فى الآخرة ولذلك علله بقوله (انك من أصحاب النار) على سبيل الاستئناف للمبالغة أى مصيرك اليها عن قريب وانك ملازمها ومعدود من أهلها على الدوام وهو تعليل لقلة التمتع وفيه من التهديد أمر عظيم قيل نزلت فى عتبة ابن ربيعة وقيل فى أبى حذيفة المخزومى وقيل هو عام فى كل كافر وهو الاوفق بقواعد الشريعة ثم لما ذكر سبحانه صفات المشركين وتمسكهم بغير الله عند اندفاع المكروهات عنهم ذكر صفات المؤمنين فقال (أمن هو قانت) هذا الى آخره من تمام الكلام المأمور به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى أذلك الكافر أحسن حالا ومآلا أمن هو قائم بطاعات الله فى السراء والضراء فى ساعات الليل مستمر على ذلك غير مقتصر على دعاء الله سبحانه عند نزول الضر به قرئ أمن بالتشديد وبالتخفيف فعلى القراءة الاولى ام داخلة على من الموصولة وأدغمت الميم فى الميم وأم هى المتصلة ومعادلها محذوف أى الكافر خير ام الذى هو قانت وقيل هى المنقطعة مقدرة ببل والهمزة أى بل أمن هو قانت كالكافر وعلى الثانية الهمزة للاستفهام والاستفهام للتقرير ومقابله محذوف أى أمن هو قانت كمن كفر وقال الفراء ان الهمزة فى هذه القراءة للنداء ومن منادى وهى عبارة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم المأمور بقوله قل تمتع بكفرك قليلا والتقدير يا من هو قانت قل كيت وكيت وقيل التقدير يا من هو قانت انك من أصحاب الجنة ومن القائلين بان الهمزة للنداء الفراء وضعف ذلك أبو حيان وقال هو أجنبى عما قبله وعما بعده وقد سبقه الى هذا التضعيف أبو على الفارسى واعترض على هذه القراءة من أصلها أبو حاتم والاخفش ولا وجه لذلك فانها اذا ثبتت الرواية بطلت الدراية وقد اختلف فى تفسير القانت هنا فقيل المطيع وقيل الخاشع أو القائم فى صلاته وقيل الداعى لربه قال النحاس أصل القنوت

والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما) قال العوفى عن ابن عباس يعنى بالامانة الطاعة عرضها عليهم قبل ان يعرضها على آدم فلم يطقنها فقال لآدم انى قد عرضت الامانة على السموات والارض والجبال فلم يطقنها فهل أنت آخذ بما فيها قال يارب وما فيها قال ان أحسنت جزيت وان أسأت عوقبت فأخذها آدم فتحملها فذلك قوله تعالى وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا وقال على بن ابى طلحة عن ابن عباس الامانة الفرائض عرضها الله على السموات والارض والجبال ان أدوها أثابهم وان ضيعوها عذبهم فكرهوا ذلك وأشفقوا من غير معصية ولكن تعظيما لدين الله أن لا يقوموا بها ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها وهو قوله تعالى وحملها لانسان انه كان ظلوما جهولا يعنى غرا بأمر الله وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن ابى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال فى هذه الآية انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملها قال عرضت على آدم فقال خذها بما فيها فان اطعت غفرت لك وان عصيت عذبتك قال قبلت فما كان الا مقدار ما بين العصر الى الليل من ذلك اليوم حتى أصاب الخطيئة وقد روى الضحاك عن ابن عباس قريبا من هذا وفيه نظر وانقطاع بين الضحاك وبينه والله أعلم وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك والحسن البصرى وغير واحد ان الامانة هى الفرائض وقال آخرون هى الطاعة وقال الاعمش عن أبى الضحى عن مسروق قال قال أبى بن كعب من الامانة ان المرأة اؤتمنت على فرجها وقال قتادة الامانة الدين والفرائض والحدود وقال بعضهم الغسل من الجنابة وقال مالك عن زيد بن أسلم قال الامانة ثلاثة لا الصلاة والصوم والاغتسال من الجنابة وكل هذه الاقوال لا تنافى بينها بل هى متفقة وراجعة الى انها التكليف وقبول الاوامر والنواهى بشرطها وهو انه ان قام بذلك أثيب وان تركها عوقب فقبلها الانسان على ضعفه وجهله وظلمه الا من وفق الله وبالله المستعان قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عبد العزيز بن المغيرة البصرى حدثنا حماد بن واقد يعنى أبا عمر الصفار سمعت أبا معمر يعنى عون بن معمر يحدث عن الحسن يعنى البصرى انه تلا هذه الآية انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال قال عرضها على السبع الطباق الطرائق التى زينت بالنجوم وحملة العرش العظيم فقيل لها هل تحملين الامانة وما فيها

الطاعة فكل ما قيل فيه فهو داخل فى الطاعة (آناء الليل) جمع انى بكسر الهمزة والقصر كمعى وامعاء وقيل واحدها أنو يقال مضى من الليل أنيان وأنوان والمراد بآناء الليل ساعاته وأوقاته وقيل جوفه وقيل ما بين المغرب والعشاء وقيل أوله وأوسطه وآخره (ساجدا وقائما) منصوبان على الحال أى جامعا بين السجود والقيام فى الصلاة وقدم السجود على القيام لكونه ادخل فى العبادة والآية دلت على ترجيح قيام الليل على النهار وانه أفضل منه وذلك لان الليل أستر فيكون أبعد عن الرياء ولان ظلمة الليل تجمع الهم وتمنع البصر عن النظر الى الاشياء واذا صار القلب فارغا عن الاشتغال بالاحوال الخارجية رجع الى المطلوب الاصلى وهو الخشوع فى الصلاة ومعرفة من يصلى له وقيل لان الليل وقت النوم ومظنة الراحة فيكون قيامه أشق على النفس فيكون الثواب فيه أكثر قال ابن عباس من أحب ان يهون الله عليه الوقوف يوم القيامة فليره الله فى ظلمة الليل ذكره القرطبى (يحذر الآخرة) أى يحذر عذاب الآخرة قاله سعيد بن جبير ومقاتل (ويرجو رحمة ربه) فيجمع بين الرجاء والخوف وما اجتمعا فى قلب رجل الا فاز قيل وفى الكلام حذف تقديره كمن لا يفعل شيأ من ذلك كما يدل عليه السياق قيل الرحمة هنا المغفرة وقيل الجنة وهذا يدل على ان جانب الرجاء أكمل وأولى ان ينسب الى الله تعالى وعن ابن عمر انه تلا هذه الآية وقال ذاك عثمان بن عفان وفى لفظ نزلت فى عثمان بن عفان وعن ابن عباس قال نزلت فى عمار بن ياسر وأخرج الترمذى والنسائى وابن ماجه عن أنس قال دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على رجل وهو فى الموت فقال كيف تجدك قال أرجو الله وأخاف ذنوبى فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن الا أعطاه الله الذى يرجو وأمنه الذى يخاف أخرجوه من طريق سيار بن حاتم عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن انس. قال الترمذى غريب وقد رواه بعضهم عن ثابت عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم مرسلا ثم أمر الله سبحانه رسوله ان يقول لهم قولا آخر يتبين به الحق من الباطل فقال (قل هل يستوى الذين يعلمون) ان ما وعد الله به من البعث والثواب والعقاب حق (والذين لا يعلمون) ذلك أو الذين يعلمون ما أنزل الله على رسوله والذين لا يعلمون ذلك أو المراد العلماء والجهال ومعلوم عند كل من له عقل انه لا استواء بين العلم والجهل ولا بين العالم والجاهل قال الزجاج أى كما لا يستوى الذين يعلمون والذين

لا يعلمون كذلك لا يستوي المطيع والعاصي وقيل المراد بالذين يعلمون هم العاملون بعلمهم فانهم المنتفعون به لان من لم يعمل عنزلة من لم يعلم وقيل افتتح الله الآية بالعمل وختمها بالعلم لان العمل من باب المجاهدات والعلم من باب المكاشفات وهو النهاية فاذا احصل للانسان دل ذلك على كماله وفضله (انما يتذكر أولو الالباب) أى انما يتعظ بوعظ الله ويتدبر ويتفكر فيه أصحاب العقول الصافية والقلوب النيرة وهم المؤمنون لا الكفار فانهم وان زعموا ان لهم عقولا فهى كالعدم وهذه الجملة ليست من جملة الكلام المأمور به بل من جهة الله سبحانه بعد الامر بما ذكر من القوارع الزاجرة عن الكفر والمعاصى لبيان عدم تأثيرها فى قلوب الكفرة لاختلال عقولهم (قل يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم) لما نفى سبحانه المساواة بين من يعلم وبين من لا يعلم وبين انه انما يتذكر أولو الالباب أمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بان يأمر المؤمنين من عباده بالثبات على تقواه والايمان به والمعنى يا أيها الذين صدقوا بتوحيد الله اتقوا ربكم بطاعته واجتناب معاصيه وامتثال أوامره واخلاص الايمان له ونفى الشركاء عنه والمراد قل لهم قولى هذا بعينه ثم لما أمر الله سبحانه المؤمنين بالتقوى بين لهم ما فى هذه التقوى من الفوائد فقال (للذين أحسنوا) أى عملوا الاعمال الحسنة (فى هذه الدنيا) على وجه الاخلاص (حسنة) عظيمة وهى الجنة وقوله فى هذه الدنيا متعلق بأحسنوا وقيل بحسنة على انه بيان لمكانها فيكون المعنى للذين أحسنوا فى العمل حسنة فى الدنيا بالصحة والعافية والظفر والغنيمة والاول أولى ثم لما كان بعض العباد قد يتعسر عليه فعل الطاعات والاحسان فى وطنه أرشد الله سبحانه من كان كذلك الى الهجرة فقال (وأرض الله واسعة) وبلاده كثيرة فليهاجر الى حيث يمكنه طاعة الله والعمل بما أمر به والترك لما نهى عنه كما هو سنة الانبياء والصالحين فانه لا عذر له فى التفريط أصلا ومثل ذلك قوله سبحانه ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وقد مضى الكلام فى الهجرة مستوفى فى سورة النساء وقيل المراد بالارض الواسعة هنا أرض الجنة رغبهم فى سعتها وسعة نعيمها كما فى قوله جنة عرضها السموات والارض والجنة قد تسمى أرضا قال تعالى وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء والاول أولى وقيل ارتحلوا من مكة وتحولوا الى بلاد أخر واقتدوا بالانبياء والصالحين فى مهاجرتهم الى غير بلادهم ليزدادوا احسانا الى احسانهم

قالت وما فيها قال قيل لها ان أحسنت جزيت وان أسأت عوقبت قالت لا ثم عرضها على الارضين السبع الشداد التى شدت بالاوتاد وذللت بالمهاد قال فقيل لها هل تحملين الامانة وما فيها قالت وما فيها قال قيل لها ان أحسنت جزيت وان أسأت عوقبت قالت لا ثم عرضها على الجبال الشم الشوامخ الصعاب الصلاب قال قيل لها هل تحملين الامانة وما فيها قالت وما فيها قال قيل لها ان أحسنت جزيت وان أسأت عوقبت قالت لا وقال مقاتل بن حيان ان الله تعالى حين خلق خلقه جمع بين الانس والجن والسموات والارض والجبال فبدأ بالسموات فعرض عليهن الامانة (١٤١) وهى الطاعة فقال لهن أتحملن هذه الامانة ولكن على الفضل والكرامة والثواب فى الجنة فقلن يا رب انا لا نستطيع هذا الامر وليس بنا قوة ولكنا لك مطيعين ثم عرض الامانة على الارضين فقال لهن أتحملن هذه الامانة وتقبلنها منى وأعطيكن الفضل والكرامة فقلن لا صبر لنا على هذا يا رب ولا نطيق ولكنا لك سامعين مطيعين لا نعصيك فى شئ أمرتنا به ثم قرب آدم فقال له أتحمل هذه الامانة وترعاها حق رعايتها فقال عند ذلك آدم مالى عندك قال يا آدم ان أحسنت وأطعت ورعيت الامانة فلك عندى الكرامة والفضل وحسن الثواب فى الجنة وان عصيت ولم ترعها حق رعايتها وأسأت فانى معذبك ومعاقبك وأنزلك النار قال رضيت يا رب وتحملها فقال الله عز وجل عند ذلك قد حملتكها فذلك قوله تعالى وحملها الانسان رواه ابن أبى حاتم وعن مجاهد أنه قال عرضها على السموات فقالت يا رب حملتنى الكواكب وسكان السماء وما ذكر وما أريد ثوابا ولا أحمل فريضة قال وعرضها على الارض فقالت يا رب غرست فى الاشجار وأجريت فى الانهار وسكان الارض وما ذكر وما أريد ثوابا ولا أحمل فريضة وقالت الجبال مثل ذلك قال الله تعالى وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا فى عاقبة أمره وهكذا قال ابن جريج وعن ابن أشوع أنه قال لما عرض الله عليهن حمل الامانة ضججن الى الله ثلاثة أيام ولياليهن وقلن ربنا لا طاقة لنا بالعمل ولا نريد الثواب ثم قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا هارون بن زيد بن أبى الزرقاء الموصلى حدثنا أبى حدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم فى هذه الآية انا عرضنا الامانة على السموات والارض الآية قال الانسان بين أذنى وعاتقى فقال الله عز وجل انى معينك عليها انى معينك على عينيك بطبقتين فاذا نازعاك الى ما أكره فأطبق ومعينك على لسانك بطبقتين فاذا نازعك الى ما أكره فأطبق ومعينك على فرجك

الناس من يكلفه الى الساعة ويروى عن ... نحو هذا وقال ابن جرير حدثنا يونس حدثنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله تعالى إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال الآية قال إن الله تعالى عرض عليهن الأمانة أن يفترض عليهن الدين ويجعل لهن ثواباً وعقاباً ويستأمنهن على الدين فقلن لا نحن مسخرات لأمرك لا نريد ثواباً ولا عقاباً قال وعرضها الله تبارك وتعالى على آدم فقال بين أذني وعاتقي قال ابن زيد فقال الله تعالى له أما إذا تحملت هذا فسأعينك أجعل لبصرك حجاباً فإذا خشيت أن تنظر إلى ما لا يحل لك فأرخ عليه حجابه واجعل للسانك باباً وغلقاً فإذا خشيت فأغلق واجعل لفرجك لباساً فلا تكشفه إلا على ما أحللت لك وقال ابن جرير حدثني سعيد بن عمرو السكوني حدثنا بقية حدثنا عيسى بن إبراهيم عن موسى بن أبي حبيب عن الحكم ابن عمير رضي الله عنه وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الأمانة والوفاء نزلا على ابن آدم مع الأنبياء فأرسلوا به فمنهم رسول ومنهم نبي رسول ونزل القرآن وهو كلام الله ونزلت العجمية والعربية فعلموا من القرآن وعلموا من السنن بألسنتهم ولم يدع الله تعالى شيئاً من أمره مما يأتون وما يجتنبون وهي الحجج عليهم إلا بينه لهم فليس أهل لسان إلا وهم يعرفون الحسن والقبيح ثم الأمانة أول شيء يرفع ويبقى أثرها في جذور قلوب الناس ثم يرفع الوفاء والعهد والذمم وتبقى الكتب فعالم يعمل وجاهل يعرفها وينكرها ولا يحملها حتى وصل إلي وإلى أمتي ولا يهلك على الله إلا هالك ولا يغفله إلا تارك فالحذر أيها الناس وإياكم والوسواس الخناس فإنما يبلوكم أيكم أحسن عملاً هذا حديث غريب جداً وله شواهد من وجوه أخر ثم قال ابن جرير حدثنا محمد بن خلف العسقلاني حدثنا عبيد الله بن عبد المجيد الحنفي حدثنا أبو العوام القطان حدثنا قتادة وأبان بن أبي عياش عن خليد العصري عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) خمس من جاء بهن يوم القيامة مع إيمان دخل الجنة من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن وأعطى الزكاة من ماله طيب النفس بها وكان يقول وايم الله لا يفعل ذلك إلا مؤمن وأدى الأمانة قالوا يا أبا الدرداء وما أداء الأمانة قال رضي الله عنه الغسل من الجنابة فإن الله تعالى لم يأمن

وطاعة أي طاعتهم وهو حث على الهجرة من البلد الذي يظهر فيه المعاصي وقيل من أمر بالمعاصي في بلد فليهرب منه ثم لما بين حاله بالمحسنين إذا أحسنوا وكان لا بد فيه من الصبر على فعل الطاعة وعلى كف النفس عن الشهوات أشار إلى فضيلة الصبر وعظيم مقداره فقال (إنما يوفى الصابرون) على مفارقة أوطانهم وعشائرهم وعلى غيرها من تجرع الغصص واحتمال البلايا في طاعة الله وازدياد الخير (أجرهم) في مقابلة صبرهم وما كابدوه من الصبر (بغير حساب) أي بما لا يقدر على حصره حاصر ولا يستطيع حسبانه حاسب وإن كان معلوماً محصى عند الله قال عطاء بما لا يهتدي إليه عقل ولا وصف وقال مقاتل أجرهم الجنة وأرزاقهم فيها بغير حساب وقيل قوله إنما يوفى الصابرون ترغيب في التقوى المأمور بها وإيثار الصابرين على المتقين للإيذان بأنهم حائزون لفضيلة الصبر كحيازتهم لفضيلة الإحسان لما أشير إليه من استلزام التقوى لهما مع ما فيه من زيادة حث على المصابرة والمجاهدة في تحمل مشاق الهجرة والحاصل أن الآية تدل على أن ثواب الصابرين وأجرهم لا نهاية له لأن كل شيء يدخل تحت الحساب فهو متناه وما كان لا يدخل تحت الحساب فهو غير متناه وهذه فضيلة عظيمة ومثوبة جليلة تقتضي من كل راغب في ثواب الله وطامع فيما عنده من الخير أن يتوفر على الصبر ويزم نفسه بزمامه ويقيدها بقيده فإن الجزع لا يرد قضاء قد نزل ولا يجلب خيراً قد سلب ولا يدفع مكروهاً قد وقع وإذا تصور العاقل هذا حق تصوره وتعقله حق تعقله علم أن الصابر على ما نزل به قد فاز بهذا الأجر العظيم وظفر بهذا الخير الجليل وغير الصابر قد نزل به القضاء شاء أم أبى ومع ذلك فاته من الأجر ما لا يقادر قدره ولا يبلغ مداه فضم إلى مصيبته مصيبة أخرى ولم يظفر بغير الجزع وما أحسن قول من قال

أرى الصبر محموداً وعنه مذاهب * فكيف إذا ما لم يكن عنه مذهب

هنالك يحق الصبر والصبر واجب * وما كان منه للضرورة أوجب

قال علي بن أبي طالب كل مطيع يكال له كيلاً ويوزن له وزناً إلا الصابرين فإنه يحثى لهم حثياً وروي أنه يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الأجر صباً حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض لما يذهب به أهل البلاء من الفضل ثم أمر الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يخبرهم أولاً بما أمر به

(١) قوله خمس الخ كذا في النسخ التي بأيدينا ولم يذكر الخمس كلها فلعله اختصر الحديث اهـ مصححه

ابن آدم على شيء من دينه عسره وهكذا رواه أبو داود عن محمد بن عبد الرحمن العنبري عن أبي علي عبد الله بن عبد المجيد الحنفي عن أبي العوام عمران بن داود القطان به وقال ابن جرير أيضا حدثنا تميم بن المنتصر أخبرنا إسحاق عن شريك عن الأعمش عن عبد الله ابن السائب عن زاذان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها أو قال يكفر كل شيء إلا الأمانة يؤتى بصاحب الأمانة فيقال له أد أمانتك فيقول أنى يا رب وقد ذهبت الدنيا فيقال له أد أمانتك فيقول أنى يا رب وقد ذهبت الدنيا فيقال له أد أمانتك فيقول أنى يا رب وقد ذهبت الدنيا فيقول اذهبوا به إلى أمه الهاوية فيذهب به إلى الهاوية فيهوي فيها حتى ينتهي إلى قعرها فيجدها هنالك كهيئتها فيحملها فيضعها على عاتقه فيصعد بها إلى شفير جهنم حتى إذا رأى أنه قد خرج زلت قدمه فهوى في أثرها أبد الآبدين قال والأمانة في الصلاة والأمانة في الصوم والأمانة في الوضوء والأمانة في الحديث وأشد ذلك الودائع فلقيت البراء فقلت ألا تسمع ما يقول أخوك عبد الله فقال صدق وقال شريك وحدثنا عياش العامري عن زاذان عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه ولم يذكر الأمانة في الصلاة وفي كل شيء إسناده جيد ولم يخرجوه ومما يتعلق بالأمانة الحديث الذي رواه الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش حدثنا زيد ابن وهب عن حذيفة رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر المجل كجمر دحرجته على رجلك تراه منتبرا وليس فيه شيء قال ثم أخذ حصى فدحرجه على رجله قال فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقال إن في بني فلان رجلا أمينا حتى يقال للرجل ما أجلده وأظرفه وأعقله وما في قلبه حبة خردل من إيمان ولقد أتى علي زمان وما أبالي أيكم بايعت إن كان مسلما ليردنه علي دينه وإن كان نصرانيا أو يهوديا ليردنه علي ساعيه فأما اليوم فما كنت أبايع منكم إلا فلانا وفلانا وأخرجاه في الصحيحين من حديث الأعمش به وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد الحضرمي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا حفظ أمانة وصدق

من التوحيد والإخلاص فقال (قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) أي أعبده عبادة خالصة من الشرك والرياء وغير ذلك قال مقاتل إن كفار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يحملك على الذي أتيتنا به ألا تنظر إلى ملة أبيك وجدك وسادات قومك يعبدون اللات والعزى فأنزل الله الآية وقد تقدم بيان معنى الآية في أول هذه السورة ثم أمر الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يخبرهم ثانيا بأنه مأمور بأن يكون أول من أطاع وانقاد وأسلم فقال (وأمرت لأن أكون أول المسلمين) من هذه الأمة وكذلك كان صلى الله عليه وآله وسلم فإنه أول من خالف دين آبائه ودعا إلى التوحيد ومعنى الأولية السبق بحسب الزمان فالمراد السبق بحسب الدعوة فإن الأفضل أن من يدعو الغير إلى خلق كريم أن يدعو نفسه إليه أولا ويتخلق به حتى يؤثر في الغير كسنة الأنبياء والصالحين لا الملوك والمتجبرين واللام للتعليل أي وأمرت بما أمرت به لأجل أن أكون وقيل إنها مزيدة للتوكيد والأول أولى ثم أمره ثالثا أن يخبرهم بخوفه من العذاب على تقدير العصيان فقال (قل إني أخاف إن عصيت ربي) بترك إخلاص العبادة له وتوحيده والدعاء إلى ترك الشرك وتضليل أهله (عذاب يوم عظيم) وهو يوم القيامة قال أكثر المفسرين المعنى إني أخاف إن عصيت ربي بإجابة المشركين إلى ما دعوني إليه من عبادة غير الله قال أبو حمزة اليماني وابن المسيب هذه الآية منسوخة بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وفي هذه الآية دليل على أن الأمر للوجوب لأن قوله إنما أمرت أن أعبد الله فالمراد عصيان هذا الأمر وفيه زجر الغير عن المعاصي لأنه مع جلالة قدره وشرف طهارته ونزاهته ومنصب نبوته إذا كان خائفا حذرا من المعاصي فغيره أولى بذلك ثم أمره رابعا أن يخبرهم بأنه امتثل الأمر وأعاد وعبد الله وأخلص له الدين على أبلغ وجه وآكده إظهارا لتصلبه في الدين وحسما لأطماعهم الفارغة وتمهيدا لتهديدهم فقال (قل الله أعبد) التقديم مشعر بالاختصاص أي لا أعبد غيره لا استقلالا ولا على جهة الشركة ومعنى (مخلصا له ديني) أنه خالص لله غير مشوب بشرك ولا رياء ولا غيرهما وقد تقدم تحقيقه في أول السورة قال الرازي فإن قيل ما معنى التكرير في قوله إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وقوله قل الله أعبد مخلصا له ديني قلنا ليس هذا بتكرير

حديث وحسن خليقة وعفة طعمة هكذا رواه الامام أحمد في مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وقد قال الطبراني في مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما حدثنا يحيى بن أيوب العلاف المصري حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد عن ابن حجيرة عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع اذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا حفظ أمانة وصدق حديث وحسن خليقة وعفة طعمة فزاد في الاسناد ابن حجيرة وجعله من مسند ابن عمر رضي الله عنهما وقد ورد النهي عن الحلف بالامانة قال عبد الله (١٤٤) بن المبارك في كتاب الزهد حدثنا شريك عن أبي اسحق الشيباني عن خناس ابن سحيم أو قال جبلة بن سحيم قال أقبلت مع زياد بن حدير من الجابية فقلت في كلامي لا والامانة فجعل زياد يبكي ويبكي فظننت اني أتيت أمرا عظيما فقلت له أكان يكره هذا قال نعم كان عمر بن الخطاب ينهى عن الحلف بالامانة أشد النهي وقد ورد في ذلك حديث مرفوع قال أبو داود حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس حدثنا زهير حدثنا الوليد بن ثعلبة الطائي عن ابن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف بالامانة فليس منا تفرد به أبو داود رحمه الله وقوله تعالى ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات أي انما حمل ابن آدم الامانة وهي التكاليف ليعذب الله المنافقين منهم والمنافقات وهم الذين يظهرون الايمان خوفا من أهله ويبطنون الكفر متابعة لاهله والمشركين والمشركات وهم الذين ظاهرهم وباطنهم على الشرك بالله ومخالفة رسله ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات أي وليرحم المؤمنين من الخلق بالله وملائكته وكتبه ورسله العاملين بطاعته وكان الله غفورا رحيما

(تفسير سورة سبأ وهي مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور) يخبر تعالى عن نفسه الكريمة أن له الحمد المطلق في الدنيا والآخرة لانه المنعم المتفضل على أهل الدنيا والآخرة المالك لجميع ذلك الحاكم في جميع ذلك كما قال تعالى وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون ولهذا قال تعالى ههنا الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض أي الجميع ملكه وعبيده وتحت

لان الاول اخبار بأنه مأمور من جهة الله بالايمان والعبادة والثاني اخبار بأنه أمر أن لا يعبد أحدا غير الله (فاعبدوا ما شئتم) أن تعبدوه (من دونه) هذا الامر للتهديد والتقريع والتوبيخ كقوله اعملوا ما شئتم وفيه ايذان بأنهم لا يعبدون الله تعالى وقيل ان الامر على حقيقته وهو منسوخ بآية السيف والاول أولى (قل ان الخاسرين) الكاملين في الخسران هم (الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة) بتخليد الانفس في النار وبعدم وصولهم الى الحور المعدة لهم في الجنة لو آمنوا لان من دخل النار فقد خسر نفسه وأهله وأهلي جمع أهل وأصله أهلون أو أهلين والمراد بأهليهم أهل الآخرة وقيل أزواجهم وخدمهم وقيل أهلهم في الدنيا لانهم ان كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم وان كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده قال الزجاج وهذا يعني به الكفار فانهم خسروا أنفسهم بالتخليد في النار وخسروا أهليهم لانهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم أهل في الجنة قال ابن عباس في الآية هم الكفار الذين خلقهم للنار زالت عنهم الدنيا وحرمت عليهم الجنة وعنه قال أهليهم من أهل الجنة كانوا أعدوا لهم لو أطاعوا الله فغبنوهم (ألا ذلك هو الخسران المبين) مستأنفة لتأكيد ما قبلها وتصديرها بحرف التنبيه للاشعار بان هذا الخسران الذي حل بهم قد بلغ من العظم الى غاية ليس فوقها غاية وكذلك تعريف الخسران ووصفه بكونه مبينا فانه يدل على انه الفرد الكامل من افراد الخسران وانه لا خسران يساويه ولا عقوبة تدانيه ثم بين سبحانه هذا الخسران الذي حل بهم والبلاء النازل عليهم بعد تهويله بطريق الابهام فقال (لهم من فوقهم ظلل من النار) الظلل عبارة عن أطباق النار أي لهم من فوقهم أطباق وسرادقات وقطع كبار من النار تلتهب عليهم واطلاق الظلل عليها تهكم والا فهي محرقة والظلة تقي من الحر (ومن تحتهم ظلل) أي أطباق من النار وفراش ومهاد وسمي ما تحتهم ظللا لانها من اطلاق اسم أحد الضدين على الآخر أو ان الظلة التحتانية لما كانت مشابهة للظلة الفوقانية في الايذاء والحرارة سميت باسمها لاجل المماثلة والمشابهة أو لانها تظل من تحتها من أهل النار لان طبقات النار صارت في كل طبقة منها طائفة من طوائف الكفار ومثل هذه الآية قوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وقوله يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم (ذلك) أي ما تقدم ذكره من

وصف

تصرفه وقهره كما قال تعالى وان لنا للآخرة والاولى ثم قال عزوجل وله الحمد في الآخرة فهو المعبود أبدا المحمود على طول المدى وقوله تعالى وهو الحكيم أي في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره الخبير الذي لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه شيء وقال مالك عن الزهري خبير بخلقه حكيم بأمره ولهذا قال عزوجل يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها أي يعلم عدد القطر النازل في أجزاء الارض والحب المبذور والكامن فيها ويعلم ما يخرج من ذلك عدده وكيفيته وصفاته وما ينزل من السماء أي من قطر ورزق وما يعرج فيها اي من الاعمال الصالحة وغير ذلك وهو الرحيم الغفور أي الرحيم بعباده

فلا يعاجل عصاتهم بالعقوبة الغفور عن ذنوب التائبين اليه المتوكلين عليه (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد) هذه احدى الآيات الثلاث التي لا رابع لهن مما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد لما أنكره من أنكره من اهل الكفر والعناد فاحداهن في سورة يونس عليه السلام وهي قوله تعالى ويستنبئونك أحق هو قل اي وربي انه لحق وما أنتم بمعجزين والثانية هذه وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم والثالثة في سورة التغابن وهي قوله تعالى زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى

وصف عذابهم في النار وهو مبتدأ وخبره قوله (يخوف الله به عباده) المؤمنين أي يحذرهم ما يوعد به الكفار من العذاب ليخافوه فيتقوه وهو معنى (يا عباد فاتقون) أي اجتنبوا هذه المعاصي الموجبة لمثل هذا العذاب على الكفار ووجه تخصيص العباد بالمؤمنين ان الغالب في القرآن اطلاق لفظ العباد عليهم وقيل هو للكفار وأهل المعاصي وقيل هو عام للمسلمين والكفار (والذين اجتنبوا الطاغوت) هو بناء مبالغة في المصدر كالرحموت والعظموت وهو الاوثان والشيطان وقال مجاهد وابن زيد هو الشيطان وقال الضحاك والسدي هو الاوثان وقيل انه الكاهن وقيل هو اسم أعجمي مثل طالوت وجالوت وقيل انه اسم عربي مشتق من الطغيان الا ان فيه قلبا بتقديم اللام على العين وفيها مبالغات وهي التسمية بالمصدر كأن عين الشيطان طغيان وان البناء بناء مبالغة وهو للاختصاص اذ لا يطلق على غير الشيطان قال الاخفش الطاغوت جمع ويجوز أن يكون واحده مؤنثا والمعنى أعرضوا عن عبادته وخصوا عبادتهم بالله عزوجل وقوله (أن يعبدوها) في محل نصب على انه بدل من الطاغوت بدل اشتمال كأنه قال اجتنبوا عبادة الطاغوت وقد تقدم الكلام على تفسير الطاغوت مستوفى في سورة البقرة (وأنابوا الى الله) معطوف على اجتنبوا والمعنى رجعوا اليه بالكلية وأقبلوا على عبادته معرضين عما سواه (لهم البشرى) بالثواب الجزيل وهو الجنة وهذه البشرى اما على ألسنة الرسل أو على ألسنة الملائكة عند حضور الموت أو عند البعث أو من الله تعالى لقوله تحيتهم يوم يلقونه سلام ولا مانع أن يكون من الله ومن الملائكة قال مقاتل وفضل الله واسع وقيل لهم البشرى في الدنيا بالثناء عليهم بصالح أعمالهم وعند الوضع في القبر وفي الآخرة عند الخروج من القبر وعند الوقوف للحساب وعند جواز الصراط وعند دخول الجنة وفي الجنة ففي كل موقف من هذه المواقف تحصل لهم البشارة بنوع من الخير والراحة والروح والريحان (فبشر عباد) المراد بالعباد هنا العموم فيدخل الموصوفون بالاجتناب والانابة اليه دخولا أوليا وقيل المراد بهم الموصوفون باجتناب الاوثان والانابة الى الله فالمقام للضمير وانما أتى بالظاهر ليصفهم بقوله (الذين يستمعون القول) الحق من كتاب الله وسنة رسوله (فيتبعون أحسنه) أي محكمه ويعملون به قال السدي يتبعون أحسن ما يؤمرون به فيعملون بما فيه وقيل هو الرجل يسمع الحسن والقبيح

وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير فقوله تعالى قل بلى وربي لتأتينكم ثم وصفه بما يؤكد ذلك ويقرره فقال عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين قال مجاهد وقتادة لا يعزب عنه لا يغيب عنه أي الجميع مندرج تحت علمه فلا يخفى عليه شيء فالعظام وان تلاشت وتفرقت وتمزقت فهو عالم أين ذهبت وأين تفرقت ثم يعيدها كما بدأها أول مرة فانه بكل شيء عليم ثم بين حكمته في اعادة الابدان وقيام الساعة بقوله تعالى ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في آياتنا معاجزين اي سعوا في الصد عن سبيل الله تعالى وتكذيب رسله أولئك لهم عذاب من رجز أليم أي لينعم السعداء من

المؤمنين ويعذب الأشقياء من الكافرين كما قال عز وجل لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون وقال تعالى أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار وقوله تعالى ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق هذه حكمة أخرى معطوفة على التي قبلها وهي أن المؤمنين بما أنزل على الرسل إذا شاهدوا قيام الساعة ومجازاة الأبرار والفجار بالذي كانوا قد علموه من كتب الله تعالى في الدنيا رأوه حينئذ عين اليقين ويقولون يومئذ أيضا لقد جاءت رسل ربنا بالحق ويقال أيضا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد العزيز هو المنيع الجناب الذي لا يغالب ولا يمانع بل قد قهر كل شيء وغلبه الحميد في جميع أقواله وأفعاله وشرعه وقدره وهو المحمود في ذلك كله جل وعلا (وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد أفترى على الله كذبا أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء إن في ذلك لآية لكل عبد منيب) هذا إخبار من الله عز وجل عن استبعاد الكفرة الملحدين قيام الساعة واستهزائهم بالرسول صلى الله عليه وسلم في إخباره بذلك وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق أي تفرقت أجسادكم في الأرض وذهبت فيها كل مذهب وتمزقت كل ممزق إنكم أي بعد هذا الحال لفي خلق جديد أي تعودون أحياء ترزقون بعد ذلك وهو في هذا الإخبار لا يخلو أمره من قسمين إما أن يكون قد تعمد الافتراء على الله تعالى أنه قد أوحى إليه ذلك أو أنه لم يتعمد لكن لبس عليه كما يلبس على المعتوه والمجنون ولهذا قالوا أفترى على الله كذبا أم به جنة قال الله عز وجل رادا عليهم بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد أي ليس الأمر كما زعموا ولا كما ذهبوا إليه بل محمد صلى الله عليه وسلم هو الصادق البار الراشد الذي جاء بالحق وهم الكذبة الجهلة الأغبياء في العذاب أي الكفر المفضي بهم إلى عذاب الله تعالى والضلال البعيد من الحق في الدنيا ثم قال تعالى منبها لهم على قدرته في خلق السموات والأرض فقال

فيتحدث بالحسن ويكف عن القبيح فلا يحدث به وقيل يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن وقيل يستمعون الرخص والعزائم فيتبعون العزائم ويتركون الرخص وقيل يأخذون بالعفو ويتركون العقوبة وعن ابن عمر قال كان سعيد بن زيد وأبو ذر وسلمان يتبعون في الجاهلية أحسن القول والكلام لا إله إلا الله قالوا بها فأنزل الله على نبيه يستمعون القول فيتبعون أحسنه الآية ثم أثنى الله سبحانه على هؤلاء المذكورين فقال (أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب) أي هم الذين أوصلهم إلى الحق وهم أصحاب العقول الصحيحة لأنهم الذين انتفعوا بعقولهم ولم ينتفع من عداهم بعقولهم وأخرج ابن مردويه عن أبي سعيد قال لما نزلت فبشر عبادي الذين الآية أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مناديا فنادى من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة فاستقبل عمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فرده فقال يا رسول الله خشيت أن يتكل الناس فلا يعملون فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو يعلم الناس قدر رحمة ربي لاتكلوا ولو يعلمون قدر سخط ربي وعقابه لاستصغروا أعمالهم وهذا الحديث أصله في الصحيح من حديث أبي هريرة وفي الآية إشارة إلى إيثار الاتباع وترك التقليد لأن الله قد أثنى على المتبعين بكونهم مهديين وسماهم أولي الألباب ولم يثن على المقلدين ولا على أحد منهم في موضع من القرآن الكريم بل ذمه وذمهم في غير موضع كما تقدم مرارا ثم ذكر سبحانه من سبقت له الشقاوة وحرم السعادة فقال (أفمن حق عليه كلمة العذاب) من هذه موصولة في محل رفع على الابتداء وخبرها محذوف أي كمن يخاف أو فأنت تخلصه أو تتأسف عليه أو شرطية وجوابه قوله (أفأنت تنقذ من في النار) فالفاء فاء الجواب دخلت على جملة الجزاء وأعيدت الهمزة الإنكارية لتأكيد معنى الإنكار وقال سيبويه إنه كرر الاستفهام لطول الكلام وقال الفراء المعنى أفأنت تنقذ من حقت عليه كلمة العذاب والمراد بكلمة العذاب هنا قوله تعالى لإبليس لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين وقوله لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين وقيل قوله هؤلاء في النار ولا أبالي ومعنى الآية التسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنه كان حريصا على إيمان قومه فأعلمه الله أن من سبق عليه الشقاء وحقت عليه كلمة الله لا يقدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن ينقذه من النار بأن يجعله مؤمنا قال عطاء يريد أبا لهب وولده ومن تخلف من عشيرة

النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن الايمان وفى الآية مجاز باطلاق المسبب وارادة السبب وتنبيه على ان المحكوم عليه بالعذاب بمنزلة الواقع فى النار وان اجتهاده فى دعائهم الى الايمان سعى فى انقاذهم من النار وأصل الكلام أفأنت تهدى من هو منغمس فى الضلال فوضع النار موضع الضلال ووضع المسبب موضع السبب لقوة أمره ثم عقب اختلافهما بما سبق من قوله تنقذ بدل تهدى فهو ترشيح ولما ذكر سبحانه فيما سبق ان لاهل الشقاوة ظللا من فوقهم من النار ومن تحتهم ظلل استدرك عنهم من كان من أهل السعادة فقال (لكن الذين اتقوا ربهم) وهم الذين خوطبوا بقوله يا عباد فاتقون ووصفوا بما عدد من الصفات الفاضلة وهم المخاطبون أيضا فيما سبق بقوله يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم الآية وقيل لكن ليست للاستدراك لانه لم تأت قبلها نفى بل هو اضراب عن قصة الى قصة مخالفة للاولى (لهم غرف من فوقها غرف) أى منازل فى الجنة رفيعة وفوقها منازل هى أرفع منها وذلك لان الجنة درجات بعضها فوق بعض وقوله لهم غرف فى معنى وعدهم الله بذلك وعدا لا يخلفه وانها (مبنية) بناء المنازل فى احكام أساسها وقوة بنائها وان كانت منازل الدنيا ليست بشئ بالنسبة اليها (تجرى من تحتها الانهار) أى من تحت تلك الغرف الفوقانية والتحتانية وفى ذلك كمال لبهجتها وزيادة لرونقها وانتصاب (وعد الله) على المصدرية المؤكدة لمضمون الجملة لان قوله لهم غرف فى معنى وعدهم الله ذلك وجملة (لا يخلف الله الميعاد) مقررة للوعد أى لا يخلف الله ما وعد به الفريقين من الخير والشر عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال ان أهل الجنة يتراؤن أهل الغرف من فوقهم كما تتراؤن الكوكب الدرى الغابر فى الافق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين متفق عليه ولما ذكر سبحانه الجنة ووصفها بوصف يوجب الرغبة والشوق اليها أتبعه بذكر الدنيا ووصفها بوصف يوجب الرغبة عنها والنفرة منها فذكر تمثيلا لها فى سرعة زوالها وقرب اضمحلالها مع ما فى ذلك من ذكر نوع من أنواع قدرته الباهرة وصنعه البديع فقال (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) أى من السحاب مطرا (فسلكه) اى فادخله واسكنه (ينابيع) أى عيونا ومسالك ومجارى

تعالى أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض أى حيثما توجهوا وذهبوا فالسماء مطلة عليهم والارض تحتهم كما قال عز وجل والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون قال عبد بن حميد اخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض قال انك ان نظرت عن يمينك أو عن شمالك أو من بين يديك أو من خلفك رأيت السماء والارض وقوله تعالى ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا من السماء أى لو شئنا لفعلنا بهم ذلك لظلمهم وقدرتنا عليهم ولكن نؤخر ذلك لحلمنا وعفونا ثم قال ان فى ذلك (١٤٧) لآية لكل عبد منيب قال معمر عن قتادة منيب تائب وقال سفيان عن قتادة المنيب المقبل الى الله تعالى أى ان فى النظر الى خلق السماء والارض لدلالة لكل عبد فطن لبيب رجاع الى الله على قدرة الله على بعث الاجساد ووقوع المعاد لان من قدر على خلق هذه السموات فى ارتفاعها واتساعها وهذه الارضين فى انخفاضها وأطوالها وأعراضها لقادر على اعادة الاجسام ونشر الرميم من العظام كما قال تعالى أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وقال تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون (ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبى معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر فى السرد واعملوا صالحا انى بما تعملون بصير) يخبر تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله داود عليه الصلاة والسلام مما آتاه من الفضل المبين وجمع له بين النبوة والملك المتمكن والجنود ذوى العدد والعدد وما أعطاه ومنحه من الصوت العظيم الذى كان اذا سبح به تسبح معه الجبال الراسيات الصم الشامخات وتقف له الطيور السارحات والغاديات والرائحات وتجاوبه بأنواع اللغات وفى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع صوت أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه يقرأ من الليل فوقف فاستمع لقراءته ثم قال صلى الله عليه وسلم لقد أوتى هذا مزمارا من مزامير آل داود وقال أبو عثمان النهدى ما سمعت صوت صنج ولا بربط ولا وتر أحسن من صوت أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه ومعنى قوله تعالى أوبى أى سبحى قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد وزعم أبو ميسرة انه بمعنى سبحى بلسان الحبشة وفى هذا نظر فان التأويب فى اللغة هو الترجيع فأمرت الجبال والطير أن ترجع معه بأصواتها وقال أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق

الزجاجي في كتابه الجمل في باب النداء منه يا جبال أوبي معه أي سيري معه بالنهار كله والتأويب سير النهار كله والسرى سير الليل كله وهذا لفظه وهو غريب جدا لم أره لغيره وإن كان له مساعدة من حيث اللفظ في اللغة لكنه بعيد في معنى الآية ههنا والصواب أن المعنى في قوله تعالى أوبي معه أي رجعي مسبحة معه كما تقدم والله أعلم وقوله تعالى وألنا له الحديد قال الحسن البصري وقتادة والأعمش وغيرهم كان لا يحتاج أن يدخله نارا ولا يضربه بمطرقة بل كان يفتله بيده مثل الخيوط ولهذا قال تعالى أن اعمل سابغات وهي الدروع قال قتادة وهو أول من عملها من الخلق وإنما كانت قبل ذلك صفائح وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي ابن الحسين حدثنا ابن سماعة حدثنا ابن ضمرة عن ابن شوذب قال كان داود عليه السلام يرفع في كل يوم درعا فيبيعها بستة آلاف درهم ألفين له ولأهله وأربعة آلاف درهم يطعم بها بني إسرائيل خبز الحوارى وقدر في السرد هذا إرشاد من الله تعالى لنبيه داود عليه السلام في تعليمه صنعة الدروع قال مجاهد في قوله تعالى وقدر في السرد لا تدق المسمار فيقلقل في الحلقة ولا تغلظه فيفصمها واجعله بقدر وقال الحكم بن عيينة لا تغلظه فيفصم ولا تدقه فيقلقل وهكذا روي عن قتادة وغير واحد وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس السرد حلق الحديد وقال بعضهم يقال درع مسرودة إذا كانت مسمورة الحلق واستشهد بقول الشاعر

وعليهما مسرودتان قضاهما
داود أو صنع السوابغ تبع

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة داود عليه الصلاة والسلام من طريق إسحق بن بشر وفيه كلام عن أبي الياس عن وهب بن منبه ما مضمونه أن داود عليه السلام كان يخرج متنكرا فيسأل الركبان عنه وعن سيرته فلا يسأل أحدا إلا أثنى عليه خيرا في عبادته وسيرته وعدله عليه السلام قال وهب حتى بعث الله تعالى ملكا في صورة رجل فلقيه داود عليه الصلاة والسلام فسأله كما كان يسأل غيره فقال هو خير الناس لنفسه ولأمته إلا أن فيه خصلة لو لم تكن فيه كان كاملا قال ما هي قال يأكل ويطعم عياله من مال المسلمين يعني بيت المال فعند ذلك نصب داود عليه السلام إلى ربه عز وجل في الدعاء أن يعلمه عملا بيده يستغني به ويغني به عياله فألان الله عز وجل له الحديد وعلمه صنعة الدروع فعمل الدرع وهو أول من عملها فقال الله تعالى أن اعمل

وركايا (في الارض) كالعروق في الجسد والينابيع جمع ينبوع من نبع الماء ينبع والينبوع عين الماء والامكنة التي ينبع منها الماء من خلال الارض او نفس الماء الجاري والمعنى أدخل الماء النازل من السماء في الارض وجعله فيها عيونا جارية او جعله في ينابيع اي في امكنة ينبع منها الماء فهو على الوجه الثاني منصوب بنزع الخافض قال مقاتل جعله ركايا وعيونا في الارض وقال ابن عباس ما في الارض ماء الا نزل من السماء ولكن عروق في الارض تغيره فذلك قوله فسلكه ينابيع في الارض فمن سره ان يعود الملح عذبا فليصعده (ثم يخرج به) أي بذلك الماء من الارض وصيغة المضارع لاستحضار الصورة (زرعا مختلفا ألوانه) من أصفر وأخضر وأبيض وأحمر او من بر وشعير وغيرهما اذا كان المراد بالالوان الاصناف وشمل لفظ الزرع جميع ما يستنبت حتى القات (ثم يهيج) أي يجف وييبس يقال هاج النبت يهيج هيجا اذا تم جفافه وحان له أن ينتشر عن منبته قال الجوهري يقال هاج النبت هياجا اذا يبس وأرض هائجة يبس بقلها أو اصفر وأهاجت الريح النبت أيبسته قال المبرد قال الاصمعي يقال هاجت الارض تهيج اذا أدبر نبتها وولى قال وكذلك هاج النبت (فتراه) بعد خضرته ونضارته وحسن رونقه (مصفرا) قد ذهبت خضرته وزالت نضارته (ثم يجعله حطاما) أي متفتتا متكسرا من تحطم العود اذا تفتت من اليبس ويقال للدابة اذا أسنت حطمة ويتعدى بالحركة فيقال حطمته حطما من باب ضرب فانحطم وحطمته بالتشديد مبالغة قرأ الجمهور ثم يجعله بالرفع عطفا على ما قبله وقرئ بالنصب باضمار ان ولا وجه لذلك (ان في ذلك) المذكور من الافعال الخمسة التي أولها أنزل (لذكرى لاولي الالباب) أي لتذكيرا لأهل العقول الصحيحة فانهم الذين يتعقلون الاشياء على حقيقتها فيتفكرون ويعتبرون ويعلمون بان الحياة الدنيا حالها كحال هذا الزرع في سرعة التصرم وقرب التقضي وذهاب بهجتها وزوال رونقها ونضارتها فاذا أنتج لهم التفكر والاعتبار العلم بذلك لم يحصل منهم الاغترار بها والميل اليها وايثارها على دار النعيم الدائم والحياة المستمرة واللذة الخالصة ولم يبق معهم شك في ان الله قادر على البعث والحشر لان من قدر على هذا قدر على ذلك وقيل هو مثل ضربه الله للقرآن ولصدور من في الارض والمعنى أنزل من السماء قرآنا فسلكه في قلوب المؤمنين ثم يخرج به دينا بعضه أفضل من بعض فأما المؤمن فيزداد ايمانا ويقينا وأما الذي في قلبه مرض

ساعات وقدر في السرد بين صانعيه الحق قال وكان يعمل الدرع فإذا ارتفع من عمله درع باعها فتصدق بثلثها واشترى بثلثها ما يكفيه وعياله وأمسك الثلث يتصدق به يوماً بيوم إلى أن يعمل غيرها وقال إن الله تعالى أعطى داود شيئاً لم يعطه غيره من حسن الصوت إنه كان إذا قرأ الزبور يجتمع الوحش إليه حتى يؤخذ بأعناقها وما تنفر وما صنعت الشياطين المزامير والبرابط والصنوج إلا على أصناف صوته عليه السلام وكان شديد الاجتهاد وكان إذا افتتح الزبور بالقراءة كأنما ينفخ في المزامير وكان قد أعطي سبعين مزماراً في حلقه وقوله تعالى واعملوا صالحاً أي في الذي أعطاكم الله تعالى من النعم إني بما تعملون بصير أي مراقب لكم بصير بأعمالكم وأقوالكم لا يخفى علي من ذلك شيء (ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور) لما ذكر تعالى ما أنعم به على داود عطف بذكر ما أعطى ابنه سليمان عليهما الصلاة والسلام من تسخير الريح له تحمل بساطه غدوها شهر ورواحها شهر قال الحسن البصري كان يغدو على بساطه من دمشق فينزل بإصطخر يتغدى بها ويذهب رائحاً من إصطخر فيبيت بكابل وبين دمشق وإصطخر شهر كامل للمسرع وبين إصطخر وكابل شهر كامل للمسرع وقوله تعالى وأسلنا له عين القطر قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وعطاء الخراساني وقتادة والسدي ومالك عن زيد بن أسلم وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد القطر النحاس قال قتادة وكانت باليمن فكل ما يصنع الناس مما أخرج الله تعالى لسليمان عليه السلام قال السدي وإنما أسيلت له ثلاثة أيام وقوله تعالى ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه أي وسخرنا له الجن يعملون بين يديه بإذن ربه أي بقدره وتسخيره لهم بمشيئته ما يشاء من البنايات وغير ذلك ومن يزغ منهم عن أمرنا أي ومن يعدل ويخرج منهم عن الطاعة نذقه من عذاب السعير وهو الحريق وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا حديثاً غريباً فقال حدثنا أبي حدثنا صالح حدثنا معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن جبير بن نفير عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجن على ثلاثة أصناف صنف لهم أجنحة يطيرون في الهواء وصنف حيات وكلاب

من حين فإنه يخرج كما يخرج الزرع وهذا التعبير أشبه شيء بالمبشر ثم لما ذكر سبحانه أن في ذلك لذكرى لأولي الألباب ذكر شرح الصدر للإسلام لأن الانتفاع الكامل لا يحصل إلا به فقال (أفمن شرح الله صدره للإسلام) أي وسعه لقبول الحق وفتحه للاهتداء إلى سبيل الخير قال السدي وسع صدره للإسلام للفرح به والطمأنينة إليه وشرح الصدر للإسلام عبارة عن تكميل الاستعداد له فإنه محل للقلب الذي هو منبع الروح التي تتعلق بها النفس القابلة للإسلام فانشراحه مستدع لانشراح القلب والكلام في الهمزة والفاء كما تقدم في أفمن حق ومن اسم مبتدأ وخبرها محذوف تقديره كمن قسى قلبه وطبع الله عليه وحرج صدره فلم يهتد ودل على هذا الخبر المحذوف قوله فويل للقاسية قلوبهم والمعنى أفمن وسع الله صدره للإسلام فقبله واهتدى بهديه (فهو) بسبب ذلك الشرح (على نور) أي على بيان وبصيرة ويقين وهداية (من ربه) يفيض عليه كمن قسى قلبه لسوء اختياره فصار في ظلمات الضلالة وبليات الجهالة قال قتادة النور كتاب الله به يؤخذ وإليه ينتهى قال الزجاج تقدير الآية أفمن شرح الله صدره كمن طبع على قلبه فلم يهتد لقسوته قال ابن عباس من شرح الله صدره للإسلام أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال تلا النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية قلنا يا نبي الله كيف انشراح صدره قال إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح قلنا فما علامة ذلك يا رسول الله قال الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت وأخرج ابن مردويه عن محمد بن كعب القرظي مرفوعاً مرسلاً وأخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن ابن عمر أن رجلاً قال يا نبي الله أي المؤمنين أكيس قال أكثرهم ذكراً للموت وأحسنهم له استعداداً وإذا دخل النور في القلب انفسح واستوسع فقالوا ما آية ذلك يا نبي الله قال الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت وأخرجه عن أبي جعفر عبد الله بن المسور عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنحوه وزاد فيه ثم قرأ أفمن شرح الله صدره للإسلام (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) قال الفراء والزجاج أي عن ذكر الله كما تقول اتخمت عن طعام أكلته ومن طعام أكلته والمعنى أنه غلظ قلبه وجفا عن قبول ذكر الله والقسوة جمود وصلابة تحصل في القلب يقال قسى القلب إذا صلب وقلب قاس أي صلب لا يرق ولا يلين وقيل

وصنف يحلون ويظعنون رفعه غريب جدا وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا حرملة حدثنا ابن وهب أخبرني بكر بن مضر عن محمد بن بحير عن ابن أنعم أنه قال الجن ثلاثة أصناف صنف لهم الثواب وعليهم العقاب وصنف طيارون فيما بين السماء والأرض وصنف حيات وكلاب قال بكر بن مضر ولا أعلم إلا أنه قال حدثني أن الإنس ثلاثة أصناف صنف يظلهم الله بظل عرشه يوم القيامة وصنف كالأنعام بل هم أضل سبيلا وصنف في صور الناس على قلوب الشياطين وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا علي بن هاشم بن مرزوق حدثنا سلمة يعني ابن الفضل عن اسمعيل عن الحسن قال الجن ولد إبليس والإنس ولد آدم ومن هؤلاء مؤمنون ومن هؤلاء مؤمنون وهم شركاؤهم في الثواب والعقاب ومن كان من هؤلاء وهؤلاء مؤمنا فهو ولي الله تعالى ومن كان من هؤلاء وهؤلاء كافرا فهو شيطان وقوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل أما المحاريب فهي البناء الحسن وهو أشرف شيء في المسكن وصدره وقال مجاهد المحاريب بنيان دون القصور وقال الضحاك هي المساجد وقال قتادة هي القصور والمساجد وقال ابن زيد هي المساكن وأما التماثيل فقال عطية العوفي والضحاك والسدي التماثيل الصور قال مجاهد وكانت من نحاس وقال قتادة من طين وزجاج وقوله تعالى وجفان كالجواب وقدور راسيات الجواب جمع جابية وهي الحوض الذي يجبى فيه الماء كما قال الأعشى ميمون بن قيس

تروح على آل المحلق جفنة * كجابية الشيخ العراقي تفهق

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما كالجواب أي كالجوبة من الأرض وقال العوفي عنه كالحياض وكذا قال مجاهد والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم والقدور الراسيات أي الثابتات في أماكنها لا تتحرك ولا تتحول عن أماكنها لعظمها كذا قال مجاهد والضحاك وغيرهما وقال عكرمة أثافيها منها وقوله تعالى اعملوا آل داود شكرا أي وقلنا لهم اعملوا شكرا على ما أنعم به عليكم في الدين والدنيا وشكرا مصدر من غير الفعل أو أنه مفعول له وعلى التقديرين فيه دلالة على أن الشكر يكون بالفعل كما يكون بالقول والنية كما قال الشاعر

أفادتكم النعماء مني ثلاثة * يدي ولساني والضمير المحجبا

المعنى من أجل ذكره الذي من حقه أن تنشرح له الصدور وتطمئن به القلوب والمعنى أنه إذا ذكر الله اشمأزوا والأول أولى ويؤيده قراءة من قرأ عن ذكر الله أي إذا ذكر الله عندهم أو آياته ازدادت قلوبهم قساوة كقوله فزادتهم رجسا إلى رجسهم وقيل إن النفس إذا كانت خبيثة الجوهر كدرة العنصر بعيدة عن قبول الحق فإن سماعها لذكر الله لا يزيدها إلا قسوة وكدورة كحر الشمس يلين الشمع ويعقد الملح فكذلك القرآن يلين قلوب المؤمنين عند سماعه ولا يزيد الكافرين إلا قسوة قال مالك بن دينار ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب وما غضب الله تعالى على قوم إلا نزع منهم الرحمة وأخرج الترمذي وابن مردويه وابن شاهين في الترغيب في الذكر والبيهقي في الشعب عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي والإشارة بقوله (أولئك) إلى القاسية قلوبهم (في ضلال مبين) أي غواية ظاهرة واضحة ثم ذكر سبحانه بعض أوصاف كتابه العزيز فقال (الله نزل أحسن الحديث) يعني القرآن الذي فيه مندوحة عن سائر الأحاديث وسماه حديثا لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يحدث به قومه ويخبرهم بما نزل عليه منه وفيه بيان أن أحسن القول المذكور سابقا هو القرآن وفي إيقاع الاسم الشريف مبتدأ وبناء نزل عليه تفخيم لشأن أحسن الحديث والوصف مسند الوجهين أحدهما من جهة اللفظ لأن القرآن من أفصح الكلام وأجزله وأبلغه وليس هو من جنس الشعر ولا من جنس الخطب والرسائل بل هو نوع مخالف للكل في أسلوبه والثاني من جهة المعنى لأنه كتاب منزه عن التناقض والاختلاف مشتمل على أخبار الماضين وقصص الأولين وعلى أخبار الغيوب الكثيرة وعلى الوعد والوعيد والجنة والنار وغير ذلك (كتابا) بدل من أحسن الحديث أو حال منه (متشابها) صفة لكتاب أي يشبه بعضه بعضا في الحسن والإحكام وصحة المعاني وقوة المباني وبلوغه إلى أعلى درجات البلاغة والدلالة على المنافع العامة وقال قتادة يشبه بعضه بعضا في الآي والحروف وقيل يشبه كتب الله المنزلة على أنبيائه عن ابن عباس قال قالوا يا رسول الله لو حدثتنا فنزل الله نزل أحسن الحديث الآية (مثاني) صفة أخرى لكتاب وهو جمع مثنى أو مثنى وأنه من التثنية بمعنى التكرير أي تثنى فيه القصص وتتكرر فيه المواعظ والأحكام وقيل يثنى في التلاوة فلا

على سامعه ولا تسأم قارئه وقرأ الجمهور بفتح الياء وقرئ بسكونها تخفيفاً واستثقالاً
لتحريكها أو على أنها خبر مبتدأ محذوف أي هو مثاني قال ابن عباس القرآن كله مثاني
وعنه قال القرآن يشبه بعضه بعضاً ويرد بعضه إلى بعض وعنه قال كتاب الله مثاني ثنى فيه
الأمر مراراً ووصف الواحد بالجمع لأن الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشيء
هي جملته لا غير ألا تراك تقول القرآن أسباع وأخماس وسور وآيات وكذلك تقول
أحكام وأقاصيص ومواعظ مكررات ونظيره قولك الإنسان عروق وعظام وأعصاب
أو منصوب على التمييز من متشابهاً كما تقول رأيت رجلاً حسناً شمائل والمعنى متشابهة
اهـ قال الرازي في تفسير معنى مثاني إن أكثر الأشياء المذكورة في القرآن متكررة
زوجين زوجين الأمر والنهي والعام والخاص والمجمل والمفصل وأحوال السموات
والأرض والجنة والنار والنور والظلمة واللوح والقلم والملائكة والشياطين والعرش
والكرسي والوعد والوعيد والرجاء والخوف والمقصود من ذلك البيان أن كل شيء ما سوى
الحق زوج وأن الفرد الأحد الحق هو الله ولا يخفى ما في كلامه هذا من التكلف والبعد
عن مقصود التنزيل (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) أي تضطرب وتتحرك وتشمئز
صفة لكتاباً أو حال منه لأنه وإن كان نكرة فقد تخصص بالصفة أو مستأنفة لبيان
ما يحصل عند سماعه من التأثر لسامعيه والاقشعرار التقبض يقال اقشعر جلده إذا
تقبض وتجمع من الخوف ووقف شعره وقيل القشعريرة والمعنى أنها تأخذهم منه
قشعريرة قال الزجاج إذا ذكرت آيات العذاب اقشعرت جلود الخائفين لله والقشعريرة
تحدث في جلد الإنسان عند ذكر الوعيد والوجل والخوف وقيل المراد بالجلود القلوب
والأول أولى لذكرها فيما بعد قال الواحدي وهذا قول جميع المفسرين وقيل المعنى
أن القرآن لما كان في غاية الجزالة والبلاغة فكانوا إذا رأوا عجزهم عن معارضته اقشعرت
الجلود منه إعظاماً له وتعجباً من حسنه وبلاغته عن عبد الله بن الزبير قال قلت لجدتي
أسماء كيف كان يصنع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا قرؤوا القرآن قالت
كانوا كما نعتهم الله تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم قلت فإن ناساً ههنا إذا سمعوا ذلك
تأخذهم عليه غشية قالت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى
ذكر الله) عدي بإلى لتضمنه معنى فعل يتعدى بها كأنه قيل سكنت واطمأنت إلى ذكر الله

قال أبو عبد الرحمن السلمي الصلاة شكر والصيام شكر وكل خير تعمله لله عز وجل شكر وأفضل الشكر الحمد رواه ابن جرير وروى
هو وابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي قال الشكر تقوى الله تعالى والعمل الصالح وهذا يقال لمن هو متلبس بالفعل وقد كان
آل داود عليهم السلام كذلك قائمين بشكر الله تعالى قولاً وعملاً قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن أبي بكر حدثنا جعفر
يعني ابن سليمان عن ثابت البناني قال كان داود عليه السلام قد جزأ على أهله وولده ونسائه الصلاة فكان لا تأتي عليهم ساعة من
الليل والنهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي فغمرتهم هذه الآية اعملوا آل داود شكراً وقليل من
عبادي الشكور وفي الصحيحين عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه
قال إن أحب الصلاة إلى الله تعالى
صلاة داود كان ينام نصف الليل
ويقوم ثلثه وينام سدسه وأحب
الصيام إلى الله تعالى صيام داود
كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفر
إذا لاقى وقد روى أبو عبد الله بن
ماجه من حديث سنيد بن داود حدثنا
يوسف بن محمد بن المنكدر عن أبيه
عن جابر رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت
أم سليمان بن داود عليهم السلام
لسليمان يا بني لا تكثر النوم بالليل
فإن كثرة النوم بالليل تترك الرجل
فقيراً يوم القيامة وروى
ابن أبي حاتم عن داود عليه
الصلاة والسلام ههنا أثراً غريباً
مطولاً جداً وقال أيضاً حدثنا أبي
حدثنا عمران بن موسى حدثنا أبو
زيد فيض بن إسحاق الرقي قال قال
فضيل في قوله تعالى اعملوا آل
داود شكراً قال داود يا رب كيف
أشكرك والشكر نعمة منك قال
الآن شكرتني حين علمت أن النعمة
مني وقوله تعالى وقليل من عبادي
الشكور إخبار عن الواقع (فلما
قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب
المهين) يذكر تعالى كيفية موت سليمان عليه السلام وكيف عمى الله موته على الجان المسخرين له في الأعمال الشاقة فإنه مكث
متوكئاً على عصاه وهي منسأته كما قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد مدة طويلة نحواً من سنة فلما
أكلتها دابة الأرض وهي الأرضة ضعفت وسقط إلى الأرض وعلم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة تبينت الجن والإنس أيضاً أن
الجن لا يعلمون الغيب كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ذلك وقد ورد في ذلك حديث مرفوع غريب وفي صحته نظر قال ابن جرير

حدثنا أحمد بن منصور حدثنا موسى بن مسعود حدثنا أبو حذيفة حدثنا ابراهيم بن طهمان عن عطاء عن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان نبي الله سليمان عليه السلام اذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول لها ما اسمك فتقول كذا فيقول لاي شئ أنت فان كانت تغرس غرست وان كانت لدواء كتبت فبينما هو يصلي ذات يوم اذ رأى شجرة بين يديه فقال لها ما اسمك قالت الخروب قال لاي شئ أنت قالت لخراب هذا البيت فقال سليمان عليه السلام اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الانس ان الجن لايعلمون الغيب فنحتها عصا فتوكأ عليها حولا ميتا والجن تعمل فأكلتها الارضة فتبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولا في العذاب المهين قال وكان ابن عباس يقرأها كذلك قال فشكرت الجن للارضة فكانت تأتيها بالماء وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث ابراهيم بن طهمان به وفي رفعه غرابة ونكارة والاقرب أن يكون موقوفا وعطاء بن أبي مسلم الخراساني له غرابات وفي بعض حديثه نكارة وقال السدي في حديث ذكره عن أبي مالك عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود رضي الله عنه وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم قال كان سليمان عليه الصلاة والسلام يتحنث في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه فأدخله في المرة التي توفي فيها فكان بدء ذلك انه لم يكن يوم يصبح فيه الا ينبت الله في بيت المقدس فيه شجرة فيأتيها فيسألها فيقول ما اسمك فتقول الشجرة اسمي كذا وكذا فان كانت لغرس غرسها وان كانت نبت دواء قالت نبت دواء كذا وكذا فيجعلها كذلك حتى نبتت شجرة يقال لها الخروبة فسألها ما اسمك قالت أنا الخروبة قال ولاي شئ نبت قالت نبت لخراب هذا المسجد قال سليمان عليه الصلاة والسلام ما كان الله ليخربه وأنا حي أنت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها في حائط له ثم دخل المحراب فقام يصلي متكئا على عصاه فمات ولم تعلم به الشياطين وهم في ذلك يعملون له يخافون أن يخرج عليهم فيعاقبهم وكانت الشياطين تجتمع حول المحراب وكان المحراب له كوى بين يديه وخلفه فكان الشيطان الذي يريد ان يخلع يقول ألست جلدا ان دخلت فخرجت من ذلك

بلي

لينة غير منقبضة ومفعول ذكر الله محذوف والتقدير الى ذكر الله رحمته وثوابه وجنته وحذف للعلم به قال بعض العارفين اذا نظروا الى عالم الجلال طاشوا واذا لاح لهم عالم الجمال عاشوا قال قتادة هذا نعت أولياء الله نعتهم بأنها تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم الى ذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم انما ذلك في أهل البدع وهو من الشيطان وروى ان ابن عمر مر برجل من أهل العراق ساقط فقال ما بال هذا قالوا انه اذا قرئ عليه القرآن أو سمع ذكر الله سقط فقال ابن عمر انا لنخشى الله وما نسقط وعنه قال ان الشيطان يدخل في جوف أحدهم ما كان هذا صنيع أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم وذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون اذا قرئ عليهم القرآن فقال بيننا وبينهم أن يقعد أحدهم على ظهر بيت باسطا رجليه ثم يقرأ عليه القرآن من أوله الى آخره فان رمى بنفسه فهو صادق وذكرت الجلود وحدها أولا ثم قرنت بها القلوب ثانيا لان محل الخشية القلب فكان ذكرها يتضمن ذكر القلوب وقيل ان المكاشفة في مقام الرجاء أكمل منها في مقام الخوف لان الخير مطلوب بالذات والخوف ليس بمطلوب واذا حصل الخوف اقشعر منه الجلد واذا حصل الرجاء اطمأن اليه القلب ولان الجلد (ذلك) الكتاب الموصوف بتلك الصفات (هدى الله يهدي به من يشاء) أن يهديه من عباده وقيل الاشارة الى ما وهبه الله لهؤلاء من خشية عذابه ورجاء ثوابه (ومن يضلل الله) أي يجعل قلبه مظلما قاسيا غير قابل للحق (فما له من هاد) يهديه الى الحق ويخلصه من الضلال قرأ الجمهور من هاد بغير ياء وقرئ باليا ثم لما حكم على القاسية قلوبهم بحكم في الدنيا وهو الضلال حكم عليهم في الآخرة بحكم آخر وهو العذاب فقال (أفمن يتقي بوجهه) الاستفهام للانكار وقد تقدم الكلام فيه وفي هذه الفاء الداخلة على من في قوله أفمن حق عليه الخ ومن مبتدأ والخبر محذوف لدلالة المقام عليه والمعنى أفمن شأنه أن يقي نفسه بوجهه الذي هو أشرف أعضائه (سوء العذاب يوم القيامة) لكون يده قد صارت مغلولة الى عنقه كمن هو آمن لا يعتريه شئ من ذلك ولا يحتاج الى الاتقاء قال الزجاج المعنى أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن يدخل الجنة قال عطاء وابن زيد يرمي به مكتوفا في النار فأول شئ تمس النار منه وجهه وقال ابن عباس ينطلق به الى النار مكتوفا ثم يرمى به فيها فأول ما تمس وجهه النار وقال مجاهد يجر على وجهه في النار قال الاخفش المعنى أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب أفضل أم من سعد مثل قوله تعالى أفمن

يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة ثم أخبر سبحانه عما يقوله الخزنة للكفار فقال (وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون) وهو معطوف على تتقي أي ويقال لهم وجاء بصيغة الماضي للدلالة على التحقيق ووضع الظاهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالظلم والاشعار بعلة الامر في قوله ذوقوا قال عطاء أي جزاء ما كنتم تعملون ومثل هذه الآية قوله هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون وقد تقدم الكلام على معنى الذوق في غير موضع ثم أخبر سبحانه عن حال من قبلهم من الكفار فقال (كذب الذين من قبلهم) أي من قبل الكفار المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى انهم كذبوا رسلهم (فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) أي من جهة لا يحتسبون اتيان العذاب منها وذلك عند أمنهم وغفلتهم عن عقوبة الله لهم بتكذيبهم (فأذاقهم الله الخزي) أي الذل والهوان (في الحياة الدنيا) بالمسخ والخسف والقتل والاسر والجلاء وغير ذلك (ولعذاب الآخرة أكبر) لكونه في غاية الشدة مع دوامه (لو كانوا يعلمون) أي لو كانوا ممن يعلم الاشياء ويتفكر فيها ويعمل بمقتضى علمه لآمنوا وما كذبوا قال المبرد يقال لكل ما نال الجارحة من شيء قد ذاقته اي وصل اليها كما تصل الحلاوة والمرارة الى الذائق لهما قال والخزي المكروه (ولقد) اللام موطئة للقسم (ضربنا للناس في هذا القرآن) اي جعلنا واوجدنا وبينا (من كل مثل) قد قدمنا تحقيق المثل وكيفية ضربه في غير موضع ومعنى من كل مثل ما يحتاجون اليه في امر دينهم وليس المراد ما هو أعم من ذلك فهو هنا كما في قوله ما فرطنا في الكتاب من شيء أي من شيء يحتاجون اليه في أمر دينهم وقيل المعنى ما ذكرنا من اهلاك الامم السالفة مثل لهؤلاء (لعلهم يتذكرون) يتعظون ويعتبرون (قرآنا عربيا) حال مؤكدة من هذا وتسمى هذه حالا موطئة لان الحال في الحقيقة هو عربيا وقرآنا توطئة له نحو جاءني زيد رجلا صالحا كذا قال الاخفش ويجوز ان ينتصب على المدح قال الزجاج عربيا منتصب على الحال وقرآنا توكيد (غير ذي عوج) أي لا اختلاف فيه بوجه من الوجوه قال الضحاك أي غير مختلف قال النحاس أحسن ما قيل في معناه قول الضحاك وقيل غير متضاد وقيل غير ذي لبس وقيل غير ذي لحن وقيل غير ذي شك كما قال الشاعر

الباب فيدخل حتى يخرج من الباب الآخر فدخل شيطان من أولئك فمر ولم يكن شيطان ينظر الى سليمان عليه السلام في المحراب الا احترق فمر ولم يسمع صوت سليمان ثم رجع فلم يسمع ثم رجع فوقع في البيت ولم يحترق ونظر الى سليمان عليه السلام قد سقط ميتا فخرج فأخبر الناس ان سليمان قد مات ففتحوا عليه فأخرجوه ووجدوا منسأته وهي العصا بلسان الحبشة قد أكلتها الارضة ولم يعلموا منذ كم مات فوضعوا الارضة على العصا فأكلت منها يوما وليلة ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وهي في قراءة ابن مسعود رضي الله عنه فمكثوا يدأبون له من بعد موته حولا كاملا فأيقن الناس عند ذلك ان الجن كانوا يكذبونهم ولو أنهم يطلعون على الغيب لعلموا بموت سليمان ولم يلبثوا في العذاب سنة يعملون له وذلك قول الله عز وجل ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين يقول تبين أمرهم للناس انهم كانوا يكذبونهم ثم ان الشياطين قالوا للارضة لو كنت تأكلين الطعام أتيناك بأطيب الطعام ولو كنت تشربين الشراب سقيناك أطيب الشراب ولكنا سننقل اليك الماء والطين قال فهم ينقلون اليها ذلك حيث كانت قال ألم تر الى الطين الذي يكون في جوف الخشب فهو ما تأتيها به الشياطين شكرا لها وهذا الاثر والله أعلم انما هو مما تلقى من علماء أهل الكتاب وهي وقف لا يصدق منه الا ما وافق الحق ولا يكذب منها الا ما خالف الحق والباقي لا يصدق ولا يكذب وقال ابن وهب وأصبغ بن الفرج عن عبد الرحمن عن زيد بن أسلم في قوله تبارك وتعالى ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته قال قال سليمان عليه السلام لملك الموت اذا أمرت بي فأعلمني فأتاه فقال يا سليمان قد أمرت بك قد بقيت لك سويعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير وليس له باب فقام يصلي فاتكأ على عصاه قال فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكئ على عصاه ولم يصنع ذلك فرارا من ملك الموت قال والجن تعمل بين يديه وينظرون اليه يحسبون انه حي قال فبعث الله عز وجل دابة الارض قال والدابة تأكل العيدان يقال لها القادح فدخلت فيها فأكلتها حتى اذا أكلت جوف العصا ضعفت وثقل عليها فخر ميتا فلما رأت ذلك الجن انفضوا وذهبوا قال فذلك قوله تعالى ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل

منسأته قال أصبغ بلغني عن غيره أنها قامت سنة تأكل منها قبل أن يخر وقد ذكر غير واحد من السلف نحوا من هذا والله أعلم (لقد كان لسبإ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور) كانت سبأ ملوك اليمن وأهلها وكانت التبابعة منهم وبلقيس صاحبة سليمان عليه الصلاة والسلام من جملتهم وكانوا في نعمة وغبطة في بلادهم وعيشهم واتساع أرزاقهم وزروعهم وثمارهم وبعث الله تبارك وتعالى إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزقه ويشكروه بتوحيده وعبادته فكانوا كذلك ما شاء الله تعالى ثم أعرضوا عما أمروا به فعوقبوا بإرسال السيل والتفرق في البلاد أيدي سبا شذر مذر كما سيأتي إن شاء الله تعالى تفصيله وبيانه قريبا وبه الثقة قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن عبد الرحمن ابن وعلة قال سمعت ابن عباس يقول إن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبإ ما هو أرجل أم امرأة أم أرض قال صلى الله عليه وسلم بل هو رجل ولد له عشرة فسكن اليمن منهم ستة وبالشام منهم أربعة فأما اليمانيون فمذحج وكندة والأزد والأشعريون وأنمار وحمير وأما الشامية فلخم وجذام وعاملة وغسان ورواه عبد عن الحسن بن موسى عن ابن لهيعة به وهذا إسناد حسن ولم يخرجوه وقد رواه الحافظ أبو عمر بن عبد البر في كتاب القصد والأمم بمعرفة أصول أنساب العرب والعجم من حديث ابن لهيعة عن علقمة بن وعلة عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكر نحوه وقد روي نحوه من وجه آخر وقال الإمام أحمد أيضا وعبد بن حميد حدثنا يزيد بن هرون حدثنا أبو جناب يحيى بن أبي حية الكلبي عن يحيى بن هرون عن عروة بن مسيك رضي الله عنه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أقاتل بمقبل قومي مدبرهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فقاتل بمقبل قومك مدبرهم فلما وليت دعاني فقال لا تقاتلهم حتى تدعوهم إلى الإسلام فقلت يا رسول الله أرأيت سبأ واد هو أو جبل أو ما هو قال صلى الله عليه وسلم لا بل هو رجل من العرب ولد له عشرة فتيامن ستة وتشاءم أربعة تيامن الأزد والأشعريون وحمير وكندة ومذحج وأنمار الذين يقال لهم بجيلة وخثعم

وبدأت الشيء بعيد عن عوج من الإله وقول غير مكذوب

وقال ابن عباس غير مخلوق وقيل معناه صحيح مستقيم بينهم ولا يلتبس بجار ومن الباطل (لعلهم يتقون) علة أخرى بعد العلة الأولى وهي لعلهم يتذكرون أي لكي يتقوا الكفر والكذب وقيل علة لقوله لعلهم يتذكرون فالأول سبب في الثاني ثم ذكر سبحانه مثلا من الأمثال القرآنية للتذكير والإيقاظ فقال (ضرب الله مثلا) أي تمثيل حالة عجيبة بأخرى مثلها ثم بين المثل فقال (رجلا فيه شركاء متشاكسون) قال الكسائي نصب رجلا لأنه تفسير للمثل وقيل منصوب بنزع الخافض أي ضرب الله مثلا برجل وقيل إن رجلا هو المفعول الأول ومثلا هو المفعول الثاني وأخر المفعول الأول ليتصل بما هو من تمامه وقد تقدم تحقيق هذا في سورة يس وجملة فيه شركاء في محل نصب صفة لرجل والتشاكس التخالف وأصله سوء الخلق وعسره وهو سبب التخالف والتشاجر ويقال التشاخس بالخاء المعجمة قال الفراء أي مختلفون وقيل متنازعون وقال المبرد متعاسرون من شكس يشكس شكسا فهو شكس مثل عسر يعسر عسرا فهو عسر وشكس بكسر الكاف هو القياس قال الجوهري التشاكس الاختلاف قال ويقال رجل شكس بالتسكين أي صعب الخلق وهذا مثل من أشرك بالله وعبد آلهة كثيرة ثم قال (ورجلا سلما لرجل) أي خالصا له وهذا مثل من يعبد الله وحده قرأ الجمهور سلما بفتح السين واللام وقرئ بكسر السين وسكون اللام وقرأ ابن عباس ومجاهد والجحدري وابن كثير ويعقوب سالما اسم فاعل من سلم له فهو سالم واختارها أبو عبيد قال لأن السالم الخالص ضد المشترك والسلم ضد الحرب ولا موضع للحرب هنا وأجيب عنه بأن الحرف إذا كان له معنيان لم يحمل إلا على أولاهما فالسلم وإن كان ضد الحرب فله معنى آخر بمعنى سالم من سلم له كذا إذا خلص له وأيضا يلزمه في سالم ما ألزم به لأنه يقال شيء سالم أي لا عاهة به واختار أبو حاتم القراءة الأولى والحاصل أن قراءة الجمهور هي على الوصف بالمصدر للمبالغة أو على حذف مضاف أي ذا سلم ومثلها قراءة سعيد بن جبير ومن معه قال ابن عباس رجلا سلما أي ليس لأحد فيه شيء ثم جاء سبحانه بما يدل على التفاوت بين الرجلين فقال (هل يستويان مثلا) وهذا الاستفهام للإنكار والاستبعاد والمعنى هل يستوي هذا الذي يخدم جماعة شركاء أخلاقهم مختلفة ونياتهم متباينة يستخدمه كل واحد منهم فيتعب

وتشاءم لخم وجذام وعاملة وغسان وهذا أيضا إسناد حسن وإن كان فيه أبو جناب الكلبي وقد تكلموا فيه لكن رواه ابن جرير عن أبي كريب عن العنقزي عن أسباط بن نصر عن يحيى بن هانئ المرادي عن عمه أو عن أبيه شك أسباط قال قدم فروة بن مسيك رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره طريق أخرى لهذا الحديث قال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب حدثني ابن لهيعة عن توبة بن نمر عن عبد العزيز بن يحيى أنه أخبره قال كنا عند عبيدة بن عبد الرحمن بإفريقية فقال يوما ما أظن قوما بأرض إلا وهم من أهلها فقال علي بن رباح كلا قد حدثني فلان أن فروة بن مسيك الغطيفي رضي الله عنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن سبأ قوم كان لهم عز في الجاهلية وإني أخشى أن يرتدوا عن الإسلام أفأقاتلهم فقال صلى الله عليه وسلم ما أمرت فيهم بشيء بعد فأنزلت هذه الآية لقد كان لسبإ في مسكنهم آية الآيات فقال له رجل يا رسول الله ما سبأ فذكر مثل الحديث الذي قبله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن سبإ ما هو أبلد أم رجل أم امرأة قال صلى الله عليه وسلم بل رجل ولد له عشرة فسكن اليمن منهم ستة والشام أربعة أما اليمانيون فمذحج وكندة والأزد والأشعريون والأنمار وحمير غير ما حلها وأما الشام فلخم وجذام وغسان وعاملة فيه غرابة من حيث ذكر نزول الآية بالمدينة والسورة مكية كلها والله سبحانه وتعالى أعلم طريق أخرى قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا أبو أسامة حدثنا الحسن بن الحكم حدثنا أبو سبرة النخعي عن فروة بن مسيك الغطيفي رضي الله عنه قال قال رجل يا رسول الله أخبرني عن سبإ ما هو أرض أم امرأة قال صلى الله عليه وسلم ليس بأرض ولا امرأة ولكنه رجل ولد له عشرة من الولد فتيامن ستة وتشاءم أربعة فأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وعاملة وغسان وأما الذين تيامنوا فكندة والأشعريون والأزد ومذحج وحمير وأنمار فقال رجل ما أنمار قال صلى الله عليه وسلم الذين منهم خثعم وبجيلة ورواه الترمذي في جامعه عن أبي كريب وعبد بن حميد قالا حدثنا أبو أسامة فذكره أبسط من هذا ثم قال هذا حديث حسن غريب وقال أبو عمر بن عبد البر حدثنا عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا أحمد بن زهير حدثنا عبد الوهاب بن نجدة الحوطي حدثنا ابن كثير هو عثمان بن كثير عن الليث بن سعد عن موسى بن علي عن يزيد بن حصين عن تميم الداري

ويصب مع كون كل واحد منهم غير راض بخدمته وهذا الذي يخدم واحدا لا ينازعه غيره إذا أطاعه رضي عنه وإذا عصاه عفا عنه فإن بين هذين من الاختلاف الظاهر الواضح ما لا يقدر عاقل أن يتفوه باستوائهما لأن أحدهما في أعلى المنازل والآخر في أدناها وانتصاب مثلا على التمييز المحول عن الفاعل لأن الأصل هل يستوي مثلهما أي حالهما وصفتهما وأفرد التمييز ولم يثنه لأن الأصل في التمييز الإفراد لكونه مبينا للجنس وقال السمين وأفرد التمييز لأنه مقتصر عليه أولا في قوله ضرب الله مثلا وقرئ مثلين فطابق حالي الرجلين وجملة (الحمد لله) مقررة لما قبلها من نفي الاستواء بطريق الاعتراض وللإيذان للموحدين بما في توحيدهم لله من النعمة العظيمة المستحقة لتخصيص الحمد به أي الحمد لله على عدم استواء هذين الرجلين وقيل الجملة اعتراضية فإن قوله (بل أكثرهم لا يعلمون) إضراب انتقالي من بيان عدم الاستواء على الوجه المذكور إلى بيان أن أكثر الناس وهم المشركون فإنهم لا يعلمون ذلك مع كمال ظهوره ووضوحه فيقعون في ورطة الشرك والضلال قال الواحدي والبغوي والمراد بالأكثر الكل والظاهر خلاف ما قالاه فإن المؤمنين بالله يعلمون ما في التوحيد من رفعة شأنه وعلو مكانه وأن الشرك لا يماثله بوجه من الوجوه ولا يساويه في وصف من الأوصاف ويعلمون أن الله سبحانه يستحق الحمد على هذه النعمة وأن الحمد مختص به ثم أخبر سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بأن الموت يدركه ويدركهم لا محالة فقال (إنك ميت وإنهم ميتون) وذلك أنهم كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الموت فأخبر أن الموت يعمهم جميعا فلا معنى للتربص وشماتة الفاني بالفاني وهذا تمهيد لما يعقبه من الخصام يوم القيامة قرأ الجمهور ميت وميتون بالتشديد وقرئ مائت ومائتون وبها قرأ عبد الله بن الزبير وقد استحسن هذه القراءة بعض المفسرين لكون موته وموتهم مستقبلا ولا وجه للاستحسان فإن قراءة الجمهور تفيد هذا المعنى قال الفراء والكسائي الميت بالتشديد من لم يمت وسيموت والميت بالتخفيف من قد مات وفارقته الروح قال الخليل أنشد أبو عمرو

وتسألني تفسير ميت وميت * فدونك قد فسرت إن كنت تعقل

فمن كان ذا روح فذلك ميت * وما الميت إلا من إلى القبر يحمل

وقال السمين ولا خلاف بين القراء في تثقيل مثل هذا قال قتادة نعيت إلى النبي صلى الله

رضي الله عنه قال ان رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن سبأ فذكر مثله وقوى هذا الحديث وحسن قال علماء النسب منهم محمد بن اسحق اسم سبأ عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان وانما سمي سبأ لانه أول من سبأ في العرب وكان يقال له الرائش لانه أول من غنم في الغزو وأعطى قومه فسمي الرائش والعرب تسمي المال ريشا ورياشا وذكروا انه بشر برسول الله صلى الله عليه وسلم في زمانه المتقدم وقال في ذلك شعرا

سيملك بعدنا ملكا عظيما * نبي لا يرخص في الحرام

ويملك بعده منهم ملوك * يدينون العباد بكل دامي
ويملك بعدهم منا ملوك * يصير الملك فينا باقتسام
ويملك بعد قحطان نبي * تقي مخبت خير الانام
يسمى أحمدا يا ليت أني * أعمر بعد مبعثه بعام
فأعضده وأحبوه بنصري * بكل مدجج وبكل رام
متى يظهر فكونوا ناصريه * ومن يلقاه يبلغه سلامي

ذكر ذلك الهمداني في كتاب الاكليل واختلفوا في قحطان على ثلاثة أقوال (أحدها) انه من سلالة ارم بن سام بن نوح واختلفوا في كيفية اتصال نسبه به على ثلاثة طرائق والثاني انه من سلالة عابر وهو هود عليه الصلاة والسلام واختلفوا أيضا في كيفية اتصال نسبه به على ثلاث طرائق أيضا والثالث انه من سلالة اسمعيل بن ابراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام واختلفوا في كيفية اتصال نسبه على ثلاث طرائق أيضا وقد ذكر ذلك مستقصى الامام الحافظ أبو عمر بن عبد البر النمري رحمة الله تعالى عليه في كتابه المسمى بالانباه على ذكر أصول القبائل الرواه ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم كان رجلا من العرب يعني وقال العرب العاربة الذين كانوا قبل الخليل عليه الصلاة والسلام من سلالة سام بن نوح وعلى القول الثالث كان من سلالة الخليل عليه السلام وليس هذا المشهور عندهم والله أعلم ولكن في صحيح البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بنفر من أسلم ينتضلون فقال ارموا بني اسمعيل فان أباكم كان راميا فأسلم قبيلة من الانصار والانصار أوسها وخزرجها من غسان من عرب اليمن من سبأ نزلوا بيثرب لما تفرقت سبأ في البلاد حين بعث الله عز وجل عليهم سيل العرم ونزلت طائفة منهم بالشام وانما قيل لهم غسان

عليه وآله وسلم بنفسه ونعيت اليهم أنفسهم ووجه هذا الاخبار الاعلام للصحابة بانه يموت فقد كان بعضهم يعتقد انه لا يموت مع كونه توطئة وتمهيدا لما بعده فأخرج النسائي وغيره عن ابن عمر قال لقد لبثنا برهة من دهرنا ونحن نرى ان هذه الآية نزلت فينا وفي أهل الكتابين من قبلنا حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت انها نزلت فينا (ثم انكم) أيها الناس جميعا مؤمنكم وكافركم (يوم القيامة عند ربكم تختصمون) فيما بينكم من المظالم فيقضي بين المحق والمبطل وقيل تخاصمهم يا محمد وتحتج عليهم بانك قد بلغتهم وأنذرتهم وهم يخاصمونك أو يخاصم المؤمن الكافر والظالم المظلوم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من كان عنده مظلمة لاخيه من عرض أو مال فليتحلله اليوم قبل ان لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات أخذ من سيآت صاحبه فحملت عليه رواه البخاري وعنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم ولا متاع له فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان المفلس من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار أخرجه مسلم وعن ابن عمر قال نزلت علينا هذه الآية وما ندري ما تفسيرها حتى وقعت الفتنة فقلنا هذا الذي وعدنا ربنا ان نختصم فيه أخرجه ابن جرير وأخرج النسائي وغيره عنه قال لقد لبثنا برهة من دهرنا ونحن نرى ان هذه الآية نزلت فينا وفي أهل الكتابين من قبلنا حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت انها نزلت فينا وعن الزبير بن العوام قال لما نزلت انك ميت الى قوله تختصمون قلت يا رسول الله أيكرر علينا ما يكون بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب قال نعم ليكررن عليكم ذلك حتى يؤدى الى كل ذي حق حقه قال الزبير فوالله ان الامر لشديد أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن أبي سعيد الخدري قال لما نزلت هذه الآية كنا نقول ربنا واحد ودينا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن ابراهيم لما نزلت هذه الآية قالوا كيف نختصم ونحن اخوان فلما قتل عثمان قالوا هذه خصومتنا ثم بين سبحانه حال كل فريق من المختصمين

وقال (فمن) أي لا أحد (أظلم ممن كذب على الله) فزعم ان له ولدا أو شريكا أو صاحبة (وكذب بالصدق اذ جاءه) وهو ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من دعاء الناس الى التوحيد وأمرهم بالقيام بفرائض الشرع ونهيهم عن محرماته واخبارهم بالبعث والنشور وما أعد الله للمطيع والعاصي وقوله اذ جاءه ظرف لكذب بالصدق أي كذب بالقرآن في وقت مجيئه أي فاجأه بالتكذيب لما سمعه من غير وقفة ولا اعمال روية تمييز بين حق وباطل كما يفعل أهل النصفة فيما يسمعون ثم استفهم سبحانه استفهاما تقريريا فقال (أليس في جهنم مثوى للكافرين) أي أليس لهؤلاء المفترين المكذبين بالصدق والمثوى المقام وهو مشتق من ثوى بالمكان اذا أقام به يثوى ثواء وثويا مثل مضى مضاء ومضيا وحكى أبو عبيد انه يقال أثوى وأنكر ذلك الاصمعي وقال لا نعرف أثوى ثم ذكر سبحانه فريق المؤمنين المصدقين فقال (والذي جاء بالصدق وصدق به) الموصول في موضع رفع بالابتداء وهو عبارة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن تابعه وقيل الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذي صدق به أبو بكر قاله علي بن أبي طالب وعن أبي هريرة مثله وقال مجاهد الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذي صدق به علي بن أبي طالب وقال السدي الذي جاء بالصدق جبريل والذي صدق به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال قتادة ومقاتل وابن زيد الذي جاء بالصدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم والذي صدق به المؤمنون وقال النخعي الذي جاء بالصدق وصدق به هم المؤمنون الذين يجيئون بالقرآن يوم القيامة وقيل ان ذلك عام في كل من دعا الى توحيد الله وأرشد الى ما شرعه لعباده واختار هذا ابن جرير وهو الذي اختاره من هذه الاقوال ويؤيده قراءة ابن مسعود والذين جاؤا بالصدق وصدقوا به وقرئ صدق به بالتخفيف أي صدق به الناس قال ابن عباس الذي جاء بالصدق يعني لا اله الا الله وصدق به يعني برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل الذي جاء بالصدق هو جبريل جاء بالقرآن وصدق به محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل الذي جاء بالصدق الانبياء وصدق به الاتباع والكل صحيح قالوا والوجه في العربية أن يكون جاء وصدق لفاعل واحد لان التغاير يستدعي اضمار الذي وذا غير جائز أو اضمار الفاعل من غير تقدم الذكر وذا بعيد ولفظ الذي كما وقع في قراءة الجمهور وان كان مفردا فمعناه الجمع لانه يراد به الجنس كما

عام لو اعلمه قيل بالنبي وقيل انه قريب من المثل كما قال حسان بن ثابت رضي الله عنه

اما سألت فانا معشر نجب * الازد نسبتنا والماء غسان

ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم ولد له عشرة من العرب أي كان من نسله هؤلاء العشرة الذين يرجع اليهم أصول القبائل من عرب اليمن لا انهم ولدوا من صلبه بل منهم من بينه وبينه الآباء والثلاثة والاقل والاكثر كما هو مقرر مبين في مواضعه من كتب النسب ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم فتيامن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة أي بعد ما أرسل الله تعالى عليهم سيل العرم منهم من أقام ببلادهم ومنهم من رجع عنها الى غيرها وكان من أمر السد أنه كان الماء يأتيهم من بين جبلين وتجتمع اليه أيضا سيول أمطارهم وأوديتهم فعمد ملوكهم الاقادم فسدوا بينهما سدا عظيما محكما حتى ارتفع الماء وحكم على حافات ذينك الجبلين فغرسوا الاشجار واستغلوا الثمار في غاية ما يكون من الكثرة والحسن كما ذكره غير واحد من السلف منهم قتادة ان المرأة كانت تمشي تحت الاشجار وعلى رأسها مكتل أو زنبيل وهو الذي تخترف فيه الثمار فيتساقط من الاشجار في ذلك ما يملؤه من غير أن يحتاج الى كلفة ولا قطاف لكثرته ونضجه واستوائه وكان هذا السد بمأرب بلدة بينها وبين صنعاء ثلاث مراحل وتعرف بسد مأرب وذكر آخرون انه لم يكن ببلدهم شئ من الذباب ولا البعوض ولا البراغيث ولا شئ من الهوام وذلك لاعتدال الهواء وصحة المزاج وعناية الله بهم ليوحدوه ويعبدوه كما قال تبارك وتعالى لقد كان لسبا في مسكنهم آية ثم فسرها بقوله عز وجل جنتان عن يمين وشمال أي من ناحيتي الجبلين والبلدة بين ذلك كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور أي غفور لكم ان استمررتم على التوحيد وقوله تعالى فأعرضوا أي عن توحيد الله وعبادته وشكره على ما أنعم به عليهم وعدلوا الى عبادة الشمس من دون الله كما قال الهدهد لسليمان عليه الصلاة والسلام وجئتك من سبا بنبا يقين اني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون وقال محمد بن اسحق عن وهب بن منبه بعث الله تعالى اليهم ثلاثة عشر نبيا وقال السدي أرسل الله عز وجل اليهم اثني عشر ألف نبي والله أعلم وقوله تعالى فأرسلنا عليهم سيل

العرم فسيل المراد بالعرم الماء وقيل الوادي وقيل الجرذ وقيل الماء الغزير فيكون من باب اضافة الاسم الى صفته مثل مسجد الجامع وسعيد كرز حكى ذلك السهيلي وذكر غير واحد منهم ابن عباس ووهب بن منبه وقتادة والضحاك ان الله عز وجل لما أراد عقوبتهم بارسال العرم عليهم بعث على السد دابة من الارض يقال لها الجرذ نقبته قال وهب بن منبه وقد كانوا يجدون في كتبهم ان سبب خراب هذا السد هو الجرذ فكانوا يرصدون عنده السنانير برهة من الزمان فلما جاء القدر غلبت الفأر السنانير وولجت الى السد فنقبته فانهار عليهم وقال قتادة وغيره الجرذ هو الخلد نقبت أسفله حتى اذا ضعف ووقت أيام السيول صدم الماء البناء فسقط فانساب الماء في أسفل الوادي وخرب ما بين يديه من الابنية والاشجار وغير ذلك ونضب الماء عن الاشجار التي في الجبلين عن يمين وشمال فيبست وتحطمت وتبدلت تلك الاشجار المثمرة الأنيقة النضرة كما قال الله تبارك وتعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطاء الخراساني والحسن وقتادة والسدي وهو الاراك وأكله البرير وأثل قال العوفي عن ابن عباس هو الطرفاء وقال غيره هو شجر يشبه الطرفاء وقيل هو السمر والله أعلم وقوله تعالى وشيء من سدر قليل لما كان أجود هذه الاشجار المبدل بها هو السدر قال وشيء من سدر قليل فهذا الذي صار أمر تينك الجنتين اليه بعد الثمار النضيجة والمناظر الحسنة والظلال العميقة والانهار الجارية تبدلت الى شجر الاراك والطرفاء والسدر ذي الشوك الكثير والثمر القليل وذلك بسبب كفرهم وشركهم بالله وتكذيبهم الحق وعدولهم عنه الى الباطل ولهذا قال تعالى ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور أي عاقبناهم بكفرهم قال مجاهد ولا يعاقب الا الكفور وقال الحسن البصري صدق الله العظيم لا يعاقب بمثل فعله الا الكفور وقال طاوس لا يناقش الا الكفور وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو عمير بن النحاس الرملي حدثنا حجاج بن محمد حدثنا أبو البلاد عن هاشم بن صالح التغلبي عن أبي خيرة وكان من أصحاب علي رضي الله عنه قال جزاء المعصية الوهن في العبادة والضيق في المعيشة والتعسر في اللذة قيل وما التعسر في اللذة قال لا يصادف لذة حلال الا جاءه من ينغصه اياها (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة

ثم قوله (أولئك هم المتقون) أي المتصفون بالتقوى التي هي عنوان النجاة قال ابن عباس اتقوا الشرك ثم ذكر سبحانه ما لهؤلاء الصادقين المصدقين في الآخرة فقال (لهم ما يشاؤون عند ربهم) أي لهم كل ما يشاؤونه من رفع الدرجات ودفع المضرات وتكفير السيئات وجلب المنافع وفي هذا ترغيب عظيم وتشويق بالغ (ذلك) أي ما يشاؤونه (جزاء المحسنين) أي الذين أحسنوا في أعمالهم وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ثم بين سبحانه ما هو الغاية مما لهم عند ربهم فقال (ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا) فان ذلك هو أعظم ما يرجونه من دفع الضرر عنهم لأن الله سبحانه اذا غفر لهم ما هو الاسوأ من أعمالهم غفر لهم ما دونه بطريق الاولى واللام متعلقة بيشاؤون أو بالمحسنين أو بمحذوف قرأ الجمهور أسوأ على انه أفعل تفضيل وقيل ليست للتفضيل بل بمعنى سيء الذي عملوا وبهذا الاعتبار يعم الاسوأ جميع معاصيهم وقرئ أسواء بألف بين الهمزة والواو بزنة أجمال جمع سوء ولما ذكر الله سبحانه ما يدل على دفع المضار عنهم ذكر ما يدل على جلب أعظم المنافع اليهم فقال (ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون) اضافة الاحسن الى ما بعده ليست من اضافة المفضل الى المفضل عليه بل من اضافة الشيء الى بعضه قصدا الى التوضيح من غير اعتبار تفضيل قال مقاتل يجزيهم بالمحاسن من أعمالهم ولا يجزيهم بالمساوي ويعم الاحسن جميع حسناتهم ولولا هذا التأويل لكان مقتضى النظم انه يكفر عنهم أقبح السيئات فقط ويجزيهم على أفضل الحسنات فقط (أليس الله بكاف عبده) قرأ الجمهور بالافراد وقرئ بالجمع فعلى الاولى المراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو الجنس ويدخل فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخولا أوليا وعلى الثانية المراد الانبياء أو المؤمنون أو الجميع واختار أبو عبيد الاولى لقوله عقبه ويخوفونك والاستفهام للانكار لعدم كفايته سبحانه على أبلغ وجه كأنها بمكان من الظهور لا يتيسر لأحد أن ينكره وقيل المراد بالعبد والعباد ما يعم المسلم والكافر قال الجرجاني ان الله كاف عبده المؤمن وعبده الكافر هذا بالثواب وهذا بالعقاب وقرئ بكافي عباده بالاضافة ويكافي بصيغة المضارع وقوله (ويخوفونك) يجوز أن يكون في محل نصب على الحال

وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) يذكر تعالى ما كانوا فيه من النعمة والغبطة والعيش الهني الرغيد والبلاد المرضية والأماكن الآمنة والقرى المتواصلة المتقاربة بعضها من بعض مع كثرة أشجارها وزروعها وثمارها بحيث إن مسافرهم لا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء بل حيث نزل وجد ماء وثمراً ويقيل في قرية ويبيت في أخرى بمقدار ما يحتاجون إليه في سيرهم ولهذا قال تعالى (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها) قال وهب بن منبه هي قرى بصنعاء وكذا قال أبو مالك وقال مجاهد والحسن وسعيد بن جبير ومالك عن زيد بن أسلم وقتادة والضحاك والسدي وابن زيد وغيرهم يعني قرى الشام يعنون أنهم كانوا يسيرون من اليمن إلى الشام في قرى ظاهرة متواصلة وقال العوفي عن ابن عباس القرى التي باركنا فيها بيت المقدس وقال العوفي عنه أيضاً هي قرى عربية بين المدينة والشام (قرى ظاهرة) أي بينة واضحة يعرفها المسافرون يقيلون في واحدة ويبيتون في أخرى ولهذا قال تعالى (وقدرنا فيها السير) أي جعلناها بحسب ما يحتاج المسافرون إليه (سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين) أي الأمن حاصل لهم في سيرهم ليلاً ونهاراً (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم) وقرأ آخرون بعّد بين أسفارنا وذلك أنهم بطروا هذه النعمة كما قاله ابن عباس ومجاهد والحسن وغير واحد وأحبوا مفاوز ومهامه يحتاجون في قطعها إلى الزاد والرواحل والسير في الحرور والمخاوف كما طلب بنو إسرائيل من موسى أن يخرج الله لهم مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها مع أنهم كانوا في عيش رغيد في منّ وسلوى وما يشتهون من مآكل ومشارب وملابس مرتفعة ولهذا قال لهم (أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله) وقال عز وجل (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها) وقال تعالى (وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) وقال تعالى في حق هؤلاء (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم) أي بكفرهم (فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق) أي جعلناهم حديثاً للناس وسمراً يتحدثون به من خبرهم

الحال إذ المعنى أليس كافيك حال تخويفهم إياك (بالذين من دونه) هي المعبودات التي يعبدونها قالوا لتكفن عن شتم آلهتنا أو ليصيبنك منهم خبل أو جنون كأن المعنى أنه كافيك في كل حال حتى في هذه الحال ويجوز أن تكون مستأنفة (ومن يضلل الله) أي من جعله ضالاً بسبب ضلاله حتى غفل عن كفاية الله له وتخويفه بما لا يسمع ولا يبصر (فما له من هاد) يهديه إلى الرشد ويخلصه من الضلالة (ومن يهد الله فما له من مضل) يخرجه من الهداية ويوقعه في الضلالة (أليس الله بعزيز) أي غالب لكل شيء قاهر له (ذي انتقام) ينتقم من عصاته بما يصبه عليهم من عذابه وما ينزله بهم من سوط عقابه وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لتحقيق مضمون الكلام وتربية المهابة (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) ذكر سبحانه اعترافهم إذا سئلوا عن الخالق بأنه الله سبحانه لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية مع عبادتهم للأصنام والأوثان واتخاذهم الآلهة من دون الله وفي هذا أعظم دليل على أنهم كانوا في غفلة شديدة وجهالة عظيمة لأنهم إذا علموا أن الخالق لهم ولما يعبدون من دون الله هو الله سبحانه فكيف استحسنت عقولهم عبادة غير خالق الكل وتشريك مخلوق مع خالقه في العبادة وقد كانوا يذكرون بحسن العقول وكمال الإدراك والفطنة التامة ولكنهم لما قلدوا أسلافهم وأحسنوا الظن بهم هجروا ما يقتضيه العقل وعملوا بما هو محض الجهل ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يبكتهم بعد هذا الاعتراف ويوبخهم فقال (قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره) أي أخبروني عن آلهتكم هذه هل تقدر على كشف ما أراده الله بي من الضر والضر هو الشدة والبلاء (أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته) بحيث لا تصل إلي والرحمة النعمة والرخاء قرأ الجمهور كاشفات وممسكات في الموضعين بالإضافة وقرأهما أبو عمرو بالتنوين واختار أبو عبيد وأبو حاتم قراءة أبي عمرو لأن كاشفات اسم فاعل في معنى الاستقبال وما كان كذلك فتنوينه أجود وبها قرأ الحسن وعاصم قال مقاتل لما نزلت هذه الآية سألهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسكتوا وقال غيره قالوا لا تدفع شيئاً من قدر الله ولكنها تشفع فنزل (قل حسبي الله) في جميع أموري في جلب النفع ودفع الضر (عليه يتوكل

المتوكلون) أي عليه لا على غيره يعتمد المعتمدون ثم أمره الله سبحانه أن يهددهم
ويتوعدهم فقال (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم) أي على حالتكم التي أنتم عليها
وتمكنتم منها والمكانة بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما تستعار هنا وحيث
للزمان وهما للمكان (إني عامل) على حالتي التي أنا عليها وتمكنت منها وحذف للعلم
به مما قبله (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) أي يهينه ويذله في الدنيا فيظهر عند
ذلك أنه المبطل وخصمه المحق والمراد بهذا العذاب عذاب الدنيا وما حل بهم من القتل
والأسر والقهر والذلة ثم ذكر عذاب الآخرة فقال (ويحل عليه عذاب مقيم) أي دائم
مستمر في الدار الآخرة وهو عذاب النار وهو مجاز في الطرف أو في الإسناد وأصله مقيم
فيه صاحبه ثم لما كان يعظم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إصرارهم على الكفر
أخبره بأنه لم يكلفه إلا البيان لا بأن يهدي من ضل فقال (إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس)
أي لأجلهم ولبيان ما كلفوا به فإنه مناط مصالحهم في معاشهم ومعادهم وللناس كافة
لأن رسالته كذلك (بالحق) حال من الفاعل أو المفعول أي محقين أو متلبسا بالحق (فمن
اهتدى) طريق الحق وسلكها (فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها) أي على نفسه
فضرر ذلك عليه لا يتعدى إلى غيره (وما أنت عليهم بوكيل) أي بمكلف بهدايتهم مخاطب
بها بل ليس عليك إلا البلاغ وقد فعلت وهذه الآيات منسوخة بآية السيف فقد أمر الله
سبحانه رسوله بعد هذا أن يقاتلهم حتى يقولوا لا إله إلا الله ويعملوا بأحكام الإسلام ثم ذكر
سبحانه نوعا من أنواع قدرته البالغة وصنعته العجيبة فقال (الله يتوفى الأنفس حين موتها)
أي يقبض الأرواح عند حضور آجالها ويخرجها من الأبدان (و) يتوفى الأنفس (التي لم
تمت في منامها) أي لم يحضر أجلها في منامها وقد اختلف في هذا فقيل يقبضها عن
التصرف مع بقاء الروح في الجسد وقال الفراء المعنى ويقبض التي لم تمت عند انقضاء
أجلها قال وقد يكون توفيها نومها فيكون التقدير على هذا والتي لم تمت وفاتها نومها قال
الزجاج لكل إنسان نفسان أحدهما نفس التمييز وهي التي تفارقه إذا نام فلا يعقل
والأخرى نفس الحياة إذا زالت زال معها النفس والنائم يتنفس قال القشيري في هذا بعد
إذ المفهوم من الآية أن النفس المقبوضة في الحالين شيء واحد ولهذا قال (فيمسك التي

وكيف مكر الله بهم وفرق شملهم بعد الاجتماع والألفة والعيش الهنيء تفرقوا في البلاد هاهنا وههنا ولهذا تقول العرب في القوم إذا
تفرقوا تفرقوا أيدي سبا وأيادي سبا وتفرقوا شذر مذر وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد يحيى بن سعيد القطان حدثنا
إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال سمعت أبي يقول سمعت عكرمة يحدث بحديث أهل سبا قال لقد كان لسبإ في مساكنهم آية جنتان
عن يمين وشمال إلى قوله تعالى فأرسلنا عليهم سيل العرم وكانت فيهم كهنة وكانت الشياطين يسترقون السمع فأخبروا الكهنة
بشيء من أخبار السماء فكان فيهم رجل كاهن شريف كثير المال وإنه خبران زوال أمرهم قد دنا وأن العذاب
قد أظلهم فلم يدر كيف يصنع لأنه
كان له مال كثير من عقار فقال
لرجل من بنيه وهو أعزهم أخوالا
يا بني إذا كان غدا وأمرتك بأمر فلا
تفعله فإذا انتهرتك فانتهرني فإذا
لطمتك فالطمني قال يا أبت لا تفعل
إن هذا أمر عظيم وأمر شديد قال
يا بني قد حدث أمر لا بد منه فلم يزل به
حتى وافاه على ذلك فلما أصبحوا
واجتمع الناس قال يا بني افعل
كذا وكذا فأبى فانتهره أبوه فأجابه
فلم يزل ذلك بينهما حتى تناوله أبوه
فلطمه فوثب على أبيه فلطمه فقال
ابني يلطمني علي بالشفرة قالوا
ما تصنع بالشفرة قال أذبحه قالوا
تريد أن تذبح ابنك الطمه أو اصنع ما بدا لك
قال فأبى قال فأرسلوا إلى أخواله
فأعلموهم ذلك فجاء أخواله فقالوا
خذ منا ما بدا لك فأبى إلا أن يذبحه
قالوا فلتموتن قبل أن تذبحه قال
فإذا كان الحديث هكذا فإني لا أرى
أن أقيم ببلد يحال بيني وبين ابني
فيه اشتروا مني دوري اشتروا مني
أرضي فلم يزل حتى باع دوره
وأرضه وعقاره فلما صار الثمن في
يده وأحرزه قال أي قوم إن العذاب
قد أظلكم وزوال أمركم قد دنا فمن أراد منكم دارا جديدا وجملا شديدا وسفرا بعيدا فليلحق بعمان ومن وفي
أراد منكم الخمر والخمير والعصير وكلمة قال إبراهيم لم أحفظها فليلحق ببصرى ومن أراد الراسخات في الوحل المطعمات في المحل
المقيمات في الضحل فليلحق بيثرب ذات النخل فأطاعه قومه فخرج أهل عمان إلى عمان وخرجت غسان إلى بصرى وخرجت الأوس
والخزرج وبنو عثمان إلى يثرب ذات النخل قال فأتوا على بطن مر فقال بنو عثمان هذا مكان صالح لا نبغي به بدلا فأقاموا به فسموا
لذلك خزاعة لأنهم انخزعوا من أصحابهم واستقامت الأوس والخزرج حتى نزلوا المدينة وتوجه أهل عمان إلى عمان وتوجهت

قضى عليها الموت) ولا يردها الى البدن قرأ الجمهور قضى مبنيا للفاعل أي قضى الله عليها الموت وقرئ على البناء للمفعول واختار أبو عبيد وأبو حاتم الاولى لموافقتها لقوله الله يتوفى الانفس (ويرسل الاخرى) أي النائمة الى بدنها عند اليقظة (الى أجل مسمى) وهو الوقت المضروب لموته وهو غاية لجنس الارسال وقد قال بمثل قول الزجاج ابن الانباري وقال سعيد بن جبير ان الله يقبض أرواح الاموات اذا ماتوا وأرواح الاحياء اذا ناموا فتتعارف ما شاء الله أن تتعارف فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى فيعيدها والاولى أن يقال ان توفي الانفس حال النوم بازالة الاحساس وحصول الآفة به في محل الحس فيمسك التي قضى عليها الموت ولا يردها الى الجسد الذي كانت فيه ويرسل الاخرى بأن يعيد عليها احساسها قيل ومعنى يتوفى الانفس عند موتها هو على حذف مضاف أي عند موت أجسادها وعن ابن عباس قال نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فيتوفى الله النفس في منامه ويدع الروح في جوفه يتقلب ويعيش فان بدا له أن يقبضه قبض الروح فمات وان أخر أجله رد النفس الى مكانها من جوفه أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم وعنه قال تلتقي أرواح الاحياء وأرواح الاموات في المنام فيتساءلون بينهم ما شاء الله ثم يمسك الله أرواح الاموات ويرسل أرواح الاحياء الى أجسادها الى أجل مسمى لا يغلط بشئ منها أخرجه عبد بن حميد وغيره وعنه أيضا في الآية قال كل نفس لها سبب تجري فيه فاذا قضى عليه الموت نامت حتى ينقطع السبب والتي لم تمت في منامها تترك وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا أوى أحدكم الى فراشه فلينفضه بداخلة ازاره فانه لا يدري ما خلفه عليه ثم ليقل باسمك ربي وضعت جنبي وباسمك أرفعه ان أمسكت نفسي فارحمها وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين وقد اختلف العقلاء في النفس والروح هل هما شئ واحد أو شيآن والكلام في ذلك يطول جدا وهو معروف في الكتب الموضوعة لهذا الشأن والاظهر أنهما شئ واحد وهو الذي تدل عليه الآثار الصحاح (ان في ذلك) أي فيما تقدم من التوفي والامساك والارسال للنفوس (لآيات) عجيبة بديعة دالة على القدرة الباهرة ولكن ليس كون ذلك آيات يفهمه كل أحد بل (لقوم يتفكرون) في ذلك ويتدبرونه ويستدلون به على توحيد الله وكمال قدرته فان في هذا التوفي والامساك والارسال موعظة

غسان الى بصرى هذا أثر غريب عجيب وهذا الكاهن هو عمرو بن عامر أحد رؤساء اليمن وكبرائها وكهانهم وقد ذكر محمد بن اسحق بن يسار في أول السيرة ما كان من أمر عمرو بن عامر الذي كان أول من خرج من بلاد اليمن بسبب استشعاره بارسال العرم عليهم فقال وكان سبب خروج عمرو بن عامر من اليمن فيما حدثني به أبو زيد الانصاري انه رأى جرذا يحفر في سد مأرب الذي كان يحبس عنهم الماء فيصرفونه حيث شاؤا من أرضهم فعلم انه لا بقاء للسد على ذلك فاعتزم على النقلة عن اليمن وكاد قومه فأمر أصغر ولده اذا أغلظ له ولطمه أن يقوم اليه فيلطمه ففعل ابنه ما أمره به فقال عمرو لا أقيم ببلد لطم وجهي فيها أصغر ولدي وعرض أمواله فقال أشراف من أشراف اليمن اغتنموا غضبة عمرو فاشتروا منه أمواله وانتقل في ولده وولد ولده وقالت الاسد لا نتخلف عن عمرو بن عامر فباعوا أموالهم وخرجوا معه فساروا حتى نزلوا بلاد عك مجتازين يرتادون البلدان فحاربتهم عك وكان حربهم سجالا ففي ذلك يقول عباس بن مرداس السلمي رضي الله عنه

وعك بن عدنان الذين تلعبوا
بغسان حتى طردوا كل مطرد

وهذا البيت في قصيدة له قال ثم ارتحلوا عنهم فتفرقوا في البلدان فنزل آل جفنة بن عمرو بن عامر الشام ونزلت الاوس والخزرج يثرب ونزلت خزاعة مرا ونزلت أزد السراة السراة ونزلت أزد عمان عمان ثم أرسل الله تعالى على السد السيل فهدمه وفي ذلك أنزل الله عز وجل هذه الآيات وقد ذكر السدي قصة عمرو بن عامر بنحو مما ذكر محمد بن اسحق الا أنه قال فأمر ابن أخيه مكان ابنه الى قوله فباع ماله وارتحل بأهله فتفرقوا رواه ابن أبي حاتم وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد أخبرنا سلمة عن ابن اسحق قال يزعمون ان عمرو بن عامر وهو عم القوم كان كاهنا فرأى في كهانته ان قومه سيمزقون ويباعد بين أسفارهم فقال لهم اني قد علمت أنكم ستمزقون فمن كان منكم ذا هم بعيد وجمل شديد ومزاد جديد فليلحق بكأس أو كرود قال فكانت وادعة بن عمرو ومن كان منكم ذا هم مدن وأمر دعن فليلحق بأرض شن فكانت عوف بن عمرو وهم الذين يقال لهم بارق ومن كان منكم يريد عيشا آنيا وحرما آمنا فليلحق بالارزين فكانت خزاعة ومن كان منكم يريد الراسيات في الوحل المطعمات في المحل فليلحق بيثرب ذات النخل فكانت الاوس والخزرج وهما هذان الحيان من الانصار ومن كان

منكم يريد خمرا وخميرا وذهبا وحريرا وملكا وتأميرا فليلحق بكوثى وبصرى فكانت غسان بنو جفنة ملوك الشام ومن كان منهم بالعراق قال ابن اسحق وقد سمعت بعض أهل العلم يقول انما قال هذه المقالة طريفة امرأة عمرو بن عامر وكانت كاهنة فرأت في كهانتها ذلك فالله أعلم أى ذلك كان وقال سعيد عن قتادة عن الشعبي اما غسان فلحقوا بعمان فرقهم الله كل ممزق بالشام واما الانصار فلحقوا بيثرب وأما خزاعة فلحقوا بتهامة وأما الازد فلحقوا بعمان فرقهم الله كل ممزق رواه ابن أبي حاتم وابن جرير ثم قال محمد ابن اسحق حدثني أبو عبيدة قال قال الاعشى أعشى بني قيس بن ثعلبة واسمه ميمون بن قيس

وفي ذاك للمؤتسي أسوة
ومأرب قفى عليها العرم
رخام بنته لهم حمير
اذا ما نأى ماؤهم لم يرم
فأروى الزروع وأعنابها
على ساعة ماؤهم اذ قسم
فصاروا أيادى ما يقدرو
ن منه على شرب طفل فطم

وقوله تعالى ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور أى ان في هذا الذى حل بهؤلاء من النقمة والعذاب وتبديل النعمة وتحويل العافية عقوبة على ما ارتكبوه من الكفر والآثام لعبرة ودلالة لكل عبد صبار على المصائب شكور على النعم قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن وعبد الرزاق المعنى قالا اخبرنا سفيان عن أبي اسحق عن العيزار بن حريث عن عمر بن سعد عن أبيه هو سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبت من قضاء الله تعالى للمؤمن ان أصابه خير حمد ربه وشكر وان أصابته مصيبة حمد ربه وصبر يؤجر المؤمن في كل شئ حتى في اللقمة يرفعها الى في امرأته وقد رواه النسائي في اليوم والليلة من حديث أبي اسحق السبيعي به وهو حديث عزيز من رواية عمر بن سعد عن أبيه ولكن وجهه له شاهد في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عجبا للمؤمن لا يقضى الله تعالى له قضاء الا كان خيرا له ان أصابته سراء شكر فكان خيرا له وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له وليس ذلك لاحد الا للمؤمن قال عبد حدثنا يونس عن سفيان عن قتادة ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور قال كان مطرف يقول نعم العبد الصبار الشكور الذى اذا أعطى شكر واذا ابتلى صبر (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك

للمتعظين وتذكرة للمتذكرين (ام) هى المنقطعة المقدرة ببل والهمزة أى بل أ (اتخذوا من دون الله) آلهة (شفعاء) تشفع لهم عند الله (قل أولو كانوا لا يملكون شيأ) الهمزة للانكار والتوبيخ والواو للعطف على محذوف مقدر أى أيشفعون ولو كانوا الخ وجواب لو محذوف أى وان كانوا بهذه الصفة تتخذونهم والمعنى انهم غير مالكين لشئ من الاشياء وتدخل الشفاعة في ذلك دخولا أوليا (ولا يعقلون) شيأ من الاشياء لانها جمادات لا عقل لها وجمعهم بالواو والنون لاعتقاد الكفار فيهم انهم يعقلون ثم أمره سبحانه بان يخبرهم ان الشفاعة لله وحده فقال (قل لله الشفاعة جميعا) فليس لاحد منها شئ الا أن تكون باذنه لمن ارتضى كما في قوله من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه وقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى وانتصاب جميعا على الحال وانما أكد الشفاعة بما يؤكد به الاثنان فصاعدا لانها مصدر يطلق على الواحد والاثنين والجماعة ثم وصفه بسعة الملك فقال (له ملك السموات والارض) أى يملكهما ويملك ما فيهما ويتصرف في ذلك كيف يشاء ويفعل ما يريد فهو مالك الملك كله لا يملك أحد أن يتكلم دون اذنه ورضاه (ثم اليه) لا الى غيره (ترجعون) بعد البعث (واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) انتصاب وحده على الحال عند يونس وعلى المصدر عند الخليل وسيبويه والاشمئزاز في اللغة النفور قال أبو عبيدة اشمأزت نفرت وقال المبرد انقبضت وبالاول قال قتادة وبالثانى قال مجاهد والمعنى متقارب وقال المؤرج أنكرت وقال أبو زيد اشمأز الرجل ذعر من الفزع والمناسب للمقام تفسير اشمأزت بانقبضت وهو في الاصل الازورار وكان المشركون اذا قيل لهم لا اله الا الله انقبضوا كما حكاه الله عنهم في قوله واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا قال ابن عباس في الآية اشمأزت قست ونفرت قلوب هؤلاء الاربعة الذين لا يؤمنون بالآخرة أبو جهل بن هشام والوليد بن عقبة وصفوان وأبي بن خلف (واذا ذكر الذين من دونه) اللات والعزى وغيرهما من الاصنام (اذا هم يستبشرون) أى يفرحون بذلك ويبتهجون به والعامل في اذا في قوله واذا ذكر الله الفعل الذى بعدها وهو اشمأزت والعامل في اذا في قوله واذا ذكر الذين الخ الفعل العامل في اذا الفجائية والتقدير فاجؤا الاستبشار وقت ذكر الذين من دونه وذلك لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله ولقد بالغ في الامرين حتى بلغ الغاية فيهما فان الاستبشار أن يمتلئ قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة

وربك على كل شيء حفيظ) لما ذكر تعالى قصة سبأ وما كان من أمرهم في اتباعهم الهوى والشيطان أخبر عنهم وعن أمثالهم ممن اتبع ابليس والهوى وخالف الرشاد والهدى فقال ولقد صدق عليهم ابليس ظنه قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره هذه الآية كقوله تعالى اخبارا عن ابليس حين امتنع من السجود لآدم عليه الصلاة والسلام ثم قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتني الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته الا قليلا وقال ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين والآيات في هذا كثيرة وقال الحسن البصري لما أهبط الله آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة ومعه حواء هبط ابليس فرحا بما أصاب منهما وقال اذا أصبت من الابوين ما أصبت فالذرية أضعف وأضعف وكان ذلك ظنا من ابليس فأنزل الله عز وجل ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين فقال عند ذلك ابليس لا أفارق ابن آدم ما دام فيه الروح أعده وأمنيه وأخدعه فقال الله تعالى وعزتي لا أحجب عنه التوبة ما لم يغرغر بالموت ولا يدعوني الا أجبته ولا يسألني الا أعطيته ولا يستغفرني الا غفرت له رواه ابن أبي حاتم وقوله تبارك وتعالى وما كان له عليهم من سلطان قال ابن عباس رضي الله عنهما أي من حجة وقال الحسن البصري والله ما ضربهم بعصا ولا أكرههم على شيء وما كان الا غرورا وأماني دعاهم اليها فأجابوه وقوله عز وجل الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك أي انما سلطناه عليهم ليظهر أمر من هو مؤمن بالآخرة وقيامها والحساب فيها والجزاء فيحسن عبادة ربه عز وجل في الدنيا ممن هو منها في شك وقوله تعالى وربك على كل شيء حفيظ أي ومع حفظه ضل من ضل من أتباع ابليس وبحفظه وكلاءته سلم من سلم من المؤمنين أتباع الرسل (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير) بين تبارك وتعالى انه الاله الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لا نظير له ولا شريك له بل هو المستقل بالامر وحده من غير مشارك ولا منازع ولا معارض فقال قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله اي من الآلهة التي عبدت من دونه لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض كما قال تبارك وتعالى

وجهه والاستمرار أن يتلى عصا وعصا حتى ينغص أدم وجهه ولما لم يقبل المتمردون من الكفار ما جاءهم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الدعاء الى الخير وصمموا على كفرهم أمره الله سبحانه أن يرد الامر الى الله سبحانه ويلتجئ اليه تعالى بالدعاء لما تحير في أمرهم وعجز في عنادهم وشدة شكيمتهم فانه القادر على الاشياء العالم بالاحوال كلها فقال (قل اللهم) أصله يا الله عوض عنها الميم لقربها من حروف العلة وشددت لسكون على حرفين كالمعوض عنه ولذا لم يجمع بينهما فلا يقال يا اللهم في فصيح الكلام وما سمع من قوله

اني اذا ما حدث ألما * أقول يا اللهم يا اللهما

فضرورة قاله الكرخي (فاطر السموات والارض) أي مبدعهما (عالم الغيب والشهادة) أي ما غاب وشوهد وهما منصوبان على النداء (أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) من الهدى والضلالة والمعنى تجازي المحسن باحسانه وتعاقب المسيء باساءته فانه بذلك يظهر من هو المحق ومن هو المبطل ويرتفع عنده خلاف المختلفين وتخاصم المتخاصمين وقيل هذه محاكمة من النبي للمشركين الى الله تعالى وعن ابن المسيب لا أعرف آية قرئت فدعي عندها الا أجيب سواها وعن الربيع بن خيثم وكان قليل الكلام أنه أخبر بقتل الحسين رضي الله عنه وقالوا الآن يتكلم فما زاد أن قال آه أوقد فعلوا وقرأ هذه الآية وروي انه قال على اثره قتل من كان صلى الله عليه وآله وسلم يجلسه في حجره ويضع فاه على فيه وأخرج مسلم وأبو داود والبيهقي في الاسماء والصفات عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا قام من الليل افتتح صلاته اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم ثم لما حكى عن الكفار ما حكاه من الاشمئزاز عند ذكر الله والاستبشار عند ذكر الاصنام ذكر ما يدل على شدة عذابهم وعظم عقوبتهم فقال (ولو أن للذين ظلموا ما في الارض جميعا) أي جميع ما في الدنيا من الاموال والذخائر (ومثله معه) أي منضما اليه (لافتدوا به) أي بالمذكور من الامرين أي لجعلوه فدية لانفسهم (من سوء العذاب يوم القيامة) أي من سوء عذاب ذلك اليوم وقد مضى تفسير هذا في آل عمران

والذين يدعون من دونه ما يملكون من قطمير وقوله تعالى وما لهم فيهما من شرك أي لا يملكون شيئاً استقلالاً ولا على سبيل الشركة وما له منهم من ظهير أي وليس لله من هذه الأنداد من ظهير يستظهر به في الأمور بل الخلق كلهم فقراء إليه عبيد لديه قال قتادة في قوله عز وجل وما له منهم من ظهير من عون يعينه بشيء ثم قال تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له أي لعظمته وجلاله وكبريائه لا يجترئ أحد أن يشفع عنده تعالى في شيء إلا بعد إذنه له في الشفاعة كما قال عز وجل من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه وقال جل وعلا وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى وقال تعالى ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ولهذا ثبت في الصحيح من غير وجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد ولد آدم وأكبر شفيع عند الله تعالى أنه حين يقوم المقام المحمود ليشفع في الخلق كلهم أن يأتي ربهم لفصل القضاء قال فأسجد لله تعالى فيدعني ما شاء الله أن يدعني ويفتح علي بمحامد لا أحصيها الآن ثم يقال يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع الحديث بتمامه وقوله تعالى حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهذا أيضاً مقام رفيع في العظمة وهو أنه تعالى إذا تكلم بالوحي فسمع أهل السموات كلامه أرعدوا من الهيبة حتى يلحقهم مثل الغشي قاله ابن مسعود رضي الله عنه ومسروق وغيرهما فإذا فزع عن قلوبهم أي زال الفزع عنها قال ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وأبو عبد الرحمن السلمي والشعبي وإبراهيم النخعي والضحاك والحسن وقتادة في قوله عز وجل حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق يقول جلي عن قلوبهم وقرأ بعض السلف وجاء مرفوعاً إذا فرغ بالغين المعجمة ويرجع إلى الأول فإذا كان كذلك سأل بعضهم بعضاً ماذا لفظ قال ربكم فيخبر بذلك حملة العرش للذين يلونهم ثم الذين يلونهم لمن تحتهم حتى ينتهي الخبر إلى أهل السماء الدنيا ولهذا قال تعالى قالوا الحق أي أخبروا بما قال من غير زيادة ولا نقصان وهو العلي الكبير وقال آخرون بل معنى قوله تعالى حتى إذا فزع عن قلوبهم يعني المشركين عند الاحتضار ويوم القيامة إذا استيقظوا مما كانوا فيه من الغفلة في الدنيا ورجعت إليهم عقولهم يوم القيامة قالوا ماذا قال ربكم فقيل لهم الحق وأخبروا به مما كانوا عنه لاهين في الدنيا قال ابن أبي نجيح عن مجاهد حتى إذا فزع عن قلوبهم كشف

(وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) أي ظهر لهم من فنون عقوبات الله وسخطه وشدة عذابه ما لم يكن في حسابهم ولا يحدثون به نفوسهم وفي هذا وعيد لهم عظيم وتهديد بالغ غاية لا غاية وراءها وقال مجاهد عملوا أعمالاً توهموا أنها حسنات فإذا هي سيئات وكذا قال السدي وقال سفيان الثوري ويل لأهل الرياء ويل لأهل الرياء ويل لأهل الرياء هذه آيتهم وقصتهم وقال عكرمة بن عمار جزع محمد بن المنكدر عند موته جزعاً شديداً فقيل له ما هذا الجزع قال أخاف آية من كتاب الله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فأنا أخشى أن يبدو لي ما لم أكن أحتسب (وبدا لهم سيئات ما كسبوا) أي مساوي أعمالهم من الشرك وظلم أولياء الله وما يحتمل أن تكون مصدرية أي سيئات كسبهم وأن تكون موصولة أي سيئات الذي كسبوه حين تعرض صحائف أعمالهم وكانت خافية عليهم أو عقاب ذلك (وحاق بهم) أي أحاط بهم ونزل بهم (ما كانوا به يستهزئون) من الإنذار الذي كان ينذرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم (فإذا مس الإنسان) المراد هنا بالإنسان الجنس باعتبار بعض أفراده أو غالبها وقيل المراد به الكفار فقط والأول أولى ولا يمنع من حمله على الجنس خصوص سببه لأن الاعتبار بعموم اللفظ وفاء بحق النظم القرآني ووفاء بمدلوله والمعنى أن شأن غالب نوع الإنسان أنه إذا مسه (ضر) من مرض أو فقر أو غيرهما (دعانا) وتضرع إلينا في رفعه ودفعه (ثم إذا خولناه نعمة منا) أي أعطيناه نعمة كائنة من عندنا (قال إنما أوتيته على علم) مني بوجوه المكاسب أو على خير عندي أو على علم من الله بفضلي وقيل إن كان ذلك سعادة في المال أو عافية في النفس يقول إنما حصل ذلك بجدي واجتهادي وإن كان صحة قال إنما حصل ذلك بسبب العلاج الفلاني وإن حصل مالاً يقول حصل بكسبي وهذا تناقض أيضاً لأنه لما كان عاجزاً محتاجاً أضاف الكل إلى الله تعالى وفي حال السلامة والصحة قطعه عن الله تعالى وأسنده إلى كسب نفسه وهذا تناقض قبيح وقال الحسن على علم علمني الله إياه وقيل قد علمت أني إذا أوتيت هذا في الدنيا أن لي عند الله منزلة وجاء بالضمير في أوتيته مذكراً مع كونه راجعاً إلى النعمة لأنها بمعنى الإنعام وقيل إن الضمير عائد إلى ما وهي موصولة والأول أولى (بل هي فتنة) هذا رد لما قاله أي ليس ذلك الذي أعطيناك لما ذكرت بل هو محنة لك واختبار لحالك أتشكر أم تكفر قال الفراء أنث الضمير في قوله هي لتأنيث الفتنة ولو قال بل هو فتنة لجاز وقيل تأنيث الضمير باعتبار

عنها الغطاء يوم القيامة وقال الحسن حتى اذا فزع عن قلوبهم يعني ما فيها من الشك والتكذيب وقال عبد الرحمن بن زيد بن
أسلم حتى اذا فزع عن قلوبهم يعني ما فيها من الشك قال فزع الشيطان عن قلوبهم وما زايلهم وأمانيهم وما كان يضلهم قالوا ماذا
قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير قال وهذا في بني آدم هذا عند الموت أقروا حين لا ينفعهم الاقرار وقد اختار ابن جرير
القول الاول ان الضمير عائد على الملائكة وهذا هو الحق الذي لا مرية فيه لصحة الاحاديث فيه والآثار ولنذكر منها طرفا يدل على
غيره قال البخاري عند تفسير هذه الآية الكريمة في صحيحه حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو قال سمعت
عكرمة قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله تعالى الامر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع هكذا بعضه فوق بعض ووصف سفيان بيده فحرفها ونشر بين أصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها الى من تحته ثم يلقيها الآخر الى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر او الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل ان يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء انفرد باخراجه البخاري دون مسلم من هذا الوجه وقد رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة به والله أعلم حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر وعبد الرزاق
قالا حدثنا معمر أخبرنا الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في
نفر من أصحابه قال عبد الرزاق من الانصار فرمي بنجم فاستنار فقال صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون اذا كان مثل هذا في الجاهلية
قالوا كنا نقول يولد عظيم أو يموت عظيم قلت للزهري أكان يرمى بها في الجاهلية قال نعم ولكن غلظت حين بعث النبي صلى الله عليه
وسلم قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك وتعالى اذا قضى أمرا سبح حملة
العرش ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح السماء الدنيا ثم يستخبر أهل السماء الذين يلون حملة العرش فيقول الذين

لفظ الفتنة وتذكير الاول في قوله أوتيته باعتبار معناها وقال النحاس بل عطية فتنة
(ولكن أكثرهم لا يعلمون) ان ذلك استدراج لهم من الله وامتحان لما عندهم من
الشكر أو الكفر (قد قالها الذين من قبلهم) أي قال هذه الكلمة التي قالوها وهي
قوله انما أوتيته على علم الذين من قبلهم كقارون وقومه فان قارون قال انما أوتيته على
علم عندي وانما أسند اليهم قوله باعتبار رضاهم به (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون)
ما نافية أي لم يغن عنهم ما كسبوا من متاع الدنيا شيأ أو استفهامية أي أي شيء أغنى عنهم
ذلك (فأصابهم سيآت ما كسبوا) أي جزاء سيآت كسبهم أو أصابهم سيآت هي جزاء
كسبهم وسمي الجزاء سيآت لوقوعه في مقابلة سيآتهم فيكون ذلك من باب الازدواج
والمشاكلة كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وفيه رمز الى أن جميع أعمالهم كذلك ثم أوعد
سبحانه الكفار في عصره فقال (والذين ظلموا من هؤلاء) الموجودين من الكفار
(سيصيبهم سيآت ما كسبوا) كما أصاب من قبلهم وقد أصابهم في الدنيا ما أصابهم من
القحط والقتل والاسر والقهر والسبي للتأكيد (وما هم بمعجزين) اي بفائتين على الله
بل مرجعهم اليه يصنع بهم ما شاء من العقوبة (أولم يعلموا) الضمير للقائلين انما أوتيته
على علم فالمعنى أقالوها ولم يعلموا أو أغفلوا ولم يعلموا (أن الله يبسط) اي يوسع (الرزق
لمن يشاء) ان يوسعه له وان كان لا حيلة له ولا قوة امتحانا (ويقدر) أي يقبضه على من
يشاء ان يقبضه ويضيقه عليه وان كان قويا شديد الحيلة ابتلاء وقيل يجعله على قدر
القوت قال مقاتل وعظهم الله ليعتبروا في توحيده وذلك حين مطروا بعد سبع سنين
فقال أولم يعلموا أن الله يوسع الرزق لمن يشاء ويقتر على من يشاء فلا قابض ولا باسط الا الله
تعالى ويدل على ذلك أنا نرى الناس مختلفين في سعة الرزق وضيقه ولا بد لذلك من حكمة
وسبب وذلك السبب ليس هو عقل الرجل وجهله فانا نرى العاقل القادر في أشد الضيق
والجاهل الضعيف في أعظم السعة (ان في ذلك) المذكور من التوسيع والتضييق
(لآيات) أي لدلالات عظيمة وعلامات جليلة (لقوم يؤمنون) بالله وانما خص المؤمنين
لانهم المنتفعون بالآيات المتفكرون فيها ثم لما ذكر سبحانه ما ذكره من الوعيد عقبه بذكر
سعة رحمته وعظيم مغفرته وأمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يبشرهم بذلك فقال

يلون حملة العرش لحملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ويخبر كل أهل سماء سماء حتى ينتهي الخبر الى هذه السماء وتخطف الجن السمع فيرمون فما جاؤا به على وجهه فهو حق ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون هكذا رواه الامام أحمد وقد أخرجه مسلم في صحيحه من حديث صالح بن كيسان والاوزاعي ويونس ومعقل بن عبيد الله أربعتهم عن الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رجل من الانصار به وقال يونس عن رجال من الانصار رضي الله عنهم وكذا رواه النسائي في التفسير من حديث الزبيدي عن الزهري به ورواه الترمذي فيه عن الحسين بن حريث عن الوليد بن مسلم عن الاوزاعي عن الزهري

(قل يا عبادي) قرئ بأثبات الياء وصلا ووقفا وبغير الياء وهما سبعيتان (الذين أسرفوا) أي أفرطوا (على أنفسهم) في الكفر أو المعاصي واستكثروا منها (لا تقنطوا) بفتح النون وبكسرها أي لا تيأسوا (من رحمة الله) أي من مغفرته وفي هذه الآية من أنواع المعاني والبيان أشياء حسنة منها اقباله تعالى عليهم ونداؤهم ومنها اضافتهم اليه اضافة تشريف ومنها الالتفات من التكلم الى الغيبة في قوله من رحمة الله ومنها اضافة الرحمة لأجل أسمائه الحسنى ومنها اعادة الظاهر بلفظه في قوله الآتي ان الله قاله السمين وقال عبد الله وغيره هذه الآية أرجى آية في كتاب الله سبحانه لاشتمالها على أعظم بشارة فانه أولا اضاف العباد الى نفسه لقصد تشريفهم ومزيد تبشيرهم ثم وصفهم بالاسراف في المعاصي والاستكثار من الذنوب ثم عقب ذلك بالنهي عن القنوط من الرحمة لهؤلاء المستكثرين من الذنوب فالنهي عن القنوط للمذنبين غير المسرفين من باب الاولى وبفحوى الخطاب قيل وهذه عامة في كل كافر يتوب ومؤمن عاص يتوب فتمحو توبته ذنبه والمراد منها التنبيه على انه لا ينبغي للعاصي ان يظن انه لا خلاص له من العذاب فان من اعتقد ذلك فهو قانط من رحمة الله تعالى اذ لا أحد من العصاة الا وانه متى تاب زال عقابه وصار من أهل المغفرة والرحمة والحق ان الآية غير مقيدة بالتوبة بل هي على اطلاقها ولما نهاهم عن القنوط أخبرهم بما يدفع ذلك ويرفعه ويجعل الرجاء مكان القنوط وجاء بما لا يبقى بعده شك ولا يتخالج القلب عند سماعه ظن فقال (ان الله يغفر الذنوب) فالالف واللام قد صيرت الجمع الذي دخلت عليه للجنس الذي يستلزم استغراق افراده فهو في قوة ان الله يغفر كل ذنب كائنا ما كان الا ما أخرجه النص القرآني وهو الشرك ثم لم يكتف بما أخبر عباده به من مغفرة كل ذنب بل أكد ذلك بقوله (جميعا) فيالها من بشارة ترتاح لها قلوب المؤمنين المحسنين ظنهم بربهم الصادقين في رجائه الخالعين لثياب القنوط الرافضين لسوء الظن بمن لا يتعاظمه ذنب ولا يبخل بمغفرته ورحمته على عباده المتوجهين اليه في طلب العفو الملتجئين به في مغفرة ذنوبهم وما أحسن ما علل به سبحانه هذا الكلام قائلا (انه هو الغفور الرحيم) أي كثير المغفرة والرحمة عظيمهما بليغهما واسعهما فأبرز الجملة مؤكدة بان والفصل وباعادة الصفتين اللتين تضمنتهما الآية السابقة فمن أبى هذا التفضل العظيم والعطاء الجسيم وظن ان تقنيط عباد الله وتأييسهم من رحمته أولى بهم مما بشرهم الله به

عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رجل من الانصار رضي الله عنه والله أعلم حديث آخر قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف وأحمد بن منصور بن سيار الرمادي والسياق لمحمد بن عوف قالا حدثنا نعيم بن حماد حدثنا الوليد هو ابن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عبد الله بن أبي زكريا عن رجاء بن حيوة عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله تبارك وتعالى أن يوحي بأمره تكلم بالوحي فاذا تكلم أخذت السموات منه رجفة أو قال رعدة شديدة من خوف الله تعالى فاذا سمع بذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجدا فيكون أول من يرفع رأسه جبريل عليه الصلاة والسلام فيكلمه الله من وحيه بما أراد فيمضي به جبريل عليه الصلاة والسلام على الملائكة كلما مر بسماء سماء يسأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل فيقول عليه السلام قال الحق وهو العلي الكبير فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي الى حيث أمره الله تعالى من السماء والارض وكذا رواه ابن جرير وابن خزيمة عن زكريا بن أبان المصري عن نعيم بن حماد به وقال ابن أبي حاتم سمعت أبي يقول ليس هذا الحديث بالتام عن الوليد بن مسلم رحمه الله وقد روى ابن أبي حاتم من حديث العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن قتادة أنهما فسرا هذه الآية بابتداء ايحاء الله تعالى الى محمد صلى الله عليه وسلم بعد الفترة التي كانت بينه وبين عيسى عليه الصلاة والسلام ولا شك ان هذا أولى ما دخل في هذه الآية (قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين قل لا تسألون عما أجرمنا

فقد

ولا نسئل عما تعملون قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم قل أروني الذين ألحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم) يقول تعالى مقررا لتفرده بالخلق والرزق وانفراده بالالهية أيضا كما كانوا يعترفون بأنهم لا يرزقهم من السموات والارض أي بما ينزل من المطر وينبت من الزرع الا الله فكذلك فليعلموا أنه لا اله غيره وقوله تعالى وانا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين هذا من باب اللف والنشر أي واحد من الفريقين مبطل والآخر محق لا سبيل الى ان تكونوا أنتم ونحن على الهدى أو على الضلال بل واحد منا مصيب ونحن قد أقمنا البرهان على التوحيد فدل على بطلان ما أنتم عليه من الشرك بالله تعالى ولهذا قال وانا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين قال قتادة قد قال ذلك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم للمشركين والله ما نحن وإياكم على أمر واحد ان أحد الفريقين لمهتد وقال عكرمة وزياد بن أبي مريم معناها انا نحن لعلى هدى وإياكم لفي ضلال مبين وقوله تعالى قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون معناه التبري منهم أي لستم منا ولا نحن منكم بل ندعوكم الى الله تعالى والى توحيده وافراد العبادة له فان أجبتم فأنتم منا ونحن منكم وان كذبتم فنحن برآء منكم وأنتم برآء منا كما قال تعالى فان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون وقال عز وجل قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين وقوله تعالى قل يجمع بيننا ربنا أي يوم القيامة يجمع بين الخلائق في صعيد واحد ثم يفتح بيننا بالحق أي يحكم بيننا بالعدل فيجزي كل عامل بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر وستعلمون يومئذ لمن العزة والنصرة والسعادة الابدية كما قال تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون ولهذا قال عز وجل وهو الفتاح العليم أي الحاكم العادل العالم بحقائق الامور وقوله تبارك وتعالى قل أروني الذين ألحقتم به شركاء أي أروني هذه الآلهة التي جعلتموها لله أندادا وصيرتموها له عدلا كلا أي ليس له نظير ولا نديد ولا شريك ولا عديل ولهذا قال تعالى بل هو الله أي الواحد الأحد الذي لا شريك له العزيز الحكيم أي ذو العزة الذي قد قهر بها كل شيء وغلبت كل شيء الحكيم في

فقد ركب أعظم الشطط وغلط أقبح الغلط فان التبشير وعدم التقنيط هو الذي جاءت به مواعيد الله في كتابه العزيز والمسلك الذي سلكه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما صح عنه من قوله يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا واذا تقرر لك هذا فاعلم ان الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء هو أن كل ذنب كائنا ما كان ما عدا الشرك بالله مغفور لمن شاء الله ان يغفر له على انه يمكن ان يقال ان اخباره لنا بأنه يغفر الذنوب جميعا يدل على انه يشاء غفرانها جميعا وذلك يستلزم انه يشاء المغفرة لكل المذنبين من المسلمين فلم يبق بين الآيتين تعارض من هذه الحيثية واما ما زعمه جماعة من المفسرين من تقييد هذه الآية بالتوبة وانها لا تغفر الا ذنوب التائبين وزعموا أنهم قالوا ذلك للجمع بين الآيات فهو جمع بين الضب والنون وبين الملاح والحادي وعلى نفسها براقش تجني ولو كانت هذه البشارة العظيمة مقيدة بالتوبة لم يكن لها كثير موقع فان التوبة من المشرك يغفر الله له بها ما فعله من الشرك باجماع المسلمين ولهذا قال ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فلو كانت التوبة قيدا في المغفرة لم يكن للتنصيص على الشرك فائدة وقد قال سبحانه وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم قال الواحدي المفسرون كلهم قالوا ان هذه الآية في قوم خافوا ان أسلموا ان لا يغفر لهم ما جنوا من الذنوب العظام كالشرك وقتل النفس ومعاداة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قلت هب انها في هؤلاء القوم فكان ماذا فان الاعتبار بما اشتملت عليه من العموم لا بخصوص السبب كما هو متفق عليه بين أهل العلم ولو كانت الآيات القرآنية والاحاديث النبوية مقيدة بأسبابها غير متجاوزة لها لارتفعت أكثر التكاليف عن الامة ان لم ترتفع كلها واللازم باطل بالاجماع فالملزوم مثله وفي السنة المطهرة من الاحاديث الثابتة في الصحيحين وغيرهما في هذا الباب ما لو عرفه المطلع عليه حق معرفته وقدره حق قدره علم صحة ما ذكرناه وعرف حقيقة ما حررناه قاله الشوكاني وعن ابن عمر قال كنا نقول ليس لمفتتن توبة وما الله بقابل منه شيئا عرفوا الله وآمنوا به وصدقوا رسوله ثم رجعوا عن ذلك الا لبلاء أصابهم وكانوا يقولونه لانفسهم فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة أنزل الله فيهم قل يا عبادي الذين أسرفوا الآيات قال ابن عمر فكتبتها بيدي ثم بعثت بها الى هشام بن العاصي وعن أبي سعيد قال لما أسلم وحشي أنزل الله والذين

(وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) يقول تعالى لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم تسليما وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا أي إلا إلى جميع الخلائق من المكلفين كقوله تبارك وتعالى قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا أي بشيرا من أطاعك بالجنة ونذيرا من

عصاك بالنار ولكن أكثر الناس لا يعلمون كقوله عز وجل وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله قال محمد بن كعب في قوله تعالى وما أرسلناك إلا كافة للناس يعني إلى الناس عامة وقال قتادة في هذه الآية أرسل الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم إلى العرب والعجم فأكرمهم على الله تبارك وتعالى أطوعهم لله عز وجل وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبد الله الطهراني حدثنا حفص بن عمر العدني حدثنا الحكم يعني ابن أبان عن عكرمة قال سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول إن الله تعالى فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على أهل السماء وعلى الأنبياء قالوا يا ابن عباس فبم فضله الله على الأنبياء قال رضي الله عنه إن الله تعالى قال وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم وقال للنبي صلى الله عليه وسلم وما أرسلناك إلا كافة للناس فأرسله الله تعالى إلى الجن والإنس وهذا الذي قاله ابن عباس رضي الله عنهما قد ثبت في الصحيحين رفعه عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس عامة وفي الصحيح أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت إلى الأسود والأحمر قال مجاهد يعني الجن والإنس وقال غيره يعني العرب والعجم والكل صحيح ثم قال عز وجل مخبرا عن الكفار في استبعادهم قيام الساعة ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين وهذه الآية كقوله عز وجل يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق

لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق قال وحشي وأصحابه قد ارتكبنا هذا كله فأنزل الله قل يا عبادي الذين أسرفوا الآية وأخرج البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة قال خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم على رهط من أصحابه وهم يضحكون ويتحدثون فقال والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ثم انصرف وأبكى القوم وأوحى الله إليه يا محمد لم تقنط عبادي فرجع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال أبشروا وسددوا وقاربوا وعن عمر بن الخطاب أنها نزلت في عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر (و)عن ابن عباس أنها نزلت في مشركي مكة لما قالوا إن الله لا يغفر لهم ما قد اقترفوه من الشرك وقتل النفس وغير ذلك وأخرج أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن ثوبان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الآية فقال رجل ومن أشرك فسكت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال ألا ومن أشرك ثلاث مرات وأخرج أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه وابن المنذر والحاكم وغيرهم عن أسماء بنت يزيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي إنه هو الغفور الرحيم وعن ابن مسعود أنه مر على قاص يذكر الناس فقال يا مذكر الناس لا تقنط الناس ثم قرأ يا عبادي الآية وعن ابن سيرين قال قال علي أي آية أوسع فجعلوا يذكرون آيات من القرآن من يعمل سوءا أو يظلم نفسه الآية ونحوها فقال علي ما في القرآن أوسع من يا عبادي الآية وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس في الآية قال قد دعا الله إلى مغفرته من زعم أن المسيح ابن الله ومن زعم أن عزيرا ابن الله ومن زعم أن الله فقير ومن زعم أن يد الله مغلولة ومن زعم أن الله ثالث ثلاثة يقول لهؤلاء أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ثم دعا إلى توبته من هو أعظم قولا من هؤلاء من قال أنا ربكم الأعلى وقال ما علمت لكم من إله غيري قال ابن عباس ومن آيس العباد من التوبة بعد هذا فقد جحد كتاب الله ولكن لا يقدر العبد أن يتوب حتى يتوب الله عليه وحديث أبي سعيد الخدري في رجل قتل تسعة وتسعين إنسانا في الصحيحين بطوله وكذا حديث رجل قال وذروني في الريح فيهما بطوله عن أبي هريرة وعنه في سنن أبي داود حديث رجلين متحابين وعن أنس قال

الآية ثم قال تعالى قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون اى لكم ميعاد مؤجل معدود محرر لا يزاد ولا ينقص فاذا جاء فلا يؤخر ساعة ولا يقدم كما قال تعالى ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر وقال عزوجل وما نؤخره الا لأجل معدود يوم يأتى لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقى وسعيد (وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين (١٦٩) وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال فى أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون) يخبر تعالى عن تمادى الكفار فى طغيانهم وعنادهم واصرارهم على عدم الايمان بالقرآن وبما أخبر به من أمر المعاد ولهذا قال تعالى وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه قال الله عزوجل مهددا لهم ومتوعدا ومخبرا عن مواقفهم الذليلة بين يديه فى حال تخاصمهم وتحاجهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا وهم الاتباع للذين استكبروا منهم وهم قادتهم وسادتهم لولا أنتم لكنا مؤمنين أى لولا أنتم تصدونا لكنا اتبعنا الرسل وآمنا بما جاؤا به فقال لهم القادة والسادة وهم الذين استكبروا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم أى نحن ما فعلنا بكم أكثر من اننا دعوناكم فاتبعتمونا من غير دليل ولا برهان وخالفتم الادلة والبراهين والحجج التى جاءت بها الرسل لشهوتكم واختياركم لذلك ولهذا

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول قال الله عزوجل يا ابن آدم انك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى يا ابن آدم لو أنك أتيتنى بقراب الارض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة أخرجه الترمذى والعنان السحاب والقراب بضم القاف هو ما يقارب ملأها (وأنيبوا الى ربكم) أى ارجعوا اليه بالطاعة لما بشرهم سبحانه بانه يغفر الذنوب جميعا أمرهم بالرجوع اليه بفعل الطاعات واجتناب المعاصى وليس فى هذا ما يدل على تقييد الآية الاولى بالتوبة لا بطابقة ولا تضمن ولا التزام بل غاية ما فيها انه بشرهم بتلك البشارة العظمى ثم دعاهم الى الخير وخوفهم من الشر على انه يمكن أن يقال ان هذه الجملة مستأنفة خطابا للكفار الذين لم يسلموا بدليل قوله (وأسلموا له) جاء بها لتحذير الكفار وانذارهم بعد ترغيب المسلمين بالآية الاولى وتبشيرهم وهذا وان كان بعيدا ولكنه يمكن أن يقال به والمعنى على ما هو الظاهر أن الله جمع لعباده بين التبشير العظيم والامر بالانابة اليه والاخلاص له والاستسلام لامره والخضوع لحكمه وقوله (من قبل أن يأتيكم العذاب) أى عذاب الدنيا كما يفيده النظم فليس فى ذلك ما يدل على ما زعمه الزاعمون وتمسك به القانطون المقنطون والحمد لله رب العالمين (ثم لا تنصرون) أى لا تمنعون من العذاب ان لم تتوبوا قبل نزول العقاب (واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم) يعنى القرآن يقول أحلوا حلاله وحرموا حرامه والقرآن كله حسن قال الحسن الزموا طاعته واجتنبوا معاصيه وقال السدى الاحسن ما أمر الله به فى كتابه وقال ابن زيد يعنى المحكمات وكلوا علم المتشابه الى عالمه وقيل الناسخ دون المنسوخ وقيل العفو دون الانتقام عما يحق فيه الانتقام وقيل أحسن ما أنزل اليكم من أخبار الامم الماضية ومثله قوله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقيل القرآن او المأمور به دون المنهى عنه أو العزائم دون الرخص ولعله ما هو أنجى وأسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة (من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون) أى من قبل أن يفاجئكم العذاب وأنتم غافلون عنه لا تشعرون به وقيل أراد أنهم يموتون بغتة فيقعون فى العذاب والاول أولى لان الذى يأتيهم بغتة هو العذاب فى الدنيا بالقتل والاسر والخوف والقهر والجدب لا عذاب الآخرة ولا الموت لانه لم يسند الاتيان اليه (أن تقول نفس) قال البصريون

قالوا بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اى بل كنتم تمكرون بنا ليلا ونهارا وتغروننا وتمنوننا وتخبروننا انا على هدى وأنا على شئ فاذا جميع ذلك باطل وكذب ومين قال قتادة وابن زيد بل مكر الليل والنهار يقول بل مكركم بالليل والنهار وكذا قال مالك عن زيد بن أسلم مكركم بالليل والنهار اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا أى نظراء وآلهة معه وتقيموا لنا شبها وأشياء من المحال تضلونا بها وأسروا الندامة لما رأوا العذاب أى الجميع من السادة والاتباع كل ندم على ما سلف منه وجعلنا الاغلال فى أعناق الذين كفروا وهى السلاسل التى تجمع أيديهم مع أعناقهم هل

أى حذرا أن تقول وقال الكوفيون أى لئلا تقول قال المبرد بادروا واحوف أن تقول أو حذرا من أن تقول وقدره الزمخشرى كراهة أن تقول وابن عطية وأنيبوا من أجل أن تقول وأبو البقاء والحوفى أنذرناكم مخافة أن تقول قال الحلبى عقب نقل بعض هذه التقادير ولا حاجة الى اضمار هذا العامل مع وجود أنيبوا وتنكر نفس لان المراد بها بعض الانفس وهى النفس الكافرة المتميزة باللجاج الشديد فى الكفر أو بالعذاب الاليم وقيل المراد به التكثير كما فى قوله علمت نفس ما أحضرت أى نفوس كثيرة وهم الكفار والعصاة المؤمنون وقال الزجاج خوف أن تصيروا الى حال تقولون فيها (ياحسرتى) قرأ الجمهور ياحسرتا بالالف بدلا من الياء المضاف اليها وقرأ ابن كثير ياحسرتاه بهاء السكت وقفا وقرأ أبو جعفر ياحسرتى بالياء على الاصل والحسرة الندامة والاغتمام والحزن على مافات (على ما فرطت) أى على تفريطى وتقصيرى فما مصدرية (فى جنب الله) أى طاعته قاله الحسن والجنب والجانب كلاهما بمعنى جهة الشئ المحسوسة واطلاق الجنب على الطاعة مجاز بالاستعارة حيث شبهت بالجهة بجامع تعلق كل بصاحبه فالطاعة لها تعلق بالله كما ان الجهة لها تعلق بصاحبها وقال الضحاك فى ذكر الله ويعنى به القرآن والعمل به وقال أبو عبيدة فى ثواب الله وقيل فى حق الله أو فى أمر الله أو فى ذات الله وقال الفراء الجنب القرب والجوار أى فى قرب الله وجواره ومنه قوله والصاحب بالجنب والمعنى على هذا القول على ما فرطت فى طلب جواره وقربه وهو الجنة وبه قال ابن الاعرابى وقال الزجاج أى فى الطريق الذى هو طريق الله من توحيده والاقرار بنبوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى هذا فالجنب بمعنى الجانب أى قصرت فى الجانب الذى يؤدى الى رضا الله يقال انا فى جنب فلان وفلان لين الجانب والجنب ثم قالوا فرط فى جنبه وفى جانبه يريدون فى حقه وهذا من باب الكناية قال ابن عباس فى الآية أخبر الله ما العباد قائلون قبل أن يقولوا وعملهم قبل ان يعملوا (وان كنت لمن الساخرين) أى وما كنت الا من المستهزئين بدين الله فى الدنيا وبكتابه وبرسوله وبالمؤمنين قال قتادة لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى سخر من أهلها والجملة حالية أى فرطت وأنا ساخر (أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين) اى لو أن الله أرشدنى الى دينه لكنت ممن يتقى الشرك والمعاصى وهذا من جملة ما يحتج به المشركون من الحجج الزائفة ويتعللون به من العلل

يجزون الا ما كانوا يعملون أى انما نجازيكم باعمالكم كل بحسبه للقادة عذاب بحسبهم وللاتباع بحسبهم قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون قال ابن أبى حاتم حدثنا ابى حدثنا فروة بن أبى المغراء حدثنا محمد بن سليمان بن الاصبهانى عن أبى سنان ضرار بن مرة عن عبد الله بن أبى الهذيل عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جهنم لما سيق اليها أهلها تلقاهم لهبها ثم لفحتهم لفحة فلم يبق لحم الا سقط على العرقوب وحدثنا ابى حدثنا أحمد بن أبى الحوارى حدثنا الطيب أبو الحسن عن الحسن ابن يحيى الخشنى قال ما فى جهنم دار ولا مغار ولا غل ولا قيد ولا سلسلة الا اسم صاحبها عليها مكتوب قال فحدثته أبا سليمان يعنى الدارانى رحمة الله عليه فبكى ثم قال ويحك فكيف به لو جمع هذا كله عليه فجعل القيد فى رجليه والغل فى يديه والسلسلة فى عنقه ثم أدخل النار وأدخل المغار اللهم سلم (وما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون والذين يسعون فى آياتنا معاجزين أولئك فى العذاب محضرون قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين) يقول تعالى مسليا لنبيه صلى الله عليه وسلم وآمرا له بالتأسى بمن قبله من الرسل ومخبره بانه ما بعث نبيا فى قرية الا كذبه مترفوها واتبعه ضعفاؤهم كما قال قوم نوح عليه الصلاة والسلام أنؤمن لك واتبعك الارذلون وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى وقال الكبراء من قوم صالح للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون وقال عز وجل وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين وقال تعالى وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وقال جل وعلا واذا أردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وقال جل وعلا ههنا وما أرسلنا فى قرية من نذير أى نبى أو رسول الا قال مترفوها وهم أولو النعمة والحشمة والثروة والرياسة قال قتادة هم

جبابرتهم وقادتهم ورؤسهم في الشر انا بما أرسلتم به كافرون أي لا نؤمن به ولا نتبعه قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا هرون بن اسحق حدثنا محمد بن عبد الوهاب عن سفيان عن عاصم عن أبي رزين قال كان رجلان شريكان خرج أحدهما الى الساحل وبقي الآخر فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى صاحبه يسأله ما فعل فكتب اليه انه لم يتبعه أحد من قريش انما اتبعه أراذل الناس ومساكينهم قال فترك تجارته ثم أتى صاحبه فقال دلني عليه قال وكان يقرأ الكتب أو بعض الكتب قال فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال الام تدعو فقال أدعو الى كذا وكذا قال أشهد انك رسول الله قال صلى الله عليه وسلم وما علمك بذلك قال انه لم يبعث نبي الا اتبعه رذالة الناس ومساكينهم قال فنزلت هذه الآية وما أرسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون لآية قال وأرسل اليه النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قد أنزل تصديق ما قلت وهكذا قال هرقل لأبي سفيان حين سأله عن تلك المسائل قال فيها وسألتك عن أضعاف الناس اتبعه أم أشرافهم فزعمت بل ضعفاؤهم وهم اتباع الرسل وقوله تبارك وتعالى اخبارا عن المترفين المكذبين وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين أي افتخروا بكثرة الأموال والأولاد واعتقدوا أن ذلك دليل على محبة الله تعالى لهم واعتنائه بهم وأنه ما كان ليعطيهم هذا في الدنيا ثم يعذبهم في الآخرة وهيهات لهم ذلك قال الله تعالى أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال تبارك وتعالى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون وقال عز وجل ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع أن أزيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا وقد أخبر الله عز وجل عن صاحب تينك الجنتين انه كان ذا مال وثمر وولد ثم لم يغن عنه شيأ بل سلب ذلك كله في الدنيا قبل الآخرة ولهذا قال عز وجل ههنا قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أي يعطي المال لمن يحب ومن لا يحب فيفقر من يشاء ويغني من يشاء وله الحكمة التامة البالغة والحجة القاطعة الدامغة ولكن أكثر الناس لا يعلمون ثم قال تعالى وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى أي ليست هذه دليلا على محبتنا لكم ولا اعتنائنا بكم قال الامام أحمد رحمه الله حدثنا كثير حدثنا

الباطل كما في قوله سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا فهي كلمة حق يريدون بها الباطل قال أبو المنصور هذا الكافر أعرف بهداية الله من المعتزلة وكذا أولئك الكفرة الذين قالوا للأتباع لو هدانا الله لهديناكم ولكن علم منا اختيار الضلالة والغواية فخذلنا ولم يوفقنا والمعتزلة يقولون بل هداهم وأعطاهم التوفيق لكنهم لم يهتدوا ثم ذكر سبحانه مقالة أخرى مما قالوه فقال (أو تقول حين ترى العذاب) والتعبير بأو للدلالة على ان النفس لا تخلو عن هذه الأقوال تحسرا وتحيرا وتعللا بما لا طائل تحته فأو للتنويع لما تقوله النفس في دار اللوم ويصح أن يكون مانعة خلو فيجوز الجمع (لو أن لي كرة) أي رجعة الى الدنيا (فأكون من المحسنين) المؤمنين بالله الموحدين له المحسنين في أعمالهم ثم ذكر سبحانه جوابه على هذه النفس المتمنية المتعللة بغير علة فقال (بلى) أي فيقال له من قبل الله بلى الخ كأنه قال ما هداني الله فقيل بلى (قد جاءتك آياتي) مرشدة لك والمراد بالآيات هي الآيات التنزيلية وهو القرآن (فكذبت بها) وهو قولك انها ليست من عند الله (واستكبرت) أي تكبرت عن الايمان بها (وكنت) مع ذلك التكذيب والاستكبار (من الكافرين) بالله وجاء سبحانه بخطاب المذكر في قوله جاءتك وكذبت واستكبرت وكنت لأن النفس تطلق على المذكر والمؤنث قال المبرد تقول العرب نفس واحد أي انسان واحد أو التذكير باعتبار كونها شخصا كافرا قرأ الجمهور بفتح التاء في هذه المواضع وقرئ بكسرها في جميعها وهي قراءة أمير المؤمنين أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وبنته عائشة وأم سلمة ورويت عن ابن كثير (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) بأن له شريكا وصاحبة وولدا (وجوههم مسودة) لما أحاط بهم من العذاب ولما شاهدوه من غضب الله ونقمته والجملة في محل النصب على الحال قال الأخفش ترى غير عامل في وجوههم مسودة انما هو مبتدأ وخبر والأولى أن ترى ان كانت من الرؤية البصرية فجملة وجوههم مسودة حالية وان كانت قلبية فهي مفعول ثان لترى (أليس في جهنم مثوى للمتكبرين) الاستفهام لتقرير اسوداد وجوههم وتعليل له كأنه قال لأن لهم في جهنم مقرا ومقاما والكبر هو بطر الحق وغمط الناس كما ثبت في الحديث الصحيح (وينجي الله الذين اتقوا) الشرك ومعاصي الله من جهنم متلبسين (بمفازتهم) أي بمكان

جعفر حدثنا يزيد بن الاصم عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى لا ينظر الى صوركم وأموالكم ولكن انما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم ورواه مسلم وابن ماجه من حديث كثير بن هشام عن جعفر بن برقان به ولهذا قال الله تعالى الا من آمن وعمل صالحا أي انما قربكم عندنا الايمان والعمل الصالح فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا أي تضاعف لهم الحسنة بعشرة أمثالها الى سبعمائة ضعف وهم في الغرفات آمنون أي في منازل الجنة العالية آمنون من كل بأس وخوف وأذى ومن كل شر يحذر منه قال (١٧٢) ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا فروة بن ابي المغراء الكندي حدثنا القاسم وعلي بن مسهر عن عبد الرحمن بن اسحق عن النعمان بن سعد عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لغرفا ترى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها فقال اعرابي لمن هي قال صلى الله عليه وسلم لمن طيب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام والذين يسعون في آياتنا معاجزين أي يسعون في الصد عن سبيل الله واتباع رسله والتصديق بآياته فأولئك في العذاب محضرون أي جميعهم مجزيون بأعمالهم فيها بحسبهم وقوله تعالى قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له أي بحسب ماله في ذلك من الحكمة يبسط على هذا من المال كثيرا ويضيق على هذا ويقتر على هذا رزقه جدا وله في ذلك من الحكمة ما لا يدركها غيره كما قال تعالى انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا أي كما هم متفاوتون في الدنيا هذا فقير مدقع وهذا غني موسع عليه فكذلك هم في الآخرة هذا في الغرفات في اعلى الدرجات وهذا في الغمرات في اسفل الدركات واطيب الناس في الدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم الاول قد أفلح من اسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه رواه مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وقوله تعالى وما انفقتم من شيء فهو يخلفه اي مهما انفقتم من شيء فيما امركم به واباحه لكم فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل وفي الآخرة بالجزاء والثواب كما ثبت في الحديث يقول الله تعالى انفق انفق عليك وفي الحديث ان ملكين يصيحان كل يوم يقول احدهما اللهم أعط ممسكا تلفا ويقول الآخر اللهم أعط منفقا خلفا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنفق بلالا ولا تخش من ذي العرش اقلالا وقال ابن ابي حاتم

فوزهم من الحسبان بمعلوفيه قرأ الجمهور بالافراد على انه مصدر ميمي والفوز الظفر بالخير والخلاص من الشر قال المبرد المفازة مفعلة من الفوز وهو السعادة وان جمع فحسن كقولك السعادة والسعادات والمعنى ينجيهم الله بفوزهم أي بنجاتهم من النار وفوزهم بالجنة وقرئ بمفازاتهم جمع مفازة وجمعها مع كونها مصدرا لاختلاف الانواع وقيل ثم مضاف محذوف والتقدير بدواعي مفازتهم أو بأسبابها والمفازة النجاة وقيل لا حاجة لذلك اذ المراد بالمفازة الفلاح وجملة (لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون) مفسرة لمفازتهم كأنه قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسهم الخ أو منصوبة على الحال من الذين اتقوا وقيل الباء للسببية أي بسبب فوزهم مع انتفاء مساس السوء لهم وعدم وصول الحزن الى قلوبهم لانهم رضوا بثواب الله وأمنوا من عقابه (الله خالق كل شيء) من الاشياء الموجودة في الدنيا والآخرة كائنا ما كان من غير فرق بين شيء وشيء وفيه رد على المعتزلة والثنوية (وهو على كل شيء وكيل) أي الاشياء كلها موكولة اليه فهو القائم بحفظها وتدبيرها من غير مشارك له (له مقاليد السموات والارض) جملة مستأنفة والمقاليد واحدها مقليد ومقلاد أو لا واحد له من لفظه كأساطير ويقال أيضا اقليد وأقاليد والكلمة أصلها فارسية على ما قيل انه جمع اقليد معرب اكليد والكلام من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبرها هو الذي يملك مفاتيحها فهو كناية عن شدة التمكن والتصرف في كل شيء مخزون في السموات أو في الارض والحمل على الظاهر أولى وهي هنا مفاتيح الرزق والرحمة قاله مقاتل وقتادة وغيرهما قال ابن عباس أي مفاتيحها وقال الليث المقلاد الخزانة ومعنى الآية له خزائن السموات والارض وبه قال الضحاك والسدي وقيل خزائن السموات المطر وخزائن الارض النبات وقيل هي عبارة عن قدرته سبحانه وحفظه لها والاول أولى قال الجوهري الاقليد المفتاح ثم قال والجمع المقاليد وقيل هي لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله وأخرج أبو يعلى ويوسف القاضي في سننه وأبو الحسن القطان وابن السني وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن عثمان ابن عفان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قول الله له مقاليد السموات والارض فقال لي يا عثمان لقد سألتني عن مسئلة لم يسألني عنها أحد قبلك مقاليد السموات والارض لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله وأستغفر الله الذي لا اله الا هو

الاول والآخر والظاهر والباطن يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير ثم ذكر فضل هذه الكلمات وله طرق عن عثمان وقال عبد الله والمعنى على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها أصابه

(والذين كفروا بآيات الله) أي بالقرآن وسائر الآيات الدالة على الله سبحانه وتوحيده (أولئك هم الخاسرون) أي الكاملون في الخسران لانهم صاروا بهذا الكفر الى النار متصل بقوله وينجي الله الخ أي معطوف عليه وما بينهما اعتراض وان كان المعطوف جملة اسمية والمعطوف عليه جملة فعلية فهذا لا يمنع صحة العطف غايته انه انتقال عن حسنه

(قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) الاستفهام للانكار والتوبيخ والفاء للعطف على مقدر كنظائره والاصل أفتأمرونني أي بعد مشاهدة الآيات الدالة على انفراده وتوحيده أن أعبد غير الله قاله الكسائي وغيره وقيل أفتأمروني بعبادة غير الله أو أعبد غير الله امره الله سبحانه أن يقول هذا للكفار لما دعوه الى ما هم عليه من عبادة الاصنام وقالوا هو دين آبائك وعن ابن عباس ان قريشا دعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يعطوه مالا فيكون أغنى رجل بمكة ويزوجوه ما أراد من النساء ويطؤن عقبه فقالوا هذا لك يا محمد وتكف عن شتم آلهتنا ولا تذكرها بسوء قال حتى أنظر ما يأتيني من ربي فجاء الوحي قل يا أيها الكافرون الى آخر السورة وأنزل الله عليه قل أفغير الله تأمروني الى قوله من الخاسرين (ولقد) هذه اللام دالة على قسم مقدر أي والله لقد (أوحي اليك والى الذين من قبلك) من الرسل (لئن) جواب القسم وهذه اللام أيضا دالة على قسم مقدر أي والله لئن (أشركت) يا محمد فرضا (ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) وكل من هاتين اللامين واقعة في جواب القسم الثاني والثاني وجوابه جواب الاول وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه وهذا الكلام من باب التعريض لغير الرسل لان الله سبحانه قد عصمهم عن الشرك ووجه ايراده على هذا الوجه التحذير والانذار للعباد من الشرك لانه اذا كان موجبا لاحباط عمل الانبياء على الفرض والتقدير فهو محبط لعمل غيرهم من أممهم بطريق الاولى قيل وفي الكلام تقديم وتأخير والتقدير ولقد أوحي اليك لئن أشركت الخ وأوحي الى الذين من

حدثنا أبي عن يزيد بن عبد العزيز الفلاس حدثنا هشيم عن الكوثر بن حكيم عن مكحول قال بلغني عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ان بعد زمانكم هذا زمان عضوض يعض الموسر على ما في يده حذار الانفاق ثم تلا هذه الآية وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا روح بن حاتم حدثنا هشيم عن الكوثر بن حكيم عن مكحول قال بلغني عن حذيفة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان بعد زمانكم هذا زمان عضوض يعض الموسر على ما في يده حذار الانفاق قال الله تعالى وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين وفي الحديث شرار الناس يبايعون كل مضطر ألا ان بيع المضطرين حرام ألا ان بيع المضطرين حرام المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ان كان عندك معروف فعد به على أخيك والا فلا تزده هلاكا الى هلاكه هذا حديث غريب من هذا الوجه وفي اسناده ضعف وقال سفيان الثوري عن أبي يونس الحسن بن يزيد قال قال مجاهد لا يتأولن أحدكم هذه الآية وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه اذا كان عند أحدكم ما يقيمه فليقتصد فيه فان الرزق مقسوم

(ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون) يخبر تعالى انه يقرع المشركين يوم القيامة على رؤس الخلائق فيسأل الملائكة الذين كان المشركون يزعمون انهم يعبدون الانداد التي هي على صورهم ليقربوهم الى الله زلفى فيقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون أي أنتم أمرتم هؤلاء بعبادتكم كما قال تعالى في سورة الفرقان أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل وكما يقول لعيسى عليه الصلاة والسلام أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان أقول ما ليس لي بحق وهكذا تقول الملائكة سبحانك أي تعاليت وتقدست عن ان يكون معك اله أنت ولينا من دونهم أي نحن عبيدك ونبرأ اليك من هؤلاء بل كانوا يعبدون الجن يعنون الشياطين لانهم هم الذين زينوا لهم عبادة الاوثان وأضلوهم أكثرهم بهم مؤمنون كما قال تبارك وتعالى ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله قال الله عز وجل فاليوم لا يملك

بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا أي لا يقع لكم نفع ممن كنتم ترجون نفعه اليوم من الانداد والاوثان التي ادخرتم عبادتها لشدائدكم وكربكم اليوم لا يملكون لكم نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا وهم المشركون ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون أي يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم (١٧٤) فكذبوا رسلي فكيف كان نكير) يخبر تعالى عن الكفار أنهم يستحقون منه العقوبة والاليم من العذاب لانهم كانوا اذا تتلى عليهم آياته بينات يسمعونها غضة طرية من لسان رسوله صلى الله عليه وسلم قالوا ما هذا الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم يعنون ان دين آبائهم هو الحق وأن ما جاءهم به الرسول عندهم باطل عليهم وعلى آبائهم لعائن الله تعالى وقالوا ما هذا الا افك مفترى يعنون القرآن وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين قال الله تعالى وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير أي ما أنزل الله على العرب من كتاب قبل القرآن وما أرسل اليهم نبيا قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقد كانوا يودون ذلك ويقولون لو جاءنا نذير أو أنزل علينا كتاب لكنا أهدى من غيرنا فلما من الله عليهم بذلك كذبوه وجحدوه وعاندوه ثم قال تعالى وكذب الذين من قبلهم أي من الامم وما بلغوا معشار ما آتيناهم قال ابن عباس رضي الله عنهما أي من القوة في الدنيا وكذا قال قتادة والسدي وابن زيد كما قال تعالى ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء اذ كانوا الحلق يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة أي وما دفع ذلك عنهم عذاب الله ولا رده بل دمر الله عليهم لما كذبوا رسله ولهذا قال فكذبوا رسلي فكيف كان نكير أي فكيف كان عقابي ونكالي وانتصاري لرسلي (قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد) يقول تبارك وتعالى قل يا محمد لهؤلاء الكافرين الزاعمين انك مجنون انما أعظكم بواحدة

قبلك كذلك قال مقاتل أي أوحي اليك والى الانبياء قبلك بالتوحيد والتوحيد محذوف ثم قال لئن أشركت يا محمد ليحبطن عملك وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة وقيل افراد الخطاب في لئن أشركت باعتبار كل واحد من الانبياء كأنه قيل أوحي اليك والى كل واحد من الانبياء هذا الكلام أي لئن أشركت وهذه الآية مقيدة بالموت على الشرك كما في الآية الاخرى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم وقيل هذا خاص بالانبياء لان الشرك منهم أعظم ذنبا من الشرك من غيرهم والاول أولى ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بتوحيده فقال (بل الله فاعبد) وفي هذا رد على المشركين حيث أمروه بعبادة الاصنام ووجه الرد ما يفيده التقديم من القصر قال الزجاج لفظ اسم الله منصوب باعبد قال ولا اختلاف في هذا بين البصريين والكوفيين وقال الفراء هو منصوب باضمار فعل وعن الكسائي مثله والاول أولى قال الزجاج والفاء في فاعبد للمجازاة وقال الاخفش زائدة قال عطاء ومقاتل معنى فاعبد وحد لان عبادته لا تصح الا بتوحيده (وكن من الشاكرين) لانعامه عليك بما هداك اليه من التوحيد والدعاء الى دينه واختصك به من الرسالة (وما قدروا الله حق قدره) أي ما عرفوه حق معرفته وقال المبرد أي ما عظموه حق عظمته حين أشركوا به غيره من قولك فلان عظيم القدر وانما وصفهم بهذا لانهم عبدوا غير الله وأمروا رسوله بان يكون مثلهم في الشرك وقرئ قدروا بالتشديد (والارض جميعا قبضته يوم القيامة) القبضة في اللغة ما قبضت عليه بجميع كفك فأخبر سبحانه عن عظيم قدرته بان الارض كلها مع عظمها وكثافتها في مقدوره كالشيء الذي يقبض عليه القابض بكفه كما يقولون هو في يد فلان وفي قبضته للشيء الذي يهون عليه التصرف فيه وان لم يقبض عليه والمراد بالارض الارضون السبع يشهد لذلك قوله جميعا وقوله الآتي والسموات لان هذا التأكيد لا يحسن ادخاله الا على الجمع ولان الموضع موضع تعظيم فهو مقتض للمبالغة والمعنى الارضون جميعا ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة وقدم الارض على السموات لمباشرتهم بها ومعرفتهم بحقيقتها أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال جاء حبر من الاحبار الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا محمد انا نجد أن الله يحمل السموات يوم القيامة على أصبع والشجر على أصبع والماء والثرى على أصبع وسائر

أي إنما آمركم بواحدة وهي أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة أي تقوموا قياما خالصا لله عز وجل من غير هوى ولا عصبية فيسأل بعضكم بعضا هل بمحمد من جنون فينصح بعضكم بعضا ثم تتفكروا أي ينظر الرجل لنفسه في أمر محمد صلى الله عليه وسلم ويسأل غيره من الناس عن شأنه إن أشكل عليه ويتفكر في ذلك ولهذا قال تعالى أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة هذا معنى ما ذكره مجاهد ومحمد بن كعب والسدي وقتادة وغيرهم وهذا هو المراد من الآية فأما الحديث الذي رواه ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة بن خالد حدثنا عثمان بن أبي العاتكة عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة رضي الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول أعطيت ثلاثا لم يعطهن أحد من قبلي ولا فخر أحلت لي الغنائم ولم تحل لمن قبلي كانوا قبلي يجمعون غنائمهم فيحرقونها وبعثت إلى كل أحمر وأسود وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا أتيمم بالصعيد وأصلي فيها حيث أدركتني الصلاة قال الله تعالى أن تقوموا لله مثنى وفرادى وأعنت بالرعب مسيرة شهر بين يدي فهو حديث ضعيف الإسناد وتفسير الآية بالقيام في الصلاة في جماعة وفرادى بعيد ولعله مقحم في الحديث من بعض الرواة فإن أصله ثابت في الصحاح وغيرها والله أعلم وقوله تعالى إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قال البخاري عندها حدثنا علي بن عبد الله حدثنا محمد بن خازم حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال صعد النبي صلى الله عليه وسلم الصفا ذات يوم فقال يا صباحاه فاجتمعت إليه قريش فقالوا ما لك فقال أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو يصبحكم أو يمسيكم أما كنتم تصدقوني قالوا بلى قال صلى الله عليه وسلم فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لك ألهذا جمعتنا فأنزل الله عز وجل تبت يدا أبي لهب وتب وقد تقدم عند قوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين وقال الإمام أحمد حدثنا أبو نعيم حدثنا بشير بن المهاجر حدثني عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فنادى ثلاث مرات فقال أيها الناس تدرون ما مثلي ومثلكم قالوا الله تعالى ورسوله أعلم قال صلى الله عليه وسلم إنما مثلي ومثلكم مثل قوم خافوا عدوا أن يأتيهم فبعثوا رجلا

الخلائق على أصبع ثم يهزهن فيقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة وإنما خص يوم القيامة بالذكر وإن كانت قدرته عامة وشاملة لدار الدنيا أيضا لأن الدعاوي تنقطع في ذلك اليوم كما قال والأمر يومئذ لله وقال مالك يوم الدين ولذلك قال في الحديث ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض (والسموات مطويات بيمينه) ذكر اليمين للمبالغة في كمال القدرة كما يطوي الواحد منا الشيء المقدور له طيه بيمينه والطي ضد النشر واليمين في كلام العرب قد يكون بمعنى القدرة والملك قال الأخفش بيمينه يقول في قدرته نحو قوله أو ما ملكت أيمانكم أي ما كانت لكم قدرة عليه وليس الملك لليمين دون الشمال وسائر الجسد ومنه قوله سبحانه لأخذنا منه باليمين أي بالقوة والقدرة وليس يريد به طيا بعلاج وانتصاب وإنما المراد بذلك الفناء والذهاب يقال قد انطوى عنا ما كنا فيه وجاءنا غيره وانطوى عنا وهو بمعنى المضي والذهاب قال الحافظ اليمين ليس عندنا بمعنى الجارحة وإنما هي صفة جاء بها التوقيف فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكيفها وننتهي إلى حيث انتهى بنا الكتاب والأخبار المأثورة الصحيحة وهذا مذهب أهل السنة والجماعة قال سفيان بن عيينة كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه انتهى ومعنى الآية ما عظموه حق تعظيمه والحال أنه متصف بهذه الصفة الدالة على كمال القدرة والمقصود الإشارة إلى أن المتولي لإبقاء السموات والأرض في هذه الدار هو المتولي لتخريبهما يوم القيامة وذلك يدل على قدرته التامة على الإيجاد والإعدام وأنه غني على الإطلاق فإنه إذا حاول تخريب الأرض بقبضها ويزلها وتخريب السموات بجمعها كالسجل المطوي أخرج البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض وعن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون أين ملوك الأرض أخرجه الشيخان وفي الباب أحاديث وآثار تقتضي حمل الآية على ظاهرها من دون تكلف لتأويل ولا تعسف بمقال وقيل ثم نزه سبحانه نفسه فقال (سبحانه وتعالى عما

بتراءى لهم فيما هو كذلك أبصر العدو فأقبل لينذرهم وخشي أن يدركه العدو قبل أن ينذر قومه فأهوى بثوبه أيها الناس أوتيتم
أيها الناس أوتيتم ثلاث مرات وبهذا الاسناد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة جميعا ان كادت لتسبقني
تفرد به الامام أحمد في مسنده (قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ان أجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد قل ان ربي يقذف
بالحق علام الغيوب قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد قل ان ضللت فانما أضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي
انه سميع قريب) يقول تعالى آمرا رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين ما سألتكم من أجر فهو لكم أي
لا أريد منكم جعلا ولا عطاء على أداء رسالة الله عز وجل اليكم ونصحي اياكم وأمركم بعبادة الله ان أجري الا على الله أي انما أطلب ثواب ذلك من عند الله وهو على كل شيء شهيد أي عالم بجميع الامور بما أنا عليه من اخباري عنه بارساله اياي اليكم وما أنتم عليه وقوله عز وجل قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب كقوله تعالى يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده أي يرسل الملك الى من يشاء من عباده من أهل الارض وهو علام الغيوب فلا يخفى عليه خافية في السموات ولا في الارض وقوله تبارك وتعالى قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد أي جاء الحق من الله والشرع العظيم وذهب الباطل وزهق واضمحل كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولهذا لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد الحرام يوم الفتح ووجد تلك الاصنام منصوبة حول الكعبة جعل يطعن الصنم منها بسية قوسه ويقرأ وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان
زهوقا قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد رواه البخاري ومسلم والنسائي والترمذي وحده عند هذه بعد
الآية كلهم من حديث الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عبد الله بن سخبرة عن ابن مسعود رضي الله عنه أي لم
يبق للباطل مقالة ولا رياسة ولا كلمة وزعم قتادة والسدي أن المراد بالباطل ههنا ابليس أي انه لا يخلق أحدا ولا يعيده ولا يقدر
على ذلك وهذا وان كان حقا ولكن ليس هو المراد ههنا والله أعلم وقوله تبارك وتعالى قل ان ضللت فانما أضل على نفسي وان
اهتديت فبما يوحي الي ربي أي الخير كله من عند الله وفيما أنزله الله عز وجل من الوحي والحق المبين فيه الهدى والبيان والرشاد

يشركون) به من المعبودات التي يجعلونها شركاء له مع هذه القدرة العظيمة والحكمة الباهرة (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض) هذه هي النفخة الاولى والصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل وقد تقدم غير مرة وقد قيل انه يكون معه جبريل لحديث أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان صاحبي الصور بايديهما أو في أيديهما قرنان يلاحظان النظر حتى يؤمران أخرجه ابن ماجه وفي أبي داود عنه قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صاحب الصور وقال عن يمينه جبريل وعن يساره ميكائيل ذكره القرطبي ومعنى صعق زالت عقولهم فخروا مغشيا عليهم وقيل ماتوا قال الواحدي قال المفسرون مات من الفزع وشدة الصوت أهل السموات والارض قرأ الجمهور الصور بسكون الواو وقرئ بفتحها جمع صورة (الا من شاء الله) والاستثناء متصل والمستثنى جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وقيل رضوان وحملة العرش وخزنة الجنة والحور العين والنار وقيل البارئ تعالى وحده قاله الحسن وفيه نظر من حيث قوله من في السموات ومن في الارض فانه لا يتميز وعلى هذا يتعين أن يكون منقطعا وقيل الزبانية وقيل عقارب أهل النار وحياتها أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة قال قال رجل من اليهود بسوق المدينة والذي اصطفى موسى على البشر فرفع رجل من الانصار يده فلطمه وقال أتقول هذا وفينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال قال الله ونفخ في الصور الى قوله ينظرون فأكون أول من يرفع رأسه فاذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أرفع رأسه قبلي أو كان ممن استثنى الله وعنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله الا من شاء الله قال هم الشهداء متقلدون أسيافهم حول عرشه تتلقاهم الملائكة يوم القيامة الحديث أخرجه أبو يعلى والدارقطني في الافراد وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث وأخرجه سعيد بن منصور وعبد بن حميد من قول أبي هريرة وعن أنس أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قوله الا من شاء الله فقال جبريل وميكائيل وملك الموت واسرافيل وحملة العرش أخرجه الفريابي وابن جرير وأبو نصر السجزي في الابانة وابن مردويه وأخرج ابن المنذر عن جابر قال هو موسى لأنه كان صعق قبل وههنا اشكال أورده بعض السلف وهو أن نص القرآن يدل على أن هذا الاستثناء

ومن ضل فانما يضل على نفسه كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لما سئل عن تلك المسئلة في المفوضة أقول فيها برأيي فان يكن صوابا فمن الله وان يكن خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريآن منه وقوله تعالى انه سميع قريب اي سميع لاقوال عباده قريب يجيب دعوة الداعي اذا دعاه وقد روى النسائي ههنا حديث ابي موسى الذي في الصحيحين انكم لا تدعون أصم ولا غائبا انما تدعون سميعا قريبا مجيبا (ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل انهم كانوا (١٧٧) في شك مريب) يقول تبارك وتعالى ولو ترى يا محمد اذ فزع هؤلاء المكذبون يوم القيامة فلا فوت أي فلا مفر لهم ولا وزر لهم ولا ملجأ وأخذوا من مكان قريب اي لم يمكنوا ان يمتنعوا من الهرب بل أخذوا من أول وهلة قال الحسن البصري حين خرجوا من قبورهم وقال مجاهد وعطية العوفي وقتادة من تحت أقدامهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك يعني عذابهم في الدنيا وقال عبد الرحمن ابن زيد يعني قتلهم يوم بدر والصحيح ان المراد بذلك يوم القيامة وهو الطامة العظمى وان كان ما ذكر متصلا بذلك وحكى ابن جرير عن بعضهم قال ان المراد بذلك جيش يخسف بهم بين مكة والمدينة في أيام بني العباس رضي الله عنهم ثم أورد في ذلك حديثا موضوعا بالكلية ثم لم ينبه على ذلك وهذا أمر عجيب غريب منه وقالوا آمنا به اي يوم القيامة يقولون آمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله كما قال تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون ولهذا قال تعالى وأنى لهم التناوش من مكان بعيد اي وكيف لهم تعاطي الايمان وقد بعدوا عن محل قبوله منهم وصاروا الى الدار الآخرة وهي دار الجزاء لا دار الابتلاء فلو كانوا آمنوا في الدنيا لكان ذلك نافعهم ولكن بعد مصيرهم الى الدار الآخرة لا سبيل لهم الى قبول الايمان كما لا سبيل الى حصول الشئ لمن يتناوله من بعيد قال مجاهد وأنى لهم التناوش قال التناول لذلك وقال الزهري التناوش تناولهم الايمان وهم في الآخرة وقد انقطعت عنهم الدنيا وقال الحسن البصري أما انهم طلبوا الامر من حيث لا ينال تعاطوا الايمان من مكان بعيد وقال ابن عباس رضي الله عنهما طلبوا

بعد نفخة الصعق وهي النفخة الاولى التي مات فيها من بقي على وجه الارض والحديث المتقدم يدل على انها نفخة البعث وما قيل انه يحتمل ان موسى ممن لم يمت من الانبياء باطل لصحة موته وقال القاضي عياض يحتمل أن تكون هذه صعقة فزع بعد النشر حين تنشق الارض والسموات فتتوافق الآيات والاحاديث قال القرطبي ويرده ما مر في الحديث من أخذ موسى بقائمة العرش فانما هو عند نفخة البعث وأيضا تكون النفخات أربعا ولم ينقله الثقات قال الشهاب فحمل الصعق على غشي يكون من نفخة بعد نفخة البعث للارهاب والارعاب فكلامه مردود بما عرفت ومن الغريب ان بعضهم جعلها بحديث أبي هريرة خمسا وقد سمعنا بمن زاد في الطنبور نغمة ولم نسمع بمن زاد في الصور نفخة قال القرطبي والذي يزيح الاشكال ما قاله بعض مشايخنا ان الموت ليس بعدم محض بالنسبة الى الانبياء والشهداء فانهم موجودون أحياء وان لم نرهم فاذا نفخت نفخة الصعق صعق كل من في السموات والارض وصعق غير الانبياء موت وصعقهم غشي فاذا كانت نفخة البعث حيي من مات وأفاق من غشي عليه ولذا وقع في الصحيحين فأكون أول من يفيق والاحاديث الواردة في كيفية نفخ الصور كثيرة وقد ذكر سليمان الجمل في هذا المقام عن ابن الوردي وغيره ما جاء في صورة الصور وهيئته وتعداد نفخاته ولا تعلق له بالتفسير (ثم نفخ فيه) نفخة (أخرى فاذا هم) يعني الخلق كلهم (قيام) على أرجلهم (ينظرون) ما يقال لهم أو ينتظرون ذلك والاستثناء ملاحظ في هذا أيضا لان من لم يمت كالحور فلا يقال له ذلك عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما بين النفختين اربعون قالوا أربعون يوما قال أبو هريرة أبيت قالوا أربعون شهرا قال أبيت قالوا أربعون سنة قال أبيت ثم ينزل الله عز وجل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شئ الا يبلى الا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة أخرجه الشيخان ودلت الآية على ان النفخة اثنتان الاولى للموت والثانية للبعث والجمهور على انها ثلاث الاولى للفزع كما قال ونفخ في الصور ففزع والثانية للموت والثالثة للاعادة (وأشرقت الارض) الاشراق الاضاءة يقال أشرقت الشمس اذا أضاءت وشرقت اذا طلعت وأراد بالارض عرصات القيامة أي الارض الجديدة التي يوجدها الله في ذلك الوقت ليحشر الناس عليها وليس المراد بها أرض الدنيا (بنور ربها) أي بعدل ربها قاله

الرجعة إلى الدنيا والتوبة مما هم فيه وليس حين رجعة ولا توبة وكذا قال محمد بن كعب القرظي رحمه الله وقوله تعالى وقد كفروا به
من قبل أي كيف يحصل لهم الإيمان في الآخرة وقد كفروا بالحق في الدنيا وكذبوا الرسل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد قال
مالك عن زيد بن أسلم ويقذفون بالغيب قال بالظن قلت كما قال تعالى رجماً بالغيب فتارة يقولون شاعر وتارة يقولون كاهن وتارة
يقولون ساحر وتارة يقولون مجنون إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة ويكذبون بالبعث والنشور والمعاد ويقولون إن نظن إلا ظناً
وما نحن بمستيقنين قال قتادة ومجاهد يرجمون بالظن لا بعث ولا جنة ولا نار وقوله تعالى وحيل بينهم وبين

ما يشتهون قال الحسن البصري
والضحاك وغيرهما يعني الإيمان
وقال السدي وحيل بينهم وبين
ما يشتهون وهي التوبة وهذا
اختيار ابن جرير رحمه الله وقال
مجاهد وحيل بينهم وبين ما يشتهون
من هذه الدنيا من مال وزهرة وأهل
وروي نحوه عن ابن عمر وابن
عباس والربيع بن أنس رضي الله
عنهم وهو قول البخاري وجماعة
والصحيح أنه لا منافاة بين القولين
فإنه قد حيل بينهم وبين شهواتهم في
الدنيا وبين ما طلبوه في الدنيا فمنعوا
منه وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا أثراً
غريباً عجيباً جداً فلنذكره بطوله فإنه
قال حدثنا محمد بن يحيى حدثنا بشر
ابن حجر الشامي حدثنا علي بن منصور
الأنباري عن الشرقي بن قطامي عن
سعيد بن طريف عن عكرمة عن ابن
عباس رضي الله عنهما في قول الله
عز وجل وحيل بينهم وبين
ما يشتهون إلى آخر الآية قال كان
رجل من بني إسرائيل فاتحاً إن فتح
الله تعالى له مالاً فمات فورثه ابن له
تافه أي فاسد فكان يعمل في مال
الله تعالى بمعاصي الله تعالى عز
وجل فلما رأى ذلك إخوان أبيه أتوا الفتى فعذلوه ولاموه فضجر الفتى فباع عقاره بصامت ثم رحل فأتى عيناً واحدتها
ثجاجة فسرح فيها ماله وابتنى قصراً فبينما هو ذات يوم جالس إذ شملت عليه ريح بامرأة من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم أرجاً أي
ريحاً فقالت من أنت يا عبد الله فقال أنا امرؤ من بني إسرائيل قالت فلك هذا القصر وهذا المال فقال نعم قالت فهل لك من زوجة
قال لا قالت فكيف يهنيك العيش ولا زوجة لك قال قد كان ذلك قال فهل لك من بعل قالت لا قال فهل لك إلى أن أتزوجك قالت
إني امرأة منك على مسيرة ميل فإذا كان غد فتزود زاد يوم وائتني وإن رأيت في طريقك هولاً فلا يهولنك فلما كان من الغد تزود زاد

الحسن وغيره وقال الضحاك بحكم ربها والمعنى أن الأرض أضاءت وأنارت بما أقامه
الله من العدل بين أهلها وما قضى به من الحق فيهم فالعدل نور والظلم ظلمات وقيل
ذلك حين يتجلى الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء بين خلقه فما يضارون في نوره كما
لا يضارون في الشمس في يوم الصحو وقيل إن الله سبحانه يخلق نوراً يوم القيامة يلبسه
وجه الأرض فتشرق به غير نور الشمس والقمر ولا مانع من الحمل على المعنى الحقيقي فإن
الله سبحانه هو نور السموات والأرض قرأ الجمهور وأشرقت مبنياً للفاعل وقرئ على البناء
للمفعول (ووضع الكتاب) قيل هو اللوح المحفوظ وقال قتادة يعني الكتب والصحف التي
فيها أعمال بني آدم فآخذ بيمينه وآخذ بشماله وكذا قال مقاتل وقيل هو من وضع
المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه أي وضع الكتاب للحساب (وجيء بالنبيين) إلى الموقف
فسئلوا عما أجابتهم به أممهم (والشهداء) الذين يشهدون على الأمم من أمة محمد صلى الله
عليه وآله وسلم كما في قوله وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس وقيل
المراد بالشهداء الذين استشهدوا في سبيل الله فيشهدون يوم القيامة لمن ذب عن دين الله
قاله السدي وقيل هم الحفظة كما قال تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد قاله ابن
زيد قال ابن عباس النبيون الرسل والشهداء الذين يشهدون لهم بالبلاغ ليس فيهم طعان
ولا لعان يشهدون بتبليغ الرسالة وتكذيب الأمم إياهم ولما بين سبحانه أنه يوصل لكل ذي
حق حقه عبر عن هذا المعنى بأربع عبارات أولاها قوله (وقضي بينهم بالحق) أي قضي بين
العباد بالعدل والصدق والثانية (وهم لا يظلمون) أي والحال أنهم لا ينقصون من ثوابهم
ولا يزاد على ما يستحقونه من عقابهم وختم الآية بنفي الظلم كما افتتحها بإثبات العدل والثالثة
(ووفيت كل نفس ما عملت) من خير وشر أي جزاءه والرابعة (وهو أعلم بما يفعلون) في
الدنيا لا يحتاج إلى كاتب ولا حاسب ولا شاهد لأنه عالم بمقادير أفعالهم وبكيفياتها فامتنع
دخول الخطأ عليه قاله الكرخي وقال القرطبي ومع ذلك فتشهد الكتب والشهود إلزاماً
للحجة انتهى يعني إنما وضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء لتكميل الحجة وقطع المعذرة
ثم ذكر سبحانه تفصيل ما ذكره من توفية كل نفس ما كسبت فقال (وسيق الذين كفروا
إلى جهنم زمراً) أي سيق الكافرون سوقاً عنيفاً إلى النار حال كونهم جماعات متفرقة
بعضها إثر بعض قال أبو عبيدة والأخفش زمراً جماعات متفرقة بعضها إثر بعض

واحدتها زمرة واشتقاقه من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لاتخلو عنه غالبا (حتى) هى التى تحكى الجمل بعدها (اذا جاؤها فتحت أبوابها) أى أبواب النار ليدخلوها وهى سبعة أبواب وكانت قبل ذلك مغلقة وقد مضى بيان ذلك فى سورة الحجر (وقال لهم خزنتها) جمع خازن نحو سدنة وسادن (ألم يأتكم رسل منكم) أى من أنفسكم ومن جنسكم (يتلون عليكم آيات ربكم) التى أنزلها عليكم (وينذرونكم لقاء يومكم هذا) أى يخوفونكم لقاء هذا اليوم الذى صرتم فيه والمراد به وقت الشدة لا يوم القيامة جميعه قال الزمخشرى وقد جاء استعمال اليوم والايام مستفيضا فى أوقات الشدة قالوا لهم هذا القول تقريعا وتوبيخا فأجابوا بالاعتراف ولم يقدروا على الجدل الذى كانوا يتعللون به فى الدنيا لانكشاف الامر وظهوره ولهذا (قالوا بلى) أى قد أتتنا الرسل بآيات الله وأنذرونا بما سنلقاه (ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) وهى لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وجىء بالظاهر مقام المضمر لبيان سبب استحقاقهم العذاب وهو كفرهم فلما اعترفوا هذا الاعتراف (قيل) لهم من قبل الملائكة الموكلين لعذابهم (ادخلوا أبواب جهنم) التى قد فتحت لكم لتدخلوها (خالدين) أى مقدرين الخلود (فيها فبئس مثوى المتكبرين) جهنم واللام فيه للجنس وجىء بالظاهر لبيان سبب كفرهم الذى استحقوا به العذاب وقد تقدم تحقيق المثوى فى غير موضع ولما ذكر فيما تقدم حال الذين كفروا وسوقهم الى جهنم زمرا ذكر هنا حال المتقين وسوقهم الى الجنة فقال (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا) أى ساقتهم الملائكة سوق اعزاز وتشريف وتكريم والمراد بذلك السوق اسراعهم الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يكرم من الوافدين على بعض الملوك والمراد بالسوق المتقدم طردهم الى العذاب بالهوان كما يفعل بالاسير اذا سيق الى الحبس أو القتل فشتان ما بين السوقين وهذا من بدائع أنواع البديع وهو أن يأتى سبحانه وتعالى بكلمة فى حق الكفار فتدل على هوانهم وعقابهم ويأتى بتلك الكلمة بعينها بهيئتها فى حق المؤمنين فتدل على اكرامهم وحسن ثوابهم فسبحان من أنزله معجز المبانى متمكن المعانى عذب الموارد والمثانى قيل الكلام على حذف مضاف أى سيقت مراكبهم اذ لايذهب بهم الا راكبين وقد سبق معنى الزمر أى جماعات اهل الصلاة على حدة وأهل الصوم كذلك الى غير ذلك (حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها) جواب اذا محذوف قال المبرد

يوم وانطلق فانتهى الى قصر فقرع رتاجه فخرج اليه شاب من احسن الناس وجها واطيبهم أرجا أى ريحا فقال من انت ياعبد الله فقال انا الاسرائيلى قال فاحاجتك قال دعتنى صاحبة هذا القصر الى نفسها قال صدقت قال فهل رأيت فى الطريق هولا قال نعم ولولا انها اخبرتنى ان لا بأس على لهالنى الذى رأيت قال مارأيت قال أقبلت حتى اذا انفرج بى السبيل اذا انا بكلبة فاتحة فاها ففزعت فوثبت فاذا أنا من ورائها واذا جراؤها ينبحن فى بطنها فقال الشاب لست تدرك هذا هذا يكون فى آخر الزمان يقاعد الغلام المشيخة فى مجلسهم ويسرهم حديثه قال ثم اقبلت حتى اذا انفرج بى السبيل اذا انا بمائة عنز حفل واذا فيها جدى يمصها فاذا أتى عليها وظن أنه لم يترك شيأ فتح فاه يلتمس الزيادة فقال لست تدرك هذا هذا يكون فى آخر الزمان ملك يجمع صامت الناس كلهم حتى اذا ظن انه لم يترك شيأ فتح فاه يلتمس الزيادة قال ثم أقبلت حتى اذا انفرج بى السبيل اذا أنا بشجر فاعجبنى غصن من شجرة منها ناضرة فاردت قطعه فنادتنى شجرة أخرى ياعبد الله منى فخذ حتى نادانى الشجر أجمع ياعبد الله منى فخذ فقال لست تدرك هذا هذا يكون فى آخر الزمان يقل الرجال ويكثر النساء حتى ان الرجل ليخطب المرأة فتدعوه العشر والعشرون الى أنفسهن قال ثم أقبلت حتى اذا انفرج بى السبيل فاذا أنا برجل قائم على عين يغرف لكل انسان من الماء فاذا تصدعوا عنه صب فى جرته فلم تعلق جرته من الماء بشئ قال لست تدرك هذا هذا يكون فى آخر الزمان القاص يعلم الناس العلم ثم يخالفهم الى معاصى الله تعالى قال ثم أقبلت حتى اذا انفرج بى السبيل اذا أنا بعنز واذا بقوم قد أخذوا بقوائمها واذا رجل قد أخذ بقرنيها واذا رجل قد أخذ بذنبها واذا راكب قد ركبها واذا رجل يحتلبها فقال اما العنز فهى الدنيا والذين أخذوا بقوائمها يتساقطون من عيشها وأما الذى قد أخذ بقرنيها فهو يعالج من عيشها ضيقا وأما الذى أخذ بذنبها فقد أدبرت عنه وأما الذى قد ركبها فقد تركها وأما الذى يحتلبها فبخ بخ ذهب ذلك بها قال ثم أقبلت حتى اذا انفرج بى السبيل اذا أنا برجل يمتح على قليب كلما أخرج دلوه صبه فى الحوض فانساب الماء راجعا الى القليب قال هذا رجل رد الله عليه صالح عمله فلم يقبله قال ثم أقبلت حتى اذا انفرج بى السبيل اذا أنا برجل يبذر بذرا فيستحصد فاذا حنطة طيبة قال هذا رجل قبل الله صالح عمله وأزكاه له قال ثم أقبلت حتى

انا الشرج في السبيل اذا أنا برجل مستلق على قفاه قال يا عبد الله ادن مني فخذ بيدي واقعدني فوالله ما قعدت منذ خلقني الله تعالى فاخذت بيده فقام يسعى حتى ما أراه فقال له النبي هذا عمر الابعد فنده وأنا ملك الموت وأنا المرأة التي أتيتك أمرني الله تعالى بقبض روح الابعد في هذا المكان ثم أصيره الى نار جهنم قال ففيه مرات هذه الآية وحيل بينهم وبين ما يشتهون الآية هذا أثر غريب وفي صحته نظر وتنزيل الآية عليه وفي حقه بمعنى ان الكفار كلهم يتوفون وأرواحهم متعلقة بالحياة الدنيا كما جرى لهذا المغرور المفتون ذهب يطلب مراده فجاءه ملك الموت فجأة بغتة وحيل بينه وبين ما يشتهي وقوله تعالى كما فعل بأشياعهم من

قبل أي كما جرى للامم الماضية المكذبة بالرسل لما جاءهم بأس الله تمنوا ان لو آمنوا فلم يتقبل منهم فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون وقوله تبارك وتعالى انهم كانوا في شك مريب أي كانوا في الدنيا في شك وريبة فلهذا لم يتقبل منهم الايمان عند معاينة العذاب قال قتادة اياكم والشك والريبة فان من مات على شك بعث عليه ومن مات على يقين بعث عليه آخر تفسير سورة سبا والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب

تقديره سعدوا وفتحت وقال الزجاج القول عندي ان الجواب محذوف على تقدير حتى اذا جاؤها وكانت هذه الاشياء التي ذكرت دخلوها فالجواب دخلوها وحذف لان في الكلام دليلا عليه وقال الاخفش والكوفيون الجواب فتحت والواو زائدة وهو خطأ عند البصريين لان الواو من حروف المعاني فلا تزاد وقيل ان زيادة الواو دليل على ان الابواب فتحت لهم قبل ان يأتوا لكرامتهم على الله والتقدير حتى اذا جاؤها وأبوابها مفتحة بدليل قوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب وحذفت الواو في قصة أهل النار لانهم وقفوا على النار وفتحت بعد وقوفهم اذلالا وترويعا ذكر معناه النحاس منسوبا الى بعض أهل العلم قال ولا أعلم أنه سبقه اليه أحد وعلى هذا القول تكون الواو واو الحال بتقدير قد أي جاؤها وقد فتحت لهم الابواب وقيل انها واو الثمانية وذلك ان من عادة العرب انهم كانوا يقولون في العدد خمسة ستة سبعة وثمانية وقد مضى القول في هذا في سورة براءة مستوفى وفي سورة الكهف أيضا وقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب دري في السماء اضاءة وأخرج الشيخان وغيرهما عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال في الجنة ثمانية ابواب منها باب يسمى باب الريان لا يدخله الا الصائمون وقد ورد في كون أبواب الجنة ثمانية أحاديث في الصحيحين وغيرهما وكتابنا مثير ساكن الغرام الى روضات دار السلام هو أحسن ما جمع في احوال الجنة فليرجع اليه وليعول عليه ثم اخبر سبحانه ان خزنة الجنة يسلمون على المؤمنين فقال (وقال لهم خزنتها سلام عليكم) أي سلامة لكم من كل آفة لا يعتريكم بعده مكروه (طبتم) وطهرتم في الدنيا فلم تتدنسوا بالشرك والمعاصي قال مجاهد طبتم بطاعة الله وقيل بالعمل الصالح والمعنى واحد وقيل طاب لكم المقام وقيل طابت حالكم وحسنت وجعل دخول الجنة مسببا عن الطيب والطهارة لانها دار الطيبين ومثوى الطاهرين قد طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل قذر فلا يدخلها الا مناسب لها موصوف بصفتها قال مقاتل اذا قطعوا جسر جهنم حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم حتى اذا هذبوا وطيبوا قال لهم رضوان وأصحابه سلام عليكم الآية وقد أخرج البخاري حديث القنطرة هذا في جامعه

(تفسير سورة فاطر وهي مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير) قال سفيان الثوري عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كنت لا أدري ما فاطر السموات والارض حتى أتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما لصاحبه انا فطرتها اي بدأتها وقال ابن عباس رضي الله عنهما أيضا فاطر السموات والارض اي بديع السموات والارض وقال الضحاك كل شيء في القرآن فاطر السموات والارض فهو خالق السموات والارض وقوله تعالى جاعل الملائكة رسلا اي بينه وبين انبيائه أولي اجنحة اي يطيرون بها ليبلغوا ما امروا به سريعا مثنى وثلاث ورباع أي منهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة ومنهم من له اربعة ومنهم من له أكثر من ذلك كما جاء في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام ليلة الاسراء وله ستمائة جناح بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب

ولهذا قال جل وعلا يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير قال السدي يزيد في الأجنحة وخلقهم ما يشاء وقال الزهري وابن جريج في قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء يعني حسن الصوت رواه عن السدي البخاري عن الزهري في الأدب وابن أبي حاتم في تفسيره وقرئ في الشاذ يزيد في الحلق بالحاء المهملة والله أعلم (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم) يخبر تعالى أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع قال الإمام أحمد حدثنا علي بن عاصم حدثنا مغيرة أخبرنا عامر عن وراد كاتب المغيرة بن شعبة

قال إن معاوية كتب إلى المغيرة بن شعبة اكتب لي بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاني المغيرة فكتبت إليه إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا انصرف من الصلاة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد وسمعته ينهى عن قيل وقال وعن كثرة السؤال وإضاعة المال وعن وأد البنات وعقوق الأمهات ومنع وهات وأخرجاه من طرق عن وراد به وثبت في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا رفع رأسه من الركوع يقول سمع الله لمن حمده اللهم ربنا لك الحمد ملء السماء والأرض وملء ما شئت من شيء بعد اللهم أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد وهذه الآية كقوله تبارك وتعالى وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله ولها نظائر كثيرة وقال الإمام مالك رحمة الله عليه كان أبو هريرة رضي الله عنه إذا مطروا يقول مطرنا بنوء الفتح ثم قرأ هذه الآية ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم ورواه ابن أبي حاتم عن يونس عن ابن وهب عنه (يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون) ينبه تعالى عباده ويرشدهم إلى الاستدلال على توحيده في إفراد العبادة له كما أنه المستقل بالخلق والرزق فكذلك فليفرد بالعبادة ولا يشرك به غيره من الأصنام والأنداد والأوثان ولهذا قال تعالى لا إله إلا هو فأنى تؤفكون أي فكيف تؤفكون

من حديث أبي سعيد الخدري وهو طويل جدا (فادخلوها) أي الجنة (خالدين) أي مقدرين الخلود (وقالوا) أي بعد دخولهم قال أهل الجنة (الحمد لله الذي صدقنا وعده) بالبعث والثواب بالجنة في قوله تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا (وأورثنا الأرض) أي أرض الجنة قاله قتادة وأبو العالية كأنها صارت من غيرهم إليهم فملكوها وتصرفوا فيها تصرف الوارث فيما يرثه ففي الكلام تجوز وقيل إنهم ورثوا الأرض التي كانت لأهل النار لو كانوا مؤمنين قاله أكثر المفسرين وقيل إنها أرض الدنيا وفي الكلام تقديم وتأخير (نتبوأ من الجنة حيث نشاء) أي نتخذ فيها من المنازل ما نشاء حيث نشاء فلا يختار أحد مكان غيره وقيل يتخير كل واحد من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أين ينزل تكرمة له وإن كان لا يختار إلا ما قسم له وأما بقية الأمم فيدخلون بعد أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فينزلون فيما فضل عنهم وفي الكرخي الجنة نوعان الجنات الجسمانية وهي لا تحتمل المشاركة والجنات الروحانية وحصولها لواحد لا يمنع من حصوله لآخرين (فنعم أجر العاملين) في الدنيا أي الجنة وهذا من تمام قول أهل الجنة وقيل هو من قول الله سبحانه (وترى) يا محمد (الملائكة حافين) أي محيطين ومحدقين قائمين بجميع ما عليهم من الحقوق (من حول العرش) أي جوانبه التي يمكن الحفوف بها فيسمع لهم وفهم صوت التسبيح والتحميد والتقديس وإدخال من يفهم أنهم مع كثرتهم إلى حد لا يحصيه إلا الله لا يملؤون حوله وهذا أولى من قول الصاوي إن من مزيدة وبه قال الأخفش أو للابتداء أي ابتداء حفوفهم من حول العرش إلى حيث شاء الله والمعنى أن الرائي يراهم بهذه الصفة في ذلك اليوم والحافين جمع حاف قاله الأخفش وهو المحدق بالشيء من حففت بالشيء إذا أحطت به وهو مأخوذ من الحفاف وهو الجانب وقال الفراء وتبعه الزمخشري لا واحد له من لفظه إذ لا يقع لهم هذا الاسم إلا مجتمعين (يسبحون بحمد ربهم) أي حال كونهم مسبحين لله متلبسين بحمده أي يقولون سبحان الله وبحمده وقيل معنى يسبحون يصلون حول العرش شكرا لربهم وهذا تسبيح تلذذ لا تسبيح تعبد لأن التكاليف تزول في ذلك اليوم وذلك يشعر بأن ثوابهم هو عين ذلك التسبيح وأنهم إن منتهى درجات العليين ولذاتهم الاستغراق في صفاته تعالى اللهم ارزقنا (وقضي بينهم) أي بين جميع العباد والخلائق (بالحق) أي بالعدل بإدخال بعضهم الجنة وبعضهم النار وقيل بين النبيين

بعد هذا البيان ووضوح هذا البرهان أثم بعد هذا تعبدون الأنداد والأوثان والله أعلم (وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك
وإلى الله ترجع الأمور يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه
عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) يقول تبارك وتعالى وإن يكذبوك يا محمد هؤلاء المشركون بالله ويخالفوك فيما
جئتهم به من التوحيد فلك فيمن سلف قبلك من الرسل أسوة فإنهم كذلك جاؤوا قومهم بالبينات وأمروهم بالتوحيد فكذبوهم
وخالفوهم وإلى الله ترجع الأمور أي وسيجزيهم على ذلك أوفر الجزاء ثم قال تعالى يا أيها الناس إن وعد الله حق أي
المعاد كائن لا محالة فلا تغرنكم الحياة الدنيا أي العيشة الدنيئة بالنسبة إلى ما أعد الله لأوليائه وأتباع رسله من الخير العظيم فلا تتلهوا عن ذلك الباقي بهذه الزهرة الفانية ولا يغرنكم بالله الغرور وهو الشيطان قاله ابن عباس رضي الله عنهما أي لا يفتننكم الشيطان ويصرفنكم عن اتباع رسل الله وتصديق كلماته فإنه غرار كذاب أفاك وهذه الآية كالآية التي في آخر لقمان فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقال مالك عن زيد بن أسلم هو الشيطان كما قال المؤمنون للمنافقين يوم القيامة حين يضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور ثم بين تعالى عداوة إبليس لابن آدم فقال إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا أي هو مبارز لكم بالعداوة فعادوه أنتم أشد العداوة وخالفوه وكذبوه فيما يغركم به إنما يدعو حزبه ليكونوا من
أصحاب السعير أي إنما يقصد أن يضلكم حتى تدخلوا معه إلى عذاب السعير فهذا هو العدو المبين نسأل مرة
الله القوي العزيز أن يجعلنا أعداء الشيطان وأن يرزقنا اتباع كتابه والاقتفاء بطريق رسوله إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير
وهذه كقوله تعالى وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء
من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا (الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير أفمن
زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون) لما

الذين هم منهم مع الشهداء وبين أممهم وقيل بين الملائكة بإقامتهم في منازلهم على حسب درجاتهم والأول أولى (وقيل الحمد لله رب العالمين) القائلون هم المؤمنون حمدوا الله على قضائه بينهم وبين أهل النار بالحق كما قال وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وقيل القائلون هم الملائكة حمدوا الله تعالى على عدله في الحكم وقضائه بين عباده بالحق وبدأ سبحانه هذه الآية بالحمد وختمها بالحمد للتنبيه على تحميده في بداية كل أمر ونهايته والحمد الأول على صدق الوعد وإيراث الجنة وهذا على القضاء بالحق فلا تكرار فيه وروي من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ على المنبر آخر الزمر فتحرك المنبر مرتين

* (سورة غافر وهي سورة المؤمن وتسمى سورة الطول وهي خمس وثمانون آية) *

وقيل اثنتان وثمانون آية قاله القرطبي وهي مكية في قول عطاء وجابر وعكرمة قال الحسن إلا قوله وسبح بحمد ربك لأن الصلوات نزلت بالمدينة وقال ابن عباس وقتادة إلا آيتين نزلتا بالمدينة وهما إن الذين يجادلون في آيات الله والتي بعدها وكذا نص عليه السيوطي في الإتقان وفي لب الأصول في أسباب النزول قال ابن عباس نزلت حم المؤمن بمكة وعن سمرة بن جندب قال نزلت الحواميم جميعا بمكة وأخرج محمد بن نصر وابن مردويه عن أنس بن مالك سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول إن الله أعطاني السبع الطوال مكان التوراة وأعطاني الراآت إلى الطواسين مكان الإنجيل وأعطاني ما بين الطواسين إلى الحواميم مكان الزبور وفضلني بالحواميم والمفصل ما قرأهن نبي قبلي وقال ابن عباس إن لكل شيء لبابا وإن لباب القرآن حم وقال ابن مسعود الحواميم ديباج القرآن وعنه قال إذا وقعت في آل حم وقعت في روضات دمثات أتأنق فيهن وعن سعد بن إبراهيم قال الحواميم تسمى العرائس رواه الدارمي في مسنده وقال الجوهري آل حم سور في القرآن فأما قول العامة الحواميم فليس من كلام العرب وبه قال الحريري في درة الغواص وقال أبو عبيدة الحواميم على غير قياس والأولى أن تجمع بذوات حم انتهى فتلخص من مجموع هذه الأخبار أن هذه السور السبع تسمى الحواميم وتسمى آل حم وتسمى ذوات حم وعليها الجموع الثلاثة خلا فالى أنكر الأول منها وأخرج البيهقي في الشعب عن الخليل بن

ذكر تعالى أن أتباع إبليس مصيرهم إلى السعير ذكر بعد ذلك أن الذين كفروا لهم عذاب شديد لأنهم أطاعوا الشيطان وعصوا الرحمن وأن الذين آمنوا بالله ورسله وعملوا الصالحات لهم مغفرة أي لما كان منهم من ذنب وأجر كبير على ما عملوا من خير ثم قال تعالى أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا يعني كالكفار والفجار يعملون أعمالا سيئة وهم في ذلك يعتقدون ويحسبون أنهم يحسنون صنعا أي أفمن كان هكذا قد أضله الله ألك فيه حيلة لا حيلة لك فيه فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء أي بقدره كان ذلك فلا تذهب نفسك عليهم حسرات أي لا تأسف على ذلك فإن الله حكيم في قدره (١٨٣) إنما يضل من يضل ويهدي من يهدي لما له في ذلك من الحجة البالغة والعلم التام ولهذا قال تعالى إن الله عليم بما يصنعون وقال ابن أبي حاتم عند هذه الآية حدثنا أبي حدثنا محمد بن عوف الحمصي حدثنا محمد ابن كثير عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني أو ربيعة عن عبد الله بن الديلمي قال أتيت عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما وهو في حائط بالطائف يقال له الوهط قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله تعالى خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من نوره يومئذ فقد اهتدى ومن أخطأه ضل فلذلك أقول جف القلم على ما علم الله عز وجل ثم قال حدثنا محمد بن عبدة القزويني حدثنا حسان بن حسان البصري حدثنا إبراهيم بن بشر حدثنا يحيى بن معين حدثنا إبراهيم القرشي عن سعد بن شرحبيل عن زيد بن أبي أوفى رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الحمد لله الذي يهدي من الضلالة ويلبس الضلالة على من أحب وهذا أيضا حديث غريب جدا (والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور من كان يريد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير) كثيرا ما يستدل تعالى على المعاد بإحيائه الأرض بعد موتها كما في أول الحج ينبه عباده أن يعتبروا بهذا على ذلك فإن الأرض تكون ميتة هامدة لا نبات فيها فإذا أرسل إليها السحاب تحمل الماء وأنزله عليها اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج كذلك

مرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الحواميم سبع وأبواب النار سبع يجيء كل حم منها يقف على باب من هذه الأبواب يقول اللهم لا تدخل من هذا الباب من كان يؤمن بي ويقرأني

(بسم الله الرحمن الرحيم حم) قرأ الجمهور بفتح الحاء مشبعا وقرئ بإمالته إمالة محضة وبإمالته بين بين وقرأ الجمهور بسكون الميم كسائر الحروف المقطعة وقرأ الزهري بضمها على أنها خبر مبتدأ مضمر أو مبتدأ والخبر ما بعده وقرأ عيسى بن عمر الثقفي بفتحها وهي تحتمل وجهين أحدهما أنها منصوبة بفعل مقدر أي اقرأ حم وإنما منعت من الصرف للعلمية والتأنيث أو للعلمية وشبه العجمة وذلك أنه ليس في الأوزان العربية وزن فاعيل بخلاف الأعجمية نحو قابيل وهابيل والثاني أنها حركة بناء تخفيفا كأين وكيف وقرأ ابن أبي إسحق وأبو السمال بكسرها لالتقاء الساكنين أو بتقدير القسم وقرأ الجمهور بوصل الحاء بالميم وقرأ أبو جعفر بقطعها وقد اختلف في معناه فقيل هو اسم من أسماء الله قاله أبو أمامة وقيل اسم من أسماء القرآن قاله قتادة وقال الضحاك والكسائي معناه قضي وجعلاه بمعنى حم أي وقع وقضي وقيل مفاتيح خزائنه وقيل اسم الله الأعظم وقيل بدء أسماء الله تعالى كحميد وحليم وحكيم وحنان وكالملك ومجيد ومنان ومتكبر ومصور ومؤمن ومهيمن وقيل معناه حم أمر الله أي قرب نصره لأوليائه وانتقامه من أعدائه وهذا كله تكلف لا موجب له وتعسف لا ملجئ إليه والحق أن هذه الفاتحة لهذه السورة وأمثالها من المتشابه الذي استأثر الله بعلم معناه كما قدمنا تحقيقه في فاتحة سورة البقرة وأخرج الترمذي والحاكم وصححه وأبو داود وغيرهم عن المهلب بن أبي صفرة قال حدثني من سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول ليلة الخندق إن أبيتم الليلة فقولوا حم لا ينصرون وعن البراء بن عازب أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال إنكم تلقون عدوكم فليكن شعاركم حم لا ينصرون أخرجه النسائي والحاكم وابن أبي شيبة (تنزيل الكتاب) هو خبر لحم على تقدير أنه مبتدأ أو خبر لمبتدأ مضمر أي هذا تنزيل أو هو مبتدأ وخبره (من الله) قال الرازي المراد بالتنزيل المنزل والمعنى أن القرآن منزل من عند الله ليس بمكذوب عليه (العزيز) المنيع بسلطانه الغالب القاهر في ملكه (العليم) الكثير العلم بخلقه وما يقولونه ويفعلونه فيه تهديد للمشركين وبشارة للمؤمنين (غافر الذنب) أي ذنب المؤمنين وعن

الأجساد أذن الله تعالى بعثها ونشورها أنزل من تحت العرش مطرا يعم الأرض جميعا وتنبت الأجساد في قبورها كما تنبت الحبة في الأرض ولهذا جاء في الصحيح كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب منه خلق ومنه يركب ولهذا قال تعالى كذلك النشور وتقدم في الحج حديث أبي رزين قلت يا رسول الله كيف يحيي الله الموتى وما آية ذلك في خلقه قال صلى الله عليه وسلم يا أبا رزين أما مررت بوادي قومك محلا ثم مررت به يهتز خضرا قلت بلى قال صلى الله عليه وسلم فكذلك يحيي الله الموتى وقوله تعالى من كان يريد العزة فلله العزة جميعا أي من كان يحب أن يكون عزيزا في الدنيا والآخرة فليلزم طاعة الله تعالى فإنه يحصل له مقصوده لأن الله تعالى مالك الدنيا والآخرة وله العزة جميعا كما قال تعالى الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا وقال عز وجل ولا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعا وقال جل جلاله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون قال مجاهد من كان يريد العزة بعبادة الأوثان فإن العزة لله جميعا وقال قتادة من كان يريد العزة فإن العزة لله جميعا أي فليتعزز بطاعة الله عز وجل وقيل من كان يريد علم العزة لمن هي فإن العزة لله جميعا وحكاه ابن جرير وقوله تبارك وتعالى إليه يصعد الكلم الطيب يعني الذكر والتلاوة والدعاء قاله غير واحد من السلف وقال ابن جرير حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي أخبرني جعفر بن عون عن عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي عن عبد الله بن المخارق عن أبيه المخارق بن سليم قال قال لنا عبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه إذا حدثناكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله تعالى إن العبد المسلم إذا قال سبحان الله وبحمده والحمد لله لا إله إلا الله والله أكبر تبارك الله أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم صعد بهن إلى السماء فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يجيء بهن وجه الله عز وجل ثم قرأ عبد الله رضي الله عنه إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وحدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية أخبرنا سعيد الجريري عن عبد الله بن شقيق قال قال كعب الأحبار إن لسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لدويا حول العرش كدوي النحل يذكرن لصاحبهن والعمل الصالح في الخزائن وهذا إسناد صحيح إلى كعب

ابن عمر وقيل ساتر الذنب من يقول لا إله إلا الله (وقابل التوب) أي توبة الراجعين أو عمن يقول لا إله إلا الله والتوب والثوب والأوب أخوات في معنى الرجوع مصدر وقال الأخفش التوب جمع توبة كدوم ودومة وإدخال الواو في هذا الوصف لإفادة الجمع للمذنب بين قبول توبته ومحو حوبته قاله العمادي أو لتغاير الوصفين إذ ربما يتوهم الاتحاد قاله البيضاوي (شديد العقاب) أي شديد لمن لا يقول لا إله إلا الله أو على العاصين والكافرين وقيل قابل التوب لأوليائه وشديد العقاب لأعدائه وقيل قابل التوب من الشرك وشديد العقاب لمن لا يوحده (ذي الطول) أي ذي التفضل على العارفين أو الغني عن كل العالمين وأصل الطول الإنعام والتفضل أي ذي الإنعام على عباده والتفضل عليهم وقال مجاهد وابن عباس ذي الغنى والسعة ومنه قوله ومن لم يستطع منكم طولا أي غنى وسعة وقال عكرمة ذي المن قال الجوهري والطول بالفتح المن يقال منه طال عليه ويطول عليه إذا امتن عليه وقال محمد بن كعب ذي التفضل قال الماوردي والفرق بين المن والتفضل أن المن عفو عن ذنب والتفضل إحسان غير مستحق والله سبحانه موصوف على الدوام بكل من هذه الصفات فإضافة المشتق منها تعريف كالأخيرة وقال السمين فيها ثلاثة أوجه أحدها أنها كلها صفات للجلالة الثاني أن الكل أبدال لأن إضافتها غير محضة الثالث أن غافرا وقابل نعتان وشديد العقاب بدل انتهى ثم ذكر ما يدل على توحيده وأنه الحقيق بالعبادة فقال (لا إله إلا هو) استئناف أو حال لازمة وقال أبو البقاء صفة قال ابن عادل وهذا على ظاهره فاسد لأن الجمل لا تكون صفة للمعارف ويمكن أن يريد أنه صفة لشديد العقاب لأنه لم يتعرف عنده بالإضافة (إليه) لا إلى غيره (المصير) أي مصير من يقول لا إله إلا الله فيدخل الجنة ومصير من لا يقول لا إله إلا الله فيدخل النار ونحوه في اليوم الآخر قال الكرخي حال من الجلالة قبله أخرج أبو عبيد وابن سعد ومحمد بن نصر وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ حم المؤمن إلى إليه المصير وآية الكرسي حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي ومن قرأهما حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح ثم لما ذكر الله سبحانه أن القرآن كتاب الله أنزله ليهتدى به في الدين ذكر أحوال من يجادل فيه لقصد إبطاله فقال (ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا) أي ما يخاصم في دفع آيات الله وتكذيبها

الاحبار رحمه الله عليه وقد روى مرفوعا قال الامام أحمد حدثنا ابن نمير حدثنا موسى يعني ابن أبي مسلم الطحان عن عون بن عبد الله عن أبيه أو عن أخيه عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يذكرون الله من جلال الله من تسبيحه وتكبيره وتحميده وتهليله يتعاطفن حول العرش لهن دوي كدوي النحل يذكرن بصاحبهن ألا يحب أحدكم أن لا يزال له عند الله شيء يذكر به هكذا رواه ابن ماجه عن أبي بشر بكر بن خلف عن يحيى بن سعيد القطان عن موسى بن أبي مسلم الطحان عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن أبيه أو عن أخيه عن النعمان

بن بشير رضي الله عنه به وقوله تعالى والعمل الصالح يرفعه قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما الكلم الطيب ذكر الله تعالى يصعد به الى الله عز وجل والعمل الصالح أداء الفرائض فمن ذكر الله تعالى في أداء فرائضه حمل عمله ذكر الله تعالى يصعد به الى الله عز وجل ومن ذكر الله تعالى ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله فكان أولى به وكذا قال مجاهد العمل الصالح يرفع الكلام الطيب وكذا قال أبو العالية وعكرمة وابراهيم النخعي والضحاك والسدي والربيع بن أنس وشهر بن حوشب وغير واحد وقال اياس بن معاوية القاضي لولا العمل الصالح لم يرفع الكلام وقال الحسن وقتادة لا يقبل قول الا بعمل وقوله تعالى والذين يمكرون السيئات قال مجاهد وسعيد ابن جبير وشهر بن حوشب هم المراؤن بأعمالهم يعني يمكرون بالناس يوهمون أنهم في طاعة الله تعالى وهم بغضاء الى الله عز وجل يراؤن بأعمالهم ولا يذكرون الله الا قليلا وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هم المشركون والصحيح أنها عامة والمشركون داخلون بطريق الاولى ولهذا قال تعالى لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور أي يفسد ويبطل ويظهر زيفهم عن قريب لأولي البصائر والنهى فانه ما أسر أحد سريرة الا أبداها الله تعالى على صفحات وجهه وفلتات لسانه وما أسر أحد سريرة الا كساه الله تعالى رداءها ان خيرا فخير وان شرا فشر فالمرائي لا يروج أمره ويستمر الا على غبي أما المؤمنون المتفرسون فلا يروج ذلك عليهم بل ينكشف لهم عن قريب وعالم الغيب لا تخفى عليه خافية وقوله تبارك وتعالى والله خلقكم من تراب ثم من نطفة أي ابتدأ خلق أبيكم آدم من تراب ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين

وتكذيبها بالطعن فيها الا الكفار والمراد الجدال بالباطل والقصد الى دحض الحق كما في قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأما الجدال لاستيضاح الحق وايضاح الملتبس وحل المشكل وتكذيبها وكشف المعضل واستنباط المعاني ورد أهل الزيغ بها ورفع اللبس والبحث عن الراجح والمرجوح وعن المحكم والمتشابه ودفع ما يتعلق به المبطلون من متشابهات القرآن وردهم بالجدال الى المحكم فهو من أعظم ما يتقرب به المتقربون وأفضل ما يجاهد في سبيله المجاهدون وبذلك أخذ الله الميثاق على الذين أوتوا الكتاب فقال واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وقال ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون وقال ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن فلحصر ان الجدال نوعان جدال في تقرير الحق وجدال في تقرير الباطل أما الاول فهو حرفة الانبياء عليهم السلام ومنه قوله تعالى حكاية عن قوم نوح يا نوح قد جادلتنا وأما الثاني فهو مذموم وهو المراد بهذه الآية ما يجادل في آيات الله هو قولهم مرة هذا سحر ومرة شعر ومرة هو قول الكهنة ومرة أساطير الاولين ومرة انما يعلمه بشر وأشباه هذا قاله الكرخي وأخرج عبد بن حميد وأبو داود عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان جدالا في القرآن كفر وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المراء في القرآن كفر أخرجه أبو داود وغيره وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية فخرج يعرف في وجهه الغضب فقال انما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب أخرجه مسلم قال أبو العالية آيتان ما أشدهما على الذين يجادلون في القرآن هذه الآية وقوله وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد ولما حكم سبحانه على المجادلين في آيات الله بالكفر نهى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم عن أن يغتر بشيء من حظوظهم الدنيوية فقال (فلا يغررك تقلبهم في البلاد) أي فلا يغررك ما يفعلونه من التجارة النافقة في البلاد كالشام واليمن وما يحصلونه من المكاسب والارباح وما يجمعونه من الاموال سالمين غانمين فانهم معاقبون عما قليل وان أمهلوا فانهم لا يهملون قال الزجاج لا يغررك سلامتهم بعد كفرهم فان عاقبتهم الهلاك وهذا تسلية له صلى الله عليه وآله وسلم ووعيد لهم والفاء

لترتب النهي أو وجوب الانتهاء على ما قبلها من التسجيل عليهم بالكفر الذي لا شيء أمقت منه عند الله ولا أجلب لخسران الدنيا والآخرة قرأ الجمهور ولا يغررك بفك الادغام وقرئ بالادغام وهو جواب لشرط مقدر أي اذا تقرر عندك ان المجادلين في آيات الله كفار فلا يغررك الخ ثم بين حال من كان قبلهم وأن هؤلاء سلكوا سبيل أولئك في التكذيب فقال (كذبت قبلهم) أي قبل أهل مكة (قوم نوح والاحزاب من بعدهم) أي وكذبت الاحزاب الذين تحزبوا على الرسل من بعد قوم نوح كعاد وثمود وغيرهما (وهمت كل أمة) من تلك الامم المكذبة (برسولهم) الذي أرسل اليهم (ليأخذوه) أي ليتمكنوا منه فيحبسوه ويعذبوه ويصيبوا منه ما أرادوا وقال قتادة والسدي ليقتلوه والاخذ قد يرد بمعنى الاهلاك كقوله فأخذتهم فكيف كان نكير والعرب تسمي الاسير الأخيذ والاخذ بمعنى الاسر (وجادلوا) أي خاصموا رسولهم (بالباطل) من القول (ليدحضوا) أي ليزيلوا (به الحق) ومنه مكان دحض أي مزلقة ومزلة أقدام والباطل داحض لانه يزلق ويزول فلا يستقر قال يحيى ابن سلام جادلوا الانبياء بالشرك ليبطلوا به الايمان (فأخذتهم) أي فأخذت هؤلاء المجادلين بالباطل (فكيف كان عقاب) الذي عاقبتهم به وحذف ياء المتكلم اجتزاء بالكسرة لانها وصلا ووقفا لانها رأس آية (وكذلك حقت كلمة ربك) أي وجبت وثبتت ولزمت يقال حق الشيء اذا لزم وثبت والمعنى وكما حقت على الامم المكذبة لرسلهم كلمة العذاب حقت كلمة ربك أي وعيده (على الذين كفروا) بك وجادلوك بالباطل وتحزبوا عليك وهموا انما لم [illegible] كما ينبئ عنه اضافة اسم الرب الى ضميره صلى الله عليه وآله وسلم فان ذلك للاشعار بأن وجوب كلمة العذاب عليهم من أحكام تربيته التي من جملتها نصرته على أعدائه وتعذيبهم قاله أبو السعود وقرأ الجمهور كلمة بالتوحيد وقرئ كلمات بالجمع وجملة (أنهم أصحاب النار) للتعليل أي لانهم مستحقون للنار قال الاخفش أي لانهم أو بأنهم وقال المحلي بدل من كلمة أي بدل الكل أو الاشتمال على ارادة اللفظ أو المعنى ثم ذكر أحوال حملة العرش ومن حوله فقال (الذين يحملون العرش ومن حوله) الموصول مبتدأ وخبره قوله (يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا) والجملة مستأنفة مسوقة لتسلية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ببيان ان هذا الجنس من الملائكة

الذين

ثم جعلكم أزواجا أي ذكرا وأنثى لطفا منه ورحمة أن جعل لكم أزواجا من جنسكم لتسكنوا اليها وقوله عز وجل وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه أي هو عالم بذلك لا يخفى عليه من ذلك شيء بل ما يسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وقد تقدم الكلام على قوله تعالى الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال وقوله عز وجل وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب أي ما يعطى بعض النطف من العمر الطويل يعلمه وهو عنده

في الكتاب الاول وما ينقص من عمره الضمير عائد على الجنس لا على العين لان الطويل العمر في الكتاب وفي علم الله تعالى لا ينقص من عمره وانما عاد الضمير على الجنس (١) قال ابن جرير وهذا كقولهم عندي ثوب ونصفه أي ونصف ثوب آخر وروي من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب ان ذلك على الله يسير يقول ليس أحد قضيت له بطول العمر والحياة الا وهو بالغ ما قدرت له من العمر وقد قضيت ذلك له فانما ينتهي الى الكتاب الذي قدرت لا يزاد عليه وليس احد قضيت له أنه قصير العمر والحياة ببالغ العمر ولكن ينتهي الى الكتاب الذي كتبت له فذلك قوله تعالى ولا ينقص من عمره الا في كتاب ان ذلك على الله يسير يقول كل ذلك في كتاب عنده وهكذا قال الضحاك بن مزاحم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه ولا ينقص من عمره الا في كتاب قال ما لفظت الارحام من الاولاد من غير تمام وقال عبد الرحمن في تفسيرها ألا ترى الناس يعيش الانسان مائة سنة وآخر يموت حين يولد فهذا هذا وقال قتادة والذي ينقص من عمره فالذي يموت قبل ستين سنة وقال مجاهد وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب أي في بطن أمه يكتب له ذلك لم يخلق الخلق على عمر واحد بل لهذا عمر ولهذا عمر هو انقص من عمره فكل ذلك مكتوب لصاحبه بالغ ما بلغ وقال بعضهم بل معناه وما يعمر من معمر أي ما يكتب من الاجل ولا ينقص من عمره وهو ذهابه قليلا قليلا الجميع معلوم عند الله تعالى سنة بعد سنة وشهرا بعد شهر وجمعة بعد جمعة ويوما بعد يوم وساعة بعد ساعة الجميع مكتوب عند الله تعالى في كتابه نقله ابن جرير عن أبي مالك واليه ذهب السدي وعطاء الخراساني واختار ابن جرير

(١) قوله وانما عاد الضمير على الجنس قال ابن جرير الخ كذا في النسخ وحرر العبارة من أولها الى آخرها اه مصححه

الأول وهو كما قال وقال النسائي عند تفسير هذه الآية الكريمة حدثنا أحمد بن يحيى بن أبي زيد بن سليمان قال سمعت ابن وهب يقول حدثني يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه وقد رواه البخاري ومسلم وأبو داود من حديث يونس بن يزيد الايلي به وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا الوليد بن الوليد بن عبد الملك بن عبيد الله بن مرح حدثنا عثمان بن عطاء عن مسلمة بن عبد الله عن عمه أبي مشجعة بن ربعي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال ذكرنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تعالى لا يؤخر نفسا اذا جاء أجلها وانما زيادة العمر بالذرية الصالحة يرزقها العبد فيدعون له من بعده فيلحقه دعاؤهم في قبره فذلك زيادة العمر وقوله عز وجل ان ذلك على الله يسير أي سهل عليه يسير لديه علمه بذلك وبتفصيله في جميع مخلوقاته فان علمه شامل للجميع لا يخفى عليه شيء منها (وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) يقول تعالى منبها على قدرته العظيمة في خلقه الاشياء المختلفة خلق البحرين العذب الزلال وهو هذه الانهار السارحة بين الناس من كبار وصغار بحسب الحاجة اليها في الاقاليم والامصار والعمران والبراري والقفار وهي عذبة سائغ شرابها لمن أراد ذلك وهذا ملح أجاج أي مر وهو البحر الساكن الذي تسير فيه السفن الكبار وانما تكون مالحة زعاقا مرة ولهذا قال وهذا ملح أجاج أي مر ثم قال تعالى ومن كل تأكلون لحما طريا يعني السمك وتستخرجون حلية تلبسونها كما قال عز وجل يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله جل وعلا وترى الفلك فيه مواخر أي تمخره وتشقه بحيزومها وهو مقدمها المسنم الذي يشبه جؤجؤ الطير وهو صدره وقال مجاهد تمخر الريح السفن ولا تمخر الريح من السفن الا العظام وقوله جل وعلا ولتبتغوا من فضله أي بأسفاركم بالتجارة من قطر الى قطر واقليم الى اقليم ولعلكم تشكرون أي تشكرون ربكم على تسخيره لكم هذا الخلق العظيم وهو البحر تتصرفون فيه كيف شئتم تذهبون أين أردتم ولا يمتنع عليكم شيء منه بل بقدرته قد سخر لكم ما في السموات وما في الارض الجميع من فضله ورحمته (يولج الليل في

الذين هم أعلى طبقاتهم وأولهم وجودا يضمون الى تسبيحهم لله والايمان به الاستغفار للذين آمنوا بالله ورسوله وصدقوا وفيه دليل على أن الاشتراك في الايمان يجب أن يكون أدعى شيء الى النصيحة والشفقة وان تباعدت الاجناس وشطت الاماكن والمراد بمن حول العرش هم الملائكة الذين يطوفون به مهللين مكبرين وهم الكروبيون وهو في محل رفع عطفا على الذين الخ وهذا هو الظاهر وقيل يجوز أن يكون في محل نصب عطفا على العرش والاول أولى والمعنى ان الملائكة الذين يحملون العرش وكذلك الملائكة الذين هم حول العرش ينزهون الله ملتبسين بحمده على نعمه ويؤمنون بالله ايمانا مستمرا ويستغفرون الله لعباده المؤمنين به وأخبر عنهم بالايمان اظهارا لفضله وتعظيما لاهله ومساق الآية لذلك وهم اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أردفهم الله تعالى بأربعة أخر كما قال تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهم أشرف الملائكة وأفضلهم لقربهم من الله عز وجل وهم على صورة الاوعال والعرش فوق ظهورهم ذكره القشيري وأخرجه الترمذي من حديث ابن عباس واستبعده ابن حمل الملائكة للعرش على ظهورها وقد وردت في بيان مسافة اطلاقهم الى ركبهم وأرجلهم وأقدامهم وما بين شحمة أذنهم الى عاتقهم والفاظ تسبيحهم أخبار وآثار وكذا في صفة العرش وبعد ما بين السماء السابعة وبين العرش والمعول عليه منها ما ورد في الصحيح ثم بين سبحانه كيفية استغفارهم للمؤمنين فقال حاكيا عنهم (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما) أي وسع رحمتك كل شيء وعلمك كل شيء وتقديم الرحمة على العلم لانها المقصودة بالذات ههنا قاله البيضاوي وأبو السعود لان المقام مقام الاستغفار والا فالعلم متقدم ذاتا (فاغفر للذين تابوا) أي أوقعوا التوبة عن الذنوب أو عن الشرك وان كان عليهم ذنوب (واتبعوا سبيلك) وهو دين الاسلام (وقهم عذاب الجحيم) أي احفظهم منه واجعل بينهم وبينه وقاية بأن تلزمهم الاستقامة وتتم نعمتك عليهم فانك وعدت من كان كذلك بذلك ولا يبدل القول لديك وان كان يجوز أن تفعل ما تشاء وان الخلق عبيدك (ربنا وأدخلهم جنات عدن) أي اقامة معطوف على قوله قهم ووسط الجملة الندائية لقصد المبالغة بالتكرير ووصف جنات عدن بأنها هي (التي وعدتهم) اياها (و) أدخل (من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم)

النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) وهذا أيضا من قدرته التامة وسلطانه العظيم في تسخيره الليل بظلامه والنهار بضيائه ويأخذ من طول هذا فيزيده في قصر هذا فيعتدلان ثم يأخذ من هذا في هذا فيطول هذا ويقصر هذا ثم يتقارضان صيفا وشتاء وسخر الشمس والقمر أي والنجوم السيارات والثوابت الثاقبات بأضوائهن أجرام السموات الجميع يسيرون (١٨٨) بمقدار معين وعلى منهاج مقنن محرر تقديرا من عزيز عليم الى أجل مسمى أي الى ٤

يوم القيامة ذلكم الله ربكم أي الذي فعل هذا هو الرب العظيم الذي لا اله غيره والذين تدعون من دونه أي من الأصنام والأنداد التي هي على صورة من تزعمون من الملائكة المقربين ما يملكون من قطمير قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وعطاء وعطية العوفي والحسن وقتادة وغيرهم القطمير هو اللفافة التي تكون على نواة التمر أي لا يملكون من السموات والأرض شيأ ولا بمقدار هذا القطمير ثم قال تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم يعني الآلهة التي تدعونها من دون الله لا تسمع دعاءكم لأنها جماد لا أرواح فيها ولو سمعوا ما استجابوا لكم أي لا يقدرون على شيء مما تطلبون منها ويوم القيامة يكفرون بشرككم أي يتبرؤن منكم كما قال تعالى ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وقال تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقوله تعالى ولا ينبئك مثل خبير أي ولا يخبرك بعواقب الأمور ومآلها وما تصير اليه مثل خبير بها قال قتادة يعني نفسه تبارك وتعالى فانه أخبر بالواقع لا محالة (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز ولا تزر وازرة وزر أخرى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه والى الله المصير) يخبر تعالى بغنائه عما سواه وبافتقار المخلوقات كلها اليه وتذللها بين يديه فقال تعالى يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله أي هم محتاجون

المراد بالصلاح هنا الايمان بالله والعمل بما شرعه الله فمن فعل ذلك فقد صلح لدخول الجنة ويجوز عطف ومن صلح على الضمير في وعدتهم أي ووعدت من صلح والأولى عطفه على الضمير الأول في وأدخلهم لأن الدعاء لهم بالادخال عليه صريح وعلى الثاني ضمني والمعنى ساو بينهم ليتم سرورهم قرأ الجمهور بفتح اللام من صلح وذرياتهم على الجمع وقرأ ابن أبي عبلة بضم اللام وقرأ عيسى بن عمر على الافراد (انك أنت العزيز الحكيم) أي الغالب القاهر الكثير الحكمة الباهرة (وقهم السيئات) يقال وقاه يقيه وقاية أي حفظه والمعنى احفظهم عن العقوبات أو جزاء السيئات على تقدير مضاف محذوف قال قتادة وقهم ما يسوءهم من العذاب وهذا الدعاء يتناول عذاب الجحيم وعذاب موقف القيامة والحساب والسؤال وقوله وقهم عذاب الجحيم مقصور على ازالة عذاب النار فيكون تعميما بعد تخصيص أو الأول دعاء للأصول والثاني للفروع والضمير راجع للمعطوف وهو الآباء والأزواج والذرية أفاد أبو السعود (ومن تق السيئات يومئذ) أي يوم القيامة والتنوين عوض عن جملة غير موجودة في الكلام بل متصيدة من السياق وتقديرها يوم اذ تدخل من تشاء الجنة ومن تشاء النار المسببة عن السيئات وهو يوم القيامة وقيل التقدير يوم اذ تؤاخذها وجواب من (فقد رحمته) من عذابك وأدخلته جنتك (وذلك) أي ما تقدم من ادخالهم الجنات ووقايتهم السيئات (هو الفوز العظيم) أي الظفر الذي لا ظفر مثله والنجاة التي لا تساويها نجاة حيث وجدوا بأعمال منقطعة نعيما لا ينقطع وبأفعال حقيرة ملكا لا تصل العقول الى كنه جلاله قال مطرف أنصح عباد الله المؤمنين الملائكة وأغش الخلق لهم هم الشياطين ثم لما ذكر سبحانه أصحاب النار وانها حقت عليهم كلمة العذاب ذكر أحوالهم بعد دخول النار وقال (ان الذين كفروا ينادون) قال الواحدي قال المفسرون انهم لما رأوا أعمالهم ونظروا في كتابهم وأدخلوا النار ومقتوا أنفسهم بسوء صنيعهم ناداهم حين عاينوا عذاب الله مناد (لمقت الله) اياكم في الدنيا (أكبر من مقتكم أنفسكم) اليوم أو من مقت بعضكم بعضا اليوم قال الأخفش هذه اللام هي لام الابتداء وقعت بعد ينادون لأن معناه يقال لهم والنداء قول قال الكلبي يقول كل انسان من أهل النار لنفسه مقتك يا نفسي فتقول الملائكة لهم وهم في النار لمقت الله اياكم اذ أنتم في الدنيا أشد من مقتكم أنفسكم اليوم وقال الحسن يعطون كتابهم فاذا نظروا الى

اليه في جميع الحركات والسكنات وهو تعالى الغني عنهم بالذات ولهذا قال عز وجل والله هو الغني الحميد أي هو المنفرد بالغنى وحده لا شريك له وهو الحميد في جميع ما يفعله ويقوله ويقدره ويشرعه وقوله تعالى ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد أي لو شاء لاذهبكم أيها الناس وأتى بقوم غيركم وما هذا عليه بصعب ولا ممتنع ولهذا قال تعالى وما ذلك على الله بعزيز وقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى أي يوم القيامة وان تدع مثقلة الى حملها أي وان تدع نفس مثقلة بأوزارها الى أن تساعد على حمل ما عليها من الاوزار أو بعضه لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى أي وان كان قريبا اليها حتى ولو كان أباها أو ابنها كل مشغول بنفسه وحاله قال عكرمة في قوله تعالى وان تدع مثقلة الى حملها الآية قال هو الجار يتعلق بجاره يوم القيامة فيقول يا رب سل هذا لم كان يغلق بابه دوني وان الكافر ليتعلق بالمؤمن يوم القيامة فيقول له يا مؤمن ان لي عندك يدا قد عرفت كيف كنت لك في الدنيا وقد احتجت اليك اليوم فلا يزال المؤمن يشفع له عند ربه حتى يرده الى منزل دون منزله وهو في النار وان الوالد ليتعلق بولده يوم القيامة فيقول يا بني أي والد كنت لك فيثني خيرا فيقول له يا بني اني قد احتجت الى مثقال ذرة من حسناتك أنجو بها مما ترى فيقول له ولده يا أبت ما أيسر ما طلبت ولكني أتخوف مثل ما تتخوف فلا أستطيع ان أعطيك شيأ ثم يتعلق بزوجته فيقول يا فلانة أو يا هذه أي زوج كنت لك فتثني خيرا فيقول لها اني أطلب اليك حسنة واحدة تهبيها لي لعلي أنجو بها مما ترين قال فتقول ما أيسر ما طلبت ولكني لا أطيق أن أعطيك شيأ اني أتخوف مثل الذي تتخوف يقول الله تعالى وان تدع مثقلة الى حملها الآية ويقول تبارك وتعالى لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيأ ويقول تعالى يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه رواه ابن أبي حاتم رحمه الله عن أبي عبد الله الطهراني عن حفص بن عمر عن الحكم ابن أبان عن عكرمة به ثم قال تبارك وتعالى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة أي انما يتعظ بما جئت به أولو البصائر والنهى الخائفون من ربهم الفاعلون ما أمرهم به ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه أي ومن عمل صالحا فانما يعود نفعه على نفسه والى الله المصير أي واليه المرجع والمآب وهو سريع الحساب وسيجزي كل عامل بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر (وما

بينهم مقتوا أنفسهم فينادون لمقت الله اياكم في الدنيا (اذ تدعون الى الايمان فتكفرون أكبر من مقتكم أنفسكم اذ عاينتم النار والظرف منصوب بمقدر محذوف دل عليه المذكور أي مقته تعالى اياكم وقت دعائكم وقيل هو اذكروا وقيل بالمقت المذكور أولا والمقت أشد البغض والمراد به هنا لازمه وهو الغضب عليهم وتعذيبهم قاله أبو السعود وقال الكرخي المراد منه هنا أشد الانكار والزجر (فتكفرون) أي مصرون على الكفر اتباعا لانفسكم الامارة ومسارعة الى هواها واقتداء بأخلائكم المضلين وتقليد الاسلافكم المتقدمين واستحبابا لآرائهم ثم أخبر سبحانه عما يقولون في النار فقال (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) نعتان لمصدر محذوف أي أمتنا اماتتين اثنتين وأحييتنا احياءتين اثنتين والمراد بالاماتتين انهم كانوا نطفا لا حياة لها في أصلاب آبائهم ثم أماتهم بعد أن صاروا أحياء في الدنيا والمراد بالاحياءتين انه أحياهم الحياة الاولى في الدنيا ثم أحياهم عند البعث ومثل هذه الآية قوله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم قاله ابن مسعود أي كانوا أمواتا في صلب آبائهم ثم أخرجهم فأحياهم ثم أماتهم ثم يحييهم بعد الموت وقيل معنى الآية انهم أميتوا في الدنيا عند انقضاء آجالهم ثم أحياهم الله في قبورهم للسؤال ثم أميتوا ثم أحياهم الله في الآخرة ووجه هذا القول ان الموت سلب الحياة ولا حياة للنطفة ووجه القول الاول ان الموت قد يطلق على عادم الحياة من الاصل وقد ذهب الى التفسير الاول جمهور السلف وقال ابن زيد المراد بالآية انه خلقهم في ظهر آدم واستخرجهم وأحياهم وأخذ عليهم الميثاق ثم أماتهم ثم أحياهم في الدنيا ثم أماتهم وقال ابن عباس قال كنتم ترابا قبل أن يخلقكم فهذه ميتة ثم أحياكم فخلقكم فهذه حياة ثم يميتكم فترجعون الى القبور فهذه ميتة أخرى ثم يبعثكم يوم القيامة فهذه حياة أخرى فهما موتتان وحياتان كقوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم الآية ثم ذكر سبحانه اعترافهم بعد أن صاروا في النار بما كذبوا به في الدنيا فقال حاكيا عنهم (فاعترفنا بذنوبنا) التي أسلفناها في الدنيا من تكذيب الرسل والاشراك بالله وترك توحيده فاعترفوا حيث لا ينفعهم الاعتراف وندموا حيث لا ينفعهم الندم والمعنى لما رأوا الاماتة والاحياء قد تكررا عليهم علموا أن الله قادر على الاعادة كما هو قادر على الانشاء فاعترفوا وقد جعلوا اعترافهم هذا مقدمة لقولهم (فهل الى خروج) لنا من النار

يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور إن أنت إلا نذير إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وإن من أمة إلا خلا فيها نذير وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير) يقول تعالى كما لا تستوي هذه الأشياء المتباينة المختلفة كالأعمى والبصير لا يستويان بل بينهما فرق وبون كبير وكما لا تستوي الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور كذلك لا تستوي الأحياء ولا الأموات وهذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمنين وهم الأحياء وللكافرين وهم الأموات كقوله تعالى أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها وقال عز وجل مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا فالمؤمن بصير سميع في نور يمشي على صراط مستقيم في الدنيا والآخرة حتى يستقر به الحال في الجنات ذات الظلال والعيون والكافر أعمى وأصم في ظلمات يمشي لا خروج له منها بل هو يتيه في غيه وضلاله في الدنيا والآخرة حتى يفضي به ذلك إلى الحرور والسموم والحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم وقوله تعالى إن الله يسمع من يشاء أي يهديهم إلى سماع الحجة وقبولها والانقياد لها وما أنت بمسمع من في القبور أي كما لا ينتفع الأموات بعد موتهم وصيرورتهم إلى قبورهم وهم كفار بالهداية والدعوة إليها كذلك هؤلاء المشركون الذين كتب عليهم الشقاوة لا حيلة لك فيهم ولا تستطيع هدايتهم إن أنت إلا نذير أي إنما عليك البلاغ والإنذار والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا أي بشيرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين وإن من أمة إلا خلا فيها نذير أي وما من أمة خلت من بني آدم إلا وقد بعث الله تعالى إليهم النذر وأزاح عنهم العلل كما قال تعالى إنما أنت منذر ولكل قوم هاد وكما قال تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة الآية والآيات في هذا كثيرة وقوله تبارك وتعالى وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وهي المعجزات الباهرات والأدلة القاطعات وبالزبر وهي الكتب وبالكتاب المنير أي الواضح البين ثم أخذت الذين كفروا

د كر

ورجوع لنا إلى الدنيا لنطيع ربنا (من سبيل) أي من طريق نتخلص منها أم اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل إليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس وإنما يقولون ذلك تحيرا ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك ومثل هذا قولهم الذي حكاه الله عنهم فهل إلى خروج من سبيل وقوله فارجعنا نعمل صالحا وقوله يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا الآية ثم أجاب الله سبحانه عن قولهم هذا قوله (ذلكم) مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذلكم أو مبتدأ خبره محذوف أي ذلكم العذاب الذي أنتم فيه (بأنه) أي بسبب أنه (إذا دعي الله) في الدنيا (وحده) دون غيره (كفرتم) وتركتم توحيده (وإن يشرك به) غيره من الأصنام أو غيرها (تؤمنوا) بالإشراك وتصدقوا به وتجيبوا الداعي إليه فبين سبحانه لهم السبب الباعث على عدم إجابتهم إلى الخروج من النار وهو ما كانوا فيه من إشراك غيره به في العبادة التي رأسها الدعاء وترك توحيد الله (فالحكم لله) وحده دون غيره وهو الذي حكم عليكم بالخلود في النار وعدم الخروج منها فتعذيبه لكم عدل نافذ (العلي) المتعالي سلطانه عن أن يكون له مماثل في ذاته وصفاته فلا يرد قضاؤه (الكبير) الذي كبر عن أن يكون له مثل أو صاحبة أو ولد أو شريك فلا يجحد جزاؤه وقيل كان الحرورية أخذوا قولهم لا حكم إلا لله من هذا وقال قتادة لما خرج أهل حروراء قال علي من هؤلاء قيل المحكمون أي يقولون لا حكم إلا لله فقال علي كلمة حق أريد بها الباطل (هو الذي يريكم آياته) أي دلائل توحيده وعلامات قدرته من الريح والسحاب والرعد والبرق ونحوها (وينزل لكم من السماء رزقا) يعني مطرا فإنه سبب الأرزاق جمع سبحانه بين إظهار الآيات وإنزال الأرزاق لأن بإظهار الآيات قوام الأديان وبالأرزاق قوام الأبدان وهذه الآيات هي التكوينية التي جعلها الله سبحانه في سمواته وأرضه وما فيهما وما بينهما قرأ الجمهور ينزل بالتشديد وقرئ بالتخفيف وصيغة المضارعة في الفعلين للدلالة على تجدد الإراءة والتنزيل واستمرارهما (وما يتذكر إلا من ينيب) أي ما يتعظ بتلك الآيات الباهرة فيستدل بها على التوحيد وصدق الوعد والوعيد إلا من يرجع إلى طاعة الله بما يستفيده من النظر في آيات الله ويتوب من الشرك ويرجع إليه في جميع أموره فإن المعاند لا يتذكر ولا يتعظ ثم لما ذكر سبحانه ما نصبه من الأدلة على التوحيد أمر عباده بدعائه وإخلاص الدين له فقال (فادعوا الله مخلصين له الدين) أي إذا كان الأمر كما

أي ومع هذا كله كذب أولئك رسلهم فيما جاؤوهم به فأخذتهم أي بالعقاب والنكال فكيف كان نكير أي فكيف رأيت كان
إنكاري عليهم عظيما شديدا بليغا والله أعلم (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد
بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله
عزيز غفور) يقول تعالى منبها على كمال قدرته في خلقه الأشياء المتنوعة المختلفة من الشيء الواحد وهو الماء الذي ينزله من السماء
يخرج به ثمرات مختلفا ألوانها من أصفر وأحمر وأخضر وأبيض (١٩١) إلى غير ذلك من ألوان الثمار كما هو المشاهد من
تنوع ألوانها وطعومها وروائحها كما قال تعالى في الآية الأخرى وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون وقوله تبارك وتعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها أي وخلق الجبال كذلك مختلفة الألوان كما هو المشاهد أيضا من بيض وحمر وفي بعضها طرائق وهي الجدد جمع جدة مختلفة الألوان أيضا قال ابن عباس رضي الله عنهما الجدد الطرائق وكذا قال أبو مالك والحسن وقتادة والسدي ومنها غرابيب سود قال عكرمة الغرابيب الجبال الطوال السود وكذا قال أبو مالك وعطاء الخراساني وقتادة وقال ابن جرير والعرب إذا وصفوا الأسود بكثرة السواد قالوا أسود غربيب ولهذا قال بعض المفسرين في هذه الآية هذا من المقدم والمؤخر في قوله تعالى وغرابيب سود أي سود غرابيب وفيما قاله نظر وقوله تعالى ومن
الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك أي كذلك الحيوانات من الناس والدواب وهو كل ما دب على القوائم والأنعام
من باب عطف الخاص على العام كذلك هي مختلفة أيضا فالناس منهم بربر وحبوش وطماطم في غاية السواد وصقالبة وروم
في غاية البياض والعرب بين ذلك والهنود دون ذلك ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك
لآيات للعالمين وكذلك الدواب والأنعام مختلفة الألوان حتى في الجنس الواحد بل النوع الواحد منهن مختلف الألوان بل الحيوان
الواحد يكون أبلق فيه من هذا اللون وهذا اللون فتبارك الله أحسن الخالقين وقد قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده

ذكر من إنجائه خاصة إنه كبر عن سب فادعوا الله وحده مخلصين له العبادة التي أمركم بها
(ولو كره الكافرون) ذلك فلا تلتفتوا إلى كرههم ودعوهم يموتوا بغيظهم ويهلكوا
بحسرتهم (رفيع الدرجات) مرفوع على أنه خبر آخر عن المبتدأ المتقدم أي هو الذي
يريكم آياته وهو رفيع الدرجات وكذلك (ذو العرش) خبر ثالث ويجوز أن يكون
رفيع مبتدأ خبره ذو العرش ويجوز أن يكونا خبرين لمبتدأ محذوف ورفيع صفة
مشبهة والمعنى رفيع الصفات عظيمها أو رفيع درجات ملائكته أي معارجهم أو رفيع
درجات أنبيائه وأوليائه في الجنة وقال الكلبي وسعيد بن جبير رفيع السموات السبع
وعلى هذا الوجه يكون رفيع بمعنى رافع وقيل هو المرتفع بعظمته في صفات جلاله وكماله
ووحدانيته المستغني عن كل ما سواه وكل الخلق فقراء إليه ومعنى ذو العرش مالكه
وخالقه والمتصرف فيه بخلقه مطافا للملائكة وجعله فوق سمواته وذلك يقتضي علو شأنه
وعظم سلطانه ومن كان كذلك فهو الذي تحق له العبادة ويجب له الإخلاص وجملة
(يلقي الروح) في محل رفع على أنها خبر آخر للمبتدأ المتقدم والمصدر أي ينزل الوحي
وسمي الوحي روحا لأن الناس يحيون به من موت الكفر كما تحيا الأبدان بالأرواح ومثل
هذه الآية قوله تعالى وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا وقيل الروح جبريل كما
قوله نزل به الروح الأمين على قلبك وقوله نزله روح القدس من ربك بالحق وقوله
(من أمره) متعلق بيلقي ومن لابتداء الغاية ويجوز أن يكون متعلقا بمحذوف على أنه حال
من الروح أو المعنى من أجل أمره أو بأمره أو من قضائه (على من يشاء من عباده) وهم
الأنبياء (لينذر يوم التلاق) قرأ الجمهور لينذر مبنيا للفاعل ونصب اليوم والفاعل هو الله
سبحانه أو الرسول أو من يشاء والمنذر به محذوف أي لينذر العذاب يوم التلاق وقرئ
لتنذر بالفوقية على أن الفاعل ضمير المخاطب وهو الرسول أو ضمير يرجع إلى الروح لأنه
يجوز تأنيثها وقرئ على البناء للمفعول ورفع يوم على النيابة والتلاق بحذف الياء وإثباتها
وقفا ووصلا وتوجيه ذلك ذكره لنا في شرح الشاطبية فليراجع والمعنى يوم يلتقي
أهل السموات والأرض في المحشر قاله قتادة وقال أبو العالية ومقاتل يوم يلتقي
العابدون والمعبودون وقيل الظالم والمظلوم وقيل يلتقي الخلق والخالق وقيل الأولون
والآخرون وقيل جزاء الأعمال والعاملون قال ابن عباس يوم التلاق يوم القيامة يلتقي

حدثنا الفضل بن سهل حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان بن صالح حدثنا زياد بن عبد الله عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أيصبغ ربك قال صلى الله عليه وسلم نعم صبغا لا ينفض أحمر وأصفر وأبيض وروي مرسلا وموقوفا والله أعلم ولهذا قال تعالى بعد هذا إنما يخشى الله من عباده العلماء أي إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء قال الذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير وقال ابن لهيعة عن ابن أبي عمرة عن عكرمة عن ابن عباس قال العالم بالرحمن من عباده من لم يشرك به شيئا وأحل حلاله وحرم حرامه وحفظ وصيته وأيقن أنه ملاقيه ومحاسب بعمله وقال سعيد بن جبير الخشية هي التي تحول بينك وبين معصية الله عز وجل وقال الحسن البصري العالم من خشي الرحمن بالغيب ورغب فيما رغب الله فيه وزهد فيما سخط الله فيه ثم تلا الحسن إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال ليس العلم عن كثرة الحديث ولكن العلم عن كثرة الخشية وقال أحمد بن صالح المصري عن ابن وهب عن مالك قال إن العلم ليس بكثرة الرواية وإنما العلم نور يجعله الله في القلب قال أحمد بن صالح المصري معناه أن الخشية لا تدرك بكثرة الرواية وإنما العلم الذي فرض الله عز وجل أن يتبع فإنما هو الكتاب والسنة وما جاء عن الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من أئمة المسلمين فهذا لا يدرك إلا بالرواية ويكون تأويل قوله تعالى نور يريد به فهم العلم ومعرفة معانيه وقال سفيان الثوري عن أبي حيان التيمي عن رجل قال كان يقال العلماء ثلاثة عالم بالله عالم بأمر الله وعالم بالله ليس بعالم بأمر الله وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله فالعالم بالله وبأمر الله الذي يخشى الله تعالى ويعلم الحدود والفرائض والعالم بالله ليس بعالم بأمر الله الذي يخشى الله ولا يعلم الحدود والفرائض والعالم بأمر الله ليس بعالم بالله الذي يعلم الحدود والفرائض ولا يخشى الله عز وجل (إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم

فيه آدم وآخر أولاده وعنه قال هو يوم الآزفة ونحو هذا من أسماء يوم القيامة عظمه الله وحذر عباده منه (يوم هم بارزون) أي ظاهرون من قبورهم لا يسترهم شيء من جبل أو أكمة أو بناء لكون الأرض يومئذ قاعا صفصفا ولا ثياب عليهم إنما هم عراة مكشوفون كما في الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا وهو بدل من يوم التلاق بدل كل من كل ويوم ظرف مستقبل كإذا أضيف إلى الجملة الاسمية على طريقة الأخفش وحركة يوم حركة إعراب على المشهور وقيل حركة بناء كما ذهب إليه الكوفيون ويكتب هنا وفي الذاريات منفصلا وهو الأصل أفاده السمين ونحوه في شرح الجزرية لشيخ الإسلام لأن هم مرفوع بالابتداء فالمناسب القطع وما عداهما نحو يومهم الذي يوعدون وحتى يلاقوا يومهم موصول لأن هم فيه مجرور فالمناسب الوصل وجملة (لا يخفى على الله منهم شيء) مستأنفة مبينة لبروزهم أي لا يخفى عليه سبحانه شيء من ذواتهم وأحوالهم وأعمالهم التي عملوها في الدنيا أو حال من ضمير بارزون أو خبر ثان للمبتدأ وقوله (لمن) خبر مقدم وقوله (الملك اليوم) مبتدأ مؤخر والجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر كأنه قيل فماذا يقال عند بروز الخلائق في ذلك اليوم فقيل يقال لمن الملك اليوم قال المفسرون إذا هلك كل من في السموات والأرض فيقول الرب تبارك وتعالى هذا القول فلا يجيبه أحد فيجيب تعالى نفسه فيقول (لله الواحد القهار) خبر مبتدأ محذوف قال الحسن هو السائل وهو المجيب حين لا أحد يجيبه فيجيب نفسه وقيل إنه سبحانه يأمر مناديا ينادي بذلك فيقول أهل المحشر مؤمنهم وكافرهم لله الواحد القهار قال النحاس وهذا أصح ما قيل فيه وقيل الأول ظاهر جدا وقيل إنه يجيب المنادي بهذا الجواب أهل الجنة دون أهل النار أفاده الزمخشري وقيل هو حكاية لما ينطق به لسان الحال في ذلك اليوم لانقطاع دعاوى المبطلين كما في قوله وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله وقال القرطبي وذلك عند فناء الخلق وقيل بين النفختين ويجيب نفسه بعد أربعين سنة (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) هذا من تمام الجواب على القول بأن المجيب هو الله سبحانه وأما على القول بأن المجيب هم العباد كلهم أو بعضهم فهو مستأنف لبيان ما يقوله الله سبحانه بعد جوابهم أي اليوم تجزى كل نفس بما عملت في الدنيا من خير وشر (لا ظلم اليوم) على أحد منهم بنقص من ثوابه أو بزيادة في عقابه

عقابه (ان الله سريع الحساب) أي سريع حسابه لانه سبحانه لا يحتاج الى تفكر في ذلك كما يحتاجه غيره لاحاطة علمه بكل شيء فلا يعزب عنه مثقال ذرة قيل يحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لانه تعالى لا يشغله حساب عن حساب يحاسب الخلق في وقت واحد للحديث ورد بذلك وأخرج عبد بن حميد عن ابن مسعود قال يجمع الله الخلق كلهم يوم القيامة بصعيد واحد بأرض بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يعص الله فيها فأول ما يتكلم أن ينادي مناد لمن الملك اليوم الى قوله الحساب أخرجه عبد بن حميد قال ما يبدأ به من الخصومات الدماء وقال ابن عباس ينادي مناد بين يدي الساعة يا أيها الناس أتتكم الساعة فيسمعها الاحياء والاموات وينزل الله الى السماء الدنيا فيقول لمن الملك اليوم لله الواحد القهار الآية وأخرج ابن أبي الدنيا في البعث والديلمي عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثله ثم أمر الله سبحانه رسوله بانذار عباده فقال (وأنذرهم يوم الآزفة) أي يوم القيامة سميت بذلك لقربها يقال أزف فلان أي عجل أي قرب يأزف أزفا من باب تعب وأزوفا أي دنا وقرب ومنه قوله تعالى أزفت الآزفة أي قربت الساعة ودنت القيامة وقيل ان يوم الآزفة هو يوم حضور الموت والاول أولى قال الزجاج وقيل لها آزفة لانها قريبة وان استبعد الناس أمرها وما هو كائن فهو قريب (اذ القلوب لدى الحناجر) وذلك انها تزول عن مواضعها وترتفع عن أماكنها من الخوف حتى تصير الى الحنجرة وتلصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا بالنفس ولا تخرج فيستريحوا بالموت كقوله وبلغت القلوب الحناجر وهي جمع حنجور كحلقوم وزنا ومعنى أو جمع حنجرة وهي الحلقوم و(كاظمين) يعني مغمومين مكروبين ممتلئين غما قال الزجاج المعنى اذ قلوب الناس لدى الحناجر في حال كظمهم قال قتادة وقعت قلوبهم في الحناجر من المخافة فهي لا تخرج ولا تعود في أمكنتها وقيل هو اخبار عن نهاية الجزع وانما قال كاظمين باعتبار أهل القلوب لان المعنى اذ قلوب الناس لدى حناجرهم فيكون حالا منهم وقيل حالا من القلوب وجمع الحال منها جمع العقلاء لانه أسند اليها ما يسند الى العقلاء فجمعت جمعه ثم بين سبحانه انه لا ينفع الكافرين في ذلك اليوم أحد فقال (ما للظالمين من حميم) أي قريب ويحب ينفعهم وحميمك قريبك الذي يهتم لأمره (ولا شفيع يطاع) في شفاعته لهم قال الكرخي حقيقة الاطاعة لا تتأتى هنا لان المطاع يكون فوق المطيع رتبة

ويزيدهم من فضله انه غفور شكور) يخبر تعالى عن عباده المؤمنين الذين يتلون كتابه ويؤمنون به ويعملون بما فيه من اقام الصلاة والانفاق مما رزقهم الله تعالى في الاوقات المشروعة ليلا ونهارا سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور أي يرجون ثوابا عند الله لابد من حصوله كما قدمنا في أول التفسير عند فضائل القرآن انه يقول لصاحبه ان كل تاجر من وراء تجارته وانك اليوم من وراء كل تجارة ولهذا قال تعالى ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله أي ليوفيهم ثواب ما فعلوه ويضاعفه لهم بزيادات لم تخطر لهم انه غفور أي لذنوبهم شكور للقليل من أعمالهم قال قتادة كان مطرف رحمه (١٩٣) الله اذا قرأ هذه الآية يقول هذه آية القراء قال الامام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة حدثنا سالم بن غيلان انه سمع دراجا أبا السمح يحدث عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى اذا رضي عن العبد أثنى عليه بسبعة أصناف من الخير لم يعمله واذا سخط على العبد أثنى عليه بسبعة أصناف من الشر لم يعمله غريب جدا (والذي أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير) يقول تعالى والذي أوحينا اليك يا محمد من الكتاب وهو القرآن هو الحق مصدقا لما بين يديه أي من الكتب المتقدمة يصدقها كما شهدت هي له بالتنويه وأنه منزل من رب العالمين ان الله بعباده لخبير بصير أي هو خبير بهم بصير بمن يستحق ما يفضله به على من سواه ولهذا فضل الانبياء والرسل على جميع البشر وفضل النبيين بعضهم على بعض ورفع بعضهم درجات وجعل منزلة محمد صلى الله عليه وسلم فوق جميعهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

(ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير) يقول تعالى ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم المصدق لما بين يديه من الكتب الذين اصطفينا من عبادنا وهم هذه الامة ثم قسمهم الى ثلاثة أنواع فقال تعالى فمنهم ظالم لنفسه وهو المفرط في فعل بعض الواجبات المرتكب لبعض المحرمات ومنهم مقتصد وهو المؤدي للواجبات التارك للمحرمات وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات ومنهم سابق بالخيرات باذن الله وهو الفاعل للواجبات والمستحبات التارك للمحرمات والمكروهات وبعض

المباحات قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا قال هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ورثهم الله تعالى كل كتاب أنزله فظالمهم يغفر له ومقتصدهم يحاسب حسابا يسيرا وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح وعبد الرحمن بن معاوية العتبي قالا حدثنا أبو الطاهر بن السرح حدثنا موسى بن عبد الرحمن الصنعاني حدثنا ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ذات يوم شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي قال ابن (١٩٤) عباس رضي الله عنهما السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وكذا روي عن غير واحد من السلف أن الظالم لنفسه من هذه الأمة من المصطفين على ما فيه من عوج وتقصير وقال آخرون بل الظالم لنفسه ليس من هذه الأمة ولا من المصطفين الوارثين للكتاب قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن هاشم بن مرزوق حدثنا ابن عيينة عن عمرو عن ابن عباس رضي الله عنهما فمنهم ظالم لنفسه قال هو الكافر وكذا روى عنه عكرمة وبه قال عكرمة أيضا فيما رواه ابن جرير وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه قال هم أصحاب المشأمة وقال مالك عن زيد بن أسلم والحسن وقتادة هو المنافق ثم قد قال ابن عباس والحسن وقتادة وهذه الأقسام الثلاثة كالأقسام الثلاثة المذكورة في أول سورة الواقعة وآخرها والصحيح أن الظالم لنفسه من هذه الأمة وهذا اختيار ابن جرير كما هو ظاهر الآية وكما جاءت به الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طرق يشد بعضها بعضا ونحن إن شاء الله تعالى نورد منها ما تيسر الحديث الأول منها قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الوليد بن العيزار أنه سمع رجلا من ثقيف يحدث عن رجل من كنانة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله قال هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة هذا حديث غريب من هذا الوجه وفي إسناده من لم يسم وقد رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث شعبة به نحوه ومعنى قوله بمنزلة واحدة أي في أنهم من هذه

فمقتضاه أن الشافع يكون فوق المشفوع عنده وهذا محال هنا لأن الله تعالى لا شيء فوقه فحينئذ هو مجاز ومعناه ولا شفيع يشفع أي يؤذن له في الشفاعة أو تقبل شفاعته وقال المحلي لا مفهوم للوصف إذ لا شفيع لهم أصلا أي لا مطاع ولا غيره ثم وصف سبحانه شمول علمه بكل شيء وإن كان في غاية الخفاء فقال (يعلم خائنة الأعين) وهي مسارقة النظر إلى ما لا يحل له النظر إليه والخائنة مصدر كالعافية والكاذبة أي يعلم خيانة الأعين والجملة خبر آخر لقوله هو الذي يريكم أو خبر رابع عن المبتدا الذي أخبر برفيع وما بعده عنه والأول هو الظاهر وقيل غير ذلك قال المؤرج فيه تقديم وتأخير أي يعلم الأعين الخائنة وقيل الإضافة على معنى من أي الخائنة من الأعين قال قتادة خائنة الأعين الهمز بالعين فيما لا يحب الله وقال الضحاك هو قول الإنسان ما رأيت وقد رأى ورأيت وما رأى وقال السدي إنه الرمز بالعين وقال سفيان هي النظرة بعد النظرة وبه قال الفراء والأول أولى وبه قال مجاهد قال ابن عباس في الآية الرجل يكون في القوم فتمر بهم المرأة فيريهم أنه يغض بصره عنها وإذا غفلوا نظر إليها وإذا نظروا غض بصره عنها وقد اطلع الله من قلبه أنه ود أن ينظر إلى عورتها أخرجه سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وأخرج الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب عنه في الآية قال إذا نظر إليها يريد الخيانة أم لا (وما تخفي الصدور) قال إذا قدر عليها أيزني بها أم لا ألا أخبركم بالتي تليها (والله يقضي بالحق) قادر على أن يجزي بالحسنة الحسنة وبالسيئة السيئة وأخرج أبو داود والنسائي وابن مردويه عن سعد قال لما كان يوم فتح مكة أمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الناس إلا أربعة نفر وامرأتين وقال اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح فاختبأ عند عثمان ابن عفان فلما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس إلى البيعة جاء به فقال يا رسول الله بايع عبد الله فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثا كل ذلك يأبى فبايعه ثم أقبل على أصحابه فقال أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله فقالوا ما يدرينا يا رسول الله ما في نفسك هلا أومأت إلينا بعينك فقال إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين (وما تخفي الصدور) أي القلوب من الضمائر وتستره وتكنه وتضمره من معاصي الله أو من أمانة وخيانة أو النظرة الأولى أو هل يزني بها لو خلا

الامة وانهم من أهل الجنة وان كان بينهم فرق فى المنازل فى الجنة الحديث الثانى قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن اسحق بن يونس بن عياض الليثى أبو ضمرة عن موسى بن عقبة عن على بن عبد الله الازدى عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله فأما الذين سبقوا فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب وأما الذين اقتصدوا فأولئك الذين يحاسبون حسابا يسيرا وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يحبسون فى طول المحشر ثم هم الذين (١٩٥) تلافاهم الله برحمته فهم الذين يقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب طريق أخرى قال ابن أبى حاتم حدثنا أسيد بن عاصم حدثنا الحسين بن حفص حدثنا سفيان عن الاعمش عن رجل عن أبى ثابت عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه قال فأما الظالم لنفسه فيحبس حتى يصيبه الهم والحزن ثم يدخل الجنة ورواه ابن جرير من حديث سفيان الثورى عن الاعمش قال ذكر أبو ثابت انه دخل المسجد فجلس الى جنب أبى الدرداء رضى الله عنه فقال اللهم آنس وحشتى وارحم غربتى ويسر لى جليسا صالحا فقال أبو الدرداء رضى الله عنه لئن كنت صادقا لانا أسعد به منك سأحدثك حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أحدث به منذ سمعته منه ذكر هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فأما السابق بالخيرات فيدخلها بغير حساب وأما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا وأما الظالم لنفسه فيصيبه فى ذلك المكان من الغم والحزن وذلك قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن الحديث الثالث قال الحافظ أبو القاسم الطبرانى حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس حدثنا ابن مسعود أخبرنا سهل بن عبد ربه الرازى حدثنا عمرو بن قيس عن أبى ليلى عن أخيه عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله الآية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم من هذه الامة الحديث الرابع قال ابن أبى حاتم

بها أولا (والله يقضى بالحق) فيجازى كل أحد بما يستحقه من خير وشر (والذين يدعون من دونه) أى يعبدونهم من دون الله قرأ الجمهور بالتحتية يعنى الظالمين وقرئ بالفوقية على الخطاب لهم وهما سبعيتان (لا يقضون بشئ) لانهم لا يعلمون شيأ ولا يقدرون على شئ فكيف يكونون شركاء لله وهذا تهكم بهم لان ما لا يوصف بالقدرة كالجماد لا يقال فيه يقضى أو لا يقضى (ان الله هو السميع البصير) فلا يخفى عليه من المسموعات والمبصرات خافية تقرير لقوله يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ولقضائه بالحق ووعيد لهم بانه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون وانه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من دونه وانها لا تسمع ولا تبصر ولما خوفهم سبحانه بأحوال الآخرة أردفه ببيان تخويفهم بأحوال الدنيا فقال (أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم) لان العاقل من اعتبر بحال غيره أى أغفلوا ولم يسيروا فى الارض فيعتبروا بمن قبلهم من الامم المكذبة لرسلهم كعاد وثمود وأضرابهم أو العاقبة بمعنى الصفة أو بمعنى المآل أرشدهم الله سبحانه الى الاعتبار بغيرهم فان الذين مضوا من الكفار (كانوا هم أشد منهم قوة) أى من هؤلاء الحاضرين من الكفار وهذا بيان التفاوت بين حال هؤلاء وأولئك وفى قراءة منكم أى التفاتا من الغيبة الى الخطاب وقع ضمير الفصل هنا بين معرفة ونكرة مع انه لا يقع الا بين معرفتين لكون النكرة هنا مشابهة للمعرفة من حيث امتناع دخول أل عليها لان أفعل التفضيل المقرون بمن لا تدخل عليه أل (وآثارا فى الارض) بما عمروا فيها من الحصون المنيعة والمصانع الحصينة والقصور المشيدة وبما لهم من العدد والعدة (فأخذهم الله بذنوبهم) أى عاقبهم وأهلكهم بسبب ذنوبهم وتكذيبهم رسلهم (وما كان لهم من الله من واق) أى دافع يدفع عنهم العذاب ويقيهم وقد مضى تفسير هذه الآية فى مواضع (ذلك) أى ما تقدم من الاخذ (بأنهم) أى بسبب انهم (كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) أى بالحجج الواضحة والمعجزات الظاهرة (فكفروا) بما جاؤهم به (فأخذهم الله انه قوى) يفعل كل ما يريده لا يعجزه شئ (شديد العقاب) لمن عصاه ولم يرجع اليه ثم ذكر سبحانه قصة موسى ليعتبروا فقال (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) أى بمدلساتها وهى التسع التى تقدم ذكرها فى غير موضع (وسلطان مبين) أى حجة بينة واضحة وهى

حدثنا محمد بن عزيز حدثنا سلامة عن عقيل عن ابن شهاب عن عوف بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أمتي ثلاثة أثلاث فثلث يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب وثلث يحاسبون حسابا يسيرا ثم يدخلون الجنة وثلث يمحصون ويكشفون ثم تأتي الملائكة فيقولون وجدناهم يقولون لا إله إلا الله وحده يقول الله تعالى صدقوا لا إله إلا أنا أدخلوهم الجنة بقولهم لا إله إلا الله وحده واحملوا خطاياهم على أهل النار وهي التي قال الله تعالى وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وتصديقها في التي فيها ذكر الملائكة قال

الله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فجعلهم ثلاثة أفواج وهم أصناف كلهم فمنهم ظالم لنفسه فهذا الذي يمحص ويكشف عنه هذا أثر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ابن جرير حدثني ابن حميد حدثنا الحكم بن بشير عن عمرو بن قيس عن عبد الله بن عيسى رضي الله عنه عن يزيد بن الحرث عن شقيق أبي وائل عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال إن هذه الأمة ثلاثة أثلاث يوم القيامة ثلث يدخلون الجنة بغير حساب وثلث يحاسبون حسابا يسيرا وثلث يجيئون بذنوب عظام حتى يقول الله عز وجل ما هؤلاء وهو أعلم تبارك وتعالى فتقول الملائكة هؤلاء جاؤوا بذنوب عظام إلا أنهم لم يشركوا بك شيئا فيقول الرب عز وجل أدخلوا هؤلاء في سعة رحمتي وتلا عبد الله رضي الله عنه هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية أثر آخر قال أبو داود الطيالسي عن الصلت بن دينار بن الأشعث عن عقبة بن صهبان الهنائي قال سألت عائشة رضي الله عنها عن قول الله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه الآية فقالت لي يا بني هؤلاء في الجنة أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد له رسول مخلد الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق بهم وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلكم قال فجعلت نفسها رضي الله عنها معنا وهذا منها رضي الله عنها من باب الهضم والتواضع وإلا فهي من أكبر السابقين بالخيرات لأن فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه في قوله تبارك وتعالى فمنهم ظالم لنفسه قال هي لأهل بدونا ومقتصد أهل حضرنا وسابق أهل الجهاد رواه ابن أبي حاتم وقال عوف

التوراة وقيل المراد بها أما الآيات فبعضها والعطف لتغاير العنوانين وإما بعضها أي المشهور منها كالعصا واليد وأفردت بالذكر مع اندراجها تحت الآيات اعتناء بها (إلى فرعون وهامان وقارون) خصهم بالذكر لأن مدار التدبير في عداوة موسى كان عليهم لأنهم رؤساء المكذبين بموسى ففرعون الملك وهامان الوزير وقارون صاحب الأموال والكنوز (فقالوا ساحر كذاب) فيما جاءهم به والقائل فرعون وقومه وأما قارون فلم يقل ذلك ففي الكلام تغليب وكذا يقال في قوله قالوا اقتلوا وقال الخطيب كان هذا قول قارون وإن لم يقله بالفعل فإنه طبع على الكفر ففعله آخرا (فلما جاءهم) موسى (بالحق من عندنا) وهي معجزاته الظاهرة الواضحة (قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه) قال قتادة هذا القتل غير القتل الأول لأن فرعون قد كان أمسك وكف عن قتل الولدان وقت ولادة موسى فلما بعث الله موسى وأحس بأنه قد وقع ما وقع أعاد القتل على بني إسرائيل غيظا وحنقا فكان يأمر بقتل الذكور وترك الإناث ومثل هذا قول فرعون سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم والمعنى أعيدوا عليهم ما كنتم تفعلونه أولا وغرضه أنه يصدهم بذلك عن مظاهرته ظنا منهم أنه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكهم على يده فشغلهم الله عن ذلك بما أنزل عليهم من أنواع العذاب كالضفادع والقمل والدم والطوفان إلى أن خرج من مصر فأغرقهم الله تعالى (واستحيوا) أي استبقوا (نساءهم) للخدمة (وما كيد الكافرين إلا في ضلال) أي في خسران وضياع ووبال لأنه يذهب باطلا ولا يغني عنهم شيئا ويحيق بهم ما يريده الله عز وجل وإن الناس لا يمتنعون من الإيمان وإن فعل بهم مثل هذا بل يعدو عليهم لا محالة القدر المقدور والقضاء المحتوم واللام إما للعهد والإظهار في موضع الإضمار لذمهم بالكفر والإشعار بعلة الحكم أو للجنس وهم داخلون فيه دخولا أوليا والجملة اعتراض جيء بها في تضاعيف ما حكى عنهم من الأباطيل للمسارعة إلى بيان بطلان ما أظهروه واضمحلاله بالمرة (وقال فرعون ذروني أقتل موسى) أي اتركوني أن أقتله والظاهر من حال اللعين أنه قد استيقن أنه نبي وأن ما جاء به حق ولكن كان يخاف إن هم بقتله أن يعاجل بالهلاك وإنما قال ذلك تمويها وإيهاما أنهم هم المانعون له من قتله ولولاهم لقتله مع أنه ما منعه إلا ما في نفسه من الفزع الهائل وقوله (وليدع ربه)

العراقي حدثنا عبد الله بن الحارث بن نوفل حدثنا كعب الأحبار رحمة الله عليه قال إن الظالم لنفسه من هذه الأمة والمقتصد والسابق بالخيرات كلهم في الجنة ألم تر أن الله تعالى قال ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها إلى قوله عز وجل والذين كفروا لهم نار جهنم قال هؤلاء أهل النار رواه ابن جرير من طرق عن عوف به ثم قال حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية أخبرنا حميد عن إسحق بن عبد الله بن الحارث عن أبيه قال إن ابن عباس رضي الله عنهما سأل كعبا عن (١٩٧) قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا إلى قوله بإذن الله قال تماست مناكبهم ورب كعب ثم أعطوا الفضل بأعمالهم ثم قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا الحكم ابن بشير حدثنا عمرو بن قيس عن أبي إسحق السبيعي في هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية قال أبو إسحق أما ما سمعت منذ ستين سنة فكلهم ناج ثم قال حدثنا ابن حميد حدثنا الحكم حدثنا عمرو عن محمد بن الحنفية رضي الله عنه قال إنها أمة مرحومة الظالم مغفور له والمقتصد في الجنان عند الله والسابق بالخيرات في الدرجات عند الله ورواه الثوري عن إسمعيل بن سميع عن رجل عن محمد بن الحنفية رضي الله عنه بنحوه وقال أبو الجارود سألت محمد بن علي يعني الباقر رضي الله عنهما عن قول الله تعالى فمنهم ظالم لنفسه فقال هو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا فهذا ما تيسر من إيراد الأحاديث والآثار المتعلقة بهذا المقام وإذا تقرر هذا فإن الآية عامة في جميع الأقسام الثلاثة في هذه الأمة فالعلماء أغبط الناس بهذه النعمة وأولى الناس بهذه الرحمة فإنهم كما قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا محمد بن يزيد حدثنا عاصم بن رجاء بن حيوة عن قيس بن كثير قال قدم رجل من أهل المدينة إلى أبي الدرداء رضي الله عنه وهو بدمشق فقال ما أقدمك أي أخي قال حديث بلغني أنك تحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أما قدمت لتجارة قال لا قال أما قدمت لحاجة قال لا قال أما قدمت إلا في طلب هذا الحديث قال نعم قال رضي الله عنه فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يطلب فيها علما سلك الله تعالى به طريقا إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم وإنه ليستغفر للعالم من في السموات والأرض حتى

تجلده وإظهار لعدم المبالاة ولكنه أخوف الناس منه وفي معناه من قال وجوده كرها الخطب أي المدعي الذي يزعم أنه أرسله إليه فليمنعه منه إن قدر على ذلك أي لا يهولنكم ذلك فإنه لا رب له حقيقة بل أنا ربكم الأعلى ثم ذكر العلة التي لأجلها أراد أن يقتله فقال (إني أخاف) إن لم أقتله (أن يبدل دينكم) الذي أنتم عليه من عبادة غير الله ويدخلكم في دينه الذي هو عبادة الله وحده (أو أن يظهر في الأرض الفساد) أي يوقع بين الناس الخلاف والفتنة جعل اللعين ظهور ما دعا إليه موسى وانتشاره في الأرض واهتداء الناس به فسادا وليس الفساد إلا ما هو عليه هو ومن تابعه والمعنى أنه لا بد من وقوع أحد الأمرين أو وقوع الأمرين جميعا (وقال موسى إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) لما هدده فرعون بالقتل لم يأت في دفع شره إلا بأن استعاذ بالله عز وجل من كل متعظم عن الإيمان بالله غير مؤمن بالبعث والنشور واعتمد عليه فلا جرم صانه الله عن كل بلية ويدخل فرعون في هذا العموم دخولا أوليا ولم يسم فرعون بل ذكر وصفا يعمه وغيره من الجبابرة لتعميم الاستعاذة والإشعار بعلة القساوة والجرأة على الله تعالى (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه) قال الحسن ومقاتل والسدي كان قبطيا وهو ابن عم فرعون وهو الذي نجا مع موسى وهو المراد بقوله وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى وقيل كان من بني إسرائيل ولم يكن من آل فرعون وهو خلاف ما في الآية وقد تمحل لذلك بأن في الآية تقديما وتأخيرا والتقدير وقال رجل مؤمن من بني إسرائيل يكتم إيمانه من آل فرعون قال القشيري ومن جعله إسرائيليا ففيه بعد لأنه يقال كتمه أمر كذا ولا يقال كتم منه كما قال سبحانه ولا يكتمون الله حديثا وأيضا ما كان فرعون يحتمل من بني إسرائيل مثل هذا القول وقد اختلف في اسم هذا الرجل فقيل حبيب وقيل سمعون وهو الأصح كما في مبهمات القرآن وقيل حزقيل قاله ابن عباس وأكثر العلماء وقال وهب كان اسمه حزبيل وقيل غير ذلك قال ابن عباس لم يكن في آل فرعون مؤمن غيره وغير امرأة فرعون وغير المؤمن الذي أنذر موسى الذي قال إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك قال ابن المنذر أخبرت أنه حزقيل وعن أبي إسحق قال … قرأ الجمهور رجل بضم الجيم وقرئ بسكونها وهي لغة تميم ونجد والأولى هي الفصحى وقرئ بكسر الجيم (أتقتلون

الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ان العلماء هم ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر وأخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث كثير بن قيس ومنهم من يقول قيس بن كثير عن أبي الدرداء رضي الله عنه وقد ذكرنا طرقه واختلاف الرواة فيه في شرح كتاب العلم من صحيح البخاري ولله الحمد والمنة وقد تقدم في أول سورة طه حديث ثعلبة بن الحكم رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى يوم القيامة للعلماء اني لم أضع علمي وحكمتي فيكم الا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان منكم ولا أبالي (جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب) يخبر تعالى ان مأوى هؤلاء المصطفين من عباده الذين أورثوا الكتاب المنزل من رب العالمين يوم القيامة جنات عدن أي جنات الاقامة يدخلونها يوم معادهم وقدومهم على الله عز وجل يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا كما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء ولباسهم فيها حرير ولهذا كان محظورا عليهم في الدنيا فأباحه الله تعالى لهم في الآخرة وثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة وقال هي لهم في الدنيا ولكم في الآخرة وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن سواد السرحي أخبرنا ابن وهب عن ابن لهيعة عن عقيل بن خالد عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ان أبا امامة رضي الله عنه حدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم وذكر حلي أهل الجنة فقال مسورون بالذهب والفضة مكللة بالدر وعليهما كاليل من در وياقوت متواصلة وعليهم تاج كتاج الملوك شباب جرد مرد مكحلون وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وهو الخوف من المحذور أزاحه عنا وأراحنا مما كنا نتخوفه ونحذره من هموم الدنيا والآخرة وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم وكأني بأهل لا اله الا الله ينفضون

رجلا) الاستفهام للانكار (أن يقول) أي لان يقول أو كراهة ان يقول وقال الزمخشري أي وقت ان يقول ورد ذلك بنص النحاة على خلافه وقال الامام تاج الدين بن مكتوم أجاز ابن جني ذلك والاول أولى (ربي الله) وهو ربكم أيضا لا ربه وحده وهو اشارة الى التوحيد وهذا انكار منه عظيم كأنه قيل أترتكبون الفعلة الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة من غير روية وتأمل في أمره واطلاع على سبب يوجب قتله وما لكم علة في ارتكابه الا كلمة الحق وهو قوله ربي الله (وقد جاءكم بالبينات من ربكم) أي والحال انه قد جاءكم بالمعجزات الواضحات والدلالات الظاهرات على نبوته وصحة رسالته والمعنى انه لم يحضر لتصحيح قوله ببينة واحدة ولكن ببينات من عند من نسبت اليه الربوبية وهو استدراج لهم الى الاعتراف به أخرج البخاري وغيره من طريق عروة قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص أخبرنا بأشد شئ صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي بفناء الكعبة اذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وأخرج البزار وأبو نعيم في فضائل الصحابة عن علي ابن أبي طالب انه قال يا أيها الناس أخبروني من أشجع الناس قالوا أنت قال أما اني ما بارزت أحدا الا انتصفت منه ولكن أخبروني عن أشجع الناس قالوا لا نعلم فمن قال أبو بكر رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخذته قريش فهذا يجبه وهذا يتلتله وهم يقولون أنت الذي جعلت الآلهة الها واحدا قال فوالله ما دنا منا أحد الا أبو بكر يضرب هذا ويجيء هذا ويتلتل هذا وهو يقول ويلكم أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله ثم رفع بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته ثم قال أنشدكم أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر فسكت القوم فقال ألا تجيبون فوالله لساعة من أبي بكر خير من مثل مؤمن آل فرعون ذلك رجل يكتم ايمانه وهذا رجل أعلن ايمانه ثم تلطف الرجل المؤمن لهم في الدفع عن موسى واحتج عليهم بطريق التقسيم فقال (وان يك كاذبا فعليه كذبه) أي ضرر كذبه (وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم) هذا كلام صادر عن غاية الانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم من شقي الترديد كونه كاذبا وانما خوفهم به اقتصارا على ماهو أظهر

التراب عن رؤسهم ويقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن رواه ابن أبى حاتم من حديثه وقال الطبرانى حدثنا جعفر بن محمد الفريابى حدثنا موسى بن يحيى المروزى حدثنا سليمان بن عبد الله بن وهب الكوفى عن عبد العزيز بن حكيم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة فى الموت ولا فى القبور ولا فى النشور وكأنى أنظر اليهم عند الصيحة ينفضون رؤسهم من التراب يقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور قال ابن عباس رضى الله عنهما وغيره غفر لهم الكثير من السيئات وشكر لهم اليسير من الحسنات

الذى أحلنا دار المقامة من فضله يقولون الذى أعطانا هذه المنزلة وهذا المقام من فضله ومنه ورحمته لم تكن أعمالنا تساوى ذلك كما ثبت فى الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان يدخل أحدا منكم عمله الجنة قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنى الله تعالى برحمة منه وفضل لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب أى لا يمسنا فيها عناء ولا اعياء والنصب واللغوب كل منهما يستعمل فى التعب وكأن المراد بنفى هذا وهذا عنهم انهم لا تعب على أبدانهم ولا أرواحهم والله أعلم فمن ذلك انهم كانوا يدئبون أنفسهم فى العبادة فى الدنيا فسقط عنهم التكليف بدخولها وصاروا فى راحة دائمة مستمرة قال الله تبارك وتعالى كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الايام الخالية (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير) لما ذكر تبارك وتعالى حال السعداء شرع فى بيان مآل الاشقياء فقال والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا كما قال تعالى لا يموت فيها ولا يحيى وثبت فى صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون وقال عز وجل ونادوا يامالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون فهم فى حالهم ذلك يرون موتهم راحة لهم ولكن لا سبيل الى ذلك قال الله تعالى لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كما قال عز وجل ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وقال جل وعلا كلما خبت زدناهم سعيرا فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا ثم قال تعالى كذلك نجزى كل كفور

أظهر راحتها الا عندهم ولم يكن قوله هذا لشك منه فانه كان مؤمنا كما وصفه الله ولا يشك المؤمن والمعنى اذا لم يصبكم كله فلا أقل من ان يصيبكم بعضه لاسيما ان تعرضتم له بسوء وقال أبو عبيدة وأبو الهيثم بعض هنا بمعنى كل أى يصيبكم كل الذى يعدكم والبعض قد يستعمل فى لغة العرب بمعنى الكل قال النسفى وتفسير البعض بالكل مزيف انتهى نعم ولا ضرورة تلجئ الى حمل ما فى الآية على ذلك لانه أراد التنزل معهم وايهامهم انه لا يعتقد صحة نبوته كما يفيده قوله يكتم ايمانه قال أهل المعانى وهذا على المظاهرة فى الحجاج كأنه قال لهم أقل ما يكون فى صدقه ان يصيبكم بعض الذى يعدكم وفى بعض ذلك هلاككم فكأن الحاصل بالبعض هو الحاصل بالكل وقال الليث بعض ههنا صلة تريد يصيبكم الذى يعدكم وقيل يصيبكم هذا العذاب الذى يقوله فى الدنيا وهو بعض ما يتوعدكم به من العذاب وقيل انه وعدهم بالثواب والعقاب فاذا كفروا أصابهم العذاب وهو بعض ما وعدهم به وحذفت النون من يكن فى الموضعين تخفيفا لكثرة الاستعمال كما قال سيبويه (ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب) هذا من تمام كلام الرجل المؤمن وهو احتجاج آخر ذو وجهين أحدهما انه لو كان موسى مسرفا كذابا لما هداه الله الى البينات ولا أيده بالمعجزات وثانيهما انه اذا كان كذلك خذله الله وأهلكه ولا حاجة لكم الى قتله والمسرف المقيم على المعاصى المستكثر منها والكذاب المفترى (ياقوم لكم الملك اليوم) ذكرهم ذلك الرجل المؤمن ما هم فيه من الملك ليشكروا الله ولا يتمادوا فى كفرهم ومعنى (ظاهرين) الظهور على الناس والغلبة لهم والاستعلاء عليهم (فى الارض) أى أرض مصر (فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا) أى من يمنعنا من عذابه ويحول بيننا وبينه عند مجيئه وفى هذا تحذير منه لهم من نقمة الله بهم وانزال عذابه عليهم واعتناسب ما يسرهم من الملك والظهور فى الارض لهم خاصة ونظم نفسه فى سلكهم فيما يهمهم من مجئ بأس الله تطمينا لقلوبهم وايذانا بأنه مناصح ساع فى تحصيل ما يجديهم ودفع ما يرديهم ليتأثروا بنصحه فلما سمع فرعون ما قاله هذا الرجل من النصح الصحيح جاء بمراوغة يوهم بها قومه انه لهم من النصيحة والرعاية بمكان مكين وانه لا يسلك بهم الا مسلكا يكون فيه جلب النفع لهم ودفع الضر عنهم ولهذا (قال فرعون ما أريكم الا ما أرى) أى ما أشير عليكم الا بما أرى لنفسى قاله ابن زيد وهذا تفسير بالمآل المعنى والتفسير المطابق لجوهر اللفظ ما قال الضحاك

ما أعلمكم الا ما أعلم من الصواب وهو قتل موسى والرؤية ههنا هي القلبية لا الاعتقادية
لا البصرية العينية وعدى لمفعولين ثانيهما الا ما أرى (وما أهديكم الا سبيل الرشاد) أي
ما أهديكم ولا أدعوكم بهذا الرأي الا الى طريق الحق والهدى قرأ الجمهور بتخفيف
الشين وقرأ معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه بتشديدها على انها صيغة مبالغة كضراب قال
النحاس هي لحن ولا وجه لذلك ثم كرر ذلك الرجل المؤمن تذكيرهم وحذرهم أن ينزل بهم
ما نزل عن قبلهم فقال الله حاكيا عنه (وقال الذي آمن يا قوم اني أخاف عليكم مثل يوم
الاحزاب) أي مثل يوم عذاب الامم الماضية الذين تحزبوا على أنبيائهم وأفرد اليوم لان
جمع الاحزاب قد أغنى عن جمعه والاحزاب لم ينزل بها العذاب في يوم واحد بل نزل بها في
الدنيا في أيام مختلفة متعددة ثم فسر الاحزاب فقال (مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين
من بعدهم) أي مثل حالهم في العذاب أو مثل عادتهم في الاقامة على التكذيب أو مثل
جزاء ما كانوا عليه من الكفر والتكذيب (وما الله يريد ظلما للعباد) أي لا يعذبهم ولا
يعاقبهم بغير ذنب ولا يترك الظالم منهم بغير انتقام أو لا يزيد على قدر ما يستحقون من
العذاب أو لا يهلكهم الا بعد اقامة الحجة عليهم ونفي الارادة للظلم يستلزم نفي الظلم بفحوى
الخطاب وتفسير المعتزلة بانه لا يريد لهم ان يظلموا بعيد لان أهل اللغة قالوا اذا قال الرجل
لآخر لا أريد ظلما لك معناه لا أريد أن أظلمك ثم زاد الرجل المؤمن في الوعظ والتذكير فقال
(ويا قوم اني أخاف عليكم يوم التناد) قرأ الجمهور بتخفيف الدال وحذف الياء والاصل
التنادي وهو التفاعل من النداء يقال تنادى القوم أي نادى بعضهم بعضا وقرئ باثبات
الياء على الاصل وقرأ ابن عباس والضحاك وعكرمة بتشديد الدال قال بعض أهل اللغة
هو لحن لانه من ند يند اذا مر على وجهه هاربا قال النحاس وهذا غلط والقراءة حسنة
على معنى التنافر قال الضحاك في معناه انهم اذا سمعوا زفير جهنم ندوا هربا فلا يأتون
قطرا من أقطار الارض الا وجدوا صفوفا من الملائكة فيرجعون الى المكان الذي كانوا
فيه فذلك قوله يوم التناد وعلى قراءة الجمهور المعنى يوم ينادي بعضهم بعضا أو ينادي
أهل النار أهل الجنة وأهل الجنة أهل النار أو يوم ينادى فيه كل أناس بامامهم ولا مانع
من الحمل على جميع هذه المعاني وهو ما حكى الله تعالى في سورة الاعراف ونادى أصحاب
الجنة أصحاب النار ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ونادى أصحاب الاعراف وقيل
ينادي

أي جميعا جزاء من كفر به وكذب الحق وقوله وهم يصطرخون فيها أي ينادون فيها يجأرون الى الله عز وجل
بأصواتهم ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل أي يسألون الرجعة الى الدنيا ليعملوا غير عملهم الاول وقد علم الرب جل جلاله
انه لو ردهم الى الدار الدنيا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون فلهذا لا يجيبهم الى سؤالهم كما قال تعالى مخبرا عنهم في قولهم فهل الى
خروج من سبيل ذلكم بأنه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا أي لا يجيبكم الى ذلك لانكم كنتم كذلك ولو رددتم لعدتم
الى ما نهيتم عنه ولهذا قال ههنا أولم نعمركم (٢٠) ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير أي أوما عشتم في الدنيا أعمارا لو كنتم
ممن ينتفع بالحق لانتفعتم به في مدة
عمركم وقد اختلف المفسرون
في مقدار العمر المراد ههنا فروي
عن علي بن الحسين زين العابدين
رضي الله عنهما انه قال مقدار سبع
عشرة سنة وقال قتادة اعلموا ان طول
العمر حجة فنعوذ بالله ان نعير
طول العمر قد نزلت هذه الآية
أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر
وان فيهم لابن ثماني عشرة سنة وكذا
قال أبو غالب الشيباني وقال عبد الله
ابن المبارك عن معمر عن رجل
عن وهب بن منبه في قوله تعالى أولم
نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر قال
عشرين سنة وقال هشيم عن
منصور عن زاذان عن الحسن في
قوله تعالى أولم نعمركم ما يتذكر فيه
من تذكر قال أربعين سنة وقال
هشيم أيضا عن مجاهد عن الشعبي
عن مسروق انه كان يقول اذا بلغ
أحدكم أربعين سنة فليأخذ حذره
من الله عز وجل فهذه رواية عن
ابن عباس رضي الله عنهما فيما قال
ابن جرير حدثنا ابن عبد الاعلى
حدثنا بشر بن المفضل حدثنا عبد الله
ابن عثمان بن خيثم عن مجاهد
قال سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول العمر الذي أعذر الله تعالى لابن آدم أولم نعمركم ما يتذكر فيه من
تذكر أربعون سنة هكذا رواه من هذا الوجه عن ابن عباس رضي الله عنهما به وهذا القول هو اختيار ابن جرير ثم رواه من
طريق الثوري وعبد الله بن ادريس كلاهما عن عبد الله بن عثمان بن خيثم عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال العمر
الذي أعذر الله فيه لابن آدم في قوله أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ستون سنة فهذه الرواية أصح عن ابن عباس رضي الله عنهما
وهي الصحيحة في نفس الامر أيضا لما ثبت في ذلك من الحديث كما سنورده لا كما زعمه ابن جرير من ان الحديث لم يصح في ذلك

لأن في إسناده من يجب التثبت في أمره. وقد روي عن أصبغ بن نباتة عن علي رضي الله عنه أنه قال العمر الذي عيرهم الله به في قوله أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ستون سنة. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا دحيم حدثنا ابن أبي فديك حدثني إبراهيم بن الفضل المخزومي عن ابن أبي حسين المكي أنه حدثه عن عطاء هو ابن أبي رباح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا كان يوم القيامة قيل أين أبناء الستين وهو العمر الذي قال الله تعالى فيه أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير. وكذا رواه ابن جرير عن علي بن شعيب عن إسماعيل بن أبي فديك (١ - ٢) به وكذا رواه الطبراني من طريق ابن أبي فديك به وهذا الحديث فيه نظر لحال إبراهيم بن الفضل والله أعلم.

حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن رجل من بني غفار عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لقد أعذر الله تعالى إلى عبد أحياه حتى بلغ ستين أو سبعين سنة لقد أعذر الله تعالى إليه لقد أعذر الله تعالى إليه. وهكذا رواه الإمام البخاري في كتاب الرقاق من صحيحه حدثنا عبد السلام بن مطهر عن عمر بن علي عن معن بن محمد الغفاري عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعذر الله عز وجل إلى امرئ أخر عمره حتى بلغ ستين سنة ثم قال البخاري تابعه أبو حازم وابن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم. فأما أبو حازم فقال ابن جرير حدثنا أبو صالح الفزاري حدثنا محمد بن سوار أخبرنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عبد الله بن دينار الإسكندري حدثنا أبو حازم عن سعيد المقبري عن أبي

هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمّره الله تعالى ستين سنة فقد أعذر إليه في العمر. وقد رواه الإمام أحمد والنسائي في الرقاق جميعاً عن قتيبة عن يعقوب بن عبد الرحمن به. ورواه البزار قال حدثنا هشام بن يونس حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال العمر الذي أعذر الله تعالى فيه إلى ابن آدم ستون سنة يعني أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر. وأما متابعة ابن عجلان فقال ابن أبي حاتم حدثنا

ينادي منادٍ ألا إن فلاناً سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً ألا إن فلاناً شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبداً وينادي حين يذبح الموت يا أهل الجنة خلود لا موت ويا أهل النار خلود بلا موت وقيل ينادي المؤمن هاؤم اقرؤا كتابيه وينادي الكافر يا ليتني لم أوت كتابيه (يوم تولون مدبرين) أي منصرفين عن الموقف إلى النار وفارين عنها غير معجزين قال قتادة ومقاتل المعنى إلى النار بعد الحساب (ما لكم من الله من عاصم) يعصمكم من عذاب الله ويدفعه عنكم (ومن يضلل الله فما له من هاد) يهديه إلى طريق الرشاد قرئ هادي بإثبات الياء وحذفها في الوقف وبحذفها في الوصل مع حذفها خطاً (ولقد جاءكم يوسف) هذا من تمام وعظ مؤمن آل فرعون ذكرهم قديم عتوهم على الأنبياء وقيل إن هذا من قول موسى عليه السلام والأول أولى (من قبل) أي قبل موسى وهو يوسف بن يعقوب في قول عمّر إلى زمن موسى قاله المحلي أي عاش واستمر يوسف بن يعقوب إلى زمن موسى الكليم قال سليمان الجمل وهذا القول لم ينقله غيره (١) من المفسرين واتفاقاً ما وجدته بعد التفتيش إلا ما نقله الشهاب بقوله وفي بعض التواريخ أن وفاة يوسف قبل مولد موسى بأربع وستين سنة قال القاري والصحيح أن المعمر هو فرعون موسى أدرك يوسف وعاش إلى أن أرسل الله موسى وعمر أربعمائة سنة وأربعين سنة انتهى وقال السيوطي في التحبير وعاش يوسف بن يعقوب مائة وعشرين سنة وبين يوسف وموسى أربعمائة سنة انتهى وقيل هو فرعون آخر (بالبينات) أي أنه جاءهم بالمعجزات الظاهرات والآيات الواضحات من قبل مجيء موسى إليهم أي جاء إلى آبائكم فجعل المجيء إلى الآباء مجيئاً إلى الأبناء وقال ابن جريج المراد بالبينات رؤيا يوسف وقيل المراد بها قوله أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار وقيل المراد بيوسف يوسف بن إفراثيم بن يوسف بن يعقوب وكان أقام فيهم أي في القبط نبياً عشرين سنة وحكى النقاش عن الضحاك أن الله بعث إليهم رسولاً من الجن يقال له يوسف قال الشوكاني رحمه الله والأول أولى (فما زلتم) أي ما زال أسلافكم (في شك مما جاءكم به) من البينات ولم تؤمنوا به (حتى إذا هلك) يوسف (قلتم) أي قال أسلافكم (لن يبعث الله من بعده رسولاً) فكفروا به في حياته وكفروا بمن بعده من الرسل بعد موته وظنوا أن الله لا يجدد عليهم الحجة وإنما قالوا ذلك على سبيل التشهي والتمني من غير حجة ولا برهان ليكون لهم أساساً في تكذيب الرسل الذين يأتون بعده وهذا ليس إقراراً منهم برسالته بل

---

(١) فيه أن الناقل لهذا القول جماعة سوى الجلال المحلي كالخازن والنسفي وأبي السعود كما يظهر عند المراجعة إلى تفاسيرهم ولا تقول لم ينقله غيره من المفسرين فيه نظر ظاهر اهـ منه

ابو السفر يحيى بن محمد بن عبد الملك بن قرعة بسامرا حدثنا ابو عبد الرحمن المقرى حدثنا سعيد بن ابى ايوب حدثنا محمد بن عجلان عن سعيد المقبرى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتت عليه ستون سنة فقد أعذر الله عز وجل اليه فى العمر وكذا رواه الامام أحمد عن أبى عبد الرحمن هو المقرى به ورواه أحمد أيضا عن خلف عن أبى معشر عن أبى سعيد المقبرى طريق أخرى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ابن جرير حدثنى أحمد بن الفرج ابو عتبة الحمصى حدثنا بقية بن الوليد حدثنا المطرف بن مازن الكنانى حدثنى معمر بن راشد قال سمعت محمد بن عبد الرحمن الغفارى يقول سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أعذر الله عز وجل فى العمر الى صاحب الستين سنة والسبعين فقد صح هذا الحديث من هذه الطرق فلو لم يكن الا الطريق التى ارتضاها أبو عبد الله البخارى شيخ هذه الصناعة لكفت وقول ابن جرير ان فى رجاله بعض من يجب التثبت فى أمره لا يلتفت اليه مع تصحيح البخارى والله أعلم وذكر بعضهم ان العمر الطبيعى عند الاطباء مائة وعشرون سنة فالانسان لا يزال فى ازدياد الى كمال الستين ثم يشرع بعد هذا فى النقص والهرم كما قال الشاعر

اذا بلغ الفتى ستين عاما
فقد ذهب المسرة والفتاء

ولما كان هذا هو العمر الذى يعذر الله تعالى الى عباده به ويزيح به عنهم العلل كان هو الغالب على أعمار هذه الامة كما ورد بذلك الحديث قال الحسن ابن عرفة رحمه الله حدثنا عبد الرحمن ابن محمد المحاربى حدثنا محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعمار أمتى ما بين الستين الى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك وهكذا رواه الترمذى وابن ماجه جميعا فى كتاب الزهد عن الحسن بن عرفة به ثم قال الترمذى هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وهذا عجب من الترمذى فانه قد رواه أبو بكر بن أبى الدنيا من وجه آخر وطريق اخرى عن أبى هريرة حيث قال حدثنا سليمان بن عمرو عن محمد بن ربيعة عن كامل بن أبى العلاء عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعمار امتى ما بين الستين الى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك وقد رواه الترمذى فى كتاب الزهد أيضا عن ابراهيم بن سعيد الجوهرى عن محمد بن ربيعة به ثم قال هذا حديث حسن غريب من حديث أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه وقد روى من غير وجه عنه هذا نصه بحروفه فى

هو وصم منهم الى الشك فى رسالته والتكذيب برسالة من بعده أفاده الخطيب والخازن (كذلك) الضلال الواضح (يضل الله من هو مسرف) فى معاصى الله مستكثر منها أو مشرك (مرتاب) فى دين الله شاك فى وحدانيته ووعده ووعيده وقوله (الذين يجادلون فى آيات الله) بدل من والجمع باعتبار معناها وافراد الضمير باعتبار اللفظ أو بيان لها أو صفة أو فى محل نصب باضمار أعنى أو خبر مبتدا محذوف أى هم الذين أو مبتدأ وخبره يطبع والاول أولى قال ابن جريج الذين يجادلون يهود وقيل هذا من كلام الرجل المؤمن أيضا وقيل انه ابتداء كلام من الله سبحانه (بغير سلطان) أى بغير حجة واضحة وبرهان ساطع (أتاهم) صفة لسلطان (كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا) يحتمل ان يراد به التعجب والاستعظام وان يراد به الذم كبئس وفاعل كبر ضمير يعود الى الجدال المفهوم من يجادلون قال المحلى كبر خبر المبتدا انتهى وهذا أولى وأحسن الاعاريب العشرة التى ذكرها السمين واليه نحا أبو حيان (كذلك) الطبع المحكم البليغ (يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) مستأنف قرأ الجمهور باضافة قلب الى متكبر واختارها أبو حاتم وأبو عبيد وفى الكلام حذف والتقدير كذلك يطبع الله على كل قلب كل متكبر فحذف كل الثانية لدلالة الاولى عليها والمعنى انه سبحانه يطبع على قلوب جميع المتكبرين الجبارين وقرئ بتنوين قلب على ان متكبرا صفة له فيكون القلب مرادا به الجملة لان القلب هو محل التكبر وسائر الاعضاء تبع له فى ذلك وهما سبعيتان وقرأ ابن مسعود على قلب كل متكبر وتقديره عند الزمخشرى على كل ذى قلب متكبر قال الشيخ ولا ضرورة تدعو الى اعتبار الحذف قلت بل ثم ضرورة الى ذلك وهى توافق القراءتين ثم لما سمع فرعون هذا رجع الى تكبره وتجبره معرضا عن الموعظة نافرا عن قبولها (وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحا) أى قصرا مشيدا كما تقدم بيان تفسيره فى سورة القصص وقيل صرحا أى بناء ظاهرا لا يخفى على الناظرين وان بعد ومنه يقال صرح الشئ اذا ظهر وفى المصباح الصرح بيت واحد يبنى منفردا طولا ضخما وفى السمين الصرح القصر أو صحن الدار أو بلاط يتخذ من زجاج وأصله من التصريح وهو الكشف (لعلى أبلغ الاسباب) أى الطرق من السماء الى السماء قال قتادة والزهرى والسدى والاخفش هى الابواب أى أبوابها الموصلة

اليها

الموضعين والله أعلم. وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو موسى الأنصاري حدثنا ابن أبي فديك حدثني إبراهيم بن الفضل مولى بني مخزوم عن المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم معترك المنايا ما بين الستين إلى السبعين. وبه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقل أمتي أبناء سبعين إسناده ضعيف. حديث آخر في معنى ذلك قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا إبراهيم بن هانئ حدثنا إبراهيم بن مهدي عن عثمان بن مطر عن أبي مالك عن ربعي عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال يا رسول الله أنبئنا بأعمار أمتك قال صلى الله عليه وسلم ما بين الخمسين إلى الستين قالوا يا رسول الله فأبناء السبعين قال صلى الله عليه وسلم قل من يبلغها من أمتي رحم الله أبناء السبعين ورحم الله أبناء الثمانين. ثم قال البزار لا يروى بهذا اللفظ إلا بهذا الإسناد وعثمان بن مطر من أهل البصرة ليس بقوي. وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاش ثلاثا وستين سنة وقيل ستين وقيل خمسا وستين سنة والمشهور الأول والله أعلم. وقوله تعالى وجاءكم النذير روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة وأبي جعفر الباقر رضي الله عنه وقتادة وسفيان بن عيينة أنهم قالوا يعني الشيب. وقال السدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعني به رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقرأ ابن زيد هذا نذير من النذر الأولى. وهذا هو الصحيح عن قتادة فيما رواه شيبان عنه أنه قال احتج عليهم بالعمر والرسل. وهذا اختيار ابن جرير وهو الأظهر لقوله تعالى ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون أي لقد بينا لكم الحق على ألسنة الرسل فأبيتم وخالفتم. وقال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا. وقال تبارك وتعالى كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير. وقوله تعالى فذوقوا فما للظالمين من نصير أي فذوقوا عذاب النار جزاء على مخالفتكم للأنبياء في مدة أعماركم فما لكم اليوم ناصر ينقذكم مما أنتم فيه من العذاب والنكال والأغلال (إن الله عالم غيب السموات والأرض إنه عليم بذات الصدور هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا) يخبر تعالى بعلمه غيب السموات والأرض وأنه يعلم ما تكنه السرائر وما تنطوي عليه الضمائر

إليها (أسباب السموات) بيان للأسباب لأن الشيء إذا أبهم ثم فسر كان أوقع في النفوس وأفخم للشأن أو بدل منها وأنشد الأخفش عند تفسير الآية بيت زهير

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه * ولو رام أسباب السماء بسلم

وقيل أسباب السموات الأمور التي يستمسك بها وكل ما أداك إلى شيء فهو سبب إليه كالرشاء ونحوه (فأطلع إلى إله موسى) أي أنظر إليه وأطلع على حاله. قرأ الأعرج السلمي وعيسى ابن عمر وحفص بالنصب على جواب الأمر في قوله ابن لي وهذا رأي البصريين أو على جواب الترجي كما قال أبو عبيدة وغيره وهذا رأي الكوفيين. قال النحاس ومعنى النصب خلاف معنى الرفع لأن معنى النصب متى بلغت الأسباب اطلعت. وقرأ الجمهور بالرفع عطفا على أبلغ فهو على هذا داخل في حيز الترجي والمعنى لعلي أبلغ ولعلي أطلع بعد ذلك وقيل غير ذلك. وفي هذا دليل على أن فرعون كان بمكان من الجهل عظيم وبمنزلة من فهم حقائق الأشياء سافلة جدا (وإني لأظنه) أي موسى كاذبا في ادعائه بأن له إلها غيري فوقا على العرش فوق السموات أو فيما يدعيه من الرسالة. قيل قال فرعون ذلك تمويها وتلبيسا وتخليطا على قومه وإلا فهو يعرف ويعتقد حقيقة الإله وأنه ليس في جهة العلو ولكنه أراد التلبيس على قومه توصلا لبقائهم على الكفر وكأنه يقول لو كان إله موسى موجودا لكان له محل ومحله إما الأرض وإما السماء ولم نره في الأرض فيبقى أن يكون في السماء والسماء لا يوصل إليها إلا بسلم قاله الخفاجي (وكذلك) التزيين (زين لفرعون سوء عمله) من الشرك والتكذيب فتمادى في الغي واستمر على الطغيان والمزين هو الشيطان (وصد عن السبيل) أي سبيل الرشاد والهدى. قرأ الجمهور وصد بفتح الصاد والدال أي صد فرعون الناس عن السبيل. وقرأ الكوفيون وصد بضم الصاد مبنيا للمفعول واختار هذه القراءة أبو عبيد وأبو حاتم ولعل وجه الاختيار لها منهما كونها مطابقة لما أجمعوا عليه في زين من البناء للمفعول والقراءتان سبعيتان. وقرأ يحيى بن وثاب وعلقمة وصد بكسر الصاد وضم الدال منونا. وقرأ ابن أبي إسحق وعبد الرحمن بن أبي بكرة بفتح الصاد وضم الدال منونا وكل من هذين القراءتين على أنه مصدر معطوف على سوء عمله أي زين له الشيطان سوء العمل والصد (وما كيد فرعون) في إبطال آيات موسى (إلا في تباب) أي خسار وهلاك. قال ابن عباس التباب الخسران ومنه تبت يدا أبي لهب. ثم إن ذلك

وسيجازي كل عامل بعمله ثم قال عز وجل هو الذي جعلكم خلائف في الارض أي يخلف قوم لآخرين قبلهم وجيل لجيل قبلهم كما قال تعالى ويجعلكم خلفاء الارض فمن كفر فعليه كفره أي فانما يعود وبال ذلك على نفسه دون غيره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا أي كلما استمروا على كفرهم أبغضهم الله تعالى وكلما استمروا فيه خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة بخلاف المؤمنين فانهم كلما طال عمر أحدهم وحسن عمله ارتفعت درجته ومنزلته في الجنة وزاد أجره وأحبه خالقه وبارئه رب العالمين (قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموات أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا) يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول للمشركين أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أي من الاصنام والانداد أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموات أي ليس لهم شئ من ذلك ما يملكون من قطمير وقوله أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه أي أم أنزلنا عليهم كتابا بما يقولونه من الشرك والكفر ليس الامر كذلك بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا أي بل انما اتبعوا في ذلك أهواءهم وآراءهم وأمانيهم التي تمنوها لانفسهم وهي غرور باطل وزور ثم أخبر تعالى عن قدرته العظيمة التي بها تقوم السماء والارض عن أمره وما جعل فيهما من القوة الماسكة لهما فقال ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا أي أن يضطربا عن أماكنهما كما قال عز وجل ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه وقال تعالى ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده أي لا يقدر على دوامهما وابقائهما الا هو وهو مع ذلك حليم غفور أي يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه وهو يحلم فيؤخر وينظر ويؤجل ولا يعجل ويستر آخرين ويغفر ولهذا قال تعالى انه كان حليما غفورا وقد أورد ابن أبي حاتم ههنا حديثا غريبا بل منكرا فقال حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا اسحق بن ابراهيم حدثني هشام بن يوسف عن أمية بن سهل عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي عن موسى عليه الصلاة

الرجل المؤمن أعاد التذكير والتحذير كما حكى الله عنه بقوله (وقال الذي آمن يا قوم اتبعون) باثبات الياء وحذفها في الوصل والوقف والقراءتان سبعيتان وهذا باعتبار اللفظ وأما في الرسم فهي محذوفة لا غير لانها من ياآت الزوائد أي اقتدوا بي في الدين واعملوا بمنهجي (أهدكم سبيل الرشاد) أي طريق الهدى والصواب وهو الجنة وهو ضد الغي وفيه تعريض شبيه بالتصريح ان ما عليه فرعون وقومه سبيل الغي وقيل هذا من قول موسى والاول أولى (يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع) يتمتع بها أياما ثم تنقطع وتزول لان التنوين للتقليل فالاخلاد اليها أصل الشر ومنبع الفتن ورأس كل بلاء وآفة (وان الآخرة هي دار القرار) اي الاستقرار والثبات فلا انتقال ولا تحول عنها لكونها دائمة لا تنقطع ومستمرة لا تزول والباقي خير من الفاني قال بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهبا فانيا والآخرة خزفا باقيا لكانت الآخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا خزف فان والآخرة ذهب باق قال ابن عباس الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة وأخرج ابن مردويه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الحياة الدنيا متاع وليس من متاعها شئ أفضل من المرأة الصالحة التي اذا نظرت اليها سرتك واذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالها (من عمل سيئة) من كلام الرجل المؤمن والمعنى من عمل في دار الدنيا معصية من المعاصي كائنة ما كانت (فلا يجزى الا مثلها) ولا يعذب الا بقدرها والظاهر شمول الآية لكل ما يطلق عليه اسم السيئة وقيل هي خاصة بالشرك ولا وجه لذلك (ومن عمل) عملا (صالحا) قيل هو لا اله الا الله (من ذكر أو أنثى وهو مؤمن) اي مع كونه مؤمنا بما جاءت به رسله (فأولئك) الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح (يدخلون الجنة) بفتح الياء وضم الخاء وبالعكس سبعيتان (يرزقون فيها) رزقا واسعا (بغير حساب) أي بغير تقدير ومحاسبة قال مقاتل يقول لا تبعة عليهم فيما يعطون في الجنة من الخير ثم كرر ذلك الرجل المؤمن دعاءهم الى الله وصرح بايمانه ولم يسلك المسالك المتقدمة من ايهامه لهم انه منهم وانه انما تصدى لتذكيرهم كراهة أن يصيبهم بعض ما توعدهم به موسى كما يقوله الرجل المحب لقومه من التحذير عن الوقوع فيما يخاف عليهم الوقوع فيه فقال (و) ترك العطف في النداء الثاني لانه تفصيل لاجمال الاول وهنا عطف لانه ليس بتلك المثابة

والسلام على المنبر قال وقع فى نفس موسى عليه الصلاة والسلام هل ينام الله عز وجل فأرسل الله تعالى اليه ملكا فأرقه ثلاثا وأعطاه قارورتين فى كل يد قارورة وأمره بحتفظ بهما قال فجعل ينام وتكاد يداه تلتقيان ثم يستيقظ فيحبس احداهما على الاخرى حتى نام نومة فاصطفقت يداه فانكسرت القارورتان قال ضرب الله تعالى له مثلا ان الله عز وجل لو كان ينام لم تستمسك السماء والارض والظاهر أن هذا الحديث ليس بمرفوع بل من الاسرائيليات المنكرة فان موسى عليه الصلاة والسلام أجل من ان يجوز على الله سبحانه وتعالى النوم وقد أخبر الله عز وجل فى كتابه العزيز بأنه الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الارض وثبت فى الصحيحين عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لا ينام ولا ينبغى له ان ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه النور أو النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه وقد قال ابو جعفر بن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبى وائل قال جاء رجل الى عبد الله هو ابن مسعود رضى الله عنه فقال من أين جئت قال من الشام قال من لقيت قال لقيت كعبا قال ما حدثك قال حدثنى ان السموات تدور على منكب ملك قال أفصدقته أو كذبته قال ما صدقته ولا كذبته قال لوددت انك افتديت من رحلتك اليه براحلتك ورحلها كذب كعب ان الله تعالى يقول ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من أحد من بعده وهذا اسناد صحيح الى كعب والى ابن مسعود رضى الله عنه ثم رواه ابن جرير عن ابن حميد عن جرير عن مغيرة عن ابراهيم قال ذهب جندب البجلى الى كعب بالشام فذكر نحوه وقد رأيت فى مصنف للفقيه يحيى بن ابراهيم بن مزين الطليطلى سماه سير الفقهاء أورد هذا الاثر عن محمد بن عيسى بن الطباع عن وكيع عن الاعمش به ثم قال واخبرنا زونان يعنى عبد الملك بن الحسن عن ابن وهب عن مالك انه قال السماء لا تدور واحتج بهذه الآية وبحديث ان بالمغرب بابا للتوبة لا يزال مفتوحا حتى تطلع الشمس منه قلت وهذا الحديث فى الصحيح والله سبحانه وتعالى اعلم (واقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الامم فلما جاءهم

لانه كلام مباين للاول والثانى فحسن ايراد الواو العاطفة فيه ونحوه قال الزمخشرى (يا قوم مالى) تكرير النداء لزيادة التنبيه لهم والايقاظ عن سنة الغفلة وفيه انهم قومه وانه من آل فرعون والمعنى أخبرونى عنكم كيف هذه الحال (أدعوكم الى النجاة) من النار ودخول الجنة بالايمان بالله واجابة رسله (وتدعوننى الى النار) بما تريدونه منى من الشرك وقيل المعنى مالكم أدعوكم كما تقول مالى أراك حزينا أى مالك ثم فسر الدعوتين فقال (تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لى به علم) أى ما لا علم لى بكونه شريكا لله والمراد بنفى العلم نفى المعلوم بدل من تدعوننى الاولى على جهة البيان لها وأتى بجملة فعلية لتدل على ان دعوتهم باطلة لا ثبوت لها وفى قوله (وأنا أدعوكم) بجملة اسمية لتدل على ثبوت دعوته وتقويتها (الى العزيز) الغالب على أمره وفى انتقامه ممن كفر (الغفار) لذنب من آمن به وتاب (لاجرم) قد تقدم تفسير هذا فى سورة هود وجرم فعل ماض بمعنى حق ولا الداخلة عليه لنفى ما ادعوه ورد ما زعموه وفاعل هذا الفعل هو قوله (انما تدعوننى اليه) أى حق ووجب بطلان دعوته وما بمعنى الذى فكان حقها ان تكتب مفصولة من النون كما هو القاعدة لكنها رسمت فى المصحف الامام موصولة بالنون كما أشار له ابن الجزرى (ليس له دعوة) قال الزجاج معناه ليس له استجابة دعوة تنفع وقيل ليس له دعوة توجب له الالوهية (فى الدنيا ولا فى الآخرة) وقال الكلبى ليس له شفاعة (وان مردنا الى الله) أى مرجعنا ومصيرنا اليه بالموت أولا وبالبعث آخرا فيجازى كل أحد بما يستحقه من خير وشر (وان المسرفين) أى المستكثرين من معاصى الله قال قتادة وابن سيرين يعنى المشركين وقال مجاهد والشعبى هم السفهاء السفاكون للدماء بغير حقها وبه قال ابن مسعود وقال عكرمة الجبارون المتكبرون وقيل هم الذين تعدوا حدود الله والمعنى حق ان المسرفين (هم أصحاب النار) أى أهل جهنم ولما بلغ ذلك المؤمن فى باب النصيحة الى هذا الكلام ختم كلامه بخاتمة لطيفة فقال (فستذكرون ما أقول لكم) اذا نزل بكم العذاب وتعلمون أنى قد بالغت فى نصحكم وتذكيركم وهو كلام مجمل مبهم وفى هذا الابهام والاجمال من التخويف والتهديد ما لا يخفى (وأفوض أمرى الى الله) مستأنف أى أتوكل عليه وأسلم امرى اليه قيل انه قال هذا لما ارادوا الايقاع به قال مقاتل هرب هذا المؤمن الى الجبل فطلبوه فلم

ما زادهم الا نفورا استكبارا فى الارض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله فهل ينظرون الا سنة الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) يخبر تعالى عن قريش والعرب انهم أقسموا بالله جهد أيمانهم قبل ارسال الرسول اليهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الامم أى من جميع الامم الذين ارسل اليهم الرسل قاله الضحاك وغيره كقوله تعالى ان تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين او تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن اظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها وكقوله تعالى وان كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين فكفروا به فسوف يعلمون قال الله تعالى فلما جاءهم نذير وهو محمد صلى الله عليه وسلم بما أنزل معه من الكتاب العظيم وهو القرآن المبين ما زادهم الا نفورا أى ما ازدادوا الا كفرا الى كفرهم ثم بين ذلك بقوله استكبارا فى الارض أى استكبروا عن اتباع آيات الله ومكر السيئ أى ومكروا بالناس فى صدهم اياهم عن سبيل الله ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله أى وما يعود وبال ذلك الا عليهم انفسهم دون غيرهم قال ابن أبى حاتم ذكر على بن الحسين حدثنا ابن أبى عمر حدثنا سفيان عن أبى زكريا الكوفى عن رجل حدثه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياك ومكر السيئ فانه لا يحيق المكر السيئ الا بأهله ولهم من الله طالب وقال محمد بن كعب القرظى ثلاث من فعلهن لم ينج حتى ينزل به من مكر أو بغى أو نكث وتصديقها فى كتاب الله تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله وقوله عز وجل فهل ينظرون الا سنة الاولين يعنى عقوبة الله لهم على تكذيبهم رسله ومخالفتهم أمره ولن تجد لسنة الله تبديلا اى لا تغير ولا تبدل بل هى جارية كذلك فى كل مكذب ولن تجد لسنة الله تحويلا أى اذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له ولا يكشف ذلك عنهم ويحوله عنهم أحد والله أعلم (أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شئ فى السموات ولا فى الارض انه كان عليما قديرا ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا) يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بما جئتهم به من الرسالة سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين

يقدروا عليه وقيل القائل هو موسى والاول أولى (ان الله بصير بالعباد) يعلم المحق من المبطل (فوقاه الله سيآت ما مكروا) أى ما ارادوا به من المكر السيئ وما هموا به من الحاق أنواع العذاب بمن خالفهم قال قتادة نجاه الله مع بنى اسرائيل من الغرق (وحاق بآل فرعون) أى أحاط بهم ونزل عليهم (سوء العذاب) قال الكسائى يقال حاق يحيق حيقا وحيوقا اذا نزل ولزم قال الكلبى غرقوا فى البحر ودخلوا النار والمراد بآل فرعون فرعون وقومه وترك التصريح به للاستغناء بذكرهم عن ذكره لكونه أولى بذلك منهم أو المراد بآل فرعون فرعون نفسه والاول أولى لانهم قد عذبوا فى الدنيا جميعا بالغرق وسيعذبون فى الآخرة بالنار ثم بين سبحانه ما أجمله من سوء العذاب فقال (النار يعرضون) أى تعرض أرواحهم من حين موتهم الى قيام الساعة (عليها غدوا وعشيا) أى صباحا ومساء فارتفاع النار على انها بدل من سوء العذاب وقيل على انها خبر مبتدا محذوف أو مبتدأ وخبره يعرضون والاول أولى ورجحه الزجاج وعلى الوجهين الاخيرين تكون الجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر وقرئ بالنصب على تقدير فعل يفسره يعرضون من حيث المعنى أى يصلون النار يعرضون عليها أو على الاختصاص وأجاز الفراء الخفض على البدل من العذاب وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وان كان من أهل النار فمن اهل النار يقال له هذا مقعدك حين يبعثك الله اليه يوم القيامة زاد ابن مردويه ثم قرأ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وعرضهم عليها احراقهم بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف اذا قتلهم به اى فى هذين الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك اما ان يعذبوا بجنس آخر أو ينفس عنهم ويجوز ان يكون غدوا وعشيا عبارة عن الدوام واحتج بعض اهل العلم على اثبات عذاب القبر بهذه الآية اعاذنا الله تعالى منه بمنه وكرمه وبه قال مجاهد وعكرمة ومحمد بن كعب كلهم قال القرطبى ان ارواحهم فى جوف طير سود تغدو على جهنم وتروح كل يوم مرتين فذلك عرضها انتهى وقد حققنا ذلك فى كتابنا ثمار التنكيت فى شرح أبيات التثبيت بالفارسية فليعلم ثم ذهب الجمهور الى ان هذا العرض هو فى البرزخ وقيل هو فى الآخرة قال الفراء ويكون فى الآية تقديم وتأخير اى ادخلوا آل فرعون أشد العذاب النار يعرضون

كذبوا الرسل كيف دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها فخلت منهم منازلهم وسلبوا ما كانوا فيه من النعيم بعد كمال القوة وكثرة العدد والعدد وكثرة الاموال والاولاد فما أغنى ذلك شيأ ولا دفع عنهم من عذاب الله من شئ لما جاء أمر ربك لانه تعالى لا يعجزه شئ اذا أراد كونه في السموات والارض انه كان عليما قديرا أى عليم بجميع الكائنات قدير على مجموعها ثم قال تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة أى لو آخذهم بجميع ذنوبهم لاهلك جميع أهل السموات والارض وما يملكونه من دواب وأرزاق قال ابن ابى حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان الثورى عن أبى اسحق عن أبى الاحوص عن عبد الله قال كاد الجعل ان يعذب فى جحره بذنب ابن آدم ثم قرأ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة وقال سعيد بن جبير والسدى فى قوله تعالى ما ترك على ظهرها من دابة أى لما سقاهم المطر فماتت جميع الدواب ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى أى ولكن ينظرهم الى يوم القيامة فيحاسبهم يومئذ ويوفى كل عامل بعمله فيجازى بالثواب أهل الطاعة وبالعقاب أهل المعصية ولهذا قال تبارك وتعالى فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا

آخر تفسير سورة فاطر ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة يس وهى مكية)

قال أبو عيسى الترمذى حدثنا قتيبة وسفيان بن وكيع حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرؤاسى عن الحسن بن صالح عن هرون أبى محمد عن مقاتل بن حيان عن قتادة عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات ثم قال هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث حميد بن عبد الرحمن وهرون أبو محمد شيخ مجهول وفى الباب عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ولا يصح لضعف اسناده وعن أبى هريرة رضى الله عنه منظور فيه أما حديث الصديق رضى الله عنه فرواه الحكيم الترمذى فى كتابه نوادر الاصول وأما حديث أبى هريرة رضى الله عنه فقال أبو بكر البزار حدثنا عبد الرحمن بن الفضل حدثنا زيد هو ابن الحباب حدثنا حميد هو المكى مولى آل علقمة عن عطاء بن أبى رباح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس ثم قال لا نعلم رواه الا زيد عن حميد وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا اسحق بن أبى اسرائيل حدثنا حجاج بن محمد عن

عليها غدوا وعشيا ولا يلجئ الى هذا التكلف فان قوله (ويوم تقوم الساعة) الخ يدل دلالة واضحة على ان ذلك العرض هو فى البرزخ (ادخلوا) اى يقال للملائكة ادخلوا (آل فرعون أشد العذاب) هو عذاب النار فانه أشد مما كانوا فيه وقيل أنواع من العذاب بعضها أشد من بعض غير التى كانوا يعذبون بها منذ أغرقوا قرأ حمزة والكسائى ونافع وحفص أدخلوا بقطع الهمزة وكسر الخاء وهو على تقدير القول كما ذكر وقرأ الباقون ادخلوا بهمزة وصل من دخل يدخل أمر الآل فرعون بالدخول بتقدير حرف النداء أى ادخلوا يا آل فرعون أشد العذاب عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال ما أحسن محسن مسلم أو كافر الا أثابه الله قلنا يا رسول الله ما اثابة الكافر قال المال والولد والصحة وأشباه ذلك قلنا وما اثابته فى الآخرة قال عذابا دون العذاب وقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ادخلوا آل فرعون اشد العذاب اخرجه البزار وابن ابى حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى فى شعب الايمان (واذ يتحاجون فى النار) اى اذكر لقومك وقت تخاصمهم فى النار ثم بين سبحانه هذا التخاصم فقال (فيقول الضعفاء للذين استكبروا) عن الانقياد للانبياء والاتباع لهم وهم رؤساء الكفر (انا كنا لكم تبعا) فتكبرتم على الناس بنا والتبع جمع تابع كخدم وخادم او مصدر واقع موقع اسم الفاعل أى تابعين او ذوى تبع قال البصريون التبع يكون واحدا ويكون جمعا وقال الكوفيون هو جمع لا واحد له (فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار) أى هل تدفعون عنا نصيبا منها أو تحملونه معنا وجملة (قال الذين استكبروا انا كل فيها) مستأنفة جواب سؤال مقدر قرأ الجمهور كل بالرفع على الابتداء وخبره فيها والجملة خبران قاله الاخفش وقرأ ابن السميفع وعيسى بن عمر كلا بالنصب قال الكسائى والفراء على التأكيد لاسم ان بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن المضاف اليه وقيل على الحال ورجحه ابن مالك والمعنى انا نحن وأنتم جميعا فى جهنم فكيف نغنى عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن أنفسنا (ان الله قد حكم بين العباد) أى قضى بينهم بان فريقا فى الجنة وفريقا فى السعير فلا يغنى أحد عن أحد شيأ فعند ذلك يحصل اليأس للاتباع من المتبوعين فيرجعون كلهم الى خزنة جهنم يسألونهم كما قال (وقال الذين فى النار) من الامم الكافرة مستكبرهم وضعيفهم جميعا (لخزنة جهنم) جمع خازن وهم القوام بتعذيب أهل النار وانما لم يقل لخزنتها لان فى ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا أو لبيان

هشام بن زياد عن الحسن قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ يس في ليلة أصبح مغفوراً له ومن قرأ حم التي يذكر فيها الدخان أصبح مغفوراً له إسناده جيد وقال ابن حبان في صحيحه حدثنا محمد بن إسحق بن إبراهيم مولى ثقيف حدثنا الوليد بن شجاع بن الوليد السكوني حدثنا أبي حدثنا زياد بن خيثمة حدثنا محمد بن جحادة عن الحسن عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله عز وجل غفر له وقد قال الإمام أحمد حدثنا عارم حدثنا معتمر عن أبيه عن رجل عن أبيه عن معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البقرة سنام القرآن وذروته نزل مع كل آية منها ثمانون ملكاً واستخرجت الله لا إله إلا هو الحي القيوم من تحت العرش فوصلت بها أو فوصلت بسورة البقرة ويس قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله تعالى والدار الآخرة إلا غفر له واقرؤوها على موتاكم وكذا رواه النسائي في اليوم والليلة عن محمد بن عبد الأعلى عن معتمر بن سليمان به ثم قال الإمام أحمد حدثنا عارم حدثنا ابن المبارك حدثنا سليمان التيمي عن أبي عثمان وليس بالنهدي عن أبيه عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤوها على موتاكم يعني يس ورواه أبو داود والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه من حديث عبد الله بن المبارك به إلا أن في رواية النسائي عن أبي عثمان عن معقل بن يسار رضي الله عنه ولهذا قال بعض العلماء من خصائص هذه السورة أنها لا تقرأ عند أمر عسير إلا يسره الله تعالى وكأن قراءتها عند الميت لتنزل الرحمة والبركة وليسهل عليه خروج الروح والله تعالى أعلم قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان قال كان المشيخة يقولون إذا قرئت يعني يس عند الميت خفف الله عنه بها وقال البزار حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي يعني يس

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون لقد حق

محلهم فيها فقال جهنم هي أبعد النار قعراً من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر وفيها أعتى الكفار وأطغاهم فلعل الملائكة الموكلين بعذاب أولئك أجوب دعوة لزيادة قربهم من الله فلهذا تعمدهم أهل النار بطلب الدعوة منهم (ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب) أي شيئاً منه مقدار يوم من أيام الدنيا إذ ليس في الآخرة ليل ولا نهار (قالوا أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات) مستأنفة جواب سؤال مقدر والاستفهام للتقريع والتوبيخ (قالوا بلى) أي أتونا بها فكذبناهم ولم نؤمن بهم ولا بما جاؤوا به من الحجج الواضحة فلما اعترفوا (قالوا) أي قال لهم الملائكة الذين هم خزنة جهنم تهكماً بهم (فادعوا) أي إذا كان الأمر كذلك فادعوا أنتم فإنا لا ندعو لمن كفر بالله وكذب رسله بعد مجيئهم بالحجج الواضحة ثم أخبروهم أن دعاءهم لا يفيد شيئاً فقالوا (وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) أي في ضياع وبطلان وخسار وتبار وإهدار وفيه إقناط لهم عن الإجابة وقيل هو من قول الله تعالى إخباراً لنبيه وهو أنسب بما بعده وعليه جرى الجلال والشهاب (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا) مستأنفة من جهة الله سبحانه أي نجعلهم الغالبين لأعدائهم القاهرين لهم والموصول في محل نصب عطفاً على رسلنا أي لننصر رسلنا وننصر الذين آمنوا معهم (في الحياة الدنيا) بما عودهم الله من الانتقام منهم بالقتل والسلب والأسر وقيل بالغلبة والقهر وقيل بالحجة وقيل بالانتقام لهم من الأعداء بالاستئصال وإن غلبوا في الدنيا بعض الأحايين امتحاناً من الله عز وجل والعاقبة لهم كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل فإنه قتل به سبعين ألفاً وكما نصر الحسين بن علي الشهيد فإنه قتل به سبعين ألفاً أيضاً أخرج أحمد والترمذي وحسنه وابن أبي الدنيا والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا وأخرج ابن مردويه من حديث أبي هريرة مثله (ويوم يقوم الأشهاد) هو يوم القيامة قال زيد بن أسلم الأشهاد هم الملائكة والنبيون والمؤمنون وقال مجاهد والسدي الأشهاد الملائكة يشهدون للأنبياء بالإبلاغ وعلى الأمم بالتكذيب وقيل الحفظة تشهد على بني آدم بما عملوا من الأعمال وكذا الجوارح تشهد عليهم بما عملوا قال الزجاج الأشهاد جمع شاهد مثل صاحب وأصحاب قال النحاس ليس باب فاعل أن يجمع على أفعال ولا يقاس عليه ولكن ما جاء

القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون)* قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة فى أول سورة البقرة وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما وعكرمة والضحاك والحسن وسفيان بن عيينة أن يس يعنى يا انسان وقال سعيد بن جبير هو كذلك فى لغة الحبشة وقال مالك عن زيد بن أسلم هو اسم من أسماء الله تعالى والقرآن الحكيم أى المحكم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه انك أى يا محمد لمن المرسلين على صراط مستقيم أى على منهج ودين قويم وشرع مستقيم تنزيل العزيز الرحيم أى هذا الصراط والمنهج والدين الذى جئت به تنزيل من رب العزة الرحيم بعباده المؤمنين كما قال تعالى وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض ألا الى الله تصير الامور وقوله تعالى لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون يعنى بهم العرب فانه ما أتاهم من نذير من قبله وذكرهم وحدهم لا ينفى من عداهم كما ان ذكر بعض الافراد لا ينفى العموم وقد تقدم ذكر الآيات والاحاديث المتواترة فى عموم بعثته صلى الله عليه وسلم عند قوله تعالى قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا وقوله تعالى لقد حق القول على أكثرهم قال ابن جرير لقد وجب العذاب على أكثرهم باذن الله تعالى قد حتم عليهم فى أم الكتاب انهم لا يؤمنون فهم لا يؤمنون بالله ولا يصدقون رسله (انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون انما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم انا نحن نحيى الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم

وكل شئ أحصيناه فى امام مبين) يقول تعالى انا جعلنا هؤلاء المختوم عليهم بالشقاء نسبتهم الى الوصول الى الهدى كنسبة من جعل فى عنقه غل فجمع يديه مع عنقه تحت ذقنه فارتفع رأسه فصار مقمحا ولهذا قال تعالى فهم مقمحون والمقمح هو الرافع رأسه كما قالت أم زرع فى كلامها واشرب فأتقمح أى اشرب فأروى وارفع رأسى تهنيئا وترويا واكتفى بذكر الغل فى العنق عن ذكر اليدين وان كانتا مرادتين كما قال الشاعر

فما أدرى اذا يممت أرضا * أريد الخير أيهما يلينى
أألخير الذى أنا أبتغيه * ام الشر الذى لا يأتلينى

منه مسموعا أدى على ما سمع فهو على هذا جمع شهيد مثل شريف واشراف ومعنى نصرهم يوم القيامة ان الله يجازيهم بأعمالهم فيدخلهم الجنة ويكرمهم بكراماته ويجازى الكفار بأعمالهم فيلعنهم ويدخلهم النار وهو معنى قوله (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) قرأ نافع والكوفيون بالتحتية وقرأ الجمهور تنفع بالفوقية والكل جائز فى اللغة وانما لم تنفعهم المعذرة لانها معذرة باطلة وتعلة داحضة وشبهة زائغة (ولهم اللعنة) أى البعد عن الرحمة (ولهم سوء الدار) اى النار (ولقد آتينا موسى الهدى) هذا من جملة ما قصه الله سبحانه قريبا من نصره لرسله اى آتيناه التوراة والنبوة كما فى قوله سبحانه انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور قال مقاتل الهدى من الضلالة يعنى التوراة (وأورثنا بنى اسرائيل) اى بعد ما كانوا فيه من الذل (الكتاب) أى التوراة والمعنى ان الله سبحانه لما انزل التوراة على موسى بقيت بعده فيهم وتوارثوها خلفا عن سلف وقيل المراد بالكتاب سائر الكتب المنزلة على أنبياء بنى اسرائيل بعد موت موسى (هدى وذكرى) اى لاجلهما وهاديا ومذكرا ومرشدا (لاولى الالباب) اى لاهل العقول السليمة ثم امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر على الاذى فقال (فاصبر) اى اصبر على اذى المشركين كما صبر من قبلك من الرسل قال الكلبى فنسخت آية القتال آية الصبر (ان وعد الله) الذى وعد رسله به (حق) لا خلف فيه ولا شك فى وقوعه كما فى قوله انا لننصر رسلنا وقوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون ثم امره الله سبحانه بالاستغفار لذنبه فقال (واستغفر لذنبك) قيل المراد ذنب امتك فهو على حذف مضاف وقيل المراد الصغائر عند من يجوزها على الانبياء وقيل هو مجرد تعبد له صلى الله عليه وآله وسلم بالاستغفار لزيادة الثواب وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر (وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار) اى دم على تنزيه الله متلبسا بحمده وقيل المراد الصلوات الخمس والعشى هو من بعد الزوال وفيه اربع صلوات والابكار من الفجر الى الزوال وفيه صلاة واحدة وقيل المراد صل فى الوقتين صلاة العصر وصلاة الفجر قاله الحسن وقتادة وقيل هما صلاتان ركعتان غدوة وركعتان عشية وذلك قبل ان تفرض الصلوات الخمس (ان الذين يجادلون) عام فى كل مجادل وان نزل فى مشركى مكة قاله ابو السعود (فى آيات الله) أى القرآن (بغير سلطان اتاهم) اى بغير حجة ظاهرة واضحة جاءتهم

فاكتفى بذكر الخبر عن ذكر الشر لما دل الكلام والسياق عليه وهكذا هذا لما كان الغل إنما يعرف فيما جمع اليدين مع العنق اكتفى بذكر العنق عن اليدين قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون قال هو كقوله عز وجل ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك يعني بذلك أن أيديهم موثقة إلى أعناقهم لا يستطيعون أن يبسطوها بخير وقال مجاهد فهم مقمحون قال رافعي رؤسهم وأيديهم موضوعة على أفواههم فهم مغلولون عن كل خير وقوله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سدا قال مجاهد عن الحق ومن خلفهم سدا قال مجاهد عن الحق فهم يترددون وقال قتادة في الضلالات وقوله تعالى فأغشيناهم أي أغشينا أبصارهم عن الحق فهم لا يبصرون وذاك لا ينتفعون بخير ولا يهتدون إليه قال ابن جرير وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقرأ فأعشيناهم بالعين المهملة من العشا وهو داء في العين وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم جعل الله تعالى هذا السد بينهم وبين الإسلام والإيمان فهم لا يخلصون إليه وقرأ إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ثم قال من منعه الله تعالى لا يستطيع وقال عكرمة قال أبو جهل لئن رأيت محمدا لأفعلن ولأفعلن فأنزلت إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا إلى قوله فهم لا يبصرون قال فكانوا يقولون هذا محمد فيقول أين هو أين هو لا يبصره رواه ابن جرير وقال محمد بن إسحق حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب قال قال أبو جهل وهم جلوس إن محمدا يزعم أنكم إن تابعتموه كنتم ملوكا فإذا متم بعثتم بعد موتكم وكانت لكم جنان خير من جنان الأردن وأنكم إن خالفتموه كان لكم منه ذبح ثم بعثتم بعد موتكم وكانت لكم نار تعذبون بها وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك وفي يده حفنة من تراب وقد أخذ الله تعالى على أعينهم دونه فجعل يذرها على رؤسهم ويقرأ يس والقرآن الحكيم حتى انتهى إلى قوله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته وباتوا رصداء على بابه حتى خرج عليهم بعد ذلك خارج من الدار فقال ما لكم قالوا ننتظر محمدا قال قد خرج عليكم فما بقي منكم من رجل إلا وضع على رأسه ترابا ثم ذهب لحاجته فجعل كل رجل منهم

من جهة الله سبحانه فيفيد المجادلة بذلك مع استحالة إتيانه للإيذان بأن المتكلم في أمر الدين لا بد من استناده إلى سلطان مبين (إن في صدورهم إلا كبر) أي ما في قلوبهم إلا تكبر عن الحق يحملهم على تكذيبك (ما هم ببالغيه) صفة لكبر قال الزجاج ببالغي إرادتهم فيه فجعله على حذف المضاف وقال غيره ببالغي كبرهم وقال ابن قتيبة كبر أي تكبر على محمد صلى الله عليه وآله وسلم وطمع أن يغلبوه وما هم ببالغي ذلك وقيل المراد بالكبر الأمر الكبير أي يطلبون النبوة ويطلبون أمرا كبيرا يصلون به إليك من القتل ونحوه ولا يبلغون ذلك وقال مجاهد معناه في صدورهم عظمة ما هم ببالغيها والمراد بهذه الآية المشركون وقيل اليهود عن أبي العالية قال إن اليهود أتوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا إن الدجال يكون منا في آخر الزمان ويكون من أمره فعظموا أمره وقالوا يصنع كذا ويصنع كذا فأنزل الله هذه الآية قال لا يبلغ الذي يقول فاستعذ بالله فأمر نبيه أن يتعوذ من فتنة الدجال لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الدجال أخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم قال السيوطي بسند صحيح وعن كعب الأحبار قال هم اليهود نزلت فيهم فيما ينتظرونه من أمر الدجال وقال مجاهد إلا كبر أي عظمة قريش ثم أمره الله سبحانه بأن يستعيذ بالله من شرورهم فقال (فاستعذ بالله) أي فالتجئ إليه من شرهم وكيدهم وبغيهم عليك (إنه هو السميع) لأقوالهم (البصير) بأفعالهم لا يخفى عليه من ذلك خافية ثم بين سبحانه عظيم قدرته فقال (لخلق السموات والأرض) ابتداء من غير سبق مادة (أكبر من خلق الناس) أي أعظم في النفوس وأجل في الصدور لعظم أجرامهما واستقرارهما من غير عمد وجريان الأفلاك بالكواكب من غير سبب وأشق بحسب عادة الناس في مزاولة الأفعال من أن علاج الشيء الكبير أشق من علاج الصغير وإن كان بالنسبة إلى الله لا تفاوت بين الصغير والكبير فكيف ينكرون البعث وإحياء ما هو دونهما من كل وجه كما في قوله أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم قال أبو العالية المعنى لخلق السموات والأرض أعظم من خلق الدجال حين عظمته اليهود وقال يحيى بن سلام هو احتجاج على منكري البعث أي هما أكبر من إعادة خلق الناس (ولكن أكثر الناس) أي كفار مكة (لا يعلمون) بعظم قدرة الله وأنه لا يعجزه شيء فهم كالأعمى ومن يعلمه كالبصير

ينفض ماعلى رأسه من التراب قال وقد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم قول أبي جهل فقال أنا أقول ذلك ان لهم مني لذبحا وانى لا آخذهم وقوله تبارك وتعالى وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون أي قد ختم الله عليهم بالضلالة فما يفيد فيهم الانذار ولا يتأثرون به وقد تقدم نظيرها في اول سورة البقرة وكما قال تبارك وتعالى ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم انما تنذر من اتبع الذكر أي انما ينتفع بانذارك المؤمنون الذين يتبعون الذكر وهو القرآن العظيم وخشي الرحمن بالغيب أي حيث لا يراه أحد الا الله تبارك وتعالى يعلم ان الله مطلع عليه وعالم بما يفعل فبشره بمغفرة أي لذنوبه وأجر كريم اى كثير واسع حسن جميل كما قال تبارك وتعالى ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير ثم قال عز وجل انا نحن نحيي الموتى أي يوم القيامة وفيه اشارة الى ان الله تعالى يحيي قلب من يشاء من الكفار الذين قد ماتت قلوبهم بالضلالة فيهديهم بعد ذلك الى الحق كما قال تعالى بعد ذكر قسوة القلوب اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون وقوله تعالى ونكتب ماقدموا أي من الاعمال وفي قوله تعالى وآثارهم قولان احدهما نكتب أعمالهم التي باشروها بأنفسهم وآثارهم التي أثروها من بعدهم فنجزيهم على ذلك أيضا ان خيرا فخير وان شرا فشر كقوله صلى الله عليه وسلم من سن في الاسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من أجورهم شيأ ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من أوزارهم شيأ رواه مسلم من رواية شعبة عن عون بن ابي جحيفة عن المنذر بن جرير عن ابيه جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه وفيه قصة مجتابي النمار المضريين ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن يحيى بن سليمان الجعفي عن أبي الحياء يحيى بن يعلى عن عبد الملك بن عمير عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه فذكر الحديث بطوله ثم تلا هذه الآية ونكتب ماقدموا وآثارهم وقد رواه مسلم من رواية أبي عوانة عن عبد الملك بن عمير بن المنذر بن جرير عن أبيه فذكره وهكذا الحديث الآخر الذي في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث من علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له أو صدقة جارية من بعده

وقد وردت أحاديث صحيحة كثيرة في ذكر الدجال وصفته وانذار الرسل منه لاممهم وخروجه في آخر الزمان ومايقع منه ومن تبعه من اليهود كما حققناه في حجج الكرامة في آثار القيامة وليس هذا موضع ذكرها وبسطها واليه ذهب جميع أهل السنة والمحدثين والفقهاء خلافا لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة وخلافا للجبائي وموافقيه في انه صحيح الوجود ولكن الاشياء التي يأتي بها زعم وانها مخاريق وخيالات لا حقائق لها والاخبار الصحيحة المتواترة تدفعه وترده ردا مشبعا ثم لما ذكر سبحانه الجدال بالباطل ذكر مثالا للباطل والحق وانهما لا يستويان فقال (وما يستوى الاعمى والبصير) اى الذي يجادل بالباطل والذي يجادل بالحق أو الغافل والمستبصر (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي ولا يستوي المحسن بالايمان والعمل الصالح (ولا المسيء) بالكفر والمعاصي وزيادة لا للتأكيد والتقابل يجيء على ثلاث طرق احداها ان يجاور المناسب ما يناسبه كهذه الآية والثانية أن يتأخر المتقابلان كقوله تعالى مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع والثالثة أن يقدم مقابل الاول ويؤخر مقابل الآخر كقوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور وكل ذلك تفنن في البلاغة وقدم الاعمى في نفي التساوي لمجيئه بعد صفة الذم في قوله ولكن أكثر الناس لا يعلمون (قليلا ما تتذكرون) بالتحتية على الغيبة لان قبلها وبعدها على الغيبة لا على الخطاب واختارها أبو عبيد وأبو حاتم وبالفوقية على الخطاب بطريقة الالتفات وفائدته في مقام التوبيخ اظهار العنف الشديد والانكار البليغ أفاده الكرخي (ان الساعة لآتية لا ريب فيها) أي لا شك في مجيئها وحصولها وقيامها لوضوح شواهدها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها ولانه لابد من جزاء لئلا يكون خلق الخلق للفناء خاصة (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) بذلك ولا يصدقونه لقصور أفهامهم وضعف عقولهم عن ادراك الحجة والمراد بأكثر الناس الكفار الذين ينكرون البعث ثم لما بين سبحانه ان قيام الساعة حق وليس بمرتاب فيها ولا شبهة في مجيئها أرشد عباده الى ماهو الوسيلة الى السعادة في دار الخلود فأمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يحكي عنه ما أمره بابلاغه وهو (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) قال أكثر المفسرين المعنى وحدوني واعبدوني

وقال سفيان الثوري عن أبي سعيد رضي الله عنه قال سمعت مجاهدا يقول في قوله تعالى إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم قال ما أورثوا من الضلالة وقال ابن لهيعة عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير في قوله تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم يعني ما أثروا يقول ما سنوا من سنة فعمل بها قوم من بعد موته فإن كان خيرا فله مثل أجورهم لا ينقص من أجر من عمل به شيئا وإن كانت شرا فعليهم مثل أوزارهم لا ينقص من أوزار من عمل به شيئا ذكرهما ابن أبي حاتم وهذا القول هو اختيار البغوي والقول الثاني أن المراد بذلك آثار خطاهم إلى الطاعة أو المعصية قال ابن أبي نجيح وغيره عن مجاهد ما قدموا أعمالهم وآثارهم قال خطاهم بأرجلهم وكذا قال الحسن وقتادة وآثارهم يعني خطاهم وقال قتادة لو كان الله عز وجل مغفلا شيئا من شأنك يا ابن آدم أغفل ما تعفي الرياح من هذه الآثار ولكن أحصى على ابن آدم أثره وعمله كله حتى أحصى هذا الأثر فيما هو من طاعة الله تعالى أو من معصيته فمن استطاع منكم أن يكتب أثره في طاعة الله تعالى فليفعل وقد وردت في هذا المعنى أحاديث الحديث الأول قال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا أبي حدثنا الجريري عن أبي نضرة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال خلت البقاع حول المسجد فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم إنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد قالوا نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك فقال صلى الله عليه وسلم يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم دياركم تكتب آثاركم وهكذا رواه مسلم من حديث سعيد الجريري وكهمس بن الحسن كلاهما عن أبي نضرة واسمه المنذر بن مالك بن قطعة العبدي عن جابر رضي الله عنه به الحديث الثاني قال ابن أبي حاتم حدثنا وقال محمد بن الوزير الواسطي حدثنا إسحاق الأزرق عن سفيان الثوري عن أبي سفيان عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال كانت بنو سلمة في ناحية من المدينة فأرادوا أن ينتقلوا إلى قريب من المسجد فنزلت إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم إن آثاركم تكتب فلا تنتقلوا تفرد بإخراجه الترمذي عند تفسير هذه

أتقبل عبادتكم وأغفر لكم وأحسن إليكم وأثيبكم وقيل هذا الوعد بالإجابة مقيد بالمشيئة أي أستجب لكم إن شئت كقوله فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وقيل المراد بالدعاء السؤال بجلب النفع ودفع الضر قيل الأول أولى لأن الدعاء في أكثر استعمالات الكتاب العزيز هو العبادة قلت بل الثاني أولى لأن معنى الدعاء حقيقة وشرعا هو الطلب فإن استعمل في غير ذلك فهو مجاز على أن الدعاء في نفسه باعتبار معناه الحقيقي هو عبادة بل مخ العبادة كما ورد بذلك الحديث الصحيح فالله سبحانه قد أمر عباده بدعائه ووعدهم بالإجابة ووعده الحق وما يبدل القول لديه ولا يخلف الميعاد وعن ابن عباس قال وحدوني أغفر لكم وقال جرير بن عبد الله اعبدوني وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدعاء الاستغفار أخرجه ابن مردويه وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من لم يدع الله يغضب عليه أخرجه أحمد والحاكم وابن أبي شيبة وعن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا ينفع حذر من قدر ولكن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم بالدعاء أخرجه أحمد وأبو يعلى والطبراني وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدعاء مخ العبادة أخرجه الترمذي والحكيم الترمذي في نوادر الأصول وعن ابن عباس قال أفضل العبادة الدعاء وقرأ هذه الآية وأخرج البخاري في الأدب عن عائشة قالت سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أي العبادة أفضل فقال دعاء المرء لنفسه ثم صرح سبحانه بأن هذا الدعاء باعتبار معناه الحقيقي وهو الطلب هو من عبادته فقال (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم) قرأ الجمهور بفتح الياء وضم الخاء وقرئ بالعكس منهما (داخرين) أي ذليلين صاغرين وهذا وعيد شديد لمن استكبر عن دعاء الله وفيه لطف بعباده عظيم وإحسان إليهم جليل حيث توعد من ترك طلب الخير منه واستدفاع الشر به بهذا الوعيد البالغ وعاقبه بهذه العقوبة العظيمة فيا عباد الله وجهوا رغباتكم وعولوا في كل طلباتكم على من أمركم بتوجيهها إليه وأرشدكم إلى التعويل عليه وكفل لكم الإجابة بإعطاء الطلبة فهو الكريم المطلق الذي يجيب دعوة الداعي إذا دعاه ويغضب على من لم يطلب من فضله العظيم وملكه الواسع ما يحتاجه من أمور الدنيا والدين وعن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدعاء هو العبادة ثم قرأ وقال ربكم ادعوني إلى قوله داخرين أخرجه الترمذي

الآية الكريمة عن محمد بن الوزير به ثم قال حسن غريب من حديث الثوري ورواه ابن جرير عن سليمان بن عمر بن خالد الرقي عن ابن المبارك عن سفيان الثوري عن طريف وهو ابن شهاب أبو سفيان السعدي عن أبي نضرة به وقد روي من غير طريق الثوري فقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عباد بن زياد الساجي حدثنا عثمان بن عمر حدثنا شعبة عن سعيد الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه قال ان بني سلمة شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد منازلهم من المسجد فنزلت ونكتب ما قدموا وآثارهم فأقاموا في مكانهم وحدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبد الأعلى حدثنا الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه وفيه غرابة من حيث ذكر نزول هذه الآية والسورة بكمالها مكية فالله أعلم الحديث الثالث قال ابن جرير حدثنا نصر بن علي الجهضمي حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت منازل الانصار متباعدة من المسجد وأرادوا ان ينتقلوا الى المسجد فنزلت ونكتب ما قدموا وآثارهم فقالوا نثبت مكاننا هكذا رواه ليس فيه شيء مرفوع ورواه الطبراني عن عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم عن محمد بن يوسف الفريابي عن اسرائيل عن سماك عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت الانصار بعيدة منازلهم من المسجد وأرادوا ان يتحولوا الى المسجد فنزلت ونكتب ما قدموا وآثارهم فثبتوا في منازلهم الحديث الرابع قال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثني حيي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال توفي رجل بالمدينة فصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا ليته مات في غير مولده فقال رجل من الناس ولم يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل اذا توفي في غير مولده قيس له من مولده الى منقطع أثره في الجنة ورواه النسائي عن يونس بن عبد الأعلى وابن ماجه عن حرملة كلاهما عن ابن وهب عن حيي بن عبد الله به وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا أبو تميلة حدثنا الحسين عن ثابت قال مشيت مع أنس رضي الله عنه فأسرعت المشي فأخذ بيدي فمشينا رويدا فلما قضينا الصلاة قال أنس مشيت مع زيد بن ثابت فأسرعت المشي فقال يا أنس أما شعرت ان الآثار تكتب وهذا القول لا ينافي

وقال حسن صحيح والبخاري في الادب وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب وأحمد وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وسعيد بن منصور والطبراني ثم ذكر سبحانه بعض ما أنعم به على عباده فقال (الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) من الحركات في طلب الكسب لكونه جعله مظلما باردا مناسبة الراحة الظاهرة بالسكون والنوم الذي هو الموت الاصغر والراحة الحقيقية بالعبادة التي هي الحياة الدائمة (والنهار مبصرا) أي مضيئا لتبصروا فيه حوائجكم وتتصرفوا في طلب معايشكم وهو من الاسناد المجازي أي مبصرا فيه لان الابصار في الحقيقة لاهل النهار (ان الله لذو فضل على الناس) يتفضل عليهم بنعمه التي لا تحصى ولم يقل لمفضل أو لمتفضل لان المراد تنكير الفضل وأن يجعل فضلا لا يوازيه فضل وذلك انما يكون بالاضافة (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) النعم ولا يعترفون بها اما لجحودهم لها وكفرهم بها كما هو شأن الكفار أو لاغفالهم للنظر واهمالهم لما يجب من شكر المنعم وهم الجاهلون ولم يقل ولكن أكثرهم حتى لا يتكرر ذكر الناس لان في هذا التكرير تخصيصا لكفران النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله ان الانسان لكفور وقوله ان الانسان لظلوم كفار (ذلكم) اي الفاعل المخصوص بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية (الله ربكم خالق كل شئ لا اله الا هو) بين سبحانه في هذا كمال قدرته المقتضية لوجوب توحيده (فأنى تؤفكون) أي فكيف تنقلبون عن عبادته وتنصرفون عن توحيده وتنصرفون عن الايمان مع قيام البرهان (كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون) أي مثل ذلك الافك يؤفك الجاحدون لآيات الله المنكرون لتوحيده ثم ذكر لهم سبحانه نوعا آخر من نعمه التي أنعم بها عليهم مع ما في ذلك من الدلالة على كمال قدرته وتفرده بالالهية فقال (الله الذي جعل لكم الارض قرارا) أي موضع قرار مع كونها في غاية الثقل ولا ممسك لها سوى قدرة الله وفيها تعيشون وفيها تموتون (والسماء بناء) أي سقفا قائما ثابتا مع كونها أولا كدائرة نجوم طول الزمان سائرة ينشأ عنها الليل والنهار والاظلام والاضاءة ثم بين بعض نعمه المتعلقة بأنفس العباد فقال (وصوركم فأحسن صوركم) أي خلقكم في أحسن صورة لم يخلق حيوانا بأحسن منكم وقيل لم يخلقكم

سنة وبين الأول بل في هذا تنبيه ودلالة على ذلك بطريق الأولى والأحرى فإنه إذا كانت هذه الآثار تكتب فلأن تكتب تلك التي فعلوها بأنفسهم من خير أو شر بطريق الأولى والله أعلم. وقوله تعالى وكل شيء أحصيناه في إمام مبين أي وجميع الكائنات مكتوب في كتاب مسطور مضبوط في لوح محفوظ والإمام المبين ههنا هو أم الكتاب قاله مجاهد وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وكذا في قوله تعالى يوم ندعو كل أناس بإمامهم أي بكتاب أعمالهم الشاهد عليهم بما عملوه من خير أو شر كما قال عز وجل ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقال تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا (واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون وما علينا إلا البلاغ المبين) يقول تعالى واضرب يا محمد لقومك الذين كذبوك مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون قال ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس رضي الله عنهما وكعب الأحبار ووهب بن منبه إنها مدينة أنطاكية وكان بها ملك يقال له أنطيخس بن أنطيخس وكان يعبد الأصنام فبعث الله تعالى إليه ثلاثة من الرسل وهم صادق وصدوق وشلوم فكذبهم وهكذا روي عن بريدة بن الحصيب وعكرمة وقتادة والزهري أنها أنطاكية وقد استشكل بعض الأئمة كونها أنطاكية بما سنذكره بعد تمام القصة إن شاء الله تعالى وقوله تعالى إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما أي بادروهما بالتكذيب فعززنا بثالث أي قويناهما وشددنا أزرهما برسول ثالث قال ابن جرير عن وهب بن سليمان عن شعيب الجبائي قال كان اسم الرسولين الأولين شمعون ويوحنا واسم الثالث بولص والقرية أنطاكية فقالوا أي لأهل تلك القرية إنا إليكم مرسلون أي من ربكم الذي خلقكم يأمركم بعبادته وحده لا شريك له قاله أبو العالية وزعم قتادة بن دعامة أنهم كانوا رسل المسيح عليه السلام إلى أهل أنطاكية قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا أي فكيف أوحي إليكم وأنتم بشر ونحن بشر فلم لا أوحي إلينا مثلكم ولو كنتم رسلا لكنتم ملائكة وهذه شبهة كثير من الأمم المكذبة كما أخبر

منكوسين كالبهائم فقيل خلق ابن آدم قائما معتدلا يأكل ويتناول بيده وغيره يتناول بفمه وقال الزجاج خلقكم أحسن الحيوان كله قرأ الجمهور صوركم بضم الصاد وقرأ الأعمش وأبو رزين بكسرها قال الجوهري والصور بكسر الصاد لغة في الصور جمع صورة (ورزقكم من الطيبات) أي المستلذات من المآكل والمشارب بخلاف رزق الدواب (ذلكم) المنعوت بهذه النعوت الجليلة (الله ربكم فتبارك الله رب العالمين) أي كثر خيره وبركته (هو الحي لا إله إلا هو) أي الباقي الذي لا يفنى المنفرد بالألوهية وهذا التركيب يفيد الحصر وفيه إشارة إلى العلم التام والقدرة التامة الكاملة (فادعوه) أي اعبدوه (مخلصين له الدين) أي الطاعة والعبادة من الشرك (الحمد لله رب العالمين) قال الفراء هو خبر وفيه إضمار أمر أي احمدوه وعن ابن عباس قال من قال لا إله إلا الله فليقل على إثرها الحمد لله رب العالمين وذلك قوله فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين وعلى هذا هو من كلام المأمورين بالعبادة ويجوز أن يكون من كلامه تعالى على أنه استئناف لحمده لذاته ثم أمر الله سبحانه رسوله أن يخبر المشركين بأن الله نهاه عن عبادة غيره وأمره بالتوحيد فقال (قل) لهم ردا عليهم فيما طلبوه منه وهو عبادة آلهتهم (إني نهيت) نهيا قاطعا ببراهين العقول وبما جاءنا من أدلة المنقول (أن أعبد الذين تدعون) أي تعبدون (من دون الله) وهي الأصنام ثم بين وجه النهي فقال (لما جاءني البينات من ربي) وهي الأدلة العقلية والنقلية فإنها توجب التوحيد (وأمرت أن أسلم لرب العالمين) أي أستسلم له بالانقياد والخضوع أو الإخلاص ثم أردف هذا بذكر دليل من الأدلة الدالة على التوحيد فقال (هو الذي خلقكم) أي خلق أباكم الأول وهو آدم وخلقه (من تراب) يستلزم خلق ذريته منه (ثم من نطفة ثم من علقة) قد تقدم تفسير هذا في غير موضع (ثم يخرجكم طفلا) أي أطفالا وأفرده لكونه اسم جنس أو على معنى يخرج كل واحد منكم طفلا (ثم لتبلغوا أشدكم) وهي الحالة التي تجتمع فيها القوة والعقل من الثلاثين سنة إلى الأربعين وقد سبق أن الأشد مستوفى في الأنعام والمقدر لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا غاية الكمال (ثم لتكونوا شيوخا) بضم الشين وكسرها سبعيتان وقرئ شيخا على الإفراد كقوله طفلا والشيخ من جاوز أربعين سنة وهي آخر مراتب الإنسان بعد خروجه من بطن أمه

ثلاث

ثلاث الطفولية وهي حالة النمو والزيادة الى ان يبلغ كمال الاشد من غير ضعف ثم يتناقص بعد الشيوخة (ومنكم من يتوفى من قبل) أى من قبل الاشد ومن قبل الشيوخة (ولتبلغوا) جميعا (أجلا مسمى) أى وقت الموت أو يوم القيامة واللام هي لام التعليل أو العاقبة (ولعلكم تعقلون) أى لكي تعقلوا توحيد ربكم وقدرته البالغة في خلقكم على هذه الاطوار المختلفة الى الاجل المذكور (هو الذي يحيي ويميت) أى يقدر على الاحياء والاماتة (فاذا قضى أمرا) من الامور التي يريدها (فانما يقول له كن فيكون) من غير توقف على شيء من الاشياء أصلا وهذا تمثيل لتأثير قدرته في المقدورات عند تعلق ارادته بها وتصوير لسرعة ترتب المكونات على تكوينه من غير أن يكون هناك آمر ومأمور والفاء الاولى للدلالة على ان ما بعدها من نتائج ما قبلها من اختصاص الاحياء والاماتة به سبحانه وتعالى قاله أبو السعود وقد تقدم تحقيق معناه في البقرة وفيما بعدها (ألم تر الى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون) تعجيب من أحوالهم الشنيعة وآرائهم الركيكة وتمهيد لما يعقبه من بيان تكذيبهم بكل القرآن وبسائر الكتب والشرائع وترتيب الوعيد على ذلك كما ان ما سبق من قوله تعالى ان الذين يجادلون في آيات الله الخ بيان لابتناء جدالهم على مبنى فاسد لا يكاد يدخل تحت الوجود هو الامنية الفارغة فلا تكرار فيه أى انظر الى هؤلاء المكابرين المجادلين في آياته تعالى الواضحة الموجبة للايمان بها الزاجرة عن الجدال فيها كيف يصرفون عنها مع تعاضد الدواعي الى الاقبال عليها وانتفاء الصوارف عنها بالكلية وقيام الادلة الدالة على صحتها وانها في أنفسها موجبة للتوحيد قاله أبو السعود وقال النسفي ذكر الجدال في هذه السورة في ثلاثة مواضع فجاز أن يكون في ثلاثة أقوام أو ثلاثة أصناف وللتأكيد انتهى قال ابن زيد هم المشركون بدليل قوله الآتي الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا قال القرطبي وقال أكثر المفسرين نزلت في القدرية قال ابن سيرين ان لم تكن هذه الآية نزلت في القدرية فلا أدري فيمن نزلت ويجاب عن هذا بان الله سبحانه قد وصف هؤلاء بصفة تدل على غير ما قالوه فقال (الذين كذبوا بالكتاب) وهذا وصف لا يصح أن يطلق على فرقة من فرق الاسلام والمراد بالكتاب اما القرآن أو جنس الكتب المنزلة من عند الله والموصول اما في محل جر على انه نعت للموصول الاول أو بدل منه ويجوز أن يكون في محل نصب على

الله تعالى عنهم في قوله عز وجل ذلك بانه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا أى استعجبوا من ذلك وانكروه وقوله تعالى قالوا ان أنتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين وقوله تعالى حكاية عنهم في قول جل وعلا ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون وقوله تعالى وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا ولهذا قال هؤلاء ما أنتم الا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء ان أنتم الا تكذبون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون أى أجابتهم رسلهم الثلاثة قائلين الله يعلم انا رسله اليكم ولو كنا كذبة عليه لانتقم منا أشد الانتقام ولكنه سيعزنا وينصرنا عليكم وستعلمون لمن تكون عاقبة الدار كقوله تعالى قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات والارض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون وما علينا الا البلاغ المبين يقولون انما علينا أن نبلغكم ما أرسلنا به اليكم فاذا أطعتم كانت لكم السعادة في الدنيا والآخرة وان لم تجيبوا فستعلمون غب ذلك والله أعلم (قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون) فعند ذلك قال لهم أهل القرية انا تطيرنا بكم أى لم نر على وجوهكم خيرا في عيشنا وقال قتادة يقولون ان أصابنا شر فانما هو من أجلكم وقال مجاهد يقولون لم يدخل مثلكم الى قرية الا عذب أهلها لئن لم تنتهوا لنرجمنكم قال قتادة بالحجارة وقال مجاهد بالشتم وليمسنكم منا عذاب أليم أى عقوبة شديدة فقالت لهم رسلهم طائركم معكم أى مردود عليكم كقوله في قوم فرعون فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه الا انما طائرهم عند الله وقال قوم صالح اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله وقال قتادة ووهب بن منبه أى أعمالكم معكم وقال عز وجل وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا وقوله تعالى أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون أى من أجل انا ذكرناكم وأمرناكم بتوحيد الله تعالى واخلاص العبادة له قابلتمونا بهذا الكلام وتوعدتمونا وتهددتمونا بل أنتم قوم مسرفون وقال قتادة أى ان ذكرناكم بالله تطيرتم بنا بل أنتم قوم مسرفون (وجاء من أقصى المدينة

رجل يسعى قال ياقوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون ومالي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون أأتخذ من دونه آلهة ان يردني الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيأ ولا ينقذون اني اذا لفي ضلال مبين اني آمنت بربكم فاسمعون) قال ابن اسحق فيما بلغه عن ابن عباس رضي الله عنهما وكعب الاحبار ووهب بن منبه ان أهل القرية هموا بقتل رسلهم فجاءهم رجل من أقصى المدينة يسعى أي لينصرهم من قومه قالوا وهو حبيب وكان يعمل الحرير وهو الحبال وكان رجلا سقيما قد أسرع فيه الجذام وكان كثير الصدقة يتصدق (٢١٦) بنصف كسبه مستقيم الفطرة وقال ابن اسحق عن رجل سماه عن الحكم

عن مقسم أو عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اسم صاحب يس حبيب وكان الجذام قد أسرع فيه وقال الثوري عن عاصم الاحول عن أبي مجلز كان اسمه حبيب بن مري وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اسم صاحب يس حبيب النجار فقتله قومه وقال السدي كان قصارا وقال عمر بن الحكم كان اسكافا وقال قتادة كان يتعبد في غار هناك قال ياقوم اتبعوا المرسلين يحض قومه على اتباع الرسل الذين أتوهم اتبعوا من لا يسألكم أجرا أي على ابلاغ الرسالة وهم مهتدون فيما يدعونكم اليه من عبادة الله وحده لا شريك له ومالي لا أعبد الذي فطرني أي وما يمنعني من اخلاص العبادة للذي خلقني وحده لا شريك له واليه ترجعون أي يوم المعاد فيجازيكم على أعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر أأتخذ من دونه آلهة استفهام انكار وتوبيخ وتقريع ان يردني الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيأ ولا ينقذون أي هذه الآلهة التي تعبدونها من دونه لا يملكون من الامر شيأ فان الله تعالى لو أرادني بسوء فلا كاشف له الا هو وهذه الاصنام لا تملك دفع ذلك ولا منعه ولا ينقذوني مما أنا فيه اني اذا لفي ضلال مبين أي ان اتخذتها آلهة من دون الله وقوله تعالى اني آمنت بربكم فاسمعون قال ابن اسحق فيما بلغه عن ابن عباس رضي الله عنهما وكعب ووهب يقول لقومه اني آمنت بربكم الذي كفرتم به فاسمعون أي فاسمعوا قولي ويحتمل ان يكون خطابه للرسل بقوله اني آمنت بربكم أي الذي أرسلكم فاسمعون أي فاشهدوا لي بذلك عنده وقد حكاه ابن جرير فقال وقال آخرون بل خاطب بذلك الرسل وقال لهم اسمعوا

الدم و عنا أرسلنا به رسلنا معطوف على قوله بالكتاب ويراد به ما يوحى الى الرسل من غير كتاب ان كانت اللام في الكتاب للجنس أو سائر الكتب ان كان المراد بالكتاب القرآن (فسوف يعلمون) عاقبة أمرهم و بال كفرهم وفي هذا وعيد شديد والظرف في قوله (اذ الاغلال في أعناقهم) متعلق بيعلمون أي فسوف يعلمون وقت كون الاغلال في أعناقهم أو اذكر لهم وقت الاغلال ليخافوا وينزجروا (والسلاسل) جمع سلسلة معروفة قال الراغب تسلسل الشئ اضطرب كأنه تصور منه تسلسل متردد فتردد لفظه تنبيه على تردد معناه وماء سلسل متردد في مقره معطوف على الاغلال والتقدير اذ الاغلال والسلاسل في أعناقهم و يجوز ان يرتفع السلاسل على انه مبتدأ وخبره محذوف لدلالة في أعناقهم عليه ويجوز ان يكون خبره (يسحبون في الحميم) بحذف العائد أي يسحبون بها في الحميم وهذا على قراءة الجمهور برفع السلاسل وقرئ بنصبها وبفتح الياء من يسحبون على البناء للفاعل فيكون السلاسل مفعولا مقدما وقرئ بجر السلاسل قال الفراء وهذه القراءة محمولة على المعنى اذ المعنى أعناقهم في الاغلال والسلاسل وقال الزجاج المعنى على هذه القراءة وفي السلاسل يسحبون واعترضه ابن الانباري بان ذلك لا يجوز في العربية والسحب الجر بعنف والسحاب من ذلك لان الريح يجره أو لانه يجر الماء والحميم هو المتناهي في الحر وقيل الصديد وقيل جهنم وقيل الماء الحار الذي كسب الوجوه سوادا والاعراض عارا والارواح عذابا والاجسام نارا وقد تقدم تفسيره قال ابن عباس يسحبون في الحميم فينسلخ كل شئ عليهم من جلد ولحم وعرق حتى يصير في عنقه حتى ان لحمه قدر طوله وطوله ستون ذراعا ثم يكسى جلدا آخر ثم يسجر في الحميم (ثم في النار يسجرون) يقال سجرت التنور أي أوقدته وسجرته ملأته بالوقود ومنه والبحر المسجور أي المملوء فالمعنى توقد بهم النار أو تملأ بهم والمراد انهم يعذبون بانواع العذاب و ينقلون من باب الى باب قال مجاهد ومقاتل توقد بهم النار فصاروا وقودها عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ الاغلال الى قوله يسجرون ويقال لو أن رصاصة مثل هذه وأشار الى جمجمة أرسلت من السماء الى الارض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو انها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل ان تبلغ أصلها أو قال قعرها أخرجه أحمد والترمذي وحسنه والحاكم وصححه

قولي لتشهدوا الي بما أقول لكم عند ربي اني آمنت بربكم واسمعكم وهذا القول الذي حكاه عن هؤلاء أظهر في المعنى والله أعلم
قال ابن اسحق فيما بلغه عن ابن عباس رضي الله عنهما وكعب ووهب رضي الله عنهم فلما قال ذلك وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه ولم يكن له أحد يمنع عنه وقال قتادة جعلوا يرجمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون فلم يزالوا به حتى أقعصوه وهو يقول كذلك فقتلوه رحمه الله (قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين ان كانت الا صيحة

واحدة فاذا هم خامدون) قال محمد بن اسحق عن بعض أصحابه عن ابن مسعود رضي الله عنه انهم وطئوه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقال الله له ادخل الجنة فدخلها فهو يرزق فيها قد أذهب الله عنه سقم الدنيا وحزنها ونصبها وقال مجاهد قيل لحبيب النجار ادخل الجنة وذلك انه قتل فوجبت له فلما رأى الثواب قال يا ليت قومي يعلمون قال قتادة لا تلقى المؤمن الا ناصحا لا تلقاه غاشا لما عاين ما عاين من كرامة الله تعالى قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين تمنى والله أن يعلم قومه بما عاين من كرامة الله وما هم عليه وقال ابن عباس نصح قومه في حياته بقوله يا قوم اتبعوا المرسلين وبعد مماته في قوله يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين رواه ابن أبي حاتم وقال سفيان الثوري عن عاصم الاحول عن أبي مجلز بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين بايماني بربي وتصديقي المرسلين ومقصوده انهم لو اطلعوا على ما حصل لي من هذا الثواب والجزاء والنعيم المقيم لقادهم ذلك الى اتباع الرسل فرحمه الله ورضي عنه فلقد كان حريصا على هداية قومه قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عبيد الله حدثنا ابن جابر هو محمد عن عبد الملك يعني ابن عمير قال قال عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم ابعثني الى قومي ادعوهم الى الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني أخاف ان يقتلوك فقال لو وجدوني نائما ما أيقظوني فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق فانطلق فمر على اللات والعزى فقال لأصبحنك غدا بما يسوءك فغضبت ثقيف فقال يا معشر ثقيف ان اللات لا لات وان العزى لا عزى أسلموا تسلموا يا معشر الاحلاف ان العزى لا عزى وان اللات لا لات

وابن مردويه والبيهقي في البعث والنشور (ثم قيل لهم) أي قال لهم وصيغة الماضي للدلالة على التحقق (أين ما كنتم تشركون) من دون الله هذا توبيخ وتقريع لهم أي أين الشركاء الذين كنتم تعبدونهم من دون الله وهي الاصنام وغيرها أو ترسم أين موصولة بما كما أشار اليه ابن الجزري (قالوا ضلوا عنا) أي يقولون ذهبوا وغابوا وفقدناهم فلا نراهم ثم أضربوا عن ذلك وانتقلوا الى الاخبار بعدمهم وانه لا وجود لهم فقالوا (بل لم نكن ندعو من قبل شيأ) أي لم نكن نعبد شيأ قالوا هذا لما تبين لهم ما كانوا فيه من الضلالة والجهالة وانهم كانوا يعبدون ما لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وليس هذا انكارا منهم لوجود الاصنام التي كانوا يعبدونها بل اعتراف منهم بان عبادتهم اياها كانت باطلة كقولك حسبته شيأ فلم يكن كذلك وقال الحلبي أنكروا عبادتهم اياها اهـ وهذا المعنى بعيد بعد مقام الحساب والعرض على رب العالمين (كذلك) الضلال الفظيع (يضل الله الكافرين) حيث عبدوا هذه الاصنام التي أوصلتهم الى النار (ذلكم) أي ذلك الاضلال المدلول عليه بالفعل أو العذاب (بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق) أي تظهرون في الدنيا من الفرح بمعاصي الله والسرور بمخالفة رسله وكتبه وقيل بما كنتم تفرحون به من المال والاتباع والصحة وقيل من انكار البعث والعذاب وقيل المراد بالفرح هنا البطر والتكبر (وبما كنتم تمرحون) المراد بالمرح الزيادة في البطر وقال مجاهد وغيره تبطرون وتأشرون وقال الضحاك الفرح السرور والمرح العدوان وقال مقاتل المرح البطر والخيلاء وقيل المرح أشد من الفرح (ادخلوا أبواب جهنم) السبعة المقسومة لكم قال تعالى لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم حال كونكم (خالدين فيها) أي مقدرين الخلود فيها (فبئس مثوى) أي مأوى (المتكبرين) عن قبول الحق جهنم وكان الظاهر ان يقال مدخل وعبر عنه بالمثوى لكون دخولهم بطريق الخلود قاله أبو السعود وقال السمين لم يقل مدخل لان الدخول لا يدوم وانما يدوم الثواء فلذلك خصه بالذم وان كان الدخول أيضا مذموما ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر تسلية له فقال (فاصبر ان وعد الله) أي وعده بالانتقام منهم (حق) كائن لا محالة اما في الدنيا أو في الآخرة ولهذا قال (فاما نرينك بعض الذي نعدهم) من العذاب في الدنيا بالقتل والاسر

والمهر وما زائدة عند المبرد والزجاج والأصل بزك وخفف بالعطف دون التأكيد (أو نذيقنك) معطوف على نرينك أي قبل إنزال العذاب بهم (فإلينا يرجعون) يوم القيامة فنعذبهم أشد العذاب (ولقد أرسلنا رسلاً) وأنبياء (من قبلك) إلى أممهم (منهم من قصصنا عليك) أي أنبأناك بأخبارهم في القرآن وما لقوه من قومهم وهم خمسة وعشرون (ومنهم من لم نقصص عليك) فمنهم من لم نخبره ولا أوصلنا إليك علم ما كان بينه وبين قومه وعن علي بن أبي طالب في الآية قال بعث الله عبداً حبشياً فهو ممن لم يقصص على محمد صلى الله عليه وسلم عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله كم عدة الأنبياء قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً الرسل من ذلك ثلثمائة وخمسة عشر جماً غفيراً أخرجه أحمد وعبد بن حميد في الكشاف نقل (وما كان) أي ما صح وما استقام (لرسول) منهم (أن يأتي بآية) أي معجزة دالة على نبوته (إلا بإذن الله) لا من قبل نفسه فإن المعجزات عطايا قسمها الله تعالى بينهم على ما اقتضته حكمته كسائر القسم ليس لهم اختيار في إيثار بعضها والاستبداد بإتيان المقترح منها عليهم عند تعنتهم (فإذا جاء أمر الله) أي الوقت المعين لعذابهم في الدنيا وفي الآخرة (قضي بالحق) فيما بين الرسل ومكذبيها فنجى الله بقضائه الحق عباده المحسنين (وخسر هنالك) أي في ذلك الوقت (المبطلون) الذين يتبعون الباطل ويعملون به وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك ختمه بقوله المبطلون وختم السورة بقوله الكافرون لأن الأول متصل بقوله قضي بالحق ونقيض الحق هو الباطل والثاني متصل بإيمان غير نافع ونقيض الإيمان الكفر أفاده الكرخي ثم امتن الله سبحانه على عباده بنوع من أنواع نعمه التي لا تحصى فقال (الله الذي جعل لكم الأنعام) أي خلقها لأجلكم قال الزجاج الأنعام هنا الإبل خاصة وقيل الأزواج الثمانية والأول هو الظاهر لأنها هي التي توجد فيها المنافع الآتية كلها وقوله (لتركبوا منها) تفصيل لهذا الإجمال ومن للتبعيض وكذلك في قوله (ومنها تأكلون) أو لابتداء الغاية في الموضعين ومعناها ابتداء الركوب وابتداء الأكل والأول أولى والمعنى لتركبوا بعضها وتأكلوا بعضها (ولكم فيها منافع) أخر غير الركوب والأكل من الوبر والصوف والشعر والزبد والسمن والجبن والدر والنسل وغير ذلك (ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم) قال مجاهد

أبوا أن يسلموا قال ذلك ثلاث مرات فرماه رجل فأصاب أكحله فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا مثله كمثل صاحب يس قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين وقال محمد بن إسحق عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم أنه حدث عن كعب الأحبار أنه ذكر له حبيب بن زيد بن عاصم أخو بني مازن بن النجار الذي كان مسيلمة الكذاب قطعه باليمامة حين جعل يسأله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول له أتشهد أن محمداً رسول الله فيقول نعم ثم يقول أتشهد أني رسول الله فيقول لا أسمع فيقول له مسيلمة لعنه الله أتسمع هذا ولا تسمع ذاك فيقول نعم فجعل يقطعه عضواً عضواً كلما سأله لم يزده على ذلك حتى مات في يديه فقال كعب حين قيل له اسمه حبيب وكان والله صاحب يس اسمه حبيب وقوله تبارك وتعالى وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين يخبر تعالى أنه انتقم من قومه بعد قتلهم إياه غضباً منه تبارك وتعالى عليهم لأنهم كذبوا رسله وقتلوا وليه ويذكر عز وجل أنه ما أنزل عليهم وما احتاج في إهلاكه إياهم إلى إنزال جند من الملائكة عليهم بل الأمر كان أيسر من ذلك قاله ابن مسعود فيما رواه ابن إسحق عن بعض أصحابه أنه قال في قوله تعالى وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين أي ما كاثرناهم بالجموع الأمر كان أيسر علينا من ذلك إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون قال فأهلك الله تعالى ذلك الملك وأهل أنطاكية فبادوا عن وجه الأرض فلم تبق منهم باقية وقيل وما كنا منزلين أي وما كنا ننزل الملائكة على الأمم إذا أهلكناهم بل نبعث عليهم عذاباً يدمرهم وقيل المعنى في قوله تعالى وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء أي من رسالة أخرى إليهم قاله مجاهد وقتادة قال قتادة فلا والله ما عاتب الله قومه بعد قتله إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون قال ابن جرير والأول أصح لأن الرسالة لا تسمى جنداً قال المفسرون بعث الله تعالى إليهم جبريل عليه الصلاة والسلام فأخذ بعضادتي باب المدينة ثم صاح بهم صيحة واحدة فإذا هم خامدون عن آخرهم لم يبق فيهم روح تتردد في جسد وقد تقدم عن كثير من السلف أن هذه القرية هي أنطاكية وأن هؤلاء الثلاثة كانوا رسلاً من عند المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام كما نص عليه قتادة وغيره وهو الذي لم يذكر عن واحد من متأخري المفسرين غيره ومقاتل

وفى ذلك نظر من وجوه أحدها ان ظاهر القصة يدل على ان هؤلاء كانوا رسل الله عز وجل لا من جهة المسيح عليه السلام كما قال تعالى اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون الى ان قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ المبين ولو كان هؤلاء من الحواريين لقالوا عبارة تناسب انهم من عند المسيح عليه السلام والله تعالى أعلم ثم لو كانوا رسل المسيح لما قالوا لهم ان أنتم الا بشر مثلنا الثانى ان أهل انطاكية آمنوا برسل المسيح اليهم وكانوا أول مدينة آمنت بالمسيح ولهذا كانت عند النصارى احدى المدائن الاربعة اللاتى فيهن بتاركة وهى القدس لانها بلد المسيح وانطاكية لانها أول بلدة آمنت بالمسيح عن آخر أهلها والاسكندرية لان فيها اصطلحوا على اتخاذ البتاركة والمطارنة والاساقفة والقساوسة والشمامسة والرهابين ثم رومية لانها مدينة الملك قسطنطين الذى نصر دينهم وأطده ولما ابتنى القسطنطينية نقلوا البترك من رومية اليها كما ذكره غير واحد ممن ذكر تواريخهم كسعيد بن بطريق وغيره من أهل الكتاب والمسلمين فاذا تقرر أن انطاكية أول مدينة آمنت فأهل هذه القرية ذكر الله تعالى انهم كذبوا رسله وانه أهلكهم بصيحة واحدة أخمدتهم والله أعلم الثالث ان قصة انطاكية مع الحواريين أصحاب المسيح بعد نزول التوراة وقد ذكر أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه وغير واحد من السلف ان الله تبارك وتعالى بعد انزاله التوراة لم يهلك أمة من الامم عن آخرهم بعذاب يبعثه عليهم بل أمر المؤمنين بعد ذلك بقتال المشركين ذكروه عند قوله تبارك وتعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى فعلى هذا يتعين ان أهل هذه القرية المذكورة فى القرآن قرية أخرى غير انطاكية كما أطلق ذلك غير واحد من السلف أيضا أو تكون انطاكية ان كان لفظها محفوظا فى هذه القصة مدينة أخرى غير هذه المشهورة المعروفة فان هذه لم يعرف انها أهلكت لا فى الملة النصرانية ولا قبل ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم وأما الحديث الذى رواه الحافظ أبو القاسم الطبرانى حدثنا الحسين بن اسحق التسترى حدثنا الحسين بن أبى السرى العسقلانى حدثنا حسين الاشقر حدثنا ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال السبق ثلاثة فالسابق الى موسى عليه الصلاة والسلام يوشع بن نون والسابق الى عيسى عليه

وقال مقاتل وقتادة تحمل أثقالكم من بلد الى بلد وقد تقدم بيان هذا مستوفى فى سورة النحل (وعليها وعلى الفلك تحملون) أى على الابل فى البر وعلى السفن فى البحر وقيل المراد بالحمل على الانعام هنا حمل الولدان والنساء فى الهوادج وهو السر فى فصله عن الركوب وفى الجمع بينها وبين الفلك من المناسبة التامة حتى سميت سفائن البر ونظير هذه الآية قوله تعالى فى سورة النحل والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع الآية لكن هذه أجمع منها (ويريكم آياته) أى دلالاته الدالة على كمال قدرته ووحدانيته (فأى) آية من (آيات الله تنكرون) فانها كلها من الظهور وعدم الخفاء بحيث لا ينكرها منكر ولا يجحدها جاحد وفيه تقريع لهم وتوبيخ عظيم وتذكير أى أشهر من تأنيثه ولذلك لم يقل فأية آيات الله لان التفرقة بين المذكر والمؤنث فى الاسماء الجامدة نحو حمار وحمارة غريب وهى فى أى أغرب لابهامها ونصب أى بتنكرون وانما قدم على العامل فيه لان له صدر الكلام ثم أرشدهم سبحانه الى الاعتبار والتفكر فى آيات الله فقال (أفلم يسيروا فى الارض) أى فى أطرافها ونواحيها (فينظروا) بأبصارهم وبصائرهم (كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من الامم التى عصت الله وكذبت رسلها فان الآثار الموجودة فى ديارهم تدل على ما نزل بهم من العقوبة وما صاروا اليه من سوء العاقبة ثم بين سبحانه ان تلك الامم كانوا فوق هؤلاء فى الكثرة والقوة فقال (كانوا أكثر منهم عددا وأشد قوة) أى أقوى منهم أجسادا وأوسع منهم أموالا (و) أظهر منهم (آثارا فى الارض) بالعمائر والمصانع والقصور والصهاريج والحرث (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) يجوز أن تكون ما الاولى نافية واستفهامية منصوبة بأغنى والثانية موصولة أو مصدرية مرفوعة به أى لم يغن عنهم أو أى شئ أغنى عنهم كسبهم أو مكسوبهم (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات) أى بالحجج الواضحات والمعجزات الظاهرات (فرحوا بما عندهم من العلم) أى أظهر الكفار الفرح بما عندهم مما يدعون انه من العلم من الشبه الداحضة والدعاوى الزائغة والفنون الفاسدة والعلوم الكاسدة وسماه علما تهكما بهم أو على ما يعتقدونه وقال مجاهد قالوا نحن أعلم منهم لن نعذب ولن نبعث وقيل المراد من العلم علم أحوال الدنيا لا الدين كما فى قوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا قال النسفى أو علم الفلاسفة والدهريين فانهم كانوا اذا سمعوا بوحى الله دفعوه وصغروا علم الانبياء الى علمهم وعن سقراط انه سمع بموسى وقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم

الصلاة والسلام صاحب يس والسابق إلى محمد صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإنه حديث منكر لا يعرف إلا من
طريق حسين الأشقر وهو شيعي متروك والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب (يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به
يستهزؤون ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون وإن كل لما جميع لدينا محضرون) قال علي بن طلحة عن ابن
عباس في قوله تعالى يا حسرة على العباد أي يا ويل العباد وقال قتادة يا حسرة على العباد أي يا حسرة العباد على أنفسهم على
ما ضيعت من أمر الله وفرطت في جنب الله (٢٢٠) وفي بعض القراءات يا حسرة العباد على أنفسها ومعنى هذا يا حسرتهم
وندامتهم يوم القيامة إذا عاينوا
العذاب كيف كذبوا رسل الله
وخالفوا أمر الله فإنهم كانوا في
الدار الدنيا المكذبون منهم ما يأتيهم
من رسول إلا كانوا به يستهزؤون أي
يكذبونه ويستهزؤون به ويجحدون
ما أرسل به من الحق ثم قال تعالى
ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من
القرون أنهم إليهم لا يرجعون أي
ألم يتعظوا بمن أهلك الله قبلهم من
المكذبين للرسل كيف لم يكن لهم
إلى هذه الدنيا كرة ولا رجعة ولم يكن
الأمر كما زعم كثير من جهلتهم
وفجرتهم من قولهم إن هي إلا حياتنا
الدنيا نموت ونحيا وهم القائلون
بالدور من الدهرية وهم الذين يعتقدون
جهلا منهم أنهم يعودون إلى الدنيا
كما كانوا فيها فرد الله تبارك وتعالى
عليهم باطلهم فقال تبارك وتعالى
ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من
القرون أنهم إليهم لا يرجعون وقوله
عز وجل وإن كل لما جميع لدينا
محضرون أي وإن جميع الأمم
الماضية والآتية ستحضر للحساب
يوم القيامة بين يدي الله جل وعلا
فيجازيهم بأعمالهم كلها خيرها
وشرها ومعنى هذه كقوله جل وعلا وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم وقد اختلف القراء في أداء هذا
الحرف فمنهم من قرأ وإن كل لما بالتخفيف فعنده أن للإثبات ومنهم من شدد لما وجعل إن نافية ولما بمعنى إلا تقديره وما كل
إلا جميع لدينا محضرون ومعنى القراءتين واحد والله سبحانه وتعالى أعلم (وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه
يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون سبحان الذي
خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون) يقول تبارك وتعالى وآية لهم أي دلالة لهم على وجود الصانع

مهتدون فلا حاجة لنا إلى من يهدينا أو المراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك
واستهزاء به كأنه قال استهزؤوا بالبينات وبما جاؤوا به من علم الوحي فرحين مرحين انتهى
وقيل الذين فرحوا بما عندهم من العلم هم الرسل وذلك أنهم لما كذبوهم وعلموا أنه
مهلك الكافرين ومنجي المؤمنين فرحوا بذلك (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون) أي
أحاط بهم جزاء استهزائهم (فلما رأوا بأسنا) أي عاينوا عذابنا النازل بهم في الدنيا (قالوا
آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين) وهي الأصنام التي كانوا يعبدونها (فلم يك
ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا) أي عند معاينة عذابنا لأن ذلك الإيمان ليس بالإيمان
النافع لصاحبه فإنه إنما ينفع الإيمان الاختياري لا الإيمان الاضطراري والفاآت من
قوله تعالى فما أغنى إلى هنا أربع الأولى لبيان عاقبة كثرتهم وشدة قوتهم أي إن عاقبتهم خلاف
قصد ما كانوا يؤملونه منها وهو نفعها فلم تترتب عليها بل ترتب عدمه كقولك وعظته فلم يتعظ
والثانية تفسير وتفصيل لما أبهم وأجمل من عدم الإغناء والثالثة لمجرد التعقيب وجعل
ما بعدها تابعا لما قبلها واقعا عقبه لأن مضمون قوله فلما جاءتهم إلخ أنهم كفروا فكأنه
قيل فكفروا ثم لما رأوا بأسنا آمنوا والرابعة للعطف على آمنوا كأنه قيل فآمنوا فلم
ينفعهم لأن النافع هو الإيمان الاختياري (سنة الله التي قد خلت) أي مضت (في
عباده) المعنى أن الله سبحانه سن هذه السنة في الأمم كلها أنه لا ينفعهم الإيمان إذا رأوا
العذاب وقد مضى بيان هذا مستوفى في سورة النساء وسورة التوبة وانتصاب سنة على
أنها مصدر مؤكد لفعل محذوف بمنزلة وعد الله وما أشبهه من المصادر المؤكدة وقيل
منصوب على التحذير أي احذروا يا أهل مكة سنة الله في الأمم الماضية والأول أولى (وخسر
هنالك الكافرون) أي وقت رؤيتهم بأس الله ومعاينتهم لعذابه على أنه اسم مكان
قد استعير للزمان كما سلف آنفا قاله أبو السعود وقال السمين لا يحتاج إليه إذ لا يصح
بقاؤه على أصله قال الزجاج الكافر خاسر في كل وقت ولكنه يتبين لهم خسرانهم إذا
رأوا العذاب

* (سورة حم السجدة وتسمى سورة فصلت وسورة المصابيح وهي أربع وخمسون آية) *

وقيل ثلاث وخمسون قال القرطبي وهي مكية في قول الجميع قال ابن عباس إنها نزلت
بمكة

وقدرته التامة وإحيائه الموتى الأرض الميتة أي إذا كانت ميتة هامدة لا شيء فيها من النبات فإذا أنزل الله تعالى عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ولهذا قال تعالى أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون أي جعلناه رزقا لهم ولأنعامهم وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون أي جعلنا فيها أنهارا سارحة في أمكنة يحتاجون إليها ليأكلوا من ثمره لما امتن على خلقه بإيجاد الزروع لهم عطف بذكر الثمار وتنوعها وأصنافها وقوله جل وعلا وما عملته أيديهم أي وما ذاك كله إلا من رحمة الله تعالى بهم لا بسعيهم ولا كدهم ولا بحولهم وقوتهم قاله ابن عباس رضي

الله عنهما وقتادة ولهذا قال تعالى أفلا يشكرون أي فهلا يشكرونه على ما أنعم به عليهم من النعم التي لا تعد ولا تحصى واختار ابن جرير بل جزم به ولم يحك غيره إلا احتمالا أن ما في قوله تعالى وما عملته أيديهم بمعنى الذي تقديره ليأكلوا من ثمره ومما عملته أيديهم أي غرسوه ونصبوه قال وهي كذلك في قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ليأكلوا من ثمره ومما عملته أيديهم أفلا يشكرون ثم قال تبارك وتعالى سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض أي من زروع وثمار ونبات ومن أنفسهم فجعلهم ذكرا وأنثى ومما لا يعلمون أي من مخلوقات شتى لا يعرفونها كما قال جلت عظمته ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) يقول تعالى ومن الدلالة لهم على قدرته تبارك وتعالى العظيمة خلق الليل والنهار هذا بظلامه وهذا بضيائه وجعلهما يتعاقبان يجيء هذا فيذهب هذا ويذهب هذا فيجيء هذا كما قال تعالى يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا ولهذا قال عز وجل ههنا وآية لهم الليل نسلخ منه النهار أي نصرمه منه فيذهب فيقبل الليل ولهذا قال تبارك وتعالى فإذا هم مظلمون كما جاء في الحديث إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم هذا هو الظاهر من الآية وزعم قتادة أنها كقوله تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وقد ضعف ابن جرير قول قتادة ههنا وقال إنما معنى الإيلاج الأخذ من هذا في هذا وليس هذا مرادا في هذه الآية وهذا الذي قاله ابن جرير حق وقوله جل جلاله والشمس

مكة وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأبو يعلى والحاكم وصححه وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل وابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال اجتمع قريش يوما فقالوا انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي قد فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه فقالوا ما نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة فقالوا أنت يا أبا الوليد فأتاه فقال يا محمد أنت خير أم عبد الله أنت خير أم عبد المطلب فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك أما والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك فرقت جماعتنا وشتت أمرنا وعبت ديننا وفضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحرا وأن في قريش كاهنا والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف يا رجل إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلا وإن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشرا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرغت قال نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته حتى بلغ فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فقال عتبة حسبك حسبك ما عندك غير هذا قال لا فرجع إلى قريش فقالوا ما وراءك قال ما تركت شيئا أرى أنكم تكلمونه به إلا كلمته قالوا فهل أجابك قال والذي نصبها بنية ما فهمت شيئا مما قال غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود قالوا ويلك يكلمك الرجل بالعربية وما تدري ما قال قال لا والله ما فهمت شيئا مما قال غير ذكر الصاعقة وأخرج أبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل عن ابن عمر قال لما قرأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم على عتبة بن ربيعة حم أتى أصحابه فقال يا قوم أطيعوني في هذا اليوم واعصوني بعده فوالله لقد سمعت من هذا الرجل كلاما ما سمعت أذني قط كلاما مثله وما دريت ما أرد عليه وفي هذا الباب روايات تدل على اجتماع قريش وإرسالهم عتبة بن ربيعة وتلاوته صلى الله عليه وآله وسلم أول هذه السورة عليه

(بسم الله الرحمن الرحيم حم) قد تقدم الكلام على إعرابه ومعناه في السورة التي قبل هذه السورة فلا نعيده والله أعلم بمراده به وكذلك تقدم الكلام على معنى قوله

تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم في معنى قوله لمستقر لها قولان أحدهما ان المراد مستقرها المكاني وهو تحت العرش مما يلي الارض من ذلك الجانب وهي أينما كانت فهي تحت العرش هي وجميع المخلوقات لانه سقفها وليس بكرة كما يزعمه كثير من أرباب الهيئة وانما هو قبة ذات قوائم تحملها الملائكة وهو فوق العالم مما يلي رؤس الناس فالشمس اذا كانت في قبة الفلك وقت الظهيرة تكون أقرب ما يكون الى العرش فاذا استدارت في فلكها الرابع الى مقابلة هذا المقام وهو وقت نصف الليل صارت أبعد ما يكون من العرش فحينئذ تسجد وتستأذن في الطلوع (٢٢٢) كما جاءت بذلك الاحاديث قال البخاري حدثنا أبو نعيم حدثنا الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر رضي الله عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد عند غروب الشمس فقال صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس قلت الله ورسوله أعلم قال صلى الله عليه وسلم فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فذلك قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم حدثنا عبد الله بن الزبير الحميدي حدثنا وكيع عن الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تبارك وتعالى والشمس تجري لمستقر لها قال صلى الله عليه وسلم مستقرها تحت العرش هكذا أورده ههنا وقد أخرجه في أماكن متعددة ورواه بقية الجماعة الا ابن ماجه من طرق عن الاعمش به وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن عبيد عن الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد حين غربت الشمس فقال صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر تدري أين تذهب الشمس قلت الله ورسوله أعلم قال صلى الله عليه وسلم فانها تذهب حتى تسجد بين يدي ربها عز وجل فتستأذن قوله في الرجوع فيؤذن لها وكأنها قد قيل لها ارجعي من حيث جئت فترجع الى مطلعها وذلك مستقرها ثم قرأ والشمس تجري لمستقر لها وقال سفيان الثوري عن الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي ذر حين غربت الشمس أتدري أين تذهب قلت الله ورسوله أعلم قال صلى الله عليه وسلم فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها ويقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها

(تنزيل من الرحمن الرحيم) واعرابه وانما خص هذين الوصفين بالذكر لان الخلق في هذا العالم كالمرضى المحتاجين والقرآن مشتمل على كل ما يحتاج اليه المرضى من الادوية وعلى ما يحتاج اليه الاصحاء من الاغذية فكان أعظم النفع من الله على هذا العالم انزال القرآن الناشئ عن رحمته ولطفه بخلقه (كتاب فصلت) أي بينت وميزت باعتبار اللفظ والمعنى أو جعلت (آياته) أساليب وتفاصيل مختلفة من أحكام وأمثال ومواعظ وعجائب أحوال النبات والحيوان والانسان وتهذيب الاخلاق ورياضة النفس وتواريخ الماضين وصفات التنزيه والتقديس وشرح غرائب الملكوت والملك وبالجملة فمن أنصف علم أنه ليس في بدء الخلق وغايته كتاب اجتمع فيه من العلوم المختلفة مثل ما في القرآن فتبارك الله رب العالمين وأحسن الخالقين قال قتادة فصلت ببيان حلاله من حرامه وطاعته من معصيته وقال الحسن بالوعد والوعيد وقال سفيان بالثواب والعقاب ولا مانع من الحمل على الكل وقرئ فصلت بالتخفيف أي فرقت بين الحق والباطل والجملة في محل رفع صفة للكتاب وانتصاب (قرآنا عربيا) على الاختصاص أو على المدح قاله الاخفش أي أريد بهذا الكتاب المفصل قرآنا من صفته كيت وكيت أو على الحال أي فصلت آياته حال كونه قرآنا وقيل على المصدر به أي يقرؤه قرآنا وقيل مفعول ثان لفصلت وقيل على اضمار فعل يدل عليه فصلت أي فصلناه قرآنا عربيا (لقوم يعلمون) معانيه ويفهمونها وهم أهل اللسان العربي وانما خصوا بالذكر لانهم يفهمونه بلا واسطة لكون القرآن بلغتهم وغيرهم لا يفهمها الا بواسطتهم قال الضحاك أي يعلمون ان القرآن منزل من عند الله وقال مجاهد أي يعلمون أنه اله واحد في التوراة والانجيل واللام متعلقة بمحذوف صفة أخرى لقرآنا أو متعلقة بفصلت والاول أولى وكذلك (بشيرا ونذيرا) صفتان أخريان لقرآنا أو حالان من كتاب والمعنى بشيرا لاولياء الله ونذيرا لاعدائه وقرئا بالرفع على انهما صفة لكتاب أو خبر عن محذوف (فأعرض أكثرهم) أي الكفار عما اشتمل عليه من النذارة (فهم لا يسمعون) سماعا ينتفعون به لاعراضهم عنه (وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه) الاكنة جمع كنان وهو الغطاء أي في أغطية مثل الكنانة التي فيها السهام فهي لا تفقه ما تقول من التوحيد ولا يصل اليها

فذلك قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أبي اسحق عن وهب بن جابر عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال في قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها قال ان الشمس تطلع فتردها ذنوب بني آدم حتى اذا غربت سلمت وسجدت واستأذنت فيؤذن لها حتى اذا كان يوم غربت فسلمت وسجدت واستأذنت فلا يؤذن لها فتقول ان المسير بعيد واني لا يؤذن لي لا أبلغ فتحبس ما شاء الله ان تحبس ثم يقال لها اطلعي من حيث غربت قال فمن يومئذ الى يوم القيامة لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت

في ايمانها خيرا وقيل المراد بمستقرها هو انتهاء سيرها وهو غاية ارتفاعها في السماء في الصيف وهو أوجها ثم غاية انخفاضها في الشتاء وهو الحضيض والقول الثاني ان المراد بمستقرها هو منتهى سيرها وهو يوم القيامة يبطل سيرها وتسكن حركتها وتكور وينتهي هذا العالم الى غايته وهذا هو مستقرها الزماني قال قتادة لمستقر لها أي لوقتها ولأجل لا تعدوه وقيل المراد انها لا تزال تنتقل في مطالعها الصيفية الى مدة لا تزيد عليها ثم تنتقل في مطالع الشتاء الى مدة لا تزيد عليها يروى هذا عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وقرأ ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم والشمس تجري لا مستقر لها أي لا قرار لها ولا سكون بل هي سائرة ليلا ونهارا لا تفتر ولا تقف كما قال تبارك وتعالى وسخر لكم الشمس والقمر دائبين أي لا يفتران ولا يقفان الى يوم القيامة ذلك تقدير العزيز أي الذي لا يخالف ولا يمانع العليم بجميع الحركات والسكنات وقد قدر ذلك ووقته على منوال لا اختلاف فيه ولا تعاكس كما قال عز وجل فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم وهكذا ختم آية حم السجدة بقوله تعالى ذلك تقدير العزيز العليم ثم قال جل وعلا والقمر قدرناه منازل أي جعلناه يسير سيرا آخر يستدل به على مضي الشهور كما ان الشمس يعرف بها الليل والنهار كما قال عز وجل يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج وقال تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب الآية وقال تبارك وتعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا فجعل الشمس لها ضوء يخصها والقمر

قوله قال مجاهد الكنان للقلب كالجنة للنبل وقد تقدم بيان هذا في البقرة (وفي آذاننا وقر) أي صمم يمنع من استماع قولك وأصل الوقر الثقل قرئ بكسر الواو وقرئ بفتح الواو والقاف (ومن بيننا وبينك حجاب) أي ستر ومن لابتداء الغاية والمعنى ان الحجاب ابتدئ منا وابتدئ منك فالمسافة المتوسطة بين جهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها ولو قيل بيننا وبينك حجاب ولم تأت لفظة من لكان المعنى ان الحجاب حاصل وسط الجهتين والمقصود المبالغة بالتباين المفرط فلذلك جيء بمن وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك الحق وتقبله واعتقاده كأنها في غلف وأغطية تمنع من نفوذه فيها ومج أسماعهم له كأن بها صمما عنه ولتباعد المذهبين والدينين وامتناع المواصلة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كأن بينهم وما هم عليه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما هو عليه حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل أو نحوه فلا تلاقي ولا ترائي (فاعمل) أي استمر على دينك وهو التوحيد (اننا عاملون) أي مستمرون على ديننا وهو الاشراك وقال الكلبي اعمل في هلاكنا فانا عاملون في هلاكك وقال مقاتل اعمل لالهك الذي أرسلك فانا نعمل لآلهتنا التي نعبدها وقيل فاعمل لآخرتك فانا عاملون لدنيانا أو فاعمل في ابطال أمرنا فانا نعمل في ابطال أمرك ثم أمره الله سبحانه ان يجيب عن قولهم هذا فقال (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد) أي انما أنا كواحد منكم لولا الوحي ولم أكن من جنس مغاير لكم حتى تكون قلوبكم في أكنة مما أدعوكم اليه وفي آذانكم وقر ومن بيني وبينكم حجاب ولم أدعكم الى ما يخالف العقل وانما أدعوكم الى التوحيد قرأ الجمهور يوحى مبنيا للمفعول وقرأ الاعمش والنخعي مبنيا للفاعل أي يوحي الله الي قيل ومعنى الآية اني لا أقدر على ان أحملكم على الايمان قسرا فاني بشر مثلكم ولا امتياز لي عنكم الا اني أوحي الي التوحيد والامر به فعلي البلاغ وحده فان قبلتم رشدتم وان أبيتم هلكتم وقيل المعنى اني لست بملك لا يرى وانما أنا بشر مثلكم وقد أوحي الي دونكم فصرت بالوحي نبيا ووجب عليكم اتباعي وقال الحسن في معنى الآية ان الله سبحانه علم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم كيف يتواضع (فاستقيموا اليه) عداه بالى لتضمنه معنى توجهوا والمعنى وجهوا استقامتكم اليه بالطاعة ولا تميلوا عن سبيله (واستغفروه) لما

نوره بحسبه وتفاوت بين سيرهذه وهذا فالشمس تطلع كل يوم وتغرب في آخره على ضوء واحد ولكن تتنقل في مطالعها ومغاربها صيفا وشتاء تطول بسبب ذلك النهار ويقصر الليل ثم يطول الليل ويقصر النهار وجعل سلطانها بالنهار فهي كوكب نهاري وأما القمر فقدره منازل يطلع في أول ليلة من الشهر ضئيلا قليل النور ثم يزداد نورا في الليلة الثانية ويرتفع منزلة ثم كلما ارتفع ازداد ضياء وإن كان مقتبسا من الشمس حتى يتكامل نوره في الليلة الرابعة عشرة ثم يشرع في النقص الى آخر الشهر حتى يصير كالعرجون القديم قال ابن عباس رضي الله عنهما وهو أصل العذق وقال مجاهد العرجون القديم أي العذق اليابس يعني ابن عباس رضي الله عنهما أصل العنقود من الرطب إذا عتق ويبس وانحنى وكذا قال غيرهما ثم بعد هذا يبديه الله تعالى جديدا في أول الشهر الآخر والعرب تسمي كل ثلاث ليال من الشهر باسم باعتبار القمر فيسمون الثلاث الأول غرر واللواتي بعدها نفل واللواتي بعدها تسع لأن أخراهن التاسعة واللواتي بعدها عشر لأن أولاهن العاشرة واللواتي بعدها البيض لأن ضوء القمر فيهن الى آخرهن واللواتي بعدهن درع جمع درعاء لأن أولهن أسود لتأخر القمر في أولهن منه والشاة الدرعاء هي التي رأسها أسود وبعدهن ثلاث ظلم ثم ثلاث حنادس وثلاث دآدئ وثلاث محاق لانمحاق القمر أو الشهر فيهن وكان أبو عبيدة رضي الله عنه ينكر التسع والعشر كذا قال في كتاب غريب المصنف وقوله تبارك وتعالى لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر قال مجاهد لكل منهما حد لا يعدوه ولا يقصر دونه إذا جاء سلطان هذا ذهب هذا وإذا ذهب سلطان هذا جاء سلطان هذا وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الحسن في قوله تعالى لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر قال ذلك ليلة الهلال وروى ابن أبي حاتم ههنا عن عبد الله بن المبارك أنه قال إن للريح جناحا وإن القمر يأوي الى غلاف من الماء وقال الثوري عن إسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح لا يدرك هذا ضوء هذا ولا هذا ضوء هذا وقال عكرمة في قوله عز وجل لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر يعني أن لكل منهما سلطانا فلا ينبغي للشمس أن تطلع بالليل وقوله تعالى ولا الليل سابق النهار يقول لا ينبغي إذا كان الليل أن يكون ليل آخر حتى يكون النهار فسلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل وقال الضحاك لا يذهب الليل من ههنا حتى يجيء النهار من ههنا بالذي

فرط منكم من الذنوب والشرك وما أنتم عليه من سوء العقيدة والعمل ثم هدد المشركين وتوعدهم فقال (وويل للمشركين) ثم وصفهم بقوله (الذين لا يؤتون الزكاة) أي يمنعونها ولا يخرجونها الى الفقراء وقال الحسن وقتادة لا يقرون بوجوبها وقال الضحاك ومقاتل لا يتصدقون ولا ينفقون في الطاعة وقيل معنى الآية لا يشهدون أن لا إله إلا الله لأنها زكاة الأنفس وتطهيرها قاله ابن عباس وقال مجاهد لا يزكون أعمالهم وكان يقال الزكاة قنطرة الإسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك وقال الفراء كان المشركون ينفقون النفقات ويسقون الحجيج ويطعمونهم فحرموا ذلك على من آمن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت فيهم هذه الآية وإنما جعل منع الزكاة مقرونا بالكفر بالآخرة لأن أحب الشيء الى الإنسان ماله وهو شقيق روحه فإذا بذله في سبيل الله فذلك أقوى دليل على استقامته وثباته وصدق نيته ونصوح طويته وما خدع المؤلفة قلوبهم إلا بلمظة من الدنيا فقرت عصبيتهم ولانت شكيمتهم وما ارتدت بنو حنيفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا بمنع الزكاة فنصبت لهم الحروب وجوهدوا وفيه بعث للمؤمنين على أداء الزكاة وتخويف شديد من منعها حيث جعل المنع من أوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة (وهم بالآخرة هم كافرون) معطوف على لا يؤتون الزكاة داخل معه في حيز الصلة أي منكرون للآخرة جاحدون لها والمجيء بضمير الفصل لقصد الحصر (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) أي غير مقطوع عنهم يقال منت الحبل إذا قطعته وقيل الممنون المنقوص قاله ابن عباس وقطرب قال الجوهري المن القطع ويقال النقص ومنه قوله تعالى لهم أجر غير ممنون وقيل غير محسوب وقيل معنى الآية لا يمن عليهم به لأنه إنما يمن بالتفضل فأما الأجر فحق أداؤه وقال السدي نزلت في المرضى والزمنى والهرمى إذا ضعفوا عن الطاعة كتب لهم من الأجر مثل ما كانوا يعملون في الصحة ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يوبخهم ويقرعهم فقال (قل أئنكم) قرأ الجمهور بهمزتين الثانية بين بين وقرئ بهمزة بعدها ياء خفيفة وإن واللام إما للتأكيد الانكار وقدمت الهمزة لاقتضائها الصدارة وإما للإشعار بأن كفرهم من البعد بحيث ينكره العقلاء وقوعه فيحتاج الى التأكيد (لتكفرون

وأومأ بيده الى المشرق وقال مجاهد ولا الليل سابق النهار يطلبان حثيثين يسلخ أحدهما من الآخر والمعنى في هذا انه لا فترة بين الليل والنهار بل كل منهما يعقب الآخر بلا مهلة ولا تراخ لانهما مسخران دائبين يتطالبان طلبا حثيثا وقوله تبارك وتعالى وكل في فلك يسبحون يعني الليل والنهار والشمس والقمر كلهم يسبحون أي يدورون في فلك السماء قاله ابن عباس وعكرمة والضحاك والحسن وقتادة وعطاء الخراساني وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في فلك بين السماء والارض رواه ابن أبي حاتم وهو غريب جدا بل منكر قال ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد من السلف في فلكة كفلكة المغزل وقال مجاهد الفلك كحديدة الرحى أو كفلكة المغزل لا يدور المغزل الا بها ولا تدور الا به (وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون الا رحمة منا ومتاعا الى حين) يقول تبارك وتعالى دلالة لهم أيضا على قدرته تبارك وتعالى تسخيره البحر ليحمل السفن فمن ذلك بل أوله سفينة نوح عليه الصلاة والسلام التي أنجاه الله تعالى فيها بمن معه من المؤمنين الذين لم يبق على وجه الارض من ذرية آدم عليه الصلاة والسلام غيرهم ولهذا قال عز وجل وآية لهم انا حملنا ذريتهم أي آباءهم في الفلك المشحون أي في السفينة المملوءة من الامتعة والحيوانات التي أمره الله تبارك وتعالى ان يحمل فيها من كل زوجين اثنين قال ابن عباس رضي الله عنهما المشحون الموقر وكذا قال سعيد بن جبير والشعبي وقتادة والسدي وقال الضحاك وقتادة وابن زيد وهي سفينة نوح عليه الصلاة والسلام وقوله جل وعلا وخلقنا لهم من مثله ما يركبون قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما يعني بذلك الابل فانها سفن البر يحملون عليها ويركبونها وكذا قال عكرمة ومجاهد والحسن وقتادة في رواية وعبد الله بن شداد وغيرهم وقال السدي في رواية هي الانعام وقال ابن جرير حدثنا الفضل بن الصباح حدثنا محمد بن فضيل عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال تدرون ما قوله تعالى وخلقنا لهم من مثله ما يركبون قلنا لا قال هي السفن جعلت من بعد سفينة نوح عليه الصلاة والسلام على مثلها وكذا قال أبو مالك والضحاك وقتادة وأبو صالح والسدي أيضا المراد بقوله تبارك وتعالى وخلقنا

بالذي خلق الارض في يومين) والمعنى لتكفرون بمن شأنه هذا الشأن العظيم وقدرته هذه القدرة الباهرة قيل اليومان هما يوم الاحد ويوم الاثنين وقيل خلقهن في نوبتين كل نوبة أسرع مما يكون في يوم وقيل المراد مقدار يومين لان اليوم الحقيقي انما يتحقق بعد وجود الارض والسماء وذكرهما تعليما للاناة ولو أراد ان يخلقهما في لحظة لفعل (وتجعلون له أندادا) أي أضدادا وشركاء والجملة معطوفة على تكفرون داخلة تحت الاستفهام ذكر عنهم شيئين منكرين أحدهما الكفر بالله والثاني اثبات الشركاء له (ذلك) المتصف بما ذكر (رب العالمين) جمع عالم وهو ماسوى الله وجمع لاختلاف أنواعه بالياء والنون تغليبا للعقلاء ومن جملة العالمين ما تجعلونها أندادا لله فكيف تجعلون بعض مخلوقاته شركاء له في عبادته (وجعل فيها رواسي) أي جبالا ثوابت معطوف على خلق وقيل مستأنفة لوقوع الفصل بينهما بالاجنبي والاول أولى لان الجملة الفاصلة هي مقررة لمضمون ما قبلها فكانت بمنزلة التأكيد ومعنى (من فوقها) انها مرتفعة عليها لانها من أجزاء الارض وانما خالفتها باعتبار الارتفاع فكانت من هذه الحيثية كالمغايرة لها وانما اختار ارساءها فوق الارض لتكون منافع الجبال ظاهرة لطالبيها وليبصر أن الارض والجبال اثقال على اثقال كلها مفتقرة الى ممسك وهو الله العزيز المتعال القادر المختار (وبارك فيها) أي جعلها مباركة كثيرة الخير بما خلق فيها من المنافع للعباد قال السدي أنبت فيها شجرها (وقدر فيها أقواتها) قال الحسن وعكرمة والضحاك قدر فيها أرزاق أهلها وما يصلح لمعايشهم من التجارات والاشجار والمنافع جعل في كل بلدة ما لم يجعله في الاخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة والاسفار من بلد الى بلد وقيل قدر البر لاهل قطر من الارض والتمر لاهل قطر آخر وكذلك سائر الاقوات قيل ان الزرع أكثر الحرف بركة لان الله وضع الاقوات في الارض وقال ابن عباس اي شق الانهار وغرس الاشجار ووضع الجبال وأجرى البحار وجعل في هذه ما ليس في هذه وفي هذه ما ليس في هذه وقال قتادة ومجاهد خلق فيها أنهارها وأشجارها ودوابها (في) تتمة (أربعة أيام) أي في يوم الثلاثاء والاربعاء باليومين المتقدمين قاله الزجاج وغيره قال ابن الانباري ومثاله قول القائل خرجت من البصرة الى بغداد في عشرة أيام والى الكوفة في خمسة عشر يوما أي في تتمة خمسة عشر يوما فيكون المعنى ان حصول جميع ما تقدم من خلق الارض وما بعدها في

لهم من مثله ما يركبون أى السفن ويقوى هذا المذهب فى المعنى قوله جل وعلا انا لما طغا الماء حملنا كم فى الجارية لنجعلها لكم
تذكرة وتعيها أذن واعية وقوله عز وجل وان نشأ نغرقهم يعنى الذين فى السفن فلا صريخ لهم أى فلا مغيث لهم مما هم فيه ولا هم
ينقذون أى مما أصابهم الارحمة منا وهذا استثناء منقطع تقديره ولكن برحمتنا نسيركم فى البر والبحر ونسلمكم الى أجل مسمى
ولهذا قال تعالى ومتاعا الى حين أى الى وقت معلوم عند الله عز وجل (واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون
وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين
آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه
ان أنتم الا فى ضلال مبين) يقول
تعالى مخبرا عن تمادى المشركين فى
غيهم وضلالهم وعدم اكتراثهم
بذنوبهم التى أسلفوها وما يستقبلون
بين أيديهم يوم القيامة واذا
قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم
وما خلفكم قال مجاهد من الذنوب
وقال غيره بالعكس لعلكم ترحمون
أى لعل الله باتقائكم ذلك يرحمكم
ويؤمنكم من عذابه وتقدير
الكلام انهم لا يجيبون الى ذلك بل
يعرضون عنه واكتفى عن ذلك
بقوله تعالى وما تأتيهم من آية من
آيات ربهم أى على التوحيد وصدق
الرسل الا كانوا عنها معرضين أى
لا يتأملونها ولا يقبلونها ولا ينتفعون
بها وقوله عز وجل واذا قيل لهم
أنفقوا مما رزقكم الله أى واذا
أمروا بالانفاق مما رزقهم الله على
الفقراء والمحاويج من المسلمين قال
الذين كفروا للذين آمنوا أى عن
الذين آمنوا من الفقراء أى قالوا لمن
أمرهم من المؤمنين بالانفاق
محاجين لهم فيما أمروهم به أنطعم
من لو يشاء الله أطعمه أى هؤلاء
الذين أمرتمونا بالانفاق عليهم لو شاء
الله لأغناهم ولأطعمهم من رزقه فنحن نوافق مشيئة الله تعالى فيهم ان أنتم الا فى ضلال مبين أى فى أمركم لنا بذلك
قال ابن جرير ويحتمل أن يكون من قول الله عز وجل للكفار حين ناظروا المؤمنين وردوا عليهم فقال لهم ان أنتم الا فى ضلال مبين
وفى هذا نظر والله أعلم (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون
توصية ولا الى أهلهم يرجعون) يخبر تعالى عن استبعاد الكفرة لقيام الساعة فى قولهم متى هذا الوعد يستعجل بها الذين لا يؤمنون
بها قال الله عز وجل ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون أى ما ينتظرون الا صيحة واحدة وهذه والله أعلم نفخة الفزع

أربعة أيام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان ولولا هذا التقدير لكانت الايام ثمانية يومان
فى الاول وهو قوله خلق الارض فى يومين ويومان فى الاخير وهو قوله الآتى فقضاهن سبع
سموات فى يومين وأربعة فى الوسط وقال أبو البقاء ولعل زيادة مدة الارض على مدة السماء
جريا على ما يتعارف من ان بناء السقف أخف من بناء البيت وقيل للتنبيه على ان
الارض هى المقصودة بالذات لما فيها من الثقلين وكثرة المنافع وقيل لما فيها من الابتلاء
بالمعاصى والمجاهدات والمجادلات والمعالجات عن ابن عباس ان اليهود أتت النبى صلى الله
عليه وآله وسلم فسألته عن خلق السموات والارض فقال خلق الله الارض فى يومين
الاحد والاثنين وخلق الجبال وما فيهن من منافع يوم الثلاثاء وخلق يوم الاربعاء الشجر
والحجر والماء والمدائن والعمران والخراب فهذه أربعة أيام فقال تعالى قل أئنكم
لتكفرون الى قوله للسائلين وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس
والقمر والملائكة الى ثلاث ساعات بقين منه فخلق من أول ساعة من هذه الثلاث الآجال
حين يموت من مات وفى الثانية ألقى فيها من كل شئ مما ينتفع به وفى الثالثة خلق آدم
وأسكنه الجنة وأمر ابليس بالسجود له وأخرجه منها فى آخر ساعة قالت اليهود ثم ماذا
يا محمد قال ثم استوى على العرش قالوا قد أصبت لو أتممت قالوا ثم استراح فغضب النبى
صلى الله عليه وآله وسلم غضبا شديدا فنزل ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى
ستة أيام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون أخرجه ابن جرير والنحاس فى ناسخه وأبو
الشيخ فى العظمة والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى فى الاسماء والصفات ولكن
فى حديث مسلم عن أبى هريرة قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيدى فقال
خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق
المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وخلق الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد
العصر يوم الجمعة فى آخر الخلق فيما بين العصر الى الليل وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس
أيضا قال ان الله خلق يوما فسماه الاحد ثم خلق ثانيا فسماه الاثنين ثم خلق ثالثا فسماه
الثلاثاء ثم خلق رابعا فسماه الاربعاء ثم خلق خامسا فسماه الخميس وذكر نحو ما تقدم
وأخرج أبو الشيخ عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الله فرغ من خلقه
فى ستة أيام وذكر نحو ما تقدم وانتصاب (سواء) على انه مصدر مؤكد لفعل محذوف هو

ينفخ في الصور نفخة الفزع والناس في أسواقهم ومعايشهم يختصمون ويتشاجرون على عادتهم فبينما هم كذلك إذ أمر الله عز وجل إسرافيل فنفخ في الصور نفخة يطولها ويمدها فلا يبقى أحد على وجه الأرض إلا أصغى ليتاً ورفع ليتاً وهي صفحة العنق يتسمع الصوت من قبل السماء ثم يساق الموجودون من الناس إلى محشر القيامة بالنار تحيط بهم من جوانبهم ولهذا قال تعالى فلا يستطيعون توصية أي على ما يملكونه الأمر أهم من ذلك ولا إلى أهلهم يرجعون وقد وردت ههنا آثار وأحاديث ذكرناها في موضع آخر ثم يكون بعد هذا نفخة الصعق التي يموت بها الأحياء كلهم ما عدا الحي القيوم ثم بعد ذلك نفخة البعث (ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون) هذه هي النفخة الثالثة وهي نفخة البعث والنشور للقيام من الأجداث والقبور ولهذا قال تعالى فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون والنسلان هو المشي السريع كما قال تعالى يوم يخرجون من الأجداث سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا يعنون قبورهم التي كانوا يعتقدون في الدار الدنيا أنهم لا يبعثون منها فلما عاينوا ما كذبوا به في محشرهم قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا وهذا لا ينفي عذابهم في قبورهم لأنه بالنسبة إلى ما بعده في الشدة كالرقاد قال أبي بن كعب رضي الله عنه ومجاهد والحسن وقتادة ينامون نومة قبل البعث قال قتادة وذلك بين النفختين فلذلك يقولون من بعثنا من مرقدنا فإذا قالوا ذلك أجابهم المؤمنون قاله غير واحد من السلف هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون وقال الحسن إنما يجيبهم بذلك الملائكة ولا منافاة إذ الجمع ممكن والله سبحانه وتعالى أعلم وقال عبد الرحمن بن زيد الجميع من قول الكفار يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون نقله ابن جرير واختار الأول وهو أصح وذلك كقوله تبارك وتعالى في الصافات وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون وقال الله عز وجل ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون وقوله تعالى

صفة للأيام أي استوت الأربعة سواء بمعنى استواء ويجوز أن يكون منتصباً على الحال من الأرض أو من الضمير في الراجعة إليها قرأ الجمهور بنصب سواء وقرأ يزيد بن علي والحسن وغيرهما بخفضه على أنه صفة للأيام وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدإ محذوف قال الحسن المعنى في أربعة أيام مستوية تامة لا تزيد ولا تنقص وقوله (للسائلين) متعلق بسواء أي مستويات للسائلين أو بمحذوف كأنه قيل هذا الحصر للسائلين في كم يوم خلقت الأرض وما فيها أو متعلق بقدر أي قدر فيها أقواتها لأجل الطالبين المحتاجين إليها قال الفراء في الكلام تقديم وتأخير والمعنى وقدر فيها أقواتها سواء للمحتاجين في أربعة أيام واختار هذا ابن جرير ثم لما ذكر سبحانه خلق الأرض وما فيها ذكر كيفية خلقه للسموات فقال (ثم استوى إلى السماء) أي عمد وقصد نحوها قصداً سوياً وتعلقت إرادته بخلقها قال الرازي هو من قولهم استوى إلى مكان كذا إذا توجه إليه توجهاً لا يلتفت معه إلى عمل آخر وهو من الاستواء الذي هو ضد الاعوجاج ونظيره قولهم استقام إليه ومنه قوله تعالى فاستقيموا إليه والمعنى ثم دعاه داعي الحكمة إلى خلق السموات بعد خلق الأرض وما فيها قال الحسن المعنى صعد أمره إلى السماء ويفهم من هذه الآية أن خلق السماء كان بعد خلق الأرض وبه قال ابن عباس وقوله والأرض بعد ذلك دحاها مشعر بأن خلق الأرض بعد خلق السماء والجواب أن الخلق ليس عبارة عن الإيجاد والتكوين فقط بل هو عبارة عن التقدير أيضاً فالمعنى قضى أن يحدث الأرض في يومين بعد إحداث السماء وعلى هذا يزول الإشكال وقال الشوكاني بعد ذكر هذا الاستشكال أن ثم ليست للتراخي الزماني بل للتراخي الرتبي فيندفع الإشكال من أصله وعلى تقدير أنها للتراخي الزماني فالجمع ممكن بأن الأرض خلقها متقدم على خلق السماء ودحوها بمعنى بسطها هو أمر زائد على مجرد خلقها فهي متقدمة خلقاً متأخرة دحواً وهذا ظاهر انتهى ولعله يأتي عند تفسير قوله والأرض بعد ذلك دحاها زيادة إيضاح للمقام إن شاء الله تعالى وقد قدم هذا الجمع في سورة البقرة ولكن خلق ما في الأرض لا يكون إلا بعد دحوها فالإشكال باق وعلى هذا لا يغني عن الإشكال إلا ما ذكر في ثم أو أن بعد بمعنى قبل أو بمعنى مع (وهي دخان) هو ما ارتفع من لهب النار ويستعار لما يرى من بخار الأرض قال المفسرون هذا الدخان هو بخار الماء وقياس جمعه في القلة أدخنة وفي الكثرة دخان وهي من باب التشبيه الصوري لأن

ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون كقوله عز وجل فانما هى زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة وقال جلت عظمته وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب وقال جل جلاله يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا أى انما نأمرهم أمرا واحدا فاذا الجميع محضرون فاليوم لا تظلم نفس شيأ أى من عملها ولا تجزون الا ما كنتم تعملون (ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون هم وأزواجهم فى ظلال على الارائك متكؤن لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولا من رب رحيم) يخبر تعالى عن أهل الجنة انهم يوم القيامة اذا ارتحلوا من العرصات فنزلوا فى روضات الجنات انهم فى شغل عن غيرهم بما هم فيه من النعيم المقيم والفوز العظيم قال الحسن البصرى واسمعيل بن أبى خالد فى شغل عما فيه أهل النار من العذاب وقال مجاهد فى شغل فاكهون أى فى نعيم معجبون أى به وكذا قال قتادة وقال ابن عباس رضى الله عنهما فاكهون أى فرحون قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه وابن عباس وسعيد ابن المسيب وعكرمة والحسن وقتادة والاعمش وسليمان التيمى والاوزاعى فى قوله تبارك وتعالى ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون قالوا شغلهم افتضاض الابكار وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية عنه فى شغل فاكهون أى بسماع الاوتار وقال أبو حاتم لعله غلط من المستمع وانما هو افتضاض الابكار وقوله عز وجل هم وأزواجهم قال مجاهد وحلائلهم فى ظلال أى فى ظلال الاشجار على الارائك متكئون قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة ومحمد بن كعب والحسن وقتادة والسدى وخصيف الارائك هى السرر تحت الحجال قلت نظيره فى الدنيا هذه التخوت تحت الشاخين والله سبحانه وتعالى أعلم وقوله عز وجل لهم فيها فاكهة أى من جميع أنواعها ولهم ما يدعون أى مهما طلبوا وجدوا من جميع أصناف الملاذ قال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن عوف الحمصى حدثنا عثمان ابن سعيد بن كثير بن دينار حدثنا محمد بن مهاجر عن الضحاك المعافرى عن سليمان بن موسى حدثنى كريب انه سمع أسامة بن زيد رضى الله عنهما يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا هل مشمر الى الجنة فان الجنة لا خطر لها هى ورب الكعبة نور كلها يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة ومقام فى أبد فى دار سلامة وفاكهة خضرة

صورتها صورة الدخان فى رأى العين وخص سبحانه الاستواء الى السماء مع كون الخطاب المترتب على ذلك متوجها اليها والى الارض كما يفيده قوله (فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها) استغناء بما تقدم من ذكر تقديرها وتقدير ما فيها ومعنى ائتيا افعلا ما آمركما به وجيئا به كما يقال ائت ما هو الاحسن أى افعله وقيل المعنى ائتيا على ما ينبغى ان تأتيا عليه من الشكل والوصف ائتى يا أرض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وائتى يا سماء مقببة سقفا لهم قال الواحدى قال المفسرون ان الله سبحانه قال أما أنت يا سماء فاطلعى شمسك وقمرك ونجومك وأما أنت يا أرض فشققى انهارك وأخرجى ثمارك ونباتك قاله ابن عباس قرأ الجمهور ائتيا أمرا من الاتيان وقرئ آتيا قالتا آتينا بالمد فيهما وهو من المؤاتاة وهى الموافقة أى لتوافق كل منكما الاخرى لما يليق بها واليه ذهب الرازى والزمخشرى أو من الايتاء وهو الاعطاء قاله ابن عباس فوزنه على الاول فاعلا كقاتلا وعلى الثانى افعلا كاكرما وطوعا وكرها مصدران فى موضع الحال أى طائعتين أو مكرهتين وقرئ كرها بالضم قال الزجاج أطيعا طاعة أو تكرهان كرها قيل ومعنى هذا الامر لهما التسخير والحصول والوقوع أى كونا فكانتا كما قال تعالى انما أمرنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون فالكلام من باب التمثيل لتأثير قدرته واستحالة امتناعهما أو من باب الاستعارة التخييلية (قالتا أتينا طائعين) أى أتينا أمرك منقادين وجمعهما جمع من يعقل لخطابهما بما يخاطب به العقلاء وجمع الامر لهما فى الاخبار عنه لا يدل على جمعه فى الزمان بل قد يكون القول لهما متعاقبا قال القرطبى قال أكثر أهل العلم ان الله سبحانه خلق فيهما الكلام فتكلمتا كما أراد سبحانه وقيل هو تمثيل لظهور الطاعة منهما وتأثير القدرة الربانية فيهما والاول أولى قال أبو نصر السكسكى فنطق من الارض موضع الكعبة ونطق من السماء بحيالها فوضع الله فيه حرمه (فقضاهن سبع سموات) تفسير وتفصيل لتكوين السماء المجمل المعبر عنه بالامر وجوابه لانه فعل مرتب على تكوينهما اى خلقهن خلقا ابداعيا وأتقن امرهن حسبما تقتضيه الحكمة وأعوزهن وفرغ منهن والضمير اما راجع الى السماء على المعنى لانها سبع سموات أو مبهم مفسر بسبع سموات وانتصاب سبع على التفسير أو على البدل من الضمير وقيل على انه مفعول ثان لقضاهن لانه مضمن معنى صيرهن وقيل على الحال اى قضاهن حال كونهن

معدودات

معدودات بسبع ويكون قضى بمعنى صنع وقيل على التمييز (في يومين) الخميس والجمعة وفرغ منها في آخر ساعة منه وفيها خلق آدم قال المحلي ولذلك لم يقل هنا سواء ووافق ما هنا آيات خلق السموات والارض في ستة أيام والمعنى انه مضى من المدة ما لو حصل هناك فلك وشمس لكان المقدار مقدرا ومن والمشهور ان الايام الستة قدر أيام الدنيا وقيل بقدر ستة آلاف سنة حكاه القرطبي قال مجاهد ويوم من الستة الايام كألف سنة مما تعدون (وأوحى في كل سماء أمرها) قال قتادة والسدي اي خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وأفلاكها وما فيها من الملائكة والبحار والبرد والثلج وقيل المعنى أوحى فيها ما أراده وما أمر به والايحاء قد يكون بمعنى الامر كما في قوله بأن ربك أوحى لها وقوله واذ أوحيت الى الحواريين أي أمرتهم وهو أمر تكوين قال ابن عباس ولله على كل سماء بيت يحج اليه وتطوف به الملائكة حذاء الكعبة والذي في السماء الدنيا هو البيت المعمور (وزينا السماء الدنيا) أي التي تلي الارض (بمصابيح) أي بكواكب مضيئة متلألئة عليها كتلألؤ المصابيح وفي بعد الالتفات الى نون العظمة لابراز مزيد العناية بالتزيين المذكور (وحفظا) أي وحفظناها حفظا أو وخلقنا المصابيح زينة وحفظا والاول أولى قال أبو حيان في الوجه الثاني هو تكلف وعدول عن السهل البين والمراد بالحفظ حفظها من الشياطين الذين يسترقون السمع (ذلك) أي ما وقع وتقدم ذكره (تقدير العزيز العليم) أي البليغ القدرة الكثير العلم (فان أعرضوا) عن التدبر والتفكر في هذه المخلوقات وعن الايمان بعد هذا البيان وفيه التفات من خطابهم بقوله أئنكم الى الغيبة لفعلهم الاعراض فأعرض عن خطابهم وهو تناسب حسن (فقل أنذرتكم) أي خوفتكم وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الانذار المنبئ عن تحقق المنذر به (صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) أي عذابا مثل عذابهم والمراد بالصاعقة العذاب المهلك من كل شئ قال المبرد الصاعقة المرة المهلكة لاي شئ كان والصاعقة في الاصل هي الصيحة التي يحصل بها الهلاك أو قطعة نار تنزل من السماء معها رعد شديد والمراد هنا مطلق العذاب لكن بالنظر الى الصاعقة الاولى وأما الثانية فالمراد بها حقيقتها قرأ الجمهور صاعقة بالالف في الموضعين وقرئ صعقة فيهما وقد تقدم بيان معنى الصاعقة والصعقة في البقرة (اذ جاءتهم) أي الى عاد وثمود وانما خص هاتين القبيلتين لان قريشا كانوا يمرون على بلادهم (الرسل)

وخيرة ونعمة ومحلة عالية بهية قالوا نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها قال صلى الله عليه وسلم قولوا ان شاء الله فقال القوم ان شاء الله وكذا رواه ابن ماجه في كتاب الزهد من سننه من حديث الوليد بن مسلم عن محمد بن مهاجر به وقوله تعالى سلام قولا من رب رحيم قال ابن جريج قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم فان الله تعالى نفسه سلام على أهل الجنة وهذا الذي قاله ابن عباس رضي الله عنهما كقوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقد روى ابن أبي حاتم ههنا حديثا وفي اسناده نظر فانه قال حدثنا موسى بن يوسف حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب حدثنا أبو عاصم العباداني حدثنا الفضل الرقاشي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أهل الجنة في نعيمهم اذ سطع عليهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة وذلك قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم قال فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شئ من النعيم ما داموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته عليهم وفي ديارهم ورواه ابن ماجه في كتاب السنة من سننه عن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب به وقال ابن جرير حدثنا يونس بن عبد الاعلى أخبرنا ابن وهب حدثنا حرملة عن سليمان بن حميد قال سمعت محمد بن كعب القرظي يحدث عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال اذا فرغ الله تعالى من أهل الجنة والنار أقبل في ظلل من الغمام والملائكة قال فيسلم على أهل الجنة فيردون عليه السلام قال القرظي وهذا في كتاب الله تعالى سلام قولا من رب رحيم فيقول الله عز وجل سلوني فيقولون ماذا نسألك أي رب قال بلى سلوني قالوا نسألك أي رب رضاك قال رضائي أحلكم دار كرامتي قالوا يا ربنا فما الذي نسألك فوعزتك وجلالك وارتفاع مكانك لو قسمت علينا رزق الثقلين لأطعمناهم ولأسقيناهم ولألبسناهم ولأخدمناهم لا ينقصنا ذلك شيئا قال تعالى ان لدي مزيدا قال فيفعل ذلك بهم في درجهم حتى يستوي في مجلسه قال ثم تأتيهم التحف من الله عز وجل تحملها اليهم الملائكة ثم ذكر نحوه وهذا خبر غريب أورده ابن جرير من طرق والله أعلم (وامتازوا اليوم أيها المجرمون ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون) يقول تعالى مخبرا عما يؤل

المحال الكفار يوم القيامة من أمره لهم أن يمتازوا بمعنى يتميزون عن المؤمنين في موقفهم كقوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال عز وجل ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون يومئذ يصدعون أي يصيرون صدعين فرقتين احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم وقوله تعالى ألم أعهد اليكم يابني آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين هذا تقريع من الله تعالى للكفرة من بني آدم الذين أطاعوا الشيطان وهو عدو لهم مبين وعصوا الرحمن وهو الذي خلقهم ورزقهم ولهذا قال تعالى وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم اي قد أمرتكم في دار الدنيا بعصيان الشيطان وأمرتكم بعبادتي وهذا هو الصراط المستقيم فسلكتم غير ذلك واتبعتم الشيطان فيما أمركم به ولهذا قال عز وجل ولقد أضل منكم جبلا كثيرا يقال جبلا بكسر الجيم وتشديد اللام ويقال جبلا بضم الجيم والباء وتخفيف اللام ومنهم من يسكن الباء والمراد بذلك الخلق الكثير قاله مجاهد وقتادة والسدي وسفيان بن عيينة وقوله تعالى أفلم تكونوا تعقلون أي أفما كان لكم عقل في مخالفة ربكم فيما أمركم به من عبادته وحده لا شريك له وعدولكم الى اتباع الشيطان قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن اسمعيل بن رافع عمن حدثه عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة أمر الله تعالى جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم يقول ألم أعهد اليكم يابني آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التي كنتم توعدون وامتازوا اليوم أيها المجرمون فيتميز الناس ويجثون وهي التي يقول الله عز وجل وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون (هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون) يقال للكفرة من بني آدم يوم القيامة وقد برزت الجحيم لهم تقريعا وتوبيخا هذه جهنم التي كنتم توعدون اي هذه التي

أي هود وصالح ومن قبلهما وكان هود وصالح بين نوح وابراهيم وليس بينهما غيرهما من الرسل وان الذين تقدموا عليهما من الرسل أربعة نوح وادريس وشيث وآدم (من بين أيديهم ومن خلفهم) أي أتوهم من كل جانب وعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا الاعراض وعن الحسن أنذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الامم وعذاب الآخرة والظرف متعلق بأنذرتكم أو بالصاعقة لانها بمعنى العذاب أو حال من صاعقة عاد وهذا أولى من الوجهين الاولين لان الانذار لم يقع وقت مجيء الرسل فلا يصح ان يكون ظرفا له وكذلك الصاعقة لا يصح ان يكون الوقت ظرفا لها ومن في الموضعين متعلقة بجاءتهم اي من جميع جوانبهم او من جهة الزمان الماضي بالانذار عما جرى على الكفار او من جهة المستقبل بالتحذير عما سيحيق بهم من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وقيل المعنى جاءتهم الرسل المتقدمون والمتأخرون على تنزيل مجيء كلامهم ودعوتهم الى الحق منزلة مجيء انفسهم فكأن الرسل قد جاؤهم وخاطبوهم بقولهم (ألا تعبدوا الا الله) اي بأن لا تعبدوا على انها مصدرية أو تفسيرية أو مخففة من الثقيلة واسمها ضمير شأن محذوف ثم ذكر سبحانه ما أجابوا به الرسل فقال (قالوا) أي عاد وثمود مخاطبين لهود وصالح (لو شاء ربنا لانزل) أي لارسل الينا (ملائكة) ولم يرسل الينا بشرا من جنسنا ثم صرحوا بالكفر ولم يتلعثموا فقالوا (فانا بما أرسلتم به كافرون) أي كافرون بما تزعمونه من ان الله ارسلكم الينا لانكم بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فكيف اختصكم برسالته دوننا وقد تقدم دفع هذه الشبهة الداحضة التي جاؤا بها في غير موضع وفيه تغليب المخاطب على الغائب فغلبوا هودا وصالحا على من قبلهما من الرسل فكأنهم قالوا فانا كافرون بكما وبمن دعونا الى الايمان به ممن قبلكما من الرسل ولما ذكر عادا وثمود اجمالا ذكر ما يختص بكل طائفة من الطائفتين تفصيلا فقال (فأما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق) أي بغير استحقاق ذلك الذي وقع منهم من التكبر والتجبر ثم ذكر سبحانه بعض ما صدر عنهم من الاقوال الدالة على الاستكبار فقال (وقالوا من أشد منا قوة) وكانوا ذوي أجسام طوال وخلق عظيم وقوة شديدة فاغتروا بأجسامهم حين تهددهم هود بالعذاب ومرادهم بهذا القول انهم قادرون على دفع ما نزل بهم من العذاب وبلغ من قوتهم ان الرجل كان يقتلع الصخرة من الجبل بيده ويجعلها حيث يشاء فرد الله عليهم بقوله (أولم يروا أن الله الذي

خلقهم

حذرتكم الرسل فكذبتموهم اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون كما قال تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون وقوله تعالى اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون هذا حال الكفار والمنافقين يوم القيامة حين ينكرون ما اجترموه في الدنيا ويحلفون ما فعلوه فيختم الله على أفواههم ويستنطق جوارحهم بما عملت قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو شيبة ابراهيم بن عبد الله بن أبي شيبة حدثنا منجاب بن الحرث التميمي حدثنا أبو عامر الازدي حدثنا سفيان عن عبيد المكتب عن الفضيل بن عمرو عن الشعبي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه ثم قال صلى الله عليه وسلم أتدرون مما أضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال صلى الله عليه وسلم من مجادلة العبد ربه يوم القيامة يقول رب ألم تجرني من الظلم فيقول بلى فيقول لا أجيز علي الا شاهدا من نفسي فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين شهودا فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق بعمله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل وقد رواه مسلم والنسائي كلاهما عن أبي بكر بن أبي النضر عن أبي النضر عن عبيد الله بن عبد الرحمن الاشجعي عن سفيان هو الثوري به ثم قال النسائي لا أعلم أحدا روى هذا الحديث عن سفيان غير الاشجعي وهو حديث غريب والله تعالى أعلم كذا قال وقد تقدم من رواية أبي عامر عن عبد الملك بن عمرو الاسدي وهو العقدي عن سفيان وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انكم تدعون مفدما على أفواهكم بالفدام فأول ما يسئل عن أحدكم فخذه وكفه ورواه النسائي عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق به وقال سفيان بن عيينة عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث القيامة الطويل قال فيه ثم يلقى الثالث فيقول ما أنت فيقول أنا عبدك آمنت بك وبنبيك وبكتابك وصمت وصليت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع قال فيقال له الا نبعث عليك شاهدنا قال فيفكر في نفسه من الذي يشهد عليه فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقي قال فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بما كان يعمل وذلك المنافق وذلك ليعذر من نفسه

خلقهم هو أشد منهم قوة) الاستفهام للاستنكار عليهم والتوبيخ أي أولم يعلموا بأن الله أشد منهم قدرة وأوسع منهم قوة فهو قادر على أن ينزل بهم من أنواع عقابه ما شاء بقوله كن فيكون وقال خلقهم ولم يقل خلق السموات والارض لان هذا أبلغ في تكذيبهم في ادعاء انفرادهم بالقوة فانهم حيث كانوا مخلوقين فبالضرورة أن خالقهم أشد قوة منهم (وكانوا بآياتنا) أي بمعجزات الرسل التي خصهم الله بها وجعلها دليلا على نبوتهم أو بآياتنا التي أنزلناها على رسلنا أو بآياتنا التكوينية التي نصبناها لهم وجعلناها حجة عليهم أو بجميع ذلك (يجحدون) ثم ذكر الله سبحانه ما أنزل عليهم من عذابه فقال (فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا) الصرصر الريح الشديدة الصوت من الصرة وهي الصيحة قال أبو عبيدة معنى صرصر شديدة عاصفة وقال الفراء هي الباردة تحرق كما تحرق النار وقال عكرمة وسعيد بن جبير وقتادة هي الباردة وقال مجاهد هي الشديدة السموم والاولى تفسيرها بالبرد لان الصر في كلام العرب البرد قال ابن السكيت صرصر يجوز أن يكون من الصر وهو البرد ومن صرصر الباب ومن الصرة وهي الصيحة ومنه وأقبلت امرأته في صرة ثم بين سبحانه وقت نزول ذلك العذاب عليهم فقال (في أيام نحسات) أي نكدات مشؤمات ذوات نحوس عليهم قال مجاهد وقتادة كن آخر شوال من يوم الاربعاء الى يوم الاربعاء وذلك سبع ليال وثمانية أيام حسوما وقيل وما عذب قوم الا في يوم الاربعاء وقيل نحسات باردات حكاه الثعلبي وقيل متتابعات وقيل شداد وقيل ذوات غبار وتراب ثائر لا يكاد يبصر فيه قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو نحسات باسكان الحاء على انه جمع نحس وقرأ الباقون بكسرها واختار أبو حاتم الاولى لقوله في يوم نحس مستمر واختار أبو عبيد الثانية (لنذيقهم) أي لكي نذيقهم (عذاب الخزي في الحياة الدنيا) والخزي هو الذل والهوان بسبب ذلك الاستكبار وهو في الاصل صفة المعذب وانما وصف به العذاب على الاسناد المجازي للمبالغة فهو من اضافة الموصوف الى صفته أي العذاب الخزي ولهذا جاء (ولعذاب الآخرة أخزى) أي أشد اهانة وذلا فلو لم يكن من اضافة الموصوف الى صفته لم يأت بلفظ أخزى الذي يقتضي المشاركة (وهم لا ينصرون) أي لا يمنعون من العذاب النازل بهم ولا يدفعه عنهم دافع ثم ذكر حال الطائفة الاخرى فقال (وأما ثمود فهديناهم) أي بينا لهم سبيل النجاة ودللناهم على طريق الحق بارسال الرسل اليهم ونصب الدلالات لهم من

مخلوقات الله وانزال الآيات التشريعية فانها توجب على كل عاقل أن يؤمن بالله ويصدق رسله قال الفراء معنى الآية دللناهم على مذهب الخير بارسال الرسل قال الشيخ أبو منصور يحتمل ماذكر من الهداية التبيين وخلق الاهتداء فيهم فصاروا مهتدين ثم كفروا بعد ذلك وعقروا الناقة لان الهدى المضاف الى الخالق يكون بمعنى البيان والتوفيق وخلق فعل الاهتداء فأما الهدى المضاف الى الخلق فيكون بمعنى البيان لاغير وقال صاحب الكشاف فيه فان قلت أليس معنى قولك هديته جعلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة قلت للدلالة على أنه مكنهم فأزاح عللهم ولم يبق لهم عذر فكأنه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها أو يقتضيها اه وانما تحمل هذا لانه لا يتمكن من أن يفسره بخلق الاهتداء لانه يخالف مذهبه الفاسد قرأ الجمهور ثمود بالرفع ومنع الصرف وقرئ بالرفع والصرف وقرئ بالنصب والصرف وقرئ بالنصب والمنع فأما الرفع فعلى الابتداء وهو الفصيح وأما النصب فعلى الاشتغال وأما الصرف فعلى تفسير الاسم بالاب أو الحي وأما المنع فعلى تأويله بالقبيلة (فاستحبوا العمى على الهدى) أي اختاروا الكفر على الايمان قال أبو العالية اختاروا العمى على البيان وقال السدي اختاروا المعصية على الطاعة (فأخذتهم صاعقة العذاب الهون) قد تقدم أن الصاعقة اسم للشئ المهلك لاي شئ كان والهون الهوان والاهانة فكأنه قال أصابهم مهلك العذاب ذي الهوان أو الاهانة ويقال عذاب هون أي مهين كقوله ما لبثوا في العذاب المهين (بما كانوا يكسبون) الباء للسببية أي بسبب الذي كانوا يكسبونه أو بسبب كسبهم وهو شركهم وتكذيبهم صالحا (ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) وهم صالح ومن معه من المؤمنين فان الله نجاهم من ذلك العذاب وكانوا أربعة آلاف ثم لما ذكر سبحانه ما عاقبهم به في الدنيا ذكر ما عاقبهم به في الآخرة فقال (ويوم يحشر أعداء الله الى النار) وصفهم بكونهم أعداء الله مبالغة في ذمهم وقيل المراد بهم الكفار مطلقا الاولين والآخرين اي اذكر لقريش المعاندين للنبي حال الكفار يوم القيامة لعلهم يرتدعوا وينزجروا ومعنى يحشرهم الى النار سوقهم اليها أو الى موقف الحساب لانه يتبين عنده فريق الجنة وفريق النار قرأ الجمهور يحشر بالتحتية مضمومة ورفع أعداء على النيابة

وقرأ

وذلك الذي يسخط الله تعالى عليه ورواه مسلم وأبو داود من حديث سفيان بن عيينة به بطوله ثم قال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا اسمعيل بن عياش حدثنا ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن عقبة بن عامر رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول عظم من الانسان يتكلم يوم يختم على الافواه فخذه من الرجل اليسرى ورواه ابن جرير عن محمد بن عوف عن عبد الله بن المبارك عن اسمعيل بن عياش به مثله وقد جوّد اسناده الامام أحمد رحمه الله فقال حدثنا الحكم بن نافع حدثنا اسمعيل بن عياش عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد الحضرمي عمن حدثه عن عقبة بن عامر رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول عظم من الانسان يتكلم يوم يختم على الافواه فخذه من الرجل الشمال وقال ابن جرير حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية حدثنا يونس بن عبيد عن حميد بن هلال قال قال أبو بردة قال أبو موسى هو الاشعري رضي الله عنه يدعى المؤمن للحساب يوم القيامة فيعرض عليه ربه عمله فيما بينه وبينه فيعترف فيقول نعم أي رب عملت عملت عملت قال فيغفر الله تعالى له ذنوبه ويستره منها قال فما على الارض خليقة ترى من تلك الذنوب شيأ وتبدو حسناته فود أن الناس كلهم يرونها ويدعى الكافر والمنافق للحساب فيعرض عليه ربه عمله فيجحد ويقول أي رب وعزتك لقد كتب علي هذا الملك مالم أعمل فيقول له الملك أما عملت كذا في يوم كذا في مكان كذا فيقول لا وعزتك أي رب ماعملته فاذا فعل ذلك ختم الله تعالى على فيه قال أبو موسى الاشعري رضي الله عنه فاني أحسب أول ماينطق منه الفخذ اليمنى ثم تلا اليوم نختم على افواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون وقوله تبارك وتعالى ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها يقول ولو نشاء لاضللناهم عن الهدى فكيف يهتدون وقال مرة أعميناهم وقال الحسن البصري لو شاء الله لطمس على أعينهم فجعلهم عميا يترددون وقال السدي يقول ولو نشاء أعمينا أبصارهم وقال مجاهد وأبو صالح وقتادة والسدي فاستبقوا الصراط يعني الطريق وقال ابن زيد يعني بالصراط ههنا الحق فأنى يبصرون وقد طمسنا على أعينهم وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما فأنى يبصرون لا يبصرون الحق وقوله عز وجل ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما

اهلكناهم وقال السدى يعني لعبرنا خلقهم وقال ابو صالح لجعلناهم حجارة وقال الحسن البصري وقتادة لأقعدهم على ارجلهم ولهذا قال تبارك وتعالى فما استطاعوا مضيا أي الى امام ولا يرجعون الى وراء بل يلزمون حالا واحدا لا يتقدمون ولا يتأخرون (ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون * وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين * لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين) يخبر تعالى عن ابن آدم انه كلما طال عمره رد الى الضعف بعد القوة والعجز بعد النشاط كما قال تبارك وتعالى الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا

وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير وقال عز وجل ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيأ والمراد من هذا والله أعلم الاخبار عن هذه الدار بأنها دار زوال وانتقال لا دار دوام واستمرار ولهذا قال عز وجل أفلا يعقلون أي يتفكرون بعقولهم في ابتداء خلقهم ثم صيرورتهم الى سن الشيبة ثم الى الشيخوخة ليعلموا انهم خلقوا لدار أخرى لا زوال لها ولا انتقال منها ولا محيد عنها وهي الدار الآخرة وقوله تبارك وتعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له يقول عز وجل مخبرا عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم انه ما علمه الشعر وما ينبغي له أي ما هو في طبعه فلا يحسنه ولا يحبه ولا تقتضيه جبلته ولهذا ورد انه صلى الله عليه وسلم كان لا يحفظ بيتا على وزن منتظم بل ان أنشده زحفه أو لم يتمه وقال أبو زرعة الرازي حدثنا اسمعيل بن مجالد عن أبيه عن الشعبي انه قال ما ولد عبد المطلب ذكرا ولا أنثى الا يقول الشعر الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره ابن عساكر في ترجمة عتبة بن أبي لهب الذي أكله الاسد بالزرقاء قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن الحسن البصري قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا قال أبو بكر أو عمر رضي الله عنهما أشهد أنك رسول الله يقول تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له وهكذا روى البيهقي في الدلائل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن مرداس السلمي رضي الله عنه أنت القائل * أتجعل نهبي ونهب العبيد بين الاقرع وعيينة * فقال انما هو بين عيينة والاقرع فقال صلى الله عليه وسلم الكل سواء

وقرأ نافع بالنون وضم أوله * (فهم يوزعون) أي يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا ويجتمعوا كذا قال قتادة والسدي وغيرهما وبه قال ابن عباس أي يساقون ويوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم وهي عبارة عن كثرة أهل النار وأصله من وزعته أي كففته وقد سبق تحقيق معناه في سورة النمل مستوفى وعن ابن عباس قال يدفعون وقيل يساقون (حتى اذا ما جاؤها) أي النار التي حشروا اليها وصاروا بحضرتها أو موقف الحساب وما مزيدة للتوكيد (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) في الدنيا من المعاصي وفي كيفية هذه الشهادة ثلاثة أقوال أولها ان الله تعالى يخلق الفهم والقدرة والنطق فيها فتشهد كما يشهد الرجل على ما يعرفه ثانيها انه تعالى يخلق في تلك الاعضاء الاصوات والحروف الدالة على تلك المعاني ثالثها ان يظهر في تلك الاعضاء أحوال تدل على صدور تلك الاعمال من ذلك الانسان وتلك الامارات تسمى شهادات كما يقال العالم يشهد بتغيرات أحواله على حدوثه وقال الكرخي ينطقها الله تعالى كما انطق اللسان فتشهد وليس نطقها بأغرب من نطق اللسان عقلا وأصحابنا ان البنية ليست شرطا للحياة والعلم والقدرة فالله تعالى قادر على خلق العقل والقدرة والنطق في كل جزء من أجزاء هذه الاعضاء قال مقاتل تنطق جوارحهم بما كتمت ألسنتهم من عملهم بالشرك والمراد بالجلود هي جلودهم المعروفة في قول أكثر المفسرين وقيل المراد بها الجوارح مطلقا فالعطف من قبيل عطف العام على الخاص وقال السدي وعبيد الله بن أبي جعفر والفراء أراد بالجلود الفروج وهو من باب الكنايات كما قال تعالى لا تواعدوهن سرا أراد النكاح وقال تعالى أو جاء أحد منكم من الغائط والمراد قضاء الحاجة وفي الحديث أول ما يتكلم من الآدمي فخذه وكفه وعلى هذا التقدير تكون الآية وعيدا شديدا في اتيان الزنا لان مقدمة الزنا انما تحصل بالفخذ والاول أولى ووجه تخصيص الثلاثة بالشهادة دون غيرها مع ان الحواس خمسة وهي السمع والبصر والشم والذوق واللمس وآلة اللمس هي الجلد ما ذكره الرازي ان الذوق داخل في اللمس من بعض الوجوه لان ادراك الذوق انما يتأتى بان تصير جلدة اللسان مماسة لجرم الطعام وكذلك الشم لا يتأتى حتى تصير جلدة الانف مماسة لجرم المشموم فكانا داخلين في حس اللمس انتهى واذا عرفت من كلامه هذا وجه تخصيص الثلاثة بالذكر عرفت منه وجه تخصيص الجلود بالسؤال كما قال (وقالوا

يعني في المعنى صلوات الله وسلامه عليه والله أعلم وقد ذكر السهيلي في الروض الأنف لهذا التقديم والتأخير الذي وقع في كلامه صلى الله عليه وسلم في هذا البيت مناسبة أغرب فيها حاصلها شرف الأقرع بن حابس على عيينة بن بدر الفزاري لأنه ارتد أيام الصديق رضي الله عنه بخلاف ذلك والله أعلم وهكذا روى الأموي في مغازيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يمشي بين القتلى يوم بدر وهو يقول نفلق هاما فيقول الصديق رضي الله عنه متمما البيت

من رجال أعزة * علينا وهم كانوا أعق وأظلما

وهذا لبعض شعراء العرب في قصيدة له وهي في الحماسة وقال الإمام أحمد حدثنا هشيم حدثنا مغيرة عن الشعبي عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استراب الخبر تمثل فيه ببيت طرفة

ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وهكذا رواه النسائي في اليوم والليلة من طريق إبراهيم بن مهاجر عن الشعبي عنها ورواه الترمذي والنسائي أيضا من حديث المقدام ابن شريح بن هانئ عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها كذلك ثم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا يوسف بن موسى حدثنا أسامة عن زائدة عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل من الأشعار

ويأتيك بالأخبار من لم تزود

ثم قال ورواه غير زائدة عن سماك عن عكرمة عن عائشة رضي الله عنها وهذا في شعر طرفة بن العبد في معلقته المشهورة وهذا المذكور عجز بيت منها أوله

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالأخبار من لم تزود

ويأتيك بالأخبار من لم تبع له * بتاتا ولم تضرب له وقت موعد

وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قيل لعائشة رضي الله عنها هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر قالت رضي الله عنها كان أبغض الحديث إليه غير أنه صلى الله عليه وسلم كان يتمثل ببيت أخي بني قيس فيجعل أوله آخره وآخره أوله فقال أبو بكر رضي الله عنه ليس هذا هكذا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني والله ما أنا بشاعر وما ينبغي لي رواه ابن

جلودهم) لأنها قد اشتملت على ثلاث حواس فكان تأتي المعصية من جهتها أكثر وأما على قول من قال بالفروج فوجه تخصيصها بالسؤال ظاهر لأن ما يشهد به الفرج من الزنا أعظم قبحا وأجلب للخزي والعقوبة قيل والمراد بالجلود هنا المعنى الأعم فليس في سؤالهم ترك سؤال السمع والبصر بل هما داخلان في الجلود المعنى الذي علمته (لم شهدتم علينا) سؤال توبيخ وتعجب من هذا الأمر الغريب لكونها ليست مما ينطق ولكونها كانت في الدنيا مساعدة لهم على المعاصي فكيف تشهد الآن عليهم فلذلك استغربوا شهادتها وخاطبوها بصيغة خطاب العقلاء لصدور ما يصدر من العقلاء عنها وهو الشهادة (قالوا) مجيبين لهم معتذرين (أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) مما ينطق من مخلوقاته فشهدنا عليكم بما عملتم من القبائح وقيل المعنى ما نطقنا باختيارنا بل أنطقنا الله والأول أولى والمعنى أن نطقنا ليس بعجيب من قدرة الله الذي قدر على إنطاق كل حيوان (وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون) قيل هذا من تمام كلام الجلود وقيل إنه من كلام الملائكة وقيل مستأنف من كلام الله والمعنى أن من قدر على خلقكم وإنشائكم ابتداء قدر على إعادتكم ورجعكم إليه ولعل صيغة المضارع مع أن هذه المحاورة بعد البعث والرجوع لما أن المراد بالرجوع ليس مجرد الرد إلى الحياة بالبعث بل ما يعمه ويعم ما يترتب عليه من العذاب الخالد المترقب عند المخاطبة فغلب المتوقع على الواقع (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) هذا تقريع لهم وتوبيخ من جهة الله سبحانه أو من كلام الجلود أي ما كنتم تستخفون عند الأعمال القبيحة وارتكاب الفواحش بالحيطان والحجب حذرا من شهادة الجوارح عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء أصلا وهو قول أكثر العلماء ولما كان الإنسان لا يقدر على أن يخفي من جوارحه عند مباشرة المعصية كان معنى الاستخفاء هنا ترك المعصية وقيل معنى الاستتار الاتقاء أي ما كنتم تتقون في الدنيا أن تشهد عليكم جوارحكم في الآخرة فتتركوا المعاصي خوفا من هذه الشهادة ومعنى أن تشهد لأجل أن تشهد أو مخافة أن تشهد وقيل إن الاستتار مضمن معنى الظن أي وما كنتم تظنون أن تشهد وهو بعيد وأخرج عبد الرزاق وأحمد والنسائي وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في البعث عن معاوية ابن حيدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحشرون ههنا وأومأ بيده إلى الشام مشاة وركبانا وعلى وجوهكم وتعرضون على الله وعلى أفواهكم الفدام(١) وأول ما يعرب عن

---

(١) الفدام ما يوضع في فم الإبريق ليصفى به ما فيه والفدام بالفتح والتشديد مثله يقال فدمت على فيه بالفدام فدما إذا غطيته اه صحاح

أبي حاتم وابن جرير وهذا لفظه وقال معمر عن قتادة بلغني ان عائشة رضي الله عنها سئلت هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر فقالت رضي الله عنها الا بيت طرفة

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

فجعل صلى الله عليه وسلم يقول من لم تزود بالاخبار فقال ابو بكر ليس هذا هكذا فقال صلى الله عليه وسلم اني لست بشاعر ولا ينبغي لي وقال الحافظ ابو بكر البيهقي أخبرنا ابو عبد الله الحافظ حدثنا ابو حفص عمر بن أحمد بن نعيم وكيل المتقي ببغداد حدثنا أبو محمد عبد الله بن هلال النحوي الضرير حدثنا علي بن عمرو الانصاري حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت شعر قط الا بيتا واحدا

تفاءل بما تهوى يكن فلقلما * يقال لشيء كان الا تحققا

سألت شيخنا الحافظ ابا الحجاج المزي عن هذا الحديث فقال هو منكر ولم يعرف شيخ الحاكم ولا الضرير وثبت في الصحيح انه صلى الله عليه وسلم تمثل يوم حفر الخندق بأبيات عبد الله بن رواحة رضي الله عنه لكن تبعا لقول أصحابه رضي الله عنهم فانهم كانوا يرتجزون وهم يحفرون فيقولون

لاهم لولا أنت ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا * وثبت الاقدام ان لاقينا
ان الألى قد بغوا علينا * اذا أرادوا فتنة أبينا

ويرفع صلى الله عليه وسلم صوته بقوله أبينا ويمدها وقد روي هذا بزحاف في الصحيحين أيضا وكذلك ثبت انه صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين وهو راكب البغلة يقدم بها في نحر العدو

أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

لكن قالوا هذا وقع اتفاقا من غير قصد لوزن شعر بل جرى على اللسان من غير قصد له وكذلك ما ثبت في الصحيحين عن جندب ابن عبد الله رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في (١) غار فنكبت اصبعه فقال صلى الله عليه وسلم

هل أنت الا اصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت

عن أحدكم فخذه وكفه وتلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما كنتم تستترون الخ وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال كنت مستترا باستار الكعبة فجاء ثلاثة نفر قرشي وثقفيان أو ثقفي وقرشيان كثير لحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فتكلموا بكلام لم أسمعه فقال أحدهم أترون ان الله يسمع كلامنا هذا فقال الآخران انا اذا رفعنا أصواتنا سمعه واذا لم نرفعه لم يسمعه فقال الآخر ان سمع منه شيئا سمعه كله قال فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فأنزل الله وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم الى قوله من الخاسرين (ولكن ظننتم) عند استتاركم من الناس مع عدم استتاركم من أعضائكم (أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) من المعاصي فاجترأتم على فعلها قيل كان الكفار يقولون ان الله لا يعلم ما في انفسنا ولكن يعلم ما نظهر دون ما نسر قال قتادة الظن هنا بمعنى العلم وقيل اريد بالظن معنى مجازي يعم معناه الحقيقي وما هو فوقه من العلم (وذلكم) أي ما ذكر من ظنكم مبتدأ (ظنكم) بدل منه (الذي ظننتم بربكم) نعت والخبر (أرداكم) أي أهلككم وطرحكم في النار وقيل ظنكم الخبر والموصول بدل أو بيان وأرداكم حال وقد مقدرة أو غير مقدرة اي ذلكم ظنكم مرديا اياكم (فأصبحتم من الخاسرين) اي الكاملين في الخسران قال المحققون الظن قسمان أحدهما حسن والآخر قبيح فالحسن ان يظن بالله عز وجل الرحمة والفضل والاحسان قال صلى الله عليه وآله وسلم حكاية عن الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي وأخرج أحمد وأبو داود والطيالسي وعبد ابن حميد ومسلم وأبو داود وابن ماجه وابن حبان وابن مردويه عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى فان قوما قد أرداهم سوء ظنهم بالله فقال الله وذلكم ظنكم الآية والظن القبيح ان يظن أنه تعالى يعزب عن علمه بعض هذه الافعال وقال قتادة الظن نوعان مرد ومنج فالمنجي قوله اني ظننت أني ملاق حسابيه وقوله الذين يظنون انهم ملاقو ربهم والمردي هو قوله وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم ثم أخبر عن حالهم فقال (فان يصبروا) على النار (فالنار مثوى لهم) أي محل استقرارهم واقامتهم لا خلاص ولا خروج لهم منها صبروا أو لم يصبروا على كل حال وقيل المعنى فان يصبروا في الدنيا على اعمال أهل النار فالنار مثوى لهم (وان يستعتبوا فما هم من المعتبين) يقال أعتبني فلان اي ارضاني بعد اسخاطه اياي واستعتبته طلبت

---

(١) قوله في غار كذا في النسخ وحرر لفظ الحديث اه

وسيأتي عند قوله تعالى الا اللمم انشاد

ان تغفر اللهم تغفر جما * وأي عبد لك ما ألما

وكل هذا لا ينافي كونه صلى الله عليه وسلم ما علم شعرا ولا ينبغي له فان الله تعالى انما علمه القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وليس هو بشعر كما زعمه طائفة من جهلة كفار قريش ولا كهانة ولا مفتعل ولا سحر يؤثر كما تنوعت فيه أقوال الضلال وآراء الجهال وقد كانت سجيته صلى الله عليه وسلم تأبى صناعة الشعر طبعا وشرعا كما رواه أبو داود قال حدثنا عبيد الله بن عمرو حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا سعيد بن أبي أيوب حدثنا شرحبيل بن يزيد المعافري عن عبد الرحمن بن رافع التنوخي قال سمعت عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما أبالي ما أوتيت ان أنا شربت ترياقا او تعلقت تميمة او قلت الشعر من قبل نفسي تفرد به أبو داود وقال الامام احمد رحمه الله حدثنا عبد الرحمن ابن مهدي عن الاسود بن شيبان عن ابي نوفل قال سألت عائشة رضي الله عنها هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسامع عنده الشعر فقالت قد كان أبغض الحديث اليه وقال عن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الجوامع من الدعاء ويدع ما بين ذلك وقال ابو داود حدثنا ابو الوليد الطيالسي حدثنا شعبة عن الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا خير له من ان يمتلئ شعرا انفرد به من هذا الوجه واسناده على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا قزعة بن سويد الباهلي عن عاصم بن مخلد عن أبي الاشعث الصنعاني ح وحدثنا الاشيب فقال عن أبي عاصم عن أبي الاشعث عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرض بيت شعر بعد العشاء الآخرة لم تقبل له صلاة تلك الليلة وهذا حديث غريب من هذا الوجه ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة والمراد بذلك نظمه لا انشاده والله أعلم على ان الشعر فيه ما هو مشروع وهو هجاء المشركين الذي كان يتعاطاه شعراء الاسلام كحسان بن ثابت رضي الله عنه وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وامثالهم واضرابهم رضي الله عنهم أجمعين ومنه ما فيه حكم ومواعظ وآداب كما يوجد

منه ان يرضى والمعنى انهم ان يسألوا ان يرجع بهم الى ما يحبون لم يرجع لانهم لا يستحقون ذلك قال الخليل تقول استعتبته فاعتبني اى استرضيته فأرضاني ومعنى الآية ان يطلبوا الرضا لم يقع الرضا عنهم بل لا بد لهم من النار قرأ الجمهور يستعتبوا بفتح التحتية وكسر التاء الفوقية الثانية مبنيا للفاعل ومن المعتبين بفتح الفوقية اسم مفعول وقرئ يستعتبوا مبنيا للمفعول وقرئ من المعتبين اسم فاعل اى انهم ان أقالهم الله وردهم الى الدنيا لم يعملوا بطاعته كما في قوله سبحانه ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه (وقيضنا) أصل التقييض التيسير والتهيئة أى هيأنا (لهم) اى للكفار قريش وغيرهم (قرناء) من الشياطين من الاخلاء لهم جمع قرين بمعنى نظير كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال الزجاج سببنا لهم قرناء حتى أضلوهم وقيل سلطنا عليهم قرناء وقيل قدرنا والمعاني متقاربة أى يلازمونهم ويستولون عليهم استيلاء القيض على البيض والقيض قشر البيض الاعلى وقيل ان الله قيض لهم قرناء في النار والاولى ان ذلك في الدنيا لقوله (فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم) قال المعنى زينوا لهم ما بين أيديهم من أمور الدنيا وشهواتها وحملوهم على الوقوع في معاصي الله بانهماكهم فيها وزينوا لهم ما خلفهم من أمور الآخرة فقالوا لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار وقال الزجاج ما بين أيديهم ما عملوه وما خلفهم ما عزموا على أن يعملوه وروى عنه أيضا انه قال ما بين أيديهم من أمر الآخرة وما خلفهم من أمر الدنيا بان الدنيا قديمة ولا صانع الا الطبائع والافلاك (وحق عليهم القول) اى وجب وثبت عليهم العذاب وتحقق مقتضاه وهو قوله سبحانه لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين (في أمم) اى كائنين في جملة أمم وقيل في بمعنى مع اى مع امم من الامم الكافرة ولا حاجة الى بدل حرف من حرف مع امكان بقائه على بابه والمعنى الامم التي (قد خلت) ومضت (من قبلهم من الجن والانس) على الكفر (انهم كانوا خاسرين) تعليل لاستحقاقهم العذاب قاله الكرخي (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن) أى قال بعضهم لبعض لا تسمعوه ولا تنصتوا له وقيل المعنى لا تطيعوا يقال سمعت لك اى اطعتك (والغوا فيه) اى عارضوه باللغو والباطل أو ارفعوا اصواتكم ليتشوش القارئ له وقال مجاهد الغوا فيه بالمكاء والتصدية والتصفيق والتخليط في الكلام حتى يصير لغوا وقال الضحاك اكثروا الكلام ليختلط عليه ما يقول وقال ابو العالية قعوا فيه وعيبوه

في شعر جماعة من الجاهلية ومنهم أمية بن أبي الصلت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن شعره وكفر قلبه وقد أنشد بعض الصحابة رضي الله عنهم للنبي صلى الله عليه وسلم مائة بيت يقول صلى الله عليه وسلم عقب كل بيت هيه يعني يستطعمه فيزيده من ذلك وقد روى أبو داود من حديث أبي بن كعب وبريدة بن الحصيب وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن من البيان سحرا وإن من الشعر حكما ولهذا قال وما علمناه الشعر يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ما علمه الله الشعر وما ينبغي له أي وما يصلح له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين أي ما هذا الذي علمناه إلا ذكر وقرآن مبين أي بين واضح جلي لمن تأمله وتدبره ولهذا قال تعالى لينذر من كان حيا أي لينذر هذا القرآن المبين كل حي على وجه الأرض كقوله لأنذركم به ومن بلغ وقال جل وعلا ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده وإنما ينتفع بنذارته من هو حي القلب مستنير البصيرة كما قال قتادة حي القلب حي البصر وقال الضحاك يعني عاقلا ويحق القول على الكافرين أي هو رحمة للمؤمنين وحجة على الكافرين (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون) يذكر تعالى ما أنعم به على خلقه من هذه الأنعام التي سخرها لهم فهم لها مالكون قال قتادة مطيقون أي جعلهم يقهرونها وهي ذليلة لهم لا تمتنع منهم بل لو جاء صغير إلى بعير لأناخه ولو شاء لأقامه وساقه وذاك ذليل منقاد معه وكذا لو كان القطار مائة بعير أو أكثر لسار الجميع بسير الصغير وقوله تعالى فمنها ركوبهم ومنها يأكلون أي منها ما يركبون في الأسفار ويحملون عليه الأثقال إلى سائر الجهات والأقطار ومنها ما يأكلون إذا شاؤوا نحروا واجتزروا ولهم فيها منافع أي من أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين ومشارب أي من ألبانها وأبوالها لمن يتداوى ونحو ذلك أفلا يشكرون أي أفلا يوحدون خالق ذلك ومسخره ولا يشركون به غيره (واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون فلا يحزنك قولهم إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون) يقول تعالى منكرا على المشركين في اتخاذهم الأنداد آلهة مع الله يبتغون بذلك أن تنصرهم تلك الآلهة وترزقهم وتقربهم إلى الله زلفى قال الله تعالى لا يستطيعون نصرهم أي لا تقدر الآلهة على نصر عابديها بل هي أضعف من ذلك وأقل وأذل وأحقر وأدحر بل لا تقدر على الانتصار لأنفسها

قرأ الجمهور والغوا بفتح الغين من لغا إذا تكلم باللغو وهو ما لا فائدة فيه ومن لغي بالفتح يلغى بالفتح أيضا كما حكاه الأخفش وكان قياسه الضم كغزا يغزو ولكنه فتح لأجل حرف الحلق أو من لغا بكذا إذا رمى به فيكون في معنى الماء أي ارموا به وقرئ بضم الغين من لغا بالفتح يلغو كدعا يدعو وفي الحديث فقد لغوت وهذا موافق لقراءة غير الجمهور وقد تقدم الكلام في اللغو في سورة البقرة (لعلكم تغلبون) أي لكي تغلبوا فيسكتوا عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو بمكة إذا قرأ القرآن يرفع صوته فكان المشركون يطردون الناس عنه ويقولون لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون وكان إذا أخفى قراءته لم يسمع من يحب أن يسمع القرآن فأنزل الله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها أخرجه ابن أبي حاتم ثم توعدهم سبحانه على ذلك فقال (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا) هذا وعيد لجميع الكفار ويدخل فيهم الذين السياق معهم دخولا أوليا (ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون) أي ولنجزينهم في الآخرة جزاء أقبح أعمالهم التي عملوها في الدنيا قال مقاتل وهو الشرك وقيل المعنى أنه يجازيهم بمساوي أعمالهم لا بمحاسنها كما يقع منهم من صلة الأرحام وإكرام الضيف لأن ذلك باطل لا أجر له مع كفرهم وفي هذا تعريض بمن لا يكون عند كلام الله المجيد خاضعا خاشعا متفكرا متدبرا وتهديد ووعيد لمن يصدر عنه عند سماعه ما يشوش على القارئ ويخلط عليه القراءة فانظر إلى عظمة القرآن وتأمل في هذا التغليظ والتشديد واشهد لمن عظمه وأجل قدره وألقى السمع وهو شهيد بالفوز العظيم والأجر الكبير (ذلك) أي العذاب الشديد وأسوأ الجزاء (جزاء أعداء الله النار) بدل أو عطف بيان للجزاء المخبر به عن ذلك أو خبر مبتدأ مضمر أو مبتدأ خبره (لهم فيها دار الخلد) أي دار الإقامة المستمرة التي لا انقطاع لها ولا انتقال عنها (جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون) أي يجزون جزاء بسبب جحدهم بآيات الله قال مقاتل يعني القرآن يجحدون أنه من عند الله وعلى هذا يكون المعبر عن اللغو بالجحود لكونه سببا له إقامة للسبب مقام المسبب (وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس) قالوا هذا وهم في النار وذكره بلفظ الماضي تنبيها على تحقق وقوعه والمراد أنهم طلبوا من الله سبحانه أن يريهم من أضلهم من فريقي

ولا الانتقام ممن أرادها بسوء لانها جماد لا تسمع ولا تعقل وقوله تبارك وتعالى وهم لهم جند محضرون قال مجاهد يعني عند الحساب
يريد أن هذه الاصنام محشورة مجموعة يوم القيامة محضرة عند حساب عابديها ليكون ذلك أبلغ في حزنهم وأدل عليهم في اقامة الحجة
عليهم وقال قتادة لا يستطيعون نصرهم يعني الآلهة وهم لهم جند محضرون والمشركون يغضبون للآلهة في الدنيا وهي
لا تسوق اليهم خيرا ولا تدفع عنهم شرا انما هي أصنام وهكذا قال الحسن البصري وهذا القول حسن وهو اختيار ابن جرير رحمه الله
تعالى وقوله تعالى فلا يحزنك قولهم أي (١٣٨) تكذيبهم لك وكفرهم بالله انا نعلم ما يسرون وما يعلنون أي نحن نعلم
جميع ما هم فيه وسنجزيهم وصفهم
ونعاملهم على ذلك يوم لا يفقدون
من أعمالهم جليلا ولا حقيرا ولا
صغيرا ولا كبيرا بل يعرض عليهم
جميع ما كانوا يعملون قديما وحديثا
(أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة
فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا
ونسي خلقه قال من يحيي العظام
وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها
أول مرة وهو بكل خلق عليم الذي
جعل لكم من الشجر الاخضر نارا
فاذا أنتم منه توقدون) قال مجاهد
وعكرمة وعروة بن الزبير والسدي
وقتادة جاء أبي بن خلف لعنه الله
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي يده عظم رميم وهو يفتته ويذروه
في الهواء وهو يقول يا محمد أتزعم
ان الله يبعث هذا قال صلى الله عليه
وسلم نعم يميتك الله تعالى ثم يبعثك ثم
يحشرك الى النار ونزلت هذه
الآيات من آخر يس أولم ير الانسان
أنا خلقناه من نطفة الى آخرهن
وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن
الحسين بن الجنيد حدثنا محمد بن
العلاء حدثنا عثمان بن سعيد الزيات
عن هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن
جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان العاصي بن وائل أخذ عظما من البطحاء ففتته بيده ثم قال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم أيحيي الله هذا بعدما أرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم يميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم
قال ونزلت الآيات من آخر يس ورواه ابن جرير عن يعقوب بن ابراهيم عن هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير فذكره ولم يذكر
ابن عباس رضي الله عنهما وروي من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء عبد الله بن أبي بعظم ففته وذكر نحو
ما تقدم وهذا منكر لان السورة مكية وعبد الله بن أبي ابن سلول انما كان بالمدينة وعلى كل تقدير سواء كانت هذه الآيات قد نزلت

الجن والانس من الرؤساء الذين كانوا يزينون لهم الكفر ومن الشياطين الذين كانوا
يسولون لهم ويحملونهم على المعاصي لان الشيطان على ضربين جني وانسي قال تعالى
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن وقال الذي يوسوس في صدور الناس
من الجنة والناس قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وأرضاه هو ابن آدم الذي قتل
أخاه وابليس أي لانهما سنا المعصية لبني آدم قرأ الجمهور أرنا بكسر الراء وقرئ بسكونها
وهما لغتان بمعنى واحد وقال الخليل اذا قلت أرني ثوبك بالكسر فمعناه بصرنيه
وبالسكون أعطنيه (نجعلهما تحت أقدامنا) في النار أي ندوسهما بأقدامنا لنشتفي منهما
وليكونا وقاية بيننا وبينها فتخف عنا حرارتها نوع خفة و(ليكونا من الاسفلين) فيها
مكانا أو ليكونا من الاذلين المهانين وقيل ليكونا أشد عذابا منا قال الزجاج ليكونا في
الدرك الاسفل وممن هو دوننا ثم لما ذكر سوء عقاب الكافرين وما أعده لهم ذكر حسن حال
المؤمنين وما أنعم به عليهم فقال (ان الذين قالوا ربنا الله) وحده لا شريك له (ثم استقاموا)
أي داموا وثبتوا على التوحيد ولم يلتفتوا الى اله غير الله وثم للتراخي في الزمان من حيث
ان الاستقامة أمر يمتد زمانه أفاده أبو السعود وقال الخطيب ثم لتراخي الرتبة في الفضيلة
فان الثبات على التوحيد ومصاحبته الى الممات في علو رتبته أمر لا يرام الا بتوفيق ذي
الجلال والاكرام قال جماعة من الصحابة والتابعين معنى الاستقامة اخلاص العمل لله
تعالى وقال قتادة وابن زيد ثم استقاموا على طاعة الله وقال الحسن استقاموا على أمر
الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معاصيه وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة استقاموا على
شهادة أن لا اله الا الله حتى ماتوا وقال الثوري عملوا على وفاق ما قالوا وقال الربيع
أعرضوا عما سوى الله وقال الفضيل بن عياض زهدوا في الفانية ورغبوا في الباقية عن
أنس قال قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية قال قد قالها ناس من
الناس ثم كفر أكثرهم فمن قالها حين يموت فهو ممن استقام عليها أخرجه الترمذي
والنسائي والبزار وأبو يعلى وغيرهم وقال أبو بكر الصديق الاستقامة أن لا يشركوا بالله
شيأ وعنه قال لم يرجعوا الى عبادة الاوثان قال أبو حيان قال ابن عباس نزلت هذه الآية
في أبي بكر الصديق وعن بعض الصحابة قال ثم استقاموا على فرائض الله وعن عمر بن
الخطاب قال استقاموا بطاعة الله لم يروغوا روغان الثعلب وأخرج أحمد وعبد بن حميد
والدارمي

في أبي بن خلف أو العاص بن وائل أو فيهما فهي عامة في كل من أنكر البعث والألف واللام في قوله تعالى أولم ير الإنسان للجنس يعم كل منكر للبعث إنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين أي أولم يستدل من أنكر البعث بالبدء على الإعادة فإن الله ابتدأ خلق الإنسان من سلالة من ماء مهين فخلقه من شيء حقير ضعيف مهين كما قال عز وجل ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين إلى قدر معلوم وقال تعالى إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج أي من نطفة من أخلاط متفرقة فالذي خلقه من هذه النطفة الضعيفة أليس بقادر على إعادته بعد موته كما قال الإمام أحمد في مسنده حدثنا أبو المغيرة حدثنا حريز حدثني عبد الرحمن بن ميسرة عن جبير بن نفير عن بسر بن جحاش قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يوماً في كفه فوضع عليها أصبعه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يا ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن هارون عن حريز بن عثمان به ولهذا قال تعالى وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم أي استبعد إعادة الله تعالى ذي القدرة العظيمة التي خلقت السموات والأرض للأجساد والعظام الرميمة ونسي نفسه وأن الله تعالى خلقه من العدم إلى الوجود فعلم من نفسه ما هو أعظم مما استبعده وأنكره وجحده ولهذا قال عز وجل قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم أي يعلم العظام في سائر أقطار الأرض وأرجائها أين ذهبت وأين تفرقت وتمزقت قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي قال قال عقبة بن عمرو لحذيفة رضي الله عنهما ألا تحدثنا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سمعته صلى الله عليه وسلم يقول إن رجلاً حضره الموت فلما أيس من الحياة أوصى أهله إذا أنا مت فاجمعوا لي حطباً كثيراً جزلاً ثم أوقدوا فيه ناراً حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي فامتحشت فخذوها فدقوها فذروها في اليم ففعلوا فجمعه الله تعالى إليه ثم قال له لم فعلت ذلك قال من خشيتك فغفر الله عز وجل له فقال عقبة ابن عمرو وأنا سمعته صلى الله عليه وسلم يقول ذلك وكان نباشاً وقد أخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الملك بن عمير بألفاظ كثيرة منها

والدارمي والبخاري في تاريخه ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان عن سفيان بن عبد الله الثقفي أن رجلاً قال يا رسول الله مرني بأمر في الإسلام لا أسأل عنه أحداً بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم قلت فما أتقي فأومأ إلى لسانه قال الترمذي حسن صحيح (تتنزل عليهم الملائكة) من عند الله سبحانه بالبشرى التي يريدونها من جلب نفع أو دفع ضر أو رفع حزن قال ابن زيد ومجاهد تتنزل عليهم عند الموت وقال مقاتل وقتادة إذا قاموا من قبورهم للبعث وقال وكيع البشرى في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث قال البيضاوي أو في جميع ما يعرض لهم من الأحوال تبشرهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن (أن لا تخافوا ولا تحزنوا) أن هي المخففة أو المفسرة أو الناصبة ولا على الوجهين الأولين ناهية وعلى الثالث نافية والمعنى لا تخافون مما تقدمون عليه من أمور الآخرة ولا تحزنوا على ما فاتكم من أمور الدنيا من أهل وولد ومال قال مجاهد لا تخافوا الموت ولا تحزنوا على أولادكم فإن الله خليفتكم عليهم وقال عطاء لا تخافوا ردّ ثوابكم فإنه مقبول ولا تحزنوا على ذنوبكم فإني أغفرها لكم والظاهر عدم تخصيص تنزل الملائكة عليهم بوقت معين وعدم تقييد نفي الخوف والحزن بحالة مخصوصة كما يشعر به حذف المتعلق في الجميع والخوف غم يلحق النفس لتوقع مكروه في المستقبل والحزن غم يلحقها لفوات نفع في الماضي (وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) بها على ألسنة الرسل في الدنيا فإنكم واصلون إليها مستقرون بها خالدون في نعيمها ثم بشرهم سبحانه بما هو أعظم من ذلك كله فقال (نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة) أي نحن المتولون لحفظكم ومعونتكم في أمور الدنيا وأمور الآخرة ومن كان الله وليه فاز بكل مطلب ونجا من كل مخافة وقيل إن هذا من قول الملائكة قال مجاهد يقولون لهم نحن قرناؤكم الذين كنا معكم في الدنيا فإذا كان يوم القيامة قالوا لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة وقال السدي نحن الحفظة لأعمالكم في الدنيا وأنصاركم وأحباؤكم وأولياؤكم في الآخرة وقيل إنهم يشفعون لهم في الآخرة ويلقونهم بالكرامة وقال النسفي رحمه الله كما أن الشياطين قرناء العصاة والكافرين وكذلك الملائكة أولياء المتقين وأحباؤهم في الدارين (ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم) من صنوف

انه أمر بنيه أن يحرقوه ثم يسحقوه ثم يذروا نصفه في البر ونصفه في البحر في يوم رائح أي كثير الهواء ففعلوا ذلك فأمر الله تعالى البحر فجمع ما فيه وأمر البر فجمع ما فيه ثم قال له كن فاذا هو رجل قائم فقال له ما حملك على ما صنعت قال مخافتك وأنت أعلم فما تلافاه أن غفر له وقوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون اى الذي بدأ خلق هذا الشجر من ماء حتى صار خضرا نضرا ذا ثمر وينع ثم أعاده الى ان صار حطبا يابسا توقد به النار كذلك هو فعال لما يشاء قادر على ما يريد لا يمنعه شيء قال قتادة في قوله الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون يقول الذي أخرج هذه النار من هذا الشجر قادر على ان يبعثه وقيل المراد بذلك شجر المرخ والعفار ينبت في أرض الحجاز فيأتي من أراد قدح نار وليس معه زناد فيأخذ منه عودين أخضرين ويقدح أحدهما بالآخر فتتولد النار من بينهما كالزناد سواء روي هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما وفي المثل لكل شجر نار واستمجد المرخ والعفار وقال الحكماء في كل شجر نار الا العناب (أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون) يقول تعالى منبها على قدرته العظيمة في خلق السموات السبع بما فيها من الكواكب السيارة والثوابت والارضين السبع وما فيها من جبال ورمال وبحار وقفار وما بين ذلك ومرشدا الى الاستدلال على اعادة الاجساد بخلق هذه الاشياء العظيمة كقوله تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس وقال عز وجل ههنا أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم أي مثل البشر فيعيدهم كما بدأهم قاله ابن جرير وهذه الآية الكريمة كقوله عز وجل أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير وقال تبارك وتعالى ههنا بلى وهو الخلاق العليم انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون أي انما يأمر بالشيء أمرا واحدا لا يحتاج الى تكرار وتأكيد

اذا ما أراد الله أمرا فانما * يقول له قوله كن فيكون

الكرامات واللذات وأنواع النعم (ولكم فيها ما تدعون) أي ما تتمنون تفتعلون من الدعاء بمعنى الطلب وقد تقدم بيان معنى هذا في قوله ولهم ما يدعون مستوفى والفرق بين الجملتين ان الاولى باعتبار شهوات أنفسهم والثانية باعتبار ما يطلبونه أعم من أن يكون مما تشتهيه أنفسهم أولا اذ لا يلزم ان يكون كل مطلوب مشتهى كالفضائل العلمية وان كان الاول أعم أيضا من وجه بحسب حال الدنيا فالمريض لا يريد ما يشتهيه ويضره فرضه الا ان يمال المعنى اعم من الارادة وقال الرازي الاقرب عندي ان قوله ولكم فيها ما تشتهي انفسكم اشارة الى الجنة الروحانية المذكورة في قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم الآية وانتصاب (نزلا من غفور رحيم) على الحال من الموصول او من عائده أو من فاعل تدعون او هو مصدر مؤكد لفعل محذوف اى انزلنا نزلا والنزل ما يعد لهم حال نزولهم من الرزق والضيافة قال السني هو رزق النزيل وهو الضيف وقد تقدم تحقيقه في سورة آل عمران قال أهل المعاني كل هذه الاشياء المذكورة في هذه الآية جارية مجرى النزل والكريم اذا اعطى هذا النزل فما ظنك بما بعده من الالطاف والكرامة (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله) أي الى توحيده وطاعته قال الحسن هو المؤمن أجاب الله في دعوته ودعا الناس الى ما أجاب الله فيه من طاعته (وعمل صالحا) في اجابته (وقال انني من المسلمين) أي وليس الغرض منه القول فقط بل يضم اليه اعتقاد القلب فيعتقد بقلبه دين الاسلام مع اللفظ أي قال ذلك ابتهاجا بالاسلام وفرحا به واتخاذا له دينا ومذهبا وتفاخرا به قال ابن سيرين والسدي وابن زيد هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وروي هذا أيضا عن الحسن وقال عكرمة وقيس بن أبي حازم ومجاهد نزلت في المؤذنين قالت عائشة الداعي الى الله المؤذن والعمل الصالح ركعتان فيما بين الاذان والاقامة وعنها قالت ما أرى هذه الآية نزلت الا في المؤذنين ويجاب عن هذا بان الآية مكية والاذان انما شرع بالمدينة والاولى حمل الآية على العموم كما يقتضيه اللفظ ويدخل فيها من كان سببا للنزول دخولا أوليا فكل من جمع بين دعاء العباد الى ما شرعه الله وعمل عملا صالحا وهو تأدية ما فرضه الله عليه مع اجتناب ما حرمه عليه وكان من المسلمين دينا لا من غيرهم فلا شيء أحسن منه ولا أوضح من طريقته ولا أكثر ثوابا من عمله قيل والدعوة الى الله مراتب الاولى دعوة الانبياء الى الله بالمعجزات وبالحجج والبراهين وبالسيف وهذه المرتبة لم تتفق لغير الانبياء

المرتبه

المرتبة الثانية دعوة العلماء الى الله بالحجج والبراهين فقط والعلماء أقسام علماء بالله وعلماء بصفات الله وعلماء بأحكام الله المرتبة الثالثة دعوة المجاهدين الى الله بالسيف والسنان فهم يجاهدون الكفار حتى يدخلوا في دين الله وطاعته المرتبة الرابعة دعوة المؤذنين الى الصلاة فهم أيضا دعاة الى الله والى طاعته ثم بين سبحانه الفرق بين محاسن الاعمال ومساويها فقال (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة) أي لا تستوي الحسنة التي يرضى بها الله ويثيب عليها ولا السيئة التي يكرهها الله ويعاقب عليها ولا وجه لتخصيص الحسنة بنوع من أنواع الطاعات وتخصيص السيئة بنوع من أنواع المعاصي فان اللفظ أوسع من ذلك وقيل الحسنة التوحيد والسيئة الشرك وقيل الحسنة المداراة والسيئة الغلظة وقيل الحسنة العفو والسيئة الانتصار وقيل الحسنة العلم والسيئة الفحش وقيل غير ذلك قال الفراء لا في ولا السيئة زائدة والجملة مستأنفة مسوقة لبيان محاسن الاعمال الجارية بين العباد اثر بيان محاسن الاعمال الجارية بين العبد وبين الرب ترغيبا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الصبر على أذية المشركين ومقابلة اساءتهم بالاحسان (ادفع بالتي هي أحسن) استئناف مبين لحسن عاقبة الحسنة أي ادفع السيئة اذا جاءتك من المسيء بأحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات ومنه مقابلة الاساءة بالاحسان والذنب بالعفو والغضب بالصبر والاغضاء عن الهفوات والاحتمال للمكروهات قال ابن عباس أمر المسلمين بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة فاذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم وقال ابن عباس القه بالسلام وقال مجاهد وعطاء بالتي هي أحسن يعني بالسلام اذا لقي من يعاديه وقيل بالمصافحة عند التلاقي والمعنى ان الحسنة والسيئة متفاوتتان في أنفسهما فخذ بالحسنة التي هي أحسن من أختها اذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض أعدائك كما لو أساء اليك رجل اساءة فالحسنة أن تعفو عنه والتي هي أحسن أن تحسن اليه مكان اساءته اليك مثل أن يذمك فتمدحه أو يقتل ولدك فتفتدي ولده من يد عدوه ووضع التي هي أحسن موضع الحسنة ليكون أبلغ في الدفع بالحسنة لان من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما دونها (فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) هذه هي الفائدة الحاصلة من الدفع بالتي هي أحسن والمعنى انك اذا فعلت ذلك الدفع صار العدو كالصديق والبعيد

وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن عمر حدثنا موسى بن المسيب عن شهر عن عبد الرحمن بن غنم عن أبي ذر رضي الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقول يا عبادي كلكم مذنب الا من عافيت فاستغفروني أغفر لكم وكلكم فقير الا من أغنيت اني جواد ماجد واجد أفعل ما أشاء عطائي كلام وعذابي كلام اذا أردت شيأ فانما أقول له كن فيكون وقوله تعالى فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون أي تنزيه وتقديس وتبرئة من السوء للحي القيوم الذي بيده مقاليد السموات والارض واليه يرجع الامر كله وله الخلق والامر واليه ترجع العباد يوم المعاد فيجازي كل عامل بعمله وهو العادل المنعم المتفضل ومعنى قوله سبحانه وتعالى فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء كقوله عز وجل قل من بيده ملكوت كل شيء وكقوله تعالى تبارك الذي بيده الملك فالملك والملكوت واحد في المعنى كرحمة ورحموت ورهبة ورهبوت وجبر وجبروت ومن الناس من زعم أن الملك هو عالم الاجسام والملكوت هو عالم الارواح والصحيح الاول وهو الذي عليه الجمهور من المفسرين وغيرهم قال الامام أحمد حدثنا شريح ابن النعمان حدثنا حماد عن عبد الملك بن عمير حدثني ابن عم لحذيفة عن حذيفة وهو ابن اليمان رضي الله عنه قال قمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقرأ السبع الطوال في سبع ركعات وكان صلى الله عليه وسلم اذا رفع رأسه من الركوع قال سمع الله لمن حمده ثم قال الحمد لله ذي الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة وكان ركوعه مثل قيامه وسجوده مثل ركوعه فانصرف وقد كادت تنكسر رجلاي وقد روى أبو داود والترمذي في الشمائل والنسائي من حديث

شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة مولى الانصار عن رجل من بني عبس عن حذيفة رضي الله عنه أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل وكان يقول الله أكبر ثلاثا ذي الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة ثم استفتح فقرأ البقرة ثم ركع فكان ركوعه نحوا من قيامه وكان يقول في ركوعه سبحان ربي العظيم ثم رفع رأسه من الركوع فكان قيامه نحوا من قيامه يقول لربي الحمد ثم سجد فكان سجوده نحوا من قيامه وكان يقول في سجوده سبحان ربي الاعلى ثم رفع رأسه من السجود وكان يقعد فيما بين السجدتين نحوا من سجوده وكان يقول رب اغفر لي رب اغفر لي فصلى أربع ركعات فقرأ فيهن البقرة وآل عمران

والنساء والمائدة أو الأنعام شك شعبة عند النطق أي داود وقال النسائي أبو حمزة عندنا طلحة بن يزيد وهذا الرجل يشبه أن يكون صلة
كذا قال والأشبه أن يكون ابن عم حذيفة كما تقدم في رواية الامام أحمد والله أعلم وأما رواية صلة بن زفر عن حذيفة رضي الله عنه
فانها في صحيح مسلم ولكن ليس فيها ذكر الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة وقال أبو داود وحدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن
وهب حدثني معاوية بن صالح عن عمرو بن قيس عن عاصم بن حميد عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال قمت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليلة فقام فقرأ سورة البقرة لا يمر بآية رحمة الا وقف وسأل ولا يمر بآية عذاب الا وقف وتعوذ
قال ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعه سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ثم سجد بقدر قيامه ثم قال في سجوده مثل ذلك ثم قام فقرأ بآل عمران ثم قرأ سورة سورة ورواه الترمذي في الشمائل والنسائي من حديث معاوية بن صالح به آخر تفسير سورة يس ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة الصافات وهي مكية)

قال النسائي أخبرنا اسمعيل بن مسعود حدثنا خالد يعني ابن الحرث عن ابن أبي ذئب قال أخبرنا الحرث ابن عبد الرحمن عن سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالتخفيف ويؤمنا بالصافات تفرد به النسائي

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا ان الهكم لواحد رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق) قال سفيان الثوري عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود رضي الله
عنه أنه قال والصافات صفا وهي الملائكة فالزاجرات زجرا هي الملائكة فالتاليات ذكرا هي الملائكة وكذا ورور
قال ابن عباس رضي الله عنهما ومسروق وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والسدي وقتادة والربيع بن أنس قال قتادة الملائكة
صفوف في السماء وقال مسلم حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن فضيل عن أبي مالك الأشجعي عن ربعي عن حذيفة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الأرض
كلها مسجدا وجعل لنا ترابها طهورا اذا لم نجد الماء وقد روى مسلم أيضا وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث الأعمش عن

عليك كالقريب منك وقال مقاتل نزلت في أبي سفيان بن حرب كان معاديا للنبي صلى الله
عليه وآله وسلم فصار له وليا بالمصاهرة التي وقعت بينه وبينه ثم أسلم فصار وليا في الاسلام حميما
بالمصاهرة وقيل غير ذلك والأولى حمل الآية على العموم (وما يلقاها) قال الزجاج أي ما يلقى
هذه الفعلة وهذه الحالة وهي دفع السيئة بالحسنة (الا الذين صبروا) على كظم الغيظ
واحتمال المكروه وتجرع الشدائد وترك الانتقام وقال أنس الرجل يشتمه أخوه فيقول
ان كنت صادقا فغفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر الله لك (وما يلقاها الا ذو حظ عظيم)
في الثواب والخير ومن الخلق الحسن وكمال النفس وهذا أنسب وقال قتادة الحظ العظيم
الجنة أي ما يلقاها الا من وجبت له الجنة وقيل الضمير في يلقاها عائد الى الجنة وقيل
راجعة الى كلمة التوحيد قرأ الجمهور يلقاها من التلقية وقرئ يلاقاها من الملاقاة
ثم أمره بالاستعاذة من الشيطان فقال (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) النزغ
شبه النخس شبه به الوسوسة لأنها تبعث على الشر وجعل النزغ نازغا على سبيل المجاز
العقلي كقولهم جد جده أو أريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر أو لتسويله
والمعنى وان صرفك الشيطان عن شئ مما شرعه الله لك أو عن الدفع بالتي هي أحسن
(فاستعذ بالله) من شره وامض على حالك ولا تطعه وجلد (انه هو السميع العليم)
تعليل لما قبلها أي السميع لكل ما يسمع ومنه استعاذتك والعليم بكل ما يعلم ومنه
فعلك وأحوالك ومن كان كذلك فهو يعيذ من استعاذ به وقال هنا بزيادة هو وأل وفي
الأعراف بدونهما لأن ما هنا متصل بمؤكد بالتكرار والحصر فناسب التأكيد بما ذكر
وما في الأعراف خلي عن ذلك فجرى على القياس من كون المسند اليه معرفة والمسند
نكرة أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن سليمان بن صرد قال استب رجلان عند النبي
صلى الله عليه وآله وسلم فاشتد غضب أحدهما فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اني لأعلم
كلمة لو قالها لذهب عنه الغضب أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقال الرجل أمجنون
تراني فتلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله
من الشيطان الرجيم ثم شرع سبحانه في بيان بعض آياته البديعة الدالة على كمال قدرته
وقوة تصرفه للاستدلال بها على توحيده فقال (ومن آياته الليل والنهار) في تعاقبهما على
حد معلوم وتناوبهما على قدر مقسوم (والشمس والقمر) في اختصاصهما بسير مقدر

المسيب بن رافع عن تميم بن طرفة عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال صلى الله عليه وسلم يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون في الصف وقال السدي وغيره معنى قوله تعالى فالزاجرات زجرا أنها تزجر السحاب وقال الربيع بن أنس فالزاجرات زجرا ما زجر الله تعالى عنه في القرآن وكذا روى مالك عن زيد بن أسلم فالتاليات ذكرا قال السدي الملائكة يجيئون بالكتاب والقرآن من عند الله الى الناس وهذه الآية كقوله تعالى فالملقيات ذكرا عذرا أو نذرا وقوله عزوجل ان الهكم لواحد رب السموات والارض هذا هو المقسم عليه انه تعالى لا اله الا هو رب السموات والارض وما بينهما أي من المخلوقات ورب المشارق أي هو المالك المتصرف في الخلق بتسخيره بما فيه من كواكب ثوابت وسيارات تبدو من المشرق وتغرب من المغرب واكتفى بذكر المشارق عن المغارب لدلالتها عليه وقد صرح بذلك في قوله عزوجل فلا أقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون وقال تعالى في الآية الاخرى رب المشرقين ورب المغربين يعني في الشتاء والصيف للشمس والقمر (انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملإ الاعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب) يخبر تعالى انه زين السماء الدنيا للناظرين اليها من أهل الارض بزينة الكواكب قرئ بالاضافة وبالبدل وكلاهما بمعنى واحد فالكواكب السيارة والثوابت يثقب ضوؤها جرم السماء الشفاف فتضيء لاهل الارض كما قال تبارك وتعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير وقال عزوجل ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين فقوله جل وعلا ههنا وحفظا تقديره وحفظناها حفظا من كل شيطان مارد يعني المتمرد العاتي اذا أراد أن يسترق السمع أتاه شهاب ثاقب فأحرقه ولهذا قال جل جلاله لا يسمعون الى الملإ الاعلى أي لئلا يصلوا الى الملإ الاعلى وهي السموات ومن فيها من الملائكة اذا تكلموا بما يوحيه الله تعالى بما يقوله من شرعه وقدره كما تقدم بيان ذلك في الاحاديث التي أوردناها عند قوله تبارك وتعالى

ونور مقرر هذا رد على قوم عبدوا الشمس والقمر وانما تعرض للاربعة مع انهم لم يعبدوا الليل والنهار للايذان بكمال سقوط الشمس والقمر عن رتبة المسجودية لهما بنظمهما في المخلوقية في سلك الاعراض التي لا قيام لها بذاتها وهذا هو السر في نظم الكل في سلك آياته ثم لما بين ان ذلك من آياته نهاهم عن عبادة الشمس والقمر وأمرهم أن يسجدوا لله عزوجل فقال (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) لانهما مخلوقان من مخلوقاته وان كثرت منافعهما فلا يصح ان يكونا شريكين له في ربوبيته (واسجدوا لله الذي خلقهن) أي هذه الاربعة المذكورة لان جمع ما لا يعقل حكمه حكم جمع الاناث أو الآيات أو الشمس والقمر لان الاثنين جمع عند جماعة من الائمة قال السمين وانما عبر عن الاربع بضمير الاناث مع ان فيها ثلاثة مذكرة والعادة تغليب المذكر على المؤنث لانه لما قال ومن آياته فنظم الاربعة في سلك الآيات صار كل واحد منها آية فعبر عنها بضمير الاناث في قوله خلقهن (ان كنتم اياه تعبدون) قيل كان ناس يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب ويزعمون انهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله فنهوا عن ذلك فهذا وجه تخصيص ذكر السجود بالنهي عنه وقيل وجه تخصيصه انه أقصى مراتب العبادة وهذه الآية من آيات السجود بلا خلاف وانما اختلفوا في موضع السجدة فقيل موضعها عند قوله ان كنتم اياه تعبدون لانه متصل بالامر وقيل عند قوله وهم لا يسأمون لانه تمام الكلام وعن ابن عباس انه كان يسجد بآخر الآيتين من حم السجدة وكان ابن مسعود يسجد بالاولى منهما وعن ابن عمر أنه كان يسجد بالاولى ويسجد بالآية الاخيرة (فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) أي ان استكبر هؤلاء عن الامتثال فدعهم وشأنهم فان لله عبادا يعبدونه كالملائكة يديمون التسبيح لله سبحانه بالليل والنهار أو يصلون له وهم لا يملون ولا يفترون يعني ان الله لا يعدم عابدا أبدا بل من خلقه من يعبده على الدوام والعندية عندية مكانة وتشريف وفي الحديث أنا عند ظن عبدي بي وأنا عند المنكسرة قلوبهم (ومن آياته) الدالة على قدرته ووحدانيته (أنك) الخطاب لكل من يصلح له أو لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ترى الارض) أي بعضها بحاسة البصر وبعضها بعين البصيرة قياسا على ما أبصرت (خاشعة) يابسة لا نبات فيها انه طامسة وهي أيبس لفظ خاشعة والخاشعة اليابسة الجدبة الخامدة وقيل الغبراء

حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير ولهذا قال تعالى و يقذفون أي يرمون من كل جانب أي من كل جهة يقصدون السماء منها دحورا أي رجما يدحرون به ويزجرون ويمنعون من الوصول الى ذلك ويرجمون ولهم عذاب واصب أي في الدار الآخرة لهم عذاب دائم موجع مستمر كما قال جلت عظمته وأعتدنا لهم عذاب السعير وقوله تبارك وتعالى الا من خطف الخطفة أي الا من اختطف من الشياطين الخطفة وهي الكلمة يسمعها من السماء فيلقيها الى الذي تحته ويلقيها الآخر الى الذي تحته فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها أو ربما ألقاها بقدر الله تعالى قبل أن يأتيه الشهاب فيحرقه فيذهب بها الآخر الى الكاهن كما تقدم في الحديث ولهذا قال الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب أي مستنير قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن اسرائيل عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان للشياطين مقاعد في السماء قال فكانوا يستمعون الوحي قال وكانت النجوم لا تجري وكانت الشياطين لا ترمى قال فاذا سمعوا الوحي نزلوا الى الارض فزادوا في الكلمة تسعا قال فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الشيطان اذا قعد مقعده جاءه شهاب فلم يخطئه حتى يحرقه قال فشكوا ذلك الى ابليس لعنه الله فقال ما هو الا من أمر حدث قال فبث جنوده فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي بين جبلي نخلة قال وكيع يعني بطن نخلة قال فرجعوا الى ابليس فأخبروه فقال هذا الذي حدث وسيأتي ان شاء الله تعالى الاحاديث الواردة مع الآثار في هذا المعنى عند قوله تعالى اخبارا عن الجن انهم قالوا وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن المحدين يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وانا لا ندري أشر أريد بمن في الارض أم أراد بهم ربهم رشدا (فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب بل عجبت ويسخرون واذا ذكروا لا يذكرون واذا رأوا آية يستسخرون وقالوا ان هذا الا سحر مبين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون قل نعم وأنتم داخرون فانما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون) يقول تعالى فسل هؤلاء المنكرين للبعث أيما أشد خلقا هم أم السموات والارض وما بينهما من الملائكة والشياطين والمخلوقات العظيمة وقرأ ابن

الى لا تنبت قال الازهري اذا يبست الارض ولم تمطر قيل قد خشعت والخشوع التذلل والتقاصر فاستعير لحال الارض اذا كانت قحطة لا نبات فيها كما وصفها بالهمود في قوله تعالى وترى الارض هامدة وهو خلاف وصفها بالاهتزاز والربو كما قال (فاذا أنزلنا عليها الماء) أي ماء المطر أو غيره (اهتزت) تحركت بالنبات حركة عظيمة كثيرة سريعة فكان كمن يعالج ذلك بنفسه يقال اهتز الانسان اذا تحرك (وربت) انتفخت وعلت قبل أن تنبت قاله مجاهد وغيره أي تصدعت عن النبات بعد موتها وعلى هذا ففي الكلام تقديم وتأخير وتقديره ربت واهتزت وقيل الاهتزاز والربو قد يكونان قبل خروج النبات من الارض وقد يكونان بعده ومعنى الربو لغة الارتفاع كما يقال للموضع المرتفع ربوة ورابية فالنبات يتحرك للبروز ثم يزداد في جسمه بالكبر طولا وعرضا وقد تقدم تفسير هذه الآية مستوفى في سورة الحج وقيل اهتزت استبشرت بالمطر وربت انتفخت بالنبات وقيل تشققت فارتفع ترابها وخرج منها النبات وسما في الجو مغطيا لوجهها وتشعبت عروقه وغلظت سوقه فصار يمنع سلوكها على ما كانت فيه من السهولة وتزخرفت بذلك النبات كأنها امرأة المختال في زيه لما كانت قبل ذلك كالذليل وقرأ أبو جعفر وخالد ربأت (ان الذي أحياها لمحيي الموتى) بالبعث والنشور (انه على كل شيء قدير) لا يعجزه شيء كائنا ما كان (ان الذين يلحدون في آياتنا) أي يميلون عن الحق والاستقامة في آياتنا بالطعن والتحريف والتأويل الباطل واللغو فيها والالحاد الميل والعدول ومنه اللحد في القبر لانه أميل الى ناحية منه يقال ألحد في دين الله أي مال عنه وعدل ويقال لحد وهو لغة فيه وقد تقدم تفسير الالحاد ويقال ألحد الحافر ولحد اذا مال عن الاستقامة فحفر في شق فاستعير لحال الارض اذا كانت محفورة فاستعير للانحراف في تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة قال مجاهد معنى الآية يميلون عن الايمان بالقرآن وقال أيضا يميلون عند تلاوة القرآن بالمكاء والتصدية واللغو والغناء وقال قتادة يكذبون في آياتنا وقال السدي يعاندون ويشاقون وقال ابن زيد يشركون والمعاني متقاربة وقال ابن عباس في الآية هو أن يضع الكلام في غير موضعه (لا يخفون علينا) بل نحن نعلمهم فنجازيهم بما يعملون قيل نزلت في أبي جهل ثم بين كيفية الجزاء والتفاوت بين المؤمن والكافر فقال (أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة) الاستفهام للتقرير والغرض منه التنبيه على أن

مسعود رضي الله عنه أم من عددنا فإنهم يقرون أن هذه المخلوقات أشد خلقاً منهم وإذا كان الأمر كذلك فلم ينكرون البعث وهم يشاهدون ما هو أعظم مما أنكروا كما قال عز وجل لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون ثم بين أنهم خلقوا من شيء ضعيف فقال إنا خلقناهم من طين لازب قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك هو الجيد الذي يلزق بعضه ببعض وقال ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة هو اللزج الجيد وقال قتادة هو الذي يلزق باليد وقوله عز وجل بل عجبت ويسخرون أي بل عجبت يا محمد من تكذيب هؤلاء المنكرين للبعث (٢٤٥) وأنت موقن مصدق بما أخبر الله تعالى من الأمر العجيب وهو إعادة الأجسام بعد فنائها وهم بخلاف أمرك من شدة تكذيبهم يسخرون مما تقول لهم من ذلك قال قتادة عجب محمد صلى الله عليه وسلم وسخر ضلال بني آدم وإذا رأوا آية أي دلالة واضحة على ذلك يستسخرون قال مجاهد وقتادة يستهزؤن وقالوا إن هذا إلا سحر مبين أي إن هذا الذي جئت به إلا سحر مبين أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون أوآباؤنا الأولون يستبعدون ذلك ويكذبون به قل نعم وأنتم داخرون أي قل لهم يا محمد نعم تبعثون يوم القيامة بعد ما تصيرون تراباً وعظاماً وأنتم داخرون أي حقيرون تحت القدرة العظيمة كما قال تبارك وتعالى وكل أتوه داخرين وقال إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ثم قال جلت عظمته فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون أي فإنما هو أمر واحد من الله عز وجل يدعوهم دعوة واحدة أن يخرجوا من الأرض فإذا هم قيام بين يديه ينظرون إلى أهوال يوم القيامة والله تعالى أعلم (وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم وقفوهم إنهم مسؤلون ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون) يخبر تعالى عن قيل الكفار يوم القيامة أنهم يرجعون على أنفسهم بالملامة ويعترفون بأنهم كانوا ظالمين لأنفسهم في الدار الدنيا فإذا عاينوا أهوال القيامة ندموا كل الندم حيث لا ينفعهم الندم وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين فتقول لهم الملائكة والمؤمنون هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون وهذا يقال لهم على وجه التقريع والتوبيخ ويأمر الله تعالى الملائكة أن تميز الكفار من المؤمنين في الموقف في محشرهم ومنشرهم ولهذا

الملحدين في الآيات يلقون في النار وأن المؤمنين بها يأتون آمنين يوم القيامة وظاهر الآية العموم اعتباراً بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فهو تمثيل للكافر والمؤمن وقيل المراد بمن يلقى في النار أبو جهل ومن يأتي آمناً النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل حمزة وقيل عمر بن الخطاب وقيل أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي وقال ابن عباس أبو جهل بن هشام ومن يأتي آمناً يوم القيامة أبو بكر الصديق وعن بشير بن تميم قال نزلت في أبي جهل وعمار بن ياسر وعن عكرمة مثله وكان الظاهر أن يقال أم من يدخل الجنة وعدل عنه للتصريح بأمنهم وانتفاء الخوف عنهم قاله الكرخي وترسم أم مفصولة من من اتباعاً للمصحف الإمام (اعملوا) هذا أمر تهديد أي اعملوا من أعمالكم التي تلقيكم في النار (ما شئتم) فهو مجازيكم على كل ما تعملون قال الزجاج لفظه لفظ الأمر ومعناه الوعيد وقال ابن عباس هذا لأهل بدر خاصة (إنه بما تعملون بصير) لا تخفى عليه منه خافية فيجازيكم عليه (إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم) الجملة مستأنفة مقررة لما قبلها وخبر إن محذوف أي إن الذين كفروا بالقرآن لما جاءهم يجازون بكفرهم أو هالكون أو يعذبون وقيل هو قوله ينادون من مكان بعيد وهذا بعيد وإن رجحه أبو عمرو بن العلاء وذكر النحاس في خبر إن أقاويل وجوهاً لا تطول بذكرها (وإنه) أي القرآن الذي كانوا يلحدون فيه (لكتاب عزيز) عن أن يعارض أو يطعن فيه الطاعنون منيع عن كل عيب محمي بحماية الله وقيل عديم النظير وذلك أن الخلق عجزوا عن معارضته وقيل أعزه الله بمعنى منعه أي منع عن قبول الإبطال والتحريف ثم وصفه بأنه حق لا سبيل للباطل إليه بوجه من الوجوه فقال (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) قال الزجاج معناه أنه محفوظ من أن ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه وبه قال قتادة والسدي ومعنى الباطل على هذا الزيادة والنقصان وقال مقاتل لا يأتيه التكذيب من الكتب التي قبله ولا يجيء من بعده كتاب فيبطله وبه قال الكلبي وسعيد بن جبير وقيل الباطل هو الشيطان أي لا يستطيع أن يزيد فيه ولا ينقص منه وقيل لا يزاد فيه ولا ينقص منه لا من جبريل ولا من محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل لا يأتيه التبديل والنقص بوجه من الوجوه وقيل لا يأتيه الباطل مما أخبر فيما تقدم من الزمان ولا فيما تأخر وقيل إن الباطل لا يتطرق إليه ولا يجد إليه سبيلاً من جهة من الجهات حتى يصل إليه

قال تعالى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم قال النعمان بن بشير رضي الله عنه يعني بأزواجهم أشباههم وأمثالهم وكذا قال ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والسدي وأبو صالح وأبو العالية وزيد بن أسلم وقال سفيان الثوري عن سماك عن النعمان ابن بشير عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه احشروا الذين ظلموا وأزواجهم قال اخوانهم وقال شريك عن سماك عن النعمان قال سمعت عمر يقول احشروا الذين ظلموا وأزواجهم قال أشباههم قال يجيء أصحاب الزنا مع أصحاب الزنا وأصحاب الربا مع أصحاب الربا وأصحاب الخمر مع أصحاب الخمر وقال خصيف عن مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما أزواجهم نساؤهم وهذا غريب والمعروف عنه الأول كما رواه مجاهد وسعيد بن جبير عنه أزواجهم قرناؤهم وما كانوا يعبدون من دون الله أي من الاصنام والانداد تحشر معهم في أماكنهم وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم أي ارشدوهم الى طريق جهنم وهذا كقوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا وقوله تعالى وقفوهم انهم مسؤلون أي قفوهم حتى يسئلوا عن أعمالهم وأقوالهم التي صدرت عنهم في الدار الدنيا كما قال الضحاك عن ابن عباس يعني احبسوهم انهم محاسبون وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا النفيلي حدثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت ليثا يحدث عن بشر عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما داع دعا الى شيء كان موقوفا معه الى يوم القيامة لا يغادره ولا يفارقه وان دعا رجل رجلا ثم قرأ وقفوهم انهم مسؤلون ورواه الترمذي من حديث ليث ابن أبي سليم ورواه ابن جرير عن يعقوب بن ابراهيم عن معتمر عن ليث عن رجل عن أنس رضي الله عنه مرفوعا وقال عبد الله بن المبارك سمعت عثمان بن زائدة يقول ان أول ما يسئل عنه الرجل جلساؤه ثم يقال لهم على سبيل التقريع والتوبيخ ما لكم لا تناصرون أي كما زعمتم أنكم جميع منتصر بل هم اليوم مستسلمون أي منقادون لامر الله تعالى لا يخالفونه ولا يحيدون عنه والله أعلم (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فأغويناكم انا كنا غاوين فانهم يومئذ في العذاب مشتركون انا كذلك نفعل ولهذا

والمعنى كل ما فيه حق وصدق ليس فيه ما لا يطابق الواقع والعموم أولى (تنزيل من حكيم حميد) خبر مبتدأ محذوف أو صفة أخرى لكتاب ثم سلى سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم عما كان يتأثر له من أذية الكفار فقال (ما يقال لك) من هؤلاء الكفار من وصفك بالسحر والكذب والجنون (الا مثل) (ما قد قيل للرسل من قبلك) فان قومهم كانوا يقولون لهم مثل ما يقول لك هؤلاء وقيل المعنى ما يقال لك من التوحيد واخلاص العبادة لله الا ما قد قيل للرسل من قبلك فان الشرائع كلها متفقة على ذلك وقيل هو استفهام أي أي شيء يقال لك (ان ربك لذو مغفرة) لمن يستحق مغفرته من الموحدين الذين تابعوك وتابعوا من قبلك من الانبياء (وذو عقاب أليم) للكفار المكذبين المعادين لرسل الله وقيل لذو مغفرة للانبياء وذو عقاب لاعدائهم (ولو جعلناه قرآنا أعجميا) أي لو جعلنا هذا القرآن الذي تقرؤه على الناس بغير لغة العرب ولا حجة فيه لابي حنيفة رحمه الله في جواز الصلاة اذا قرأ بالفارسية كما زعمه النسفي وغيره لان التركيب خارج مخرج الفرض والتقدير دون الوقوع والتحقيق (لقالوا لولا فصلت آياته) أي بينت بلغتنا فاننا عرب لا نفهم لغة العجم والاستفهام في قوله (أأعجمي وعربي) للانكار وهو من جملة قول المشركين أي لقالوا كلام أعجمي ورسول عربي والاعجمي الذي لا يفصح سواء كان من العرب أو من العجم والياء للمبالغة في الوصف كأحمري وليس النسب فيه حقيقيا وقال الرازي في لوامحه هي ككرسي وبختي وفرق بينهما الشيخ والاعجم ضد الفصيح وهو الذي لا يبين كلامه ويقال للحيوان غير الناطق أعجم وقيل المراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها أعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب قال ابن عباس يقول لو جعلنا القرآن أعجميا ولسانك يا محمد عربي لقالوا أأعجمي وعربي تأتينا به مختلفا أو مختلطا هلا بينت آياته فكان القرآن مثل اللسان يقول فلم نفعل لئلا يقولوا فكانت حجة عليهم قرأ أبو بكر وحمزة والكسائي أأعجمي بهمزتين محققتين وقرئ بهمزة واحدة وقرئ بتسهيل الثانية بين بين ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يجيبهم فقال (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء) أي يهتدون به الى الحق ويستشفون به من كل شك وشبهة ومن الاسقام والالام قال الشهاب رد عليهم بأنه هاد لهم شاف لما في صدورهم كاف في دفع الشبهة فلذا ورد بلسانهم معجزا بينا في نفسه مبينا لغيره (والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر) أي صمم عن سماعه وفهم معانيه

بالمجرمين انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين)

يذكر تعالى ان الكفار يتلاومون فى عرصات القيامة كما يتخاصمون فى دركات النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد وقال تعالى ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال فى أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون وهكذا قالوا لهم ههنا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قال الضحاك عن ابن عباس يقولون كنتم تقهروننا بالقدرة منكم علينا لانا كنا أذلاء وكنتم أعزاء وقال مجاهد يعنى عن الحق والكفار تقوله للشياطين وقال قتادة قالت الانس للجن انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قال من قبل الخير فتنهوننا عنه وتبطئوننا عنه وقال السدى تأتوننا من قبل الحق وتزينوا لنا الباطل وتصدوننا عن الحق وقال الحسن فى قوله تعالى انكم كنتم تأتوننا عن اليمين أى والله يأتيه عند كل خير يريده فيصده عنه وقال ابن زيد معناه تحولون بيننا وبين الخير ورددتمونا عن الاسلام والايمان والعمل بالخير الذى امرنا به وقال يزيد الرشك من قبل لا اله الا الله وقال خصيف يعنون من قبل ميامنهم وقال عكرمة انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قال من حيث نأمنكم وقوله تعالى قالوا بل لم تكونوا مؤمنين تقول القادة من الجن والانس للاتباع ما الامر كما تزعمون بل كانت قلوبكم منكرة للايمان قابلة للكفر والعصيان وما كان لنا عليكم من سلطان اى من حجة على صحة ما دعوناكم اليه بل كنتم قوما طاغين أى بل كان فيكم طغيان ومجاوزة للحق فلهذا استجبتم لنا وتركتم الحق الذى جاءتكم به الانبياء وأقاموا لكم الحجج على صحة ما جاؤكم به فخالفتموهم فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فأغويناكم انا كنا غاوين يقول الكبراء للمستضعفين حقت علينا كلمة الله انا من الاشقياء الذائقين للعذاب يوم القيامة فأغويناكم أى دعوناكم الى الضلالة انا كنا غاوين

ولهذا تواصوا باللغو فيه والموصول مبتدأ خبره فى آذانهم وقر أو الموصول الثانى عطف على الأول ووقر عطف على هدى عند من جوز العطف على معمولى عاملين مختلفين والتقدير هو للاولين هدى وشفاء وللآخرين وقر فى آذانهم (وهو عليهم عمى) وذلك لتصاممهم عن سماعه وتعاميهم عما يريهم من الآيات قال قتادة عموا عن القرآن وصموا عنه وقال السدى عميت قلوبهم عنه والمعنى وهو عليهم ذو عمى ووصف بالمصدر للمبالغة وقيل المعنى والوقر عليهم عمى أى ظلمة وشبهة قرأ الجمهور عمى بفتح الميم منونة على انه مصدر وقرأ ابن عباس وعبد الله بن الزبير وعمرو بن العاص وابن عمر بكسر الميم منونة على انه اسم منقوص على انه وصف به مجازا وقرئ بكسر الميم وفتح الياء على انه فعل ماض واختار أبو عبيدة القراءة الاولى (أولئك) أى الذين لا يؤمنون (ينادون من مكان بعيد) مثل حالهم باعتبار عدم فهمهم للقرآن بحال من ينادى من مسافة بعيدة لا يسمع من يناديه منها قال الفراء تقول للرجل الذى لا يفهم كلامك أنت تنادى من مكان بعيد ففيه استعارة تمثيلية وقال الضحاك ينادون يوم القيامة بأقبح أسمائهم من مكان بعيد وقال مجاهد من مكان بعيد من قلوبهم (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) كلام مستأنف يتضمن تسلية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عما كان يحصل له من الاغتمام بكفر قومه وطعنهم فى القرآن فأخبره ان هذه عادة قديمة فى أمم الرسل غير مختصة بقومك فانهم يختلفون فى الكتب المنزلة اليهم والمراد بالكتاب التوراة والضمير فيه راجع اليه وقيل يرجع الى موسى والاول أولى يعنى قال بعضهم هو حق وقال بعضهم هو باطل كما اختلف قومك فى كتابك فمصدق به ومكذب (ولولا كلمة سبقت من ربك) فى تأخير العذاب عن المكذبين بالقرآن من أمتك وامهالهم كما فى قوله ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى (لقضى بينهم) بتعجيل العذاب لمن كذب منهم قال قتادة أى سبق لهم من الله حين وأجل هم بالغوه (وانهم لفى شك منه مريب) أى من كتابك المنزل عليك وهو القرآن ومعنى الشك المريب الموقع فى الريبة والشديد الريبة وقيل ان المراد اليهود وأنهم فى شك من التوراة مريب والاول أولى (من عمل صالحا فلنفسه) أى من أطاع الله وآمن برسله ولم يكذبهم فثواب ذلك راجع اليه ونفعه خاص به (ومن أساء فعليها) أى عقاب اساءته عليه لا على غيره (وما ربك بظلام للعبيد) فلا يعذب أحدا الا بذنبه ولا يقع منه الظلم لأحد كما فى قوله سبحانه ان الله

أي فدعوناكم إلى ما نحن فيه فاستجبتم لنا قال الله تبارك وتعالى فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون أي الجميع في النار كل بحسبه إنا كذلك نفعل بالمجرمين إنهم كانوا أي في الدار الدنيا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون أي يستكبرون أن يقولوها كما يقولها المؤمنون قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد ابن أخي ابن وهب حدثنا عمي حدثنا الليث عن ابن مسافر يعني عبد الرحمن بن خالد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا

الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله عز وجل وأنزل الله تعالى في كتابه وذكر قوما استكبروا فقال تعالى إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة موسى بن اسمعيل حدثنا حماد عن سعيد الجريري عن أبي العلاء قال يؤتى باليهود يوم القيامة فيقال لهم ما كنتم تعبدون فيقولون الله وعزيرا فيقال لهم خذوا ذات الشمال ثم يؤتى بالنصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون فيقولون نعبد الله والمسيح فيقال لهم خذوا ذات الشمال ثم يؤتى بالمشركين فيقال لهم لا إله إلا الله فيستكبرون ثم يقال لهم لا إله إلا الله فيستكبرون ثم يقال لهم لا إله إلا الله فيستكبرون فيقال لهم خذوا ذات الشمال قال أبو نضرة فينطلقون أسرع من الطير قال أبو العلاء ثم يؤتى بالمسلمين فيقال لهم ما كنتم تعبدون فيقولون كنا نعبد الله تعالى فيقال لهم هل تعرفونه إذا رأيتموه فيقولون نعم فيقال لهم فكيف تعرفونه ولم تروه فيقولون نعلم أنه لا عدل له قال فيتعرف لهم تبارك وتعالى وتقدس وينجي الله المؤمنين ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون أي أنحن نترك عبادة آلهتنا وآلهة آبائنا عن قول هذا يعني الشاعر المجنون يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى تكذيبا لهم وردا عليهم بل جاء بالحق يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق في جميع شرعة الله تعالى له من الإخبار والطلب وصدق المرسلين أي صدقهم فيما أخبروا عنه من الصفات الحميدة والمناهج السديدة وأخبر عن الله تعالى في شرعه وأمره كما أخبروا ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك الآية (إنكم لذائقوا العذاب الأليم وما تجزون إلا ما كنتم تعملون إلا عباد الله المخلصين أولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون

لا يظلم الناس شيئا وظلام صيغة نسب كتمار ونبال وحمار لا صيغة مبالغة وهذا التقرير أحسن من غيره وقال الكرخي ليس بذي ظلم أشار به إلى أن ظلام ليس على بابه وقد تقدم الكلام على معنى هذه الآية في سورة آل عمران عند قوله وأن الله ليس بظلام للعبيد وفي سورة الأنفال أيضا ثم أخبر سبحانه أن علم القيامة ووقت قيامها لا يعلمه غيره فقال (إليه يرد علم الساعة) أي علم سؤال الساعة أي السؤال عنها أي علم جواب هذا السؤال فإذا وقع السؤال عنها وجب على المسؤول أن يرد علمها إليه لا إلى غيره وأخذ الحصر من تقديم المعمول وقد روي أن المشركين قالوا يا محمد إن كنت نبيا فخبرنا متى تقوم الساعة فنزلت هذه الآية (وما تخرج من ثمرات من أكمامها) ما نافية ومن الأولى للاستغراق والثانية لابتداء الغاية وقيل ما موصولة في محل جر عطفا على الساعة أي علم الساعة وعلم التي تخرج والأول أولى والأكمام جمع كم بكسر الكاف وهو وعاء الثمرة ويطلق على كل ظرف لمال أو غيره قال أبو عبيدة أكمامها أوعيتها وهي ما كانت فيه الثمرة واحدها كم وكمة قال الراغب الكم ما يغطي اليد من القميص وما يغطي الثمرة وجمعه أكمام وهذا يدل على أن الكم بضم الكاف لأنه جعله مشتركا بين كم القميص وكم الثمرة ولا خلاف في كم القميص أنه بالضم ويمكن أن يقال إن في الكم الذي هو وعاء الثمر لغتين قرأ الجمهور من ثمرة بالإفراد على إرادة الجنس وقرئ بالجمع للاختلاف في أنواع الثمار قال قتادة من أكمامها من طلعها (وما تحمل من أنثى) حملا في بطنها (ولا تضع) ذلك الحمل (إلا بعلمه) أي علم الله سبحانه والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال أي ما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع في حال من الأحوال ملابسا لشيء من الأشياء إلا كائنا بعلم الله فإليه يرد علم الساعة كما يرد إليه علم هذه الأمور الحادثة وفيه دليل على أن أصحاب الكشف والكهان وأهل النجوم لا يمكنهم القطع والجزم في شيء مما يقولونه البتة وإنما غايته ادعاء ظن ضعيف أو وهم خفيف قد لا يصيب وعلم الله هو العلم اليقيني المقطوع به الذي لا يشركه فيه أحد (ويوم يناديهم) أي ينادي الله سبحانه المشركين وذلك يوم القيامة فيقول لهم (أين شركائي) الذين كنتم تزعمون أنهم شركائي في الدنيا من الأصنام وغيرها فادعوهم الآن فليشفعوا لكم أو يدفعوا عنكم العذاب وهذا على طريقة التهكم بهم والتقريع لهم وأضافهم إلى نفسه على زعمهم الباطل والعامل في يوم محذوف أي اذكر (قالوا) أي يقولون فالماضي

ينفر الطبع السليم وقوله عز وجل لذة للشاربين أي طعمها طيب كلونها وطيب الطعم دليل على طيب الريح بخلاف خمر الدنيا في جميع ذلك وقوله تعالى لا فيها غول يعني لا تؤثر فيهم غولا وهو وجع البطن قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة وابن زيد كما تفعله خمر الدنيا من القولنج ونحوه لكثرة مائيتها وقيل المراد بالغول هاهنا صداع الرأس وروي هكذا عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال قتادة هو صداع الرأس ووجع البطن وعنه وعن السدي لا تغتال عقولهم كما قال الشاعر

فما زالت الكأس تغتالنا * وتذهب بالأول الأول (٢٥) وقال سعيد بن جبير لا مكروه فيها ولا أذى والصحيح قول مجاهد إنه وجع البطن وقوله تعالى ولا هم عنها ينزفون قال مجاهد لا تذهب عقولهم وكذا قال ابن عباس ومحمد بن كعب والحسن وعطاء بن أبي مسلم الخراساني والسدي وغيرهم وقال الضحاك عن ابن عباس في الخمر أربع خصال السكر والصداع والقيء والبول فذكر الله تعالى خمر الجنة ونزهها عن هذه الخصال كما ذكر في سورة الصافات وقوله تعالى وعندهم قاصرات الطرف أي عفيفات لا ينظرن إلى غير أزواجهن كذا قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وزيد بن أسلم وقتادة والسدي وغيرهم وقوله تبارك وتعالى عين أي حسان الأعين وقيل ضخام الأعين وهو يرجع إلى الأول وهي النجلاء العيناء فوصف عيونهن بالحسن والعفة كقول زليخا في يوسف عليه الصلاة والسلام حين جملته وأخرجته على تلك النسوة فأعظمنه وأكبرنه وظنن أنه ملك من الملائكة لحسنه وبهاء منظره قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم أي هو مع هذا الجمال عفيف تقي نقي وهكذا الحور العين خيرات حسان ولهذا قال عز وجل والطول

مسه (هذا لي) أي هذا شيء أستحقه على الله لرضاه بعملي وظن أن تلك النعمة إنما صار بها وصلت إليه باستحقاقه لها ولم يعلم أن الله يبتلي عباده بالخير والشر ليتبين له الشاكر من الجاحد والصابر من الجزع قال مجاهد معناه هذا بعملي وأنا محقوق به أو هذا لي دائما لا يزول (وما أظن الساعة قائمة) أي ما أظنها تقوم كما يخبر بها الأنبياء أو لست على يقين من البعث وهذا خاص بالكافرين والمنافقين فيكون المراد بالإنسان المذكور في صدر الآية الجنس باعتبار غالب أفراده لأن اليأس من رحمة الله والقنوط من خيره والشك في البعث لا يكون إلا من الكافرين أو المتزلزلين في الدين المتظاهرين بالإسلام المتطبعين بالكفر (ولئن) لام قسم (رجعت إلى ربي) على تقدير صدق ما يخبر به الأنبياء من قيام الساعة وحصول البعث والنشور (إن لي عنده للحسنى) جواب القسم لسبقه الشرط أي للحالة الحسنى من النعمة والكرامة فظن أنه استحق خير الدنيا بما فيه من الخير واستحق خير الآخرة بذلك الذي اعتمده في نفسه وأثبته لها وهو أماني باطل وظن فاسد وتضمن الكلام مبالغات حيث أكد بالقسم وإن وتقديم الظرف والعدول إلى صيغة التفضيل إذ الحسنى أنثى الأحسن (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا) أي لنخبرنهم به يوم القيامة وهذا جواب لقول الكافر ولئن رجعت إلى آخره أي ليس الأمر كما زعم وبالغ العقاب الشديد كما قال (ولنذيقنهم من عذاب غليظ) بسبب ذنوبهم واللام هذه والتي قبلها هي الموطئة للقسم (وإذا أنعمنا على الإنسان) أي على هذا الجنس من حيث هو باعتبار غالب أفراد (أعرض) عن الشكر (ونأى بجانبه) أي ترفع عن الانقياد للحق وتكبر وتجبر وثنى عطفه متجبرا كناية عن الإعراض وقيل انحرف عنه أو ذهب بنفسه وباعدها عنه كناية تكبر والجانب هنا مجاز عن النفس وأي معنى بعد قال نأيته ونأيت بمعنى بعدت وباعدت والمنأى الموضع البعيد وقرئ ناء بالألف قبل الهمزة (وإذا مسه الشر) أي البلاء والجهد والفقر والمرض (فذو) أي فهو ذو (دعاء عريض) أي كثير والعرب تستعمل العرض والطول في الكثرة مجازا قال أطال فلان في الكلام وأعرض في الدعاء إذا أكثر فهو مستعار مما له عرض متسع للإشعار بكثرته فإن العريض يكون ذا أجزاء كثيرة والاستعارة تخييلية شبه الدعاء بأمر يوصف بالامتداد ثم أثبت له العرض قاله الكرخي

وعندهم قاصرات الطرف عين وقوله جل جلاله كأنهن بيض مكنون وصفهن بترافة الأبدان بأحسن الألوان قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما كأنهن بيض مكنون يقول اللؤلؤ المكنون وينشد هاهنا بيت أبي دهبل الشاعر وهو قوله في قصيدة له

وهي زهراء مثل لؤلؤة الـ * غواص ميزت من جوهر مكنون

في جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون) يقول تعالى مخاطبا للناس إنكم لذائقو العذاب الأليم وما تجزون إلا ما كنتم تعملون ثم استثنى من ذلك عباده المخلصين كما قال تعالى والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقال عز وجل لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقال تعالى وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر

الظالمين فيها جثيا وقال تعالى كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين ولهذا قال جل وعلا ههنا إلا عباد الله المخلصين أي ليسوا يذوقون العذاب الأليم ولا يناقشون في الحساب بل يتجاوز عن سيئاتهم إن كان لهم سيئات ويجزون الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة إلى ما يشاء الله تعالى من التضعيف وقوله جل وعلا أولئك لهم رزق معلوم قال قتادة والسدي يعني الجنة ثم فسره بقوله تعالى فواكه أي متنوعة وهم مكرمون أي يخدمون ويرفهون وينعمون في جنات النعيم على سرر متقابلين قال مجاهد لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض وقال ابن أبي حاتم حدثنا يحيى بن عبدك القزويني حدثنا حسان بن حسان حدثنا إبراهيم بن بشر حدثنا يحيى بن معين حدثنا إبراهيم القرشي عن سعيد بن شرحبيل عن زيد بن أبي أوفى رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية على سرر متقابلين ينظر بعضهم إلى بعض حديث غريب وقوله تعالى يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون كما قال عز وجل في الآية الأخرى يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون نزه الله سبحانه وتعالى خمر الجنة عن الآفات التي في خمر الدنيا من صداع الرأس ووجع البطن وهو الغول وذهابها بالعقل جملة فقال تعالى ههنا يطاف عليهم بكأس من معين أي بخمر من أنهار جارية لا يخافون انقطاعها ولا فراغها قال مالك عن زيد بن أسلم خمر جارية بيضاء أي لونها مشرق حسن بهي لا كخمر الدنيا في منظرها البشع الردي من حمرة أو سواد أو اصفرار أو كدورة إلى غير ذلك مما

تعنى لصارع (آذناك) أي أعلمناك قاله ابن عباس يقال آذن يؤذن إذا أعلم أي أعلمناك وقيل أخبرناك قال السمين وهو الأظهر إذ الله تعالى كان عالما بذلك وإعلام العالم محال إلا أن يراد العالم بالشيء يتحقق عن علمه إلا أن يكون المعنى إنك علمت من قلوبنا الآن إنا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لأنه إذا علمه من نفوسهم فكأنهم أعلموه انتهى (ما منا من شهيد) يشهد بأن لك شريكا وذلك أنهم لما عاينوا القيامة تبرؤوا من الشركاء وتبرأت منهم تلك الأصنام التي كانوا يعبدونها وقيل إن القائل بهذا هي المعبودات التي كانوا يعبدونها أي ما منا من شهيد يشهد لهم أنهم كانوا محقين والأول أولى (وضل عنهم) أي غاب وزال وبطل في الآخرة (ما كانوا يدعون من قبل) في الدنيا من الأصنام ونحوها (وظنوا ما لهم من محيص) أي أيقنوا وعلموا أنه لا مهرب لهم من العذاب يقال حاص يحيص حيصا إذا هرب وقيل الظن على معناه الحقيقي لأنه بقي لهم في تلك الحال ظن ورجاء والأول أولى ثم ذكر سبحانه بعض أحوال الإنسان فقال (لا يسأم الإنسان من دعاء الخير) أي لا يمل من دعاء الخير لنفسه وجلبه إليه ولا يزال يسأل ربه المال والخير هنا المال والصحة والسلطان والرفعة قال السدي والإنسان ههنا يراد به الكافر وقيل الوليد بن المغيرة وقيل عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأمية بن خلف والأولى حمل الآية على العموم باعتبار الغالب فلا ينافيه خروج خلص العباد وقرأ ابن مسعود من دعاء المال (وإن مسه الشر) أي البلاء والشدة والفقر والمرض (فيؤس) من روح الله (قنوط) من رحمته واليأس من صفة القلب وهو قطع الرجاء والقنوط إظهار آثاره على ظاهر البدن وصنيع المحلي يقتضي ترادفهما وبه قال بعضهم فالجمع بينهما للتأكيد وقيل يؤس من إجابة دعائه قنوط بسوء الظن بربه وقيل يؤس من زوال ما به من المكروه قنوط بما يحصل له من ظن دوامه وهما صيغتا مبالغة تدلان على أنه شديد اليأس عظيم القنوط يبالغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول كما أشرنا ومن طريق التكرير مع ما في القنوط من ظهور أثر اليأس لأن القنوط أن يظهر عليه أثر اليأس فيتضاءل وينكسر أي يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذه صفة الكافر بدليل قوله تعالى إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون (ولئن) لام قسم (أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته) أي ولئن آتيناه خيرا وعافية وغنى من بعد شدة ومرض وفقر (ليقولن) جواب القسم وجواب الشرط محذوف لسد جواب القسم

وقال الحسن كأنهن بيض مكنون يعني محصون لم تمسه الايدي وقال السدي البيض في عشه مكنون وقال سعيد بن جبير كأنهن بيض مكنون يعني بطن البيض وقال عطاء الخراساني هو السحا الذي يكون بين قشره العليا ولباب البيضة وقال السدي كأنهن بيض مكنون يقول بياض البيض حين ينزع قشره واختاره ابن جرير لقوله مكنون قال والقشرة العليا يمسها جناح الطير والعش وينالها الايدي بخلاف داخلها والله أعلم وقال ابن جرير حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب حدثنا محمد بن الفرج الصدفي الدمياطي عن عمرو بن هاشم عن ابن أبي كريمة عن هشام عن الحسن عن أمه عن أم سلمة رضي الله عنها قالت

والقول أطول الاستعدادين فاذا كان غرضه كذلك فاطلب طوبه قاله أبو السعود والمعنى انه اذا مسه الشر تضرع الى الله واستغاث به ان يكشف عنه ما نزل به واستكثر من ذلك فذكر في الشدة ونسيه في الرخاء واستغاث به عند نزول النعمة وتركه عند حصول النعمة وهذا صنيع الكافر ومن كان غير ثابت القدم من المسلمين قال الشهاب ان قلت كونه يدعو دعاء طويلا عريضا ينافي وصفه فيما قبله بانه يؤس قنوط لان الدعاء فرع الطمع والرجاء وقد اعتبر في القنوط ظهور أثر اليأس وظهوره مما يدل على الرجاء قلت يمكن دفع المنافاة بحمله على عدم اتحاد الاوقات والاحوال انتهى او لعل هذا شأن بعض غير البعض الذي حكي عنه اليأس والقنوط وشأن الكل في بعض الاوقات ذكره أبو السعود ثم رجع سبحانه الى مخاطبة الكفار ومحاجتهم فقال (قل أرأيتم) أي أخبروني عن حالكم العجيبة واستعمال أرأيتم بمعنى الاخبار مجاز ووجه المجاز أنه لما كان العلم بالشئ سببا للاخبار عنه أو الابصار به طريقا الى الاحاطة به علما والى صحة الاخبار عنه استعملت الصيغة التي لطلب العلم أو لطلب الابصار في طلب الخبر لاشتراكهما في الطلب ففيه مجازان استعمال رأى التي بمعنى علم أو أبصر في الاخبار واستعمال الهمزة التي هي لطلب الرؤية في طلب الاخبار قاله الشهاب (ان كان) القرآن (من عند الله) كما أقول (ثم كفرتم به) أي كذبتم به ولم تسلموه ولا عملتم بما فيه (من أضل ممن هو في شقاق) خلاف (بعيد) عن الحق أي لا أحد أضل منكم لفرط شقاقكم وشدة عداوتكم لا أضل أي لا أحد أضل منكم فوضع من هو في شقاق موضع الضمير لبيان حالهم في المشاقة وانها السبب الاعظم في ضلالهم (سنريهم آياتنا) أي دلالات صدق القرآن وعلامات كونه من عند الله (في الآفاق) جمع أفق بضم الهمزة والفاء كما قال أهل اللغة كأعناق وعنق وهو الناحية ونقل الراغب انه يقال أفق بفتحهما كجبل وأجبال والمعنى سنريهم آياتنا في النواحي التي أخبرهم بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله ونحاول من الفتوح والظهور على ممالك المشرق والمغرب على وجه خارق للعادة وقال القرطبي أي علامات وحدانيتنا وقدرتنا في الآفاق يعني خراب منازل الامم الماضية وقوع القرون الخالية (وفي أنفسهم) قال ابن زيد في الآفاق آيات السماء

قالت يا رسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل حور عين قال العين ضخام العيون شفر الحوراء بمنزلة جناح النسر قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل كأنهن بيض مكنون قال رقتهن كرقة الجلدة التي رأيتها في داخل البيضة التي تلي القشر وهي الغرقئ وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو غسان النهدي حدثنا عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع بن أنس عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا أول الناس خروجا اذا بعثوا وأنا خطيبهم اذا وفدوا وأنا مبشرهم اذا حزنوا وأنا شفيعهم اذا حبسوا لواء الحمد بيدي وأنا أكرم ولد آدم على الله عز وجل ولا فخر يطوف على ألف خادم كأنهن البيض المكنون أو اللؤلؤ المكنون والله تعالى أعلم بالصواب (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول أئنك لمن المصدقين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون قال هل أنتم مطلعون فاطلع فرآه في سواء

الجحيم قال تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين أفما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين ان هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون) يخبر تعالى عن أهل الجنة أنه أقبل بعضهم على بعض يتساءلون أي عن أحوالهم وكيف كانوا في الدنيا وماذا كانوا يعانون فيها وذلك من حديثهم على شرابهم واجتماعهم في تنادمهم وعشرتهم في مجالسهم وهم جلوس على السرر والخدم بين أيديهم يسعون ويجيئون بكل خير عظيم من مآكل ومشارب وملابس وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال قائل منهم اني كان لي قرين قال مجاهد يعني شيطانا وقال العوفي عن ابن عباس رضي

الله عنهما هو الرجل المشرك يكون له صاحب من أهل الايمان في الدنيا ولا تنافي بين كلام مجاهد وابن عباس رضي الله عنهما فان الشيطان يكون من الجن فيوسوس في النفس ويكون من الانس فيقول كلاما تسمعه الاذنان وكلاهما يتعاونان قال الله تعالى يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وكل منهما يوسوس كما قال الله عزوجل من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس ولهذا قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول أئنك لمن المصدقين أي أأنت تصدق بالبعث والنشور والحساب والجزاء يعني يقول ذلك على وجه التعجب والتكذيب والاستبعاد والكفر والعناد أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون قال مجاهد والسدي لمحاسبون وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومحمد ابن كعب القرظي لمجزيون بأعمالنا وكلاهما صحيح قال تعالى هل أنتم مطلعون أي مشرفون يقول المؤمن لاصحابه وجلسائه من أهل الجنة فاطلع فرآه في سواء الجحيم قال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير وخليد العصري وقتادة والسدي وعطاء الخراساني يعني في وسط الجحيم وقال الحسن البصري في وسط الجحيم كأنه شهاب يتقد وقال قتادة ذكر لنا انه اطلع فرأى جماجم القوم تغلي وذكر لنا ان كعب الاحبار قال في الجنة كوى اذا أراد أحد من أهلها ان ينظر الى عدوه في النار اطلع فيها فازداد شكرا قال تالله ان كدت لتردين يقول المؤمن مخاطبا للكافر والله ان كدت لتهلكني لو أطعتك ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين أي ولولا فضل الله علي لكنت مثلك في سواء الجحيم حيث أنت محضر معك في العذاب ولكنه تفضل علي ورحمني فهداني للايمان وأرشدني الى توحيده وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله وقوله تعالى أفما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين هذا من كلام المؤمن مغبطا نفسه بما أعطاه الله تعالى من الخلد في الجنة والاقامة في دار الكرامة بلا موت فيها ولا عذاب ولهذا قال عزوجل ان هذا لهو الفوز العظيم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبد الله الطهراني حدثنا حفص بن عمر العدني حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة قال قال ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تبارك وتعالى لاهل الجنة كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون قال ابن عباس رضي الله عنهما قوله عزوجل هنيئا أي لا يموتون فيها فعندها قالوا أفما نحن بميتين الا موتتنا

وفي أنفسهم حوادث الارض وقال مجاهد في الآفاق فتح القرى التي يسر الله فتحها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وللخلفاء من بعده وأنصار دينه في آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموما وفي ناحية المغرب خصوصا من الفتوح التي لم يتيسر مثلها لاحد من خلفاء الارض قبلهم أو من الظهور على الجبابرة والاكاسرة وتغليب قليلهم على كثيرهم وتسليط ضعفائهم على أقويائهم واجرائه على أيديهم أمورا خارجة عن المعهود خارقة للعادات وفي أنفسهم فتح مكة ورجح هذا ابن جرير واختاره المنهال بن عمرو والسدي وقال قتادة والضحاك في الآفاق وقائع الله في الامم وفي أنفسهم يوم بدر وقال عطاء في الآفاق يعني أقطار السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والرياح والامطار والرعد والبرق والصواعق والنبات والاشجار والجبال والبحار وغير ذلك وفي أنفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة حتى في سبيلي الغائط والبول فان الرجل يأكل ويشرب من مكان واحد ويتميز ذلك خارجا من مكانين وحتى في عينيه اللتين ينظر بهما من الارض الى السماء مسيرة خمسمائة عام وفي أذنيه اللتين يفرق بهما بين الاصوات المختلفة وغير ذلك من بديع حكمة الله تعالى فيه فان قيل قوله سنريهم الخ يقتضي انه الى الآن ما أطلعهم على تلك الآيات وسيطلعهم عليها بعد ذلك مع ان الآيات المذكورة قد اطلعوا عليها وهي منهم نصب العين والجواب ان المراد على هذا سنريهم أسرارا آياتنا الخ فالآيات وان اطلعوا عليها بالفعل لكن سرها وحكمتها لم يطلعوا عليه قاله الكرخي وعن ابن جريج في الآية قال أمسك المطر عن الارض كلها وفي أنفسهم قال البلايا التي تكون في أجسامهم وقال ابن عباس كانوا يسافرون فيرون آثار عاد وثمود فيقولون والله لقد صدق محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما أراهم في أنفسهم قال الامراض وقيل في كونهم نطفا الى غير ذلك من انتقال أحوالهم كما تقدم في سورة المؤمنين بيانه (حتى يتبين لهم أنه الحق) الضمير راجع الى القرآن وقيل الى الاسلام الذي جاءهم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل الى ما يريهم الله ويفعل من ذلك وقيل الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم انه الرسول الحق من عند الله والاول أولى وقد حرف الوجودية هذه الآية الكريمة بحملها على اتحاد الخلق والخالق تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا (أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد) الجملة مستأنفة لتوبيخهم وتقريعهم على ترددهم في شأن

الاولى وما نحن بمعذبين وقال الحسن البصري علموا ان كل نعيم فان الموت يقطعه فقالوا أفما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين قيل لا قالوا ان هذا لهو الفوز العظيم وقوله جل جلاله لمثل هذا فليعمل العاملون قال قتادة هذا من كلام أهل الجنة وقال ابن جرير هو من كلام الله تعالى ومعناه لمثل هذا النعيم وهذا الفوز فليعمل العاملون في الدنيا ليصيروا اليه في الآخرة وقد ذكروا قصة رجلين كانا شريكين في ثمانية آلاف دينار لتدخل في ضمن عموم هذه الآية الكريمة قال أبو جعفر ابن جرير حدثني اسحق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد حدثنا عتاب بن بشير عن خصيف عن فرات بن (٢٥٣) ثعلبة البهراني في قوله اني كان لي قرين قال ان رجلين كانا شريكين فاجتمع لهما ثمانية آلاف دينار وكان أحدهما ليس له حرفة والآخر ليس له حرفة فقال الذي له حرفة للآخر ليس عندك حرفة ما أراني الا مفارقك ومقاسمك فقاسمه ثم فارقه ثم ان الرجل اشترى دارا بألف دينار كانت لملك مات فدعا صاحبه فأراه فقال كيف ترى هذه الدار ابتعتها بألف دينار قال ما أحسنها فلما خرج قال اللهم ان صاحبي هذا قد ابتاع هذه الدار بألف دينار واني أسألك دارا من دور الجنة فتصدق بألف دينار ثم مكث ما شاء الله تعالى أن يمكث ثم انه تزوج بامرأة بألف دينار فدعاه وصنع له طعاما فلما أتاه قال اني تزوجت هذه المرأة بألف دينار قال ما أحسن هذا فلما انصرف قال يارب ان صاحبي تزوج امرأة بألف دينار واني أسألك امرأة من الحور العين فتصدق بألف دينار ثم انه مكث ما شاء الله تعالى أن يمكث ثم اشترى بستانين بألفي دينار ثم دعاه فأراه فقال اني ابتعت هذين البستانين بألفي دينار فقال ما أحسن هذا فلما خرج قال يارب ان صاحبي قد اشترى بستانين بألفي دينار واني أسألك بستانين من الجنة فتصدق بألفي دينار ثم ان الملك أتاهما فتوفاهما ثم انطلق بهذا المتصدق فأدخله دارا تعجبه واذا امرأة تطلع يضيء ما تحتها من حسنها ثم أدخله البستانين وشيئا الله به عليم فقال عند ذلك ما أشبه هذا برجل كان من أمره كذا وكذا قال فانه ذلك ولك هذا المنزل والبستانان والمرأة قال انه كان لي صاحب يقول أئنك لمن المصدقين قيل له فانه في الجحيم قال هل أنتم مطلعون فاطلع فرآه في سواء الجحيم فقال عند ذلك تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين الآيات قال ابن جرير وهذا يقوي قراءة من قرأ أئنك لمن المصدقين بالتشديد وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسين بن عرفة حدثنا عمر بن

القرآن وعنادهم للخروج الى ابتداء الآيات وعدم اكتفائهم باخباره تعالى ولعل المعنى أولم يغنهم ولم يكفهم عن الآيات الموعود بها المبينة لحقية القرآن انه سبحانه شهيد على جميع الأشياء وقيل المعنى أولم يكف بربك يا محمد انه شاهد على أعمال الكفار والباء زائدة وهذا هو الراجح وقيل أولم يكف بربك شاهدا على أن القرآن منزل من عنده قاله مقاتل وهذا الكلام في معنى التعجب وهو بمعنى التهديد أي هو الحضور قال الزجاج ومعنى الكفاية ههنا ان الله عز وجل قد بين لهم ما فيه كفاية في الدلالة والمعنى أولم يكف ربك انه على كل شيء شهيد شاهد للأشياء لا يغيب عنه شيء ما (ألا انهم في مرية من لقاء ربهم) أي في شك من البعث والحساب والثواب والعقاب (ألا انه) تعالى (بكل شيء محيط) أحاط علمه بجميع المعلومات وأحاطت قدرته بجميع المقدورات يقال أحاط يحيط احاطة وحيطة وفي هذا وعيد شديد لأن من أحاط بكل شيء لا يخفى عليه شيء فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته

(سورة الشورى وتسمى سورة حم عسق وسورة شورى من غير ألف ولام وسورة حم سق (١) وهي ثلاث وخمسون آية)

وهي مكية كلها قاله ابن عباس وابن الزبير قال الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وروي عن ابن عباس وقتادة انها مكية الا أربع آيات منها نزلت بالمدينة قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى الى آخرها وقد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم ونعيم بن حماد والخطيب عن أرطاة بن المنذر حديثا طويلا في تفسير حم عسق وهو حديث لا يصح ولا يثبت وما أشبهه بالأمور الموضوعات المكذوبات واشتمل لو صح على ما يعرف منه ما يقع من الفتن ومن عداوة الدول والخلفاء من شدة الأوزار عليهم وكذا ما أخرجه أبو يعلى وابن عساكر عن أبي معاوية قال السيوطي سنده ضعيف وقلت بل سنده موضوع وسنده كذب وقد قال ابن كثير في الحديث الأول انه غريب عجيب منكر وفي الثاني انه أغرب من الأول وعندي انهما موضوعان مكذوبان

(بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق) قد تقدم الكلام في أمثال هذه الفواتح قال عبد المؤمن سألت الحسين (٢) بن الفضل لم قطع حم من عسق ولم تقطع كهيعص فقال لأنها سور أوائلها حم فجرت مجرى نظائرها فلما تقدمها وكان حم مبتدأ وعسق خبره ولأنهما

(١) قوله حم سق كذا بالأصل وانظره (٢) في نسخة حسين بن الفضل اه مصححه

عدتا آيتين وعدت أخواتها مثل كهيعص والمر والمص آية واحدة وقيل ان الحروف المعجمة كلها في المعنى واحد من حيث انها أس البيان وقاعدة الكلام ذكره الجرجاني وقيل لان أهل التأويل لم يختلفوا في كهيعص وأخواتها انها حروف التهجي لا غير واختلفوا في حم فقيل معناها حم أي قضي ما هو كائن فصلوا بين ما يقدر فيه فعل وبين ما لا يقدر وقيل ان ح حلمه وم مجده وع علمه وس سناؤه وق قدرته أقسم الله بها وقيل هذا اسمان للسورة وقيل اسم واحد لها وقيل غير ذلك مما هو كتف ومتعسف لم يدل عليه دليل ولا جاءت به حجة ولا شبهة وقد ذكرنا قبل هذا ما روي في ذلك مما لا أصل له والحق ما قدمناه في فاتحة سورة البقرة (كذلك) كلام مستأنف غير متعلق بما قبله أي مثل ذلك الايحاء الذي أوحي الى سائر الرسل من كتب الله المنزلة عليهم المشتملة على الدعوة الى التوحيد والنبوة والبعث وهذا هو وجه التشبيه (يوحي اليك) يا محمد في هذه السورة وقيل ان حم عسق أوحيت الى من قبله من الانبياء فتكون الاشارة بقوله كذلك اليها والاول أولى (والى الذين من قبلك) اي الى الرسل (الله) كأنه قيل من يوحي فقال الله (العزيز) في ملكه الغالب بقهره (الحكيم) بصنعه المصيب في قوله وفعله (له ما في السموات وما في الارض) ذكر سبحانه لنفسه هذا الوصف وهو ملكه جميع ما فيهما للدلالة على كمال قدرته ونفوذ تصرفه في جميع مخلوقاته (وهو العلي) في شأنه على خلقه (العظيم) الكبير مكانه وبرهانه (تكاد السموات يتفطرن من فوقهن) قرأ الجمهور تكاد بالفوقية وكذلك يتفطرن قرؤه بالفوقية مع تشديد الطاء وقرأ نافع والكسائي وابن وثاب يكاد يتفطرن بالتحتية فيهما وقرأ أبو عمرو والمفضل وأبو بكر وأبو عبيد ينفطرن بالنون من الانفطار كقوله تعالى اذا السماء انفطرت والتفطر التشقق قال الضحاك والسدي يتفطرن يتشققن من عظمة الله وجلاله وقيل المعنى يكاد كل واحدة منها ينفطر فوق التي تليها من قول المشركين اتخذ الله ولدا وقيل معنى من فوقهن من فوق الارضين والاول أولى وقيل يتشققن لكثرة ما على السموات من الملائكة وقيل يكدن يتفطرن من علو شأن الله وعظمته ويدل على هذا مجيئه بعد قوله العلي العظيم ومن لابتداء الغاية أي يبتدئ التفطر من جهة الفوق وقال الاخفش الصغير ان الضمير يعود الى جماعات الكفار أي من فوقهم وهو بعيد جدا ووجه تخصيص جهة الفوق انها أقرب الى الآيات العظيمة والمصنوعات

عبد الرحمن الا ان أخبرنا أبو حفص قال سألت اسمعيل السدي عن هذه الآية قال قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول أئنك لمن المصدقين قال فقال لي ماذكر تصدقات فرأيت أني فاذا أحببت أن أسأل الله عنه فقال أما فاحفظ كان شريكان في بني اسرائيل أحدهما مؤمن والآخر كافر فافترقا على ستة آلاف دينار لكل واحد منهما ثلاثة آلاف دينار فمكثنا ما شاء الله تعالى ان يمكثا ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن ما صنعت في مالك أضربت به شيئا أتجرت به في شئ فقال له المؤمن لا فما صنعت أنت فقال اشتريت به أرضا ونخلا وثمارا وأنهارا بألف دينار قال فقال (٢٥٤) له المؤمن أوفعلت قال نعم قال فرجع المؤمن حتى اذا كان الليل صلى ما شاء الله تعالى أن يصلي فلما انصرف أخذ ألف دينار فوضعها بين يديه ثم قال اللهم ان فلانا يعني شريكه الكافر اشترى أرضا ونخلا وثمارا وأنهارا بألف دينار ثم يموت غدا ويتركها اللهم اني اشتريت منك بهذه الالف دينار أرضا ونخلا وثمارا وأنهارا في الجنة قال ثم أصبح فقسمها في المساكين قال ثم مكثنا ما شاء الله تعالى ان يمكثا ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن ما صنعت في مالك أضربت به في شئ أتجرت به في شئ قال لا قال فما صنعت أنت قال كان ضيعتي قد اشتد علي مؤنتها فاشتريت رقيقا بألف دينار يقومون لي فيها ويعملون لي فيها فقال له المؤمن أوفعلت قال نعم قال فرجع المؤمن حتى اذا كان الليل صلى ما شاء الله تعالى ان يصلي فلما انصرف أخذ ألف دينار فوضعها بين يديه ثم قال اللهم ان فلانا يعني شريكه الكافر اشترى رقيقا من رقيق الدنيا بألف دينار يموت غدا فيتركهم أو يموتون فيتركونه اللهم واني اشتري منك بهذه الالف الدينار رقيقا في الجنة قال ثم أصبح فقسمها في المساكين قال ثم مكثنا ما شاء الله تعالى ان يمكثا ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن ما صنعت في مالك أضربت به في شئ أتجرت به في شئ قال لا فما صنعت أنت قال كان أمري كله قد تم الا شيئا واحدا فلانة قد مات عنها زوجها فأصدقتها ألف دينار فجاءتني بها ومثلها معها فقال له المؤمن أوفعلت قال نعم قال فرجع المؤمن حتى اذا كان الليل صلى ما شاء الله تعالى ان يصلي فلما انصرف أخذ الالف الدينار الباقية فوضعها بين يديه وقال اللهم ان فلانا يعني شريكه الكافر تزوج زوجة من أزواج الدنيا بألف دينار فيموت غدا فيتركها أو تموت غدا فيتركها اللهم واني أخطب اليك بهذه الالف الدينار حوراء عيناء في الجنة قال ثم أصبح فقسمها بين المساكين قال فبقي المؤمن ليس عنده شئ قال

الساهرة

السائرة أو على طريق المبالغة كأن كلمة الكفر مع كبرها جاءت من جهة الجحت أثرت في جهة الفوق وتأثيرها في جهة التحت بالاولى (والملائكة يسبحون بحمد ربهم) كلام مستأنف أي ينزهونه عما لا يليق به ولا يجوز عليه متلبسين بحمده وقيل ان التسبيح موضوع موضع التعجب أي يتعجبون من جرأة المشركين على الله وقيل المعنى يصلون بأمر ربهم قاله السدي (ويستغفرون) أي يشفعون (لمن في الارض) من عباد الله المؤمنين كما في قوله ويستغفرون للذين آمنوا أو يطلبون هدايتهم وقيل الاستغفار منهم بمعنى السعي فيما يستدعي المغفرة لهم وتأخير عقوبتهم طمعا في ايمان الكافر وتوبة الفاسق فتكون الآية عامة كما هو ظاهر اللفظ غير خاصة بالمؤمنين وان كانوا داخلين فيها دخولا أوليا والى هذا ذهب البيضاوي ليعم الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع ايصاله الى الحيوان بل الجماد قال الضحاك لمن في الارض من المؤمنين وقال السدي كما في سورة المؤمن ويستغفرون للذين آمنوا وعلى هذا يكون المراد بالملائكة هنا حملة العرش وقيل جميع الملائكة وهو الظاهر من قول الكلبي وقيل هو منسوخ بقوله ويستغفرون للذين آمنوا وقال المهدوي والصحيح انه ليس بمنسوخ لانه خبر وهو خاص بالمؤمنين وقال أبو الحسن بن الحصار ان حملة العرش مخصوصون بالاستغفار للمؤمنين ولله ملائكة أخر يستغفرون لمن في الارض قال الماوردي وفي استغفارهم لهم قولان أحدهما من الذنوب والخطايا وهو ظاهر قول مقاتل والثاني انه طلب الرزق لهم والسعة عليهم قاله الكلبي وهو الاظهر لان من في الارض يعم الكافر وغيره وعلى قول مقاتل لا يدخل الكافر وقال مطرف وجدنا أنصح عباد الله لعباد الله الملائكة ووجدنا أغش عباد الله لعباد الله الشياطين (ألا ان الله هو الغفور الرحيم) أي كثير المغفرة والرحمة لاهل طاعته وأوليائه أو لجميع عباده فان تأخير عقوبة الكفار والعصاة نوع من أنواع مغفرته ورحمته (والذين اتخذوا من دونه أولياء) أي أصناما يعبدونها وجعلوا له شركاء وأندادا (الله حفيظ عليهم) أي يحفظ أعمالهم لا يعزب عنه منها شيء فيجازيهم بها (وما أنت عليهم بوكيل) أي لم يوكلك بهم حتى تؤاخذهم ولا وكل اليك هدايتهم وانما عليك البلاغ قيل وهذه الآية منسوخة بآية السيف (وكذلك) الايحاء البديع المبين المفهوم (أوحينا اليك) أي أنزلنا عليك (قرآنا عربيا) بلسان قومك لا لبس فيه عليك ولا على قومك كما أرسلنا كل

فلبس قميصا من قطن وكساء من صوف ثم أخذ مرا فجعله على رقبته يعمل الشيء ويحفر الشيء بقوته قال فجاءه رجل فقال يا عبد الله أتؤاجرني نفسك مشاهرة شهرا بشهر تقوم على دواب لي تعلفها وتكنس سرقينها قال أفعل قال فواجره نفسه مشاهرة شهرا بشهر يقوم على دوابه قال وكان صاحب الدواب يغدو كل يوم ينظر الى دوابه فاذا رأى دابة ضامرة أخذ برأسه فوجأ عنقه ثم يقول له سرقت شعير هذه البارحة قال فلما رأى المؤمن هذه الشدة قال لآتين شريكي الكافر فلأعملن في أرضه فليطعمني هذه الكسرة يوما بيوم ويكسوني هذين الثوبين اذا بليا قال فانطلق يريده فانتهى الى بابه وهو ممس فاذا قصر مشيد في السماء واذا حوله البوابون فقال لهم استأذنوا لي على صاحب هذا القصر فانكم اذا فعلتم سره ذلك فقالوا له انطلق ان كنت صادقا فنم في ناحية فاذا أصبحت فتعرض له قال فانطلق المؤمن فألقى نصف كسائه تحته ونصفه فوقه ثم نام فلما أصبح أتى شريكه فتعرض له فخرج شريكه الكافر وهو راكب فلما رآه عرفه فوقف عليه وسلم عليه وصافحه ثم قال له ألم تأخذ من المال مثل ما أخذت قال بلى قال وهذه حالي وهذه حالك قال بلى قال أخبرني ما صنعت في مالك قال لا تسألني عنه قال فما جاء بك قال جئت أعمل في أرضك فتطعمني هذه الكسرة يوما بيوم وتكسوني هذين الثوبين اذا بليا قال لا ولكن أصنع لك ما هو خير من هذا ولكن لا ترى مني خيرا حتى تخبرني ما صنعت في مالك قال أقرضته قال من قال المليء الوفي قال من قال الله ربي قال وهو مصافحه فانتزع يده من يده ثم قال أئنك لمن المصدقين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون قال السدي محاسبون قال فانطلق الكافر وتركه قال فلما رآه المؤمن وليس يلوي عليه رجع وتركه يعيش المؤمن في شدة من الزمان ويعيش الكافر في رخاء من الزمان قال فاذا كان يوم القيامة وأدخل الله تعالى المؤمن الجنة يمر فاذا هو بأرض ونخل وثمار وأنهار فيقول لمن هذا فيقال هذا لك فيقول يا سبحان الله أو بلغ من فضل ثوابي ان أثاب بمثل هذا قال ثم يمر فاذا هو برقيق لا تحصى عدتهم فيقول لمن هذا فيقال هؤلاء لك فيقول يا سبحان الله أو بلغ من فضل عملي أن أثاب بمثل هذا قال ثم يمر فاذا هو بقبة من ياقوتة حمراء مجوفة فيها حور عين فيقول لمن هذه فيقال هذه لك فيقول يا سبحان الله أو بلغ من فضل عملي ان أثاب بمثل هذا قال ثم يذكر المؤمن شريكه الكافر فيقول اني كان لي قرين يقول أئنك لمن المصدقين أئذا متنا وكنا ترابا

رسول بلسان قومه (لتنذر أم القرى) أي مكة والمراد أهلها (ومن حولها) من الناس
والمفعول الثاني محذوف أي لتنذرهم العذاب (وتنذر يوم الجمع) أي يوم الجمع وهو
يوم القيامة لانه يجمع الخلائق وقيل المراد جمع الارواح بالاجساد وقيل جمع الظالم والمظلوم
وقيل جمع العامل والعمل (لاريب فيه) أي لا شك فيه والجملة معترضة مقررة لما قبلها
أو حال من يوم الجمع (فريق في الجنة وفريق في السعير) قرأ الجمهور برفع فريق في الموضعين
اما على انه مبتدأ وخبره الجار والمجرور وساغ الابتداء بالنكرة لان المقام مقام تفصيل وعلى
ان الخبر مقدر قبله أي منهم فريق في الجنة ومنهم فريق في السعير أو انه خبر مبتدأ محذوف
وهو ضمير عائد الى المجموع المدلول عليهم بذكر الجمع أي هم فريق في الجنة وفريق في السعير
وقرئ فريقا بالنصب في الموضعين على الحال من جملة محذوفة أي افترقوا حال كونهم
كذلك وأجاز الفراء والكسائي النصب على تقدير لتنذر فريقا وقد أخرج الترمذي وصححه
وأحمد والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن عبد الله بن عمرو قال خرج علينا
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي يده كتابان فقال أتدرون ما هذان الكتابان قلنا لا الا
أن تخبرنا يا رسول الله قال للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل الجنة
وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ثم قال للذي في
شماله هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على
آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا فقال أصحابه ففيم العمل يا رسول الله ان كان أمر
قد فرغ منه فقال سددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وان عمل أي
عمل وان صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وان عمل أي عمل قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم بيديه فنبذهما ثم قال فرغ ربكم من العباد فريق في الجنة وفريق في السعير
قال الترمذي بعد اخراجه هذا حديث حسن صحيح غريب وروى ابن جرير طرفا منه عن
ابن عمرو موقوفا عليه قال ابن جرير وهذا الموقوف أشبه بالصواب قلت بل المرفوع أشبه
بالصواب فقد رفعه الثقة ورفعه زيادة ثابتة من وجه صحيح ويقوي الرفع ما أخرجه ابن
مردويه عن البراء قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي يده كتاب ينظر
فيه قالوا انظروا اليه كيف وهو أمي لا يقرأ قال فعلمها (١) رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فقال هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل الجنة وأسماء قبائلهم لا يزاد فيهم

وعطاءا أبناء المدينين قال فالجنة عالية والنار هاوية قال فيريه الله تعالى شريكه في وسط الجحيم من بين أهل النار فاذا رآه المؤمن
عرفه فيقول تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين أفما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين ان هذا
لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون بمثل ما قدم عليه قال فيتذكر المؤمن ما مر عليه في الدنيا من الشدة فلا يذكر مما مر
عليه في الدنيا من الشدة أشد عليه من الموت (أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم انا جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة تخرج في أصل
الجحيم طلعها كأنه رؤس الشياطين فانهم لآكلون منها فمالؤن منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم
ان مرجعهم لالى الجحيم انهم ألفوا
آباءهم ضالين فهم على آثارهم
يهرعون) يقول الله تعالى أهذا الذي
ذكره من نعيم الجنة وما فيها من
مآكل ومشارب ومناكح وغير ذلك
من الملاذ خير ضيافة وعطاء أم شجرة
الزقوم أي التي في جهنم وقد يحتمل
ان يكون المراد بذلك شجرة واحدة
معينة كما قال بعضهم من أنها شجرة
تمتد فروعها الى جميع محال جهنم
كما ان شجرة طوبى ما من دار في الجنة
الا وفيها منها غصن وقد يحتمل ان
يكون المراد بذلك جنس شجر يقال
له الزقوم كقوله تعالى وشجرة تخرج
من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ
للآكلين يعني الزيتونة ويؤيد ذلك
قوله تعالى ثم انكم ايها الضالون
المكذبون لآكلون من شجر من
زقوم وقوله عز وجل انا جعلناها
فتنة للظالمين قال قتادة ذكرت شجرة
الزقوم فافتتن بها أهل الضلالة
وقالوا صاحبكم ينبئكم ان في النار
شجرة والنار تأكل الشجر فأنزل
الله تعالى انها شجرة تخرج في أصل
الجحيم غذيت من النار ومنها خلقت
وقال مجاهد انا جعلناها فتنة للظالمين
قال أبو جهل لعنه الله انما الزقوم التمر والزبد أتزقمه قلت ومعنى الآية انما اخبرناك يا محمد بشجرة الزقوم اختبارا ولا
نختبر به الناس من يصدق منهم ممن يكذب كقوله تبارك وتعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في
القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا وقوله تعالى انها شجرة تخرج في أصل الجحيم أي أصل منبتها في قرار النار طلعها كأنه
رؤس الشياطين تبشيع لها وتكريه لذكرها قال وهب بن منبه شعور الشياطين قائمة الى السماء وانما شبهها برؤس الشياطين
وان لم تكن معروفة عند المخاطبين لانه قد استقر في النفوس ان الشياطين قبيحة المنظر وقيل المراد بذلك ضرب من الحيات رؤسها

(١) اى المقالة وهي المذكورة في ضمن قالوا اه منه

بشعة المنظر وقيل جنس من النبات طلعه في غاية الفحاشة وفي هذين الاحتمالين نظر وقد ذكرهما ابن جرير والأول أقوى وأولى والله أعلم وقوله تعالى فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ذكر تعالى أنهم يأكلون من هذه الشجرة التي لا أبشع منها ولا أقبح من منظرها مع ما هي عليه من سوء الطعم والريح والطبع فإنهم ليضطرون إلى الأكل منها لأنهم لا يجدون إلا إياها وما هو في معناها كما قال تعالى ليس لهم طعام إلا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع وقال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أبي حدثنا عمرو بن مرزوق حدثنا شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية اتقوا الله حق تقاته ولو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معايشهم فكيف بمن يكون طعامه ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث شعبة وقال الترمذي حسن صحيح وقوله تعالى ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني شرب الحميم على الزقوم وقال في رواية عنه شوبا من حميم مزجا من حميم وقال غيره يعني يمزج لهم الحميم بصديد وغساق مما يسيل من فروجهم وعيونهم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا حيوة بن شريح الحضرمي حدثنا بقية بن الوليد عن صفوان بن عمرو أخبرني عبيد بن بسر عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول يقرب يعني إلى أهل النار ماء فيتكرهه فإذا أدني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فيه فإذا شربه قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن رافع حدثنا يعقوب بن عبد الله عن جعفر وهرون بن عنترة عن سعيد بن جبير قال إذا جاع أهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم فأكلوا منها فاختلست جلود وجوههم فلو أن مارًا مر بهم يعرفهم لعرفهم بوجوههم فيها ثم يصب عليهم العطش فيستغيثون فيغاثون بماء كالمهل وهو الذي قد انتهى حره فإذا أدنوه من أفواههم اشتوى من حره لحوم وجوههم التي قد سقطت عنها الجلود ويصهر ما في بطونهم فيمشون تسيل أمعاؤهم وتتساقط جلودهم ثم يضربون بمقامع من حديد فيسقط كل عضو على حياله يدعون بالثبور وقوله عز وجل ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم أي ثم إن مردهم بعد هذا الفصل لإلى نار تتأجج وجحيم تتوقد وسعير تتوهج فتارة في هذا وتارة في هذا كما قال تعالى يطوفون بينها وبين حميم

ولا ينقص منهم وقال فريق في الجنة وفريق في السعير فرغ ربكم من أعمال العباد (ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة) قال الضحاك أهل دين واحد إما على هدى وإما على ضلالة ولكنهم افترقوا على أديان مختلفة بالمشيئة الأزلية وهو معنى قوله (ولكن يدخل من يشاء في رحمته) أي في الدين الحق وهو الإسلام (والظالمون) أي المشركون (ما لهم من ولي) يدفع عنهم العذاب (ولا نصير) ينصرهم في ذلك المقام ومثل هذا قوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وقوله ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها وهذا مقابل لقوله يدخل من يشاء في رحمته فكان مقتضى الظاهر أن يقال ويدخل من يشاء في عقوبته لكن عدل عنه إلى ما ذكر للمبالغة في الوعيد فإن نفي من يتولاهم وينصرهم أدل على أن كونهم في العذاب أمر معلوم مفروغ منه أفاده الكرخي وقال الشوكاني رحمه الله وههنا مخاصمات بين المتمذهبين المحامين على ما درج عليه أسلافهم ودرجوا عليه من بعدهم وليس بنا إلى ذكر شيء من ذلك فائدة كما هو عادتنا في تفسيرنا هذا فهو تفسير سلفي يمشي مع الحق ويدور مع مدلولات النظم الشريف وإنما يعرف ذلك من رسخ قدمه وتبرأ من التعصب قلبه ولحمه ودمه (أم اتخذوا من دونه أولياء) مستأنفة مقررة لما قبلها من انتفاء أن يكون للظالمين وليا ونصيرا وأم هي المنقطعة المقدرة ببل المفيدة للانتقال وبالهمزة المفيدة للإنكار أي بل اتخذ الكافرون من دون الله أولياء من الأصنام يعبدونها (فالله هو الولي) أي هو الحقيق بأن يتخذوه وليا فإنه الخالق الرازق الضار النافع والفاء لمجرد العطف قاله الكرخي وعرضه بهذا الرد على الزمخشري في قوله إنها جواب شرط مقدر أي إن أرادوا أن يتخذوا وليا في الحقيقة فالله هو الولي الحق قال أبو حيان لا حاجة إلى هذا التقدير لتمام الكلام بدونه (وهو) أي ومن شأنه أنه (يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير) أي يقدر على كل مقدور فهو الحقيق بتخصيصه بالألوهية وإفراده بالعبادة (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله) هذا عام في كل ما اختلف فيه العباد من أمر الدين فإن حكمه ومرجعه إلى الله يحكم فيه يوم القيامة بحكمه ويفصل خصومة المختصمين فيه وعند ذلك يظهر المحق من المبطل ويتميز فريق الجنة وفريق النار قال الكلبي وما اختلفتم فيه من شيء أي من أمر الدين فحكمه إلى الله يقضي فيه وزاد البيضاوي أو أمر الدنيا ولم يذكر الدنيا في الكشاف

آن هكذا انلا قتادة هذه الآية عند هذه الآية وهو تفسير حسن قوي وقال السدي في قراءة عبد الله رضي الله عنه ثم ان مقيلهم لالى الجحيم وكان عبد الله رضي الله عنه يقول والذي نفسي بيده لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار ثم قرأ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا وروى الثوري عن ميسرة عن المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة عن عبد الله رضي الله عنه قال لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل هؤلاء ويقيل هؤلاء قال سفيان أراه ثم قرأ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا ثم ان مقيلهم لالى (٢٥٨) الجحيم قلت على هذا التفسير تكون ثم عاطفة خبر على خبر وقوله تعالى انهم ألفوا آباءهم ضالين أي انما جازيناهم بذلك لانهم وجدوا آباءهم على الضلالة فاتبعوهم فيها بمجرد ذلك من غير دليل ولا برهان ولهذا قال فهم على آثارهم يهرعون قال مجاهد شبيهة بالهرولة وقال سعيد بن جبير يسفهون (ولقد ضل قبلهم أكثر الاولين ولقد أرسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الا عباد الله المخلصين) يخبر تعالى عن الامم الماضين ان أكثرهم كانوا ضالين يجعلون مع الله آلهة أخرى وذكر تعالى انه أرسل فيهم منذرين ينذرون بأس الله ويحذرونهم سطوته ونقمته ممن كفر به وعبد غيره وانهم تمادوا على مخالفة رسلهم وتكذيبهم فأهلك المكذبين ودمرهم ونجى المؤمنين ونصرهم وظفرهم ولهذا قال تعالى فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الا عباد الله المخلصين (ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه وأهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ثم أغرقنا الآخرين) لما ذكر تعالى عن أكثر الاولين انهم ضلوا عن سبيل النجاة شرع يبين ذلك مفصلا فذكر نوحا عليه الصلاة والسلام وما لقي من قومه من التكذيب وانه لم يؤمن منهم الا القليل مع طول المدة لبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فلما طال عليه ذلك واشتد عليه تكذيبهم وكلما دعاهم ازدادوا نفرة فدعا ربه أني مغلوب فانتصر فغضب الله تعالى لغضبه عليهم ولهذا قال عز وجل ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون أي فلنعم المجيبون له ونجيناه وأهله من الكرب العظيم وهو التكذيب والاذى وجعلنا ذريته هم الباقين قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما يقول لم تبق الا ذرية نوح عليه

وذكره المحلي وقال من الدين وغيره والغير كالخصومات في الدنيا والاول أولى اذ لا يلزم ان تكون بينهم وبين الكفرة ولا يقال في مثله التحاكم الى الله افاده الشهاب وقال مقاتل ان أهل مكة كفر بعضهم بالقرآن وآمن به بعضهم فنزلت هذه الآية والاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ويمكن ان يقال ان معنى حكمه الى الله انه مردود الى كتابه فانه قد اشتمل على الحكم بين عباده فيما يختلفون فيه فتكون الآية عامة في كل اختلاف يتعلق بأمر الدين انه مردود الى كتاب الله ومثله قوله وان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وقد حكم سبحانه بان الدين هو الاسلام وان القرآن حق وان المؤمنين في الجنة والكافرين في النار ولكن لما كان الكفار لا يذعنون لكون ذلك حقا الا في الدار الآخرة وعدهم الله بذلك يوم القيامة وقيل تحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لان حكمه حكم الله ولا تؤثروا حكومة غيره على حكومته (ذلكم) مبتدأ أي الحاكم العظيم الشأن بهذا الحكم (الله) خبر أول (ربي) خبر ثان (عليه توكلت) خبر ثالث أي اعتمدت عليه في جميع أموري لا على غيره وفوضته في كل شؤني (واليه) لا الى غيره (أنيب) أي ارجع في كل شيء يعرض لي وهذا خبر رابع (فاطر السموات والارض) الفاطر الخالق المبدع وقد تقدم تحقيقه وهذا خبر خامس أو مبتدأ وخبره ما بعده أو نعت لربي لان الاضافة محضة ويكون عليه توكلت واليه أنيب معترضا بين الصفة والموصوف وقرأ زيد بن علي فاطر بالجر على انه نعت للاسم الشريف في قوله الى الله وما بينهما اعتراض أو بدل من الهاء في عليه أو اليه وأجاز الكسائي النصب على النداء وأجازه غيره على المدح (جعل لكم من أنفسكم أزواجا) خبر سادس أي خلق لكم من جنسكم نساء أو المراد حوى لكونها خلقت من ضلع آدم وقال مجاهد نسلا بعد نسل (ومن الانعام أزواجا) أي خلق لها من جنسها اناثا أو وخلق لكم من الانعام أصنافا من الذكور والاناث وهي الثمانية التي ذكرها في الانعام (يذرؤكم فيه) أي يبثكم من الذرء وهو البث أو يخلقكم وينشئكم والضمير في يذرؤكم للمخاطبين والانعام الا انه غلب عليه العقلاء قال الزمخشري وهي من الاحكام ذات العلتين قال الشيخ وهو اصطلاح غريب والمعنى ان الخطاب يغلب على الغيبة اذا اجتمعا وضمير فيه راجع الى الجعل المدلول عليه بالفعل أو للمخلوق وقيل راجع الى ما ذكر من التدبير وقال الفراء والزجاج وابن كيسان معنى

يذرؤكم

السلام وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله تبارك وتعالى وجعلنا ذريته هم الباقين قال الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام وقد روى الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن سمرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين قال سام وحام ويافث وقال الامام أحمد حدثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن الحسن عن سمرة رضي الله عنه ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم ورواه الترمذي عن بشر بن معاذ العقدي عن يزيد بن زريع عن سعيد وهو الحافظ (٢٥٩) أبو عمر بن عبد البر وقد روي عن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله والمراد بالروم ههنا هم الروم الاول وهم اليونان المنتسبون الى رومي بن ليطي بن يونان بن يافث بن نوح عليه السلام ثم روي من حديث اسماعيل ابن عياش عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال ولد نوح عليه السلام ثلاثة سام ويافث وحام وولد كل واحد من هؤلاء الثلاثة ثلاثة فولد سام العرب وفارس والروم وولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج وولد حام القبط والسودان والبربر وروي عن وهب بن منبه نحو هذا والله أعلم وقوله تبارك وتعالى وتركنا عليه في الآخرين قال ابن عباس رضي الله عنهما يذكر بخير وقال مجاهد يعني لسان صدق للانبياء كلهم وقال قتادة والسدي أبقى الله عليه الثناء الحسن في الآخرين قال الضحاك السلام والثناء الحسن وقوله تعالى سلام على نوح في العالمين مفسر لما أبقى عليه من الذكر الجميل والثناء الحسن انه يسلم عليه في جميع الطوائف والامم انا كذلك نجزي المحسنين أي هكذا نجزي من أحسن من العباد في طاعة الله تعالى نجعل له لسان صدق يذكر به بعده بحسب مرتبته في ذلك ثم قال تعالى انه من عبادنا المؤمنين أي المصدقين الموحدين الموقنين ثم أغرقنا الآخرين أي أهلكناهم فلم تبق منهم عين تطرف ولا ذكر ولا عين ولا أثر ولا يعرفون الا بهذه الصفة القبيحة (وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون أئفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما وان من شيعته لابراهيم يقول من أهل دينه وقال مجاهد على منهاجه وسنته اذ جاء ربه بقلب سليم قال ابن عباس رضي الله عنهما

يذرؤكم فيه يكثركم به أي يكثركم بجعلكم أزواجا لان ذلك سبب النسل وقال ابن قتيبة يذرؤكم فيه أي في الزوج وقيل في البطن وقيل في الرحم (ليس كمثله شيء) خبر ساطع والمراد بذكر المثل هنا المبالغة في النفي بطريق الكناية فانه اذا نفي عمن يناسبه كان نفيه عنه أولى كقولهم مثلك لا يبخل وغيرك لا يجود وقيل ان الكاف زائدة للتوكيد لان التقدير تعالى لا مثل له وهو المشهور عند المعربين وقيل ان مثل زائدة قاله ثعلب وغيره كما في قوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم به أي بما آمنتم به وهذا ليس بجيد بل الاول أولى فان الكناية باب مسلوك للعرب ومهيع مألوف لهم قال ابن قتيبة العرب تقيم المثل مقام النفس فتقول مثلي لا يقال له هذا أي أنا لا يقال لي وقيل المراد بالمثل الصفة وذلك ان المثل بمعنى المثل والمثل الصفة كقوله مثل الجنة فيكون المعنى ليس مثل صفته تعالى شيء من الصفات التي لغيره وهو محمل سهل قال الراغب المثل أعم الالفاظ الموضوعة للمشابهة وذلك ان الند يقال لما يشاركه في الجوهر فقط والشبه يقال فيما يشاركه في الكيفية فقط والمساوي يقال فيما يشاركه في الكمية فقط والشكل يقال فيما يشاركه في القدر والمساحة فقط والمثل في جميع ذلك ولهذا لما أراد الله نفي الشبه من كل وجه خصه بالذكر فقال تعالى ليس كمثله شيء وقال أبو البقاء مرجحا لزيادة الكاف انها لو لم تكن زائدة لافضى ذلك الى المحال اذ يكون المعنى ان له مثلا وليس لمثله مثل وفي ذلك تناقض لانه اذا كان له مثل فلمثله مثل وهو هو مع ان اثبات المثل لله سبحانه محال وهذا تقرير حسن ولكنه يندفع ما أورده بما ذكرناه من كون الكلام خارجا مخرج الكناية ومن فهم هذه الآية الكريمة حق فهمها وتدبرها حق تدبرها مشى بها عند اختلاف المختلفين في الصفات على طريقة بيضاء واضحة ويزداد بصيرة اذا تأمل معنى قوله (وهو السميع البصير) فان هذا الاثبات بعد ذلك النفي للمماثل قد اشتمل على برد اليقين وشفاء الصدور وانثلاج القلوب فاقدر يا طالب الحق قدر هذه الحجة النيرة والبرهان القوي فانك تحطم بها كثيرا من البدع وتهشم بها رؤسا من الضلالة وترغم بها آناف طوائف من المعاصرين المتكلفين والمتكلمين المتأولين ولا سيما اذا ضممت اليه قول الله سبحانه ولا يحيطون به علما فانك حينئذ قد أخذت بطرفي حبل ما يسمونه بعلم الكلام وعلم أصول الدين

ودع عنك نهبا صيح في حجراته * ولكن حديثا ما حديث الرواحل

يعني شهادة أن لا إله إلا الله وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن عوف قلت لمحمد بن سيرين ما القلب السليم قال يعلم أن الله حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وقال الحسن سليم من الشرك وقال عروة لا يكون لعانا وقوله تعالى إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون أنكر عليهم عبادة الأصنام والأنداد ولهذا قال عز وجل أئفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين قال قتادة يعني ما ظنكم أنه فاعل بكم إذا لقيتموه وقد عبدتم معه غيره (فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم فتولوا عنه مدبرين فراغ إلى آلهتهم (٢٦٠) فقال ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين فأقبلوا إليه يزفون قال أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين) إنما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه ذلك ليقيم في البلد إذا ذهبوا إلى عيدهم فإنه كان قد أزف خروجهم إلى عيد لهم فأحب أن يختلي بآلهتهم ليكسرها فقال لهم كلاما هو حق في نفس الأمر فهموا منه أنه سقيم على مقتضى ما يعتقدونه فتولوا عنه مدبرين قال قتادة والعرب تقول لمن تفكر نظر في النجوم يعني قتادة أنه نظر إلى السماء متفكرا فيما يلهيهم به فقال إني سقيم أي ضعيف فأما الحديث الذي رواه ابن جرير ههنا حدثنا أبو كريب حدثنا أبو أسامة حدثني هشام عن محمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب إبراهيم عليه الصلاة والسلام غير ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله تعالى قوله إني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله في سارة هي أختي فهو حديث مخرج في الصحاح والسنن من طرق ولكن ليس هذا من باب الكذب الحقيقي الذي يذم فاعله حاشا وكلا ولما وإنما أطلق الكذب على هذا عليه تجوزا وإنما هو من المعاريض في الكلام لمقصد شرعي ديني كما جاء في الحديث إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن علي بن زيد بن جدعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في كلمات إبراهيم عليه الصلاة والسلام الثلاث التي قال ما منها كلمة إلا ماحل بها عن دين الله تعالى فقال إني سقيم وقال بل فعله كبيرهم هذا وقال للملك حين أراد امرأته هي أختي قال سفيان في قوله إني سقيم يعني طعين وكانوا يفرون من

وهو السميع البصير خبر ثامن وقوله (له مقاليد السموات والأرض) خبر تاسع جمع مقلاد أو مقليد أو إقليد وهو المفتاح جمع على خلاف القياس أي مفاتيحهما أو خزائنهما والمراد المطر والنبات وغيرهما كالجواهر المستخرجة من الأرض قال النحاس والذي يملك المفاتيح يملك الخزائن وقد تقدم تحقيقه في سورة الزمر ثم لما ذكر سبحانه أن بيده مقاليدهما ذكر بعده البسط والقبض فقال (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) خبر عاشر أي يوسعه لمن يشاء كالروم والفرس ويضيقه على من يشاء كالعرب (إنه بكل شيء) من الأشياء (عليم) فلا تخفى عليه خافية وإحاطة علمه بكل شيء يندرج تحتها علمه بطاعة المطيع ومعصية العاصي فهو يجازي كلا بما يستحقه من خير وشر (شرع لكم) أي بين وأوضح وسن وأظهر طريقا واضحا وهو خبر حادي عشر (من الدين) أي دينا تطابقت على صحته الأنبياء والخطاب لأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم (ما وصى به نوحا) من التوحيد ودين الإسلام وأصول الشرائع التي لم يختلف فيها الرسل وتوافقت عليها الكتب وإنما خص نوحا لأنه أول الأنبياء أصحاب الشرائع والمعنى قد وصيناه وإياك يا محمد دينا واحدا وقد ثبت في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في حديث الشفاعة المشهور الكبير ولكن ائتوا نوحا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض وهذا صحيح لا إشكال فيه كما أن آدم أول نبي بغير إشكال لأن آدم لم يكن معه إلا بنوه ولم تفرض له فرائض ولا شرعت له المحارم وإنما كان شرعه تنبيها على بعض الأمور واقتصارا على ضرورات المعاش وأخذا بوظائف الحياة والبقاء واستمر إلى نوح فبعثه الله بتحريم الأمهات والبنات والأخوات ووظف عليه الواجبات وأوضح له الآداب والديانات ولم يزل ذلك يتأكد بالرسل ويتناصر بالأنبياء عليهم السلام واحدا بعد واحد وشريعة إثر شريعة حتى ختمها بخير الملل ملتنا على لسان أكرم الرسل سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم (والذي أوحينا إليك) من القرآن وشرائع الإسلام والبراءة من الشرك والتعبير عنه عند نسبته إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالذي هو أصل الموصولات لتفخيم شأنه من تلك الحيثية وخص ما شرعه لنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالإيحاء مع كون ما قبله وما بعده مذكورا بالتوصية للتصريح برسالته القامع لإنكار الكفرة وفيه التفات من الغيبة إلى التكلم بنون العظمة لكمال الاعتناء بالإيحاء إليه وهو السر في تقدمه على ما بعده مع تقدمه

المطعون فأراد أن يخلو بآلهتهم وكذا قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم فقالوا له وهو في بيت آلهتهم اخرج فقال إني مطعون فتركوه مخافة الطاعون وقال قتادة عن سعيد بن المسيب رأى نجما طلع فقال إني سقيم كايد نبي الله عن دينه فقال إني سقيم وقال آخرون فقال إني سقيم بالنسبة إلى ما يستقبل يعني مرض الموت وقيل أراد إني سقيم أي مريض القلب من عبادتكم الأوثان من دون الله تعالى وقال الحسن البصري خرج قوم إبراهيم إلى عيدهم فأرادوه على الخروج فاضطجع على ظهره وقال إني سقيم وجعل ينظر في السماء فلما خرجوا أقبل إلى آلهتهم فكسرها

عليه زمانا وتقديم توصية نوح للمسارعة إلى بيان كون المشروع لهم دينا قديما وتوجيه الخطاب إليه صلى الله عليه وآله وسلم بطريق التلوين للتشريف والتنبيه على أنه تعالى شرعه لهم على لسانه عليه الصلاة والسلام (وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى) مما تطابقت عليه الشرائع وإنما خص هؤلاء الأنبياء الخمسة بالذكر لأنهم أكابر الأنبياء وأصحاب الشرائع المعظمة والأتباع الكثيرة وأولو العزم ولميل قلوب الكفرة إليهم لاتفاق الكل على نبوة بعضهم وتفرد اليهود في موسى والنصارى في عيسى وكل من هؤلاء المذكورين له شرع جديد ومن عداهم من الرسل إنما كان يبعث بتبليغ شرع من قبله فشيث وإدريس بعثا بتبليغ شرع آدم ومن بين نوح وإبراهيم وهما هود وصالح بعثا بتبليغ شرع نوح ومن بين إبراهيم وموسى بعثوا بتبليغ شرع إبراهيم وكذا من بين موسى وعيسى بعثوا بتبليغ شرع موسى فليتأمل ثم بين ما وصى به هؤلاء فقال (أن أقيموا الدين) أي توحيد الله والإيمان به وطاعة رسله وقبول شرائعه والمراد بإقامته تعديل أركانه وحفظه من أن يقع فيه زيغ أو المواظبة عليه والتشمير له وقال السدي أي اعملوا به وقيل المراد سائر ما يكون المرء به مقيما سلما ولم يرد به الشرائع فإنها مختلفة قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا قال مجاهد لم يبعث الله نبيا قط إلا وصاه بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإقرار لله بالطاعة فذلك دينه الذي شرع لهم وقال قتادة يعني تحليل الحلال وتحريم الحرام قال القرطبي الأصول التي لا تختلف فيها الشرائع هي التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج والتقرب إلى الله بصالح العمل والصدق والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وصلة الرحم وتحريم الكفر والقتل والزنا والأذية للخلق كيفما تصورت والاعتداء على الحيوان كيفما دار واقتحام الدناءات وما يعود بخرم المروآت فهذا كله مشروع دينا واحدا وملة واحدة لم تختلف على ألسنة الأنبياء وإن اختلفت أعدادهم وذلك قوله تعالى أن أقيموا الدين الخ ثم لما أمرهم سبحانه بإقامة الدين نهاهم عن الاختلاف فيه فقال (ولا تتفرقوا فيه) أي لا تختلفوا في التوحيد والإيمان بالله وطاعة رسوله وقبول شرائعه فإن هذه الأمور قد تطابقت عليها الشرائع وتوافقت فيها الأديان فلا ينبغي الخلاف في مثلها وليس هذا من فروع المسائل التي تختلف فيها الأدلة وتتعارض فيها الأمارات وتتباين فيها الأفهام فإنها من مطارح الاجتهاد ومواطن الخلاف قال

رواه ابن أبي حاتم ولهذا قال تعالى فتولوا عنه مدبرين أي إلى عيدهم فراغ إلى آلهتهم أي ذهب إليها بعد ما خرجوا في سرعة واختفاء فقال ألا تأكلون وذلك أنهم كانوا قد وضعوا بين أيديها طعاما قربانا لتبرك لهم فيه قال السدي دخل إبراهيم عليه السلام إلى بيت الآلهة فإذا هم في بهو عظيم وإذا مستقبل باب البهو صنم عظيم إلى جنبه أصغر منه بعضها إلى جنب بعض كل صنم يليه أصغر منه حتى بلغوا باب البهو وإذا هم قد جعلوا طعاما ووضعوه بين أيدي الآلهة وقالوا إذا كان حين نرجع وقد بركت الآلهة في طعامنا أكلناه فلما نظر إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى ما بين أيديهم من الطعام قال ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون وقوله تعالى فراغ عليهم ضربا باليمين قال الفراء معناه مال عليهم ضربا باليمين وقال قتادة والجوهري فأقبل عليهم ضربا باليمين وإنما ضربهم باليمين لأنها أشد وأنكى ولهذا تركهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون كما تقدم في سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تفسيره وقوله تعالى فأقبلوا إليه يزفون قال مجاهد وغير واحد أي يسرعون وهذه القصة ههنا مختصرة وفي سورة الأنبياء مبسوطة فإنهم لما رجعوا ما عرفوا من أول وهلة من فعل ذلك حتى كشفوا واستعلموا فعرفوا أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام هو الذي فعل ذلك فلما جاؤا ليعاتبوه أخذ في تأنيبهم وعيبهم فقال أتعبدون ما تنحتون أي أتعبدون من دون الله من الأصنام ما أنتم تنحتونها وتجعلونها بأيديكم والله خلقكم وما تعملون يحتمل أن تكون ما مصدرية فيكون تقدير الكلام خلقكم وعملكم ويحتمل أن تكون بمعنى الذي تقديره والله خلقكم والذي تعملونه وكلا القولين متلازم

والأول أظهر لما رواه البخاري في كتاب أفعال العباد عن علي بن المديني عن مروان بن معاوية عن أبي مالك عن ربعي بن حراش عن حذيفة رضي الله عنه مرفوعاً قال إن الله تعالى يصنع كل صانع وصنعته وقرأ بعضهم والله خلقكم وما تعملون فعند ذلك لما قامت عليهم الحجة عدلوا إلى أخذه باليد والقهر فقالوا ابنوا له بنياناً فألقوه في الجحيم وكان من أمرهم ما تقدم بيانه في سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ونجاه الله من النار وأظهره عليهم وأعلى حجته ونصرها ولهذا قال تعالى وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين (وقال

إني ذاهب إلى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في

المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين إن هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الآخرين سلام على إبراهيم كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين وباركنا عليه وعلى إسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين) يقول تعالى مخبراً عن خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه بعدما نصره الله تعالى على قومه وأيس من إيمانهم بعدما شاهدوا من الآيات العظيمة هاجر من بين أظهرهم وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين يعني أولاداً مطيعين يكونون عوضاً من قومه وعشيرته الذين فارقهم قال الله تعالى فبشرناه بغلام حليم وهذا الغلام هو إسمعيل عليه السلام فإنه أول ولد بشر به إبراهيم عليه السلام وهو أكبر من إسحق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب بل في كتابهم أن إسمعيل عليه السلام ولد ولإبراهيم عليه السلام ست وثمانون سنة وولد إسحق وعمر إبراهيم عليه الصلاة أحل والسلام تسع وتسعون سنة وعندهم أن الله تبارك وتعالى أمر إبراهيم أن يذبح ابنه وحيده وفي نسخة أخرى بكره فأقحموا ههنا كذباً وبهتاناً إسحق ولا يجوز هذا لأنه مخالف لنص كتابهم وإنما أقحموا إسحق لأنه أبوهم وإسمعيل أبو العرب فحسدوهم فزادوا ذلك وحرفوا وحيدك بمعنى الذي ليس عندك غيره فإن إسمعيل كان ذهب به وبأمه إلى مكة وهو تأويل وتحريف باطل فإنه لا يقال وحيد إلا لمن ليس له غيره وأيضاً فإن أول ولد له معزة ما ليس لمن بعده من الأولاد فالأمر بذبحه أبلغ في الابتلاء والاختبار وقد ذهب

الشرطي في الآية أي اجعلوه دائماً قائماً مستمراً محفوظاً مستقراً من غير خلاف فيه ولا اضطراب فمن الخلق من وفى بذلك ومنهم من نكث ومن نكث فإنما ينكث على نفسه واختلفت الشرائع وراء هذا في أحكامه حسبما أراد الله مما اقتضت المصلحة وأوجبت الحكمة وضعه في الأزمنة على الأمم والله أعلم قال قتادة في الآية ألا تعلموا أن الفرقة هلكة وأن الجماعة ثقة وقال علي الجماعة رحمة والفرقة عذاب ثم ذكر سبحانه أن ما شرعه من الدين شق على المشركين فقال (كبر) أي عظم وشق (على المشركين ما تدعوهم إليه) من التوحيد ورفض الأوثان قال قتادة اشتد عليهم شهادة أن لا إله إلا الله وحده وضاق بها إبليس وجنوده فأبى الله إلا أن ينصرها ويعليها ويظهرها ويظفرها على من ناوأها والأولى التعميم لدلالة السياق ولا مانع من تخصيص المشركين بالذكر كما لا يخفى ثم خص أولياءه فقال (الله يجتبي إليه) استئناف وارد لتحقيق الحق وفيه إشعار بأن منهم من يجيب إلى الدعوة والاجتباء الاختيار والمعنى يختار لتوحيده والدخول في دينه افتعال من الجباية وهي الجمع على طريق الاصطفاء واجتباء الله العبد تخصيصه إياه بفيض إلهي ليحصل له أنواع النعم بلا سعي منه (من يشاء) من عباده قال قتادة يخلص لنفسه من يشاء (ويهدي إليه من ينيب) أي يوفق لدينه ويستخلص لعبادته من يرجع إلى طاعته ويقبل إلى عبادته ثم لما ذكر سبحانه ما شرعه لهم من إقامة الدين وعدم التفرق فيه ذكر ما وقع من التفرق والاختلاف فقال (وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم) أي ما تفرقوا إلا عن علم بأن الفرقة ضلالة وتوعد عليها أو العلم بمبعث الرسول أو أسباب العلم من الرسل والكتب وغيرهما فلم يلتفتوا إليها وفعلوا ذلك التفرق قيل المراد قريش وهم الذين تفرقوا من بعد ما جاءهم العلم وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم بغياً منهم عليه وقد كانوا يقولون ما حكاه الله عنهم بقوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير الآية وبقوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقيل المراد أمم الأنبياء المتقدمين وأنهم فيما بينهم اختلفوا لما طال بهم المدى فآمن قوم وكفر قوم وقيل اليهود والنصارى خاصة كما في قوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة (بغياً بينهم) أي بغياً من بعضهم على بعض طلباً للرياسة فليس تفرقهم لقصور في البيان والحجج ولكن للبغي والظلم والاشتغال بالدنيا والجاه والحمية (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهي تأخير العقوبة (إلى

أجل مسمى) وهو يوم القيامة كما في قوله والساعة موعدهم وقيل الى الاجل الذي قضاه الله لعذابهم في الدنيا بالقتل والاسر والذل والقهر (لقضي بينهم) أي لوقع القضاء بينهم بانزال العقوبة بهم معجلة وقيل لقضي بين من آمن منهم ومن كفر بنزول العذاب بالكافرين ونجاة المؤمنين (وان الذين أورثوا الكتاب) أي التوراة والانجيل وهم اليهود والنصارى الذين كانوا في عهده صلى الله عليه وآله وسلم (من بعدهم) أي من بعد من قبلهم من اليهود والنصارى المختلفين في الحق وقال مجاهد معنى من بعدهم من قبل مشركي مكة وهم اليهود والنصارى وقيل المراد كفار المشركين من العرب الذين أورثوا القرآن من بعد ما أورث أهل الكتاب كتابهم وصفهم بأنهم (لفي شك منه) أي من القرآن أو من محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلى كلا الوجهين فالشك هنا ليس على معناه المشهور من اعتدال النقيضين وتساويهما في الذهن بل المراد به ما هو أعم أي مطلق التردد وقال القرطبي لفي شك من الذي أوصى به الانبياء (مريب) موقع في الريبة وهي قلق النفس واضطرابها ولذلك لم يؤمنوا (فلذلك) أي فلاجل ما ذكر من التفرق والشك أو الكتاب أو العلم الذي أوتيته أو فلاجل انه شرع من الدين ما شرع (فادع) الى الله والى توحيده والى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفية القويمة أو الاتباع لما أوتيته وعلى هذا اللام في موضع الى لافادة الصلة والتعليل قال الفراء والزجاج المعنى فالى ذلك فادع كما تقول دعوت الى فلان ولفلان وذلك اشارة الى ما وصى به الانبياء من التوحيد وقيل في الكلام تقديم وتأخير والمعنى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه فلذلك فادع (واستقم) على ما دعوت اليه فسر الراغب الاستقامة بلزوم المنهج المستقيم فلا حاجة الى تأويلها بالدوام على الاستقامة قال قتادة استقم على أمر الله وقال سفيان استقم على القرآن وقال الضحاك استقم على تبليغ الرسالة (كما أمرت) بذلك من جهة الله تعالى (ولا تتبع أهواءهم) الباطلة وتعصباتهم الزائغة في ترك التوحيد ولا تنظر الى خلاف من خالفك في دين الله (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) أي بجميع الكتب التي أنزلها الله على رسله لا كالذين آمنوا ببعض منها وكفروا ببعض وفيه تحقيق للحق وبيان لاتفاق الكتب في أصول الدين وتأليف لقلوب أهل الكتابين وتعريض لهم (وأمرت لأعدل بينكم) في أحكام الله اذا ترافعتم الي ولا أحيف عليكم بزيادة على ما شرعه الله أو بنقصان منه وأبلغ

جماعة من أهل العلم الى أن الذبيح هو اسحق وحكى ذلك عن طائفة من السلف حتى نقل عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أيضا وليس في ذلك كتاب ولا سنة وما أظن ذلك تلقى الا عن أحبار أهل الكتاب وأخذ ذلك مسلما من غير حجة وهذا كتاب الله شاهد ومرشد الى انه اسمعيل فانه ذكر البشارة بغلام حليم وذكر أنه الذبيح ثم قال بعد ذلك وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين ولما بشرت الملائكة ابراهيم باسحق قالوا انا نبشرك بغلام عليم وقال تعالى فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب أي يولد له في حياتهما ولد يسمى يعقوب فيكون من ذريته عقب ونسل وقد قدمنا هنالك انه لا يجوز بعد هذا أن يؤمر بذبحه وهو صغير لان الله تعالى قد وعدهما أنه سيعقب ويكون له نسل فكيف يمكن بعد هذا أن يؤمر بذبحه صغيرا واسمعيل وصف ههنا بالحلم لانه مناسب لهذا المقام وقوله تعالى فلما بلغ معه السعي أي كبر وترعرع وصار يذهب مع أبيه ويمشي معه وقد كان ابراهيم عليه الصلاة والسلام يذهب في كل وقت يتفقد ولده وأم ولده ببلاد فاران وينظر في أمرهما وقد ذكر أنه كان يركب على البراق سريعا الى هناك والله أعلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعطاء الخراساني وزيد بن أسلم وغيرهم فلما بلغ معه السعي يعني شب وارتحل وأطاق ما يفعله أبوه من السعي والعمل فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال عبيد بن عمير رؤيا الانبياء وحي ثم تلا هذه الآية قال يا بني اني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا أبو عبد الملك الكرندي حدثنا سفيان ابن عيينة عن اسرائيل بن يونس عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا الانبياء في المنام وحي ليس هو في شيء من الكتب المستندة من هذا الوجه وانما أعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه وليختبر صبره وجلده وعزمه في صغره على طاعة الله تعالى وطاعة أبيه قال يا أبت افعل ما تؤمر أي امض لما أمرك الله من ذبحي ستجدني ان شاء الله من الصابرين أي سأصبر وأحتسب ذلك عند الله عز وجل وصدق صلوات الله وسلامه عليه فيما وعد ولهذا قال الله تعالى واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا قال الله تعالى فلما أسلما

الحكم ما أمرني الله بتبليغه كما هو واللام لام كي أي أمرت بذلك الذي أمرت به لكي أعدل بينكم وقيل هي زائدة والمعنى أمرت أن أعدل وقيل بمعنى الباء وأن المصدرية مقدرة أي بأن أعدل والاول أولى قال أبو العالية أمرت لأسوي بينكم في الدين فأؤمن بكل كتاب وبكل رسول والظاهر أن الآية عامة في كل شئ والمعنى أمرت لاعدل بينكم في كل شئ (الله ربنا وربكم) أي الهنا والهكم وخالقنا وخالقكم (لنا أعمالنا) أي ثوابها وعقابها خاص بنا (ولكم أعمالكم) أي ثوابها وعقابها خاص بكم فكل يجازى بعمله (لا حجة) أي لا خصومة (بيننا وبينكم) لان الحق قد ظهر ووضح ولم يبق للمحاجة مجال وليس في الآية الا ما يدل على المتاركة في المقاولة والمحاجة لا مطلقا حتى تكون منسوخة وانما عبر عن أباطيلهم بالحجة مجاراة لهم على زعمهم الباطل قال ابن عباس ومجاهد الخطاب لليهود وقيل للكفار على العموم (الله يجمع بيننا) في المحشر لفصل القضاء (واليه المصير) أي المرجع يوم القيامة فيجازي كلا بعمله وهذا منسوخ بآية السيف وقيل ليست بمنسوخة لان البراهين قد ظهرت والحجج قد قامت فلم يبق الا العناد وبعد العناد لا حجة ولا جدال (والذين يحاجون في الله) أي يخاصمون في دين الله (من بعد ما استجيب) أي استجاب الناس (له) أي لدين الله ودخلوا فيه وقيل الضمير راجع الى الله وقيل الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم المعلوم من السياق الدال عليه الفعل والاول أولى قال مجاهد من بعد ما أسلم الناس قال وهؤلاء قوم توهموا ان الجاهلية تعود وقال قتادة هم اليهود والنصارى ومحاجتهم قولهم نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم وكانوا يرون لانفسهم الفضيلة بأنهم أهل كتاب وأنهم أولاد الانبياء وكان المشركون يقولون أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا فنزلت هذه الآية وقال ابن عباس هم أهل الكتاب كانوا يجادلون المسلمين ويصدونهم عن الهدى من بعد ما استجابوا لله وقال هم قوم من أهل الضلالة وكانوا يتربصون بان تأتيهم الجاهلية وعن عكرمة قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح قال المشركون لمن بين أظهرهم من المؤمنين قد دخل الناس في دين الله أفواجا فاخرجوا من بين أظهرنا فنزلت هذه الآية والموصول مبتدأ وخبره الجملة بعده وهي (حجتهم داحضة عند ربهم) أي لا ثبات لها كالشئ الذي يزول عن موضعه يقال دحضت حجته دحوضا بطلت وبابه خضع والادحاض الازلاق ومكان دحض أي زلق ودحضت رجله أي زلقت وبابه

وتله للجبين أي فلما تشهدا وذكرا الله تعالى ابراهيم على الذبح والولد شهادة الموت وقيل اسلما يعني استسلما وانقادا ابراهيم امتثل أمر الله تعالى واسمعيل طاعة لله ولأبيه قاله مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي وابن اسحق وغيرهم ومعنى تله للجبين أي صرعه على وجهه ليذبحه من قفاه ولا يشاهد وجهه عند ذبحه ليكون أهون عليه قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وقتادة وتله للجبين أكبه على وجهه وقال الامام أحمد حدثنا شريح ويونس قالا حدثنا حماد بن سلمة عن أبي عاصم الغنوي عن أبي الطفيل عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما أمر ابراهيم عليه الصلاة والسلام بالمناسك عرض له الشيطان عند السعي فسابقه فسبقه ابراهيم عليه الصلاة والسلام ثم ذهب به جبريل عليه الصلاة والسلام الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات ثم تله للجبين وعلى اسمعيل عليه الصلاة والسلام قميص أبيض فقال له يا أبت انه ليس لي ثوب تكفنني فيه غيره فاخلعه حتى تكفنني فيه فعالجه ليخلعه فنودي من خلفه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا فالتفت ابراهيم فاذا بكبش أبيض أقرن أعين قال ابن عباس لقد رأيتنا نتتبع ذلك الضرب من الكباش وذكر هشام الحديث في المناسك بطوله ثم رواه أحمد بطوله عن يونس عن حماد بن سلمة عن عطاء ابن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره الا أنه قال اسحق فعن ابن عباس رضي الله عنهما في تسمية الذبيح روايتان والاظهر عنه اسمعيل لما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى وقال محمد بن اسحق عن الحسن بن دينار عن قتادة عن حفص بن اياس عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تبارك وتعالى وفديناه بذبح عظيم قال خرج عليه كبش من الجنة قد رعى قبل ذلك أربعين خريفا فأرسل ابراهيم عليه الصلاة والسلام ابنه واتبع الكبش فأخرجه الى الجمرة الاولى فرماه بسبع حصيات ثم أفلته عندها فجاء الى الجمرة الوسطى فأخرجه عندها فرماه بسبع حصيات ثم أفلته فأدركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات فأخرجه عندها ثم أخذه فأتى به المنحر من منى فذبحه فوالذي نفس ابن عباس بيده لقد كان أول الاسلام وان رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة حتى وحش يعني يبس وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن

وبابه قطع وسماها حجة وان كانت شبهة لزعمهم انها حجة (وعليهم غضب) عظيم من الله لمجادلتهم بالباطل (ولهم عذاب شديد) في الآخرة (الله الذي أنزل الكتاب) المراد به الجنس فيشمل جميع الكتب المنزلة على الرسل وقيل المراد به القرآن خاصة (بالحق) متعلق بمحذوف أي متلبسا بالحق وهو الصدق (والميزان) أي العدل كذا قال أكثر المفسرين قالوا وسمي العدل ميزانا لان الميزان آلة الانصاف والتسوية بين الخلق فالميزان متجوز به عنه استعمالا للسبب في المسبب وقيل الميزان ما بين في الكتب المنزلة مما يجب على كل انسان أن يعمل به وقيل هو الجزاء على الطاعة بالثواب وعلى المعصية بالعقاب وقال قتادة الميزان العدل فيما أمر به ونهى عنه وانزال العدل هو الامر والتكليف به وقيل انه الميزان على نفسه أنزله الله من السماء في زمن نوح عليه السلام وعلم العباد الوزن به لئلا يكون بينهم تظالم وتباخس كما في قوله لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وقيل هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم يقضي بينكم بكتاب الله وقال مجاهد هو الذي يوزن به (وما يدريك لعل الساعة قريب) أي أي شئ يجعلك داريا بها عالما بوقتها لعلها شئ قريب أو قريب مجيئها أو ذات قرب أو اتيانها قريب وقال قريب ولم يقل قريبة لان تأنيثها غير حقيقي قال الزجاج المعنى لعل البعث أو لعل مجيء الساعة قريب وقال الكسائي قريب نعت ينعت به المؤنث والمذكر كما في قوله ان رحمة الله قريب من المحسنين وقال الكرخي ولا يقال ان قريب يستوي فيه المؤنث والمذكر لان فعيلا هنا بمعنى فاعل ولا يستوي فيه ما ذكروا الاستفهام انكاري أي لا سبب يوصلك العلم بقربها الا الوحي الذي ينزل عليك قيل ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكر الساعة وعنده قوم من المشركين فقالوا متى تقوم تكذيبا لها فأنزل الله هذه الآية ويدل على هذا قوله (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) استعجال استهزاء منهم بها وتكذيبا بمجيئها افلا يشفقون منها (والذين آمنوا مشفقون منها) أي خائفون وجلون من مجيئها اي فلا يستعجلونها ففي الآية احتباك حيث ذكر الاستعجال أولا وحذف الاشفاق وذكر الاشفاق ثانيا وحذف الاستعجال قال مقاتل لانهم لا يدرون ما يحكم عليهم وقال الزجاج لانهم يعلمون انهم محاسبون ومجزيون (ويعلمون أنها الحق) أي انها آتية لا ريب فيها وكائنة لا محالة ومثل هذا قوله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون ثم بين ضلال

الزهري أخبرنا القاسم قال اجتمع أبو هريرة رضي الله عنه وكعب فجعل أبو هريرة رضي الله عنه يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم وجعل كعب يحدث عن الكتب فقال أبو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي دعوة مستجابة واني قد خبأت دعوتي شفاعتي لامتي يوم القيامة فقال له كعب أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال فداك أبي وأمي أو فداه أبي وأمي أفلا أخبرك عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام انه لما أرى ذبح ابنه اسحق قال الشيطان ان لم أفتن هؤلاء عند هذه لم أفتنهم أبدا فخرج ابراهيم عليه الصلاة والسلام بابنه ليذبحه فذهب الشيطان فدخل على سارة فقال أين ذهب ابراهيم بابنك قالت غدا به لبعض حاجته قال فانه لم يغد به لحاجة انما ذهب به ليذبحه قالت ولم يذبحه قال زعم ان ربه أمره بذلك قالت فقد أحسن أن يطيع ربه فذهب الشيطان في أثرهما فقال للغلام أين يذهب بك أبوك قال لبعض حاجته قال فانه لا يذهب بك لحاجة ولكنه يذهب بك ليذبحك قال ولم يذبحني قال يزعم ان ربه أمره بذلك قال فوالله لئن كان الله تعالى أمره بذلك ليفعلن قال فيئس منه فتركه ولحق بابراهيم عليه الصلاة والسلام فقال اين غدوت بابنك قال لحاجة قال فانك لم تغد به لحاجة قال وانما غدوت به لتذبحه قال ولم أذبحه قال تزعم ان ربك أمرك بذلك قال فوالله لئن كان الله تعالى أمرني بذلك لافعلن قال فتركه ويئس ان يطاع وقد رواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن يونس ابن يزيد عن ابن شهاب قال ان عمرو ابن أبي سفيان بن سعيد بن حارثة الثقفي أخبره ان كعبا قال لابي هريرة فذكره بطوله وقال في آخره واوحى الله تعالى الى اسحق اني أعطيتك دعوة استجيب لك فيها قال اسحق اللهم اني أدعوك ان تستجيب لي ايما عبد لقيك من الاولين والآخرين لا يشرك بك شيأ فأدخله الجنة وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا محمد بن الوزير الدمشقي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن ابيه عن عطاء بن يسار عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى خيرني بين ان يغفر لنصف امتي وبين ان يجيب شفاعتي فاخترت شفاعتي ورجوت ان تكون أعم لامتي ولولا الذي سبقني اليه العبد الصالح لتعجلت فيها دعوتي ان الله تعالى لما فرج عن اسحق كرب الذبح قيل له يا اسحق سل تعط فقال أما والذي نفسي بيده

لا تعلمها قبل رعاتنا شيطان اللهم من مات لا يشرك بك شيئا فاغفر له وادخله الجنة هذا حديث غريب منكر وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف الحديث وأخشى أن يكون في الحديث زيادة مدرجة وهي قوله ان الله تعالى لما فرج عن اسحق الى آخره والله أعلم فهذا ان كان محفوظا فالأشبه ان السياق انما هو عن اسمعيل وانما حرفوه باسحق حسدا منهم كما تقدم والا فالمناسك والذبائح انما محلها بمنى من أرض مكة حيث كان اسمعيل لا اسحق فانه انما كان ببلاد كنعان من أرض الشام وقوله تعالى وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا أي قد حصل

المقصود من رؤياك باضجاعك ولدك للذبح وذكر السدي وغيره انه أمر السكين على رقبته فلم تقطع شيئا بل حال بينها وبينه صفيحة من نحاس ونودي ابراهيم عليه الصلاة والسلام عند ذلك قد صدقت الرؤيا وقوله تعالى انا كذلك نجزي المحسنين أي هكذا نصرف عمن أطاعنا المكاره والشدائد ونجعل لهم من أمرهم فرجا ومخرجا كقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شئ قدرا وقد استدل بهذه الآية والقصة جماعة من علماء الاصول على صحة النسخ قبل التمكن من الفعل خلافا لطائفة من المعتزلة والدلالة من هذه ظاهرة لان الله تعالى شرع لابراهيم عليه الصلاة والسلام ذبح ولده ثم نسخه عنه وصرفه الى الفداء وانما كان المقصود من شرعه أولا اثابة الخليل على الصبر على ذبح ولده وعزمه على ذلك ولهذا قال تعالى ان هذا لهو البلاء المبين أي الاختبار الواضح الجلي حيث أمر بذبح ولده فسارع الى ذلك مستسلما لامر الله تعالى منقادا لطاعته ولهذا قال تعالى وابراهيم الذي وفى وقوله تعالى وفديناه بذبح عظيم قال سفيان الثوري عن جابر الجعفي عن أبي الطفيل عن علي رضي الله عنه وفديناه بذبح عظيم قال بكبش أبيض أعين أقرن قد ربط بسمرة قال أبو الطفيل وجدوه مربوطا بسمرة في ثبير وقال الثوري أيضا عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كبش قد رعى في الجنة أربعين خريفا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يوسف بن يعقوب الصفار حدثنا داود العطار عن ابن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الصخرة التي بمنى بأصل ثبير هي الصخرة التي ذبح عليها

الممارين فيها فقال (ألا ان الذين يمارون في الساعة) أي يخاصمون فيها مخاصمة شك وريبة من المماراة وهي المخاصمة والمجادلة أو من المرية وهي الشك والريبة (لفي ضلال بعيد) عن الحق لانهم لم يتفكروا في الموجبات للايمان بها من الدلائل التي هي مشاهدة لهم منصوبة لاعينهم مفهومة لعقولهم ولو تفكروا لعلموا ان الذي خلقهم ابتداء قادر على الاعادة وقد دل الكتاب والسنة على وقوعها والعقول تشهد على انه لا بد من دار جزاء والبعث أشبه الغائبات بالمحسوسات فمن لم يهتد لتجويزه فهو أبعد عن الاهتداء الى ما وراءه (الله لطيف بعباده) أي كثير اللطف بهم بالغ الرأفة لهم قال مقاتل لطيف بالبر والفاجر حيث لم يقتلهم جوعا بمعاصيهم قال عكرمة بار بهم وقال السدي رفيق بهم وقيل حفي بهم وقال القرطبي لطيف بهم في العرض والمحاسبة وقيل في ايصال المنافع وصرف البلاء وقيل لطف بالغوامض علمه وعظم عن الجرائم حلمه وقيل اللطيف من ينشر المناقب ويستر المثالب أو يعفو عمن يهفو أو يعطي العبد فوق الكفاية ويكلفه الطاعة دون الطاقة وقال الجنيد لطف بأوليائه فعرفوه ولو لطف بأعدائه ما جحدوه وقال جعفر الصادق يلطف بهم في الرزق من وجهين أحدهما انه جعل رزقك من الطيبات الثاني انه لم يدفع اليك مرة واحدة فتبذره وقال الحسين بن الفضل لطيف بهم في القرآن وتفصيله وتفسيره وقيل اللطيف الذي لا يخاف الا عدله ولا يرجى الا فضله وقيل هو الذي يعين على الخدمة ويكثر المدحة وقيل هو الذي لا يعاجل من عصاه ولا يخيب من رجاه وقيل هو الذي لا يرد سائله ولا يؤيس آمله وقيل هو الذي يرحم من لا يرحم نفسه وقيل هو الذي أوقد للعارفين من الكتاب والسنة سراجا وجعل لهم الصراط المستقيم والدين القيم منهاجا وأنزل لهم من سحائب بره ومنه ولطفه وكرمه وإحسانه ماء ثجاجا وقيل غير ذلك وحاصل المعنى انه يجري لطفه على عباده في كل أمورهم ومن جملة ذلك الرزق الذي يعيشون به في الدنيا وهو معنى قوله (يرزق من يشاء) منهم كيف يشاء فيوسع على هذا ويضيق على هذا وفي تفضيل قوم بالمال حكمة ليحتاج البعض الى البعض كما قال ليتخذ بعضهم بعضا سخريا وكان هذا لطفا بالعباد ليمتحن الغني بالفقير والفقير بالغني وقيل ما يشاء من أنواع الرزق فهو وان كان يرزق كل ذي روح لكنه فاوت بين المرزوقين في الرزق قلة وكثرة وحسنا ونوعا لحكمة يعلمها هو (وهو القوي) العظيم القوة الباهر القدرة (العزيز) الذي يغلب كل شئ ولا يغلبه

شئ

ابراهيم فداءا هو اسحق هبط عليه من ثبير كبش أعين أقرن له ثغاء فذبحه وهو الكبش الذي قربه ابن آدم فتقبل منه فكان مخزونا حتى فدي به اسحق وروي أيضا عن سعيد بن جبير انه قال كان الكبش يرتع في الجنة حتى تشقق عنه ثبير وكان عليه عهن أحمر وعن الحسن البصري انه قال اسم كبش ابراهيم عليه الصلاة والسلام جرير وقال ابن جريج قال عبيد بن عمير ذبحه بالمقام وقال مجاهد ذبحه بمنى عند المنحر وقال هشيم عن سيار عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه أفتى الذي جعل عليه نذر ... فأمره بمائة من الابل ثم قال بعد ذلك لو كنت أفتيته بكبش لأجزأه ان يذبح كبشا فان الله تعالى قال في كتابه وفديناه بذبح عظيم والصحيح الذي عليه الأكثرون انه فدي بكبش وقال الثوري عن رجل عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم قال وعل وقال محمد بن اسحق عن عمرو بن عبيد عن الحسن انه كان يقول ما فدي اسمعيل عليه السلام الا بتيس من الاروى أهبط عليه من ثبير قال الامام أحمد حدثنا سفيان حدثني منصور عن خاله مسافع عن صفية بنت شيبة قالت أخبرتني امرأة من بني سليم ولدت عامة أهل دارنا أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عثمان بن طلحة رضي الله عنه وقالت مرة انها سألت عثمان لم دعاك النبي صلى الله عليه وسلم قال قال لي صلى الله عليه وسلم اني كنت رأيت قرني الكبش حين دخلت البيت فنسيت ان آمرك ان تخمرهما فخمرهما فانه لا ينبغي أن يكون في البيت شئ يشغل المصلي قال سفيان لم يزل قرنا الكبش معلقين في البيت حتى احترق البيت فاحترقا وهذا دليل مستقل على انه اسمعيل عليه الصلاة والسلام فان قريشا توارثوا قرني الكبش الذي فدي به ابراهيم عليه الصلاة والسلام خلفا عن سلف وجيلا بعد جيل الى ان بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم والله أعلم * (فصل) * في ذكر الآثار الواردة عن السلف في أن الذبيح من هو ذكر من قال هو اسحق عليه الصلاة والسلام قال حمزة الزيات عن أبي ميسرة رحمه الله قال قال يوسف عليه الصلاة والسلام للملك في وجهه ترغب أن تأكل معي وأنا والله يوسف بن يعقوب نبي الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله وقال الثوري عن أبي سنان عن ابن أبي الهذيل ان يوسف عليه السلام قال للملك كذلك أيضا وقال سفيان الثوري عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال قال موسى

ي (من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه) الحرث في اللغة الكسب يقال هو يحرث لعياله ويحترث أي يكتسب ومنه سمي الرجل حارثا ومعنى أصل الحرث القاء البذر في الارض فأطلق على ثمرات الاعمال وفوائدها بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهها بالغلال الحاصلة من البذر المتضمن لتشبيه الاعمال بالبذور والمعنى من كان يريد بأعماله وكسبه ثواب الآخرة نضاعف الله له الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف وقيل معناه نزد في توفيقه واعانته ونسهل سبل الخير له (ومن كان يريد حرث الدنيا) أي من كان يريد بأعماله وكسبه ثواب الدنيا وهو متاعها ما رزق الله به عباده (نؤته منها) ما قضت به مشيئته وقسم له في قضائه ... لا ما يريده قال قتادة المعنى نؤته ما قسم له كما قال عجلنا له فيها ما نشاء وقال ... ان الله يعطي على نية الآخرة ما شاء من أمر الدنيا ولا يعطي على نية الدنيا الا الدنيا قال القشيري والظاهر ان الآية في الكافر وهو تخصيص بغير مخصص ثم بين سبحانه ان هذا الذي يريد بعمله الدنيا لا نصيب له في الآخرة فقال (وما له في الآخرة من نصيب) لأنه لم يعمل للآخرة فلا نصيب له فيها وقد تقدم تفسير هذه الآية في سورة الاسراء وقال ابن عباس في الآية حرث الآخرة عمل الآخرة قال من يؤثر دنياه على آخرته لم يجعل الله له نصيبا في الآخرة الا النار ولم يزد بذلك من الدنيا شيأ الا رزقا قد فرغ منه وقسم له أخرجه أحمد والحاكم وصححه وابن مردويه وابن حبان عن أبي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال بشر هذه الامة بالسناء والرفعة والنصر والتمكين في الارض ما لم يطلبوا الدنيا بعمل الآخرة فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب وأخرج الحاكم وصححه والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كان يريد حرث الآخرة ... ثم قال يقول الله ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك وان لا تفعل ملأت صدرك شغلا ولم أسد فقرك وعن علي قال الحرث حرثان فحرث الدنيا المال والبنون وحرث الآخرة الباقيات الصالحات ولما بين سبحانه القانون في أمر الدنيا والآخرة أردفه ببيان ما هو الذنب العظيم الموجب للنار فقال (أم لهم شركاء) أم هي المنقطعة وتقدر ببل والهمزة وقيل هي المعادلة لألف الاستفهام وفي الكلام اضمار تقديره أيقبلون ما شرع الله من الدين أم لهم آلهة (شرعوا لهم من الدين) وقيل أم بمعنى بل الى

عليه السلام والسلام أربعة ذرية بأنه إبراهيم وإسحاق ويعقوب ابنه وأدلة قال إن إبراهيم لم يعقب في شيء قط إلا استثنى عليه وقال في جاهلية [illegible] شيخ وشريعة منذ أسود وإن يعقوب كما رده [illegible] بن حسين علي وقال [illegible] عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص قال افتخر رجل عند ابن مسعود رضي الله عنه فقال أنا فلان بن فلان بن الأشياخ الكرام فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ذلك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله وهذا صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه وكذا روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه إسحاق (٢٦٨) وعن أبيه العباس وعلي بن أبي طالب مثل ذلك وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد والشعبي وعبيد بن عمير وأبو ميسرة وزيد بن أسلم وعبد الله بن شقيق والزهري والقاسم بن أبي بزة ومكحول وعثمان بن أبي حاضر والسدي والحسن وقتادة وأبو الهذيل وابن سابط وهذا اختيار ابن جرير وتقدم روايته عن كعب الأحبار أنه إسحاق وهكذا روى ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن الزهري عن أبي سفيان عن العلاء ابن جارية عن أبي هريرة رضي الله عنه عن كعب الأحبار أنه قال هو إسحاق وهذه الأقوال والله أعلم كلها مأخوذة عن كعب الأحبار فإنه لما أسلم في الدولة العمرية جعل يحدث عمر رضي الله عنه عن كتبه قديما فربما استمع له عمر رضي الله عنه فترخص الناس في استماع ما عنده ونقلوا ما عنده عنه غثها وسمينها وليس لهذه الأمة والله أعلم حاجة إلى حرف واحد مما عنده وقد حكى البغوي هذا القول بأنه إسحاق عن عمر وعلي وابن مسعود والعباس رضي الله عنهم ومن التابعين عن كعب الأحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة وعطاء ومقاتل والزهري والسدي قال هو إحدى الروايتين عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد ورد في ذلك حديث لو ثبت لقلنا به على الرأس والعين ولكن لم يصح سنده قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا زيد بن حباب عن الحسن بن دينار عن علي بن زيد بن جدعان عن الحسن عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ذكره قال هو إسحاق ففي إسناده ضعيفان وهما الحسن بن دينار البصري متروك وعلي بن زيد بن جدعان منكر الحديث وقد رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن مسلم بن إبراهيم عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان به مرفوعا ثم قال قد رواه مبارك بن فضالة عن الحسن

للإضلال والهمزة للتوبيخ والتقريع وضمير شرعوا عائد إلى الشركاء وضمير لهم إلى الكفار وقيل العكس والأول أولى (ما لم يأذن به الله) من الشرك والمعاصي والشرائع المضلة وإنكار البعث والعمل للدنيا والآية بعمومها تشمل كل شيء لم يأمر به الله سبحانه أو رسوله ويدخل فيه التقليد لأنه مما لم يأذن به الله لذمه في كتابه في غير موضع ولم يأت به رسوله ولا إمام من أئمة الدين ولا أحد من سلف الأمة وسلفها وقادة أهل العلم من المجتهدين الأربعة ومن كان بعدهم من أهل الحق برك الإيمان واتباع السنة المطهرة وإنما أحدثه من أحدث من الجهال والعوام بعد القرون المشهود لها بالخير فرحم الله امرأ سمع الحق فاتبعه وسمع الباطل فتركه وأدمغه وبالله التوفيق (ولولا كلمة الفصل) وهي تأخير عذابهم حيث قال بل الساعة موعدهم (لقضي بينهم) في الدنيا فعوجلوا بالعقوبة والضمير في بينهم راجع إلى المؤمنين والمشركين أو إلى المشركين وشركائهم (وإن الظالمين) أي المشركين الكافرين والمكذبين (لهم عذاب أليم) مؤلم في الدنيا والآخرة قرأ الجمهور بكسر إن على الاستئناف وقرئ بفتحها عطفا على كلمة الفصل (ترى الظالمين) خطاب لكل من تتأتى منه الرؤية (مشفقين) أي خائفين وجلين (مما كسبوا) من السيئات وذلك الخوف والوجل يوم القيامة (وهو) الضمير راجع إلى ما كسبوا بتقدير مضاف قاله الزجاج أي وجزاء ما كسبوا (واقع بهم) نازل عليهم لا محالة أشفقوا أو لم يشفقوا والجملة حال ولما ذكر الله سبحانه حال الظالمين ذكر حال المؤمنين فقال (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) مبتدأ وخبره (في روضات الجنات) جمع روضة قال أبو حيان اللغة الكثيرة تسكين الواو ولغة هذيل فتحها والروضة الموضع النزه الكثير الخضرة وقد مضى بيان هذا في سورة الروم وروضة الجنة أطيب بساتينها كما أنها في الدنيا أحسن أمكنتها وفيه تنبيه على أن عصاة المسلمين من أهل الجنة لأنه خص الذين آمنوا وعملوا الصالحات بأنهم في روضات الجنات وهي البقاع الشريفة من الجنة والبقاع التي دون تلك الروضات لا بد وأن تكون مخصوصة بمن كان دون الذين آمنوا وعملوا الصالحات (لهم ما يشاؤون عند ربهم) من صنوف النعم وأنواع المستلذات وعند ظرف ليشاؤون أو للاستقرار العامل في لهم والعندية مجاز أو حقيقة (ذلك) أي ما ذكر للمؤمنين (هو الفضل الكبير) أي الذي لا يوصف ولا تهتدي العقول إلى كنه صفته ومعرفة حقيقته لأن الحق إذا قال كبير فمن ذا

عن الاحنف عن العباس رضي الله عنه قوله وهذا اشبه وأصح والله أعلم ذكر الآثار الواردة بانه اسمعيل عليه الصلاة والسلام وهو الصحيح المقطوع به قد تقدمت الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما انه اسحق عليه الصلاة والسلام والله تعالى أعلم وقال سعيد بن جبير وعامر الشعبي ويوسف بن مهران ومجاهد وعطاء وغير واحد عن ابن عباس رضي الله عنهما هو اسمعيل عليه الصلاة والسلام وقال ابن جرير حدثني يونس اخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن قيس عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس انه قال المفدى اسمعيل عليه السلام وزعمت اليهود انه اسحق وكذبت اليهود

وقال اسرائيل عن ثور عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال الذبيح اسمعيل وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد هو اسمعيل عليه السلام وكذا قال يوسف بن مهران وقال الشعبي هو اسمعيل عليه الصلاة والسلام وقد رأيت قرني الكبش في الكعبة وقال محمد بن اسحق عن الحسن بن دينار وعمرو بن عبيد عن الحسن البصري انه كان لا يشك في ذلك ان الذي أمر بذبحه من ابني ابراهيم اسمعيل عليه السلام قال ابن اسحق وسمعت محمد بن كعب القرظي وهو يقول ان الذي أمر الله تعالى ابراهيم بذبحه من ابنيه اسمعيل وانا لنجد ذلك في كتاب الله تعالى وذلك ان الله تعالى حين فرغ من قصة المذبوح من ابني ابراهيم قال تعالى وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين ويقول الله تعالى فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب يقول بابن وابن ابن فلم يكن ليأمره بذبح اسحق وله من الله تعالى الموعود ما وعده وما الذي امره بذبحه الا اسمعيل قال ابن اسحق سمعته يقول ذلك كثيرا وقال ابن اسحق عن بريدة بن سفيان بن فروة الاسلمي عن محمد بن كعب القرظي انه حدثهم انه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو خليفة اذ كان معه بالشام فقال له عمر ان هذا لشيء ما كنت أنظر فيه واني لأراه كما قلت ثم ارسل الى رجل كان عنده بالشام كان يهوديا فاسلم وحسن اسلامه وكان يرى انه من علمائهم فسأله عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عن ذلك قال محمد بن كعب وأنا عند عمر بن عبد العزيز فقال له عمر أي ابني ابراهيم أمر بذبحه فقال اسمعيل والله يا أمير المؤمنين وان يهود لتعلم بذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على ان يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه والفضل الذي ذكره الله تعالى منه لصبره لما أمر به فهم يجحدون ذلك

الذي يقدر قدره (ذلك) أي الفضل الكبير (الذي يبشر الله به عباده) قرئ يبشر مخففا ومثقلا وهما سبعيتان ثم وصف العباد بقوله (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فهؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل بما أمر الله به وترك ما نهى عنه هم المبشرون بتلك البشارة ثم لما ذكر سبحانه ما أخبر به نبيه صلى الله عليه وآله وسلم من هذه الاحكام الشريفة التي اشتمل عليها كتابه أمره بان يخبرهم بأنه لا يطلب منهم بسبب هذا التبليغ ثوابا منهم فقال (قل لا أسألكم عليه أجرا) أي قل يا محمد لا أطلب منكم الآن ولا في مستقبل الزمان على تبليغ الرسالة ببشارة أو نذارة جعلا ولا نفعا وان قل والخطاب اما لقريش وللانصار لانهم أخواله أو لجميع العرب لانهم أقاربه في الجملة (الا المودة) العظيمة الواسعة (في القربى) أي مظروفة فيها بحيث تكون القربى موضعا للمودة وظرفا لها لا يخرج شيء من محبتكم عنها والاستثناء متصل أي الا ان تودوني لقرابتي بينكم أو تودوا أهل قرابتي ويجوز أن يكون منقطعا قال الزجاج الا المودة استثناء ليس من الاول أي الا ان تودوني لقرابتي فتحفظوني والخطاب لقريش وهذا قول عكرمة ومجاهد وأبي مالك والشعبي فيكون المعنى على الانقطاع لا أسألكم أجرا قط ولكن أسألكم المودة في القربى التي بيني وبينكم ارقبوني فيها ولا تعجلوا الي ودعوني والناس وبه قال قتادة ومقاتل والسدي والضحاك وابن زيد وغيرهم وهو الثابت عن ابن عباس كما سيأتي وقال سعيد بن جبير وغيره هم آل محمد وسيأتي ما استدل به القائلون بهذا وقال الحسن وغيره معنى الآية الا التودد الى الله عز وجل والتقرب بطاعته وقال الحسين بن الفضل ورواه ابن جرير عن الضحاك ان هذه الآية منسوخة قال البغوي وهذا قول غير مرضي لان مودة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكف الاذى عنه ومودة أقاربه والتقرب الى الله بالطاعة والعمل الصالح من فرائض الدين أقول في الآية ثلاثة اقوال الاول ان القربى بمعنى القرابة أي الرحم والثاني بمعنى الاقارب والثالث بمعنى القرب والتقرب والزلفى وسيأتي ما يتضح به الصواب ويظهر به معنى الآية عن ابن عباس انه سئل عن قوله الا المودة في القربى قال سعيد بن جبير قربى آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال ابن عباس عجلت ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن بطن من قريش الا كان له فيهم قرابة فقال الا ان تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة وعنه قال قالوا

ذلك ويزعمون انه اسحق لان اسحق ابوهم والله أعلم أيهما كان وكل قد كان طاهرا طيبا مطيعا لله عزوجل وقال عبد الله ابن الامام أحمد بن حنبل رحمه الله سألت أبي عن الذبيح هل هو اسمعيل أو اسحق فقال اسمعيل ذكره في كتاب الرشد وقال ابن أبي حاتم وسمعت أبي يقول الصحيح ان الذبيح اسمعيل عليه الصلاة والسلام قال وروى عن علي وابن عمر وأبي هريرة وأبي الطفيل وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد والشعبي ومحمد بن كعب القرظي وأبي جعفر محمد بن علي وأبي صالح رضي الله عنهم انهم قالوا الذبيح اسمعيل وقال البغوي في تفسيره واليه ذهب عبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب والسدي والحسن البصري

ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد ابن كعب القرظي والكلبي وهو رواية عن ابن عباس وحكاه أيضا عن أبي عمرو بن العلاء وقد روى ابن جرير في ذلك خبرا غريبا فقال حدثني محمد بن عمار الرازي حدثنا اسمعيل بن عبيد بن أبي كريمة حدثنا عمر بن عبد الرحيم الخطابي عن عبيد الله بن محمد العتبي من ولد عتبة بن أبي سفيان عن أبيه حدثني عبد الله بن سعيد عن الصنابحي قال كنا عند معاوية بن أبي سفيان فذكروا الذبيح اسمعيل أو اسحق فقال على الخبير سقطتم كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل فقال يا رسول الله عد علي مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له يا أمير المؤمنين وما الذبيحان فقال ان عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله ان سهل الله له أمرها ليذبحن أحد ولده قال فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخواله وقالوا افد ابنك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل والثاني اسمعيل وهذا حديث غريب جدا وقد رواه الاموي في مغازيه حدثنا بعض أصحابنا أخبرنا اسمعيل بن عبيد بن أبي كريمة حدثنا عمرو بن عبد الرحمن القرشي حدثنا عبيد الله بن محمد العتبي من ولد عتبة بن أبي سفيان حدثنا عبد الله بن سعيد حدثنا الصنابحي قال حضرنا مجلس معاوية رضي الله عنه فتذاكر القوم اسمعيل أو اسحق وذكره كذا كتبته من نسخة مغلوطة وانما عول ابن جرير في اختياره ان الذبيح اسحق على قوله تعالى فبشرناه بغلام حليم فجعل هذه البشارة هي البشارة باسحق في قوله تعالى وبشروه بغلام عليم وأجاب عن البشارة بيعقوب بانه قد كان بلغ معه السعي أي العمل ومن الممكن انه قد كان ولد له أولاد

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا أسألكم عليه أجرا الا ان تودوني في نفسي لقرابتي وتحفظوا القرابة التي بيني وبينكم وعن الشعبي قال أكثر الناس علينا في هذه الآية قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى فكتبنا الى ابن عباس نسأله عن ذلك فقال ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان واسط النسب في قريش ليس بطن من بطونهم الا وله فيه قرابة فقال الله قل لا أسألكم عليه أجرا الا ان تودوني لقرابتي منكم وتحفظوني بها وعن ابن عباس قال كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرابة من جميع قريش فلما كذبوه وأبوا ان يبايعوه قال يا قوم اذا أبيتم ان تبايعوني فاحفظوا قرابتي فيكم ولا يكون غيركم من العرب أولى بحفظي ونصرتي منكم وعنه قال قالت الانصار فعلنا وفعلنا وكأنهم فخروا فقال العباس لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأتاهم في مجالسهم فقال يا معشر الانصار ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله قالوا بلى يا رسول الله قال أفلا تجيبون قالوا ما نقول يا رسول الله قال ألا تقولون ألم يخرجك قومك فآويناك أو لم يكذبوك فصدقناك ألم يخذلوك فنصرناك فما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا اموالنا وما في أيدينا لله ورسوله فنزلت هذه الآية وفي اسناده يزيد بن أبي زياد وهو ضعيف والاولى ان الآية مكية لا مدنية وقد أشرنا فيما سبق ان هذه الآية مدنية وهذا متمسكهم وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الآية تحفظوني في أهل بيتي وتودوهم لي أخرجه الديلمي وأبو نعيم وعنه قال لما نزلت هذه الآية قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وولداهما أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه قال السيوطي بسند ضعيف وعنه قال نزلت هذه الآية بمكة وكان المشركون يؤذون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأنزل الله قل لهم يا محمد لا أسألكم عليه أي على ما أدعوكم اليه أجرا عرضا من الدنيا الا المودة في القربى الا الحفظ في قرابتي فيكم فلما هاجر الى المدينة أحب أن يلحقه باخوته من الانبياء فقال قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ان أجري الا على الله يعني ثوابه وكرامته في الآخرة كما قال نوح وما أسألكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين وكما قال هود وصالح وشعيب لم يستثنوا أجرا كما استثنى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرده عليهم وهي منسوخة وعنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الآية قل لا أسألكم على ما أتيتكم

ما تتمسكون به من البينات والهدى أجراً إلا أن تودوا الله وأن تتقربوا إليه بطاعته هذا حاصل ما روي عن حبر الأمة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في تفسير هذه الآية والمعنى الأول هو الذي صح عنه ورواه عنه الجم الغفير من تلامذته فمن بعدهم ولا ينافيه ما روي عنه من النسخ فلا مانع من أن يكون قد نزل القرآن في مكة بأن يوده كفار قريش لما بينه وبين قريش من القربى ويحفظوه بها ثم ينسخ ذلك ويذهب هذا الاستثناء من أصله كما يدل عليه ما ذكرنا مما يدل على أنه لم يسأل على التبليغ أجراً على الإطلاق ولا يقوى ما روي من حملها على آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم على معارضته ما صح عن ابن عباس من تلك الطرق الكثيرة وقد أغنى الله آل محمد عن هذا بما لهم من الفضائل الجليلة والمزايا الجميلة وقد بينا ذلك عند تفسير قوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت وكما لا يقوى هذا على المعارضة فكذلك لا يقوى ما روي عنه أن المراد بالمودة أن يودوا الله وأن يتقربوا إليه بطاعته ولكنه يشد من عضد هذا أنه تفسير مرفوع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ومن يقترف) أي يكتسب وأصل القرف الكسب يقال فلان يقرف لعياله من باب ضرب أي يكسب والاقتراف الاكتساب مأخوذ من قولهم رجل قرفة إذا كان محتالاً (حسنة) أي طاعة (نزد له فيها) أي في هذه الحسنة أو في الجنة (حسناً) بمضاعفة ثوابها قال مقاتل المعنى من يكتسب حسنة واحدة نزد له فيها حسناً نضاعفها بالواحدة عشراً فصاعداً وقيل المراد بهذه الحسنة هي المودة في القربى والحمل على العموم أولى ويدخل تحته المودة في القربى دخولاً أولياً لذكرها عقب ذكر المودة في القربى وقال ابن عباس إنها المودة في آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال السدي إنها نزلت في أبي بكر ومودته فيهم والظاهر العموم (إن الله غفور شكور) أي كثير المغفرة للمذنبين كثير الشكر للمطيعين قال قتادة غفور للذنوب شكور للحسنات وقال السدي غفور لذنوب آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم شكور للقليل يضاعفه (أم) منقطعة أي بل أ(يقولون افترى) أي اختلق (على الله كذباً) بدعوى النبوة ونسبة القرآن إلى الله تعالى والإنكار للتوبيخ ثم أجاب سبحانه عن قولهم هذا فقال (فإن يشإ الله يختم على قلبك) أي لو افتريت على الله الكذب لشاء عدم صدوره منك وختم على قلبك بحيث لا يخطر ببالك شيء مما كذبت فيه كما تزعمون قال قتادة يختم على قلبك فينسيك القرآن

مع يعقوب أيضاً قال وأما القرنان اللذان كانا معلقين بالكعبة في الحائر فهما قرنا كبش قال وقد تقدم أن من الناس من ذهب إلى أنه ذبيح إسحق هاهنا هذا ما اعتمد عليه في تفسيره وليس ما ذهب إليه بمذهب ولا لازم بل هو بعيد جداً والذي استدل به محمد بن كعب القرظي على أنه إسمعيل أثبت وأصح وأقوى والله أعلم وقوله تعالى وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين لما تقدمت البشارة بالذبيح وهو إسمعيل عطف بذكر البشارة بأخيه إسحق وقد ذكرت في سورتي هود والحجر وقوله تعالى نبياً حال مقدرة أي سيصير منه نبي صالح وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن داود عن عكرمة قال قال ابن عباس رضي الله عنهما الذبيح إسحق قال وقوله تعالى وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين قال بشر بنبوته قال وقوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبياً قال كان هرون أكبر من موسى ولكن أراد وهب له نبوته وحدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت داود يحدث عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين قال إنما بشر به نبياً من الصالحين قال إنما بشر به نبياً حين فداه الله عز وجل من الذبح ولم تكن البشارة بالنبوة عند مولده وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان الثوري عن داود عن عكرمة عن ابن عباس وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين قال بشر به حين ولد وحين نبئ وقال سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة في قوله تعالى وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين قال بعد ما كان من أمره لما جاد لله تعالى بنفسه وقال الله عز وجل وباركنا عليه وعلى إسحق وقوله تعالى وباركنا عليه وعلى إسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين كقوله تعالى قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم (ولقد مننا على موسى وهرون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ونصرناهم فكانوا هم الغالبين وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون إنا كذلك نجزي المحسنين إنهما من عبادنا المؤمنين) يذكر تعالى ما أنعم به على موسى وهرون من النبوة والنجاة بمن آمن معهما من قهر فرعون وقومه وما كان يعتمد في حقهم من الإساءة العظيمة من قتل الأبناء واستحياء النساء واستعمالهم في أخس الأشياء ثم بعد هذا كله

نصرهم عليهم وأقر أعينهم منهم فعلوهم وأخذوا أرضهم وأموالهم وما كانوا جمعوه طول حياتهم ثم أنزل الله عز وجل على موسى
الكتاب العظيم الواضح الجلي المستبين وهو التوراة كما قال تعالى ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وقال جل جلاله ههنا
وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم اي في الأقوال والأفعال وتركنا عليهما في الآخرين أي أبقينا لهما
من بعدهما ذكرا جميلا وثناء حسنا ثم فسره بقوله تعالى سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا

المؤمنين (وان الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم (٢٧٢)

ورب آبائكم الاولين فكذبوه فانهم
لمحضرون الا عباد الله المخلصين
وتركنا عليه في الآخرين سلام على
الياسين انا كذلك نجزي المحسنين
انه من عبادنا المؤمنين) قال قتادة
ومحمد بن اسحق يقال الياس هو
ادريس وقال ابن أبي حاتم حدثنا
ابي حدثنا أبو نعيم حدثنا اسرائيل
عن ابي اسحق عن عبيدة بن ربيعة
عن عبد الله بن مسعود رضي الله
عنه قال الياس هو ادريس وكذا
قال الضحاك وقال وهب بن منبه
هو الياس بن نسي بن فنحاص بن
العيزار بن هرون بن عمران بعثه الله
تعالى في بني اسرائيل بعد حزقيل
عليهما السلام وكانوا قد عبدوا صنما
يقال له بعل فدعاهم الى الله تعالى
ونهاهم عن عبادة ما سواه وكان
قد آمن به ملكهم ثم ارتد واستمروا
على ضلالتهم ولم يؤمن به منهم أحد
فدعا الله عليهم فحبس عنهم القطر
ثلاث سنين ثم سألوه ان يكشف
ذلك عنهم ووعدوه الايمان به ان هم
أصابهم المطر فدعا الله تعالى لهم
فجاءهم الغيث فاستمروا على أخبث
ما كانوا عليه من الكفر فسأل الله
ان يقبضه اليه وكان قد نشأ على يديه اليسع بن أخطوب عليهما الصلاة والسلام فامر الياس ان يذهب الى ... في
مكان كذا وكذا فمهما جاءه فليركبه فجاءته فرس من نار فركب وألبسه الله تعالى النور وكساه الريش وكان يطير مع الملائكة ملكا
انسيا سماويا أرضيا هكذا حكاه وهب عن أهل الكتاب والله أعلم بصحته اذ قال لقومه ألا تتقون أي ألا تخافون الله عز
وجل في عبادتكم غيره أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وقتادة والسدي
بعلا يعني ربا قال عكرمة وقتادة وهي لغة أهل اليمن وفي رواية عن قتادة قال هي لغة ازدشنوءة وقال ابن اسحق أخبرني بعض

فاخبرهم انه لو افترى عليه لفعل به ما اخبرهم به في هذه الآية وقال مجاهد ومقاتل ان يشأ
يربط على قلبك بالصبر على أذاهم حتى لا يدخل قلبك مشقة من قولهم وقيل الخطاب له
والمراد الكفار اي ان يشأ يختم على قلوب الكفار ويعاجلهم بالعقوبة ذكره القشيري وقيل
المعنى لو حدثتك نفسك ان تفتري على الله كذبا لطبع على قلبك فانه لا يجترئ على
الكذب الا من كان مطبوعا على قلبه والاول أولى والمقصود من هذا الكلام المبالغة في
تقرير الاستبعاد (ويمحو الله الباطل) استئناف مقرر لما قبله من نفي الافتراء غير داخل في
جزاء الشرط قال ابن الانباري يختم على قلبك تام وما بعده مستأنف وقال الكسائي فيه
تقديم وتأخير أي والله يمحو الباطل وقال الزجاج ويمحو الله الباطل احتجاج على من
أنكر ما أتى به النبي صلى الله عليه وآله وسلم اي لو كان ما أتى به باطلا لمحاه كما جرت به عادته في
المفترين وسقطت الواو من يمحو في بعض المصاحف كما حكاه الكسائي (ويحق الحق) اي
الاسلام فيثبته (بكلماته) اي بما أنزله من القرآن وقد فعل الله تعالى ذلك فمحا باطلهم
وأعلى كلمة الاسلام (انه عليم بذات الصدور) اي عالم بما في قلوب العباد (وهو الذي
يقبل التوبة عن عباده) المذنبين اي يقبل توبتهم اليه مما عملوا من المعاصي واقترفوا من
السيئات والتوبة الندم على المعصية والقلع عنها والعزم على عدم المعاودة لها وهذه
ثلاثة شروط فيما بينه وبين الله تعالى فاذا حصلت هذه الشروط صحت التوبة وان فقد
احد الثلاثة لم تصح واما فيما يتعلق بحق آدمي فشروطها اربعة هذه الثلاثة والرابع ان يبرأ
من حق صاحبها وقيل يقبل التوبة عن اوليائه وأهل طاعته والاول أولى فان التوبة
مقبولة من جميع العباد مسلمهم وكافرهم اذا كانت صحيحة صادرة عن خلوص نية وعزيمة
صحيحة والاحاديث في ذكر التوبة وحكمها كثيرة في الصحيحين وغيرهما (ويعفو عن
السيئات) على العموم لمن تاب عن سيئة ويعفو لمن يشاء بلا توبة أيضا اذا كان ما دون
الشرك (ويعلم ما تفعلون) من خير وشر فيجازي كلا بما يستحقه قرأ حمزة وغيره تفعلون
بالفوقية على الخطاب وقرئ بالتحتية على الخبر وهما سبعيتان واختار الثانية أبو عبيد وأبو
حاتم لان هذا الفعل وقع بين خبرين (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي يعطيهم
ما طلبوه منه يقال أجاب واستجاب بمعنى وقيل المعنى تقبل عبادة المخلصين وقيل التقدير
يستجيب لهم فحذف اللام كما حذف في قوله واذا كالوهم أي كالوا لهم وقيل ان الموصول

اهل العلم انهم كانوا يعبدون امرأة اسمها بعل وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه هو اسم صنم كان يعبده اهل مدينة يقال
لها بعلبك غربي دمشق وقال الضحاك هو صنم كانوا يعبدونه وقوله تعالى أتدعون بعلا اى أتعبدون صنما وتذرون أحسن
الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الاولين اى هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له قال الله تعالى فكذبوه فانهم لمحضرون اى
للعذاب يوم الحساب الا عباد الله المخلصين اى الموحدين منهم وهذا استثناء منقطع من مثبت وقوله تعالى وتركنا عليه فى الآخرين
اى ثناء جميلا سلام على الياسين كما يقال فى اسمعيل اسمعين وهى لغة بنى اسد وانشد بعض بنى نمير فى ضب صاده
يقول رب السوق لما جينا
هذا ورب البيت اسرائينا
ويقال ميكال وميكائيل وميكائين
وابراهيم وابراهام واسرائيل
واسرائين وطور سيناء وطور سينين
وهو موضع واحد وكل هذا سائغ
وقرأ آخرون سلام على آل ياسين
وهى قراءة ابن مسعود رضى الله
عنه وقال آخرون سلام على آل
ياسين يعنى آل محمد صلى الله عليه
وسلم وقوله تعالى انا كذلك نجزى
المحسنين انه من عبادنا المؤمنين قد
تقدم تفسيره والله أعلم (وان لوطا
لمن المرسلين اذ نجيناه وأهله أجمعين
الا عجوزا فى الغابرين ثم دمرنا
الآخرين وانكم لتمرون عليهم
مصبحين وبالليل أفلا تعقلون)
يخبر تعالى عن عبده ورسوله لوط
عليه السلام انه بعثه الى قومه
فكذبوه فنجاه الله تعالى من بين
أظهرهم هو وأهله الا امرأته فانها
هلكت مع من هلك من قومها فان
الله تعالى اهلكهم بانواع من
العقوبات وجعل محلتهم من
الارض بحيرة منتنة قبيحة المطر
والطعم والريح وجعلها بسبيل
(٣٥ فتح البيان ثانى) مقيم يمر بها المسافرون ليلا ونهارا ولهذا قال تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا
تعقلون اى أفلا تعتبرون بهم كيف دمر الله عليهم وتعلمون ان للكافرين أمثالها (وان يونس لمن المرسلين اذ أبق الى الفلك المشحون
فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا انه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء وهو
سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه الى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فمتعناهم الى حين) قد تقدمت قصة يونس عليه الصلاة
والسلام فى سورة الانبياء وفى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما ينبغى لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى

فى محل رفع اى يجيبون ربهم اذا دعاهم كقوله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم واستظهره
السفاقسى قال المبرد المعنى يستدعى الذين آمنوا الاجابة هكذا حقيقة معنى استفعل فالذين
فى موضع رفع والاول اولى (ويزيدهم) على ما طلبوه (من فضله) او على ما استحقوه من
الثواب تفضلا منه وقيل يشفعهم فى اخوانهم (والكافرون لهم عذاب شديد) هذا
للكافرين مقابل ما ذكره للمؤمنين فيما قبله (ولو بسط الله الرزق لعباده) جميعهم اى لو
وسع الله لهم رزقهم (لبغوا) اى لعصوا وطغوا وبغى بعضهم (فى الارض) وبطروا النعمة وتكبروا
وطلبوا ما ليس لهم طلبه لان الغنى مبطرة مأشرة وكفى بحال قارون وفرعون عبرة وقيل
المعنى لو جعلهم سواء فى الرزق لما انقاد بعضهم لبعض ولتعطلت الصنائع والاول اولى
والظاهر عموم أنواع الرزق وقيل هو المطر خاصة وذكروا فى كون بسط الرزق موجبا
للطغيان وجوها لا نطول بذكرها وأصل البغى طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى كمية او
كيفية وفى القرطبى بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة ودابة بعد دابة ومركبا بعد مركب وملبسا
بعد ملبس (ولكن ينزل) بالتشديد وضده سبعيتان (بقدر ما يشاء) اى ينزل من الرزق
لعباده بتقدير على حسب مشيئته وما تقتضيه حكمته البالغة (انه بعباده) أى باحوالهم
(خبير بصير) بما يصلحهم من توسيع الرزق وتضييقه فيقدر لكل أحد منهم ما يصلحه
ويكفه عن الفساد بالبغى فى الارض ويقدرلهم ما تقتضيه حكمته فيفقر ويغنى ويمنع
ويعطى ويبسط ويقبض ولو أغناهم جميعا لبغوا ولو أفقرهم لهلكوا وما ترى من البسط
على من يبغى ومن البغى بدون البسط فهو قليل ولا شك ان البغى مع الفقر أقل ومع البسط
أكثر وأغلب عن أبى هانئ الخولانى قال سمعت عمرو بن حريث وغيره يقولون انما انزلت
هذه الآية فى أصحاب الصفة ولذلك انهم قالوا لو ان لنا فتمنوا الدنيا قال البيهقى وفى سنده
صحيح وعن على مثله (وهو الذى ينزل) بالتشديد والتخفيف سبعيتان (الغيث) أى المطر
الذى هو أرفع أنواع الرزق وأعمها فائدة وأكثرها منفعة ومصلحة (من بعد ما قنطوا) أى
أيسوا عن ذلك فيعرفون بهذا الانزال للمطر بعد القنوط مقدار رحمته لهم ويشكرون
له ما يجب الشكر عليه والعامة على فتح النون وقرئ بكسرها وهى لغة وعليها قرئ
لا تقنطوا بفتح النون فى المتواتر ولم يقرأ بالكسر فى الماضى الا شاذا وما مصدرية أى من
بعد قنوطهم (وينشر رحمته) أى بركات الغيث ومنافعه فى كل شئ من السهل والجبل

ونسبه الى أمه وفي رواية الى أبيه وقوله تعالى اذ أبق الى الفلك المشحون قال ابن عباس رضي الله عنهما هو الموقر أي المملوء
بالامتعة فساهم أي قارع فكان من المدحضين أي المغلوبين وذلك ان السفينة تلعبت بها الامواج من كل جانب وأشرفوا على
الغرق فساهموا وأعلى من تقع عليه القرعة يلقى في البحر لتخف بهم السفينة فوقعت القرعة على نبي الله يونس عليه الصلاة
والسلام ثلاث مرات وهم يضنون به أن يلقى من بينهم فتجرد من ثيابه ليلقى نفسه وهم يأبون عليه ذلك وأمر الله تعالى حوتا من البحر
الاخضر أن يشق البحار وأن يلتقم يونس عليه السلام فلا يهشم له لحما ولا يكسر له عظما فجاء ذلك الحوت وألقى يونس
عليه السلام نفسه فالتقمه الحوت وذهب به فطاف به البحار كلها ولما استقر يونس في بطن الحوت حسب انه قد مات ثم حرك رأسه ورجليه واطرافه فاذا هو حي فقام فصلى في بطن الحوت وكان من جملة دعائه يارب اتخذت لك مسجدا في موضع لم يبلغه أحد من الناس واختلفوا في مقدار مالبث في بطن الحوت فقيل ثلاثة أيام قاله قتادة وقيل سبعة قاله جعفر الصادق رضي الله عنه وقيل أربعين يوما قاله أبو مالك وقال مجاهد عن الشعبي التقمه ضحى ولفظه عشية والله تعالى أعلم بمقدار ذلك وفي شعر أمية ابن أبي الصلت

وأنت بفضل منك نجيت يونسا
وقد بات في أضعاف حوت لياليا

وقوله تعالى فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون قيل لولا ما تقدم له من العمل في الرخاء قاله الضحاك بن قيس وأبو العالية ووهب بن منبه وقتادة وغير واحد واختاره ابن جرير وقد ورد في الحديث الذي سنورده ان شاء الله تعالى ما يدل
على ذلك ان صح الخبر وفي حديث ابن عباس تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة وقال ابن عباس
رضي الله عنهما وسعيد بن جبير والضحاك وعطاء بن السائب والسدي والحسن وقتادة فلولا انه كان من المسبحين يعني المصلين
وصرح بعضهم بانه كان من المصلين قبل ذلك وقال بعضهم كان من المصلين في جوف الحوت وقيل المراد فلولا انه كان من المسبحين
هو قوله عز وجل فنادى في الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين
قاله سعيد بن جبير وغيره وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبد الله ابن أخي ابن وهب حدثنا عمي حدثنا أبو صخر ان يزيد الرقاشي حدثه

والنبات والحيوان وما يحصل به من الخصب أو رحمته الواسعة المنتظمة لما ذكر انتظاما
أوليا والمراد بالرحمة المطر فذكر المطر باسمين الغيث لانه يغيث من الشدائد والرحمة لانه
رأفة واحسان (وهو الولي) للصالحين من عباده بالاحسان اليهم وجلب المنافع لهم ودفع
الشرور عنهم (الحميد) المستحق للحمد منهم على انعامه خصوصا وعموما ثم ذكر سبحانه
بعض آياته الدالة على كمال قدرته الموجبة لتوحيده وصدق ما وعد به من البعث فقال
(ومن آياته خلق السموات والارض) أي خلقهما على هذه الكيفية العجيبة والصنعة
الغريبة الدالة على وجود صانع حكيم قادر وفيه اشارة الى ما تقرر في الكلام من المسالك
الاربعة في الاستدلال على وجود الصانع تعالى وهي حدوث الجواهر وامكانها وحدوث
الاعراض القائمة بها وامكانها أيضا وفيه اشارة أيضا الى ان خلق السموات والارض من
اضافة الصفة للموصوف أي السموات المخلوقة والارض المخلوقة (وما بث فيهما من دابة)
يجوز عطفه على خلق بتقدير مضاف ويجوز عطفه على السموات وقدمه القاضي على
الاول والدابة اسم لكل ما دب قال الفراء أراد ما بث في الارض دون السماء كقوله يخرج
منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح دون العذب وقال أبو علي الفارسي تقديره وما
بث في أحدهما فحذف المضاف قال مجاهد يدخل في هذا الملائكة والناس وقد قال
تعالى ويخلق ما لا تعلمون قال الكرخي وما جوزه الزمخشري من أن يكون للملائكة
مشي مع الطيران فيوصفون بالدبيب كما يوصف به الاناسي أو يخلق الله تعالى في السموات
حيوانات يمشون فيها مشي الاناسي على الارض بعيد من الافهام لكونه على خلاف
العرف العام ولان الشيء انما يكون آية اذا كان معلوما ظاهرا مكشوفا ومن ثم أهمل
القاضي ذكره (وهو على جمعهم) أي حشرهم يوم القيامة في الضمير تغليب العاقل على
غيره لانه راجع الى الدابة ولولاه لكان يقال على جمعها (اذا) أي في وقت (يشاء قدير)
والظرف متعلق بجمعهم لا بقدير فان المقيد بالمشيئة جمعه تعالى لا قدرته قال أبو البقاء لان
ذلك يؤدي الى ان يصير المعنى وهو على جمعهم قدير اذا يشاء فتتعلق القدرة بالمشيئة وهو
محال قال شهاب الدين والسمين ولا ادري ما وجه كونه محالا على مذهب أهل السنة فان
كان يقول بقول المعتزلة وهو ان القدرة تتعلق بما لم يشأ الله تمشى كلامه ولكنه مذهب
ردىء لا يجوز اعتقاده (وما أصابكم من مصيبة) من المصائب كائنة ما كانت (فبما) أي

انه سمع أنس بن مالك رضى الله عنه ولا أعلم الا ان أنسا يرفع الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يونس النبى عليه الصلاة والسلام حين بدا له ان يدعو بهذه الكلمات وهو فى بطن الحوت فقال اللهم لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فاقبلت الدعوة تحن بالعرش قالت الملائكة يارب هذا صوت ضعيف معروف من بلاد بعيدة غريبة فقال الله تعالى أما تعرفون ذلك قالوا يارب ومن هو قال عز وجل عبدى يونس قالوا عبدك يونس الذى لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مستجابة قالوا يارب أولا ترحم ما كان يصنع فى الرخاء فتنجيه من البلاء قال بلى فأمر الحوت فطرحه بالعراء ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب به زاد ابن أبى حاتم قال أبو صخر حميد ابن زياد فأخبرنى ابن قسيط وأنا أحدثه هذا الحديث انه سمع أبا هريرة رضى الله عنه يقول طرح بالعراء وأنبت الله عز وجل عليه اليقطينة قلنا يا أبا هريرة وما اليقطينة قال شجرة الدباء قال أبو هريرة رضى الله عنه وهيأ الله له أروية وحشية تأكل من خشاش الارض أو قال هشاش الارض قال فتفشج عليه فترويه من لبنها كل عشية وبكرة حتى نبت وقال أمية ابن أبى الصلت فى ذلك بيتا من شعره وهو

فأنبت يقطينا عليه برحمة
من الله لولا الله ألفى ضاحيا

وقد تقدم حديث أبى هريرة رضى الله عنه مسندا مرفوعا فى تفسير سورة الانبياء ولهذا قال تعالى فنبذناه أى ألقيناه بالعراء قال ابن عباس رضى الله عنهما وغيره وهى الارض التى ليس بها نبت ولا بناء قيل على جانب دجلة وقيل بأرض اليمن فالله أعلم وهو سقيم أى ضعيف البدن قال ابن عباس رضى الله عنهما كهيئة الفرخ ليس عليه ريش وقال السدى كهيئة الصبى حين يولد وهو المنفوس وقاله ابن عباس رضى الله عنهما وابن زيد أيضا وأنبتنا عليه شجرة من يقطين قال ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهم ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ووهب بن منبه وهلال بن يساف وعبد الله ابن طاوس والسدى وقتادة والضحاك وعطاء الخراسانى وغير واحد قالوا كلهم اليقطين هو القرع وقال هشيم عن القاسم بن أبى أيوب قال عن سعيد بن جبير وكل شجرة لا ساق لها فهى من اليقطين وفى رواية عنه كل شجرة تهلك من عامها فهى من اليقطين وذكر بعضهم فى القرع فوائد منها سرعة نباته وتظليل ورقه لكبره ونعومته وانه لا يقربها الذباب وجودة تغذية ثمره وانه يؤكل

بسبب ما (كسبت أيديكم) من المعاصى وما هى الشرطية ولذا دخلت الفاء فى جوابها على قراءة الجمهور ولا يجوز حذفها عند سيبويه وجوز الاخفش وبعض البغداديين الحذف كما فى قوله وان أطعتموهم انكم لمشركون وبه قال أبو البقاء وقيل هى الموصولة فيكون الحذف والاثبات جائزين والاول أولى قال الزجاج اثبات الفاء أجود لان الفاء مجازات بجواب الشرط ومن حذف الفاء فعلى ان ما فى معنى الذى والمعنى الذى أصابكم وقع بما كسبت أيديكم وعبر بالايدى لان أكثر الافعال تزاول بها والتعالج وتحصل قال الحسن المصيبة هنا الحدود على المعاصى والاولى الحمل على العموم كما يفيده وقوع النكرة فى سياق النفى ودخول من الاستغراقية عليها قال الضحاك ما تعلم الرجل القرآن ثم نسيه الا بذنب ثم قرأ هذه الآية وقال أى مصيبة أعظم من نسيان القرآن قلت ويلحق بالقرآن نسيان السنة المطهرة وترك العمل بها وايثار الرأى عليها أيضا عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال الا أخبركم بأفضل آية فى كتاب الله حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما أصابكم من مصيبة الآية وسأفسرها لك يا على ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء فى الدنيا فبما كسبت أيديكم والله أكرم من أن يثنى عليكم العقوبة فى الآخرة وما عفا الله عنه فى الدنيا فالله أكرم من أن يعود بعد عفوه أخرجه أحمد وابن راهويه وابن منيع وعبد بن حميد والحكيم الترمذى وأبو يعلى وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه والحاكم قيل المراد بهذه المصائب الاحوال المكروهة نحو الاوجاع والاسقام والقحط والغلاء والغرق والصواعق وغير ذلك من الذنوب والمعاصى وقد تعلق بهذه الآية من يقول بالتناسخ وقال لولم يكن للاطفال حالة كانوا عليها قبل هذه الحالة لما تألموا والحق ان الآية مخصوصة بالمكلفين بالسياق وبسباق (و) هو (يعفو عن كثير) أى من المعاصى التى يفعلها العباد فلا يعاقب عليها أو عن كثير من الناس فلا يعاجلهم بالعقوبة فمعنى الآية انه يكفر عن العبد بما يصيبه من المصائب ويعفو عن كثير من الذنوب وقد ثبت بالادلة الصحيحة ان جميع ما يصاب به الانسان فى الدنيا يؤجر عليه أو يكفر عنه من ذنوبه وقيل هذه الآية مختصة بالكافرين على معنى ان ما يصابون به بسبب ذنوبهم من غير ان يكون ذلك مكفرا عنهم لذنب ولا محصلا لثواب ويترك عقوبتهم عن كثير من ذنوبهم ولا يعاجلهم فى الدنيا بل يمهلهم الى الدار الآخرة والاولى حمل الآية على العموم والعفو

شأ ومقبوحاً فلبثه ونفسه ثم نحاه وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب الدباء ويتتبعه من نواحي الصحفة وقوله تعالى
وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون روى شهر بن حوشب عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال إنما كانت رسالة يونس عليه الصلاة
والسلام بعد ما نبذه الحوت رواه ابن جرير وحدثني الحرث حدثنا أبو هلال عن شهر به وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد أرسل
إليهم قبل أن يلتقمه الحوت قلت ولا مانع أن يكون الذي أرسل إليهم أولاً أمر بالعود إليهم بعد خروجه من الحوت فصدقوه كلهم
وآمنوا به وحكى البغوي أنه أرسل إلى أمة أخرى بعد خروجه من الحوت كانوا مائة ألف أو يزيدون وقوله تعالى

أو يزيدون قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عنه بل يزيدون وكانوا مائة وثلاثين ألفاً وعنه مائة ألف وبضعة وثلاثين ألفاً وعنه مائة ألف وبضعة وأربعين ألفاً والله أعلم وقال سعيد بن جبير يزيدون سبعين ألفاً وقال مكحول كانوا مائة ألف وعشرة آلاف رواه ابن أبي حاتم وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الرحيم البرقي حدثنا عمرو بن أبي سلمة قال سمعت زهيراً يحدث عمن سمع أبا العالية يقول حدثني محمد بن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون قال يزيدون عشرين ألفاً ورواه الترمذي عن علي بن حجر عن الوليد بن مسلم عن زهير عن رجل عن أبي العالية عن أبي بن كعب به وقال غريب ورواه ابن أبي حاتم من حديث زهير به قال ابن جرير وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول في ذلك معناه إلى المائة الألف أو كانوا يزيدون عندكم يقول كذلك كانوا عندكم ولهذا سلك
ابن جرير ههنا ما سلكه عند قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وقوله تعالى إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقوله تعالى فكان قاب قوسين أو أدنى والمراد ليس أنقص من ذلك بل أزيد وقوله
تعالى فآمنوا أي فآمن هؤلاء القوم الذين أرسل إليهم يونس عليه السلام جميعهم فمتعناهم إلى حين أي إلى وقت آجالهم كقوله جل
عظمته فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين

(فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون

تصدق على بأخير العقوبة كما تصدق على بحر الذنب ورفع الخطايا وقال الواحدي
وهذه أرجى آية في كتاب الله لأنه جعل ذنوب المؤمنين صنفين صنف كفره عنهم بالمصائب
وصنف عفا عنه في الدنيا وهو كريم لا يرجع في عفوه فهذه سنة الله مع المؤمنين وأما الكافر
فإنه لا يعجل له في الدنيا عقوبة ذنبه حتى يوافي به يوم القيامة وعن أبي موسى أن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم قال لا يصيب عبداً نكبة فما فوقها أو دونها إلا بذنب وما يعفو الله
عنه أكثر وقرأ وما أصابكم الآية أخرجه الترمذي وعبد بن حميد وعن عمران بن حصين أنه
دخل عليه بعض أصحابه وكان قد ابتلي في جسده فقال إنا لنبتئس لك لما نرى فيك قال
فلا تبتئس لما ترى فإن ما ترى بذنب وما يعفو الله عنه أكثر ثم تلا هذه الآية إلى آخرها
وعن معاوية بن أبي سفيان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من شيء يصيب
المؤمن في جسده يؤذيه إلا كفر الله به عنه من سيئاته أخرجه أحمد وعن البراء قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما اختلج عرق ولا عين إلا بذنب ولا دفع الله عنه
وما يعفو الله عنه أكثر وما يعفو الله أكثر أخرجه ابن مردويه (وما أنتم بمعجزين في الأرض) أي
بفائتين ما قضى عليكم من المصائب فلا تقدرون على الهرب منها في الأرض ولا في السماء لو كنتم فيها بل ما قضاه عليكم من
المصائب واقع عليكم نازل بكم (وما لكم من دون الله من ولي) يواليكم فيمنع عنكم
ما قضاه الله (ولا نصير) ينصركم من عذاب الله في الدنيا ولا في الآخرة ثم ذكر سبحانه آية
أخرى من آياته العظيمة الدالة على توحيده وصدق موعده فقال (ومن آياته الجوار)
بحذف الياء من الجواري السفن الجارية وقرئ بإثبات الياء وبحذفها في اللفظ في كل من الوصل
والوقف قرأت سبعية والسفن واحدتها جارية أي سائرة (في البحر كالأعلام) أي
الجبال جمع علم وهو الجبل قال الخليل كل شيء مرتفع عند العرب فهو علم وقال مجاهد
الأعلام القصور واحدها علم (إن يشأ) قرأ الجمهور بالهمز وقرئ بلا همز (يسكن الريح)
قرأ الجمهور بالإفراد وقرئ بالجمع والمعنى يسكن الريح التي تجري بها السفن (فيظللن) أي
السفن الجواري العامة على فتح اللام التي هي عين الفعل وهو القياس لأن الماضي
بكسرها وقرئ بكسرها وهو شاذ قال الزجاج يقال ظل يظل وظل يظل نحو ضل يضل وضل
قال النحاس وليس كما قال لأن ضل بفتح العين من ضللت بكسرها في الماضي وضل بالكسر
من ضللت بالفتح وكلاهما مقيس يعني أن كلاً منهما له أصل يرجع إليه بخلاف ظل

أصطفى البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون أفلا تذكرون أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون إلا عباد الله المخلصين) يقول تعالى منكرا على هؤلاء المشركين في جعلهم لله تعالى البنات سبحانه ولهم ما يشتهون أي من الذكور أي يودون لأنفسهم الجيد وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم أي يسوؤه ذلك ولا يختار لنفسه إلا البنين يقول عز وجل فكيف نسبوا إلى الله تعالى القسم الذي لا يختارونه لأنفسهم ولهذا قال تعالى فاستفتهم أي سلهم على سبيل الإنكار عليهم ألربك البنات ولهم البنون كقوله عز وجل ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى وقوله تبارك وتعالى أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون أي كيف حكموا على الملائكة أنهم إناث وما شاهدوا خلقهم كقوله جل وعلا وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون أي يسألون عن ذلك يوم القيامة وقوله جلت عظمته ألا إنهم من إفكهم أي من كذبهم ليقولون ولد الله أي صدر منه الولد وإنهم لكاذبون فذكر الله تعالى عنهم في الملائكة ثلاثة أقوال في غاية الكفر والكذب فأولا جعلوهم بنات الله فجعلوا لله ولدا تعالى وتقدس وجعلوا ذلك الولد أنثى ثم عبدوهم من دون الله تعالى وتقدس وكل منها كاف في التخليد في نار جهنم ثم قال تعالى منكرا عليهم أصطفى البنات على البنين أي أي شيء يحمله على أن يختار البنات دون البنين كقوله عز وجل أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا إنكم لتقولون قولا عظيما ولهذا قال تبارك وتعالى ما لكم كيف تحكمون أي ما لكم عقول تتدبرون بها ما تقولونه أفلا تذكرون أم لكم سلطان مبين أي حجة على ما تقولونه فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين أي هاتوا برهانا على ذلك يكون مستندا إلى كتاب منزل من السماء عن الله تعالى أنه اتخذ ما تقولونه فإن ما تقولونه لا يمكن استناده إلى عقل بل لا يجوزه العقل بالكلية وقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال مجاهد قال المشركون الملائكة بنات الله تعالى فقال أبو بكر رضي الله عنه فمن أمهاتهن قالوا بنات سروات الجن وكذا قال قتادة وابن زيد ولهذا قال تبارك وتعالى ولقد علمت الجنة أي الذين نسبوا إليهم ذلك إنهم لمحضرون أي إن الذين قالوا ذلك لمحضرون في العذاب يوم الحساب

ماضيه مكسور العين فقط وظل بمعنى صار لأن المعنى ليس على وقت الظلول وهو النهار فقط أفاده السمين (رواكد) أي سواكن ثوابت وقوفا يقال ركد الماء ركودا سكن وكذلك ركدت الريح وركدت السفينة وكل ثابت في مكان فهو راكد وركد الميزان استوى وركد القوم هدؤوا والمراكد المواضع التي يركد فيها الإنسان وغيره (على ظهره) أي ظهر البحر لا تجري قال ابن عباس يتحركن ولا يجرين في البحر (إن في ذلك) الذي ذكر من أمر السفينة (لآيات) دلالات عظيمة (لكل صبار شكور) أي لكل من كان كثير الصبر على البلوى كثير الشكر على النعماء قيل الإيمان نصفان نصف صبر عن المعاصي ونصف شكر وهو الإتيان بالواجبات وقال قطرب الصبار الشكور الذي إذا أعطى شكر وإذا ابتلي صبر قال عون بن عبد الله كم من منعم عليه غير شاكر وكم من مبتلى غير صابر (أو يوبقهن) أي يهلكهن بالغرق قاله ابن عباس والمراد أهلهن لقوله أو يوبقه أي أهلكه (بما كسبوا) من الذنوب وقيل بما أشركوا والأول أولى فإنه يهلك في البحر المشرك وغير المشرك (ويعف عن كثير) من أهلها بالتجاوز عن ذنوبهم فينجيهم من الغرق قرأ الجمهور ويعف بالجزم عطفا على جواب الشرط قال القشيري وفي هذه القراءة إشكال لأن المعنى إن يشأ يسكن الريح فتبقى تلك السفن رواكد أو يهلكها بذنوب أهلها فلا يحسن عطف ويعف على هذا لأنه يصير المعنى إن يشأ يعف وليس المعنى ذلك بل المعنى الإخبار عن العفو من غير شرط المشيئة فهو إذن عطف على المجزوم من حيث اللفظ لا من حيث المعنى وقد قرأ قوم ويعفو بالرفع وهي جيدة في المعنى قال أبو حيان وما قاله ليس بجيد إذ لم يفهم مدلول التركيب والمعنى إلا أنه تعالى إن يشأ أهلك ناسا وأنجى ناسا على طريق العفو عنهم وقرئ بالنصب بإضمار أن بعد الواو (ويعلم الذين يجادلون في آياتنا) قرأ الجمهور بنصب يعلم قال الزجاج على الصرف قال ومعنى الصرف صرف العطف عن اللفظ إلى العطف على المعنى قال وذلك أنه لما لم يحسن عطف ويعلم مجزوما على ما قبله إذ يكون المعنى إن يشأ يعلم عدل إلى العطف على مصدر الفعل الذي قبله ولا يتأتى ذلك إلا بإضمار أن لتكون مع الفعل في تأويل اسم وكما قال الزجاج قال المبرد وأبو علي الفارسي واعترض على هذا الوجه بأنه لا طائل تحته وقيل النصب على

العطف على تعليل محذوف والتقدير لينتقم منهم ويعلم واعترضه السفاقسي بأنه يترتب على الشرط إهلاك قوم ونجاة قوم فلا يحسن تقديره لينتقم منهم وقرأ نافع وابن عامر برفع يعلم على الاستئناف أي على أنه جملة اسمية أو فعلية وعلى كونها فعلية يكون الموصول فاعلا وعلى كونها اسمية يكون مفعولا والفاعل ضمير مستتر يعود على مبتدأ مقدر أي وهو يعلم الذين وهي قراءة ظاهرة واضحة اللفظ وقرئ بالجزم عطفا على المجزوم قبله على معنى وإن تشأ يجمع بين الإهلاك والنجاة والتحذير ومعنى قوله (ما لهم من محيص) ما لهم من فرار ولا مهرب من العذاب قاله قطرب وقال السدي ما لهم من ملجأ وهو مأخوذ من قولهم حاص به البعير حيصة إذا رمى به ومنه قولهم فلان يحيص عن الحق أي يميل عنه ثم لما ذكر سبحانه دلائل التوحيد ذكر التنفير عن الدنيا فقال (فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا) أي ما أعطيتم أيها الناس من الغنى والسعة في الرزق وأثاث الدنيا فإنما هو متاع قليل تتمتعون بها أياما قليلة تنقضي وتذهب وتزول

إنما الدنيا فناء * ليس للدنيا ثبوت

إنما الدنيا كبيت * نسجته العنكبوت

ثم رغبهم في ثواب الآخرة وما عند الله من النعيم المقيم فقال (وما عند الله) من ثواب الطاعات والجزاء عليها بالجنات هو (خير) من متاع الدنيا (وأبقى) لأنه دائم لا ينقطع ومتاع الدنيا ينقطع بسرعة ثم بين سبحانه لمن هذا فقال (للذين آمنوا) أي صدقوا وعملوا على ما يوجبه الإيمان (وعلى ربهم) لا على غيره (يتوكلون) أي يفوضون إليه أمورهم ويعتمدون عليه في كل شؤونهم قيل نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه حين تصدق بجميع ماله ولامه الناس (والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش) الموصول في محل جر معطوف على الذين آمنوا أو بدل منه أو في محل نصب على إضمار أعني والأول أولى والمراد بالكبائر من الذنوب وقد قدمنا تحقيقها في سورة النساء قرأ الجمهور كبائر بالجمع وقرئ كبير بالإفراد وهو يفيد مفاد كبائر لأن الإضافة للجنس كاللام والرسم الكريم يحتمل القراءتين والفواحش هي من الكبائر ولكنها مع وصف كونها فاحشة كأنها فوقها وذلك كالقتل والزنا ونحو ذلك وقال مقاتل الفواحش موجبات الحدود وقال السدي هي الزنا فعطفها من عطف الخاص على العام والبعض على الكل إذ الكبائر قد لا توجب الحد كالغيبة

لكذبهم في ذلك وافترائهم وقولهم الباطل بلا علم وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال زعم أعداء الله أنه تبارك وتعالى هو وإبليس أخوان تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا حكاه ابن جرير وقوله سبحان الله عما يصفون أي تعالى وتقدس وتنزه عن أن يكون له ولد وعما يصفه به الظالمون الملحدون علوا كبيرا وقوله تعالى إلا عباد الله المخلصين استثناء منقطع وهو من مثبت إلا أن يكون الضمير في قوله تعالى عما يصفون عائدا إلى الناس جميعهم ثم استثنى منهم المخلصين وهم المتبعون للحق المنزل على كل نبي ومرسل وجعل ابن جرير هذا الاستثناء من قوله تعالى إنهم لمحضرون إلا عباد الله المخلصين وفي هذا الذي قاله نظر والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب (فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم وما منا إلا له مقام معلوم وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين فكفروا به فسوف يعلمون) يقول تعالى مخاطبا للمشركين فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم أي إنما ينقاد لمقالتكم وما أنتم عليه من الضلالة والعبادة الباطلة من هو أضل منكم ممن ذرئ للنار لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ولهم أعين لا يبصرون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون فهذا الضرب من الناس هو الذي ينقاد لدين الشرك والكفر والضلالة كما قال تبارك وتعالى إنكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك أي إنما يضل به من هو مأفوك ومبطل ثم قال تبارك وتعالى منزها للملائكة مما نسبوا إليهم من الكفر بهم والكذب عليهم أنهم بنات الله وما منا إلا له مقام معلوم أي له موضع مخصوص في السموات ومقامات العبادة لا يتجاوزه ولا يتعداه وقال ابن عساكر في ترجمة محمد بن خالد بسنده إلى عبد الرحمن بن العلاء بن سعد عن أبيه وكان ممن بايع يوم الفتح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لجلسائه أطت السماء وحق لها أن تئط ليس فيها موضع قدم إلا عليه ملك راكع أو ساجد ثم قرأ صلى الله عليه وسلم وما منا إلا له مقام معلوم وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون وقال الضحاك في تفسيره وما منا إلا له مقام معلوم قال كان مسروق يروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من السماء الدنيا موضع إلا عليه

والنميمة

ملك ساجد أو قائم فذلك قوله تعالى وما منا إلا له مقام معلوم وقال الإمام الأعمش عن أبي إسحق عن مسروق عن ابن مسعود رضي الله عنه قال إن في السموات لسماء ما فيها موضع شبر إلا عليه جبهة ملك أو قدماه ثم قرأ عبد الله رضي الله عنه وما منا إلا له مقام معلوم وكذا قال سعيد بن جبير وقال قتادة كانوا يصلون الرجال والنساء جميعا حتى نزلت وما منا إلا له مقام معلوم فتقدم الرجال وتأخر النساء وإنا لنحن الصافون أي نقف صفوفا في الطاعة كما تقدم عند قوله تبارك وتعالى والصافات صفا قال ابن جرير عن الوليد ابن عبد الله بن أبي مغيث قال كانوا لا يصفون في الصلاة حتى نزلت وإنا لنحن الصافون فصفوا وقال أبو نضرة كان عمر رضي الله عنه إذا أقيمت الصلاة استقبل الناس بوجهه ثم قال أقيموا صفوفكم استقيموا قياما يريد الله تعالى بكم هدى الملائكة ثم يقول وإنا لنحن الصافون تأخر يا فلان تقدم يا فلان ثم يتقدم فيكبر رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وفي صحيح مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الأرض مسجدا وتربتها طهورا الحديث وإنا لنحن المسبحون أي نصطف فنسبح الرب ونمجده ونقدسه وننزهه عن النقائص فنحن عبيد له فقراء إليه خاضعون لديه وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وما منا إلا له مقام معلوم الملائكة وإنا لنحن الصافون الملائكة وإنا لنحن المسبحون الملائكة نسبح الله عز وجل وقال قتادة وإنا لنحن المسبحون يعني المصلون يثبتون بمكانهم من العبادة كما قال تبارك وتعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين وقوله جل وعلا وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين أي قد كانوا يتمنون قبل أن تأتيهم يا محمد لو كان عندهم من يذكرهم بأمر الله وما كان من أمر القرون الأولى ويأتيهم بكتاب الله كما قال جل جلاله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا وقال تعالى أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا

والنميمة (وإذا ما غضبوا هم يغفرون) أي يتجاوزون عن الذنب الذي أغضبهم ويكظمون الغيظ ويحلمون على من ظلمهم وخص الغضب بالغفران لأن استيلاءه على طبع الإنسان وغلبته عليه شديدة فلا يغفره عند سورة الغضب إلا من شرح الله صدره وخصه بمزيد الحلم ولهذا أثنى الله سبحانه عليهم بقوله في آل عمران والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس قال ابن زيد جعل الله المؤمنين صنفين صنفا يعفون عن ظالمهم فبدأ بذكرهم وصنفا ينتصرون من ظالمهم وهم الذين سيأتي ذكرهم (والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة) أي أجابوه إلى ما دعاهم إليه وأقاموا ما أوجبه عليهم من فريضة الصلاة قال ابن زيد هم الأنصار بالمدينة استجابوا إلى الإيمان بالرسول حين أنفذ إليهم اثني عشر نقيبا منهم قبل الهجرة وأقاموا الصلاة لمواقيتها بشروطها وهيآتها قاله القرطبي ونحوه في البيضاوي (وأمرهم شورى بينهم) أي يتشاورون فيما بينهم ولا يعجلون ولا ينفردون بالرأي والشورى مصدر شاورته مثل البشرى والقربى قال الضحاك هو تشاورهم حين سمعوا بظهور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وورد النقباء إليهم حين اجتمع رأيهم في دار أبي أيوب على الإيمان به والنصرة له وقيل المراد تشاورهم في كل أمر يعرض لهم فلا يستأثر بعضهم على بعض برأي قال ابن العربي الشورى ألفة للجماعة ومسبار للعقول وسبب إلى الصواب وما تشاور قوم قط إلا هدوا وقد مدح الله تعالى المشاورة في الأمور بمدح القوم الذين كانوا يمتثلون ذلك وما أحسن ما قاله بشار بن برد

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن * برأي نصيح أو نصيحة حازم

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة * فريش الخوافي قوة للقوادم

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشاور أصحابه في أموره وأمره الله سبحانه بذلك فقال وشاورهم في الأمر وذلك في الآراء كثيرا ولم يكن يشاورهم في الأحكام لأنها منزلة من عند الله على جميع الأقسام من الفرض والندب والمكروه والمباح والحرام فأما الصحابة بعده صلى الله عليه وآله وسلم فكانوا يتشاورون في الأحكام ويستنبطونها من الكتاب والسنة وأول ما تشاور فيه الصحابة الخلافة فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم ينص عليها وتشاوروا في أهل الردة فاستقر رأي أبي بكر على القتال وشاور عمر رضي الله عنه الهرمزان حين وفد عليه مسلما وقد قدمنا في آل عمران كلاما في الشورى (ومما رزقناهم

أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون ولهذا قال تعالى هيهنا فكفروا به فسوف يعلمون وعيداً أكيداً وتهديداً شديداً على كفرهم بربهم عز وجل وتكذيبهم رسوله صلى الله عليه وسلم (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون فتول عنهم حتى حين وأبصرهم فسوف يبصرون أفبعذابنا يستعجلون فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون) يقول تبارك (٢٨٠) وتعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين أي تقدم في الكتاب الأول أن العاقبة للرسل وأتباعهم في الدنيا والآخرة كما قال تعالى كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز وقال عز وجل إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ولهذا قال جل جلاله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون أي في الدنيا والآخرة كما تقدم بيان نصرتهم على قومهم ممن كذبهم وخالفهم كيف أهلك الله الكافرين ونجى عباده المؤمنين وإن جندنا لهم الغالبون أي تكون لهم العاقبة وقوله جل وعلا فتول عنهم حتى حين أي اصبر على أذاهم لك وانتظر إلى وقت مؤجل فإنا سنجعل لك العاقبة والنصرة والظفر ولهذا قال بعضهم غيا ذلك إلى يوم بدر وما بعدها أيضاً في معناها وقوله جلت عظمته وأبصرهم فسوف يبصرون أي انظرهم وارتقب ماذا يحل بهم من العذاب والنكال بمخالفتك وتكذيبك ولهذا قال تعالى على وجه التهديد والوعيد فسوف يبصرون ثم قال عز وجل أفبعذابنا يستعجلون أي هم إنما يستعجلون العذاب لتكذيبهم وكفرهم بك فإن الله تعالى يغضب عليهم بذلك ويعجل لهم العقوبة ومع هذا أيضاً كانوا من كفرهم وعنادهم يستعجلون العذاب والعقوبة قال الله تبارك وتعالى فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين أي فإذا نزل العذاب بمحلتهم فبئس ذلك اليوم يومهم بإهلاكهم ودمارهم وقال السدي فإذا نزل بساحتهم يعني بدارهم فساء صباح المنذرين أي فبئس ما يصبحون أي بئس الصباح صباحهم ولهذا ثبت في الصحيحين من حديث إسمعيل بن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس رضي الله عنه قال صبح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فلما خرجوا بفؤوسهم ومساحيهم ورأوا الجيش

ينفقون) في سبيل الخير ويتصدقون به على المحاويج ثم ذكر سبحانه الطائفة التي تنتصر ممن ظلمها فقال (والذين إذا أصابهم البغي) أي بغي من بغى عليهم بغير الحق (هم ينتصرون) أي ينتقمون ممن ظلمهم من غير تعد ذكر سبحانه هؤلاء المنتصرين في معرض المدح كما ذكر المغفرة عند الغضب في معرض المدح لأن التذلل لمن بغى ليس من صفات من جعل الله له العزة حيث قال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فالانتصار عند البغي فضيلة كما أن العفو عند الغضب فضيلة قال ابن العربي ذكر الله الانتصار في البغي في معرض المدح وذكر العفو عن الجرم في موضع آخر في معرض المدح فاحتمل أن يكون أحدهما رافعاً للآخر أو يكون ذلك راجعاً إلى حالتين إحداهما أن يكون الباغي معلناً بالفجور مؤذياً للصغير والكبير فيكون الانتقام منه أفضل الثانية أن يقع ذلك ممن لم يعرف بالزلة ويسأل المغفرة فالعفو ههنا أفضل وهكذا ذكر الكيا الطبري في أحكامه وقال النخعي كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فيجترئ عليهم السفهاء والفساق لكن هذا الانتصار مشروط بالاقتصار على ما جعله الله له وعدم مجاوزته كما بينه سبحانه عقب هذا بقوله (وجزاء سيئة سيئة مثلها) فبين سبحانه أن العدل في الانتصار هو الاقتصار على المساواة وظاهر هذا العموم وقال مقاتل والشافعي وأبو حنيفة وسفيان إن هذا خاص بالمجروح ينتقم من الجارح بالقصاص دون غيره وقال مجاهد والسدي هو جواب القبيح إذا قال شخص أخزاك الله يقول أخزاك الله من غير أن يعتدي وإذا انتصر فقد استوفى ظلامته وبرئ الأول من حقه وبقي عليه إثم الابتداء والإثم لحق الله تعالى وتسمية الجزاء سيئة إما لكونها تسوء من وقعت عليه أو على طريق المشاكلة لتشابههما في الصورة أخرج النسائي وابن ماجه وابن مردويه عن عائشة قالت دخلت على زينب وعندي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأقبلت علي فسبتني فردعها النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم تنته فقال لي سبيها فسببتها حتى جف ريقها في فمها ووجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتهلل سروراً وأخرج أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي وابن مردويه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المستبان ما قالا من شيء فعلى البادئ حتى يعتدي المظلوم ثم قرأ وجزاء سيئة سيئة مثلها (فمن عفا) الفاء للتفريع أي إذا كان الواجب في الجزاء رعاية المماثلة من غير زيادة وهي عسرة جداً فالأولى العفو والإصلاح إذا كان قابلاً للإصلاح فلا يرد أنه

يخالف

وسمعوا وهم يقولون محمد والله محمد والخميس فقال النبي صلى الله عليه وسلم الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين ورواه البخاري من حديث مالك عن حميد عن أنس رضي الله عنه وقال الإمام أحمد حدثنا روح حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك عن أبي طلحة رضي الله عنه قال لما صبح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وقد أخذوا مساحيهم وغدوا إلى حروثهم وأرضيهم فلما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم نكصوا مدبرين فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين لم يخرجوه من هذا الوجه وهو (٢٨١) صحيح على شرط الشيخين وقوله تعالى وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون تأكيد لما تقدم من الأمر بذلك والله سبحانه وتعالى أعلم (سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين) ينزه تبارك وتعالى نفسه الكريمة ويقدسها ويبرئها عما يقول الظالمون المكذبون المعتدون تعالى وتنزه وتقدس عن قولهم علوا كبيرا ولهذا قال تبارك وتعالى سبحان ربك رب العزة أي ذي العزة التي لا ترام عما يصفون أي عن قول هؤلاء المعتدين المفترين وسلام على المرسلين أي سلام الله عليهم في الدنيا والآخرة لسلامة ما قالوه في ربهم وصحته وحقيته والحمد لله رب العالمين أي له الحمد في الأولى والآخرة في كل حال ولما كان التسبيح يتضمن التنزيه والتبرئة من النقص بدلالة المطابقة ويستلزم إثبات الكمال كما أن الحمد يدل على إثبات صفات الكمال مطابقة ويستلزم التنزيه من النقص قرن بينهما في هذا الموضع وفي مواضع كثيرة من القرآن ولهذا قال تبارك وتعالى سبحان ربك رب العزة عما

يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلمتم علي فسلموا على المرسلين فإنما أنا رسول من المرسلين هكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سعيد عن قتادة رحمه الله كذلك وقد أسنده ابن أبي حاتم رحمه الله فقال حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا أبو بكر الأعين ومحمد بن عبد الرحيم صاعقة قالا حدثنا حسين بن محمد حدثنا شيبان عن قتادة قال حدثنا أنس بن مالك عن أبي طلحة رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلمتم علي فسلموا على المرسلين وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا

تعالى فقوله سبحانه الحلم على العاجز محمود وعلى القادر مذموم والمعنى من عفا عمن ظلمه (وأصلح) بالعفو بينه وبين ظالمه (فأجره على الله) أي يأجره على ذلك لا محالة وأبهم الأجر تعظيما لشأنه وتنبيها على جلالته قال مقاتل فكان العفو من الأعمال الصالحة وقد مضى هذا في سورة آل عمران والمقصود من الآية التحريض على العفو وقد عرفت الموقع بينه وبين الانتصار أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا كان يوم القيامة أمر الله مناديا ينادي ألا ليقم من كان له على الله أجر فلا يقوم إلا من عفا في الدنيا وذلك قوله فمن عفا الآية وأخرج البيهقي عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ينادي مناد من كان له أجر على الله فليدخل الجنة مرتين فيقوم من عفا عن أخيه قال الله تعالى فمن عفا الآية ثم ذكر سبحانه خروج الظالم عن محبته التي هي سبب الفوز والنجاة فقال (إنه لا يحب الظالمين) يعني من بدأ بالظلم قاله مقاتل وقال سعيد بن جبير وقيل لا يحب من يتعدى في الاقتصاص ويجاوز الحد فيه لأن المجاوزة ظلم (ولمن انتصر بعد ظلمه) مصدر مضاف إلى المفعول أي بعد أن ظلمه الظالم واللام هي لام الابتداء وقال الحوفي وابن عطية هي لام القسم وابن جعل الأول أولى ومن هي الشرطية وجوابه (فأولئك ما عليهم من سبيل) بمؤاخذة وعقوبة لأنهم فعلوا ما جاز لهم وقيل من موصولة والأول أولى وفي القرطبي الآية دليل على أن له أن يستوفي ذلك بنفسه وهذا ينقسم ثلاثة أقسام وذكرها في حاشية الجمل لا يطول بنقلها فجعلها كتب الفقه دون التفاسير ولما نفى سبحانه السبيل على من انتصر بعد ظلمه بين من عليه السبيل فقال (إنما السبيل على الذين يظلمون الناس) أي يتعدون عليهم ابتداء كذا قال الأكثر وقال ابن جريج أي ظلمهم بالشرك المخالف لدينهم (ويبغون في الأرض) أي يعملون في النفوس والأموال (بغير الحق) كذا قال الأكثر قيده لأن البغي قد يكون مصحوبا بالحق كالانتصار المقرون بالتعدي فيه وقال مقاتل بغيهم عملهم بالمعاصي وقيل يتكبرون ويتجبرون وقال أبو مالك هو ما يرجوه أهل مكة أن يكون بمكة غير الإسلام دينا (أولئك) أي الذين يظلمون الناس (لهم) بهذا السبب (عذاب أليم) شديد الألم ثم رغب سبحانه في الصبر والعفو فقال (ولمن صبر وغفر) كرره اهتماما بالصبر ورغب فيه والصبر هاهو الإصلاح المتقدم فاعل ذلك أي وعبر عنه بالصبر لأنه من شأن أولي العزم وإشارة إلى أن العفو

نوح حدثنا أبو مروان عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا أراد أن يسلم قال سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ثم يسلم اسناده ضعيف وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمار بن خالد الواسطي حدثنا شابة عن يونس عن أبي اسحق عن الشعبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليقل آخر مجلسه حين يريد أن يقوم سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وروي من وجه آخر متصل (٢٨٢) موقوف على علي رضي الله عنه قال أبو محمد البغوي في تفسيره أخبرنا أبو سعيد أحمد بن ابراهيم الشريحي أخبرنا أبو اسحق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه حدثنا أحمد بن جعفر حدثنا حمدان حدثنا ابراهيم بن سهلويه حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا وكيع عن ثابت بن أبي صفية عن الاصبغ بن نباتة عن علي رضي الله عنه قال من أحب أن يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه في مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وروى الطبراني من طريق عبد الله بن صخر بن أنس عن عبد الله بن زيد بن أرقم عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال دبر كل صلاة سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ثلاث مرات فقد اكتال بالجريب الاوفى من الاجر وقد وردت أحاديث في كفارة المجلس سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا أنت استغفرك وأتوب اليك وقد أفردت لها جزأ على حدة فليكتب ههنا ان شاء الله تعالى آخر تفسير سورة والصافات والله أعلم

المحمود ما نشأ عن التحمل لا عن العجز والمعنى ومن صبر على الاذى وغفر لمن ظلمه لوجه الله ولم ينتصر وهذا فيمن ظلمه مسلم ويحكى ان رجلا سب رجلا في مجلس الحسن رحمه الله فكان المسبوب يكظم ويعرق فيمسح العرق ثم قام فتلا هذه الآية فقال الحسن عقلها والله وفهمها اذا ضيعها الجاهلون وبالجملة العفو مندوب اليه ثم قد ينعكس في بعض الاحوال فيرجع ترك العفو مندوبا اليه كما تقدم وذلك اذا احتيج الى كف زيادة البغي وقطع مادة الاذى (ان ذلك) الصبر والمغفرة منه وحذف الراجع لانه مفهوم كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم (لمن عزم الامور) قال مقاتل أي من الامور التي أمر الله بها وندب اليها أو مما ينبغي ان يوجبه العاقل على نفسه ولا يترخص في تركه قال أبو سعيد القرشي الصبر على المكاره من علامات الانتباه فمن صبر على مكروه يصيبه ولم يجزع أورثه الله تعالى حال الرضا وهو أجل الاحوال ومن جزع من المصيبات وشكا وكله الله تعالى الى نفسه ثم لم تنفعه شكواه وقال الزجاج الصابر يؤتى بصبره ثوابا فالرغبة في الثواب أتم عزما قال ابن زيد ان هذا كله منسوخ بالجهاد وانه خاص بالمشركين وقال قتادة انه عام وهو ظاهر النظم القرآني وقال هنا بلام التوكيد وفي لقمان بدونها لان الصبر على مكروه حدث بظلم كقتل ولد أشد من الصبر على مكروه حدث بلا ظلم كموت ولد كان العزم على الاول آكد منه على الثاني وما هنا من القبيل الاول فكان أنسب بالتوكيد وما في لقمان من القبيل الثاني فكان أنسب بعدمه افاده الكرخي (ومن يضلل الله) اى يخذله (فما له من ولي من بعده) أي فما له من احد يلي هدايته وينصره وظاهر الآية العموم وقيل هي خاصة بمن أعرض عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يعمل بما دعاه اليه من الايمان بالله والعمل بما شرعه الله والمودة في القربى أي فمن أضله الله عن هذه الاشياء فلا يهديه هاد قاله القرطبي والاول أولى (وترى) الخطاب في الموضعين لكل من تتأتى منه الرؤية والرؤية فيهما بصرية والجملة الواقعة بعد كل منهما حالية (الظالمين) أي المشركين المكذبين بالبعث (لما رأوا العذاب) أي حين نظروا النار وقيل نظروا ما أعده الله لهم عند الموت واختير لفظ الماضي للتحقيق (يقولون هل الى مرد من سبيل) أي هل الى الرجعة الى الدنيا من طريق (وتراهم يعرضون عليها) أي على النار (خاشعين من الذل) أي ساكنين متواضعين من أجله (ينظرون) اليها (من طرف خفي) أي ذليل قاله

(تفسير سورة ص وهي مكية)

ابن

*(بسم الله الرحمن الرحيم ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص) اما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أول سورة البقرة بما أغنى عن اعادته ههنا وقوله تعالى والقرآن ذي الذكر أي والقرآن المشتمل على ما فيه ذكر للعباد ونفع لهم في المعاش والمعاد قال الضحاك في قوله تعالى ذي الذكر كقوله تعالى لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أي تذكيركم وكذا قال قتادة واختاره ابن جرير وقال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير واسمعيل بن

أبي خالد وابن عيينة وأبو حصين وأبو صالح والسدي ذي الذكر ذي الشرف أي ذي الشأن والمكانة ولا منافاة بين القولين فإنه كتاب
شريف مشتمل على التذكير والإعذار والإنذار واختلفوا في جواب هذا القسم فقال بعضهم هو قوله تعالى إن كل إلا كذب
الرسل فحق عقاب وقيل قوله تعالى إن ذلك لحق تخاصم أهل النار حكاهما ابن جرير وهذا الثاني فيه بعد كبير وضعفه ابن جرير
وقال قتادة جوابه بل الذين كفروا في عزة وشقاق واختاره ابن جرير ثم حكى ابن جرير عن بعض أهل العربية أنه قال جوابه ص
بمعنى صدق حق والقرآن ذي الذكر وقيل جوابه ما تضمنه سياق السورة بكمالها والله أعلم وقوله
تبارك وتعالى بل الذين كفروا في عزة وشقاق أي إن في هذا القرآن لذكرى لمن يتذكر وعبرة لمن يعتبر وإنما لم ينتفع به الكافرون لأنهم في عزة أي استكبار عنه وحمية وشقاق أي ومخالفة له ومعاندة ومفارقة ثم خوفهم ما أهلك به الأمم المكذبة قبلهم بسبب مخالفتهم للرسل وتكذيبهم الكتب المنزلة من السماء فقال تعالى كم أهلكنا من قبلهم من قرن أي من أمة مكذبة فنادوا أي حين جاءهم العذاب استغاثوا وجأروا إلى الله تعالى وليس ذلك بمجد عنهم شيئا كما قال عز وجل فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون أي يهربون لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون قال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن أبي إسحق عن التميمي قال سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن قول الله تبارك وتعالى فنادوا ولات حين مناص قال ليس بحين نزو ولا فرار وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما ليس بحين مغاث وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن
ابن عباس نادوا النداء حين لا ينفعهم وأنشد * تذكر ليلى لات حين تذكر * وقال محمد بن كعب في قوله تعالى فنادوا ولات حين
مناص يقول نادوا بالتوحيد حين تولت الدنيا عنهم واستناصوا للتوبة حين تولت الدنيا عنهم وقال قتادة لما رأوا العذاب أرادوا التوبة
في غير حين النداء وقال مجاهد فنادوا ولات حين مناص ليس بحين فرار ولا إجابة وقد روي نحو هذا عن عكرمة وسعيد بن جبير وأبي
مالك والضحاك وزيد بن أسلم والحسن وقتادة وعن مالك عن زيد بن أسلم ولات حين مناص ولا نداء في غير حين النداء وهذه الكلمة
وهي لات هي لا التي للنفي زيدت معها التاء كما زيدت في ثم فقالوا ثمت وربت فقالوا ربت وهي مفصولة والوقف عليها ومنهم من

ابن عباس ومن هي لابتداء الغاية أي يبتدئ نظرهم إلى النار ويجوز أن يكون بمعنى
وقال يونس من بمعنى الباء أي ينظرون بطرف ضعيف من الذل والخوف وبه قال
الأخفش والطرف الخفي الذي يخفي نظره كالمصبور ينظر إلى السيف لما لحقهم من الذل
والخوف والوجل قال مجاهد وإنما ينظرون بقلوبهم لأنهم يحشرون عميا وعين القلب
طرف خفي وقال قتادة وسعيد بن جبير والسدي والقرظي ومحمد بن كعب يسارقون
النظر إلى النار من شدة الخوف (وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم
وأهليهم) أي إن الكاملين في الخسران هم هؤلاء الذين جمعوا بين خسران الأنفس
والأهلين فخلدوا في النار (يوم القيامة) إما ظرف لخسروا فالقول في الدنيا أو لقال
فالقول في القيامة ويكون التعبير بالماضي للدلالة على تحقق وقوعه قاله أبو السعود
وأما خسرانهم لأنفسهم فلكونهم صاروا في النار معذبين بها وأما خسرانهم لأهليهم
فلأنهم إن كانوا معهم في النار فلا ينتفعون بهم وإن كانوا في الجنة فقد حيل بينهم وبينهم
وقيل خسران الأهل أنهم لو آمنوا لكان لهم في الجنة أهل من الحور العين (ألا إن الظالمين
في عذاب مقيم) هذا من تمام كلام المؤمنين أو من كلام الله سبحانه أي هم في عذاب دائم
لا ينقطع (وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله) أي لم يكن لهم أعوان يدفعون
عنهم العذاب وأنصار ينصرونهم في ذلك الموطن من دون الله بل هو المتصرف سبحانه
ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن (ومن يضلل الله فما له من سبيل) أي من طريق يسلكها إلى
الهدى أمر سبحانه عباده بالاستجابة وحذرهم فقال (استجيبوا لربكم) أي استجيبوا
دعوته لكم إلى الإيمان به وبكتبه ورسله (من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله) أي
لا يقدر أحد على رده ودفعه على معنى من قبل أن يأتي من الله يوم لا يرد أحد ولا يرده الله
بعد أن حكم به على عباده ووعدهم به والمراد به يوم القيامة أو يوم الموت (ما لكم من ملجإ
يومئذ) تلجؤن إليه (وما لكم من نكير) أي إنكار يعني لا تقدرون أن تنكروا شيئا مما اقترفتموه من الذنوب لأنها
مدونة في صحائف أعمالكم وتشهد بها عليكم جوارحكم وقال مجاهد ما لكم من ناصر ينصركم
وقيل النكير بمعنى المنكر كالأليم بمعنى المؤلم أي لا تجدون يومئذ منكرا لما ينزل بكم من
العذاب حكاه ابن أبي حاتم وقاله الكلبي والأول أولى قال الزجاج معناه أنهم

لا يقدرون أن ينكروا اليوم الذي يوقفون فيها (فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا) أي حفظا تحفظ أعمالهم السابقة عنهم حتى تحاسبهم عليها ولا موكلا بهم رقيبا عليهم تجبرهم على امتثال ما أرسلت به (إن) أي ما (عليك إلا البلاغ) لما أمرت بإبلاغه وليس عليك غير ذلك وهذا منسوخ بآية السيف لأنه قبل الأمر بالجهاد (وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة) أي إذا أعطيناه رخاء وصحة وغنى (فرح بها) بطرا ونعما بها وإن كانت عليه إنما هي بالنسبة إلى سعادة الآخرة كقطرة بالنسبة إلى البحر ليس لها الدوام والثبات والمراد بالإنسان الجنس ولهذا قال (وإن تصبهم سيئة) أي بلاء وشدة ومرض وفقر (بما قدمت أيديهم) من الذنوب وعبر بالأيدي لأن أكثر الأفعال تزاولها (فإن الإنسان كفور) أي كثير الكفر لما أنعم الله به عليه من نعمه غير شاكر له عليها وهذا باعتبار الجنس الإنسان ولم يقل فإنه كفور ليبين أن وضع الظاهر موضع المضمر ليسجل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال إن الإنسان لظلوم كفار والمعنى أنه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها ثم ذكر سبحانه سعة ملكه ونفاذ تصرفه فقال (لله ملك السموات والأرض) أي له التصرف فيهما بما يريد لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع والملك هو الاستيلاء على الشيء والتمكن من التصرف فيه وفي المصباح وملك على الناس أمرهم ملكا من باب ضرب إذا تولى السلطنة فهو ملك والاسم الملك بضم الميم (يخلق ما يشاء) من الخلق (يهب لمن يشاء إناثا) بدل مفصل من مجمل أي لا ذكور معهن [illegible] والصالح وقال ابن عباس يريد لوطا وشعيبا عليهما السلام لم يكن لهما إلا البنات (ويهب لمن يشاء الذكور) أي أولادا ذكورا ليس معهم أنثى كإبراهيم عليه السلام لم يكن له إلا الذكور قاله ابن عباس قيل وتعريف الذكور بالألف واللام للدلالة على شرفهم على الإناث ويمكن أن يقال إن التقديم للإناث قد عارضه ذلك فلا دلالة في الآية على المفاضلة بل هي مسوقة لمعنى آخر وقد دل على شرف الذكور قوله سبحانه الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وغير ذلك من الأدلة الدالة على شرف الذكور على الإناث وقيل تقديم الإناث لكثرتهن بالنسبة إلى الذكور وقيل لتطييب قلوب آبائهن وقيل لغير ذلك مما لا حاجة إلى التطويل بذكره أخرج ابن مردويه وابن عساكر عن واثلة بن الأسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من بركة المرأة ابتكارها بالأنثى لأن الله قال يهب لمن يشاء إناثا الخ (أو يزوجهم

حكى عن المصحف الإمام فيما ذكره ابن جرير أن التاء متصلة بحين ولاتحين مناص والمشهور الأول ثم قرأ الجمهور بنصب حين تقديره وليس الحين حين مناص ومنهم من جوز النصب بها وأنشد

تذكر حب ليلى لات حينا * وأضحى الشيب قد قطع القرينا

ومنهم من جوز الجر بها وأنشد

طلبوا صلحنا ولات أوان * فأجبنا أن ليس حين بقاء

وأنشد بعضهم أيضا

ولات ساعة مندم - بخفض الساعة

وأهل اللغة يقولون النوص التأخر والبوص التقدم ولهذا قال تبارك وتعالى ولات حين مناص أي ليس الحين حين فرار ولا ذهاب والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب) يقول تعالى مخبرا عن المشركين في تعجبهم من بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيرا ونذيرا كما قال عز وجل أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لساحر مبين وقال جل وعلا ههنا وعجبوا أن جاءهم منذر منهم أي بشر مثلهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة إلها واحدا أي أزعم أن المعبود واحد لا إله إلا هو أنكر المشركون ذلك قبحهم الله تعالى وتعجبوا من ترك الشرك بالله فإنهم كانوا قد تلقوا عن آبائهم عبادة الأوثان وأشربته قلوبهم فلما دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى خلع ذلك من قلوبهم وإفراد الإله بالوحدانية أعظموا ذلك وتعجبوا وقالوا أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب وانطلق الملأ منهم وهم سادتهم وقادتهم ورؤساؤهم وكبراؤهم قائلين امشوا أي استمروا على دينكم واصبروا على آلهتكم ولا تستجيبوا لما يدعوكم إليه محمد من التوحيد

ذكرانا وأناثا) اى يقرن بين الاناث والذكور ويجعلهم ازواجا فيهبهما جميعا لبعض خلقه يريد محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فانه كان له من البنين ثلاثة على الصحيح القاسم وعبد الله وابراهيم ومن البنات اربع زينب ورقية وام كلثوم وفاطمة قاله ابن عباس قال مجاهد هو ان تلد المرأة غلاما ثم تلد جارية ثم تلد غلاما ثم تلد جارية وقال محمد بن الحنفية هو ان تلد توأما غلاما وجارية وقال القتيبي التزويج هاهنا هو الجمع بين البنين والبنات تقول العرب زوجت ابلي اذا جمعت بين الصغار والكبار ومعنى الآية أوضح من ان يختلف في مثله فانه سبحانه أخبر انه يهب لبعض خلقه اناثا ويهب لبعض خلقه ذكورا ويجمع لبعض بين الذكور والاناث (ويجعل من يشاء عقيما) لا يولد له ذكر ولا أنثى والعقيم الذى لا يولد له يريد يحيي وعيسى قاله ابن عباس وقال أكثر المفسرين هذا على وجه التمثيل وانما الحكم عام في كل الناس لان المقصود بيان نفاذ قدرة الله تعالى في تكوين الاشياء كيف يشاء فلا معنى للتخصيص يقال رجل عقيم وامرأة عقيم وعقمت المرأة تعقم عقما وأصله القطع ويقال نساء عقم وعقماء وعقام (انه عليم قدير) أى بليغ العلم عظيم القدرة (وما كان لبشر) أى ماصح لفرد من افراد البشر (أن يكلمه الله) بوجه من الوجوه (الا وحيا) بأن يوحى اليه فيلهمه في المنام ويقذف في قلبه ذلك قال مجاهد نفث ينفث في قلبه فيكون الهاما منه كما أوحى الى أم موسى والى ابراهيم في ذبح ولده والوحى الاشارة والرسالة والكتابة وكل ما ألقيته الى غيرك ليعلمه وحى كيف كان قاله ابن فارس وهو مصدر وحى اليه يحى من باب وعى وأوحى اليه بالالف مثله ثم غلب استعمال الوحى فيما يلقى الى الانبياء من عند الله تعالى ولغة القرآن الفاشية أوحى بالالف (أو من وراء حجاب) كما كلم موسى يريد ان كلامه يسمع من حيث لا يرى وهو تمثيل بحال الملك المحتجب الذى يكلم خواصه من وراء حجاب قال ابن عباس في الآية الا ان يبعث ملكا يوحى اليه من عنده أو يلهمه فيقذف في قلبه أو يكلمه من وراء حجاب وقيل المراد به ان السامع محجوب عن الرؤية في الدنيا (أو يرسل رسولا) أى ملكا (فيوحى) ذلك الملك الى الرسول من البشر (باذنه) أى بأمر الله وتيسيره (ما يشاء) ان يوحى اليه قال الزجاج المعنى ان كلام الله للبشر اما أن يكون بالهام يلهمهم او يكلمهم من وراء حجاب كما كلم موسى أو برسالة ملك اليهم وتقدير الكلام ما كان لبشر أن يكلمه الله الا ان يوحى وحيا أو يكلمه من وراء حجاب أو يرسل رسولا ومن

وقوله تعالى ان هذا الشئ يراد قال ابن جرير ان هذا الذى يدعونا اليه محمد صلى الله عليه وسلم من التوحيد لشئ يريد به الشرف عليكم والاستعلاء وان يكون له منكم اتباع ولسنا مجيبيه اليه ذكر سبب نزول هذه الآيات الكريمات قال السدى ان ناسا من قريش اجتمعوا فيهم أبو جهل بن هشام والعاص بن وائل والاسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث في نفر من مشيخة قريش فقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى أبى طالب فلنكلمه فيه فلينصفنا منه فليكف عن شتم آلهتنا وندعه والهه الذى يعبده فانا نخاف ان يموت هذا الشيخ فيكون منا اليه شئ فتعيرنا به العرب يقولون تركوه حتى اذا مات عنه تناولوه فبعثوا رجلا منهم يقال له المطلب فاستأذن لهم على أبى طالب فقال هؤلاء مشيخة قومك وسراتهم يستأذنون عليك قال أدخلهم فلما دخلوا عليه قالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا فانصفنا من ابن أخيك فمره فليكف عن شتم آلهتنا وندعه والهه قال فبعث اليه أبو طالب فلما دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابن أخى هؤلاء مشيخة قومك وسراتهم وقد سألوك ان تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك والهك قال صلى الله عليه وسلم يا عم أفلا أدعوهم الى ما هو خير لهم قال والام تدعوهم قال صلى الله عليه وسلم ادعوهم ان يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب ويملكون بها العجم فقال أبو جهل لعنه الله من بين القوم ما هي وأبيك لنعطينكها وعشر أمثالها قال صلى الله عليه وسلم تقولون لا اله الا الله فنفروا وقالوا سلنا غيرها قال صلى الله عليه وسلم لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدى ما سألتكم غيرها فقاموا من عنده غضابا وقالوا والله لنشتمنك والهك الذى أمرك بهذا وانطلق الملأ منهم ان امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشئ يراد ورواه ابن أبى حاتم وابن جرير وزاد فلما خرجوا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه الى قول لا اله الا الله فأبى وقال بل على دين الاشياخ ونزلت انك لا تهدى من أحببت وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا حدثنا أبو اسامة حدثنا الاعمش حدثنا عباد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما مرض أبو طالب دخل عليه رهط من قريش فيهم أبو جهل فقالوا ان ابن أخيك يشتم آلهتنا ويفعل ويفعل ويقول ويقول فلو بعثت اليه فنهيته فبعث اليه فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فدخل البيت وبينهم وبين أبى طالب قدر مجلس رجل قال فخشى أبو جهل لعنه الله

أن يجلس إلى جنب أبي طالب أن يكون أرق له عليه فوثب فجلس في ذلك المجلس ولم يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا قرب
عمه فجلس عند الباب فقال له أبو طالب أي ابن أخي ما بال قومك يشكونك يزعمون أنك تشتم آلهتهم وتقول وتقول قال وأكثروا
عليه من القول وتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عم إني أريدهم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب وتؤدي
إليهم بها العجم الجزية ففزعوا لكلمته ولقوله فقال القوم كلمة واحدة نعم وأبيك عشرا فقالوا وما هي وقال أبو طالب وأي كلمة هي
يا ابن أخي قال صلى الله عليه وسلم لا إله إلا الله فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم وهم يقولون أجعل الآلهة إلها واحدا

أو يرسل رفعا أي أو هو يرسل على الابتداء واستشهد انتهى وقرأ الجمهور بنصب يرسل
وبنصب فيوحي على تقدير أن وتكون أن وما دخلت عليه معطوفين على وحيا أو وحيا في
محل الحال والتقدير إلا موحيا أو مرسلا ولا يصح عطف أو يرسل على أن يكلمه لأنه
يصير التقدير وما كان لبشر أن يرسل الله رسولا وهو فاسد لفظا ومعنى وقد قيل في
توجيه قراءة الجمهور غير هذا مما لا يخلو عن ضعف وقرئ برفع وكذلك فيوحي بإسكان
الياء على أنه خبر مبتدأ محذوف والتقدير أو هو يرسل [illegible]
(إنه علي حكيم) تعليل لما قبله أي متعال عن صفات النقص حكيم في كل أحكامه قال
المفسرون سبب نزول هذه الآية أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ألا تكلم الله
وتنظر إليه إن كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر إليه (وكذلك) أي كما أوحينا إلى
الأنبياء (أوحينا إليك روحا من أمرنا) المراد به القرآن قال ابن عباس وقيل النبوة
قال مقاتل يعني الوحي بأمرنا ومعنا القرآن لأنه يهتدي به ففيه حياة من موت الكفر
وقيل من تبعيضية لأن الوحي الذي لا ينحصر في القرآن وقيل المراد به الرحمة وقيل جبريل
ثم ذكر سبحانه صفة رسوله قبل أن يوحي إليه فقال (ما كنت تدري ما الكتاب) أي أي
شيء هو لأنه صلى الله عليه وآله وسلم كان أميا لا يقرأ ولا يكتب وذلك أدخل في الإعجاز وأدل
على صحة نبوته ومعنى (ولا الإيمان) أنه كان صلى الله عليه وآله وسلم لا يعرف تفاصيل
الشرائع ومعالمها ولا يهتدي إلى معانيها كالغسل والصوم والزكاة والختان وإيقاع
الطلاق والغسل من الجنابة وتحريم ذوات المحارم بالنسب والصهر [illegible]
الإيمان لأنه رأسها وأساسها وقيل أراد بالإيمان هنا الصلاة قاله جماعة من أهل العلم
منهم إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة واحتج بقوله تعالى وما كان الله ليضيع إيمانكم
يعني الصلاة فسماها إيمانا وذهب جماعة إلى أنه لم يبعث نبيا إلا وكان مؤمنا به
وقالوا معنى الآية ما كنت تدري قبل الوحي كيف تقرأ القرآن ولا كيف تدعو الخلق إلى
الإيمان وقيل كان هذا قبل البلوغ حين كان طفلا وفي المهد قاله الحسين بن الفضل وقيل إنه
على حذف مضاف أي ولا أهل الإيمان وقيل المراد بالإيمان دين الإسلام وقيل الإيمان
هنا عبارة عن الإقرار بكل ما كلف الله به العباد قال الكرماني ويجوز أن يراد بالإيمان
نفس الكتاب وهو القرآن وعطف عليه لاختلاف لفظيهما أي ما كنت تعرف القرآن وما

إن هذا لشيء عجاب قال ونزلت من
هذا الموضع إلى قوله بل لما يذوقوا عذاب
لفظ أبي كريب وهكذا رواه
أحمد والنسائي من حديث محمد بن
عبد الله بن نمير كلاهما عن أبي
أسامة عن الأعمش عن عباد غير
منسوب به نحوه ورواه الترمذي
والنسائي وابن أبي حاتم وابن جرير
أيضا كلهم في تفاسيرهم من حديث
سفيان الثوري عن الأعمش عن
يحيى بن عمارة الكوفي عن سعيد
ابن جبير عن ابن عباس رضي الله
عنهما فذكر نحوه وقال الترمذي
حسن وقولهم ما سمعنا بهذا في الملة
الآخرة أي ما سمعنا بهذا الذي
يدعونا إليه محمد من التوحيد في
الملة الآخرة قال مجاهد وقتادة
وأبو زيد يعنون دين قريش وقال
غيرهم يعنون النصرانية قاله
محمد بن كعب والسدي وقال العوفي
عن ابن عباس رضي الله عنهما
ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة يعني
النصرانية قالوا لو كان هذا القرآن
حقا أخبرتنا به النصارى إن هذا
إلا اختلاق قال مجاهد وقتادة
كذب وقال ابن عباس تخرص

وقولهم أأنزل عليه الذكر من بيننا يعني أنهم يستبعدون تخصيصه بإنزال القرآن عليه من بينهم كلهم فيه
كما قالوا في الآية الأخرى لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قال الله تعالى أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم
معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ولهذا لما قالوا هذا الذي دل على جهلهم وقلة عقلهم في استبعادهم إنزال
القرآن على الرسول من بينهم قال الله تعالى بل لما يذوقوا عذاب أي إنما يقولون هذا لأنهم ما ذاقوا إلى حين قولهم ذلك عذاب
الله تعالى ونقمته سيعلمون غب ما قالوا وما كذبوا به يوم يدعون إلى نار جهنم دعا ثم قال تعالى مبينا أنه المتصرف في ملكه الفعال

لما يشاء الذي يعطي من يشاء ما يشاء ويمنع من يشاء ويذل من يشاء ويهدي من يشاء ويضل من يشاء وينزل الروح من أمره على من يشاء من عباده ويختم على قلب من يشاء فلا يهديه أحد من بعد الله وان العباد لا يملكون شيأ من الامر وليس اليهم من التصرف في الملك ولا مثقال ذرة ولا يملكون من قطمير ولهذا قال تعالى منكرا عليهم أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب أي العزيز الذي لا يرام جنابه الوهاب الذي يعطي ما يريد لمن يريد وهذه الآية الكريمة شبيهة بقوله تعالى أم لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا وقوله تعالى قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لأمسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا وذلك بعد الحكاية عن الكفار انهم أنكروا بعثة الرسول البشري صلى الله عليه وسلم وكما أخبر عز وجل عن قوم صالح عليه السلام حين قالوا أألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر سيعلمون غدا من الكذاب الاشر وقوله تعالى أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما فليرتقوا في الاسباب أي ان كان لهم ذلك فليصعدوا في الاسباب قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم يعني طرق السماء وقال الضحاك رحمه الله تعالى فليصعدوا الى السماء السابعة ثم قال عز وجل جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب أي هؤلاء الجند المكذبون الذين هم في عزة وشقاق سيهزمون ويغلبون ويكبتون كما كبت الذين من قبلهم من الاحزاب المكذبين وهذه الآية كقوله جلت عظمته أم يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر وكان ذلك يوم بدر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر (كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الايكة أولئك الاحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب اصبر على ما يقولون) يقول تعالى مخبرا عن هؤلاء القرون الماضية وما حل بهم من العذاب والنكال والنقمات في مخالفة الرسل وتكذيب الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقد تقدمت قصصهم مبسوطة في أماكن متعددة وقوله تعالى أولئك الاحزاب أي كانوا أكثر منكم وأشد قوة وأكثر أموالا وأولادا

فيه من الاحكام ويدل على هذا التأويل توحيد الضمير في جعلناه وقيل المراد بالايمان الكلمة التي بها دعوة الايمان والتوحيد وهي لا اله الا الله محمد رسول الله والايمان بهذا التفسير انما علمه بالوحي لا بالعقل قاله الكرخي وعن علي قال قيل لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم هل عبدت وثنا قط قال لا قالوا فهل شربت خمرا قط قال لا ومازلت أعرف ان الذي هم عليه كفر وما كنت أدري ما الكتاب ولا الايمان وبذلك نزل القرآن وما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان (ولكن جعلناه نورا) أي جعلنا الروح الذي أوحيناه اليك ضياء ودليلا على التوحيد والايمان (نهدي به) المراد به الهداية الموصلة بدليل قوله (من نشاء) هدايته (من عبادنا) ونرشده الى الدين الحق (وانك لتهدي) أي كل مكلف فالهداية فيه أعم من التي قبلها قرأ الجمهور لتهدي على البناء للفاعل وقرئ على البناء للمفعول وقرئ بضم التاء وكسر الدال من أهدى وفي قراءة أبي وانك لتدعو (الى صراط مستقيم) قال قتادة والسدي ومقاتل وانك لتدعو الى الاسلام فهو الصراط المستقيم ثم بين الصراط المستقيم بقوله (صراط الله) بدل من الاول بدل المعرفة من النكرة وفي هذه الاضافة للصراط الى الاسم الشريف من التعظيم له والتفخيم لشأنه ما لا يخفى (الذي له ما في السموات وما في الارض) ملكا وخلقا وعبيدا والمعنى انه المالك لذلك والمتصرف فيه (ألا الى الله تصير) أي ترجع (الامور) يوم القيامة لا الى غيره أي جميع أمور الخلائق بارتفاع الوسائط والتعلقات وعلى هذا المضارع على ظاهره وقيل المراد بهذا المضارع الديمومة كقولك زيد يعطي ويمنع أي من شأنه ذلك وليس المراد حقيقة المستقبل لان الامور منوطة به تعالى كل وقت وفيه وعيد بالبعث المستلزم للمجازاة ووعد بنعيم الجنات فيثيب المحسن ويعاقب المسيء قال سهيل بن أبي الجعد احترق مصحف ولم يبق منه الا قوله ألا الى الله تصير الامور وغرق مصحف فانمحى كله الا قوله ذلك والله أعلم ذكره القرطبي

(سورة الزخرف وهي تسع وثمانون آية)

قال القرطبي هي مكية بالاجماع وبه قال ابن عباس قال مقاتل الا قوله واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا يعني فانها نزلت بالمدينة

(بسم الله الرحمن الرحيم حم) الكلام في هذا كالكلام الذي قدمناه والله أعلم بمراده

يدفع ذلك عنهم من عذاب الله من شيء لما جاء أمر ربك ولهذا قال عز وجل ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب فجعل علة اهلاكهم هو تكذيبهم بالرسل فليحذر المخاطبون من ذلك أشد الحذر وقوله تعالى وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة مالها من فواق قال مالك عن زيد بن أسلم أي ليس لها مثنوية أي ما ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها أي فقد اقتربت ودنت وأزفت وهذه الصيحة هي نفخة الفزع التي يأمر الله تعالى اسرافيل ان يطولها فلا يبقى أحد من أهل السموات والارض الا فزع الا من استثنى الله عز وجل وقوله جل (٢٨٨) جلاله وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب هذا انكار من الله تعالى على المشركين في دعائهم على أنفسهم بتعجيل العذاب فان القط هو الكتاب وقيل هو الحظ والنصيب قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والضحاك والحسن وغير واحد سألوا تعجيل العذاب زاد قتادة كما قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم وقيل سألوا تعجيل نصيبهم من الجنة ان كانت موجودة ليلقوا ذلك في الدنيا وانما خرج هذا منهم مخرج الاستبعاد والتكذيب وقال ابن جرير تعجيل ما يستحقونه من الخير والشر في الدنيا وهذا الذي قاله جيد وعليه يدور كلام الضحاك واسمعيل ابن أبي خالد والله أعلم ولما كان هذا الكلام منهم على وجه الاستهزاء والاستبعاد قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم آمرا له بالصبر على أذاهم ومبشرا له على صبره بالعاقبة والنصر والظفر (واذكر عبدنا داود ذا الايد انه أواب انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق والطير محشورة كل له أواب وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) يذكر تعالى عن عبده ورسوله داود عليه الصلاة والسلام انه كان ذا أيد والايد القوة في العلم والعمل قال ابن عباس رضي الله عنهما والسدي وابن زيد الايد القوة وقرأ ابن زيد والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون وقال مجاهد الايد القوة في الطاعة وقال قتادة أعطي داود عليه الصلاة والسلام قوة في العبادة وفقها في الاسلام وقد ذكر لنا انه عليه الصلاة والسلام كان يقوم ثلث الليل ويصوم نصف الدهر وهذا ثابت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال أحب الصلاة الى الله تعالى صلاة داود وأحب الصيام الى الله عز وجل صيام داود كان ينام نصف

ه (والكتاب المبين) أقسم بالقرآن الذي أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان ما تحتاج اليه الامة من الشريعة وقيل المبين الواضح للمتدبرين وهو من الايمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه ولعل اقسام الله بالاشياء استشهاده بما فيها من الدلالة على المقسم عليه وجواب القسم (انا جعلناه قرآنا عربيا) وهذا عندهم من البلاغة وهو كون القسم والمقسم عليه من واد واحد ان أريد بالكتاب القرآن وان أريد به جنس الكتب المنزلة لم يكن من ذلك والضمير في جعلناه على الاول يعود على الكتاب وعلى الثاني يعود على القرآن وان لم يصرح بذكره والجعل هنا تصيير ولا يلتفت لخطأ الزمخشري في تجويزه أن يكون بمعنى خلقناه قاله السمين والمعنى سميناه وصيرناه ووصفناه ولذلك تعدى الى مفعولين وقال السدي أي أنزلناه قرآنا وقال مجاهد قلناه وقال سفيان الثوري بيناه وكذا قال الزجاج أي أنزل بلسان العرب لان كل نبي أنزل كتابه بلسان قومه وقال مقاتل لان لسان أهل الجنة عربي (لعلكم تعقلون) أي لكي تفهموه وتتعقلوا معانيه وتحيطوا بما فيه قال ابن زيد لعلكم تتفكرون (وانه) أي وان القرآن (في أم الكتاب لدينا) أي عندنا (لعلي حكيم) أخبر عن منزلته وشرفه وفضله أي ان كذبتم به يا أهل مكة فانه عندنا شريف رفيع القدر محكم النظم في أعلى طبقات البلاغة ودرجات الفصاحة لا يوجد فيه اختلاف ولا تناقض والجملة عطف على الجملة المقسم بها داخلة تحت معنى القسم أو مستأنفة مقررة لما قبلها قال الزجاج أم الكتاب أصل الكتاب وأصل كل شيء أمه والقرآن مثبت عند الله في اللوح المحفوظ كما قال بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ قال ابن جريج المراد بقوله وانه الخ أعمال الخلق من ايمان وكفر وطاعة ومعصية عن ابن عباس قال ان أول ما خلق الله من شيء القلم وأمره أن يكتب ما هو كائن الى يوم القيامة عنده ثم قرأ هذه الآية وأخرج ابن مردويه نحوه عن أنس مرفوعا (أفنضرب عنكم الذكر صفحا) يقال ضربت عنه وأضربت عنه اذا تركته وأمسكت عنه كذا قال الفراء والزجاج وغيرهما وانتصاب صفحا على المصدرية أو على الحال أي صافحين والصفح مصدر قولهم صفحت عنه اذا أعرضت عنه وذلك انك توليه صفحة وجهك وعنقك والمراد بالذكر هنا القرآن والاستفهام للانكار والتوبيخ قال الكسائي المعنى أفنضرب عنكم الذكر طيا فلا تعظون ولا تؤمرون وقال مجاهد وأبو صالح والسدي أفنضرب عنكم العذاب ولا نعاقبكم على

اسرافكم

الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يوما ويفطر يوما ولا يفر اذا لاقى وانه كان أوابا وهو الرجاع الى الله عز وجل في جميع أموره وشؤنه وقوله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق أي انه تعالى سخر الجبال تسبح معه عند اشراق الشمس وآخر النهار كما قال عز وجل يا جبال أوبي معه والطير وكذلك كانت الطير تسبح بتسبيحه وترجع بترجيعه اذا مر به الطير وهو سابح في الهواء فسمعه وهو يترنم بقراءة الزبور لا يستطيع الذهاب بل يقف في الهواء ويسبح معه وتجيبه الجبال الشامخات ترجع معه وتسبح تبعا له قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا محمد بن بشر عن مسعر عن عبد الكريم عن موسى بن أبي كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه بلغه ان أم هانئ رضي الله عنها ذكرت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة صلى الضحى ثمان ركعات فقال ابن عباس رضي الله عنهما قد ظننت ان لهذه الساعة صلاة يقول الله عز وجل يسبحن بالعشي والاشراق ثم رواه من حديث سعيد بن أبي عروبة عن أبي المتوكل عن أيوب بن صفوان عن مولاه عبد الله بن الحرث بن نوفل ان ابن عباس رضي الله عنهما كان لا يصلي الضحى قال فأدخلته على أم هانئ رضي الله عنها فقلت أخبري هذا ما أخبرتني فقالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح في بيتي ثم أمر بماء صب في قصعة ثم أمر بثوب فأخذ بيني وبينه فاغتسل ثم رش ناحية البيت فصلى ثمان ركعات وذلك من الضحى قيامهن وركوعهن وسجودهن وجلوسهن سواء قريب بعضهن من بعض فخرج ابن عباس رضي الله عنهما وهو يقول لقد قرأت ما بين اللوحين ما عرفت صلاة الضحى الا الآن يسبحن بالعشي والاشراق وكنت أقول أين صلاة الاشراق وكان بعد يقول صلاة الاشراق ولهذا قال عز وجل والطير محشورة أي محبوسة في الهواء كل له أواب أي مطيع يسبح تبعا له قال سعيد بن جبير وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد كل له أواب أي مطيع وقوله تعالى وشددنا ملكه أي جعلنا له ملكا كاملا من جميع ما يحتاج اليه الملوك قال ابن أبي نجيح عن مجاهد كان أشد أهل الدنيا سلطانا وقال السدي كان يحرسه كل يوم أربعة آلاف وقال بعض السلف بلغني انه كان يحرسه في كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألفا لا تدور عليهم النوبة الى مثلها من العام القابل وقال غيره اربعون ألفا مشتملون بالسلاح وقد ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم من رواية علباء بن أحمر عن

اسرافكم وكفركم وقال قتادة المعنى أفنهلككم ولا نأمركم ولا ننهاكم وروى عنه انه قال المعنى أفنمسك عن انزال القرآن من قبل انكم لا تؤمنون به وقيل الذكر التذكير كأنه قال انترك تذكيركم (ان كنتم قوما مسرفين) قرئ ان بالكسر على انها الشرطية والجزاء محذوف لدلالة ما قبله عليه وبفتحها على التعليل أي لان كنتم قوما منهمكين في الاسراف مصرين عليه مفرطين في الجهالة وبها وزين الحد في الضلالة قال ابن عباس في الآية أحسبتم أن نصفح عنكم ولم تفعلوا ما أمرتم به ثم سلى سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فقال (وكم أرسلنا من نبي في الاولين) كم هي الخبرية التي معناها التكثير والمعنى ما أكثر ما أرسلنا من الانبياء في الامم السابقة (وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن) كاستهزاء قومك بك (فأهلكنا) قوما (أشد منهم) أي من هؤلاء القوم (بطشا) أي قوة تمييز أو حال أي باطشين والاول أحسن والبطش شدة الاخذ (ومضى مثل الاولين) أي سلف في القرآن في غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التي حقها ان تسير مسير المثل لشهرتها وقال قتادة عقوبتهم وقيل صفتهم في الاهلاك والمثل الوصف والخبر وفي هذا وعد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتهديد شديد لهم لانه يتضمن ان الاولين أهلكوا بتكذيب الرسل وهؤلاء ان استمروا على تكذيبك والكفر بما جئت به هلكوا مثلهم (ولئن) لام قسم (سألتهم) أي هؤلاء الكفار من قومك (من خلق السموات والارض) أي هذه الاجرام العلوية والسفلية (ليقولن خلقهن العزيز العليم) جواب القسم لا جواب الشرط وهذا على القاعدة في اجتماع الشرط والقسم من حذف جواب المتأخر منهما وحذف منه نون الرفع لتوالي النونات وواو الضمير لالتقاء الساكنين وكرر الفعل للتوكيد اذ لو جاء العزيز بغير خلقهن لكان كافيا والمعنى أقروا بأن الله خالقهن ولم يشكروا ذلك وهذا أسوأ لحالهم وأشد لعقوبتهم لانهم عبدوا بعض مخلوقات الله وجعلوه شريكا له بل عمدوا الى ما لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر من المخلوقات وهي الاصنام فجعلوها شركاء لله ثم وصف سبحانه نفسه بما يدل على عظيم نعمته على عباده وكمال قدرته في مخلوقاته فقال (الذي جعل لكم الارض مهدا) أي فراشا كالمهد للصبي ولو شاء لجعلها متزلزلة لا يثبت فيها شئ كما ترون من بعض الجبال ولو شاء لجعلها متحركة فلا يمكن

عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلين من بني اسرائيل استعدى أحدهما على الآخر الى داود عليه الصلاة والسلام انه اغتصبه بقرا فأنكر الآخر ولم يكن للمدعي بينة فأرجأ أمرهما فلما كان الليل أمر داود عليه الصلاة والسلام في المنام بقتل المدعي فلما كان النهار طلبهما وأمر بقتل المدعي فقال يا نبي الله علام تقتلني وقد اغتصبني هذا بقري فقال له ان الله تعالى أمرني بقتلك فأنا قاتلك لا محالة فقال والله يا نبي الله ان الله لم يأمرك بقتلي لأجل هذا الذي ادعيت عليه واني لصادق فيما ادعيت ولكني كنت قد اغتلت اباه وقتلته ولم يشعر بذلك أحد فأمر به داود عليه السلام فقتل قال ابن عباس رضي الله عنهما فاشتدت هيبته في بني اسرائيل وهو الذي يقول الله عز وجل وشددنا ملكه وقوله جل وعلا وآتيناه الحكمة قال مجاهد يعني الفهم والعقل والفطنة وقال مرة الحكمة العدل وقال مرة الصواب وقال قتادة كتاب الله واتباع ما فيه وقال السدي الحكمة النبوة وقوله جل جلاله وفصل الخطاب قال شريح القاضي والشعبي فصل الخطاب الشهود والأيمان وقال قتادة شاهدان على المدعي أو يمين المدعى عليه هو فصل الخطاب الذي فصل به الانبياء والرسل أو قال المؤمنون والصالحون وهو قضاء هذه الامة الى يوم القيامة وكذا قال أبو عبد الرحمن السلمي وقال مجاهد والسدي هو اصابة القضاء وفهم ذلك وقال مجاهد ايضا هو الفصل في الكلام وفي الحكم وهذا يشمل هذا كله وهو المراد واختاره ابن جرير وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمر بن شبة النميري حدثنا ابراهيم بن المنذر حدثني عبد العزيز بن أبي ثابت عن عبد الرحمن ابن أبي الزناد عن أبيه عن بلال بن أبي بردة عن أبيه عن أبي موسى رضي الله عنه قال أول من قال أما بعد داود عليه السلام وهو فصل الخطاب وكذا قال الشعبي فصل الخطاب أما بعد (وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب)

الاستمتاع بها في الزراعة والابنية فالانتفاع بها انما حصل لكونها منبسطة قارة ساكنة وقد تقدم بيانه قرأ الجمهور مهادا وقرأ الكوفيون مهدا وهذا كلام مبتدأ غير متصل بما قبله ولو كان متصلا بما قبله من جملة مقول الكفار لقالوا الذي جعل لنا الارض مهادا (وجعل لكم فيها سبلا) أي طرقا تسلكونها الى حيث تريدون ولو شاء لجعلها بحيث لا يسلك في مكان منها كما جعل بعض الجبال كذلك وقيل معايش تعيشون بها (لعلكم تهتدون) بسلوكها الى مقاصدكم ومنافعكم في اسفاركم (والذي نزل من السماء ماء بقدر) أي بقدر الحاجة وحسبما تقتضيه المصلحة ولم ينزل عليكم منه فوق حاجتكم حتى يهلك زرائعكم ويهدم منازلكم ويهلككم بالغرق ولا دونها حتى تحتاجوا الى الزيادة وعلى حسب ما تقتضيه مشيئته في أرزاق عباده بالتوسيع تارة والتقتير اخرى (فأنشرنا به بلدة ميتا) أي أحيينا بذلك الماء بلدة مقفرة من النبات ونشرنا به النبات قرأ الجمهور ميتا بالتخفيف وقرئ بالتشديد (كذلك) أي مثل ذلك الاحياء للارض باخراج نباتها بعد أن كانت لا نبات بها (تخرجون) أي تبعثون من قبوركم أحياء فان من قدر على هذا قدر على ذلك وقد مضى بيان هذا في آل عمران والاعراف قرأ الجمهور تخرجون مبنيا للمفعول وقرئ مبنيا للفاعل (والذي خلق الازواج كلها) أي الضروب والانواع كالحلو والحامض والابيض والاسود قال سعيد بن جبير الاصناف كلها وقال الحسن الأزواج الشتاء والصيف والليل والنهار والسموات والارض والجنة والنار وقيل أزواج الحيوان من ذكر وأنثى وقيل أزواج النبات كقوله وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ومن كل زوج كريم وقيل ما يتقلب فيه الانسان من خير وشر وايمان وكفر ونفع وضر وفقر وغنى وصحة وسقم وهذا القول يعم الاقوال ويجمعها بعمومه وقيل الاول أولى قال بعض المحققين كل ما سوى الله فهو زوج كالفوق والتحت والربيع والخريف واليمين واليسار والقدام والخلف والماضي والمستقبل والذوات والصفات وكونها أزواجا يدل على انها ممكنة الوجود محدثة مسبوقة بالعدم فأما الحق تعالى فهو الفرد المنزه عن الضد والند والمقابل والمعاضد (وجعل لكم من الفلك) السفن (والانعام ما تركبون) أي ما تركبونه في البحر والبر أريد بالانعام هنا ما يركب من الحيوان وهو الابل والخيل والبغال والحمير وقرينة هذا قوله في سورة النحل والخيل والبغال والحمير لتركبوها فيدخل في الانعام هنا تغليبا

فقد ذكر المفسرون ههنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ولكن روى ابن أبي حاتم ههنا حديثا لا يصح سنده لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه ويزيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد علمها إلى الله عز وجل فإن القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضا وقوله تعالى ففزع منهم إنما كان ذلك لأنه كان في محرابه وهو أشرف مكان في داره وكان قد أمر أن لا يدخل عليه أحد ذلك اليوم فلم يشعر إلا بشخصين قد تسوّرا عليه المحراب أي احتاطا به يسألانه عن

شأنهما وقوله عز وجل وعزني في الخطاب أي غلبني يقال عز يعز إذا قهر وغلب وقوله تعالى وظن داود أنما فتناه قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أي اختبرناه وقوله تعالى وخرّ راكعا أي ساجدا وأناب ويحتمل أنه ركع أولا ثم سجد بعد ذلك وقد ذكر أنه استمر ساجدا أربعين صباحا فغفرنا له ذلك أي ما كان منه مما يقال فيه إن حسنات الأبرار سيئات المقربين وقد اختلف الأئمة في سجدة ص هل هي من عزائم السجود على قولين الجديد من مذهب الشافعي رضي الله عنه أنها ليست من عزائم السجود بل هي سجدة شكر والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد حيث قال حدثنا إسمعيل هو ابن علية عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في السجدة في ص ليست من عزائم السجود وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها ورواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي في تفسيره من حديث أيوب به وقال الترمذي حسن صحيح وقال النسائي أيضا عند تفسير هذه الآية أخبرني إبراهيم بن الحسن هو المقسمي حدثنا حجاج بن محمد عن عمر بن ذر عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال إن النبي صلى الله عليه وسلم سجد في ص وقال سجدها داود عليه الصلاة والسلام توبة ونسجدها شكرا تفرد بروايته النسائي ورجال إسناده كلهم ثقات وقد أخبرني شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي قراءة عليه وأنا أسمع أخبرنا أبو إسحق المدرجي أخبرنا زاهر بن أبي طاهر الثقفي حدثنا زاهر بن أبي طاهر الشحامي أخبرنا أبو سعد الجنزروري أخبرنا الحاكم أبو أحمد محمد بن محمد الحافظ أخبرنا أبو العباس السراج حدثنا هارون بن عبد الله حدثنا محمد بن يزيد بن خنيس عن الحسن بن محمد بن عبيد الله بن

إذ الأنعام هي الإبل والبقر والغنم وقال الشوكاني المراد بالأنعام ههنا الإبل خاصة وقيل الإبل والبقر والأول أولى (لتستووا) اللام لام العلة وهو الظاهر وللصيرورة ويجوز أن تكون لام الأمر وفيه بعد لقلة دخولها على أمر المخاطب (على ظهوره) الضمير راجع إلى ما قاله أبو عبيد وقال الفراء أضاف الظهور إلى واحد لأن المراد به الجنس فصار الواحد في معنى الجمع بمنزلة الجنس فلذلك ذكر وجمع الظهر لأن المراد ظهور هذا الجنس والاستواء الاستعلاء أي لتستعلوا على ظهور ما تركبون من الفلك والأنعام (ثم تذكروا نعمة ربكم) أي التي أنعم بها عليكم من تسخير ذلك المركب في البحر والبر (إذا استويتم عليه) أي على ما تركبونه [illegible] قال مقاتل والكلبي هو أن يقول الحمد لله الذي رزقني هذا وحملني عليه (وتقولوا) أي بألسنتكم جمعا بين القلب واللسان (سبحان الذي سخر لنا هذا) وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه سبحان من سخر لنا هذا وقال قتادة قد علمكم كيف تقولون إذا ركبتم والمعنى ذلل لنا هذا المركب الذي ركبناه سفينة كان أو دابة قاله الخطيب وصرح غيره بأنه خاص بالدابة وأما السفينة فيقول فيها بسم الله مجريها ومرساها وبعده (وما كنا له مقرنين) فإن الامتناع والمعاصي والتوحش لولا تسخير الله وإذلاله لما أمكن في الدواب وأما السفن فهي من عمل ابن آدم فالمراد بها امتناع قوتها كامتناع الدابة قال ابن عباس والكلبي مقرنين مطيقين يقال أقرن هذا البعير إذا أطاقه وقال الأخفش وأبو عبيدة مقرنين ضابطين يقال فلان مقرن لفلان أي ضابط له وقيل مماثلين له في القوة ومنه قولهم هو قرن فلان إذا كان مثله في القوة (وإنا إلى ربنا لمنقلبون) أي راجعون إليه وهذا تمام ما يقال عند ركوب الدابة أو السفينة وفيه إشارة إلى الرد عليهم في إنكار البعث أخرج مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي والحاكم وابن مردويه عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا سافر ركب راحلته ثم كبر ثلاثا ثم قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون روي أن قوما ركبوا وقالوا سبحان الذي سخر لنا هذا الخ وفيهم رجل على ناقة لا تتحرك هزالا فقال أما إني مقرن لهذه فسقط لوثبتها واندقت عنقه وينبغي أن لا يكون ركوب العاقل للسير والتلذذ بل للاعتبار ويتأمل عنده أنه هالك لا محالة ومنقلب إلى الله غير منفلت من قضائه قال القرطبي علمنا سبحانه وتعالى

أبي يزيد قال قال لي ابن جريج يا حسن حدثني جدك عبد الله بن أبي يزيد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني رأيت فيما يرى النائم كأني أصلي خلف شجرة فقرأت السجدة فسجدت فسجدت الشجرة بسجودي فسمعتها تقول وهي ساجدة اللهم اكتب لي بها عندك أجرا واجعلها لي عندك ذخرا وضع بها عني وزرا واقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود قال ابن عباس رضي الله عنهما فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم قام فقرأ السجدة ثم سجد فسمعته يقول وهو ساجد كما حكى الرجل عن كلام الشجرة رواه الترمذي عن قتيبة وابن ماجه عن أبي بكر بن خلاد كلاهما عن محمد بن يزيد بن خنيس نحوه وقال الترمذي غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وقال البخاري عند تفسيرها أيضا حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا محمد بن عبيد الطنافسي عن العوام قال سألت مجاهدا عن سجدة ص فقال سألت ابن عباس رضي الله عنهما من أين سجدت فقال أوما تقرأ ومن ذريته داود وسليمان أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فكان داود عليه الصلاة والسلام ممن أمر نبيكم صلى الله عليه وسلم ان يقتدي به فسجدها داود عليه الصلاة والسلام فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا يزيد بن زريع حدثنا حميد حدثنا بكر هو ابن عبد الله المزني انه أخبره ان أبا سعيد الخدري رضي الله عنه رأى رؤيا انه يكتب ص فلما بلغ الى الآية التي يسجد بها رأى الدواة والقلم وكل شيء بحضرته انقلب ساجدا قال فقصها على النبي صلى الله عليه وسلم فلم يزل يسجد بها بعد تفرد به أحمد وقال أبو داود حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو ابن الحرث عن سعيد بن أبي هلال عن عياض بن عبد الله بن سعد بن أبي سرح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر ص فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تشزن الناس للسجود فقال صلى الله عليه وسلم انما هي توبة نبي ولكني رأيتكم تشزنتم فنزل وسجد تفرد به أبو داود واسناده على شرط الصحيح وقوله تعالى وان له عندنا لزلفى وحسن مآب أي وان له يوم القيامة لقربة يقربه الله عز وجل بها وحسن مرجع وهو الدرجات العالية في الجنة لنبوته وعدله التام في ملكه كما جاء في الصحيح المقسطون على منابر من نور عن يمين

ما نقول اذا ركبنا الدواب وعرفنا في آية أخرى على لسان نوح عليه السلام ما نقول اذا ركبنا السفن فكم من راكب دابة عثرت به أو شمست أو تقحمت أو طاح عن ظهرها فهلك وكم من راكب سفينة انكسرت به فغرق فلما كان الركوب مباشرة أمر مخوف واتصالا بسبب من أسباب التلف أمر أن لا ينسى عند اتصاله به موته ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعدا لقضاء الله باصلاحه من نفسه والحذر من ان يكون ركوبه ذلك من أسباب موته في علم الله وهو غافل عنه وقال ابن العربي ليس بواجب ذكره باللسان بل يستحب وانما الواجب اعتقاده بالقلب والاول أولى والجمع أفضل ثم رجع سبحانه الى ذكر الكفار الذين تقدم ذكرهم فقال (وجعلوا له) أي بعد ذلك الاعتراف كما قاله القاضي أومعه كذا في الكشاف والجملة حالية والجعل تصيير قولي أي حكموا وأثبتوا له أو بمعنى سموا واعتقدوا (من عباده جزأ) أي ولدا وسماه جزأ دلالة على استحالته على الواحد في ذاته لان المركب لا يكون واحد الذات قال قتادة جزأ أي عدلا يعني ما عبد من دون الله وقال الزجاج والمبرد الجزء هنا البنات والجزء عند أهل العربية البنات يقال قد أجزأت المرأة اذا ولدت البنات وقد جعل صاحب الكشاف تفسير الجزء بالبنات من بدع التفسير وصرح بانه مكذوب على العرب ويجاب عنه بأنه قد رواه الزجاج والمبرد وهما اماما اللغة العربية وحافظاها ومن اليهما المنتهى في معرفتها ويؤيد تفسير الجزء بالبنات ما سيأتي من قوله أم اتخذ مما يخلق بنات وقوله واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا وقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وقيل المراد بالجزء هنا الملائكة فانهم جعلوهم أولاد الله سبحانه قاله مجاهد والحسن قال الازهري ومعنى الآية انهم جعلوا لله من عباده نصيبا على معنى انهم جعلوا نصيب الله من الولدان (ان الانسان) القائل ما تقدم (لكفور مبين) أي ظاهر الكفران مبالغ فيه قيل المراد بالانسان هنا الكافر فانه الذي يجحد نعم الله عليه جحودا بينا ثم أنكر عليهم هذا فقال (أم اتخذ مما يخلق بنات) هذا استفهام تقريع وتوبيخ وأم هي المنقطعة بمعنى همزة الانكار وقدرها بعضهم ببل التي للانتقال وبعضهم بهما وكل صحيح لان فيها مذاهب ثلاثة كما نقله أبو حيان والمعنى أتقولون اتخذ ربكم لنفسه البنات (وأصفاكم) أخلصكم وخصكم (بالبنين) فجعل لنفسه المفضول من الصنفين ولكم الفاضل منهما يقال أصفيته بكذا أي آثرته به وأصفيته الود أخلصته له ومثل هذه الآية

قوله

الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يقسطون في أهليهم وما ولوا وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا فضيل عن عطية عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أحب الناس عند الله تعالى يوم القيامة وأقربهم منه مجلسا إمام عادل وإن أبغض الناس عند الله عز وجل يوم القيامة وأشدهم عذابا إمام جائر ورواه الترمذي من حديث فضيل وهو ابن مرزوق الأغر عن عطية به وقال لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد الله بن أبي زياد حدثنا سيار حدثنا جعفر بن سليمان قال سمعت مالك بن دينار في (٢٩٣) قوله تعالى وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب قال يقام داود عليه الصلاة والسلام يوم القيامة بساق العرش ثم يقول يا داود مجدني اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمجدني به في الدنيا فيقول وكيف وقد سلبته فيقول الله عز وجل إني أرده عليك اليوم قال فيرفع داود عليه الصلاة والسلام صوتا يستفرغ نعيم أهل الجنان (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) هذه وصية من الله عز وجل لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيل الله وقد توعد تبارك وتعالى من ضل عن سبيله وتناسى يوم الحساب بالوعيد الأكيد والعذاب الشديد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن خالد حدثنا الوليد حدثنا مروان بن جناح حدثني إبراهيم أبو زرعة وكان قد قرأ الكتاب أن الوليد بن عبد الملك قال له أيحاسب الخليفة فإنك قد قرأت الكتاب الأول وقرأت القرآن وفقهت فقلت يا أمير المؤمنين أقول قال قل في أمان الله قلت يا أمير المؤمنين أنت أكرم على الله أو داود عليه الصلاة والسلام إن الله تعالى جمع له النبوة والخلافة ثم توعده في كتابه فقال تعالى يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله الآية وقال عكرمة لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب هذا من المقدم والمؤخر لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا وقال السدي لهم عذاب شديد بما تركوا أن يعملوا ليوم الحساب وهذا القول أمشى على ظاهر الآية والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين

دونه أي ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى وهذه الجملة معطوفة على الجملة الداخل معها تحت الإنكار ثم زاد في تقبيح ما نسبوه إليه فقال (وإذا بشر أحدهم) استئناف أو حال (بما ضرب للرحمن مثلا) أي بما جعله للرحمن سبحانه من كونه جعل لنفسه البنات والالتفات إلى الغيبة للإيذان بأن قبائحهم اقتضت الإعراض عنهم وتحكي لغيرهم تعجيبا منها والمعنى أنه إذا بشر أحدهم بأنها ولدت له بنت اغتم لذلك وظهر عليه أثره وهو معنى قوله (ظل) أي صار (وجهه مسودا) بسبب حدوث الأنثى له حيث لم تكن الحادثة له ذكرا مكانها (وهو كظيم) أي والحال أنه شديد الحزن كثير الكرب مملوء منه قال قتادة حزين وقال عكرمة مكروب وقيل ساكت ثم زاد في توبيخهم وتقريعهم فقال (أومن ينشأ في الحلية) الهمزة للإنكار والواو للعطف على مقدر كما في نظائره ومن عبارة عن الأنثى أي يجعلون له الأنثى التي تربى في الزينة لنقصها إذ لو كملت في نفسها لما تزينت بالزينة وقرأ الجمهور ينشأ بفتح الياء وإسكان النون وقرأ ابن عباس والضحاك وحفص وحمزة والكسائي بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين واختار القراءة الأولى أبو حاتم واختار الثانية أبو عبيد وقال الهروي الفعل على القراءة الأولى لازم وعلى الثانية متعد والمعنى يربى ويكبر في الحلية (وهو في الخصام غير مبين) أي عاجز عن أن يقوم بأمر نفسه وإذا خوصم لا يقدر على إقامة حجته ودفع ما يجادله به خصمه لنقصان عقله وضعف رأيه وإضافة غير لا تمنع عمل ما بعدها في الجار المتقدم عليها لأنها بمعنى النفي قال المبرد تقدير الآية ويجعلون له من ينشأ في الحلية وإذا احتاج إلى مخاصمة الخصوم ومجاراة الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان ولا يأتي ببرهان وفيه أنه جعل النشأة في الحلية من المعايب فعلى الرجل أن يجتنب ذلك ويتزين بلباس التقوى قال قتادة قلما تكلمت امرأة فتريد أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها وقال ابن زيد والضحاك الذي ينشأ في الحلية أصنامهم التي صاغوها من ذهب وفضة قال ابن عباس في الآية هو النساء فرق بين زيهن وزي الرجال ونقصهن من الميراث وبالشهادة وأمرهن بالقعدة وسماهن الخوالف (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا) الجعل هنا بمعنى القول والحكم على الشيء كما تقول جعلت زيدا أفضل الناس أي قلت بذلك وحكمت له به أي سموهم وحكموا وقالوا إنهم بنات الله وجعلوا في كفرهم ثلاث كفرات وذلك أنهم نسبوا إلى الله

كفروا فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب) يخبر تعالى أنه ما خلق الخلق عبثا وإنما خلقهم ليعبدوه ويوحدوه ثم يجمعهم يوم الجمع فيثيب المطيع ويعذب الكافر ولهذا قال تبارك وتعالى وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا أي الذين لا يرون بعثا ولا معادا وإنما يعتقدون هذه الدار فقط فويل للذين كفروا من النار أي ويل لهم يوم معادهم ونشورهم من النار المعدة لهم ثم بين تعالى أنه عز وجل من عدله وحكمته لا يساوي بين المؤمنين والكافرين

فقال تعالى أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار أي لا نفعل ذلك ولا يستوون عند الله وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من دار أخرى يثاب فيها هذا المطيع ويعاقب فيها هذا الفاجر وهذا الإرشاد يدل العقول السليمة والفطر المستقيمة على أنه لا بد من معاد وجزاء فإنا نرى الظالم الباغي يزداد ماله وولده ونعيمه ويموت كذلك ونرى المطيع المظلوم يموت بكمده فلا بد في حكمة الحكيم العليم العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة من إنصاف هذا من هذا وإذا لم يقع هذا في هذه الدار فتعين أن هناك دارا أخرى لهذا الجزاء والمواساة ولما كان القرآن يرشد إلى المقاصد الصحيحة والمآخذ العقلية الصريحة قال تعالى كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب أي ذوو العقول وهي الألباب جمع لب وهو العقل قال الحسن البصري والله ما تدبره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده حتى إن أحدهم ليقول قرأت القرآن كله ما يرى له القرآن في خلق ولا عمل رواه ابن أبي حاتم (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والأعناق) يقول تعالى مخبرا أنه وهب لداود سليمان أي نبيا كما قال عز وجل وورث سليمان داود أي في النبوة وإلا فقد كان له بنون غيره فإنه قد كان عنده مائة امرأة حرائر وقوله تعالى نعم العبد إنه أواب ثناء على سليمان بأنه كثير الطاعة والعبادة والإنابة إلى الله عز وجل قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن خالد حدثنا الوليد بن جابر حدثنا مكحول قال لما وهب الله تعالى لداود سليمان قال له يا بني ما أحسن قال سكينة

الولد وسموا إليه أحسن النوعين وجعلوا الملائكة المكرمين إناثا فاستفهم ثم قرأ الجمهور عباد بالجمع وبها قرأ ابن عباس وقرأ الباقون عند بنون ساكنة واختار الأولى أبو عبيد لأن الإسناد فيها أعلى ولأن الله إنما كذبهم في قولهم إنهم بنات الله فأخبرهم أنهم عباده قال النسفي وهو ألزم في الحجاج مع أهل العناد لتضاد بين العبودية والولاد انتهى ويؤيد هذه القراءة قوله بل عباد مكرمون واختار أبو حاتم الثانية قال وتصديق هذه القراءة قوله إن الذين عند ربك عن سعيد بن جبير قال كنت أقرأ هذا الحرف الذين هم عند الرحمن إناثا فسألت ابن عباس فقال عباد الرحمن قلت فإن في مصحفي قال فامحها واكتبها عباد الرحمن ثم وبخهم وقرعهم فقال (أشهدوا خلقهم) أي أحضروا وخلق الله إياهم فهو من الشهادة التي هي الحضور وفي هذا تهكم بهم وتجهيل لهم قرأ الجمهور (ستكتب شهادتهم) بضم الفوقية وبناء الفعل للمفعول ورفع شهادتهم وقرئ النون وبناء الفعل للفاعل ونصب شهادتهم وقرئ شهاداتهم بالجمع والمعنى ستكتب هذه الشهادة التي شهدوا بها في ديوان أعمالهم لنجازيهم على ذلك قال القاضي يجوز أن يكون في السين استعطاف إلى التوبة قبل كتابة ما قالوا ولا علم لهم به (ويسألون) عنها يوم القيامة في الآخرة وهذا وعيد قال سليمان الجمل وهذا يدل على أن القول بغير دليل منكر وأن التقليد حرام يوجب الذم العظيم انتهى (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) هذا نوع آخر من أنواع كفرهم بالله جاؤوا به للاستهزاء والسخرية ومعناه لو شاء الرحمن في زعمكم عدم عبادة الملائكة ما عبدنا هذه الملائكة واستدلوا بنفي مشيئته عدم العبادة على امتناع النهي عنها أو على حسنها وذلك باطل لأن المشيئة ترجح بعض الممكنات على بعض مأمورا كان أو منهيا حسنا كان أو غيره وبالجملة هذا كلام حق يراد به باطل وقد مضى بيانه في الأنعام وتعلقت المعتزلة بظاهر هذه الآية في أن الله لم يشأ الكفر من الكافر وإنما شاء الإيمان فإن الكفار ادعوا أن الله شاء منهم الكفر وما شاء منهم ترك عبادة الأصنام ورد الله عليهم قولهم واعتقادهم وبين جهلهم بقوله (ما لهم بذلك) أي بما قالوه من أن الله لو شاء عدم عبادتهم للملائكة ما عبدوهم (من علم) بل تكلموا بذلك جهلا وأرادوا بما صوروه صورة الحق باطلا وزعموا أنه إذا شاء فقد رضي وقيل الإشارة بذلك إلى قوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا قاله قتادة ومقاتل والكلبي وقال مجاهد وابن

الله والايمان قال فما أقبح قال كفر بعد ايمان قال فما أحلى قال روح الله بين عباده قال فما أبرد قال عفو الله عن الناس وعفو الناس بعضهم عن بعض قال داود عليه السلام فأنت نبي وقوله تبارك وتعالى اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد أي اذ عرض على سليمان عليه الصلاة والسلام في حال مملكته وسلطانه الخيل الصافنات قال مجاهد وهي التي تقف على ثلاث وطرف حافر الرابعة والجياد السراع وكذا قال غير واحد من السلف وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن أبيه سعيد بن مسروق عن ابراهيم التيمي في قوله عز وجل اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد قال كانت عشرين فرسا ذات أجنحة كذا رواه ابن جرير وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا ابراهيم بن موسى حدثنا ابن أبي زائدة أخبرني اسرائيل عن سعيد بن مسروق عن ابراهيم التيمي قال كانت الخيل التي شغلت سليمان عليه الصلاة والسلام عشرين ألف فرس فعقرها وهذا أشبه والله أعلم وقال أبو داود حدثنا محمد بن عوف حدثنا سعيد ابن أبي مريم أخبرنا يحيى بن أيوب حدثني عمارة بن غزية أن محمد بن ابراهيم حدثه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها قالت قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك أو خيبر وفي سهوتها ستر فهبت الريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة رضي الله عنها لعب فقال صلى الله عليه وسلم ما هذا يا عائشة قالت رضي الله عنها بناتي ورأى بينهن فرسا له جناحان من رقاع فقال صلى الله عليه وسلم ما هذا الذي أرى وسطهن قالت رضي الله عنها فرس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا الذي عليه قالت رضي الله عنها جناحان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرس له جناحان قالت رضي الله عنها أما سمعت أن سليمان عليه الصلاة والسلام كانت له خيل لها أجنحة قالت رضي الله عنها فضحك صلى الله عليه وسلم حتى رأيت نواجذه وقوله تبارك وتعالى فقال اني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ذكر غير واحد من السلف والمفسرين انه اشتغل بعرضها حتى فات وقت صلاة العصر والذي يقطع به انه لم يتركها عمدا بل نسيانا كما شغل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق عن صلاة العصر حتى صلاها بعد الغروب وذلك ثابت في الصحيحين من غير وجه من ذلك عن جابر رضي الله عنه قال جاء عمر رضي الله عنه يوم الخندق بعد ما غربت الشمس فجعل يسب كفار قريش ويقول

حجة أي ما لهم بعبادة الاوثان من علم ثم بين انهم قالوا ذلك جاهلين فقال (ان هم الا يخرصون) أي ما هم الا يكذبون فيما قالوا ويتمحلون تمحلا باطلا قال ههنا يخرصون وفي الجاثية يظنون لان هذا كذب فناسبه الخرص وما هناك صدق مخلوط بالكذب فناسبه الظن (أم آتيناهم كتابا من قبله) أم هي المنقطعة بمعنى همزة الاستفهام الانكاري أي أأعطيناهم كتابا من قبل القرآن بما ادعوه بأن يعبدوا غير الله وقيل ان الضمير في قبله يعود الى ادعائهم أي أم آتيناهم كتابا من قبل ادعائهم ينطق بصحة ما يدعونه والاول أولى أو أم معادلة لقوله أشهدوا فتكون متصلة والمعنى احضروا أم آتيناهم كتابا الخ والاول أرجح وأولى كما أفاده الشهاب (فهم به مستمسكون) يأخذون بما فيه ويحتجون به ويجعلونه لهم دليلا ثم بين سبحانه انه لا حجة بأيديهم ولا شبهة ولكنهم اتبعوا آباءهم في الضلالة فقال (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة) أي على طريقة ومذهب قال أبو عبيدة هي الطريقة والدين وبه قال ابن عباس وقتادة وغيره قال الجوهري والامة الطريقة والدين يقال فلان لا أمة له ولا نحلة له أي لا دين له وقال الفراء وقطرب على قبلة وقال الاخفش على استقامة وقرأ الجمهور أمة بالضم وقرئ بكسرها قال الجوهري والامة بالكسر النعمة والامة أيضا لغة في الامة (وانا) ماشون (على آثارهم مهتدون) بهم وكانوا يعبدون غير الله اعترفوا بانه لا مستند لهم من حيث العيان ولا من حيث العقل ولا من حيث السمع والبيان سوى تقليد آبائهم قال الخازن جعلوا أنفسهم مهتدين باتباع آبائهم وتقليدهم من غير حجة انتهى وعبارة أبي السعود لم يأتوا بحجة عقلية ولا نقلية بل اعترفوا بانه لا مستند لهم سوى تقليد آبائهم الجهلة مثلهم انتهى وقال ههنا مهتدون وفيما بعده مقتدون لان الاول وقع في محاجتهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وادعائهم ان آباءهم كانوا مهتدين فانهم مهتدون كآبائهم فناسبه مهتدون والثاني وقع حكاية عن قوم ادعوا الاقتداء بالآباء دون الاهتداء فناسبه مقتدون أفاده الكرخي ثم أخبر سبحانه ان غير هؤلاء من الكفار قد سبقهم الى هذه المقالة وقال بها فقال (وكذلك) أي الامر كما ذكر من عجزهم عن الحجة وتمسكهم بالتقليد وقوله (ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) استئناف مبين لذلك دال على ان التقليد فيما بينهم ضلال قديم ليس لاسلافهم أيضا مستند غيره قاله أبو السعود والمترفون الاغنياء والرؤساء والمنعمون

يا رسول الله والله ما كدت أصلي العصر حتى كادت الشمس تغرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما صليتها قال فقمنا إلى بطحان فتوضأ النبي صلى الله عليه وسلم للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب ويحتمل أنه كان سائغا في ملتهم تأخير الصلاة لعذر الغزو والقتال والخيل تراد للقتال وقد ادعى طائفة من العلماء أن هذا كان مشروعا فنسخ ذلك بصلاة الخوف ومنهم من ذهب إلى ذلك في حال المسايفة والمناوشة حتى لا يمكن صلاة ولا ركوع ولا سجود كما فعل الصحابة رضي الله عنهم في فتح تستر وهو منقول عن (٢٩٦) مكحول والأوزاعي وغيرهما والأول أقرب لأنه قال بعدها ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والأعناق قال الحسن البصري قال لا والله لا تشغليني عن عبادة ربي آخر ما عليك ثم أمر بها فعقرت وكذا قال قتادة وقال السدي ضرب أعناقها وعراقيبها بالسيوف وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها حبا لها وهذا القول اختاره ابن جرير قال لأنه لم يكن ليعذب حيوانا بالعرقبة ويهلك مالا من ماله بلا سبب سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها ولا ذنب لها وهذا الذي رجح به ابن جرير فيه نظر لأنه قد يكون في شرعهم جواز مثل هذا ولا سيما إذا كان غضبا لله تعالى بسبب أنه اشتغل بها حتى خرج وقت الصلاة ولهذا لما خرج عنها لله تعالى عوضه الله عز وجل ما هو خير منها وهو الريح التي تجري بأمره رخاء حيث أصاب غدوها شهر ورواحها شهر فهذا أسرع وخير من الخيل قال الإمام أحمد حدثنا إسمعيل حدثنا سليمان ابن المغيرة عن حميد بن هلال عن أبي قتادة وأبي الدهماء وكانا يكثران السفر نحو البيت قالا أتينا على رجل من أهل البادية فقال لنا البدوي أخذ بيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فجعل يعلمني مما علمه الله عز وجل وقال إنك لا تدع شيئا اتقاء الله تعالى إلا أعطاك الله عز وجل خيرا منه (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الأصفاد هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) يقول تعالى ولقد فتنا سليمان أي اختبرناه بأن سلبناه الملك وألقينا على كرسيه جسدا قال ابن عباس رضي الله

جمع مترف اسم مفعول ترف كفرح تنعم وأترفته النعمة أطغته قال الكرخي هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودلالة على أن التقليد في نحو ذلك ضلال قديم وأن من بعدهم أيضا لم يكن لهم مستند منظور إليه وتخصيص المترفين للإشعار بأن التنعم هو الذي أوجب البطر وصرفهم عن النظر إلى التقليد انتهى والأمة هي من الأم وهو القصد فالأمة الطريق التي تؤم أي تقصد ومقتدون أي متبعون قاله قتادة قال النسفي وهذه تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وبيان أن تقليد الآباء داء قديم انتهى قال الرازي في تفسيره ولو لم يكن في كتاب الله إلا هذه الآيات لكفت في إبطال القول بالتقليد وذلك لأنه تعالى بين أن هؤلاء الكفار لم يتمسكوا في إثبات ما ذهبوا إليه لا بطريق عقلي ولا بدليل نقلي ثم بين أنهم إنما ذهبوا إليه بمجرد تقليد الآباء والأسلاف وإنما ذكر تعالى هذه المعاني في معرض الذم والتهجين وذلك يدل على أن القول بالتقليد باطل ومما يدل عليه أيضا من حيث العقل أن التقليد أمر مشترك فيه بين المبطل وبين المحق وذلك لأنه كما حصل لهذه الطائفة قوم من المقلدة فكذلك حصل لأضدادهم أقوام من المقلدة فلو كان التقليد طريقا إلى الحق لوجب كون الشيء ونقيضه حقا ومعلوم أن ذلك باطل وإنه تعالى بين أن الداعي إلى القول بالتقليد والحامل عليه إنما هو حب التنعم في طيبات الدنيا وحب الكسل والبطالة وبغض تحمل مشاق النظر والاستدلال لقوله إلا قال مترفوها والمترفون هم الذين أترفتهم النعمة أي أبطرتهم فلا يحبون إلا الشهوات والملاهي ويبغضون تحمل المشاق في طلب الحق انتهى أقول وقد احتج جماعة من الفقهاء وأهل النظر على من أجاز التقليد بحجج نظرية عقلية منها ما ذكره ابن القيم وأنا أوردها قال يقال لمن حكم بالتقليد هل لك من حجة فيما حكمت به فإن قال نعم بطل التقليد لأن الحجة أوجبت ذلك عنده لا التقليد وإن قال حكمت به بغير حجة قيل له فلم أرقت الدماء وأبحت الفروج وأتلفت الأموال وقد حرم الله ذلك إلا بحجة قال الله عز وجل هل عندكم من سلطان بهذا أي من حجة بهذا فإن قال أنا أعلم أني قد أصبت وإن لم أعرف الحجة لأني قلدت كبيرا من العلماء وهو لا يقول إلا بحجة خفيت علي قيل له إذا جاز تقليد معلمك لأنه لا يقول إلا بحجة خفيت عليك فتقليد معلم معلمك أولى لأنه لا يقول إلا بحجة خفيت على معلمك كما لم يقل معلمك إلا بحجة خفيت عليك فإن قال نعم ترك تقليد معلمه إلى تقليد معلم معلمه وكذلك من هو أعلى

حتى ينتهي الامر الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وان أبى ذلك نقض قوله وقيل له كيف يجوز تقليد من هو أصغر وأقل علما ولا يجوز تقليد من هو أكبر وأكثر علما وهذا تناقض فان قال لان معلمي وان كان أصغر فقد جمع علم من هو فوقه الى علمه فهو أبصر بما أخذ وأعلم بما ترك قيل له وكذلك من تعلم من معلمك فقد جمع علم معلمك وعلم من فوقه الى علمه فيلزمه تقليده وترك تقليد معلمك وكذلك أنت أولى ان تقلد نفسك من معلمك لانك جمعت علم معلمك وعلم من هو فوقه الى علمك فان قلد قوله جعل الاصغر ومن يحدث من صغار العلماء أولى بالتقليد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك الصاحب عنده يلزمه تقليد التابع والتابع من دونه في قياس قوله والاعلى للادنى أبدا وكفى بقول يؤول الى هذا تناقضا وفسادا قال أبو عمر وقال أهل العلم والنظر حد العلم التبيين وادراك المعلوم على ما هو به فمن بان له الشيء فقد علمه قالوا والمقلد لا علم له لم يختلفوا في ذلك ومن ههنا والله أعلم قال البحتري

عرف العالمون فضلك بالعلـ * ـم وقال الجهال بالتقليد

وأرى الناس مجمعين على فضـ * ـلك من بين سيد ومسود

وقال أبو عبد الله بن خواز بنداد المصري المالكي التقليد معناه في الشرع الرجوع الى قول لا حجة لقائله وذلك ممنوع منه في الشريعة والاتباع ما ثبت عليه حجة وقال في موضع آخر من كتابه كل من اتبعت قوله من غير أن يجب عليك قبوله بدليل يوجب ذلك فأنت مقلده والتقليد في دين الله غير صحيح وكل من أوجب الدليل عليك اتباع قوله فأنت متبعه والاتباع في الدين مسوّغ والتقليد ممنوع انتهى قال ابن حارث هذا والله الدين الكامل والعقل الراجح لا كمن يأتي بالهذيان ويريد أن ينزل قوله من القلوب منزلة القرآن انتهى ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يرد عليهم فقال (قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) أي أتتبعون آباءكم وتقلدونهم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم قال الزجاج المعنى قل لهم أتتبعون ما وجدتم عليه آباءكم من الضلالة التي ليست من الهداية في شيء وان جئتكم بأهدى منه قرأ الجمهور قل وقرئ قال وهو حكاية لما جرى بين المنذرين وقومهم أي قال كل منذر من أولئك المنذرين لامته وقيل ان كلا القراءتين حكاية لما جرى بين المنذرين وقومهم

عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وغيرهم يعني شيطانا ثم أناب أي رجع الى ملكه وسلطانه وأبهته قال ابن جرير وكان اسم ذلك الشيطان صخرا قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وقيل آصف قاله مجاهد وقيل صرد قاله مجاهد أيضا وقيل حبقيق قاله السدي وقد ذكروا هذه القصة مبسوطة ومختصرة وقد قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال أمر سليمان عليه الصلاة والسلام ببناء بيت المقدس فقيل له ابنه ولا يسمع فيه صوت حديد قال فطلب ذلك فلم يقدر عليه فقيل له ان شيطانا في البحر يقال له صخر شبه المارد قال فطلبه وكانت في البحر عين يردها كل سبعة أيام مرة فنزح ماؤها وجعل فيها خمر فجاء يوم وروده فاذا هو بالخمر فقال انك لشراب طيب الا انك تصبين الحليم وتزدين الجاهل جهلا قال ثم رجع حتى عطش عطشا شديدا ثم أتاها فقال انك لشراب طيب الا انك تصبين الحليم وتزدين الجاهل جهلا قال ثم شربها حتى غلبت على عقله قال فأرى الخاتم أو ختم به بين كتفيه فذل قال وكان ملكه في خاتمه فأتى به سليمان عليه الصلاة والسلام فقال انا قد أمرنا ببناء هذا البيت وقيل لنا لا يسمعن فيه صوت حديد قال فأتى ببيض الهدهد فجعل عليه زجاجة فجاء الهدهد فدار حولها فجعل يرى بيضه ولا يقدر عليه فذهب فجاء بالماس فوضعه عليه فقطعها به حتى أفضى الى بيضه فأخذ الماس فجعلوا يقطعون به الحجارة وكان سليمان عليه الصلاة والسلام اذا أراد أن يدخل الخلاء أو الحمام لم يدخل بالخاتم فانطلق يوما الى الحمام وذلك الشيطان صخر معه وذلك عند مقارفة قارف فيه بعض نسائه قال فدخل الحمام وأعطى الشيطان خاتمه فألقاه في البحر فالتقمته سمكة ونزع ملك سليمان منه وألقي على الشيطان شبه سليمان قال فجاء فقعد على كرسيه وسريره وسلط على ملك سليمان كله غير نسائه قال فجعل يقضي بينهم وجعلوا ينكرون منه أشياء وكان فيهم رجل يشبهونه بعمر بن الخطاب رضي الله عنه في القوة فقال والله لاجربنه قال فقال يا نبي الله وهو لا يرى الا انه نبي الله أحدنا تصيبه الجنابة في الليلة الباردة فيدع الغسل عمدا حتى تطلع الشمس أترى عليه بأسا قال لا فبينما هو كذلك أربعين ليلة اذ وجد نبي الله خاتمه في بطن سمكة فأقبل فجعل لا يستقبله جني ولا طير الا سجد له حتى انتهى اليهم وألقينا على كرسيه جسدا قال هو الشيطان صخر وقال السدي ولقد فتنا سليمان أي ابتلينا سليمان وألقينا

على كرسيه جسدا قال شيطانا جلس على كرسيه أربعين يوما قال كان لسليمان عليه الصلاة والسلام مائة امرأة وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة وهي آثر نسائه وآمنهن عنده وكان إذا أجنب أو أتى حاجة نزع خاتمه ولم يأمن عليه أحدا من الناس غيرها فأعطاها يوما خاتمه ودخل الخلاء فخرج الشيطان في صورته فقال هاتي الخاتم فأعطته خاتمه فجاء حتى جلس على مجلس سليمان عليه الصلاة والسلام وخرج سليمان بعد فسألها أن تعطيه خاتمه فقالت ألم تأخذه قبل قال لا وخرج كأنه تائها ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما قال فأنكر الناس أحكامه فاجتمع قراء بني إسرائيل وعلماؤهم فجاؤوا حتى دخلوا على نسائه فقالوا إنا قد أنكرنا هذا فإن كان سليمان فقد ذهب عقله وأنكرنا أحكامه قال فبكى النساء عند ذلك قال فأقبلوا يمشون حتى أتوه فأحدقوا به ثم نشروا يقرؤون التوراة قال فطار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة والخاتم معه ثم طار حتى ذهب إلى البحر فوقع الخاتم منه في البحر فابتلعه حوت من حيتان البحر قال وأقبل سليمان عليه الصلاة والسلام في حاله التي كان فيها حتى انتهى إلى صياد من صيادي البحر وهو جائع وقد اشتد جوعه فسألهم من صيدهم وقال إني أنا سليمان فقام إليه بعضهم فضربه بعصا فشجه فجعل يغسل دمه وهو على شاطئ البحر فلام الصيادون صاحبهم الذي ضربه فقالوا بئس ما صنعت حيث ضربته قال إنه زعم أنه سليمان قال فأعطوه سمكتين مما قد كان عندهم ولم يشغله ما كان به من الضرب حتى قام إلى شاطئ البحر فشق بطونهما فجعل يغسل فوجد خاتمه في بطن أحدهما فأخذه فلبسه فرد الله عليه بهاءه وملكه فجاءت الطير حتى حامت عليه فعرف القوم أنه سليمان عليه الصلاة والسلام فقام القوم يعتذرون وجوههم مما صنعوا فقال ما أحمدكم على عذركم ولا ألومكم على ما كان منكم كان هذا الأمر لا بد منه قال فجاء حتى أتى ملكه وأرسل إلى الشيطان فجيء به فأمر به فجعل في صندوق من حديد ثم أطبق عليه وقفل عليه بقفل وختم عليه بخاتمه ثم أمر به فألقي في البحر فهو فيه حتى تقوم الساعة وكان اسمه حبقيق قال وسخر الله له الريح ولم تكن سخرت له قبل ذلك وهو قوله وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تبارك وتعالى وألقينا على كرسيه جسدا قال شيطانا يقال له

أي قال كل منذر من أولئك المنذرين لأمته المقلدين كأنه قال لكل نبي قل بدليل قوله (قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون) قال الشوكاني وهذا من أعظم الأدلة الدالة على بطلان التقليد وقبحه فإن هؤلاء المقلدة في الإسلام إنما يعملون بقول أسلافهم ويتبعون آثارهم ويقتدون بهم فإذا رام الداعي إلى الحق أن يخرجهم من ضلالة أو يدفعهم عن بدعة قد تمسكوا بها وورثوها عن أسلافهم بغير دليل نير ولا حجة واضحة بل بمجرد قيل وقال لشبهة داحضة وحجة زائفة ومقالة باطلة قالوا بما قاله المترفون من هذه الملل إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون أو بما يلاقي معناه معنى ذلك فإن قال لهم الداعي إلى الحق قد جمعتنا الملة الإسلامية وشملنا هذا الدين المحمدي ولم يتعبدنا الله ولا تعبدكم ولا آباءكم من قبلكم إلا بكتابه الذي أنزله على رسوله وبما صح عن رسوله صلى الله عليه وآله فإنه المبين لكتاب الله الموضح لمعانيه الفارق بين محكمه ومتشابهه فتعالوا نرد ما تنازعنا فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله كما أمرنا الله بذلك في كتابه بقوله فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول فإن الرد إليهما أهدى لنا ولكم من الرد إلى ما قاله أسلافكم ودرج عليه آباؤكم نفروا نفور الوحش ورموا الداعي لهم إلى ذلك بكل حجر ومدر كأنهم لم يسمعوا قول الله سبحانه إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا ولا قوله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فإن قال لهم القائل هذا العالم الذي تقتدون به وتتبعون أقواله هو مثلكم في كونه متعبدا بكتاب الله وسنة رسوله مطالبا بما هو مطالب به كم وإذا عمل برأيه عند عدم وجدانه للدليل فذلك رخصة له لا يحل أن يتبعه غيره عليها ولا يجوز له العمل بها وقد وجد الدليل الذي لم يجده وها أنا أوجدكموه في كتاب الله أو فيما صح من سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك أهدى لكم مما وجدتم عليه آباءكم قالوا لا نعمل بهذا ولا سمع لك ولا طاعة ووجدوا في صدورهم أعظم الحرج من حكم الكتاب والسنة ولم يسلموا لذلك ولا أذعنوا له وقد وهب لهم الشيطان عصا يتوكؤون عليها عند أن يسمعوا من يدعوهم إلى الكتاب والسنة وهي أنهم يقولون إن إمامنا الذي قلدناه واقتدينا به أعلم منك بكتاب الله وسنة رسوله وذلك لأن أذهانهم قد تصورت من يقتدون به تصورا عظيما بسبب تقدم العصر وكثرة الأتباع وما علموا أن هذا منقوض عليهم مدفوع بأن في

آصف فقال له سليمان عليه السلام كيف تفتنون الناس قال أرني خاتمك أخبرك فلما أعطاه اياه نبذه آصف في البحر فساح سليمان عليه السلام وذهب ملكه وقعد آصف على كرسيه ومنعه الله تبارك وتعالى من نساء سليمان فلم يقربهن ولم يقربنه وأنكرنه قال فكان سليمان عليه الصلاة والسلام يستطعم فيقول أتعرفوني أطعموني أنا سليمان فيكذبونه حتى أعطته امرأة يوما حوتا ففتح بطنه فوجد خاتمه في بطنه فرجع اليه ملكه وفر آصف فدخل البحر فارا هذه كلها من الاسرائيليات ومن أنكرها ما قاله ابن أبي

حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن العلاء وعثمان بن أبي شيبة وعلي بن محمد قالوا حدثنا أبو معاوية أخبرنا الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب قال أراد سليمان عليه الصلاة والسلام أن يدخل الخلاء فأعطى الجرادة خاتمه وكانت الجرادة امرأته وكانت أحب نسائه اليه فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال لها هاتي خاتمي فأعطته اياه فلما لبسه دانت له الانس والجن والشياطين فلما خرج سليمان عليه السلام من الخلاء قال لها هاتي خاتمي قالت قد أعطيته سليمان قال أنا سليمان قالت كذبت ما أنت بسليمان فجعل لا يأتي أحدا يقول له أنا سليمان الا كذبه حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة فلما رأى ذلك سليمان عرف انه من أمر الله عز وجل قال وقام الشيطان يحكم بين الناس فلما أراد الله تبارك وتعالى أن يرد على سليمان سلطانه ألقى في قلوب الناس انكار ذلك الشيطان قال فأرسلوا الى نساء سليمان فقالوا لهن تنكرن من سليمان شيئا قلن نعم انه يأتينا ونحن حيض وما كان يأتينا قبل ذلك فلما رأى الشيطان انه قد فطن له ظن ان أمره قد انقطع فكتبوا كتبا فيها سحر وكفر فدفنوها تحت كرسي سليمان ثم أثاروها وقرؤها على الناس وقالوا بهذا كان يظهر سليمان على الناس فأكفر الناس سليمان عليه الصلاة والسلام فلم يزالوا يكفرونه وبعث ذلك الشيطان بالخاتم فطرحه في البحر فتلقته سمكة فأخذته وكان سليمان عليه السلام يحمل على شط البحر بالأجر فجاء رجل فاشترى سمكا فيه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم فدعا سليمان عليه الصلاة والسلام فقال تحمل لي هذا السمك فقال نعم قال بكم قال بسمكة من هذا السمك قال فحمل سليمان عليه الصلاة والسلام السمك ثم انطلق به الى منزله فلما انتهى الرجل الى بابه أعطاه تلك السمكة التي

وجوههم فانه لو قيل لهم ان في التابعين من هو أعظم قدرا وأقدم عصرا من صاحبكم فان كان لتقدم العصر وجلالة القدر مزية توجب الاقتداء فتعالوا حتى أريكم من هو أقدم عصرا وأجل قدرا فان أبيتم ذلك ففي الصحابة رضي الله عنهم من هو أعظم قدرا من صاحبكم علما وفضلا وجلالة قدر فان أبيتم ذلك فها أنا أدلكم على من هو أعظم قدرا وأجل خطرا وأكثر أتباعا وأقدم عصرا وهو محمد بن عبد الله نبينا ونبيكم صلى الله عليه وآله وسلم ورسول الله الينا واليكم فتعالوا فهذه سنته موجودة في دفاتر الاسلام ودواوينه التي تلقتها جميع هذه الامة قرنا بعد قرن وعصرا بعد عصر وهذا كتاب ربنا خالق الكل ورازق الكل وموجد الكل بين أظهرنا موجود في كل بيت وبيد كل مسلم لم يلحقه تغيير ولا تبديل ولا زيادة ولا نقص ولا تحريف ولا تصحيف ونحن وأنتم ممن يفهم ألفاظه ويتعقل معانيه فتعالوا لنأخذ الحق من معدنه ونشرب صفو الماء من منبعه فهو تمام وجدتم عليه آباءكم قالوا لا سمع ولا طاعة اما بلسان المقال أو بلسان الحال فتدبر هذا وتأمله ان بقي فيك بقية من انصاف وشعبة من خير ومزعة من حياء وحصة من دين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد أوضحت هذا غاية الايضاح في كتابي الذي سميته أدب الطلب ومنتهى الارب انتهى وقد أوضحه الحافظ ابن القيم في اعلام الموقعين عن رب العالمين فارجع اليهما ان رمت أن تنجلي عنك ظلمات التعصب وتتقشع لك سحائب التقليد (فانتقمنا منهم) وذلك الانتقام ما أوقعه الله بقوم نوح وعاد وثمود وما استحقوه على اصرارهم على التقليد (فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) للانبياء من تلك الامم فان آثارهم موجودة ولا تكترث بتكذيب قومك لك ثم لما بين في الآية المتقدمة انه ليس لاولئك الكفار داع يدعوهم الى تلك الاقاويل الباطلة الا تقليد الآباء والاسلاف وبين انه طريق باطل ومنهج فاسد وان الرجوع الى الدليل أولى من الاعتماد على التقليد أردفه بهذه الآية (واذ قال ابراهيم) الذي هو أعظم آبائهم ومحط فخرهم والمجمع على محبته وحقية دينه منهم ومن غيرهم (لابيه) أي واذكر لهم وقت قوله لابيه من غير أن يقلده كما قلدتم أنتم آباءكم (وقومه) أي الذين قلدوا آباءهم وعبدوا الاصنام (انني براء مما تعبدون) تبرأ مما هم عليه وتمسك بالبرهان ليسلكوا مسلكه في الاستدلال والبراء مصدر نعت به للمبالغة وهو يستعمل للواحد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث وقال الجوهري وتبرأت من كذا

في بطنها الخاتم فأخذه سليمان عليه الصلاة والسلام فشق بطنها فإذا الخاتم في جوفها فأخذه فلبسه قال فدانت له الجن والإنس والشياطين وعاد إلى حاله وهرب الشيطان حتى لحق بجزيرة من جزائر البحر فأرسل سليمان عليه السلام في طلبه وكان شيطانا مريدا فجعلوا يطلبونه ولا يقدرون عليه حتى وجدوه يوما نائما فجاؤوا فبنوا عليه بنيانا من رصاص فاستيقظ فوثب فجعل لا يثب في مكان من البيت إلا انماط معه من الرصاص قال فأخذوه فأوثقوه وجاؤوا به إلى سليمان عليه الصلاة والسلام فأمر به فنقر له تخت من رخام ثم أدخل في جوفه ثم سد بالنحاس ثم أمر به فطرح في البحر فذلك قوله تبارك وتعالى ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب قال يعني الشيطان الذي كان سلط عليه إسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قوي ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس رضي الله عنهما إن صح عنه من أهل الكتاب وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام فالظاهر أنهم يكذبون عليه ولهذا كان في هذا السياق منكرات من أشدها ذكر النساء فإن المشهور عن مجاهد وغير واحد من أئمة السلف أن ذلك الجني لم يسلط على نساء سليمان بل عصمهن الله عز وجل منه تشريفا وتكريما لنبيه عليه السلام وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف رضي الله عنهم كسعيد ابن المسيب وزيد بن أسلم وجماعة آخرين وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وقال يحيى بن عروة الشيباني وجد سليمان خاتمه في عسقلان فمشى في خرقة إلى بيت المقدس تواضعا لله عز وجل رواه ابن أبي حاتم وقد روى ابن أبي حاتم عن كعب الأحبار في صفة كرسي سليمان عليه الصلاة والسلام خبرا عجيبا فقال حدثنا أبي حدثنا أبو صالح كاتب الليث أخبرني أبو إسحاق المصري عن كعب الأحبار أنه لما فرغ من حديث إرم ذات العماد قال له معاوية يا أبا إسحاق أخبرني عن كرسي سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام وما كان عليه ومن أي شيء هو فقال كان كرسي سليمان من أنياب الفيلة مرصعا بالدر والياقوت والزبرجد واللؤلؤ وقد جعل له درجة منها مفصصة بالدر والياقوت والزبرجد ثم أمر بالكرسي فحف من جانبيه بالنخل نخل من ذهب شماريخها من ياقوت وزبرجد ولؤلؤ وجعل على رؤوس النخل التي عن يمين الكرسي طواويس من ذهب ثم جعل على رؤوس النخل التي على يسار

وأنا براء وخلاء لا يثنى ولا يجمع لأنه مصدر في الأصل وبه قال الكسائي والمبرد وابن جني ثم استثنى خالقه من البراءة فقال (إلا الذي فطرني) أي خلقني والاستثناء منقطع أي لكن الذي فطرني أو متصل من عموم ما لأنهم كانوا يعبدون الله والأصنام أو إلا صفة بمعنى غير وما نكرة موصوفة قاله الزمخشري (فإنه سيهدين) أي سيرشدني لدينه ويثبتني لطاعته ويمشيني على الحق وأخباره بأنه سيهديه جزما لعلمه بالله سبحانه وقوة يقينه وإلا وجه أن السين للتأكيد دون التسويف وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار (وجعلها كلمة باقية في عقبه) الضمير في جعلها عائد إلى قوله إلا الذي فطرني وهي بمعنى التوحيد كأنه قال وجعل كلمة التوحيد باقية في عقب إبراهيم وهم ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله وفاعل جعلها إبراهيم وذلك حيث وصاهم بالتوحيد وأمرهم أن يدينوا به كما في قوله ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب الآية وقيل الفاعل هو الله عز وجل أي وجعل الله سبحانه كلمة التوحيد باقية في عقب إبراهيم والعقب من بعد قال مجاهد وقتادة الكلمة لا إله إلا الله لا يزال من عقبه من يعبد الله إلى يوم القيامة ويوحده ويدعو إلى توحيده وقال عكرمة هي الإسلام قال ابن زيد الكلمة هي قوله أسلمت لرب العالمين قال ابن عباس كلمة باقية لا إله إلا الله وعقب إبراهيم ولده (لعلهم يرجعون) تعليل للجعل أي جعلها باقية رجاء أن يرجع إليها من يشرك منهم بدعاء من يوحد وقيل الضمير في لعلهم يرجع إلى أهل مكة أي لعل أهل مكة يرجعون إلى دينك الذي هو دين إبراهيم وقيل في الكلام تقديم وتأخير والتقدير فإنه سيهدين لعلهم يرجعون وجعلها الخ قال السدي لعلهم يتوبون ويرجعون عما هم عليه إلى عبادة الله قال الرازي في تفسيره والمقصود من هذه الآية ذكر وجه آخر يدل على فساد القول بالتقليد وتقريره من وجهين الأول أنه تعالى حكى عن إبراهيم عليه السلام أنه تبرأ عن دين آبائه بناء على الدليل فنقول إما أن يكون تقليد الآباء في الأديان محرما أو جائزا فإن كان محرما فقد بطل القول بالتقليد وإن كان جائزا فمعلوم أن أشرف آباء العرب هو إبراهيم عليه السلام وذلك لأنه ليس لهم فخر ولا شرف إلا بأنهم من أولاده وإذا كان كذلك فتقليد هذا الأب الذي هو أشرف الآباء أولى من تقليد سائر الآباء وإذا ثبت أن تقليده أولى من تقليد غيره فنقول إنه ترك دين الآباء وحكم بأن اتباع الدليل أولى من متابعة الآباء وإذا كان كذلك وجب تقليده في ترك تقليد الآباء ووجب

تقليد

تقليده في ترجيح الدليل على التقليد واذا ثبت هذا فنقول فقد ظهر ان القول بوجوب التقليد يوجب المنع من التقليد وما أفضى ثبوته الى نفيه كان باطلا فوجب ان يكون القول بالتقليد باطلا فهذا طريق دقيق في ابطال التقليد وهو المراد من هذه الآية الوجه الثاني في بيان ان ترك التقليد والرجوع الى متابعة الدليل أولى في الدنيا والدين انه تعالى بين ان ابراهيم عليه السلام لما عدل عن طريقة أبيه الى متابعة الدليل لا جرم جعل الله دينه ومذهبه باقيا في عقبه الى يوم القيامة وأما أديان آبائه فقد اندرست وبطلت فثبت ان الرجوع الى متابعة الدليل يبقى محمود الاثر الى قيام الساعة وان التقليد والاصرار ينقطع أثره ولا يبقى منه في الدنيا خبر ولا أثر فثبت من هذين الوجهين ان متابعة الدليل وترك التقليد أولى وهذا بيان المقصود الاصلي من هذه الآية انتهى ثم ذكر سبحانه نعمته على قريش ومن وافقهم من الكفار المعاصرين لهم فقال (بل متعت هؤلاء) أي أهل مكة عقب ابراهيم (وآباءهم) أضرب سبحانه عن الكلام الاول الى ذكر ما متعهم به من الانفس والاهل والاموال والمد في الاعمار وأنواع النعم وسلامة الابدان من البلايا والآفات وما متع به آباءهم ولم يعاجلهم بالعقوبة فاغتروا بالمهلة وأكبوا على الشهوات وشغلوا بالنعم عن كلمة التوحيد وبطروا وعادوا على الباطل (حتى جاءهم الحق) يعني القرآن (ورسول مبين) يعني محمدا صلى الله عليه وآله وسلم ظاهر الرسالة واضحها أو مبين لهم ما يحتاجون اليه من أمر الدين فلم يجيبوه ولم يعملوا بما أنزل عليه وفي هذه الغاية خفاء بينه في الكشاف وشروحه وهو أن ما ذكر ليس غاية للتمتيع اذ لا مناسبة بينهما مع ان مخالفة ما بعدها لما قبلها غير مرعي فيها والجواب ان المراد بالتمتيع ما هو سببه من اشتغالهم به عن شكر المنعم فكأنه قال اشتغلوا به حتى جاءهم الحق ورسول مبين وهو غاية في نفس الامر لانه مما ينبههم ويزجرهم لكنهم لطغيانهم عكسوا فهو كقوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة أفاده الشهاب ثم بين سبحانه ما صنعوه عند مجيء الحق فقال (ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون) أي جاحدون فسموا القرآن سحرا وجحدوه واستحقروا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووجه النظم انهم لما عولوا على تقليد الآباء والاسلاف لم يتفكروا في الدليل واغتروا بطول الامهال وامتاع الله اياهم بنعم الدنيا فاعرضوا عن الحق والغرض بهذا الكلام توبيخ المقلد المسيء (وقالوا) متحكمين بالباطل

الكرسي سورا من ذهب مقابلة الطواويس وجعل على يمين الدرجة الاولى شجرتي صنوبر من ذهب عن يسارها أسدان من ذهب وعلى رؤس الاسدين عمودان من زبرجد وجعل من جانبي الكرسي شجرتي كرم من ذهب قد أظلتا الكرسي وجعل عناقيدهما درا وياقوتا أحمر ثم جعل فوق درج الكرسي أسدان عظيمان من ذهب مجوفان محشوان مسكا وعنبرا فاذا أراد سليمان عليه السلام ان يصعد على كرسيه استدار الاسدان ساعة ثم يقعان فيصبان ما في أجوافهما من المسك والعنبر حول كرسي سليمان عليه الصلاة والسلام ثم يوضع منبران من ذهب واحد لخليفته والآخر لرئيس أحبار بني اسرائيل ذلك الزمان ثم يوضع أمام كرسيه سبعون منبرا من ذهب يقعد عليها سبعون قاضيا من بني اسرائيل وعلمائهم وأهل الشرف منهم والطول ومن خلف تلك المنابر كلها خمسة وثلاثون منبرا من ذهب ليس عليها أحد فاذا أراد ان يصعد على كرسيه وضع قدميه على الدرجة السفلى فاستدار الكرسي كله بما فيه وما عليه ويبسط الاسد يده اليمنى وينشر النسر جناحه الايسر ثم يصعد سليمان عليه الصلاة والسلام على الدرجة الثانية فيبسط الاسد يده اليسرى وينشر النسر جناحه الايمن فاذا استوى سليمان عليه الصلاة والسلام على الدرجة الثالثة وقعد على الكرسي أخذ نسر من تلك النسور عظيم تاج سليمان عليه الصلاة والسلام فوضعه على رأسه فاذا وضعه على رأسه استدار الكرسي بما فيه كما تدور الرحا المسرعة فقال معاوية رضي الله عنه وما الذي يديره يا أبا اسحق قال تنين من ذهب ذلك الكرسي عليه وهو عظيم مما عمله صخر الجني فاذا أحست بدورانه تلك الاسود والنسور والطواويس التي في أسفل الكرسي درن الى أعلاه فاذا وقف وقفن كلهن منكسات رؤسهن على رأس سليمان عليه الصلاة والسلام وهو جالس ثم ينضحن جميعا ما في أجوافهن من المسك والعنبر على رأس سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ثم تتناول حمامة من ذهب واقفة على عمود من جوهر التوراة فتجعلها في يده فيقرأها سليمان عليه الصلاة والسلام على الناس وذكر تمام الخبر وهو غريب جدا قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انك أنت الوهاب قال بعضهم معناه لا ينبغي لاحد من بعدي أي لا يصلح لاحد ان يسلبنيه بعدي كما كان من قصة الجسد الذي ألقي على كرسيه لا انه يحجر على من بعده من الناس والصحيح انه سأل من الله تعالى ملكا

لا يكون لاحد من بعده من البشر مثله وهذا هو ظاهر السياق من الآية وبذلك وردت الاحاديث الصحيحة من طرق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا اسحق بن ابراهيم اخبرنا روح ومحمد بن جعفر عن شعبة عن محمد ابن زياد عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عفريتا من الجن تفلت على البارحة أو كلمة نحوها ليقطع على الصلاة فامكنني الله تبارك وتعالى منه وأردت ان أربطه الى سارية من سوارى المسجد حتى تصبحوا وتنظروا اليه كلكم فذكرت قول أخي سليمان عليه الصلاة (٣٠٢) والسلام رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي قال روح فرده خاسئا وكذا رواه مسلم والنسائي من حديث شعبة به وقال مسلم في صحيحه حدثنا محمد بن سلمة المرادي حدثنا عبد الله بن وهب عن معاوية ابن صالح حدثني ربيعة بن يزيد عن أبي ادريس الخولاني عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فسمعناه يقول أعوذ بالله منك ثم قال ألعنك بلعنة الله ثلاثا وبسط يده كأنه يتناول شيأ فلما فرغ من الصلاة قلنا يا رسول الله قد سمعناك تقول في الصلاة شيأ لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك قال صلى الله عليه وسلم ان عدو الله ابليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي فقلت أعوذ بالله منك ثلاث مرات ثم قلت ألعنك بلعنة الله التامة فلم يستأخر ثلاث مرات ثم أردت آخذه والله لولا دعوة أخينا سليمان لاصبح موثقا يلعب به صبيان أهل المدينة وقال الامام أحمد حدثنا أبو أحمد حدثنا مرة بن معبد حدثنا أبو عبيد حاجب سليمان قال رأيت عطاء بن يزيد الليثي قائما يصلي فذهبت أمر بين يديه فردني ثم قال حدثني أبو سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام صلى صلاة الصبح وهو خلفه فقرأ فالتبست عليه القراءة فلما فرغ من صلاته قال لو رأيتموني وابليس فاهويت بيدي فما زلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين اصبعي هاتين الابهام والتي تليها ولولا دعوة أخي سليمان لاصبح مربوطا بسارية من سوارى المسجد يتلاعب به صبيان المدينة فمن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل وقد روى أبو داود منه من استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل عن أحمد بن أبي سريج عن أبي أحمد الزبيري به وقال الامام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا ابراهيم بن محمد

(لولا) هلا (نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) أي رجل عظيم من احدى القريتين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان أي من أحدهما والمراد بهما مكة والطائف قاله ابن عباس وبالرجلين الوليد بن المغيرة من مكة وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف كذا قال قتادة وغيره وقال مجاهد وغيره عتبة بن ربيعة من مكة وعمير بن عبد ياليل الثقفي من الطائف وقال ابن عباس عمير بن مسعود وجبار قريش وقال أيضا العظيم الوليد بن المغيرة القرشي وحبيب بن عمير الثقفي وعنه قال يعنون أشرف من محمد الوليد بن المغيرة من أهل مكة ومسعود الثقفي من أهل الطائف وقيل غير ذلك وظاهر النظم ان المراد رجل من احدى القريتين عظيم الجاه واسع المال مسود في قومه والمعنى انه لو كان قرآنا لنزل على رجل من عظماء القريتين فهؤلاء المساكين قالوا منصب رسالة الله منصب شريف فلا يليق الا برجل شريف وقد صدقوا في ذلك الا انهم ضموا اليه مقدمة فاسدة وهي ان الرجل الشريف عندهم هو الذي يكون كثير المال والجاه ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم ليس كذلك فأجاب الله سبحانه عنهم بقوله (أهم يقسمون رحمت ربك) يعني النبوة أو ما هو أعم منها والاستفهام للانكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من تحكمهم في اختيار من يصلح للنبوة وترسم هذه التاء مجرورة اتباعا للرسم المصحف الامام كما نص عليه ابن الجزري ثم بين انه سبحانه هو الذي قسم بينهم ما يعيشون به من أمور الدنيا فقال (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا) أي نحن أوقعنا هذا التفاوت بين العباد فجعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا مالكا وهذا مملوكا وهذا قويا وهذا ضعيفا ولم نفوض ذلك اليهم وليس لاحد من العباد أن يتحكم في شئ بل الحكم لله وحده واذا كان الله سبحانه هو الذي قسم بينهم أرزاقهم فكيف لا يقنعون بقسمته في أمر النبوة وتفويضها الى من يشاء من خلقه قال مقاتل يقول بأيديهم مفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاؤا وقرأ الجمهور معيشتهم بالافراد وقرأ ابن عباس ومجاهد وابن محيصن معايشهم بالجمع (و) معنى (رفعنا بعضهم فوق بعض درجات) انه فاضل بينهم فجعل بعضهم أفضل من بعض في الدنيا بالرزق والرياسة والقوة والحرية والعقل والعلم ثم ذكر العلة لرفع درجات بعضهم على بعض فقال (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) أي ليستخدم بعضهم بعضا فيستخدم الغني الفقير والرئيس المرؤس والقوي الضعيف والحر العبد والعاقل من دونه في العقل والعالم الجاهل وهذا في غالب أحوال أهل الدنيا وبه تتم مصالحهم

وينتظم

الفزارى حدثنا الاوزاعى حدثنى ربيعة بن يزيد بن عبد الله الديلى قال دخلت على عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما وهو فى حائطه بالطائف يقال له الوهط وهو مخاصر فتى من قريش يزنى ويشرب الخمر فقلت بلغنى عنك حديث انه من شرب شربة من الخمر لم يقبل الله عز وجل له توبة أربعين صباحا وان الشقى من شقى فى بطن أمه وانه من أتى بيت المقدس لا ينهزه الا الصلاة فيه خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه فلما سمع الفتى ذكر الخمر اجتذب يده من يده ثم انطلق فقال عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما انى لا أحل لاحد أن يقول على ما لم أقل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شرب من الخمر شربة لم تقبل له صلاة أربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم تقبل له صلاة أربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه قال فلا أدرى فى الثالثة أو الرابعة قال فان عاد كان حقا على الله تعالى أن يسقيه من طينة الخبال يوم القيامة قال وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل خلق خلقه فى ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من نوره يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل فلذلك أقول جف القلم على علم الله عز وجل وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان سليمان عليه السلام سأل الله تعالى ثلاثا فاعطاه اثنتين ونحن نرجو أن تكون لنا الثالثة سأله حكما يصادف حكمه فاعطاه اياه وسأله ملكا لا ينبغى لاحد من بعده فاعطاه اياه وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد الا الصلاة فى هذا المسجد خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه فنحن نرجو ان يكون الله عز وجل قد أعطاه اياها وقد روى هذا الفصل الاخير من هذا الحديث النسائى وابن ماجه من طرق عن عبد الله بن فيروز الديلمى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سليمان عليه الصلاة والسلام لما بنى بيت المقدس سأل ربه عز وجل خلالا ثلاثا وذكره وقد روى من حديث رافع بن عمر رضى الله عنه باسناد وسياق غريبين وقال الطبرانى حدثنا محمد بن الحسن بن قتيبة العسقلانى حدثنا محمد بن أيوب بن سويد حدثنى أبى حدثنا ابراهيم بن أبى عبلة عن أبى الزاهرية عن رافع بن عمير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل لداود عليه الصلاة والسلام ابن لى بيتا فى الارض فبنى داود بيتا لنفسه قبل البيت الذى أمر به فاوحى الله اليه يا داود نصبت بيتك قبل بيتى قال يا رب هكذا قضيت من ملك استأثر ثم أخذ فى بناء

وينتظم معاشهم ويصل كل واحد منهم الى مطلوبه فان كل صناعة دنياوية يحسنها قوم دون آخرين فجعل البعض محتاجا الى البعض لتحصل المواساة بينهم فى متاع الدنيا ويحتاج هذا الى هذا ويصنع هذا لهذا ويعطى هذا هذا وقال السدى وابن زيد سخريا خولا وخدما يسخر الاغنياء الفقراء فيكون بعضهم سببا لمعاش بعض وقال قتادة والضحاك ليملك بعضهم بعضا وقيل هو من السخرية التى بمعنى الاستهزاء قال الاخفش سخرت به وسخرت منه وضحكت به وضحكت منه وهزأت به وهزأت منه وهذا وان كان مطابقا للمعنى اللغوى ولكنه بعيد من معنى القرآن ومناف لما هو مقصود السياق وعلى هذا القول تكون اللام للصيرورة والعاقبة لا للعلة والسببية (ورحمة ربك) يعنى بالرحمة ما أعده الله لعباده الصالحين فى الدار الآخرة وقيل هى النبوة لانها المرادة بالرحمة المتقدمة فى قوله أهم يقسمون رحمت ربك ولا مانع من أن يراد كل ما يطلق عليه اسم الرحمة اما شمولا أو بدلا (خير مما يجمعون) أى مما يجمعونه من الاموال وسائر متاع الدنيا لان الدنيا على شرف الزوال والانقراض وفضل الله ورحمته تبقى ابد الابدين ثم بين سبحانه حقارة الدنيا عنده فقال (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) أى لولا أن يجتمعوا على الكفر ميلا الى الدنيا وزخرفها أو رغبوا فيه اذا رأوا الكفار فى سعة وتنعم (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة) جمع الضمير فى بيوتهم وأفرده فى يكفر باعتبار معنى من ولفظها ولبيوتهم بدل اشتمال من الموصول واللام للاختصاص والسقف جمع سقف قرأ الجمهور بضم السين والقاف كرهن ورهن قال أبو عبيدة ولا ثالث لهما وقال الفراء هو جمع سقيف نحو كثيب وكثب ورغيف ورغف وقيل هو جمع سقوف فيكون جمعا للجمع وقرئ بفتح السين واسكان القاف على الافراد ومعناه الجمع لكونه للجنس قال الحسن معنى الآية لولا ان يكفر الناس جميعا بسبب ميلهم الى الدنيا وتركهم الآخرة لاعطيناهم فى الدنيا ما وصفناه لهوان الدنيا عندنا وقال بهذا أكثر المفسرين وقال ابن زيد لولا ان يكون الناس أمة واحدة فى طلب الدنيا واختيارهم لها على الآخرة وقال الكسائى المعنى لولا ان يكون فى الكفار غنى وفقير وفى المسلمين مثل ذلك لاعطينا الكفار من الدنيا لهوانها (ومعارج) كالدرج من فضة جمع معرج بفتح الميم وكسرها وسميت المصاعد من الدرج المعارج لان المشى عليها مثل مشى الاعرج ومعاريج جمع معراج والمعراج السلم وهى لغة بعض تميم

المسجد فلما تم السور سقط ثلثه فشكا ذلك إلى الله عز وجل فقال يا داود إنك لا تصلح أن تبني لي بيتا قال ولم يا رب قال لما جرى على يديك من الدماء قال يا رب أو ما كان ذلك في هواك ومحبتك قال بلى ولكنهم عبادي وأنا أرحمهم فشق ذلك عليه فأوحى الله إليه لا تحزن فإني سأقضي بناءه على يدي ابنك سليمان فلما مات داود أخذ سليمان في بنائه ولما تم قرب القرابين وذبح الذبائح وجمع بني إسرائيل فأوحى الله إليه قد أرى سرورك ببنيان بيتي فسلني أعطك قال أسألك ثلاث خصال حكما يصادف حكمك وملكا لا ينبغي لأحد من بعدي ومن أتى هذا البيت لا يريد (٣٠٤) إلا الصلاة فيه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما اثنتان فقد أعطيهما وأنا أرجو أن يكون قد أعطي الثالثة وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا عمر بن راشد اليمامي حدثنا إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه رضي الله عنه قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلا استفتحه سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب وقد قال أبو عبيد حدثنا علي بن ثابت عن جعفر بن برقان عن صالح بن مسمار قال لما مات نبي الله داود عليه السلام أوحى الله تبارك وتعالى إلى ابنه سليمان عليه الصلاة والسلام أن سلني حاجتك قال أسألك أن تجعل لي قلبا يخشاك كما كان قلب أبي وأن تجعل قلبي يحبك كما كان قلب أبي فقال الله عز وجل أرسلت إلى عبدي وسألته حاجته فكانت حاجته أن أجعل قلبه يخشاني وأن أجعل قلبه يحبني لأهبن له ملكا لا ينبغي لأحد من بعده قال الله جلت عظمته فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب والتي بعدها قال فأعطاه ما أعطاه وفي الآخرة لا حساب عليه هكذا أورده أبو القاسم بن عساكر في ترجمة سليمان عليه الصلاة والسلام في تاريخه وروي عن بعض السلف أنه قال بلغني عن داود عليه الصلاة والسلام أنه قال إلهي كن لسليمان كما كنت لي فأوحى الله عز وجل إليه أن قل لسليمان أن يكون لي كما كنت لي أكن له كما كنت لك وقوله تبارك وتعالى فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب قال الحسن البصري رحمه الله لما عقر سليمان عليه الصلاة والسلام الخيل غضبا لله عز وجل عوضه الله تعالى ما هو خير منها وأسرع الريح التي غدوها شهر ورواحها شهر وقوله جل وعلا حيث أصاب أي حيث أراد من البلاد وقوله جل جلاله والشياطين كل بناء وغواص أي منهم

وهذا كمفاتح جمع مفتح ومفاتيح جمع مفتاح قال الأخفش إن شئت جعلت الواحدة معرج ومعرج مثل مرقاة ومرقاة والمعنى جعلنا لهم معارج من فضة (عليها) أي على المعارج (يظهرون) يرتقون ويصعدون يقال ظهرت على البيت أي علوت سطحه (ولبيوتهم أبوابا وسررا) أي وجعلنا لبيوتهم أبوابا من فضة وسررا من فضة وتكرير لفظ البيوت لزيادة التقرير (عليها) أي على السرر وهو جمع سرير وقيل جمع أسرة فيكون جمع الجمع (يتكئون) الاتكاء والتوكؤ التحامل على الشيء ومنه أتوكأ عليها واتكأ على الشيء فهو متكئ والموضع متكأ (وزخرفا) أي وجعلنا لهم زخرفا فيجعلوه في السقف والمعارج والأبواب والسرر فيكون بعض كل منها من فضة وبعضه من ذهب لأنه أبلغ في الزينة وقيل النصب بنزع الخافض أي أبوابا وسررا من فضة ومن ذهب فلما حذف الخافض انتصب والزخرف الذهب وقيل الزينة أعم من أن يكون ذهبا أو غيره قال ابن زيد هو ما يتخذه الناس في منازلهم من الأمتعة والأثاث وقال الحسن النقوش وأصله الزينة يقال زخرفت الدار زينتها وتزخرف فلان أي تزين قال ابن عباس في الآية يقول لولا أن يفعل الناس كلهم كفارا لجعلنا لبيوت الكفار سقفا من فضة ومعارج من فضة وهي درج عليها يصعدون إلى الغرف وسرر فضة وزخرفا وهو الذهب وأخرج الترمذي وصححه وابن ماجه عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وعن المستورد بن شداد قال كنت في الركب الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على السخلة الميتة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أترون هذه هانت على أهلها حين ألقوها قالوا من هوانها ألقوها يا رسول الله قال فالدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها أخرجه الترمذي وحسنه وعن قتادة بن النعمان أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال إذا أحب الله عبدا حماه من الدنيا كما يظل أحدكم يحمي سقيمه الماء أخرجه الترمذي وقال حسن غريب وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر أخرجه مسلم قال البقاعي ولا يبعد أن يكون ما صار إليه الفسقة والجبابرة من زخرفة الأبنية وتذهيب السقوف وغيرها من مبادي الفتنة بأن يكون الناس أمة واحدة في الكفر قرب الساعة حتى لا تقوم الساعة على من يقول الله أو في زمن الدجال لأن من يبقى إذ ذاك على الحق في

غاية القلة بحيث إنه لا عداد له في جانب الكثرة لأن كلام الملوك لا يخلو عن حقيقة وإن خرج مخرج الشرط وكيف بملك الملوك سبحانه ثم أخبر سبحانه أن جميع ذلك إنما يتمتع به في الدنيا فقال (وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا) قرأ الجمهور لما بالتخفيف وقرئ بالتشديد فعلى الأولى إن هي المخففة من الثقيلة وعلى الثانية هي النافية ولما بمعنى إلا أي ما كل ذلك إلا ما يتمتع به في الدنيا وقرئ بكسر اللام من لما على أن اللام للعلة وما موصولة والعائد محذوف أي للذي هو متاع (والآخرة) أي الجنة (عند ربك للمتقين) أي لمن اتقى الشرك والمعاصي وآمن بالله وحده وعمل بطاعته وترك الدنيا وآثر الآخرة فإنها الباقية التي لا تفنى ونعيمها الدائم الذي لا ينقطع (ومن يعش) يقال عشوت إلى النار قصدتها وعشوت عنها أي أعرضت عنها كما تقول عدلت إلى فلان وعدلت عنه أي ملت إليه وملت عنه كذا قال الفراء والزجاج وأبو الهيثم والأزهري وقال الخليل العشو النظر الضعيف وقال أبو عبيدة والأخفش إن معنى ومن يعش ومن تظلم عينه وهو نحو قول الخليل وهذا على قراءة الجمهور ومن يعش بضم الشين من عشا يعشو وقرئ بفتح الشين يقال عشي الرجل يعشى عشا إذا عمي وقال الجوهري العشا مقصور مصدر الأعشى وهو الذي لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار والمرأة عشواء وقرئ يعشو بالواو على أن من موصولة غير متضمنة معنى الشرط والمعنى ومن يعرض ويتعامى ويتجاهل ويتغافل (عن ذكر الرحمن) ولم يخف عقابه ولم يرج ثوابه وقيل يول ظهره عن القرآن (نقيض له شيطانا) قرأ الجمهور بالنون وقرئ بالتحتية مبنيا للفاعل وقرأ ابن عباس بالتحتية مبنيا للمفعول ورفع شيطان على النيابة والمعنى نسبب له جزاء على كفره شيطانا (فهو له قرين) أي ملازم له في الدنيا يمنعه من الحلال ويبعثه على الحرام وينهاه عن الطاعة ويأمره بالمعصية ولا يفارقه وقيل في الآخرة إذا قام من قبره قاله سعيد الجريري وقيل فيهما قال القشيري وهو الصحيح أو هو ملازم للشيطان لا يفارقه بل يتبعه في جميع أموره ويطيعه في كل ما يوسوس به إليه وقال الزجاج معنى الآية إن من أعرض عن القرآن وما فيه من الحكم إلى أباطيل المضلين يعاقبه الله بشيطان يقيضه له حتى يضله ويلازمه قرينا فلا يهتدي مجازاة له حين آثر الباطل على الحق المبين أخرج ابن أبي حاتم عن محمد بن عثمان المخزومي أن قريشا قالت قيضوا لكل رجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم رجلا يأخذه فقيضوا لأبي بكر طلحة بن عبيد الله فأتاه وهو في القوم فقال أبو بكر إلام تدعوني قال أدعوك إلى عبادة اللات والعزى قال أبو بكر وما اللات قال أولاد الله قال وما العزى قال بنات الله قال أبو بكر فمن أمهم فسكت طلحة فلم يجبه فقال لأصحابه أجيبوا الرجل فسكت القوم فقال طلحة قم يا أبا بكر أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فأنزل الله هذه الآية وثبت في صحيح مسلم وغيره أن مع كل مسلم قرينا من الجن (وإنهم) أي وإن الشياطين الذين يقيضهم الله لكل أحد ممن يعشو عن ذكر الرحمن كما هو معنى من (ليصدونهم عن السبيل) أي يحولون بينهم وبين سبيل الحق ويمنعونهم منه ويوسوسون لهم أنهم على الهدى حتى يظنوا صدق ما يوسوسون به وهو معنى قوله (ويحسبون أنهم) أي يحسب

من هو مستعمل في الأبنية الهائلة من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات إلى غير ذلك من الأعمال الشاقة التي لا يقدر عليها البشر وطائفة غواصون في البحار يستخرجون ما فيها من اللآلئ والجواهر والأشياء النفيسة التي لا توجد إلا فيها وآخرين مقرنين في الأصفاد أي مربوطين في الأغلال والأكبال ممن تمرد وعصى وامتنع من العمل وأبى أو قد أساء في صنيعه

الكفار أن الشياطين (مهتدون) فيطيعونهم أو يحسب الكفار بسبب تلك الوسوسة أنهم
في أنفسهم مهتدون وصيغة المضارع في الافعال الاربعة للدلالة على الاستمرار التجددي
لقوله (حتى اذا جاءنا) فان حتى وان كانت ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية لكنها
تقتضي حتما أن تكون غاية لامر ممتد كما مر مرارا قاله أبو السعود وقرأ الجمهور بالتثنية
اى الكافر والشيطان المقارن له وقرئ بالافراد اى الكافر او كل واحد منهما (قال)
الكافر مخاطبا للشيطان (ياليت) كان في الدنيا (بيني وبينك بعد المشرقين) أي بعد ما بين
المشرق والمغرب فغلب المشرق على المغرب قال مقاتل تمنى الكافر أن بينهما بعد
مشرق أطول يوم في السنة من مشرق أقصر يوم في السنة والاول أولى وبه قال الفراء
(فبئس القرين) أي أنت أيها الشيطان (ولن ينفعكم اليوم) هذا حكاية لما سيقال لهم
يوم القيامة (اذ ظلمتم) اى لاجل ظلمكم أنفسكم في الدنيا وقيل ان اذ بدل من اليوم لانه
تبين ذلك في اليوم انهم ظلموا أنفسهم في الدنيا (انكم في العذاب مشتركون) قرأ الجمهور
بفتح ان على انها وما بعدها في محل رفع على الفاعلية اى لن ينفعكم اليوم اشتراككم في
العذاب قال المفسرون لا يخفف عنهم بسبب الاشتراك شيء من العذاب لان لكل أحد من
الكفار والشياطين الحظ الاوفر منه وقيل انها للتعليل لنفي النفع أي لن ينفعكم
الاعتذار والندم اليوم فأنتم وقرناؤكم اليوم مشتركون في العذاب كما كنتم مشتركين
في سببه في الدنيا ويقوى هذا المعنى قراءة ان بالكسر ثم ذكر سبحانه انهم لا تنفع الدعوة
والوعظ من سبقت له الشقاوة فقال (أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمى) الهمزة لانكار
التعجب اى ليس لك ذلك فلا يضيق صدرك ان كفروا وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم واخبار له بانه لا يقدر على ذلك الا الله عز وجل (ومن كان في ضلال مبين) عطف
على العمى للتغاير العنواني والا فالمصداق واحد أي انك لا تهدي من كان كذلك ومعنى
الآية ان هؤلاء الكفار بمنزلة الصم الذين لا يعقلون ما جئت به وبمنزلة العمي الذين
لا يبصرون لافراطهم في الضلالة وتمكنهم من الجهالة (فاما نذهبن بك) بالموت قبل أن تنزل
بهم العذاب وقيل المعنى نخرجنك من مكة (فانا منهم منتقمون) اما في الدنيا أو في الآخرة
قال علي كرم الله وجهه ذهب الله بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم وبقيت نقمته في عدوه
(أو نرينك الذي وعدناهم) من العذاب قبل موتك (فانا عليهم مقتدرون) متى شئنا
عذبناهم قال كثير من المفسرين قد أراه الله ذلك يوم بدر وبه قال ابن عباس وقال الحسن
وقتادة هي في أهل الاسلام يريد ما كان بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الفتن وقد
كان بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتنة شديدة فأكرم الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم
وذهب به فلم يره في أمته شيئا من ذلك والاول أولى (فاستمسك بالذي أوحي اليك) من
القرآن وان كذب به من كذب (انك على صراط مستقيم) أي طريق واضح تعليل
للاستمساك اوللامر به (وانه) أي وان القرآن (لذكر لك ولقومك) أي شرف لك ولقريش
اذ نزل عليك وأنت منهم بلغتك ولغتهم ومثله قوله لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وقيل بيان

لك

واعتدى وقوله عز وجل هذا
عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب
أي هذا الذي أعطيناك من الملك
التام والسلطان الكامل كما سألتنا
فاعط من شئت وأحرم من شئت
لا حساب عليك أي مهما فعلت
فهو جائز لك احكم بما شئت فهو
صواب وقد ثبت في الصحيحين ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
خير بين ان يكون عبدا رسولا
وهو الذي يفعل ما يؤمر به وانما هو

لك ولأمتك فما لكم حاجة وقيل تذكرة تذكرون بها أمر الدين وتعملون به وعن علي وابن عباس قالا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعرض نفسه على القبائل بمكة ويعدهم الظهور فإذا قالوا لمن الملك بعدك أمسك فلم يجبهم بشيء لأنه لم يؤمر في ذلك بشيء حتى نزلت وإنه لذكر لك ولقومك فكان إذا سئل بعد قال لقريش فلا يجيبوه حتى قبلته الانصار على ذلك وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي منهم اثنان أخرجه الشيخان وعن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان هذا الامر في قريش لا يعاديهم أحد الا أكبه الله تعالى على وجهه ما أقاموا الدين أخرجه البخاري (وسوف تسألون) عما جعل الله لكم من الشرف كذا قال الزجاج والكلبي وغيرهما وقيل يسألون عما يلزمهم من القيام بما فيه والعمل به وعن تعظيمهم له وشكرهم لهذه النعمة يوم القيامة (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن) أي غيره (آلهة يعبدون) قال الزهري وسعيد بن جبير وابن زيد ان جبريل قال ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أسري به فالمراد سؤال الانبياء في ذلك الوقت عند ملاقاته لهم وبه قال جماعة من السلف وقال المبرد والزجاج وجماعة من العلماء ان المعنى واسأل أمم من قد أرسلنا قال ابن عباس ومجاهد والسدي والضحاك وقتادة وعطاء والحسن وفائدة إيقاع السؤال على الرسل مع ان المراد أممهم التنبيه على ان المسؤول عنه عين ما نطقت به ألسنة الرسل لا ما تقوله علماؤهم من تلقاء أنفسهم وعلى الاول هي مكية وعلى الثاني مدنية ومعنى الآية على القولين سؤالهم هل أذن الله بعبادة الاوثان في ملة من الملل وهل سوغ ذلك لاحد منهم والمقصود تقريع مشركي قريش بان ما هم عليه لم يأت في شريعة من الشرائع وقيل ليس المراد سؤال الرسل حقيقة السؤال ولكنه مجاز عن النظر في أديانهم والفحص عن مللهم هل جاءت عبادة الاوثان قط في ملة من ملل الانبياء وكفاه نظرا وفحصا نظره في كتاب الله المعجز المصدق لما بين يديه واخبار الله فيه بانهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وهذه الآية في نفسها كافية لا حاجة الى غيرها ولما أعلم الله سبحانه نبيه بانه منتقم له من عدوه وذكر اتفاق الانبياء على التوحيد أتبعه بذكر قصة موسى وفرعون وبيان ما نزل بفرعون وقومه من النقمة فقال (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) التسع التي تقدم بيانها (الى فرعون وملائه) أي القبط (فقال اني رسول رب العالمين) ارسلني اليكم فما أجابوه عند قوله هذا محذوف دل عليه قوله (فلما جاءهم بآياتنا) وهو مطالبتهم اياه باحضار البينة على دعواه وابراز الآية (اذا هم منها يضحكون) استهزاء وسخرية وجواب لما هو اذا الفجائية لان التقدير فاجأوا وقت ضحكهم (وما نريهم من آية الا هي أكبر من أختها) أي كل واحدة من آيات موسى أكبر مما قبلها وأعظم قدرا مع كون التي قبلها عظيمة في نفسها وقيل المراد بهذا الكلام انهن موصوفات بالكبر ولا يكدن يتفاوتن فيه وعليه كلام الناس هما أخوان كل واحد منهما أكبر من الآخر وقيل المعنى ان الاولى تقتضي علما والثانية

قاسما يقسم بين الناس كما أمره الله تعالى به وبين أن يكون نبيا ملكا يعطي من يشاء ويمنع من يشاء بلا حساب ولا جناح اختار المنزلة الاولى بعدما استشار جبريل عليه الصلاة والسلام فقال له تواضع فاختار المنزلة الاولى لانها أرفع قدرا عند الله عز وجل وأعلى منزلة في المعاد وان كانت المنزلة الثانية وهي النبوة مع الملك عظيمة أيضا في الدنيا والآخرة ولهذا المقام كرسالة

بعضها على بعض فاذا اضيفت الثانية الى الاولى ازدادت الوضوح ومعنى الاخوة بين الآيات انها
متشاكلة متناسبة في دلالتها على صحة نبوة موسى كما يقال هذه صاحبة هذه اى هما
قرينتان في المعنى وقيل المعنى ان كل واحدة من الآيات اذا انفردت ظن الظان انها أكبر
من سائر الآيات (وأخذناهم) بسبب تكذيبهم تلك الآيات (بالعذاب) أي بالسنين
والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس كما قال تعالى ولقد أخذنا آل
فرعون بالسنين الآية ثم بين سبحانه العلة في أخذه إياهم بالعذاب وهي رجاء رجوعهم فقال
(لعلهم يرجعون) أي لكي يرجعوا عن الكفر الى الايمان ولما عاينوا ما جاءهم به من
الآيات البينات والدلالات الواضحات ظنوا ان ذلك من قبيل السحر (وقالوا يا أيه
الساحر) وكانوا يسمون العلماء سحرة ويوقرون السحرة ويعظمونهم ولم يكن السحر صفة
ذم عندهم قال الزجاج خاطبوه بما تقدم له عندهم من التسمية بالساحر وقيل قالوه في
تلك الحال لشدة شكيمتهم وفرط حماقتهم وقيل الظاهر ان النداء كان باسمه العلم كما في الاعراف
في قوله يا موسى (ادع لنا ربك بما عهد عندك) لكن حكى الله سبحانه كلامهم
لا بعبارتهم بل على وفق ما أضمروه في قلوبهم من اعتقادهم انه ساحر لاقتضاء مقام التسلية
ذلك قال قتادة سموه ساحرا وزعموا ما أتى به سحرا آية قال الكرخي والمعنى ادع لنا
أخبرنا من عهده اليك انا اذا آمنا كشف عنا العذاب الذي نزل بنا (انا لمهتدون) أي
نحن مهتدون فيما يستقبل من الزمان ومؤمنون بما جئت به (فلما كشفنا عنهم
العذاب) في الكلام حذف والتقدير فدعا موسى ربه فكشف عنهم العذاب فلما كشف
عنهم العذاب (اذا هم ينكثون) فاجؤوا نكثهم للعهد الذي جعلوه على أنفسهم من
الاهتداء والنكث النقض وكانوا ينقضونه في كل مرة من مرات العذاب (ونادى
فرعون) افتخارا (في قومه) قيل لما رأى تلك الآيات خاف ميل القوم الى موسى فجمعهم
ونادى بصوته فيما بينهم او أمر مناديا ينادي بقوله (قال يا قوم أليس لي ملك مصر)
لا ينازعني فيه أحد ولا يخالفني فيه مخالف (وهذه الانهار تجري من تحتي) اى والحال
ان الانهار تجري من تحت قصري والمراد انهار النيل وقال قتادة المعنى تجري بين يدي
وفي بساتيني قال الحسن تجري بأمري أي تجري تحت أمري وقال الضحاك اراد بالانهار
القواد والرؤساء والجبابرة وانهم يسيرون تحت لوائه وقيل أراد بالانهار الاموال والاول
أولى (أفلا تبصرون) ذلك وتستدلون به على قوة ملكي وعظم قدري وضعف موسى عن
مقاومتي وعن الرشيد انه لما قرأها قال لاولينها أخس عبيدي فولاها الخصيب وكان
خادمه على وضوئه وعن عبد الله بن طاهر انه وليها فخرج اليها فلما شارفها ووقع عليها بصره قال أهي القرية
التي افتخر بها فرعون حتى قال أليس لي ملك مصر والله لهي أقل عندي من ان أدخلها
فثنى عنانه (أم أنا خير) أم هي المنقطعة المقدرة ببل التي للاضراب دون الهمزة التي
للانكار أي بل أنا خير قال أبو عبيدة أم بمعنى بل والمعنى قال فرعون لقومه بل أنا
خير وقال الفراء ان شئت جعلتها من الاستفهام الذي جعل بأم لاتصاله بكلام قبله

وتعالى ما أعطى سليمان عليه
الصلاة والسلام في الدنيا نبه تعالى
على انه حظ عظيم عند الله يوم
القيامة ايضا فقال تعالى وان له عندنا
لزلفى وحسن مآب أي في الدار
الآخرة (واذكر عبدنا أيوب اذ
نادى ربه أني مسني الشيطان
بنصب وعذاب اركض برجلك هذا
مغتسل بارد وشراب ووهبنا له أهله
ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى
لأولي الألباب وخذ بيدك ضغثا

وقيل

وقيل هي زائدة وحكى أبو زيد عن العرب أنهم يجعلون أم زائدة والمعنى أنا خير من هذا وقال الأخفش في الكلام حذف والمعنى أفلا تبصرون أم تبصرون ثم ابتدأ فقال أنا خير وروى عن الخليل وسيبويه نحو قول الأخفش ويؤيد هذا أن عيسى الثقفي ويعقوب الحضرمي وقفا على أم على تقدير أم تبصرون فحذف لدلالة الأول عليه وعلى هذا فيكون أم متصلة لا منقطعة والأول أولى وحكى الفراء أن بعض القراء قرأ أما أنا خير أي ألست خيرا (من هذا الذي هو مهين) أي ضعيف حقير ممتهن في نفسه لا عز له لأنه يتعاطى أموره بنفسه وليس له ملك ولا قوة يجري بها نهرا أو ينفذ بها أمرا (ولا يكاد يبين) الكلام لما في لسانه من العقدة وقد تقدم بيانه في سورة طه قال ابن عباس في الآية كانت لموسى لثغة في لسانه واللثغة التصيير أن تصير الراء غينا أو لاما أو السين ثاء وقد لثغ من باب طرب فهو ألثغ وقيل المعنى لا يكاد يبين حجته الدالة على صدقه فيما يدعي ولم يرد به أنه لا قدرة له على الكلام والأول أولى (فلولا ألقي عليه) من عند مرسله الذي يدعي أنه الملك بالحقيقة (أسورة) جمع سوار وبها قرأ حفص وقرأ الجمهور أساور جمع أسورة وقال أبو عمرو بن العلاء واحد الأساورة والأساور والأساوير إسوار وهي لغة في سوار وقرأ أبي أساور وابن مسعود أساوير قال مجاهد كانوا إذا سوّدوا رجلا سوّروه بسوارين وطوّقوه بطوق ذهب علامة لسيادته أرادوا بإلقاء الأسورة عليه إلقاء مقاليد الملك إليه أي فهلا حلي بأسورة (من ذهب) إن كان عظيما مقدما سيدا (أو جاء معه الملائكة مقترنين) أي هلا جاء معه الملائكة متتابعين متقارنين إن كان صادقا يعينونه على أمره ويشهدون له بالنبوة ويمشون معه فأوهم اللعين قومه أن الرسل لا بد أن يكونوا على هيئة الجبابرة ومحفوفين بالملائكة (فاستخف قومه) أي حملهم على خفة الجهل والسفه بقوله وكيده وغروره بالقول واستزلهم وحمل فهم كلامه وقيل طلب منهم الخفة في الطاعة وهي الإسراع قال ابن الأعرابي المعنى فاستجهل قومه فأطاعوه لخفة أحلامهم وقلة عقولهم يقال استخفه الفرح أي أزعجه واستخفه أي حمله ومنه ولا يستخفنك الذين لا يوقنون وقد استخف بقومه وقهرهم حتى اتبعوه وعززوه وقيل استخف قومه أي وجدهم خفاف العقول وصيغة الاستفعال للوجدان وفي نسبته إلى القوم تجوز (فأطاعوه) فيما أمرهم به وقبلوا قوله وكذبوا موسى (إنهم كانوا قوما فاسقين) أي خارجين عن طاعة الله (فلما آسفونا) أي أغضبونا قاله المفسرون والأسف الغضب وقيل أشد الغضب وقيل السخط وقيل المعنى أغضبوا رسلنا قال ابن عباس فلما أسخطونا وأغضبونا أي بالإفراط في الفساد والعصيان (انتقمنا منهم) ثم بين العذاب الذي وقع به الانتقام فقال (فأغرقناهم أجمعين) في البحر وإنما أهلكوا بالغرق ليكون هلاكهم بما تعززوا به وهو الماء في قوله وهذه الأنهار تجري من تحتي وفيه إشارة إلى أن من تعزز بشيء دون الله أهلكه الله به وقد استضعف اللعين موسى وعابه بالفقر والضعف فسلطه الله تعالى عليه إشارة إلى أنه ما استضعف أحد شيئا إلا غلبه أفاده القشيري أخرج أحمد والطبراني والبيهقي في الشعب وابن أبي حاتم عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

فاصبر به ولا تحنث إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أوّاب) يذكر تبارك وتعالى عبده ورسوله أيوب عليه الصلاة والسلام وما كان ابتلاه تعالى به من الضر في جسده وماله وولده حتى لم يبق من جسده مغرز إبرة سليما سوى قلبه ولم يبق له من الدنيا شيء يستعين به على مرضه وما هو فيه غير أن زوجته حفظت وده لإيمانها بالله تعالى ورسوله فكانت تخدم الناس بالأجرة

قال اذا رأيت الله يعطى العبد ما يشاء وهو مقيم على معاصيه فانما ذلك استدراج منه له وقرأ فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين وعن طارق بن شهاب قال كنت عند عبد الله فذكر عنده موت الفجأة فقال تخفيف على المؤمن وحسرة على الكافر فلما آسفونا انتقمنا منهم (فجعلناهم سلفا) أى قدوة لمن عمل بعملهم من الكفار فى استحقاق العذاب لاجل الاغترار بهم قرأ الجمهور سلفا بفتح السين واللام جمع سالف كخدم وخادم ورصد وراصد وحرس وحارس يقال سلف يسلف اذا تقدم ومضى قال الفراء والزجاج جعلناهم متقدمين ليتعظ بهم الآخرون اللاحقون وقرئ سلفا بضم السين واللام قال الفراء هو جمع سليف نحو سرر وسرير وقال أبو حاتم هو جمع سلف نحو خشب وخشب وقرئ بضم السين وفتح اللام جمع سلفة وهى الفرقة المتقدمة نحو غرف وغرفة كذا قال النضر بن شميل وقال ابن عباس سلفا أهواء مختلفة (ومثلا للآخرين) أى عبرة وموعظة لمن يأتى بعدهم أو قصة عجيبة تجرى مجرى الامثال وتسير مسير الاقوال ولما قال سبحانه واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون تعلق المشركون بأمر عيسى وقالوا ما يريد محمد صلى الله عليه وآله وسلم الا ان نتخذه الها كما اتخذ النصارى عيسى بن مريم فأنزل الله (ولما ضرب ابن مريم مثلا) كذا قال قتادة ومجاهد وقال الواحدى أكثر المفسرين على ان هذه الآية نزلت فى مجادلة ابن الزبعرى مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال ابن الزبعرى (١) خصمتك ورب الكعبة أليست النصارى يعبدون المسيح واليهود عزيرا وبنو مليح الملائكة فان كان هؤلاء فى النار فقد رضينا ان نكون نحن وآلهتنا معهم ففرحوا به وضحكوا وارتفعت أصواتهم فأنزل الله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ونزلت هذه الآية المذكورة هنا وقد مضى هذا فى سورة الانبياء ولا يخفاك ان ما قاله ابن الزبعرى مندفع من أصله وباطل برمته فان الله سبحانه قال انكم وما تعبدون ولم يقل ومن تعبدون حتى يدخل فى ذلك العقلاء كالمسيح وعزير والملائكة قال الشهاب ابن الزبعرى هو عبد الله الصحابى المشهور وهذه القصة على تقدير صحتها كانت قبل اسلامه (اذا قومك) يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم (منه) أى من ذلك المثل المضروب (يصدون) أى يضجون ويصيحون فرحا بذلك المثل المضروب والمراد بقومه هنا كفار قريش اذ ظنوا انه ألزم وأفحم النبى صلى الله عليه وآله وسلم به وهو انما سكت انتظارا للوحى قرأ الجمهور يصدون بكسر الصاد وقرئ بضمها وهما لغتان قال الكسائى والفراء والزجاج والاخفش هما لغتان ومعناهما يضجون قال الجوهرى صد يصد صديدا أى ضج وقيل انه بالضم الاعراض وبالكسر من الضجيج قاله قطرب قال أبو عبيد لو كانت من الصدود عن الحق لقال اذا قومك عنه يصدون عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لقريش انه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير قالوا ألست تزعم ان عيسى كان نبيا وعبدا من عباد الله صالحا وقد عبدته النصارى فان كنت صادقا فانه كآلهتهم فأنزل الله ولما ضرب ابن مريم مثلا الآية قلت وما يصدون قال

يضجون

وتطعمه وتخدمه خواص ثمانى عشرة سنة وقد كان قبل ذلك فى مال جزيل وأولاد وسعة طائلة من الدنيا فسلب جميع ذلك حتى آل به الحال ان ألقى على مزبلة من مزابل البلدة هذه المدة بكمالها ورفضه القريب والبعيد سوى زوجته رضى الله عنها فانها كانت لا تفارقه صباحا ومساء الا بسبب خدمة الناس ثم تعود اليه قريبا فلما طال المطال واشتد الحال وانتهى القدر

(١) بكسر الزاى المعجمة وفتح الباء الموحدة وسكون العين والراء المهملة والالف المقصورة سعد اهسى الخلق اه منه

يصدون (وقالوا أآلهتنا خير) عندك (أم هو) أي المسيح قال السدي وابن زيد خاصموه وقالوا ان كان كل من عبد غير الله في النار فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة وقال قتادة يعنون محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أي أآلهتنا خير أم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويقوي هذا قراءة ابن مسعود أآلهتنا خير أم هذا (ما ضربوه لك الا جدلا) أي ما ضربوا لك هذا المثل في عيسى الا ليجادلوك لا لطلب الحق حتى يرجعوا اليه عند ظهوره وبيانه على ان جدلا منتصب على العلة أو مجادلين على انه مصدر في موضع الحال وقرئ جدالا (بل هم قوم خصمون) اى شديدو الخصومة كثير واللدد عظيمو الجدل وأخرج سعيد بن منصور وأحمد وعبد بن حميد والترمذي وصححه وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل ثم تلا هذه الآية وقد ورد في ذم الجدل بالباطل أحاديث كثيرة ثم بين سبحانه ان عيسى ليس برب وانما هو عبد من عباده اختصه بنبوته فقال (ان هو الا عبد أنعمنا عليه) بما أكرمناه به من النبوة وأنعمنا عليه برفعة المنزلة والذكر (وجعلناه مثلا لبني اسرائيل) أي آية وعبرة لهم يعرفون به قدرة الله سبحانه فانه كان من غير أب وكان يحيي الموت ويبرئ الاكمه والابرص وكل مريض باذن الله ولا يدخل في قوله انكم وما تعبدون أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال ان المشركين أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا أرأيت من يعبد من دون الله أين هم قال في النار قالوا الشمس والقمر قال والشمس والقمر قالوا فعيسى بن مريم قال قال الله ان هو الا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل (ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون) الخطاب لقريش أي لو نشاء لاهلكناهم وجعلنا بدلكم في الارض ملائكة مكرمين يعمرونها ويعبدونه وانهم ذاتهم يدو بخو يف القريش قال السمين في من هذه أقوال أحدها انها تعني بدل اى لجعلنا بدلكم ومنه قوله تعالى أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة اى بدلها والثاني وهو المشهور انها ابتدائية وتأويل الآية عليه لولدنا منكم يا رجال ملائكة في الارض يخلفونكم كما تخلفكم أولادكم كما ولدنا عيسى من أنثى دون ذكر ذكره الزمخشري والثالث انها تبعيضية قال أبو البقاء وقيل المعنى لحولنا بعضكم ملائكة وقال ابن عطية لجعلنا بدلا منكم ومقصود الآية انا لو نشاء لاسكنا الملائكة الارض وليس في اسكاننا اياهم السماء شرف حتى يعبدوا (وانه لعلم للساعة) قال مجاهد والضحاك والسدي وقتادة ان المراد المسيح وان خروجه أي نزوله مما يعلم به قيام الساعة أي قربها لكونه شرطا من أشراطها لان الله سبحانه ينزله من السماء قبيل قيام الساعة كما ان خروج الدجال من اعلام الساعة وقال الحسن وسعيد بن جبير المراد القرآن لانه يدل على قرب مجيء الساعة وبه يعلم وقتها وأهوالها وأحوالها وقيل المعنى ان حدوث المسيح من غير أب واحياءه للموتى دليل على صحة البعث وقيل الضمير لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والاول أولى قال ابن عباس أي خروج عيسى بن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة وأخرجه الحاكم وابن

وتم الاجل المقدر تضرع الى رب العالمين واله المرسلين فقال اني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين وفي هذه الآية الكريمة قال رب اني مسني الشيطان بنصب وعذاب قيل بنصب في بدني وعذاب في مالي وولدي فعند ذلك استجاب له أرحم الراحمين وأمره ان يقوم من مقامه وان يركض الارض برجله ففعل فانبع الله تعالى عينا وأمره ان يغتسل منها فاذهبت

حريرة عنه مرفوعا عن أبي هريرة نحوه وأخرجه عبد بن حميد وقرأ الجمهور لعلم بصيغة المصدر جعل المسيح علما للساعة مبالغة لما يحصل من العلم بحصولها عند نزوله وقرأ جماعة من الصحابة بفتح العين واللام أي خروجه علم من أعلامها وشرط من شروطها وقرئ للعلم بلامين مع فتح العين واللام أي للعلامة التي يعرف بها قيام الساعة (فلا تمترن بها) أي فلا تشكن في وقوعها ولا تكذبن بها فإنها كائنة لا محالة (واتبعون) قرأ الجمهور بحذف الياء وصلا ووقفا وقرئ بإثباتها وصلا ووقفا وقرئ بحذفها في الوصل دون الوقف أي اتبعوني فيما آمركم به من التوحيد وبطلان الشرك وفرائض الله التي فرضها عليكم (هذا) أي الذي آمركم به وأدعوكم إليه (صراط مستقيم) أي طريق قيم موصل إلى الحق (ولا يصدنكم الشيطان) أي لا تغتروا بوساوسه وشبهه التي يوقعها في قلوبكم فيمنعكم ذلك من اتباعي أو من الإيمان بالساعة فإن الذي دعوتكم إليه هو دين الله الذي اتفق عليه رسله وكتبه ثم علل نهيهم عن أن يصدهم الشيطان ببيان عداوته لهم فقال (إنه لكم عدو مبين) أي مظهر لعداوته لكم غير متحاش عن ذلك ولا متكتم به كما يدل على ذلك ما وقع بينه وبين آدم وما ألزم به نفسه من إغواء جميع بني آدم إلا عباد الله المخلصين (ولما جاء عيسى) إلى بني إسرائيل (بالبينات) أي بالمعجزات الواضحة والشرائع البينة قال قتادة البينات هنا الإنجيل (قال قد جئتكم بالحكمة) أي النبوة وقيل الإنجيل وقيل ما يرغب في الجميل ويكف عن القبيح (و) جئتكم (لأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه) من أحكام التوراة ولم يترك العاطف ليتعلق بما قبله ليؤذن بالاهتمام بالعلة حتى جعلت كأنها كلام برأسه والبعض هو أمر الدين قال قتادة يعني اختلاف الفرق الذين تحزبوا في أمر عيسى قال الزجاج الذي جاء به عيسى في الإنجيل إنما هو بعض الذي اختلفوا فيه فبين لهم في غير الإنجيل ما احتاجوا إليه وقيل إن بني إسرائيل اختلفوا بعد موت موسى في أشياء من أمر دينهم وقال أبو عبيدة إن بعض هنا بمعنى كل كما في قوله يصبكم بعض الذي يعدكم وقال مقاتل هو كقوله ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم يعني ما أحل في الإنجيل مما كان محرما في التوراة كلحم الإبل والشحم من كل حيوان وصيد السمك يوم السبت ثم أمرهم بالتقوى والطاعة فقال (فاتقوا الله) أي اتقوا معاصيه (وأطيعون) فيما آمركم به من التوحيد والشرائع والمعمه عنه (إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه) هذا بيان لما أمرهم بأن يطيعوه فيه (هذا) أي عبادة الله وحده والعمل بشرائعه (صراط مستقيم) وهذا إتمام كلام عيسى عليه السلام أو استئناف من الله يدل على ما هو المقتضي للطاعة في ذلك (فاختلف الأحزاب من بينهم) قال مجاهد والسدي الأحزاب هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى وقال الكلبي ومقاتل هم فرق النصارى اختلفوا في أمر عيسى قال قتادة المعنى أنهم اختلفوا فيما بينهم وقيل اختلفوا من بين من بعث إليهم من اليهود والنصارى والأحزاب هي الفرق المتحزبة قيل هم اليعقوبية والنسطورية والملكانية والشمعونية وهذا مبني على أنه بعث لجميع بني إسرائيل فتحزبوا في

جميع ما كان فيه بدنه من الأذى ثم أمره فضرب الأرض في مكان آخر فنبع له عينا أخرى وأمره أن يشرب منها فأذهبت جميع ما كان في باطنه من السوء وتكاملت العافية ظاهرا وباطنا ولهذا قال تبارك وتعالى اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب قال ابن جرير وابن أبي حاتم جميعا حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني نافع بن يزيد عن عقيل عن ابن شهاب عن أنس

وقيل المراد بالأحزاب الذين تحزبوا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكذبوه وهم المرادون بقوله هل ينظرون إلا الساعة والأول أولى (فويل للذين ظلموا) من هؤلاء المختلفين وهم الذين أشركوا بالله ولم يعملوا بشرائعه وقالوا في عيسى ما كفروا به (من عذاب يوم أليم) أي أليم عذابه وهو يوم القيامة (هل ينظرون) أي هل يرتقب وينتظر هؤلاء الأحزاب أو الكفار (إلا الساعة أن تأتيهم بغتة) أي فجأة (وهم لا يشعرون) أي لا يفطنون بذلك لاشتغالهم بأمر دنياهم وإنكارهم لها كقوله تأخذهم وهم يخصمون (الأخلاء) في الدنيا أي المتخالون فيها (يومئذ) أي يوم تأتيهم الساعة (بعضهم لبعض عدو) أي يعادي بعضهم بعضاً لأنها قد انقطعت بينهم العلائق واشتغل كل واحد منهم بنفسه ووجدوا تلك الأمور التي كانوا فيها أخلاء أسباباً للعذاب فصاروا أعداء ثم استثنى المتقين فقال (إلا المتقين) فإنهم أخلاء في الدنيا والآخرة لأنهم وجدوا تلك الخلة التي كانت بينهم من أسباب الخير والثواب فبقيت خلتهم على حالها عن علي بن أبي طالب في الآية قال خليلان مؤمنان وخليلان كافران توفي أحد المؤمنين فبشر بالجنة فذكر خليله فقال اللهم إن خليلي فلاناً كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر وينبئني أني ملاقيك اللهم لا تضله بعدي حتى تريه ما أريتني وترضى عنه كما رضيت عني فيقال له اذهب فلو تعلم ماله عندي لضحكت كثيراً ولبكيت قليلاً ثم يموت الآخر فيجمع بين أرواحهما فيقال ليثن كل واحد منكما على صاحبه فيقول كل واحد منهما لصاحبه نعم الأخ ونعم الصاحب ونعم الخليل وإذا مات أحد الكافرين بشر بالنار فيذكر خليله فيقول اللهم إن خليلي فلاناً كان يأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير وينبئني أني غير ملاقيك اللهم فلا تهده بعدي حتى تريه مثل ما أريتني وتسخط عليه كما سخطت علي فيموت الآخر فيجمع بين أرواحهما فيقال ليثن كل واحد منكما على صاحبه فيقول كل لصاحبه بئس الأخ وبئس الصاحب وبئس الخليل أخرجه عبد الرزاق وعبد ابن حميد وحميد بن زنجويه في ترغيبه وابن جرير والبيهقي وابن مردويه وابن أبي حاتم (يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) أي يقال لهؤلاء المتقين المتحابين في الله بهذه المقالة تشريفاً لهم وتطييباً لقلوبهم فيذهب عند ذلك خوفهم ويرتفع حزنهم (الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين) لله منقادين له مخلصين في أمر الدين (ادخلوا الجنة) أي يقال لهم ذلك قال مقاتل إذا وقع الخوف يوم القيامة نادى مناد يا عبادي لا خوف عليكم فإذا سمعوا النداء رفع الخلائق رؤسهم فيقال الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين فينكس أهل الأوثان رؤسهم غير المسلمين (أنتم وأزواجكم) المراد نساؤهم المؤمنات وقيل قرناؤهم من المؤمنين وقيل زوجاتهم من الحور العين (تحبرون) تكرمون أو تنعمون أو تفرحون أو تسرون أو تعجبون أو تلذذون بالسماع والأولى تفسير ذلك بالفرح والسرور الناشئين عن الكرامة والنعمة نادانهم بأربعة أمور الأول نفي الخوف والثاني نفي الحزن والثالث الأمر بدخول الجنة والرابع البشارة بالسرور (يطاف عليهم بصحاف من ذهب)

ابن مالك رضي الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نبي الله أيوب عليه الصلاة والسلام لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد الا رجلين كانا من أخص اخوانه به كانا يغدوان اليه ويروحان فقال أحدهما لصاحبه تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنباً ما أذنبه أحد من العالمين قال له صاحبه وما ذاك قال منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله

جمع صحفة وهي القصعة الواسعة العريضة قال الكسائي أعظم القصاع الجفنة ثم القصعة وهي تشبع عشرة ثم الصحفة وهي تشبع الخمسة ثم المئكلة وهي تشبع الرجلين أو الثلاثة والمعنى ان لهم في الجنة أطعمة يطاف عليهم بها في صحاف الذهب (وأكواب) أي ولهم فيها أشربة يطاف عليهم بها في الأكواب وهي جمع كوب قال الجوهري الكوب كوز لا عروة له والجمع أكواب قال قتادة الكوب المدور القصير العنق القصير العروة والابريق المستطيل العنق الطويل العروة وقال الاخفش الاكواب الاباريق التي لا خراطيم لها وقال قطرب هي الاباريق التي ليست لها عرى والعروة ما يمسك منه وسمي أذنا قال ابن عباس الاكواب الجرار من الفضة (وفيها) أي في الجنة (ما تشتهيه الأنفس) أي أنفس أهل الجنة من فنون الاطعمة والاشربة والاشياء المعقولة والمسموعة والملموسة ونحوها مما تطلبه النفس وتهواه كائنا ما كان جزاء لهم عما منعوا أنفسهم من الشهوات في الدنيا قرأ الجمهور تشتهي وفي مصحف عبد الله بن مسعود تشتهيه باثبات الضمير العائد الى الموصول (وتلذ الأعين) من كل المستلذات التي تستلذ بها ويطلب مشاهدتها وأعلاها النظر الى وجهه الكريم جزاء ما تحملوه من مشاق الاشتياق تقول لذ الشيء يلذ لذاذا ولذاذة اذا وجده لذيذا أو التذ به وهذا حصر لانواع النعم لانها اما مشتهيات في القلوب أو مستلذات في العيون عن عبد الرحمن بن سابط قال قال رجل يا رسول الله هل في الجنة خيل فاني أحب الخيل قال ان يدخلك الله الجنة فلا تشاء ان تركب فرسا من ياقوتة حمراء فتطير بك في أي الجنة شئت الا فعلت وسأله آخر فقال يا رسول الله هل في الجنة من ابل فاني أحب الابل قال فلم يقل له ما قال لصاحبه فقال ان يدخلك الله الجنة يكن لك ما اشتهت نفسك ولذت عينك أخرجه الترمذي (وأنتم فيها خالدون) لا تموتون ولا تخرجون منها (وتلك الجنة التي أورثتموها) أي يقال لهم يوم القيامة هذه المقالة اي صارت اليكم كما يصير الميراث الى الوارث (بما كنتم تعملون) في الدنيا من الاعمال الصالحة وتلك مبتدأ والجنة صفته والموصول مع صلته صفة للجنة والخبر بما كنتم الخ وقيل الخبر الموصول مع صلته والاول أولى وفيه التفات من الغيبة الى الخطاب للتشريف وخاطب كل واحد من أهل الجنة فلذلك أفرد الكاف ولم يقل وتلكم الذي هو مقتضى أورثتموها ايذانا بان كل واحد مقصود بذاته أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ما من أحد الا وله منزل في الجنة ومنزل في النار فالكافر يرث المؤمن منزله من النار والمؤمن يرث الكافر منزله في الجنة وذلك قوله وتلك الجنة التي أورثتموها (لكم فيها) سوى الطعام والشراب (فاكهة كثيرة) أي كثيرة الانواع والاصناف والفاكهة معروفة وهي الثمار كلها رطبها ويابسها (منها تأكلون) وكل ما يؤكل يخلف بدله ومن تبعيضية أو ابتدائية وقدم الجار لاجل الفاصلة ثم شرع سبحانه في الوعيد بعد ذكر الوعد كما هو دأب القرآن الكريم فقال (ان المجرمين) أي أهل الاجرام الكفرية كما يدل عليه ايرادهم في مقابلة المؤمنين الذين لهم ما ذكره الله سبحانه قبل هذا (في عذاب جهنم خالدون)

تعالى فيكشف ما به فلما راح الى المعلم
يصير الرجل حتى يذكر ذلك له فقال
أيوب عليه الصلاة والسلام لا أدري
ما يقول غير أن الله عز وجل يعلم اني
كنت أمر على الرجلين يتنازعان
فيذكران الله تعالى فارجع الى بيتي
فأكفر عنهما كراهة ان يذكر الله
تعالى الا في حق قال وكان يخرج
الى حاجته فاذا قضاها أمسكت
امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان

لا ينقطع عنهم العذاب أبداً (لا يفتّر عنهم) أي لا يخفف عنهم ذلك العذاب والجملة حالية
وكذلك (وهم فيه مبلسون) أي آيسون من النجاة وقيل ساكتون سكوت يأس وقد مضى
تحقيق معناه في الأنعام ولا يشكل على هذا قوله الآتي ونادوا الخ لأن تلك أزمنة متطاولة
وأحقاب ممتدة فتختلف بهم الأحوال فيسكتون تارة لغلبة اليأس عليهم وعلمهم أنه لا فرج
ويشتد عليهم العذاب تارة فيستغيثون وقرأ عبد الله وهم فيها أي في النار لدلالة العذاب
عليها (وما ظلمناهم) أي ما عذبناهم بغير ذنب ولا بزيادة على ما يستحقونه (ولكن كانوا هم
الظالمين) لأنفسهم بما فعلوا من الذنوب قرأ الجمهور الظالمين بالنصب على أنه خبر كان
والضمير ضمير فصل وقرئ الظالمون بالرفع على أن الضمير مبتدأ وما بعده خبره والجملة خبر
كان (ونادوا يا مالك) أي نادى المجرمون هذا النداء والإتيان بالماضي على حد أتى أمر الله
ومالك هو خازن النار قرأ الجمهور بغير الترخيم وقرئ يا مال بالترخيم قيل لابن عباس ان ابن
مسعود قرأ يا مال فقال ما أشغل أهل النار عن الترخيم (ليقض علينا ربك) بالموت من
قضى عليه إذا أماته قال تعالى فوكزه موسى فقضى عليه توسلوا بمالك خازن النار إلى الله
سبحانه ليسأله لهم أن يقضي عليهم بالموت ليستريحوا من العذاب وقال البيضاوي هو
لا ينافي الإبلاس فإنه جؤار وتمنٍّ للموت من فرط الشدة (قال إنكم ماكثون) أي مقيمون
في العذاب هانت والله دعوتهم على مالك وعلى رب مالك قيل سكت عن إجابتهم أربعين
سنة قاله الخازن والسنة ثلاثمائة وستون يوماً واليوم كألف سنة مما تعدون قاله القرطبي
وقيل ثمانين سنة وقيل مائة سنة وقال ابن عباس يمكث عنهم ألف سنة ثم أجابهم بهذا
الجواب (لقد جئناكم بالحق) يحتمل أن يكون هذا من كلام الله سبحانه أو من كلام مالك
والأول أظهر والمعنى إنا أرسلنا إليكم الرسل وأنزلنا عليهم الكتب فدعوكم فلم تقبلوا ولم
تصدقوا وهو معنى قوله (ولكن أكثركم للحق كارهون) أي لا تقبلونه وتنفرون منه لأن
مع الباطل الدعة ومع الحق التعب قيل معنى أكثركم كلكم وقيل أراد الرؤساء والقادة
ومن عداهم أتباع لهم والمراد بالحق كل ما أمر الله به على ألسن رسله وأنزله في كتبه وقيل
هو خاص بالقرآن (أم أبرموا أمراً فإنا مبرمون) كلام مستأنف ناع على المشركين
ما فعلوا من الكيد برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأم هي المنقطعة التي بمعنى بل
والهمزة أي بل أأبرموا أمراً وفي ذلك انتقال من توبيخ أهل النار وحكاية حالهم إلى
حكاية ما يقع من هؤلاء والإبرام الإتقان والإحكام يقال أبرمت الشيء أحكمته وأتقنته
وأبرم الحبل إذا أحكم فتله والمعنى بل أحكموا كيداً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنا
محكمون لهم كيداً قاله مجاهد وقتادة وابن زيد ومثل هذا قوله تعالى أم يريدون كيداً
فالذين كفروا هم المكيدون وقيل المعنى أم قضوا أمراً فإنا قاضون عليهم أمرنا بالعذاب
قاله الكلبي (أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم) أي بل أيحسبون أنا لا نسمع
ما يسرون في أنفسهم أو ما يتحادثون به سراً في مكان خالٍ وما يتناجون به فيما بينهم (بلى)
نسمع ذلك ونعلم به (ورسلنا لديهم يكتبون) أي الحفظة عندهم يكتبون جميع ما يصدر عنهم

ذات يوم أبطأت عليه فأوحى الله تبارك
وتعالى إلى أيوب عليه الصلاة
والسلام أن اركض برجلك هذا
مغتسل بارد وشراب فاستبطأته
فالتفتت تنظر فأقبل عليها قد أذهب
الله ما به من البلاء وهو على أحسن
ما كان فلما رأته قالت أي بارك الله
فيك هل رأيت نبي الله هذا المبتلى
فوالله على ذلك ما رأيت رجلاً أشبه
به منك إذ كان صحيحاً قال فإني أنا

من قول أو فعل عن يحيى بن معاذ قال من ستر من الناس ذنوبه وأبداها لمن لا تخفى عليه خافية فقد جعله أهون الناظرين اليه وهو من امارات النفاق أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال بينا ثلاثة بين الكعبة واستارها قرشيان وثقفي أو ثقفيان وقرشي فقال واحد منهم أترون ان الله يسمع كلامنا فقال واحد اذا جهرتم يسمع واذا أسررتم لم يسمع فنزلت هذه الآية ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يقول للكفار قولا يلزمهم به الحجة ويقطع ما يوردونه من الشبهة فقال (قل ان كان للرحمن ولد) وصح ذلك ببرهان صحيح أو ان كان له ولد في قولكم وعلى زعمكم (فأنا أول العابدين) أي أول من عبد الله وحده لان من عبد الله وحده فقد دفع ان يكون له ولد قاله ابن قتيبة وقال الحسن والسدي ان المعنى ما كان للرحمن ولد ويكون قوله فأنا أول العابدين ابتداء كلام قال ابن عباس في الآية يقول ان يكن للرحمن ولد فأنا أول العابدين أي الشاهدين وعن زيد بن أسلم قال هذا معروف من كلام العرب ان كان هذا الامر قط أي ما كان وعن قتادة نحوه وقيل المعنى قل يا محمد ان ثبت لله ولد فأنا أول من يعبد هذا الولد الذي تزعمون ثبوته ولكنه يستحيل ان يكون له ولد وفيه نفي للولد على أبلغ وجه وأتم عبارة وأحسن أسلوب وهذا هو الظاهر من النظم القرآني لان هذا الكلام وارد على سبيل الفرض والمراد نفي الولد وذلك انه علق العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها ومن هذا القبيل قوله تعالى وانا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ومثل هذا قول الرجل لمن يناظره ان ثبت ما تقوله بالدليل فأنا أول من يعتقده ويقول به فتكون ان في ان كان شرطية ورجح هذا ابن جرير وغيره وقيل معنى العابدين الآنفين من العبادة وهو تكلف لا ملجئ اليه ولكنه قرئ العبدين بغير ألف من عبد يعبد عبدا بالتحريك اذا أنف وغضب فهو عبد والاسم العبدة مثل الانفة ولعل الحامل على هذه القراءة الشاذة البعيدة لمن قرأها هو استبعاد معنى فأنا أول العابدين وليس بمستبعد ولا مستنكر وقد حكى الجوهري عن أبي عمرو في قوله فأنا أول العابدين انه من الانف أو الغضب وحكاه الماوردي عن الكسائي والقتيبي وبه قال الفراء وكذا قال ابن الأعرابي ان معنى العابدين الغضاب الآنفين وقال أبو عبيدة معناه الجاحدين وحكى عبدني حقي أي جحدني ولا شك ان عبد وأعبد بمعنى أنف أو غضب ثابت في لغة العرب وكفى بنقل هؤلاء الائمة حجة ولكن جعل ما في القرآن من هذا من التكلف الذي لا ملجئ اليه ومن التعسف الواضح وقد رد ابن عرفة ما قالوه فقال انما يقال عبد يعبد فهو عبد وقل ما يقال عابد والقرآن لا يأتي بالقليل من اللغة ولا الشاذ قرأ الجمهور ولد بالافراد وقرئ بضم الواو وسكون اللام (سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون) أي تنزيه الله وتقديسا عما يقولون من الكذب بان له ولدا ويفترون عليه سبحانه ما لا يليق بجنابه وهذا ان كان من كلام الله سبحانه فقد نزه نفسه الكريمة عما قالوه وان كان من تمام كلام رسوله صلى الله عليه وآله وسلم الذي أمره بان يقوله فقد أمره بان يضم الى ما حكاه عنهم

هو قال وكان له اندران اندر للقمح واندر للشعير فبعث الله تعالى سحابتين فلما كانت احداهما على اندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الاخرى في اندر الشعير حتى فاض هذا لفظ ابن جرير رحمه الله وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه

بزعمهم الباطل تنزيهه وتقديسه (فذرهم يخوضوا ويلعبوا) أي اترك الكفار حيث لم يهتدوا بما هديتهم به ولا أجابوك فيما دعوتهم اليه يخوضوا في أباطيلهم ويلهوا في دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) وهو يوم القيامة وقيل العذاب في الدنيا وقيل يوم الموت وهو الاظهر فان خوضهم ولعبهم انما ينتهي بيوم الموت قيل وهذا منسوخ بآية السيف وقيل هو غير منسوخ وانما أخرج مخرج التهديد وفيه دليل على ان ما يقولونه من باب الجهل والخوض واللعب قرأ الجمهور يلاقوا وقرئ يلقوا (وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله) الجار والمجرور في الموضعين متعلق باله لانه بمعنى معبود أو مستحق للعبادة والمعنى وهو الذي معبود في السماء ومعبود في الارض أو مستحق للعبادة في السماء والعبادة في الارض وعلى قرين ان المراد باله معبود اندفع ما قيل هذا يقتضي تعدد الآلهة لان النكرة اذا أعيدت نكرة تعددت كقولك أنت طالق وطالق واتضاح الاندفاع ان الاله هنا بمعنى المعبود وهو تعالى معبود فيهما والمغايرة انما هي بين معبوديته في السماء ومعبوديته في الارض لان المعبودية من الامور الاضافية فيكفي التغاير فيها من أحد الطرفين فاذا كان العابد في السماء غير العابد في الارض صدق ان معبوديته في السماء غير معبوديته في الارض مع ان المعبود واحد وفيه دلالة على اختصاصه باستحقاق الالوهية فان التقديم يدل على الاختصاص أفاده الكرخي قال أبو علي الفارسي واله في الموضعين مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف أي هو الذي في السماء هو اله وفي الارض هو اله وحسن حذفه لطول الكلام قال والمعنى على الاخبار بالالهية لا على الكون فيهما قال قتادة يعبد في السماء والارض وقيل في بمعنى على أي هو القادر على السماء والارض كما في قوله ولاصلبنكم في جذوع النخل وقرأ عمر وعلي وابن مسعود وهو الذي في السماء الله وفي الارض الله على تضمين العلم معنى المشتق فيتعلق به الجار والمجرور من هذه الحيثية (وهو الحكيم العليم) أي البليغ الحكمة الكثير العلم (وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما) تبارك تفاعل من البركة وهي كثرة الخيرات والمراد بما بينهما الهواء وما فيه من الحيوانات (وعنده علم الساعة) أي علم الوقت الذي تكون فيه قيامها (واليه ترجعون) فيجازي كل أحد بما يستحقه من خير وشر وفيه وعيد شديد قرأ الجمهور بالفوقية على سبيل الالتفات من الغيبة الى الخطاب وقرئ بالتحتية (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) أي لا يملك من يدعونه من دون الله من الاصنام ونحوها الشفاعة عند الله كما يزعمون انهم يشفعون لهم قرأ الجمهور يدعون بالتحتية وقرئ بالفوقية (الا من شهد بالحق) أي التوحيد (وهم يعلمون) أي هم على علم وبصيرة بما شهدوا به والاستثناء متصل والمعنى الا من شهد بالحق وهم المسيح وعزير والملائكة فانهم يملكون الشفاعة لمن يستحقها وقيل هو منقطع والمعنى لكن من شهد بالحق يشفع بهؤلاء وقيل المستثنى منه محذوف أي لا يملكون الشفاعة في أحد الا فيمن شهد بالحق قال سعيد بن جبير وغيره معنى الآية انه لا يملك هؤلاء الشفاعة الا لمن

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما أيوب يغتسل عريانا خر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب عليه الصلاة والسلام يحثو في ثوبه فناداه ربه عز وجل يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى قال عليه الصلاة والسلام بلى يا رب ولكن لا غنى لي عن بركتك انفرد باخراجه البخاري من حديث عبد الرزاق وبه ولهذا قال تبارك وتعالى ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى

شهد بالحق وآمن على علم وبصيرة وقال قتادة لا يشفعون لعابديها بل يشفعون لمن شهد بالوحدانية وقيل مدار الاتصال في هذا الاستثناء على جعل الذين يدعون عاما لكل ما يعبد من دون الله ومدار الانقطاع على جعله خاصا بالاصنام (ولئن سألتهم) اللام هي الموطئة للقسم والمعنى ائن سألت هؤلاء المشركين العابدين للاصنام (من خلقهم ليقولن الله) جواب القسم وجواب الشرط محذوف على القاعدة أي أقروا واعترفوا بان خالقهم الله ولا يقدرون على الانكار ولا يستطيعون الجحود لظهور الامر وجلائه (فأنى يؤفكون) أي فكيف ينقلبون عن عبادة الله الى عبادة غيره وينصرفون عنها مع هذا الاعتراف فان المعترف بان الله خالقه اذا عمد الى صنم أو حيوان وعبده مع الله أو عبده وحده فقد عبد بعض مخلوقات الله وفي هذا من الجهل ما لا يقادر قدره يقال أفكه يأفكه افكا اذا قلبه وصرفه عن الشئ وقيل المعنى ولئن سألت المسيح وعزيرا والملائكة من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفك هؤلاء الكفار في اتخاذهم لهم آلهة وقيل المعنى ولئن سألت العابدين والمعبودين جميعا (وقيله) قرأ الجمهور بالنصب عطفا على محل الساعة كأنه قيل انه يعلم الساعة ويعلم قيله أو عطفا على سرهم ونجواهم أي يعلم سرهم ونجواهم ويعلم قيله أو عطفا على مفعول يكتبون المحذوف أي يكتبون ذلك ويكتبون قيله أو عطفا على مفعول يعلمون المحذوف أي يعلمون ذلك ويعلمون قيله أو هو مصدر أي قال قيله أو منصوب باضمار فعل أي الله يعلم قيل رسوله أو هو معطوف على محل بالحق أي شهد بالحق وقيله أو منصوب على حذف حرف القسم ومن المجوزين للاول المبرد وابن الانباري وللثاني الفراء والاخفش وللنصب على المصدرية أيضا الفراء والاخفش وقرئ قيله بالجر عطفا على لفظ الساعة أي وعنده علم الساعة وعلم قيله والقول والقال والقيل والمقال كلها مصادر بمعنى واحد جاءت على هذه الاوزان وقال أبو عبيدة يقال قلت قولا وقالا وقيلا وعلى ان الواو للقسم وقرأ قتادة ومجاهد والحسن وأبو قلابة والاعرج وابن هرمز ومسلم بن جندب قيله بالرفع عطفا على علم أي وعنده علم الساعة وعنده قيله أو على الابتداء وخبره الجملة المذكورة بعده أو خبره محذوف تقديره وقيله كيت وكيت أو وقيله مسموع والضمير في وقيله راجع الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال قتادة هذا نبيكم يشكو قومه الى ربه وقيل عائد الى المسيح وعلى الوجهين فالمعنى انه قال مناديا لربه (يا رب ان هؤلاء) الذين أرسلتني اليهم (قوم لا يؤمنون) ثم لما نادى ربه بهذا أجابه بقوله (فاصفح عنهم) أي أعرض عن دعوتهم (وقل سلام) أي أمري تسليم منكم ومتاركة لكم وقال الفراء ان سلام مرفوع باضمار عليكم قال عطاء يريد مداراة حتى ينزل حكمي ومعناه المتاركة كقوله سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين فليس في الآية مشروعية السلام على الكفار كما قيل وقال قتادة أمره بالصفح عنهم ثم أمره بقتالهم فصار الصفح منسوخا بالسيف وقيل هي محكمة لم تنسخ (فسوف يعلمون) قرأ الجمهور بالتحتية وقرئ بالفوقية وفيه تهديد شديد لهم ووعيد عظيم من الله عز وجل وتسلية له صلى الله عليه وآله وسلم

لاولي الالباب قال الحسن وقتادة أحياهم الله تعالى له باعيانهم وزادهم مثلهم معهم وقوله عز وجل رحمة منا أي به على صبره وثباته وانابته وتواضعه واستكانته وذكرى لاولي الالباب أي لذوي العقول ليعلموا ان عاقبة الصبر الفرج والمخرج والراحة وقوله جلت عظمته وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث وذلك ان أيوب عليه الصلاة والسلام كان قد غضب على زوجته

(سورة الدخان هى ست أو سبع أو تسع وخمسون آية)

قال القرطبى هى مكية بالاتفاق الا قوله انا كاشفو العذاب قليلا وبه قال ابن عباس وابن الزبير وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ حم الدخان فى ليلة الجمعة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك أخرجه البيهقى فى الشعب ورفعه الثعلبى أيضا والترمذى وقال غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وعمرو بن أبى خثعم ضعيف قال البخارى منكر الحديث وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ حم الدخان فى ليلة الجمعة أصبح مغفورا له أخرجه البيهقى وابن مردويه ومحمد بن نصر والترمذى وقال غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وهشام بن مقدام يضعف والحسن لم يسمع من أبى هريرة كذا قال أيوب ويونس بن عبيد وعلى بن زيد وله شواهد وطرق أخرى منها ما أخرجه الدارمى ومحمد بن نصر عن أبى رافع قال من قرأ الدخان فى ليلة الجمعة أصبح مغفورا له وزوج من الحور العين وأخرج ابن مردويه عن أبى امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة حم الدخان فى ليلة الجمعة أو يوم الجمعة بنى الله له بيتا فى الجنة قال الشهاب فى سورة الواقعة ولم يذكر البيضاوى فى فضائل السور حديثا غير موضوع من أول القرآن الى ههنا غير ما هنا وما مر فى سورة يس والدخان

(بسم الله الرحمن الرحيم حم) قد تقدم قبل هذه السورة الكلام على هذا والله أعلم بمراده به (والكتاب) الواو للقسم والكتاب القرآن (المبين) أى المشتمل على بيان ما للناس حاجة اليه فى دينهم ودنياهم (انا أنزلناه) جواب القسم وقد أنكر بعض النحاة ان تكون هذه الجملة جوابا للقسم لانها صفة للمقسم به ولا تكون صفة المقسم به جوابا للقسم وقال الجواب انا كنا منذرين واختاره ابن عطية وقال أيضا وجملة انا أنزلناه اعتراض متضمن لتفخيم الكتاب ورجح الاول بالسبق وبكونه من المدائع وسلامته من الفك اللازم لما اختاره ابن عطية وقيل ان قوله انا كنا الخ جواب ثان أو جملة مستأنفة مقررة للانزال وفى حكم العلة له كأنه قال انا أنزلناه لان من شأننا الانذار والضمير فى أنزلناه راجع الى الكتاب وهو القرآن واقتصر على ذلك البيضاوى ومعه الجلال المحلى وعلى هذا فقد أقسم بالقرآن انه أنزل القرآن وهذا النوع من الكلام يدل على غاية تعظيم القرآن فقد يقول الرجل اذا أراد تعظيم الرجل له اليه حاجة أتشفع بك اليك وأقسم بحقك عليك وجاء فى الحديث أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك وبك منك لا أحصى ثناء عليك وقيل المراد بالكتاب سائر الكتب المنزلة والضمير راجع الى القرآن على معنى انه سبحانه أقسم بسائر الكتب المنزلة انه أنزل القرآن والاول أولى واستدلوا بهذه الآية على حدوث القرآن بوجوه لا دلالة لها عليه (فى ليلة مباركة) أى ليلة القدر كما فى قوله انا أنزلناه فى ليلة القدر ولها أربعة أسماء هى وليلة البراءة وليلة الصك وليلة الرحمة قال عكرمة وطائفة الليلة المباركة هنا ليلة النصف من شعبان وقال النووى فى باب صوم التطوع من شرح مسلم انه خطأ والصواب وبه قال العلماء انها ليلة القدر وقيل بينها وبين ليلة القدر

ووجد عليها فى أمر فعلمته قيل باعت ضفيرتها بخمر فاطعمته اياه فلامها على ذلك وحلف ان شفاه الله تعالى ليضربنها مائة جلدة وقيل لغير ذلك من الاسباب فلما شفاه الله عز وجل وعافاه ما كان جزاؤها مع هذه الخدمة التامة والرحمة والشفقة والاحسان ان تقابل بالضرب فأفتاه الله عز وجل ان يأخذ ضغثا وهو الشمراخ فيه

أربعون ليلة والجمهور وأكثر المفسرين على الأول وليلة القدر في أكثر الأقاويل في شهر رمضان وقال قتادة أنزل القرآن كله في ليلة القدر من أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في سماء الدنيا ثم أنزل الله سبحانه على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم في الليالي والأيام في ثلاث وعشرين سنة في أنواع الوقائع حالاً فحالاً وقد تقدم تحقيق الكلام في هذا في سورة البقرة عند قوله شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن وذكرنا هناك الجمع بين أدلة القولين وبسط فيها الأطول بذكره هنا وقال مقاتل كان ينزل من اللوح المحفوظ كل ليلة قدر من الوحي على مقدار ما ينزل به جبريل في السنة إلى مثلها من العام وقيل ابتداء نزوله في ليلة القدر ووصف الله سبحانه هذه الليلة بأنها مباركة لنزول القرآن فيها وهو مشتمل على مصالح الدين والدنيا ولكونها تنزل فيها الملائكة والروح كما سيأتي في سورة القدر إن شاء الله تعالى قال ابن عباس أنزل القرآن في ليلة القدر ونزل به جبريل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نجوماً لجواب الناس وقيل المباركة الكثيرة الخير لما ينزل فيها من الخير والبركة ويستجاب من الدعاء ولو لم يوجد فيها إلا إنزال القرآن وحده لكفى به بركة (إنا كنا منذرين) أي مخوفين عقابنا مستأنف أو جواب ثان بغير عاطف ومن جملة بركتها ما ذكره الله سبحانه هنا قوله (فيها يفرق كل أمر حكيم) أي يفصل ويبين من قولهم فرقت الشيء أفرقه فرقاً والأمر الحكيم المحكم المبرم الذي لا يحصل فيه تغيير ولا نقص وذلك أن الله سبحانه يكتب فيها ما يكون في السنة من حياة وموت وبسط وقبض وخير وشر ورزق وأجل ونصر وهزيمة وخصب وقحط وغير ذلك من أقسام الحوادث وجزئياتها في أوقاتها وأماكنها ويبين ذلك للملائكة من تلك الليلة إلى مثلها من العام المقبل فيجدونه سواء بسواء من دون زيادة ولا نقصان كذا قال مجاهد وقتادة والحسن وغيرهم وقيل معنى حكيم أي مفعول على ما تقتضيه الحكمة وهو من الإسناد المجازي لأن الحكيم صاحب الأمر على الحقيقة ووصف به الأمر مجازاً وهذه الجملة إما صفة أخرى لليلة وما بينهما اعتراض أو مستأنفة لتقرير ما قبلها قرأ الجمهور يفرق بضم الياء وفتح الراء مخففاً وقرئ بفتح الياء وضم الراء ونصب كل أمر ورفع حكيم على أنه الفاعل والحق ما ذهب إليه الجمهور من أن هذه الليلة المباركة هي ليلة القدر لا ليلة النصف من شعبان لأن الله سبحانه أجملها هنا وبينها في سورة البقرة بقوله شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن وبقوله في سورة القدر إنا أنزلناه في ليلة القدر فلم يبق بعد هذا البيان الواضح ما يوجب الخلاف ولا ما يقتضي الاشتباه قال ابن عباس في الآية يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من رزق وموت وحياة ومطر حتى يكتب الحاج يحج فلان ويحج فلان وقال ابن عمر أمر السنة إلى السنة إلا الشقاوة والسعادة فإنه في كتاب الله لا يبدل ولا يغير أخرجه ابن أبي حاتم وأخرج عبد بن حميد وغيره عنه أنه قال إنك لترى الرجل يمشي في الأسواق وقد وقع اسمه في الموتى وفي تلك الليلة يفرق أمر الدنيا إلى مثلها من قابل من موت أو حياة أو رزق كل أمر الدنيا يفرق تلك الليلة إلى مثلها وأخرج ابن زنجويه والديلمي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان حتى إن الرجل لينكح ويولد

ما نقص فيصير مهاضربة واحدة وقد ترتب عليه وخرج من جنبه ووقف بذرء وهذا من الفرح والمخرج لمن اتقى الله تعالى وأناب إليه ولهذا قال جل وعلا إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب أثنى الله تعالى عليه ومدحه بأنه نعم العبد إنه أواب أي رجاع منيب ولهذا قال جل جلاله ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله

له وقد صرح باسمه في الموطأ وأخرجه ابن أبي الدنيا وابن جرير عن عثمان بن محمد وهذا مرسل لا تقوم به الحجة ولا يعارض بمثله صرائح القرآن وما روي في هذا فهو إما مرسل أو غير صحيح وقد أورد ذلك صاحب الدر المنثور وأورد ما ورد في فضل ليلة النصف من شعبان وذلك لا يستلزم أنها المراد بقوله في ليلة مباركة وانتصاب قوله (أمراً من عندنا) بيفرق أي يفرق فرقاً لأن أمراً بمعنى فرقاً قاله الزجاج والفراء والمعنى إنا نأمر ببيان ذلك ونسخه من اللوح المحفوظ فهو على هذا منتصب على المصدرية مثل قولك يضرب ضرباً قال المبرد أمراً في موضع المصدر والتقدير أنزلناه إنزالاً وقال الأخفش انتصابه على الحال أي آمرين وقيل على الاختصاص أعني بهذا الأمر أمراً حاصلاً من عندنا وفيه تفخيم لشأن القرآن وتعظيم له وقد ذكر بعض أهل العلم في انتصاب أمراً اثني عشر وجها أظهرها ما ذكرناه وقرأ زيد بن علي بالرفع أي هو أمر (إنا كنا مرسلين) الرسل محمداً ومن قبله قال الرازي المعنى إنا فعلنا ذلك الإنذار لأجل إنا كنا مرسلين للأنبياء ومثله قال ابن الخطيب وانتصاب (رحمة) على العلة أي أنزلناه للرحمة قاله الزجاج وقال المبرد إنها منتصبة على أنها مفعول لمرسلين أي إنا كنا مرسلين رحمة وقيل هي مصدر في موضع الحال أي راحمين قاله الأخفش وقيل إنها مصدر منصوب بفعل مقدر أي رحمنا رحمة وقيل إنها حال من ضمير مرسلين أي ذوي رحمة وقرأ الحسن بالرفع أي هي رحمة ورأفة بالمرسل إليهم (من ربك) متعلق بالرحمة أو صفة لمحذوف وفيه التفات من التكلم إلى الغيبة ولو جرى على منوال ما تقدم لقال من ربنا والمعنى رأفة مني بخلقي ونعمة عليهم بما بعثت إليهم من الرسل (إنه هو السميع) لمن دعاه (العليم) بكل شيء ثم وصف سبحانه نفسه بما يدل على عظيم قدرته الباهرة فقال (رب السموات والأرض وما بينهما) قرأ الجمهور رب بالرفع على أنه عطف بيان على السميع العليم أو على أنه مبتدأ وخبره قوله الآتي لا إله إلا هو أو على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي هو رب وقرأ الكوفيون بالجر على أنه بدل من ربك أو بيان له أو نعت (إن كنتم موقنين) بأنه رب السموات والأرض وما بينهما وقد أقروا بذلك كما حكاه الله عنهم في غير موضع فأيقنوا بأن محمداً رسوله (لا إله إلا هو) مستأنفة مقررة لما قبلها أو خبر رب السموات كما مر وكذلك جملة (يحيي ويميت) فإنها مستأنفة مقررة لما قبلها (ربكم ورب آبائكم الأولين) قرأ الجمهور بالرفع على الاستئناف بتقدير مبتدأ أي هو ربكم أو على أنه بدل من رب السموات أو بيان أو نعت له وقرأ الكسائي في رواية الشيرازي عنه وغيره بالجر ووجهه لما ذكرناه في قراءة من قرأ بالجر في رب السموات وقرأ الأنطاكي بالنصب على المدح (بل هم في شك يلعبون) أضرب عن كونهم موقنين إلى كونهم في شك من التوحيد والبعث وفي إقرارهم بأن الله خالقهم وخالق سائر المخلوقات وإنما يقولونه تقليداً لآبائهم من غير علم وإن ذلك منهم على طريقة اللعب والهزء في دينهم بما يعن لهم من غير حجة ومحل يلعبون الرفع على أنه خبر ثان أو النصب على الحال (فارتقب) الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها لأن كونهم في شك ولعب يقتضي ذلك والمعنى فانتظر لهم يا محمد (يوم تأتي السماء بدخان مبين) وقيل المعنى احفظ قولهم هذا لتشهد عليهم يوم تأتي السماء الخ وقد اختلف

بالعز أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً واستدل كثير من الفقهاء بهذه الآية الكريمة على مسائل في الإيمان وغيرها وقد أخذوها بمقتضاها والله أعلم بالصواب (واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار واذكر إسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار هذا ذكر) يقول تبارك وتعالى

في هذا الدخان المذكور في الآية متى يأتي فقيل إنه من أشراط الساعة وإنه يمكث في الأرض أربعين يوما وقد ثبت في الصحيح أنه من جملة العشر الآيات التي تكون قبل قيام الساعة وقيل إنه أمر قد مضى وهو ما أصاب قريشا بدعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى كان الرجل يرى بين السماء والأرض دخانا وهذا ثابت في الصحيحين وغيرهما وبه قال الفراء والزجاج وقيل إنه يوم فتح مكة وقال ابن قتيبة فيه وجهان والأول أنه في سنة القحط يعظم يبس الأرض بسبب انقطاع المطر ويرتفع الغبار الكثير ويظلم الهواء وذلك يشبه الدخان ويقولون كان بيننا أمر ارتفع له دخان ولهذا يقال للسنة المجدبة الغبراء الثاني أن العرب يسمون الشيء الغالب بالدخان والسبب فيه أن الإنسان إذا اشتد خوفه أو ضعفه أظلمت عيناه ويرى الدنيا كالمملوءة من الدخان أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود أن قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبطؤوا عن الإسلام قال اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجوع فأنزل الله هذه الآية فأتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقيل يا رسول الله استسق الله المطر فاستسقى لهم فسقوا فأنزل الله إنا كاشفو العذاب قليلا إنكم عائدون فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم فأنزل الله يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون فانتقم الله منهم يوم بدر فقد مضى البطشة والدخان واللزام وقد روي عن ابن مسعود نحو هذا من غير وجه وروي نحوه عن جماعة من التابعين كمقاتل ومجاهد وعن أبي مليكة قال دخلت على ابن عباس فقال لم أنم هذه الليلة فقلت لم قال طلع الكوكب فخشيت أن يطرق الدخان قال ابن كثير وهذا إسناد صحيح وكذا صححه السيوطي ولكن ليس فيه أنه سبب نزول الآية وقد عرفناك أنه لا منافاة بين كون هذه الآية نازلة في الدخان الذي كان يتراءى لقريش من الجوع وبين كون الدخان من آيات الساعة وعلاماتها وأشراطها فقد وردت أحاديث صحاح وحسان وضعاف بذلك وليس فيها أنه سبب نزول الآية فلا حاجة بنا إلى التطويل بذكرها والواجب التمسك بما ثبت في الصحيحين وغيرهما أن دخان قريش عند الجهد والجوع هو سبب النزول وبهذا تعرف اندفاع ترجيح من رجح أنه الدخان الذي من أشراط الساعة كابن كثير في تفسيره وغيره في غيره وهكذا يندفع قول من قال إنه الدخان الكائن يوم فتح مكة متمسكا بما أخرجه ابن سعد عن أبي هريرة قال كان يوم فتح مكة دخان وهو قول الله فارتقب الخ فإن هذا لا يعارض ما في الصحيحين على تقدير صحة إسناده مع احتمال أن يكون أبو هريرة رضي الله تعالى عنه ظن من وقوع ذلك الدخان يوم الفتح أنه المراد بالآية ولهذا لم يصرح بأنه سبب نزولها (يغشى الناس) صفة ثانية للدخان أي يشملهم ويحيط بهم (هذا عذاب أليم) أي يقولون هذا أو قائلين ذلك أو يقول الله لهم ذلك (ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون) أي يقولون ذلك وقد روي أنهم أتوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا إن كشف الله عنا العذاب أسلمنا والمراد بالعذاب الجوع الذي كان بسببه ما يرونه من الدخان أو يقولونه إذا رأوا الدخان الذي هو من آيات الساعة أو إذا رأوه

مخبرا عن فضائل عباده المرسلين وأنبيائه العابدين واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار يعني بذلك العمل الصالح والعلم النافع والقوة في العبادة والبصيرة النافذة قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أولي الأيدي يقول أولي القوة والأبصار يقول الفقه في الدين وقال مجاهد أولي الأيدي يعني القوة في طاعة الله

يوم فتح مكة على اختلاف الأقوال والراجح منها أنه الدخان الذي كانوا يتخيلونه مما نزل بهم من الجوع وشدة الجهد ولا ينافي ترجيح هذا ما ورد أن الدخان من آيات الساعة فإن ذلك دخان آخر ولا ينافيه أيضاً ما قيل إنه الذي كان يوم فتح مكة فإنه دخان آخر على فرض صحة وقوعه (أنى لهم الذكرى) أي كيف يتذكرون ويتعظون بما نزل بهم (و) الحال أنه (قد جاءهم رسول مبين) بين لهم كل شيء يحتاجون إليه من أمر الدنيا والدين (ثم تولوا عنه) أي أعرضوا عن ذلك الرسول الذي جاءهم ولم يكتفوا بمجرد الإعراض عنه بل جاوزوه (وقالوا معلم مجنون) أي قالوا في حقه تارة إنما يعلمه القرآن بشر وتارة أخرى إنه مجنون أو قال بعضهم هذا وبعضهم ذلك فكيف يتذكرون هؤلاء وأنى لهم الذكرى ثم لما دعوا الله بأن يكشف عنهم العذاب وأنه إذا كشفه عنهم آمنوا أجاب الله سبحانه عليهم بقوله (إنا كاشفوا العذاب قليلا) أي إنا نكشفه عنهم كشفاً قليلاً أو زماناً قليلاً وهذا جواب بطريق الالتفات لمزيد التهديد والتوبيخ وما بينهما اعتراض أي إلى يوم بدر أو إلى ما بقي من أعمارهم ثم أخبر سبحانه عنهم أنهم لا ينزجرون عما كانوا عليه من الشرك ولا يفون بما وعدوا به من الإيمان فقال (إنكم عائدون) إلى ما كنتم عليه من الشرك وقد كان الأمر هكذا فإن الله سبحانه لما كشف عنهم العذاب رجعوا إلى ما كانوا عليه من الكفر والعناد وقيل المعنى إنكم عائدون إلينا بالبعث والنشور والأول أولى (يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون) قرأ الجمهور نبطش بفتح النون وكسر الطاء أي نبطش بهم وقرئ بضم الطاء وهي لغة وقرئ بضم النون وكسر الطاء والظرف منصوب بإضمار اذكر وقيل بدل من يوم تأتي السماء وقيل هو متعلق بمنتقمون وقيل بما دل عليه منتقمون وهو ننتقم والبطشة الكبرى هي يوم بدر قاله الأكثر والمعنى أنهم لما عادوا إلى التكذيب والكفر بعد رفع العذاب عنهم انتقم الله منهم بوقعة بدر وقال الحسن وعكرمة المراد بها عذاب النار يوم القيامة واختار هذا الزجاج والأول أولى وعن ابن عباس أنه قال قال ابن مسعود البطشة الكبرى يوم بدر وأنا أقول هي يوم القيامة قال ابن كثير وهذا إسناد صحيح وقال ابن الخطيب هذا القول أصح لأن يوم بدر لا يبلغ هذا المبلغ الذي يوصف بهذا الوصف العظيم وأن الانتقام التام إنما يحصل يوم القيامة لقوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت وقال ابن كثير قبل هذا فسر ذلك ابن مسعود بيوم بدر وهذا قول جماعة ممن وافق ابن مسعود على تفسيره الدخان بما تقدم وروي أيضاً عن ابن عباس من رواية العوفي عنه وعن أبي بن كعب وجماعة وهو محتمل والظاهر أن ذلك يوم القيامة وإن كان يوم بدر يوم بطشة كبرى أيضاً انتهى قال الشوكاني بل الظاهر أنه يوم بدر وإن كان يوم القيامة بطشة أكبر من كل بطشة فإن السياق مع قريش فتفسيره بالبطشة الخاصة بهم أولى من تفسيره بالبطشة التي تكون يوم القيامة لكل عاص من الإنس والجن انتهى (ولقد فتنا) وقرئ فتنا بالتشديد على المبالغة أو التكثير لكثرة متعلقه أي ابتلينا (قبلهم) أي قبل هؤلاء العرب ليكون ما مضى من خبرهم عبرة لهم (قوم فرعون) ومعنى الفتنة هنا أن الله سبحانه أرسل إليهم رسله وأمرهم بما شرعه لهم فكذبوهم أو وسع عليهم الأرزاق فطغوا

تعالى والأنصار يعني البصر في الحق وقال قتادة والسدي أعطوا قوة في العبادة وبصراً في الدين وقوله تبارك وتعالى إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار قال مجاهد أي جعلناهم يعملون للآخرة ليس لهم هم غيرها وكذا قال السدي ذكرهم للآخرة وعملهم لها وقال مالك بن دينار نزع الله تعالى من قلوبهم حب الدنيا وذكرها وأخلصهم بحب الآخرة وذكرها وكذا قال عطاء

ونعوا قال الزجاج بلوناهم أي امتحناهم وتعليلهم بمعنى المتقدم والمعنى عاملناهم معاملة المختبر ببعث الرسل اليهم والتمكين في الارض (وجاءهم رسول كريم) على الله كريم في قومه أي كريم في نفسه حسيب نسيب لان الله لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم وقال مقاتل حسن الخلق بالتجاوز والصفح وقال الفراء كريم على ربه اذ اختصه بالنبوة واسماع الكلام قال ابن عباس هو موسى (أن أدوا) ان هذه هي المفسرة لتقدم ما هو بمعنى القول أو مخففة من الثقيلة والمعنى ان الشأن والحديث أدوا (الى عباد الله) أو مصدرية أي بان أدوا والمعنى انه طلب منهم ان يسلموا اليه بني اسرائيل الذين كان فرعون استعبدهم فالاداء هو استعارة بمعنى اطلاقهم وارسالهم معه قال مجاهد المعنى أرسلوا معي عباد الله وأطلقوهم من العذاب فعباد الله على هذا مفعول به كقوله في سورة طه فارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم وقيل المعنى أدوا الي عباد الله ما وجب لكم من حقوق الله فيكون منصوبا على انه منادى مضاف وقيل أدوا الي سمعكم حتى أبلغكم رسالة ربي وقال ابن عباس اتبعوني الى ما أدعوكم اليه من الحق (اني لكم رسول) من الله اليكم (أمين) على الرسالة غير متهم وهذا تعليل للامر (وأن لا تعلوا على الله) أي لا تتجبروا ولا تتكبروا عليه بترفعكم عن طاعته ومتابعة رسله واهانة وحيه وهذا أوضح وقيل لا تبغوا على الله وقيل لا تفتروا عليه قاله ابن عباس والاول أولى والفرق بين البغي والافتراء ان البغي بالفعل والافتراء بالقول وقال ابن عباس أيضا لا تعثوا وقال ابن جريج لا تعظموا وقال يحيى بن سلام لا تستكبروا والفرق بينهما ان التعاظم تطاول المقتدر والاستكبار ترفع المحتقر أفاده الماوردي وجملة (اني آتيكم) تعليل لما قبلها من النهي قرأ الجمهور بكسر همزة اني وقرئ بالفتح بتقدير اللام (بسلطان مبين) أي بحجة بينة واضحة يعرف صحتها كل عاقل ولا سبيل الى انكارها قال قتادة وابن عباس بعذر بين والاول أولى وبه قال يحيى بن سلام (واني عذت بربي وربكم من) (أن ترجمون) استعاذ بالله سبحانه لما توعدوه بالقتل قال قتادة ترجموني بالحجارة وبه قال ابن عباس وقيل تشتموني كذا قال ابن عباس أيضا وقيل تقتلوني (وان لم تؤمنوا لي) أي ان لم تصدقوني وتقروا بنبوتي ولم تؤمنوا بالله لاجل برهاني فاللام في لي لام الاجل وقيل أي وان لم تؤمنوا بي كقوله فآمن له لوط أي به (فاعتزلون) أي فاتركوني ولا تتعرضوا الي بأذى قال مقاتل دعوني كفافا لا علي ولا لي وقيل كونوا بمعزل عني وأنا بمعزل منكم الى ان يحكم الله بيننا وقيل خلوا سبيلي قاله ابن عباس والمعنى متقارب ثم لما لم يصدقوه ولم يجيبوا دعوته رجع الى ربه بالدعاء كما حكى الله عنه بقوله (فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون) أي كافرون قرأ الجمهور بفتح الهمزة على اضمار حرف الجر أي دعاه بان هؤلاء وقرئ بكسرها على اضمار القول وفي الكلام حذف أي لكفروا فدعا ربه وسماه دعاء مع انه لم يذكر الا مجرد كونهم مجرمين لانهم قد استحقوا بذلك الدعاء عليهم وقيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين والاول أولى (فاسر بعبادي ليلا) أجاب الله سبحانه دعاءه وأمره أن يسري ببني اسرائيل ليلا يقال سرى وأسرى لغتان جيدتان قرأ الجمهور فأسر بالقطع

الخراساني وقال سعيد بن جبير يعني بالدار الجنة يقول أخلصناها لهم بذكرهم لها وقال في رواية أخرى ذكرى الدار عقبى الدار وقال قتادة كانوا يذكرون الناس الدار الآخرة والعمل لها وقال ابن زيد جعل لهم خاصة أفضل شيء في الدار الآخرة وقوله تعالى وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار أي لمن المختارين المجتبين الاخيار فهم أخيار مختارون وقوله تعالى واذكر اسمعيل واليسع

من أسرى وقرأ أهل الحجاز بالوصل من سرى وهما لغتان والجملة بتقدير القول أي فقال الله لموسى أسر بعبادي ليلا (انكم متبعون) أي يتبعكم فرعون وجنوده وقد تقدم في غير موضع خروج فرعون بعدهم (واترك البحر رهوا) أي ساكنا يقال رها يرهو رهوا اذا سكن لا يتحرك قال الجوهري يقال افعل ذلك رهوا أي ساكنا على هينتك وعيش راه أي ساكن ورها البحر سكن وقال الهروي وغيره وهو المعروف في اللغة والمعنى اترك البحر ساكنا على صفته بعد ان ضربته بعصاك ولا تأمره ان يرجع كما كان ليدخله آل فرعون بعدك وبعد بني اسرائيل فينطبق عليهم فيغرقون وقال أبو عبيدة رها بين رجليه يرهو رهوا أي فتح قال ومنه قوله واترك البحر رهوا والمعنى اتركه منفرجا كما كان بعد دخولكم فيه وكذا قال أبو عبيد وبه قال مجاهد وغيره قال ابن عرفة وهما يرجعان الى معنى واحد وان اختلف لفظاهما لان البحر اذا سكن جريه انفرج قال الهروي ويجوز ان يكون رهوا نعتا لموسى أي سر ساكنا على هينتك وقال كعب والحسن رهوا طريقا وقال الضحاك والربيع سهلا وقال عكرمة يبسا كقوله فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا وعلى كل تقدير فالمعنى اتركه ذا رهو أو اتركه رهوا على المبالغة في الوصف بالمصدر وقال ابن عباس رهوا سمتا وعنه قال كهيئته وامضه وعنه أيضا قال الرهو أن يترك كما كان (انهم) أي ان فرعون وجنده بعد خروجكم (جند مغرقون) أي متمكنون في هذا الوصف وان كان انهم وصف الموت والجمع الذي شأنه النجدة والوحدة للعلو في الامور أخبر سبحانه موسى بذلك ليسكن قلبه ويطمئن جأشه قرأ الجمهور بكسر ان على الاستئناف لقصد الاخبار بذلك وقرئ بالفتح على تقدير لانهم (كم تركوا) كم هي الخبرية المفيدة للتكثير وقد مضى الكلام في معنى الآية في سورة الشعراء والمعنى فاغرقوا او كم مفعوله أي تركوا أمورا كثيرة وقد بينها بقوله (من جنات) أي بساتين (وعيون) تجري (وزروع ومقام كريم) قرأ الجمهور مقام بفتح الميم على انه اسم مكان القيام وقرئ بضمها اسم مكان الاقامة قال ابن عباس ومقام كريم المنابر وعن جابر مثله وقيل هو ما كان لهم من المنازل الحسنة والمجالس البهية والمحافل المزينة (ونعمة كانوا فيها فاكهين) النعمة بالفتح التنعم ونضارة العيش ولذاذته يقال نعمه الله وناعمه فتنعم وبالكسر المنة وما أنعم به عليك وفلان واسع النعمة أي واسع المال ذكر معنى هذا الجوهري وقال المحلي نعمة أي متعة أي أمور يتمتعون وينتفعون بها كالملابس والمراكب قرأ الجمهور فاكهين بالالف وقرئ بغير ألف والمعنى على الاولى متنعمين طيبة أنفسهم وعلى الثانية أشرين بطرين قال الجوهري فكه الرجل بالكسر فهو فكه اذا كان طيب النفس مزاحا والفكه أيضا الاشر البطر قال وفاكهين أي ناعمين وقال الثعلبي هما لغتان كالحاذر والحذر والفاره والفره وقيل ان الفاكه هو المستمتع بانواع اللذة كما يتمتع الرجل بانواع الفاكهة (كذلك) أي الامر كذلك يجوز ان تكون في محل نصب والاشارة الى مصدر فعل يدل عليه تركوا أي مثل ذلك السلب سلبناهم اياها وقيل مثل ذلك الاخراج أخرجناهم منها وقيل مثل ذلك الاهلاك أهلكناهم وعلى الوجه الاول يكون قوله (وأورثناها) معطوفا على تركوا

وذا الكفل وكل من الاخيار قد تقدم الكلام على قصصهم وأخبارهم مستقصاة في سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام بما أغنى عن اعادته ههنا وقوله عز وجل هذا ذكر أي هذا فصل فيه ذكر لمن يذكر وقال السدي يعني القرآن العظيم (وان للمتقين لحسن مآب جنات عدن مفتحة لهم الابواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب

[illegible]

... المؤمن ... [illegible]

(وما كنا معذبين) ... [illegible]

[illegible] (حتى نبعث رسولا) [illegible] ... العذاب ... [illegible]

[illegible]

وقرأ ابن عباس من فرعون بفتح الميم على الاستفهام التحقيري كما يقال لمن افتخر بحسبه ونسبه من أنت والاول أولى ثم بين سبحانه فقال (انه كان عاليا) في التكبر والتجبر (من المسرفين) في الكفر بالله وارتكاب معاصيه كما في قوله ان فرعون علا في الارض ومن اسرافه انه كان على حقارته وخسته ادعى الالهية ولما بين سبحانه كيفية دفعه للضرر عن بني اسرائيل بين ما أكرمهم به فقال (ولقد اخترناهم) اي بني اسرائيل (على) اي مع (علم) منا بحالهم وبكونهم احقاء بأن يختاروا او بكونهم يزيغون ويحصل منهم الفرطات في بعض الاحوال (على العالمين) أي على عالمي زمانهم على علم منه سبحانه باستحقاقهم لذلك وليس المراد انه اختارهم على جميع العالمين بدليل قوله في هذه الامة كنتم خير أمة أخرجت للناس وقيل على كل العالمين لكثرة الانبياء منهم وهذا خاصة لهم وليس لغيرهم حكاه ابن عيسى والزمخشري وغيرهما والاول أولى وقيل يرجع هذا الاختيار الى تخليصهم من الغرق وايراثهم الارض بعد فرعون (وآتيناهم من الآيات) اي معجزات موسى (ما فيه بلاء مبين) اي اختبار ظاهر وامتحان واضح لننظر كيف تعملون وقال قتادة الآيات انجاؤهم من الغرق وفلق البحر لهم وتظليل الغمام عليهم وانزال المن والسلوى لهم وقال ابن زيد الآيات هي الشر الذي كفهم عنه والخير الذي أمرهم به وقال الحسن وقتادة البلاء المبين النعمة الظاهرة كما في قوله وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا و كم بالشر والخير فتنة (ان هؤلاء) اي كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون مسوقة للدلالة على استوائهم في الاصرار على الكفر (ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى) التي نموتها في الدنيا ولا حياة بعدها ولا بعث وهو معنى قوله (وما نحن بمنشرين) اي بمبعوثين يقال أنشر الله الموتى ونشرهم اذا بعثهم وليس في الكلام قصد الى اثبات موتة أخرى بل المراد ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحياة الدنيوية قال الرازي وابن الخطيب المعنى انه لا يأتينا من الاحوال الشديدة الا الموتة الاولى وهذا الكلام يدل على انه لا تأتيهم الحياة الثانية البتة فلا حاجة الى التكلف الذي ذكره الزمخشري في هذا المقام ثم أوردوا على من وعدهم بالبعث ما ظنوه دليلا وهو شبهة داحضة فقالوا (فأتوا بآبائنا) أي ارجعوهم بعد موتهم الى الدنيا قال الفراء والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحده كقوله رب ارجعوني والاولى انه خطاب له صلى الله عليه وآله وسلم ولاتباعه من المسلمين (ان كنتم صادقين) فيما تقولونه وتخبرونا به من البعث ثم رد الله سبحانه عليهم بقوله (أهم خير) في القوة والمنعة (أم قوم تبع) الحميري الذي دار في الدنيا بجيوشه وغلب أهلها وقهرهم وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وكان قومه كافرين وكان من ملوك اليمن سمي تبعا لكثرة اتباعه وقيل كل واحد من ملوك اليمن سمي تبعا لانه يتبع صاحبه الذي قبله كما سمي في الاسلام خليفة وهو وعيد شديد وقيل المراد بقوم تبع جميع اتباعه لا واحد بعينه وكان تبع هذا يعبد النار فأسلم ودعا قومه وهم حمير الى الاسلام فكذبوه وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا تسبوا تبعا فانه قد أسلم رواه البيهقي والحاكم وصححه وابن المبارك

أبوابها قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد ابن أيوب الهاري حدثنا عبد الله ابن عمر حدثنا عبد الله بن مسلم يعني ابن هرمز عن ابن سابط عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج له خمسة آلاف باب عند كل باب خمسة آلاف حبرة لا يدخله او لا يسكنه الا نبي أو صديق أو شهيد او امام عدل وقد ورد

وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا وعن سهل بن سعد الساعدي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكر نحوه أخرجه أحمد والطبراني وابن ماجه وابن مردويه وروى نحو هذا عن غير هؤلاء من الصحابة والتابعين قال الرقاشي كان أبو كرب أسعد الحميري من التابعة ممن آمن بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قبل ان يبعث بسبعمائة سنة والسنة تنسب الانصار وهو أول من كسى البيت بعدما أراد غزوه وبعدما غزا المدينة وأراد خرابها ثم انصرف عنها لما أخبر انها مهاجر نبي اسمه أحمد وقال شعرا أودعه عند أهلها وكانوا يتوارثونه كابرا عن كابر الى ان هاجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدفعوه اليه وقال كعب ذم الله قومه ولم يذمه والمراد بقوله (والذين من قبلهم) عاد وثمود ونحوهم من الامم الكافرة (أهلكناهم) مستأنف لبيان حالهم وعاقبة أمرهم (انهم كانوا مجرمين) أى كافرين منكرين للبعث تعليل لاهلاكهم يعني ان الله سبحانه قد أهلكهم بسبب كونهم مجرمين فاهلاك من هو دونهم بسبب كونه مجرما مع ضعفه وقصور قدرته بالاولى (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما) أى ما بين جنسي السماء والارض (لاعبين) أى لغير غرض صحيح قال مقاتل لم نخلقهما عابثين لغير شئ وقال الكلبي لاهين وقيل غافلين وقرأ الجمهور وما بينهما وقرئ وما بينهن لان السموات والارض جمع (ما خلقناهما) وما بينهما (الا بالحق) أى بالامر الحق والاستثناء مفرغ من أعم الاحوال وقال الكلبي الا للحق وكذا قال الحسن وقيل الا لاقامة الحق واظهاره وقيل بالعدل وهو الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية وقيل بالجد ضد اللعب (ولكن أكثرهم لا يعلمون) لقلة نظرهم ان الامر كذلك وهم المشركون وفيه تجهيل عظيم لمنكري البعث والحشر وتوكيد لان انكارهم يؤدي الى ابطال الكائنات بأسرها ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم وفي هذه الآية دليل على صحة الحشر ووقوعه ووجه الدلالة انه لو لم يحصل البعث والجزاء لكان هذا الخلق عبثا لانه تعالى خلق نوع الانسان وخلق ما ينتظم به أسباب معاشهم من السقف المرفوع والمهاد المفروش وما فيهما وما بينهما من عجائب المصنوعات وبدائع الاحوال ثم كلفهم بالايمان والطاعة فقضى ذلك ان يتميز المطيع من العاصي بان يكون المطيع متعلق فضله واحسانه والعاصي متعلق عدله وعقابه وذلك لا يكون في الدنيا لقصر زمانها وعدم الاعتداد بمنافعها لكونها مشوبة بانواع الآفات والمحن فلابد من البعث لتجزى كل نفس بما كسبت فظهر بهذا وجه اتصال الآية بما قبلها وهو انه لما حكى مقالة منكري البعث والجزاء وهددهم ببيان مآل المجرمين الذين هم ضرباؤهم ذكر الدليل القاطع الدال على صحة البعث والجزاء فقال وما خلقنا الخ (ان يوم الفصل) أى يوم القيامة الذي يفصل فيه الحق عن الباطل والاضافة على معنى في والظاهر انها بمعنى اللام (ميقاتهم) أى الوقت المجعول لتمييز المحسن من المسيء والمحق من المبطل (أجمعين) لا يخرج عنهم أحد من ذلك وقد اتفق القراء على رفع ميقاتهم على انه خبر ان واسمها يوم الفصل وأجاز الكسائي والفراء نصبه على انه اسمها ويوم الفصل خبرها ثم وصف سبحانه ذلك اليوم فقال (يوم لا يغني مولى عن مولى شيأ) بدل من يوم الفصل أو منتصب بفعل

في ذكر أبواب الجنة الثمانية أحاديث كثيرة من وجوه عديدة وقوله عز وجل متكئين فيها حال مقدر تعين على ضمير تحت الحال يدعون فيها بفاكهة كثيرة أى مهما طلبوا وجدوا وأحضر كما أرادوا وشراب أى من أى أنواعه شاؤا أتتهم به الخدام بأكواب وأباريق وكأس من معين وعندهم قاصرات الطرف أى عن غير أزواجهن فلا يلتفتن الى غير بعولتهن أتراب أى متساويات في

يدل عليه المفصل أي يفصل بينهم يوم لا يغني والمعنى انه لا ينفع قريب قريبا ولا يدفع عنه شيأ ويطلق المولى على الولي وهو القريب والناصر وفي المختار المولى المعتق والمعتق وابن العم والناصر والجار والحليف أي لا يدفع ابن عم عن ابن عمه ولا صديق عن صديقه شيأ ومولى الاول مرفوع بالفاعلية والثاني مجرور بعن واعرابهما اعراب المقصور كفتى وعصا ورحى والمراد بالمولى الثاني الكافر وبالاول المؤمن اى لا يغني مولى مؤمن عن مولى كافر شيأ فهذه الآية نظير قوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيأ الآية (ولا هم ينصرون) الضمير راجع الى المولى وان كان مفردا في اللفظ لانه في المعنى جمع لانه نكرة في سياق النفي وهو من صيغ العموم اى ولا هم يمنعون من عذاب الله والجملة توكيد لما قبلها فالمعنى لا ينصر المؤمن الكافر ولو كان بينهما في الدنيا علاقة من قرابة أو صداقة أو غيرهما كما أشار له القرطبي (الا من رحم الله) قال الكسائي الاستثناء منقطع أي لكن من رحم الله وكذا قال الفراء وقيل هو متصل والمعنى لا يغني قريب عن قريب الا المؤمنين فانه يؤذن لهم في الشفاعة فيشفعون في بعضهم أو مرفوع على البدلية من مولى الاول ويغني بمعنى ينفع قاله الحوفي أو مرفوع المحل أيضا على البدلية من واو ينصرون أي لا يمنع من عذاب الله الا من رحمه الله ذكره السمين (انه هو العزيز الرحيم) أي الغالب الذي لا ينصر من أراد عذابه الرحيم بعباده المؤمنين ثم لما وصف اليوم ذكر بعده وعيد الكفار فقال

(ان شجرت الزقوم طعام الاثيم) هي الشجرة التي خلقها الله في جهنم على صورة شجر الدنيا وسماها الشجرة الملعونة والزقوم ثمرها وهو كل طعام ثقيل فاذا جاع أهل النار التجؤا اليها فأكلوا منها وقد مضى الكلام على شجرة الزقوم في سورة الصافات وشجرت ترسم بالتاء المجرورة ووقف عليها بالهاء أبو عمرو وابن كثير والكسائي ووقف الباقون بالتاء على الرسم قاله الخطيب وفي القرطبي كل ما في كتاب الله من ذكر الشجرة فالوقف عليه بالهاء الا حرفا واحدا في سورة الدخان ان شجرت الزقوم انتهى أي فيجوز الوقف عليها بالتاء والهاء وفي القاموس كلام مبسوط على الزقم والزقوم فليرجع اليه والاثيم الكثير الاثم قال في الصحاح اثم الرجل بالكسر اثما ومأثما اذا وقع في الاثم فهو آثم وأثيم وأثوم فمعنى طعام الاثيم طعام ذي الاثم قيل هو أبو جهل ولا وجه للتخصيص (كالمهل) وهو دردي الزيت وعكر القطران وقيل هو النحاس المذاب وقيل كل ما يذوب في النار من ذهب أو فضة وكل منطبع سواء كان من صفر أو حديد أو رصاص وقيل الصديد والقيح (يغلي في البطون كغلي الحميم) قرأ الجمهور تغلي بالتاء على ان الفاعل ضمير يعود على الشجرة والجملة خبر ثالث أو حال أو خبر مبتدا محذوف أي تغلي غليا مثل غلي الحميم وهو الماء الشديد الحرارة وقرئ بالتحتية على ان الفاعل ضمير يعود الى الطعام وهو في معنى الشجرة ولا يصح عوده الى المهل لانه مشبه به وانما يغلي ما يشبه بالمهل (خذوه) أي يقال للملائكة الذين هم خزنة النار خذوه أي الاثيم (فاعتلوه) العتل القود بالعنف يقال عتله يعتله اذا جره

في السن والعمر هذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد ابن جبير ومحمد بن كعب والسدي هذا ما توعدون ليوم الحساب أي هذا الذي ذكرنا من صفة الجنة هي التي وعدها العباده المتقين التي يصيرون اليها بعد نشورهم وقيامهم من قبورهم وسلامتهم من النار ثم أخبر تبارك وتعالى عن الجنة انه لا فراغ لها ولا زوال ولا انقضاء ولا انتهاء فقال تعالى ان هذا لرزقنا ما له من نفاد كقوله عز وجل ما عندكم ينفد وما

وذهب به الى مكروه وقيل العتل ان تأخذ بتلابيب الرجل وتجامعه فتجره قرأ الجمهور فاعتلوه بكسر التاء وقرئ بضمها وهما لغتان وقراءتان سبعيتان (الى سواء الجحيم) أى الى وسطه ومعظمه كقوله فرآه فى سواء الجحيم (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) من هى التبعيضية أى صبوا فوق رأسه بعض هذا النوع واضافة العذاب الى الحميم للبيان أى عذاب هو الحميم وهو الماء الحار كما تقدم أو من اضافة الصفة للموصوف أو المسبب للسبب فالمصبوب هو الحميم لا عذابه وصب العذاب استعارة كقوله أفرغ علينا صبرا فقد شبه العذاب بالمائع ثم خيل له بالصب (ذق) الامر للاهانة به أى قولوا له تهكما وتقريعا وتوبيخا ذق العذاب (انك) قرأ الجمهور بكسر الهمزة وقرأ الكسائى بفتحها وروى ذلك عن على أى لانك (انت العزيز الكريم) قيل ان اباجهل كان يزعم انه أعز اهل الوادى وا كرمهم فيقولون له ذق العذاب ايها المتعزز المتكرم على زعمك وفيما كنت تقوله قال الفراء أى لهذا القول الذى قلته فى الدنيا عن ابن عباس فى الآية قال يقول لست بعزيز ولا كريم أخرج الأموى فى مغازيه عن عكرمة قال لقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أباجهل فقال ان الله أمرنى ان أقول لك أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى قال فنزع يده من يده وقال ماتستطيع لى أنت ولا صاحبك من شئ لقد علمت انى أمنع أهل بطحاء وأنا العزيز الكريم فقتله الله يوم بدر وأذله وعيره بكلمته وأنزل ذق انك أنت العزيز الكريم (ان هذا) العذاب أو هذا الامر (ما كنتم به تمترون) اى تشكون فيه حين كنتم فى الدنيا والجمع باعتبار جنس الاثيم ثم ذكر سبحانه مستقر المتقين فقال (ان المتقين) الذين اتقوا الكفر والمعاصى (فى مقام) قرأ الجمهور مقام بفتح الميم وهو موضع القيام وقرئ بضمها وهو موضع الاقامة قاله الكسائى وغيره وهما سبعيتان وقال الجوهرى قد يكون كل واحد منهما بمعنى الاقامة وقد يكون بمعنى موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذى وقع مستعملا فى معنى العموم ثم وصف المقام بقوله (أمين) يأمن فيه صاحبه من جميع المخاوف قال النسفى هو من أمن الرجل أمانة فهو أمين وهو ضد الخائن فوصف به المكان استعارة لان المكان المخيف كأنما يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره انتهى وأصل الامن طمأنينة النفس وزوال الخوف والأمن والامان والامانة فى الاصل مصادر ويستعمل الأمان تارة اسما للحالة التى عليها الانسان فى الأمن وتارة لما يؤمن عليه الانسان كقوله وتخونوا أماناتكم أى ما ائتمنتم عليه (فى جنات وعيون) بدل من مقام أمين جئ به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما يستلذ به من المآكل والمشارب أو بيان له أو خبر ثان (يلبسون من سندس واستبرق) خبر ثان أو ثالث أو حال من الضمير المستكن فى الجار والمجرور والسندس مارق من الديباج وفى المصباح الديباج ثوب سداه ولحمته ابريسم ويقال انه معرب انتهى والاستبرق ما غلظ منه وهو تعريب استبر واللفظ اذا عرب خرج من ان يكون عجميا لان معنى التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرائه على أوجه الاعراب فساغ ان يقع فى القرآن العربى وقد تقدم تفسيره

عند الله باق وكقوله جل وعلا عطاء غير مجذوذ وكقوله تعالى لهم أجر غير ممنون أى غير مقطوع وكقوله عز وجل أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار والآيات فى هذا كثيرة جدا (هذا وان للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها فبئس المهاد هذا فليذوقوه حميم وغساق وآخر من شكله أزواج هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم انهم صالوا النار قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار قالوا ربنا من قدم لنا هذا

في سورة الكهف (متقابلين) أي في مجالسهم ينظر بعضهم الى بعض وهو أتم للانس ولا يرد ما قيل من ان الجلوس على هذه الصفة موحش لان قليل الثواب اذا اطلع على حال كثير الثواب يتنغص لان أحوال الآخرة بخلاف أحوال الدنيا وقال الحلي لا ينظر بعضهم الى قفا بعض لدوران الاسرة بهم (كذلك) أي نفعل بالمتقين فعلا كذلك أو الامر كذلك (وزوجناهم) أي أكرمناهم بان زوجناهم (بحور عين) الحور جمع حوراء وهي البيضاء والعين جمع عيناء وهي الواسعة العين وقال مجاهد انما سميت الحوراء حوراء لانه يحار الطرف في حسنها وقيل هو من حور العين وهو شدة بياض العين في شدة سوادها كذا قال أبو عبيدة وقال الاصمعي ما أدري ما الحور في العين قال أبو عمرو الحور أن تسود العين كلها مثل أعين الظباء والبقر قال وليس في بني آدم حور وانما قيل للنساء حور لانهن شبهن بالظباء والبقر وقيل المراد بقوله وزوجناهم قرناهم وليس من عقد التزويج لانه لا يقال زوجته بامرأة وقال أبو عبيدة وجعلناهم أزواجا لهن كما يزوج النعل بالنعل أي جعلناهم اثنين اثنين وكذا قال الاخفش واختلف أيهما أفضل في الجنة النساء الآدميات أم الحور ذكر في المدارك ان نساء الآدم ان من دخل منهن الجنة فضلن على الحور العين بما عملن في الدنيا وروى مرفوعا ان الآدميات أفضل من الحور العين بسبعين ألف ضعف وقيل ان الحور العين أفضل لقوله عليه الصلاة والسلام وأبدله زوجا خيرا من زوجه والله أعلم (يدعون فيها) أي في الجنة (بكل فاكهة) أي يأمرون باحضار ما يشتهون من الفواكه حال كونهم (آمنين) من التخم والأسقام والآلام قال قتادة آمنين من الموت والوصب والشيطان وقيل من انقطاع ما هم فيه من النعيم (لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى) أي لا يموتون فيها أبدا الا الموتة التي ذاقوها في الدنيا والاستثناء منقطع أي لكن الموتة كذا قال الزجاج والفراء وغيرهما ومثل هذه الآية قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف وقيل ان الا بمعنى بعد واختاره الطبري كقولك ما كلمت رجلا اليوم الا رجلا عندك أي بعد رجل عندك وأباه الجمهور لان مجيء الا بمعنى بعد لم يثبت وقيل هي بمعنى سوى أي سوى الموتة الاولى قاله الطبري وضعفه قال ابن عطية وليس تضعيفه بصحيح بل كونها بمعنى سوى مستقيم متسق قال ابن قتيبة انما استثنى الموتة الاولى وهي في الدنيا لان السعداء حين يموتون يصيرون بلطف الله وقدرته الى أسباب من الجنة يلقون الروح والريحان ويرون منازلهم من الجنة ويفتح لهم أبوابها فاذا ماتوا في الدنيا فكأنهم ماتوا في الجنة لاتصالهم بأسبابها ومشاهدتهم اياها فيكون الاستثناء على هذا متصلا قال الزمخشري فان قلت كيف استثنيت الموتة الاولى المذوقة قبل دخول الجنة من الموت المنفي ذوقه فيها قلت أريد ان يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله الا الموتة الاولى موضع ذلك لان الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل فهو من باب التعليق بالمحال كأنه قيل ان كانت الموتة الاولى يستقيم ذوقها في المستقبل فانهم يذوقونها في الجنة انتهى قلت وهذا عند علماء

ورده عند ما اضطغنا في النار وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الابصار ان ذلك لحق تخاصم أهل النار) لما ذكر تبارك وتعالى مآل السعداء ثنى بذكر حال الاشقياء ومرجعهم ومآبهم في دار معادهم وحسابهم فقال عز وجل هذا وان للطاغين وهم الخارجون عن طاعة الله عز وجل المخالفون لرسل الله صلى الله عليه وسلم لشر مآب أي

اللسان سمى بنى الشئ بدلله (ووقاهم عذاب الجحيم) قرأ الجمهور ووقاهم بالتخفيف وقرئ بالتشديد على المبالغة (فضلا من ربك) اى لاجل الفضل منه أو اعطاهم ذلك عطاء فضلا منه (ذلك) الذى تقدم ذكره من صرف العذاب ودخول الجنة (هو الفوز العظيم) الذى لا فوز بعده المتناهى فى العظم لانه خلاص عن المكاره وظفر بالمطالب ثم لما بين سبحانه الدلائل وذكر الوعد والوعيد قال (فانما يسرناه بلسانك) اى انما انزلنا القرآن بلغتك كى يفهمه قومك فيتذكروا ويعتبروا ويعملوا بما فيه أو سهلناه بلغتك عليك وعلى من يقرؤه وهذا فذلكة للسورة واجمال لما فيها من التفصيل (لعلهم يتذكرون) اى يتعظون فيؤمنون لكنهم لا يؤمنون (فارتقب) اى فانتظر ما وعدناك من النصر عليهم واهلاكهم على يدك (انهم مرتقبون) اى فانهم منتظرون ما ينزل بك من موت او غيره وقيل انتظر أن يحكم الله بينك وبينهم فانهم منتظرون بك نوائب الدهر والمعنى متقارب قال المحلى وهذا قبل الامر بجهادهم اى فهو منسوخ وليس بصحيح لان رفع الاباحة الاصلية ليس نسخا انما النسخ رفع حكم ثبت فى الشرع بحكم آخر

لنسوء منقلب ومرجع ثم فسره بقوله جل وعلا جهنم يصلونها اى يدخلونها فتغمرهم من جميع جوانبهم فبئس المهاد هذا فليذوقوه حميم وغساق أما الحميم فهو الحار الذى قد انتهى حره وأما الغساق فهو ضده وهو البارد الذى لا يستطاع من شدة برده المؤلم ولهذا قال عز وجل وآخر من شكله أزواج أى وأشياء من هذا القبيل الشئ وضده

(سورة الجاثية وتسمى الشريعة قال الخازن هى ست او سبع وثلاثون آية)

وهى مكية كلها فى قول الحسن وجابر وعكرمة وقال ابن عباس وقتادة الا آية منها وهى قوله قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله فانها نزلت بالمدينة فى عمر بن الخطاب ذكره الماوردى وقال المهدوى والنحاس انها نزلت فى عمر شتمه رجل من المشركين بمكة قبل الهجرة فاراد ان يبطش به فانزل الله قل للذين آمنوا الآية ثم نسخت بآية القتال فالسورة كلها مكية على هذا من غير استثناء

(بسم الله الرحمن الرحيم حم) قد تقدم الكلام على هذا فى فاتحة سورة غافر وما بعدها والله أعلم بمراده به (تنزيل الكتاب) أى القرآن مبتدأ (من الله) خبره (العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى صنعه ثم أخبر سبحانه بما يدل على قدرته الباهرة فقال (ان فى السموات والارض) أى فى خلقهما (لآيات) دالة على قدرة الله ووحدانيته (للمؤمنين) قال الزجاج ويدل على ان المعنى فى خلقهما قوله (وفى خلقكم) أى نفسكم على أطوار مختلفة فى مبادئ من تراب ثم من نطفة الى أن تصير انسانا وحاصل ما ذكرها من الدلائل ستة على ثلاث فواصل الاولى للمؤمنين الثانية يوقنون الثالثة يعقلون ووجه التغاير بينها ان المنصف من نفسه اذا نظر فى السموات والارض وانه لا بد لهما من صانع آمن واذا نظر فى خلق نفسه ونحوها ازداد ايمانا فأيقن واذا نظر فى سائر الحوادث عقل واستحكم علمه (و) فى خلق (ما يبث) أى ما يفرقه وينشره (من دابة آيات) وللنحاة فى هذا الموضع كلام طويل فى رفع آيات ونصبها والبحث فى مسئلة العطف على معمولى عاملين مختلفين وحجج المجوزين له وجوابات المانعين منه مقرر فى علم النحو مبسوط فى مطولاته (لقوم يوقنون) يعنى انه لا اله الا هو (واختلاف الليل والنهار) أى فى تعاقبهما أو تفاوتهما فى الطول

والقمر والظلام والضياء وذهابهما ومجيئهما (وما أنزل الله من السماء من رزق)
معطوف على اختلاف والرزق المطر لأنه سبب لكل ما يرزق الله العباد به (فأحيا به
الأرض بعد موتها) إحياء الأرض إخراج نباتها وموتها خلوها عن النبات ويبسها
(وتصريف الرياح) في مهابها أي أنها تهب تارة من جهة وتارة من أخرى وتارة تكون
حارة وتارة تكون باردة وتارة نافعة وتارة ضارة والرياح أربعة بحسب جهات الأفق (آيات
لقوم يعقلون) مراد الله سبحانه في كتابه ويفهمون الدلائل ويؤمنون (تلك آيات الله نتلوها
عليك) أي هذه الآيات المذكورة هي حجج الله وبراهينه (بالحق) أي محقين أو متلبسة
بالحق أو الباء للسببية فتعلق بنفس الفعل (فبأي حديث بعد الله وآياته) أي بعد حجته فقيل
إن المقصود فبأي حديث بعد آيات الله وذكر الاسم الشريف ليس إلا لقصد تعظيم
الآيات فيكون من باب أعجبني زيد وكرمه وقيل المراد بعد حديث الله وهو القرآن كما في
قوله الله نزل أحسن الحديث وهو المراد بالآيات والعطف لمجرد التغاير العنواني
(يؤمنون) قرأ الجمهور بالفوقية وقرئ بالتحتية والمعنى يؤمنون بأي حديث وإنما قدم
عليه لأن الاستفهام له صدر الكلام (ويل) واد في جهنم أو كلمة عذاب (لكل أفاك أثيم)
أي لكل كذاب كثير الإثم مرتكب لما يوجبه ثم وصف هذا الأفاك بصفة أخرى فقال
(يسمع آيات الله) أي القرآن (تتلى عليه ثم يصر) على كفره ويقيم على ما كان عليه حال
كونه (مستكبرا) أي متماديا على كفره مستكبرا عن الإيمان ومتعظما في نفسه عن
الانقياد للحق والإصرار مأخوذ من إصرار الحمار على العانة وهو أن ينحني عليها صارا
أذنيه وثم للتراخي الرتبي عند العقل أي إصراره على الكفر بعدما قرعت له الأدلة المذكورة
وسمعها مستبعد في العقول قال مقاتل إذا سمع من آيات القرآن شيئا اتخذها هزوا وجملة
(كأن لم يسمعها) في محل نصب على الحال أو مستأنفة وأن هي المخففة من الثقيلة واسمها
ضمير شأن محذوف (فبشره بعذاب أليم) هذا من باب التهكم أي فبشره على إصراره
واستكباره وعدم استماعه إلى الآيات بعذاب شديد الألم قيل نزلت في النضر بن الحرث
وما كان يشتري من أحاديث العجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن والآية عامة
في كل من كان مضارا للدين الله (وإذا علم من آياتنا شيئا) قرأ الجمهور بفتح العين وكسر اللام
مخففة على البناء للفاعل وقرئ على البناء للمفعول والمعنى أنه إذا وصل إليه وبلغه شيء
وعلم أنه من آيات الله (اتخذها) أي الآيات (هزوا) وقيل الضمير في اتخذها عائد إلى شيء
لأنه عبارة عن الآيات والأول أولى (أولئك) أي كل أفاك متصف بتلك الصفات (لهم
عذاب مهين) بسبب ما فعلوا من الإصرار والاستكبار عن سماع آيات الله واتخاذها هزوا
والعذاب المهين هو المشتمل على الإذلال والفضيحة (من ورائهم) أي من وراء ما هم فيه
من التعزز بالدنيا والتكبر عن الحق (جهنم) فإنها من قدامهم لأنهم متوجهون إليها وعبر
عن القدام بالوراء كقوله من ورائه جهنم والوراء يستعمل بمعنى الأمام كما يستعمل بمعنى
الخلف وهو مشترك بين المعنيين ويستعمل في الشيء وضده كالجون يستعمل في الأبيض

يعاقبون بها قال الإمام أحمد حدثنا
حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة
حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي
سعيد رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه قال لو أن دلوا
من غساق يهراق في الدنيا لأنتن
أهل الدنيا ورواه الترمذي عن
سويد بن نصر عن ابن المبارك عن
رشدين بن سعد عن عمرو بن الحرث
عن دراج به ثم قال لا نعرفه إلا من
حديث رشدين كذا قال وقد تقدم
من غير حديثه ورواه ابن جرير

والاسود على سبيل الاشتراك وقيل جعلها باعتبار اعراضهم عنها كأنها خلفهم وقيل
الوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف أو قدام (ولا يغني) أي لا يدفع (عنهم
ما كسبوا) من أموالهم وأولادهم (شيأ) من عذاب الله ولا ينفعهم بوجه من وجوه النفع
(ولا) يغني عنهم (ما اتخذوا من دون الله أولياء) من الاصنام وما في الموضعين اما مصدرية
أو موصولة وزيادة لا في الجملة الثانية للتأكيد (ولهم عذاب عظيم) في جهنم التي هي من
ورائهم (هذا) أي القرآن (هدى) للمهتدين به (والذين كفروا بآيات ربهم) القرآنية
(لهم عذاب من رجز أليم) الرجز أشد العذاب قرأ الجمهور أليم بالجر صفة للرجز وقرئ
بالرفع صفة لعذاب (الله الذي سخر لكم البحر) أي جعله على صفة تتمكنون من
الركوب عليه بأن جعله أملس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص
فيه (لتجري الفلك فيه بأمره) أي باذنه واقداره لكم (ولتبتغوا من فضله) بالتجارة تارة
والغوص للدر والمعالجة للصيد وغير ذلك (ولعلكم تشكرون) أي ولكي تشكروا النعم
التي تحصل لكم بسبب هذا التسخير للبحر (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض
جميعا منه) أي سخر لعباده جميع ما خلقه في سمواته وأرضه مما يتعلق به مصالحهم وتقوم
به معايشهم ومما سخره لهم من مخلوقات السموات الشمس والقمر والنجوم النيرات والمطر
والسحاب والرياح وجميعا حال من ما في السموات أو تأكيد له وقوله منه متعلق بمحذوف
هو صفة لجميعا اى كائنا منه أو متعلق بسخر أو حال من ما في السموات أو خبر لمبتدأ محذوف
والمعنى ان كل ذلك رحمة منه لعباده وقال ابن عباس جميعا منه أي منه النور والشمس
والقمر وكل شئ هو من الله وعن طاوس قال جاء رجل الى عبد الله بن عمرو بن العاص
فسأله مم خلق الخلق قال من الماء والنور والظلمة والهواء والتراب قال فمم خلق هؤلاء
قال لا أدري ثم أتى الرجل عبد الله بن الزبير فسأله فقال مثل قول عبد الله بن عمرو فأتى ابن
عباس فسأله مم خلق الخلق فقال من الماء والنور والظلمة والريح والتراب قال فمم خلق
هؤلاء فقرأ ابن عباس وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه فقال الرجل
ما كان ليأتي بهذا الا رجل من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ان في ذلك)
المذكور من التسخير (لآيات لقوم يتفكرون) خص المتفكرين لانه لا ينتفع بها الا من
تفكر فيها فانه ينتقل من التفكر الى الاستدلال بها على التوحيد (قل للذين آمنوا يغفروا)
اى قل لهم اغفروا يغفروا اى يعفوا ويصفحوا قاله علي بن عيسى واختاره ابن العربي
وقيل التقدير قل لهم ليغفروا والمعنى قل لهم ليتجاوزوا (للذين لا يرجون ايام الله) أى
عن الذين لا يرجون وقائع الله باعدائه أي لا يتوقعونها ومعنى الرجاء هنا الخوف وقيل
هو على معناه الحقيقي والمعنى لا يرجون ثوابه في الاوقات التي وقتها الله لثواب المؤمنين
والاول أولى والايام يعبر بها عن الوقائع كما تقدم في تفسير قوله وذكرهم بايام الله قال
مقاتل لا يخشون مثل عذاب الله للامم الخالية وذلك انهم لا يؤمنون به فلا يخافون عقابه
وقيل المعنى لا يأملون نصر الله لاوليائه وايقاعه بأعدائه وقيل لا يخافون البعث وقيل

عن يونس بن عبد الاعلى عن ابن
وهب عن عمرو بن الحرث به وقال
كعب الاحبار غساق عين في جهنم
يسيل اليها حمة كل ذات حمة من
حية وعقرب وغير ذلك فيستنقع
فيؤتى بالآدمي فيغمس فيها غمسة
واحدة فيخرج وقد سقط جلده ولحمه
عن العظام ويتعلق جلده ولحمه
في كعبيه وعقبيه ويجر لحمه كله كما
يجر الرجل ثوبه رواه ابن أبي حاتم
وقال الحسن البصري في قوله تعالى
وآخر من شكله أزواج ألوان من

والآية منسوخة بآية السيف والأقرب أن يقال إنه محمول على ترك المنازعة وعلى التجاوز فيما يصدر عنهم من الكلمات المؤذية وعن ابن عباس في الآية قال كان نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم يعرض عن المشركين إذا آذوه وكانوا يستهزئون به ويكذبونه وأمره الله أن يقاتل المشركين كافة فكأن هذا من المنسوخ والأولى القول بعدم النسخ (ليجزي) الله (قوما) قرئ بالتحتية وقرئ بالنون أي لنجزي نحن والجملة لتعليل الأمر بالمغفرة والمراد بالقوم المؤمنون أمروا بالمغفرة ليجزيهم الله يوم القيامة (بما كانوا يكسبون) في الدنيا من الأعمال الحسنة التي من جملتها الصبر على أذية الكفار والإغضاء عنهم بكظم الغيظ واحتمال المكروه وقيل المعنى ليجزي الكفار بما عملوا من السيئات كأنه قال لا تكافئوهم أنتم لنكافئهم نحن قيل المراد بالقوم كلا الفريقين والتنكير للتعظيم أو التحقير أو التنويع والأول أولى ثم ذكر المؤمنين وأعمالهم والمشركين وأعمالهم فقال (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها) أي أن عمل كل طائفة من إحسان وإساءة لعامله لا يتجاوزه إلى غيره وفيه ترغيب وترهيب والجملة مستأنفة لبيان كيفية الجزاء (ثم إلى ربكم ترجعون) أي تصيرون فيجازي كلا بعمله إن كان خيرا فخير وإن كان شرا فشر (ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة) المراد بالكتاب التوراة كذا في الكشاف وتبعه القاضي ولعل الأولى أن يحمل الكتاب على الجنس حتى يشمل الإنجيل والزبور أيضا لكن جمهور المفسرين على تفسيره بالتوراة لأنه ذكر بعدها الحكم ونحوه وما ذكر لا حكم فيه إذ الزبور أدعية ومناجاة والإنجيل أحكامه قليلة جدا وعيسى مأمور بالعمل بالتوراة والمراد بالحكم الفهم والفقه الذي يكون بهما الحكم بين الناس وفصل خصوماتهم وبالنبوة من بعثه الله من الأنبياء فيهم (ورزقناهم من الطيبات) أي المستلذات التي أحلها الله لهم ومن ذلك المن والسلوى وهذه نعم دنيوية وما قبله من الكتاب والنبوة نعم دينية (وفضلناهم على العالمين) من أهل زمانهم حيث آتيناهم ما لم نؤت من عداهم من كثرة الأنبياء فيهم وفلق البحر وغرق العدو ونحوها وقد تقدم بيان هذا في سورة الدخان قال ابن عباس لم يكن أحد من العالمين في زمانهم أكرم على الله ولا أحب إليه منهم (وآتيناهم بينات من الأمر) أي شرائع واضحات في الحلال والحرام أو معجزات ظاهرات وقيل العلم ببعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وشواهد نبوته وتعيين مهاجره (فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم) أي فما وقع الاختلاف بينهم في ذلك الأمر إلا بعد مجيء العلم إليهم ببيانه وإيضاح معناه فجعلوا ما يوجب زوال الخلاف موجبا لثبوته وقيل المراد بالعلم يوشع بن نون فإنه آمن به بعضهم وكفر بعضهم وقيل نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فاختلفوا فيها حسدا و(بغيا بينهم) قيل بغيا من بعضهم على بعض بطلب الرياسة (إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) من أمر الدين فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته (ثم جعلناك على شريعة من الأمر) ثم للاستئناف والشريعة في اللغة المذهب والملة والمنهاج ويقال لمشرعة الماء وهي مورد

العذاب وقال غيره كالزمهرير والسموم وشرب الحميم وأكل الزقوم والصعود والهوى الى غير ذلك من الاشياء المختلفة المتضادة والجميع مما تعذبون به وتهانون بسببه وقوله عز وجل هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم انهم صالوا النار هذا اخبار من الله تعالى عن قيل أهل النار بعضهم لبعض كما قال تعالى كلما دخلت أمة لعنت أختها يعني بدل السلام

سار بشريعة واحتج شرائع فاستعير ذلك للدين لان العباد يردون ما تحيا به نفوسهم وبه الشارع له طريق الى المقصد فالمراد بالشريعة هنا ما شرعه الله لعباده من الدين أى جعلناك يا محمد على منهاج واضح من امر الدين يوصلك الى الحق وقال ابن عباس على هدى من أمر دينه قال قتادة الشريعة الامر والنهى والحدود والفرائض والسنة لانها طريق الى الحق وقال الكلبي السنة لانه يستن بطريقة من قبله من الانبياء وقال ابن زيد الدين لانه طريق الى النجاة وقال ابن العربي الامر يرد فى اللغة بمعنيين احدهما بمعنى الشأن كقوله وما أمر فرعون برشيد والثانى بمعنى النهى وكلاهما يصح ان يكون مرادا هنا وتقديره ثم جعلناك على طريقة من الدين وهى ملة الاسلام كما قال تعالى ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا ولا خلاف ان الله تعالى لم يغاير بين الشرائع فى التوحيد والمكارم والمصالح وانما خالف بينها فى الفروع حسب ما علمه سبحانه وتعالى (فاتبعها) أى اعمل بأحكامها فى أمتك (ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) توحيد الله وشرائعه لعباده وهم كفار قريش ومن وافقهم ثم علل النهى عن اتباع أهوائهم فقال (انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا) أى لا يدفعون عنك شيئا مما أراده الله بك ان اتبعت أهواءهم (وان الظالمين بعضهم أولياء بعض) أى أنصار ينصر بعضهم بعضا لان الجنسية علة الانضمام قال ابن زيد ان المنافقين أولياء اليهود (والله ولى المتقين) أى ناصرهم والمراد بالمتقين الذين اتقوا الشرك والمعاصى والاشارة بقوله (هذا) الى القرآن أو الى اتباع الشريعة (بصائر للناس) أى براهين ودلائل لهم فيما يحتاجون اليه من أحكام الدين وبصائر جمع بصيرة وهى النور الذى يبصر به كما أن البصر نور العين جعل ما فيه من معالم الدين بمنزلة البصائر فى القلوب لتوصل كل واحد منها الى تحصيل العرفان والبصائر جمع الخبر باعتبار ما فى القرآن من الآيات والبراهين وقرئ هذه بصائر أى هذه الآيات لان القرآن بمعناها (وهدى) أى رشد وطريق يؤدى الى الجنة لمن عمل به (ورحمة) من الله فى الآخرة (لقوم يوقنون) أى من شأنهم الايقان وعدم الشك والتزلزل بالشبه (أم حسب الذين اجترحوا السيئات) ام هى المنقطعة المقدرة ببل والهمزة وفيها معنى بل للانتقال من البيان الاول الى الثانى والهمزة لانكار الحسبان على طريق انكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه والاجتراح الاكتساب ومنه الجوارح وقد تقدم فى المائدة والجملة مستأنفة سيقت لبيان تباين حالى المسيئين والمحسنين اثر بيان حالى الظالمين والمتقين وهو معنى قوله (أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى نسوى بينهم مع اجتراحهم السيئات وبين أهل الحسنات قيل نزلت فى قوم من المشركين وقيل المسوق عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة واحتجوا على حمزة وعلى وعبيدة بن الحارث حين برزوا اليهم يوم بدر فقتلوهم والعموم أولى (سواء محياهم ومماتهم) فى الدنيا والآخرة كلا لا يستوون فى شئ منهما فان حال أهل السعادة فيهما غير حال أهل الشقاوة فهؤلاء فى عز الايمان والطاعة وشرفهما فى المحيا وفى رحمة الله تعالى ورضوانه فى الممات

يفرقون ويتكادون ويكفر بعضهم بعضا فيقول القائل فى رجل قبل الاخرى انا أقتل اليوم بعدها مع اخرى من ارباب هذه الفوج بعضهم اى ادخل معكم لا مرحبا بهم انهم صالوا النار أى لانهم من اهل جهنم قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم أى يقول لهم الداخلون بل انتم لا مرحبا بكم انتم قدمتموه لنا أى أنتم دعوتمونا الى ما أفضى بنا الى هذا المصير فبئس القرار أى

وأولئك في ذل الكفر والمعاصي وهوانهما في الحياة وفي لعنة الله والعذاب الخالد في الممات وشتان بينهما وقيل المراد إنكار أن يستووا في الممات كما استووا في الحياة قرأ الجمهور سواء بالرفع على أنه خبر مقدم والمبتدأ محياهم ومماتهم والمعنى إنكار حسبانهم أن محياهم ومماتهم سواء وقرئ بالنصب على أنه حال من الضمير المستتر في الجار والمجرور في قوله كالذين آمنوا أو على أنه مفعول ثان لحسب واختار قراءة النصب أبو عبيد وقال معناه نجعلهم سواء وقرئ محياهم ومماتهم بالنصب على معنى سواء في محياهم ومماتهم فلما سقط الخافض انتصب (ساء ما يحكمون) أي ساء حكمهم هذا الذي حكموا به وقال مجاهد في الآية المؤمن في الدنيا والآخرة مؤمن والكافر في الدنيا والآخرة كافر وقال مسروق قال لي رجل من أهل مكة هذا مقام أخيك تميم الداري ولقد رأيته قام ذات ليلة حتى أصبح أو قرب أن يصبح يقرأ آية من كتاب الله يركع بها ويسجد ويبكي أم حسب الذين اجترحوا السيئات الآية وعن الفضيل أنه بلغها فجعل يرددها ويبكي ويقول يا فضيل ليت شعري من أي الفريقين أنت (وخلق الله السموات والأرض بالحق) المقتضي للعدل بين العباد وهذا كالدليل لما قبله من نفي الاستواء ومحل بالحق النصب على الحال من الفاعل أو المفعول أو الباء للسببية (ولتجزى كل نفس بما كسبت) أي خلق الله إياهما للعدل ولتجزى كل نفس على قدر عمله ولتجزى أو اللام للصيرورة قاله ابن عطية أي صار الأمر من حيث اهتدى بها قوم وضل بها قوم آخرون (وهم) أي النفوس المدلول عليها بكل نفس (لا يظلمون) بنقص ثواب أو زيادة عقاب وتسمية ذلك ظلما مع أنه ليس كذلك على ما عرف من قاعدة أهل السنة لبيان غاية تنزهه سبحانه لطفه تعالى بعباده كرمه بتنزيله منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره عنه أو سماه ظلما نظرا إلى صدوره منا كما في الابتلاء والاختبار ثم عجب سبحانه من حال الكفار فقال (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه) قال الحسن وقتادة ذلك الكافر اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيئا إلا ركبه وقال عكرمة يعبد ما يهواه أو يستحسنه فإذا استحسن شيئا وهواه اتخذه إلها قال سعيد بن جبير كان أحدهم يعبد الحجر فإذا رأى ما هو أحسن منه رمى به وعبد الآخر وقال ابن عباس ذلك الكافر اتخذ دينه بغير هدى من الله ولا برهان والمعنى هو مطواع لهوى النفس يتبع ما يدعوه إليه فكأنه يعبده كما يعبد الرجل إلهه (وأضله الله على علم) قد علمه قال ابن عباس يقول أضله في سابق علمه تعالى وقيل المعنى أضله عن الثواب على علم منه بأنه لا يستحقه وقال مقاتل على علم منه أنه ضال لأنه يعلم أن الصنم لا ينفع ولا يضر قال الزجاج على سبق في علمه أنه ضال قبل أن يخلقه وقال الكرخي أضله وهو عالم بالحق وهذا أشد تشنيعا عليه (وختم) أي طبع (على سمعه) حتى لا يسمع الوعظ (و) طبع على (قلبه) حتى لا يفقه الهدى ولا يعقله (وجعل على بصره غشاوة) أي ظلمة وغطاء حتى لا يبصر الرشد قرأ الجمهور غشاوة بالألف مع كسر الغين وقرئ بغير ألف مع فتح الغين وقرأ ابن مسعود والأعمش كقراءة الجمهور مع فتح الغين وهي لغة ربيعة وقرئ بضمها وهي لغة عكل (فمن يهديه من بعد الله) أي بعد إضلال الله له أي لا يهتدي (أفلا

وبئس المنزل والمستقر والمصير قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار كما قال عز وجل قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون أي لكل منكم عذاب بحسبه وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار هذا إخبار عن الكفار في النار أنهم يفتقدون رجالا كانوا

تذكرون) تذكراعتبار حتى تعلموا حقيقة الحال قال الواحدي ليس يبقى للقدرية مع هذه الآية عذر ولا حيلة لأن الله صرح بمنعه اياه عن الهدى حتى أخبر انه ختم على سمعه وقلبه وبصره ثم بين سبحانه بعض جهالاتهم وضلالاتهم فقال (وقالوا) أي منكروا البعث (ماهي الاحياتنا الدنيا) أي ما الحياة الا الحياة التي نحن فيها (نموت ونحيا) أي يصيبنا الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة وقيل نموت نحن ويحيا فيها أولادنا وقيل نكون نطفا ميتة ثم نصير أحياء وقيل في الآية تقديم وتأخير أي نحيا ونموت وكذا قرأ ابن مسعود وعلى كل تقدير فمرادهم بهذه المقالة انكار البعث وتكذيب الآخرة وقيل هذا من كلام من يقول بالتناسخ أي يموت الرجل ثم تجعل روحه في موات فيحيا به (وما يهلكنا الا الدهر) أي مرور الليالي والايام والدهر في الاصل مدة بقاء العالم من دهره اذا غلبه وفي القاموس دهرهم أمر كمنع نزل بهم مكروه فهم مدهورون ومدهورون وقرئ الادهر يمر قال مجاهد يعني السنين والايام انتهى فكانوا يزعمون ان مرورها هو المؤثر في هلاك الانفس وينكرون ملك الموت وقبض الارواح باذن الله وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث الى الدهر والزمان ألا ترى ان أشعارهم ناطقة بشكوى الزمان وقال قتادة الا العمر والمعنى واحد وقال قطرب المعنى وما يهلكنا الا الموت وقال عكرمة وما يهلكنا الا الله عن أبي هريرة قال كان أهل الجاهلية يقولون انما يهلكنا الليل والنهار وهو الذي يحيينا ويميتنا فيسبون الدهر فقال الله تعالى يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الامر أقلب الليل والنهار وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما من حديثه سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول قال الله عز وجل يؤذيني ابن آدم الحديث وفي الموطا عنه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لا يقولن أحدكم ياخيبة الدهر فان الله هو الدهر وقد استدل بهذا الحديث من قال ان الدهر من أسماء الله تعالى ومرادهم بهذا الحصر انكار ان يكون الموت بواسطة ملك الموت واضافة الحوادث الى الدهر والزمان وان المؤثر في هلاك الانفس هو مرور الايام والليالي (ومالهم بذلك) أي بنسبة الحوادث الى حركات الافلاك وما يتعلق بها على الاستقلال (من علم) ثم بين كون ذلك صادرا منهم لا عن علم فقال (ان هم الا يظنون) أي ما هم الا قوم غاية ما عندهم الظن فهم يتكلمون الا به ولا يستندون الا اليه (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) أي اذا تليت آيات القرآن على المشركين حال كونها واضحات ظاهرة المعنى والدلالة على البعث أو مبينات لما يخالف معتقدهم قاله الكرخي (ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بآبائنا) أحياء (ان كنتم صادقين) انا نبعث بعد الموت أي ما كان لهم حجة ولا متمسك ولا متشبث يتعلقون ويعارضون به الا هذا القول الباطل الذي ليس من الحجة في شيء وانما سماه حجة مع انه ليس بحجة لانهم أدلوا به كما يدلي المحتج بحجته وساقوه مساقها فسمى حجة على سبيل التهكم أو لانه في حسبانهم وتقديرهم حجة ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يرد عليهم فقال (قل الله يحييكم) في الدنيا (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يجمعكم الى) أي في (يوم القيامة) بالبعث

يعتقدون انهم على الضلالة وهم المؤمنون في زعمهم فالوا مالنا لا نراهم معنا في النار قال مجاهد هذا قول أبي جهل يقول مالي لا أرى بلالا وعمارا وصهيبا وفلانا وفلانا وهذا ضرب مثل والا فكل الكفار هذا حالهم يعتقدون ان المؤمنين يدخلون النار فلما دخل الكفار النار افتقدوهم فلم يجدوهم فقالوا مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار أتخذناهم سخريا أي في الدار الدنيا أم زاغت

والنشور (لا ريب فيه) أي في جمعكم لان من قدر على ابتداء الخلق قدر على اعادته وفي هذا رد لقولهم وما يهلكنا الا الدهر (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) بذلك لاعراضهم عن التفكر بالدلائل فلهذا حصل معهم الشك في البعث وجاؤا في دفعه بما هو أوهن من بيت العنكبوت ولو نظروا حق النظر لحصلوا على العلم اليقين واندفع عنهم الريب وأراحوا أنفسهم من ورطة الشك والحيرة ثم لما ذكر سبحانه ما احتج به المشركون وما أجاب به عليهم ذكر اختصاصه بالملك فقال (ولله ملك السموات والارض) أي هو المتصرف فيهما وحده كما أراد لا يشاركه أحد من عباده وهو شامل للاحياء والاماتة المذكورين قبله وللجمع والبعث وللمخاطبين وغيرهم ثم توعد أهل الباطل فقال (ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون) أي المكذبون الكافرون المتعلقون بالاباطيل يظهر في ذلك اليوم خسرانهم لانهم يصيرون الى النار والعامل في يوم هو يخسر ويومئذ بدل منه والتنوين عوض عن المضاف اليه المدلول عليه بما أضيف اليه المبدل منه فيكون التقدير ويوم تقوم الساعة يوم تقوم الساعة فيكون بدلا توكيديا والاولى أن يكون العامل في يوم هو ملك أي ولله ملك يوم تقوم الساعة ويكون يومئذ معمولا ليخسر والجملة مستأنفة من حيث اللفظ وان كان لها تعلق بما قبلها من حيث المعنى أفاده السمين وقال التفتازاني وهذا بالتأكيد أشبه وأبى يأبى ان هذا مقصود بالنسبة دون الاول وقال الخفاجي اليوم في البدل بمعنى الوقت والمعنى وقت ان تقوم الساعة وتحشر الموتى فيه وهو جزء من يوم تقوم الساعة فانه يوم متسع مبدؤه من النفخة الاولى فهو بدل البعض والعائد مقدر ولما كان خسرانهم وقت حشرهم كان هو المقصود بالنسبة (وترى كل أمة) الخطاب لكل من يصلح له أو للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والامة الملة والرؤية بصرية أو علمية وفيه بعد ومعنى قوله (جاثية) مستوفزة والمستوفز الذي لا يصيب الارض منه الا ركبتاه وأطراف أنامله قال الضحاك وذلك عند الحساب وقيل معنى جاثية مجتمعة قاله ابن عباس وقال الفراء المعنى وترى أهل كل دين مجتمعين وقال عكرمة متميزة عن غيرها وقال مؤرج معناه بلغة قريش خاضعة وقال الحسن باركة على الركب والجثو الجلوس على الركب تقول جثا يجثو ويجثي جثوا وجثيا اذا جلس على ركبتيه والاول أولى ولا ينافيه ورود هذا اللفظ بمعنى آخر في لسان العرب وقد ورد اطلاق الجثوة على الجماعة من كل شئ في لغة العرب وعن عبد الله بن باباه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كأني أراكم بالكوم دون جهنم جاثين ثم قرأ سفيان هذه الآية أخرجه البيهقي في البعث وعبد الله بن احمد في زوائد الزهد وابن أبي حاتم وسعيد بن منصور وعن ابن عمر في الآية قال كل أمة مع نبيها حتى يجيء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على كوم قد علا الخلائق فذلك المقام المحمود وظاهر الآية ان هذه الصفة تكون لكل أمة من الامم من غير فرق بين أهل الاديان المتبعين للرسل وغيرهم من أهل الشرك وقال يحيى بن سلام هو خاص بالكفار والاول أولى ويؤيده قوله (كل أمة تدعى الى كتابها) وقوله فيما سيأتي فأما الذين آمنوا الخ ومعنى

عنهم الابصار يسلون أنفسهم بالمحال يقولون أولعلهم معنا في جهنم ولكن لم يقع بصرنا عليهم فعند ذلك يعرفون انهم في الدرجات العاليات وهو قوله عز وجل ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين الى قوله ادخلوا الجنة

الى كتابها الى الكتاب المنزل عليها وقيل الى صحيفة أعمالها وقيل الى حسابها وقيل اللوح المحفوظ والاول أولى وقرأ الجمهور كل أمة بالرفع على الابتداء وخبره تدعى وقرئ بالنصب على البدل من كل أمة (اليوم) أي يقال لهم اليوم (تجزون ما كنتم تعملون) من خير وشر (هذا كتابنا) لا منافاة بين هذا وقوله كتابها لانه كتابهم بمعنى انه مشتمل على أعمالهم وكتاب الله بمعنى انه هو الذي أمر الملائكة بكتبه واليه أشار في التقرير قاله الكرخي (ينطق عليكم) بما عملتم (بالحق) بلا زيادة ونقصان وهذا من تمام ما يقال لهم والقائل بهذا هم الملائكة وقيل هو من قول الله سبحانه أي يشهد عليهم وهو استعارة يقال نطق الكتاب بكذا أي بين وقيل انهم يقرؤنه فيذكرهم ما عملوا فكأنه ينطق عليهم بدليل قوله تعالى ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها قال ابن عباس هو أم الكتاب فيه أعمال بني آدم وقيل هو ديوان الحفظة ومحل ينطق النصب على الحال أو الرفع على انه خبر آخر لاسم الاشارة وجملة (انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) تعليل النطق بالحق أي نأمر الملائكة بنسخ أعمالكم أي بكتبها وتبيينها عليكم وليس المراد بالنسخ ابطال شيء واقامة آخر مقامه اذ ورد أن الملك اذا صعد بالعمل يؤمر بالمقابلة على ما في اللوح قال الواحدي وأكثر المفسرين على ان هذا الاستنساخ من اللوح المحفوظ فان الملائكة تكتب منه كل عام ما يكون من أعمال بني آدم فيجدون ذلك موافقا لما يعملونه قالوا لان الاستنساخ لا يكون الا من أصل وقيل ان الملائكة تكتب كل يوم ما يعمله العبد فاذا رجعوا الى مكانهم نسخوا منه الحسنات والسيآت وتركوا المباحات وقيل ان الملائكة اذا رفعت أعمال العباد الى الله سبحانه أمر عز وجل ان يثبت عنده منها ما فيه ثواب وعقاب ويسقط منها ما لا ثواب فيه ولا عقاب وقال ابن عباس الملائكة يستنسخون أعمال بني آدم فقام رجل فقال يا ابن عباس ما كنا نرى هذا تكتبه الملائكة في كل يوم وليلة فقال انكم لستم قوما عربا هل يستنسخ الشيء الا من كتاب وعن علي بن أبي طالب ان لله ملائكة ينزلون كل يوم بشيء يكتبون فيه أعمال بني آدم وعن ابن عمر نحو ما روي عن ابن عباس وعن ابن عباس أيضا في الآية قال يستنسخ الحفظة من أم الكتاب ما يعمل بنو آدم فانما يعمل الانسان ما استنسخ الملك من أم الكتاب وأخرج نحوه الحاكم عنه وصححه وأخرج الطبراني عنه أيضا في الآية قال ان لله ملائكة ينسخون من ذلك العام في رمضان ليلة القدر ما يكون في الارض من حدث الى مثلها من السنة المقبلة فيتعارضون به حفظة الله على العباد عشية كل خميس فيجدون ما رفع الحفظة موافقا لما في كتابهم ذلك ليس فيه زيادة ولا نقصان (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته) التي من جملتها الجنة قاله البيضاوي وهذا تفصيل لحال الفريقين فالمؤمنون يدخلهم الله برحمته الجنة وفسر المحلي كالزمخشري الرحمة بنفس الجنة وهو أظهر (ذلك) الادخال في رحمته (هو الفوز المبين) أي الظاهر الواضح لخلوصه عن الاكدار والشوائب التي تخالطه (وأما الذين كفروا) فيقال لهم (أفلم تكن آياتي)

لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون وقوله تعالى ان ذلك لحق تخاصم أهل النار أي ان هذا الذي أخبرناك به يا محمد من تخاصم أهل النار بعضهم في بعض ولعن بعضهم لبعض لحق لا مرية فيه ولا شك (قل انما أنا منذر وما من اله الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار قل هو نبأ عظيم أنتم عنه

أي القرآن (تتلى عليكم) الاستفهام للتوبيخ لأن الرسل قد أتتهم وتليت عليهم آيات الله فكذبوا ولم يعملوا بها (فاستكبرتم) أي تكبرتم عن قبولها وعن الإيمان بها (وكنتم قوما مجرمين) أي من أهل الإجرام وهي الآثام والاجترام الاكتساب يقال فلان جريمة أهله إذا كان كاسبهم فالمجرم من كسب الآثام بفعل المعاصي (و) كنتم (إذا قيل) لكم أيها الكفار (إن وعد الله حق) أي وعده بالبعث والحساب والجزاء أو بجميع ما وعد به من الأمور المستقبلة واقع لا محالة والعامة على كسر الهمزة لأنها محكية بالقول وقرئ بفتحها وذلك مخرج على لغة سليم يجرون القول مجرى الظن مطلقا قاله السمين (والساعة) قرأ الجمهور بالرفع على الابتداء والعطف على موضع اسم إن وقرئ بالنصب على اسم إن أي القيامة (لا ريب فيها) أي في وقوعها (قلتم) استغرابا واستبعادا وإنكارا لها (ما ندري ما الساعة) أي أي شيء هي (إن نظن إلا ظنا) أي نحدس حدسا ونتوهم توهما قال المبرد تقديره إن نحن إلا نظن ظنا وقيل التقدير إن نظن إلا أنكم تظنون ظنا وقيل إن نظن مضمن معنى نعتقد أي ما نعتقد إلا ظنا لا علما وقيل إن ظنا له صفة مقدرة أي إلا ظنا بينا وقيل إن الظن يكون بمعنى العلم والشك فكأنهم قالوا ما لنا اعتقاد إلا الشك ولعل ذلك قول بعضهم تحيروا بين ما سمعوا من آبائهم وما تلي عليهم في أمر الساعة (وما نحن بمستيقنين) أي لم يكن لنا يقين بذلك ولم يكن معنا إلا مجرد الظن أن الساعة آتية (وبدا لهم سيئات ما عملوا) أي ظهر لهم سيئات أعمالهم على الصورة التي هي عليها أي جزاؤها (وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون) أحاط بهم ونزل عليهم جزاء أعمالهم بدخولهم النار (وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) أي نترككم في النار كما تركتم العمل لهذا اليوم والنسيان أريد به الترك مجازا إما بعلاقة السببية أو تشبيهه في عدم المبالاة وأضاف اللقاء إلى اليوم توسعا لأنه أضاف إلى الشيء ما هو واقع فيه كمكر الليل (ومأواكم النار) أي مسكنكم ومستقركم الذي تأوون إليه (وما لكم من ناصرين) ينصرونكم فيدفعون عنكم العذاب (ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا) أي ذلك العذاب العظيم بسبب أنكم اتخذتم القرآن هزوا ولعبا (وغرتكم الحياة الدنيا) أي خدعتكم بزخارفها وأباطيلها فظننتم أنه لا دار غيرها ولا بعث ولا نشور (فاليوم لا يخرجون منها) أي من النار قرأ الجمهور بضم الياء وفتح الراء مبنيا للمفعول وقرئ بفتح الياء وضم الراء مبنيا للفاعل وهما سبعيتان والالتفات من الخطاب إلى الغيبة لتحقيرهم وللإيذان بإسقاطهم عن رتبة الخطاب (ولا هم يستعتبون) أي لا يسترضون ولا يطلب منهم الرجوع إلى طاعة الله لأنه يوم لا تقبل فيه توبة ولا تنفع فيه معذرة (فلله الحمد) أي الوصف بالجميل على وفاء وعده في المكذبين (رب السموات ورب الأرض رب العالمين) أي خالق ما ذكر لا يستحق الحمد سواه والعالم ما سوى الله وجمع لاختلاف أنواعه قرأ الجمهور رب في المواضع الثلاثة بالجر على النعت للاسم الشريف أو البيان أو البدل وقرئ بالرفع في الثلاثة على تقدير مبتدأ أي هو رب السموات الخ (وله الكبرياء في السموات والأرض) أي الجلال والعظمة

يختصمون ما كان لي من علم بالملإ الأعلى إذ يختصمون إن يوحى إلي إلا أنما أنا نذير مبين) يقول تعالى آمرا رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول للكفار بالله المشركين به المكذبين لرسوله إنما أنا منذر لست كما تزعمون وما من إله إلا الله الواحد القهار أي هو وحده قد قهر كل شيء وغلبه رب السموات والأرض وما بينهما أي هو مالك جميع ذلك ومتصرف فيه العزيز

والسلطان وخص السموات والارض لظهور آثار ذلك فيهما وهو القهر والتصرف لا نفسهما لانها صفة ذاتية للرب تعالى واظهارهما في موضع الاضمار لتفخيم شأن الكبرياء (وهو العزيز الحكيم) أي العزيز في سلطانه فلا يعالمه مغالب والحكيم في كل أفعاله وأقواله وجميع أقضيته عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله تبارك وتعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في النار أخرجه ابن أبي شيبة ومسلم وأبو داود وابن ماجه والبيهقي

(سورة الاحقاف هي أربع أو خمس وثلاثون آية)

وهذا الاختلاف مبني على ان حم آية أولا وهي مكية قال القرطبي في قول جميعهم قال ابن عباس وابن الزبير نزلت بمكة وقال المحلي الا قل أرأيتم ان كان من عند الله الآية والا فاصبر كما صبر أولو العزم والا ووصينا الانسان بوالديه الثلاث آيات يعني آخرها قوله الا أساطير الاولين وعن ابن مسعود قال اقرأني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سورة الاحقاف واقرأها آخر فخالف قراءته فقلت من أقرأكها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت والله لقد أقرأني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غير ذا فأتينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت يا رسول الله ألم تقرئني كذا وكذا قال بلى وقال الآخر ألم تقرئني كذا وكذا قال بلى فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ليقرأ كل واحد منكما ما سمع فانما هلك من كان قبلكم بالاختلاف والاحقاف واد باليمن كانت عاد فيه منازل عاد وقيل جمع حقف وهو التل من الرمل

(بسم الله الرحمن الرحيم) (حم) الله أعلم بمراده به وقد تقدم الكلام على هذا مستوفى وبيان ما هو الحق من ان فواتح السور من المتشابه الذي يجب ان يوكل علمه الى من أنزله (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما) من المخلوقات باسرها (الا بالحق) ليدل على قدرتنا ووحدانيتنا هو استثناء مفرغ من أعم الاحوال أي الا خلقا متلبسا بالحق الذي تقتضيه المشيئة الالهية (واجل) أي وبتقدير أجل (مسمى) وهذا الاجل هو يوم القيامة فانها تنتهي فيه السموات والارض وما بينهما وتبدل الارض غير الارض والسموات وقيل المراد به هو انتهاء أجل كل فرد من افراد المخلوقات والاول أولى وهذا اشارة الى قيام الساعة وانقضاء مدة الدنيا وان الله لم يخلق خلقه باطلا وعبثا لغير شيء بل خلقه للثواب والعقاب (والذين كفروا عما انذروا) وخوفوا به في القرآن من البعث والحساب والجزاء والعذاب (معرضون) والجملة في محل نصب على الحال أي والحال انهم مولون غير مستعدين له ولا مؤمنين به (قل أرأيتم) أخبروني (ما تدعون) وتعبدون (من دون الله) من الاصنام وغيرها (أروني) يحتمل ان يكون تأكيدا لقوله قل أرأيتم أي أخبروني أروني والمفعول الثاني لأرأيتم قوله (ماذا) أي أي شيء (خلقوا من الارض) ويحتمل ان لا يكون تأكيدا بل يكون هذا من باب التنازع لان أرأيتم يطلب مفعولا ثانيا وأروني كذلك (أم لهم شرك في السموات) أم منقطعة مقدرة

العفار أي غفار مع عظمته وعزته قل هو نبأ عظيم أي خبر عظيم وشأن بليغ وهو ارسال الله تعالى اياي اليكم ثم أنتم عنه معرضون أي غافلون قال مجاهد وشريح القاضي والسدي في قوله عز وجل قل هو نبأ عظيم يعني القرآن وقوله تعالى ما كان لي من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون أي لولا الوحي من أين كنت أدري باختلاف الملا الاعلى يعني في شأن آدم عليه الصلاة

بل والهمزة والمعنى بل ألهم شركة مع الله فيها والاستفهام للتوبيخ والتقريع وتخصيص الشرك بالسموات دون ان يعمم بالارض أيضا احترازا عما يتوهم ان للوسائط شركة في ايجاد الحوادث السفلية (ايتوني بكتاب) منزل هذا من جملة المقول والامر تبكيت لهم واظهار لعجزهم وقصورهم عن الاتيان بذلك واشارة الى نفي الدليل المنقول بعد الاشارة الى نفي الدليل المعقول (من قبل هذا) أي القرآن فانه قد صرح ببطلان الشرك وان الله واحد لا شريك له وان الساعة حق لا ريب فيها فهل للمشركين كتاب يخالف هذا الكتاب أو حجة تنافي هذه الحجة (أو اثارة من علم) قال في الصحاح أي بقية منه وكذا الاثرة بالتحريك قال ابن قتيبة أي بقية من علم الاولين وقال الفراء والمبرد يعني ما يؤثر عن كتب الاولين قال الواحدي وهو معنى قول المفسرين قال عطاء أو شيء تأثرونه عن نبي كان قبل محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال مقاتل أو رواية من علم عن الانبياء وقال الزجاج أو اثارة أي علامة والاثارة مصدر كالسماحة والشجاعة وأصل الكلمة من الاثر وهي الرواية يقال أثرت الحديث آثره أثرة واثارة وأثرا اذا ذكرته عن غيرك قرأ الجمهور اثارة على المصدر كالسماحة والغواية وقرأ ابن عباس وزيد بن علي وغيرهما بفتح الهمزة والثاء أثرة من غير ألف وقرئ أثرة بضم الهمزة وسكون الثاء قال ابن عباس أو اثارة من علم أي خط أخرجه أحمد وابن المنذر وابن أبي حاتم وغيرهم قال سفيان لا أعلم الا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعني ان هذا الحديث مرفوع لا موقوف على ابن عباس وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان نبي من الانبياء يخط فمن صادف مثل خطه علم أخرجه عبد بن حميد وابن مردويه ومعنى هذا ثابت في الصحيح ولاهل العلم فيه تفاسير مختلفة ومن أين لنا ان هذه الخطوط الرملية موافقة لذلك الخط وأين السند الصحيح الى ذلك النبي أو الى نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ان هذا الخط شوعلى صورة كذا فليس ما يفعله أهل الرمل الا جهالات وضلالات وعن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو اثارة من علم قال حسن الخط أخرجه ابن مردويه وعن ابن عباس قال خط كان تخطه العرب في الارض وعنه قال بينة من العلم (ان كنتم صادقين) فادعوا كم الى تدعونها وهي قولكم ان لله شريكا وان الله أمركم بعبادة الاوثان ولم يأتوا بشيء من ذلك فتبين بطلان قولهم لقيام البرهان العقلي والنقلي على خلافه (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له) أي لا احد أضل منه ولا أجهل فانه دعا من لا يسمع فكيف يطمع في الاجابة فضلا عن جلب نفع أو دفع ضر فتبين بهذا انه أجهل الجاهلين وأضل الضالين والاستفهام للتوبيخ والتقريع (الى يوم القيامة) غاية لعدم الاستجابة والمراد بها التأبيد كقوله تعالى وان عليك لعنتي الى يوم الدين قاله الشهاب وقال في الانتصاف في هذه الغاية نكتة وهي انه تعالى جعل عدم الاستجابة مغيا بيوم القيامة فأشعرت الغاية بانتفاء الاستجابة في يوم القيامة على وجه أبلغ وأتم وأوضح وضوحا ألحقه بالبين الذي لا يتعرض له كرها اذ هنالك تتجدد العداوة والمباينة بينها وبين عابديها (وهم عن

والسلام وامتناع ابليس من السجود له ومحاجته ربه في تفضيله عليه فأما الحديث الذي رواه الامام أحمد حيث قال حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا جهضم اليماني عن يحيى بن أبي كثير عن زيد بن أبي سلام عن أبي سلام عن عبد الرحمن بن عائش عن مالك بن يخامر عن معاذ رضي الله عنه قال احتبس علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة عن صلاة

دعائهم غافلون) الضمير الاول للاصنام والثانى لعابديها والمعنى الاصنام التى يدعونها غافلون عن ذلك لا يسمعون ولا يعقلون لكونهم جمادات فالغفلة مجاز عن عدم الفهم ضمير والجمع فى الضميرين باعتبار معنى من وأجرى على الاصنام ماهو للعقلاء لاعتقاد المشركين فيها انها تعقل (واذا حشر الناس) العابدون للاصنام (كانوا) اى كان الاصنام (لهم) أى لعابديهم (أعداء) يتبرأ بعضهم من بعض ويلعن بعضهم بعضا وقد قيل ان الله يخلق الحياة فى الاصنام فتكذبهم وقيل المراد انها تكذبهم وتعاديهم بلسان الحال لا بلسان المقال وأما الملائكة والمسيح وعزير والشياطين فانهم يتبرؤن ممن عبدهم يوم القيامة كما فى قوله تعالى تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون (وكانوا بعبادتهم كافرين) أى كان المعبودون بعبادة المشركين اياهم جاحدين مكذبين وقيل الضمير فى كانوا للعابدين كما فى قوله والله ربنا ما كنا مشركين والاول أولى (واذا تتلى عليهم آياتنا) اى آيات القرآن حال كونها (بينات) واضحات المعانى ظاهرات الدلالات (قال الذين كفروا للحق) أى لاجله وفى شأنه وهو عبارة عن الآيات كما قاله القاضى كالكشاف واليه أشار فى التقرير ووضعه موضع ضميرها ووضع الذين كفروا موضع ضمير المتلو عليهم للتسجيل عليها بالحق وعليهم بالكفر والانهماك فى الضلالة كما يؤخذ ذلك من تقريره وايضاحه انه هنا أقام ظاهرين مقام مضمرين اذ الاصل قالوا لها اى للآيات ولكنه أبرزهما ظاهرين لاجل الوصفين المذكورين افاده الكرخى (لما جاءهم) أى وقت أن جاءهم فالوا من غير نظر وتأمل (هذا سحر مبين) أى ظاهر السحرية من البطلان (أم يقولون افتراه) أم هى المنقطعة المقدرة ببل والهمزة أى بل أيقولون والاستفهام للانكار والتعجب من صنيعهم وبل للانتقال عن تسميتهم الآيات سحرا الى قولهم ان رسول الله افترى ما جاء به والظاهر ان الافتراء على الله اشنع من السحر لا يحتاج الى البيان وان كان كلاهما كفرا وفى ذلك من التوبيخ والتقريع ما لا يخفى ثم أمره الله سبحانه ان يجيب عنهم فقال (قل ان افتريته) على سبيل الفرض والتقدير كما تدعون (فلا تملكون لى من الله شيأ) أى فلا تقدرون على ان تردوا عنى عقاب الله فكيف أفترى على الله لاجلكم وأنتم لا تقدرون على دفع عقابه عنى (هو اعلم بما تفيضون فيه) أى تخوضون فيه من التكذيب والافاضة فى الشئ الخوض والاندفاع فيه يقال أفاضوا فى الحديث أى اندفعوا فيه وأفاض البعير اذا دفع جرته من كرشه والمعنى الله أعلم بما تقولون فى القرآن وتخوضون فيه من التكذيب له والقول بانه سحر وكهانة (كفى به شهيدا بينى وبينكم) فانه يشهد لى بان القرآن من عنده وانى قد بلغتكم ويشهد عليكم بالتكذيب والجحود وفى هذا وعيد شديد بجزاء افاضتهم (وهو الغفور الرحيم) لمن تاب وآمن وصدق بالقرآن وعمل بما فيه أى كثير الرحمة والمغفرة بليغهما وفيه اشعار بحلم الله عنهم مع عظيم جرمهم (قل ما كنت بدعا من الرسل) البدع من كل شئ المبدأ أى ما أنا بأول رسول كذا قال ابن عباس يعنى قد بعث الله قبلى كثيرا من الرسل وقيل البدع بمعنى البديع كالخف والخفيف والبديع ما لم

الصبح حتى كدنا نتراءى قرن الشمس
خرج صلى الله عليه وسلم سريعا
فثوب بالصلاة فصلى وتجوز فى صلاته
فلما سلم قال لنا صلى الله عليه وسلم كما
أنتم ثم أقبل الينا فقال انى قمت من
الليل فصليت ما قدر لى فنعست
فى صلاتى حتى استيقظت فاذا أنا
بربى عز وجل فى أحسن صورة
فقال يا محمد أتدرى فيم يختصم الملأ
الأعلى قلت لا أدرى يا رب اعادها
ثلاثا فرأيته وضع كفه بين كتفى حتى

يرله مثل من الابتداع وهو الاختراع وشيء بدع بالكسر اى مبتدع وفلان بدع فى هذا الامر أى بديع كذا قال الاخفش وقرئ بدعا بفتح الدال مصدرا على تقدير حذف مضاف أى ما كنت ذا بدع قاله أبو البقاء وقرئ بفتح الباء وكسر الدال على الوصف كحذر (وما أدرى ما يفعل بى) فيما يستقبل من الزمان هل أبقى فى مكة أو أخرج منها وهل أموت أو أقتل كما فعل بالانبياء قبلى قرئ يفعل مبنيا للمفعول وللفاعل وما استفهامية كما جرى عليه الحلبى أو موصولة كما قال الزمخشرى (ولا) أدرى ما يفعل (بكم) يعنى هل تعجل لكم العقوبة كالمكذبين قبلكم أم تمهلون وهذا انما هو فى الدنيا وأما فى الآخرة فقد علم انه وأمته فى الجنة وان الكافرين فى النار وقيل ان المعنى ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم يوم القيامة وانها لما نزلت فرح المشركون وقالوا كيف نتبع نبيا لا يدرى ما يفعل به ولا بنا وانه لا فضل له علينا فنزل قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر والقول أولى قال ابن عباس رضى الله عنه فأنزل الله تعالى بعد هذا ليغفر لك الله الخ وقوله ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات الآية فاعلم الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ما يفعل به وبالمؤمنين جميعا وأرغم الله أنف الكفار وأخرج أبو داود فى ناسخه ان هذه الآية منسوخة بقوله ليغفر لك الله وقد ثبت فى صحيح البخارى وغيره من حديث أم العلاء قالت لما مات عثمان بن مظعون رضى الله تعالى عنه قلت رحمك الله أبا السائب شهادتى عليك لقد أكرمك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما يدريك ان الله أكرمه اما هو فقد جاءه اليقين من ربه وانى لارجو له الخير وما أدرى وأنا رسول الله ما يفعل بى ولا بكم قالت أم العلاء فوالله لا أزكى بعده أحدا (ان أتبع الا ما يوحى الى) قرأ الجمهور مبنيا للمفعول أى ما أتبع الا القرآن ولا أبتدع من عندى شيأ والمعنى قصر افعاله صلى الله عليه وآله وسلم على الوحى لا قصر اتباعه على الوحى (وما أنا الا نذير مبين) أى أنذركم عقاب الله وأخوفكم عذابه على وجه الايضاح (قل أرأيتم) أى أخبرونى ماذا حالكم (ان كان) ما يوحى الى من القرآن (من عند الله) وقيل المراد محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى ان كان مرسلا من عند الله فى الحقيقة (و) الحال انكم قد (كفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل) العالمين بما أنزل الله فى التوراة (على مثله فآمن) أى على مثل القرآن من المعانى الموجودة فى التوراة المطابقة له من اثبات التوحيد والبعث والنشور وغير ذلك وهذه المثلية هى باعتبار تطابق المعانى وان اختلفت الالفاظ قال الجرجانى مثل صلة والمعنى وشهد شاهد عليه انه من عند الله وكذا قال الواحدى فآمن الشاهد بالقرآن لما تبين له انه من كلام الله ومن جنس ما ينزله على رسله وهذا الشاهد من بنى اسرائيل هو عبد الله بن سلام كما قال الحسن ومجاهد وقتادة وعكرمة وغيرهم وفى هذا نظر فان السورة مكية بالاجماع وعبد الله بن سلام كان اسلامه بعد الهجرة فيكون المراد بالشاهد رجلا من أهل الكتاب قد آمن بالقرآن فى مكة وصدقه واختار هذا ابن جرير والراجح انه عبد الله ابن سلام وان هذه الآية مدنية لا مكية وروى عن مسروق ان المراد بالرجل موسى عليه

وجدت بردأ ناملة بين صدرى فتجلى لى كل شئ وعرفت فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى قلت فى الكفارات قال وما الكفارات قلت نقل الاقدام الى الجماعات والجلوس فى المساجد بعد الصلوات واسباغ الوضوء عند الكريهات قال وما الدرجات قلت اطعام الطعام ولين الكلام والصلاة والناس نيام

السلام وشهادته بما في التوراة من بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن سعد بن أبي وقاص قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لأحد يمشي على وجه الأرض انه من أهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزلت وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله وأخرج الترمذي وابن جرير وابن مردويه عن عبد الله بن سلام قال نزل في آيات من كتاب الله نزلت في وشهد شاهد من بني اسرائيل ونزلت في قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وعن ابن عباس قال هو عبد الله بن سلام وقد روي نحو هذا عن جماعة من التابعين وفيه دليل على أن هذه الآية مدنية فيخصص بها عموم قولهم ان سورة الاحقاف كلها مكية وافاده ذكر الكواشي وكونه اخبارا قبل الوقوع خلاف الظاهر ولهذا قيل لم يذهب أحد الى أن الآية مكية اذا فسر الشاهد بابن سلام وفيه بحث لأن قوله وشهد شاهد معطوف على الشرط الذي يصير به الماضي مستقبلا ولا ضير في شهادة الشاهد بعد نزولها وادعاء أنه لم يقل به أحد من السلف مع ذكره في شروح الكشاف لا وجه له الا أن يراد من السلف المفسرون فانه الصواب (واستكبرتم) أي آمن الشاهد واستكبرتم أنتم عن الايمان وقد اختلف في جواب الشرط ما هو فقال الزجاج محذوف تقديره أتؤمنون وقيل تقديره فقد ظلمتم لدلالة ان الله لا يهدي الخ عليه وقيل تقديره فمن أضل منكم وقيل قوله فآمن واستكبرتم وقال أبو علي الفارسي تقديره أتأمنون عقوبة الله وقيل التقدير ألستم ظالمين (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) حرمهم الله سبحانه الهداية لظلمهم لأنفسهم بالكفر بعد قيام الحجة الظاهرة على وجوب الايمان ومن فقد هداية الله له ضل عن عوف بن مالك الأشجعي قال انطلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود يوم عيدهم فكرهوا دخولنا عليهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر اليهود أروني اثني عشر رجلا منكم يشهدون أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله يحط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي عليه فسكتوا فما أجابه منهم أحد ثم رد عليهم فلم يجبه أحد ثلاثا فقال أبيتم فوالله لأنا الحاشر وأنا العاقب وأنا المقفى آمنتم أو كذبتم ثم انصرف وأنا معه حتى كدنا أن نخرج فاذا رجل من خلفه فقال كما أنت يا محمد فأقبل فقال ذلك الرجل أي رجل تعلموني فيكم يا معشر اليهود فقالوا والله ما نعلم فينا رجلا أعلم بكتاب الله ولا أفقه منك ولا من أبيك ولا من جدك فقال فاني أشهد بالله أنه النبي الذي تجدونه مكتوبا في التوراة والانجيل قالوا كذبت ثم ردوا عليه وقالوا شرا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كذبتم لن يقبل منكم قولكم فخرجنا ونحن ثلاثة رسول الله وأنا وابن سلام فانزل الله قل أرأيتم ان كان من عند الله الى قوله ان الله لا يهدي القوم الظالمين أخرجه أبو يعلى وابن جرير والطبراني والحاكم وصححه وصححه السيوطي ثم ذكر الله سبحانه نوعا آخر من أقاويلهم الباطلة في حق القرآن العظيم والمؤمنين به فقال (وقال الذين كفروا) أي كفار مكة (للذين آمنوا) أي لأجلهم وفي حقهم وقيل هي لام التبليغ (لو كان) ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم من القرآن والنبوة (خيرا ما سبقونا اليه) فان معالي

قال سل قلت اللهم اني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وان تغفر لي وترحمني واذا أردت فتنة قوم فتوفني غير مفتون وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني الى حبك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها حق فادرسوها وتعلموها هو حديث المنام المشهور ومن جعله يقظة

الامور لا تنالها أيدي الاراذل وهم سقاط عامتهم فقراء وموال ورعاة قالوه زعما منهم انهم المستحقون للسبق الى كل مكرمة وان الرياسة الدينية مما ينال بأسباب دنيوية وزل عنهم انها منوطة بكمالات نفسانية وملكات روحانية مبناها الاعراض عن زخارف الدنيا الدنية والاقبال على الآخرة بالكلية وان من فازبها فقد حازها بحذافيرها ومن حرمها فماله منها من خلاق ولم يعلموا ان الله سبحانه يختص برحمته من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ويصطفي لدينه من يشاء عن قتادة قال قال ناس من المشركين نحن أعز ونحن ونحن فلو كان خيرا ما سبقنا اليه فلان وفلان فنزلت هذه الآية وعن عون بن أبي شداد قال كانت لعمر بن الخطاب أمة أسلمت قبله قال لها زنيرة وكان عمر يضربها على الاسلام وكان كفار قريش يقولون لو كان خيرا ما سبقتنا اليه زنيرة فأنزل الله في شأنها هذه الآية وعن أسمرة بن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال بنو غفار وأسلم كانوا لكثير من الناس فتنة يقولون لو كان خيرا ما جعلهم الله أول الناس فيه (واذ لم يهتدوا به) أي بالقرآن وقيل بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل بالايمان (فسيقولون) عنادا وتكبرا بغير حجة (هذا افك قديم) فجاوزوا نفي خيرية القرآن الى دعوى انه كذب قديم كما قالوا أساطير الاولين (ومن قبله كتاب موسى) قرأ الجمهور بكسر الميم من على انها حرف جر وهي مع مجرورها خبر مقدم وكتاب موسى مبتدأ مؤخر والجملة في محل نصب على الحال أو مستأنفة والكلام مسوق لرد قولهم هذا افك قديم فان كونه قد تقدم القرآن كتاب موسى وهو التوراة وتوافقا في أصول الشرائع يدل على انه حق ويقتضي بطلان قولهم وقرئ بفتح الميم على انها موصولة ونصب كتاب أي وآتينا من قبله كتاب موسى (اماما) أي يقتدى به في الدين (ورحمة) من الله لمن آمن به وهما منتصبان على الحال قاله الزجاج وغيره وقال الاخفش على القطع وقال أبو عبيدة أي جعلناه اماما ورحمة (وهذا كتاب مصدق) يعني القرآن فانه مصدق لكتاب موسى الذي هو امام ورحمة ولغيره من كتب الله وقيل مصدق للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وانتصاب (لسانا عربيا) على الحال الموطئة وصاحبها الضمير في مصدق العائد الى كتاب الله وجوز أبو البقاء أن يكون مفعولا لمصدق والاول أولى وقيل على حذف مضاف أي ذا لسان عربي وهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل انتصابه على اسقاط حرف الجر وهو ضعيف (لينذر الذين ظلموا) أي لينذر الكتاب أو لينذر الله وقيل الرسول والاول أولى قرأ الجمهور بالتحتية وقرئ لتنذر بالفوقية على ان فاعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم (وبشرى) في محل نصب عطفا على محل لينذر لانه مفعول به قاله الزمخشري وتبعه أبو البقاء وتقديره للانذار والبشرى وقيل منصوب على المصدرية لفعل محذوف أي وبشر بشرى وقال الزجاج الاجود أن يكون في محل رفع أي وهو بشرى وقيل انه معطوف على مصدق فهو في محل رفع وقوله (للمحسنين) متعلق ببشرى (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) أي جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة على الشريعة التي هي منتهى العلم وثم للدلالة على تأخر رتبة العمل

وقد غلط وهو في السبب من طرق وهذا الحديث نفسه قد رواه الترمذي من حديث جهضم بن عبد الله اليمامي به وقال حسن صحيح وليس هذا الاخ صاحب هو الاخ صاحب المذكور في القرآن فان هذا قد فسر وأما الاخ صاحب الذي في القرآن فقد فسر بعد هذا وهو قوله تعالى (اذ قال ربك للملائكة

توقيف اعتباره على التوحيد وقد تقدم تفسير هذا في سورة السجدة (فلا خوف عليهم) أي من لحوق مكروه في الآخرة والفاء زائدة في خبر الموصول لما فيه من معنى الشرط ولم يمنع ان من ذلك لبقاء معنى الابتداء بخلاف ليت ولعل وكأن (ولا هم يحزنون) على فوات محبوب في الدنيا وان ذلك دائم مستمر (أولئك) الموصوفون بما ذكر (أصحاب الجنة) التي هي دار المؤمنين حال كونهم (خالدين فيها) وفي هذه الآية من الترغيب أمر عظيم ان نفي الخوف والحزن على الدوام والاستقرار في الجنة على الدوام مما تطلب الانفس سواه ولا تتشوق الارواح الى ما عداه (جزاء بما كانوا يعملون) أي يجزون جزاء بسبب أعمالهم التي عملوها من الطاعات لله وترك معاصيه في الدنيا ولما كان رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما كما ورد به الحديث حث الله تعالى عليه بقوله (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) قرأ الجمهور بضم الحاء وسكون السين وقرئ بفتحهما وقرئ احسانا وقد تقدم في سورة العنكبوت ووصينا الانسان بوالديه حسنا من غير اختلاف بين القراء وقد تقدم في سورة الانعام وسورة بني اسرائيل وبالوالدين احسانا فلعل هذا وجه اختلاف القراء هنا وعلى جميع القراءات انتصابه على المصدرية أي وصيناه أن يحسن اليهما حسنا او احسانا وقيل ضمن وصينا معنى ألزمنا وقيل على انه مفعول له والحسن خلاف القبح والاحسان خلاف الاساءة ولما وصيناه الامر (حملته أمه كرها ووضعته كرها) تعليل للوصية المذكورة واقتصر في التعليل على الام لان حقها أعظم ولذلك كان لها ثلثا البر قاله الخطيب قرأ الجمهور كرها بضم الكاف في الموضعين وقرئ بفتحها قال الكسائي وهما لغتان بمعنى واحد قال أبو حاتم الكره بالفتح لا يحسن لانه الغضب والغلبة واختار أبو عبيد الفتح وقال لان لفظ الكره في القرآن كله بالفتح الا التي في سورة البقرة كتب عليكم القتال وهو كره لكم وقيل ان الكره بالضم ما حمل الانسان على نفسه وبالفتح ما حمل على غيره واعاد ذكر سبحانه حمل الام ووضعها تأكيدا لوجوب الاحسان اليها الذي وصى الله به والمعنى انها حملته ذات كره ووضعته ذات كره ثم بين سبحانه مدة حمله وفصاله فقال (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) أي مدتهما هذه المدة من عند ابتداء حمله الى أن ينفصل من الرضاع أي يفطم عنه وقد استدل بهذه الآية على ان أقل مدة الحمل ستة أشهر لان مدة الرضاع سنتان أي مدة الرضاع الكامل في قوله حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة فذكر سبحانه في هذه الآية أقل مدة الحمل وأكثر مدة الرضاع وفي هذه الآية اشارة الى أن حق الام آكد من حق الاب لانها حملته بمشقة ووضعته بمشقة وأرضعته هذه المدة بتعب ونصب ولم يشاركها الاب في شئ من ذلك قرأ الجمهور وفصاله بالالف وقرئ وفصله بفتح الفاء وسكون الصاد والفصل والفصال بمعنى كالفطم والفطام والقطف والقطاف عن نافع بن جبير ان ابن عباس أخبره قال اني لصاحب المرأة التي أتي بها عمر وضعت لستة أشهر فأنكر الناس ذلك فقلت لعمر لم تظلم قال كيف قلت اقرأ وحمله وفصاله ثلاثون شهرا والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين كم الحول قال سنة قلت كم السنة

إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها فانك رجيم

قال

قال ابن عباس إذا حملت تسعة أشهر أرضعته أحداً وعشرين شهراً حولين كاملين وأخر الله من الحمل ما شاء وقدم ما شاء فاستراح عمر إلى قولي وعنه أنه كان يقول إذا ولدت المرأة لتسعة أشهر كفاها من الرضاع أحد وعشرون شهراً وإذا ولدت لسبعة أشهر كفاها من الرضاع ثلاثة وعشرون شهراً وإذا وضعت لستة أشهر فحولان كاملان لأن الله يقول وحمله وفصاله ثلاثون شهراً (حتى إذا بلغ أشده) أي بلغ استحكام قوته وعقله وقد تقدم أنه اسم وأنه وهو جمع لا واحد له من لفظه وكان سيبويه يقول واحده شدة وبلوغ الأشد أن يكتهل ويستوفي السن التي تستحكم فيها قوته وعقله وذلك إذا أناف على الثلاثين وناطح الأربعين وقد مضى تحقيق الأشد مستوفى ولا بد من تقدير جملة تكون حتى غاية لها أي عاش واستمرت حياته وقيل بلغ عمره ثماني عشرة سنة وقيل الأشد الحلم قاله الشعبي وابن زيد وقال الحسن هو بلوغ الأربعين والأول أولى لقوله (وبلغ أربعين سنة) إن هذا يفيد أن بلوغ الأربعين هو شيء وراء بلوغ الأشد قال المفسرون لم يبعث الله نبياً قط إلا بعد أربعين سنة إلا ... الحالة (قال رب أوزعني) أي ألهمني وقيل وفقني قال الجوهري استوزعت الله فأوزعني أي استلهمته فألهمني (أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي) أي ألهمني شكر ما أنعمت علي من الهداية (وعلى والدي) من التحنن علي منهما حين ربياني صغيراً وقيل أنعمت علي بالصحة والعافية وعلى والدي بالغنى والثروة (وأن أعمل صالحاً ترضاه) مني (وأصلح لي في ذريتي) أي اجعل ذريتي صالحين راسخين في الصلاح متمكنين منه وعدى بفي لتضمنه معنى اللطف أو هو تنزيل منزلة اللازم ثم عدي ليفيد ثبوت الصلاح فيهم وإلا فالإصلاح متعد كما في قوله تعالى وأصلحنا له زوجه وفي هذه الآية دليل على أنه ينبغي لمن بلغ عمره أربعين سنة أن يستكثر من هذه الدعوات (إني تبت إليك) من ذنوبي (وإني من المسلمين) أي المستسلمين لك المنقادين لطاعتك المخلصين لتوحيدك (أولئك) إشارة إلى الإنسان المذكور والجمع لأنه يراد به الجنس (الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا) من أعمال الخير في الدنيا والمراد بالأحسن الحسن كقوله واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم والقبول إذن فاقتصر على أفضل أعمالهم وأحسنها بل يعم كل طاعاتهم فاضلها ومفضولها والقبول هو الرضا بالعمل والإثابة عليه وقيل إن اسم التفضيل على معناه ويراد به ما كان العبد عليه من الأعمال لا ما كان غيره كالمباح فإنه حسن وليس بأحسن (ونتجاوز عن سيئاتهم) فلا نعاقبهم عليها قرأ الجمهور يتقبل ويتجاوز على بناء الفعلين للمفعول وقرئ بالنون فيهما على إسنادهما إلى الله سبحانه والتجاوز الغفران وأصله من جزت الشيء إذا لم تقف عليه (في أصحاب الجنة) أي أنهم كائنون في عدادهم منتظمون في سلكهم فالجار والمجرور في محل النصب على الحال كقولك أكرمني الأمير في أصحابه أي كائناً في جملتهم وقيل إن في بمعنى مع أي مع أصحاب الجنة وقيل إنهما خبر مبتدأ محذوف أي هم في أصحاب الجنة (وعد الصدق) مصدر مؤكد لمضمون الجملة السابقة لأن قوله أولئك الذين نتقبل عنهم في معنى الوعد بالقبول والتجاوز ويجوز أن يكون مصدراً لفعل محذوف أي وعدهم الله

وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين) هذه القصة ذكرها الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة وفي أول سورة

وعد الصدق (الذى كانوا يوعدون) به على ألسن الرسل فى الدنيا عن ابن عباس قال أنزلت هذه الآية فى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فاستجاب الله له فأسلم والداه جميعا وإخوانه وولده كلهم ونزلت فيه أيضا فأما من أعطى واتقى الى آخر السورة وقال النسفى قيل نزلت فى أبى بكر الصديق وفى أبيه أبى قحافة وأمه أم الخير وفى أولاده واستجابة دعائه فيهم فانه آمن بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ودعا لهما وهو ابن أربعين سنة ولم يكن أحد من الصحابة من المهاجرين منهم والانصار أسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير أبى بكر رضى الله تعالى عنه ولما ذكر سبحانه من شكر نعمة الله سبحانه عليه وعلى والديه ذكر من قال لهما قولا يدل على التضجر منهما عند دعوتهما له الى الايمان فقال (والذى قال لوالديه اف لكما) الموصول عبارة عن الجنس القائل ذلك القول ولهذا اخبر عنه بالجمع وأف كلمة تصدر عن قائلها عند تضجره من شئ يرد عليه قرئ اف بكسر الفاء مع التنوين وقرئ بفتحها من غير تنوين وقرئ بكسرها من غير تنوين فالقراآت ثلاثة سبعية والهمزة فى الكل مضمومة وقد مضى بيان الكلام على هذا فى سورة بنى اسرائيل واللام فى لكما لبيان المؤفف له كما فى قوله هيت لك وقد اخرج البخارى عن يوسف بن ماهك قال كان مروان على الحجاز استعمله معاوية بن ابى سفيان فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية عليه ما عليه لكى يبايع له بعد ابيه فقال عبد الرحمن بن ابى بكر شيأ فقال خذوه فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه فقال مروان ان هذا أنزل فيه والذى قال لوالديه أف لكما فقالت عائشة ما أنزل الله فينا شيأ من القرآن الا ان الله أنزل عذرى وعن محمد بن زياد قال لما بايع معاوية لابنه قال مروان سنة أبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما فقال عبد الرحمن سنة هرقل وقيصر فقال مروان هذا الذى قال الله فيه والذى قال لوالديه أف لكما الآية فبلغ ذلك عائشة فقالت كذب مروان والله ما هو به ولو شئت ان أسمى الذى نزلت فيه لسميته ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعن أبا مروان ومروان فى صلبه فمروان من لعنة الله أخرجه النسائى وعبد بن حميد وابن المنذر والحاكم وصححه وعن ابن عباس فى الآية قال هذا ابن لابى بكر ونحوه عن السدى ولا يصح هذا ويرده ما سيأتى من قوله تعالى أولئك الذين حق عليهم القول فى أمم والصحيح انه ليس المراد من الآية شخصا معينا بل المراد كل شخص كان موصوفا بهذه الصفة وهو كل من دعاه أبواه الى الدين الصحيح والايمان بالبعث فأبى وأنكر وقيل نزلت فى كل كافر عاق لوالديه (أتعدانني) بنونين مخففتين وفتح ياء أهل المدينة ومكة وأسكنها الباقون وقرئ بادغام احدى النونين فى الاخرى وقرئ بفتح النون الاولى فرارا من توالى مثلين مكسورين (أن أخرج) قرأ الجمهور مبنيا للمفعول وقرئ مبنيا للفاعل والمعنى أتعدانني ان أبعث بعد الموت وهذا هو الموعود به (وقد خلت القرون من قبلى) أى والحال ان قد مضت القرون فماتوا ولم يبعث منهم أحد (وهما يستغيثان الله) لهو يطلبان منه التوفيق الى الايمان واستغاث يتعدى بنفسه تارة وبالباء أخرى يقال استغاث الله واستغاث به

الاعراف وفى سورة الحجر وسبحان والكهف وههنا وهى ان الله سبحانه وتعالى اعلم الملائكة قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام بأنه سيخلق بشرا من صلصال من حمأ مسنون وتقدم اليهم بالامر متى فرغ من خلقه وتسويته فليسجدوا له اكراما واعظاما واحتراما وامتثالا لامر الله عز وجل فامتثل الملائكة

وقال الرازي معناه يستغيثان بالله من كفره فلما حذف الجار وصل الفعل وقيل الاستغاثة الدعاء فلا حاجة الى الباء وزعم ابن مالك انه يتعدى بنفسه فقط وعاب قول النحاة مستغاث به قال لكنه لم يرد في القرآن الا متعديا بنفسه اذ تستغيثون ربكم فاستغاثه الذي من شيعته وان يستغيثوا يغاثوا قال الفراء يقال أجاب الله دعاءه وغواثه (ويلك) اي يقولان له ويلك وليس المراد به الدعاء عليه بل الحث له على الايمان ولهذا قالا له (آمن) بالبعث واعترف وصدق (ان وعد الله حق) قرأ الجمهور بكسر ان على الاستئناف أو التعليل وقرئ بفتحها أي آمن بان وعد الله حق لا خلف فيه وهو من جملة مقولهما (فيقول) عند ذلك مكذبا لما قالاه (ما هذا) الذي تقولانه من البعث (الا أساطير الاولين) أي أحاديثهم وأباطيلهم التي سطروها في الكتب من غير أن يكون لها حقيقة (أولئك) القائلون هذه المقالات هم (الذين حق عليهم القول) اي وجب عليهم العذاب بقوله سبحانه لابليس لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين كما يفيده قوله (في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس) وجملة (انهم كانوا خاسرين) تعليل لما قبلها وهذا يدفع كون سبب النزول عبد الرحمن بن ابي بكر وانه الذي قال لوالديه ما قال فانه من أفاضل المؤمنين وليس ممن حقت عليه كلمة العذاب (ولكل) اي لكل فريق من الفريقين المؤمنين والكافرين والابرار والفجار من الجن والانس (درجات مما عملوا) أي مراتب عند الله يوم القيامة بأعمالهم قال ابن زيد درجات أهل النار تذهب سفلا ودرجات أهل الجنة تذهب علوا ومراتب أهل النار يقال لها دركات بالكاف كما في الحديث لا درجات والجواب ان ذلك على جهة التغليب أو المراد المراتب مطلقا (وليوفيهم أعمالهم) أي جزاء أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم فقد جزاهم على مقادير أعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات قرأ الجمهور بالنون وقرئ بالتحتية واختار أبو عبيد الاولى وأبو حاتم الثانية (وهم لا يظلمون) أي لا يزاد مسيء ولا ينقص محسن بل يوفى كل فريق ما يستحقه من خير وشر والجملة حالية مؤكدة أو مستأنفة مقررة لما قبلها (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) أي اذكر لهم يا محمد يوم يكشف الغطاء فينظرون الى النار ويقربون منها وقيل معنى يعرضون يعذبون من قولهم عرضه على السيف وعرض الشخص على النار أشد في اهانته من عرض النار عليه اذ عرضه عليها يفيد انه كالحطب المخلوق للاحتراق وقيل في الكلام قلب والمعنى تعرض النار عليهم (أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا) أي يقال لهم ذلك قرأ الجمهور أذهبتم بهمزة واحدة وقرئ بهمزتين محققتين ومعنى الاستفهام التقريع والتوبيخ قال الفراء والزجاج العرب توبخ بالاستفهام وبغيره فالتوبيخ كائن على القراءتين قال الكلبي المراد بالطيبات اللذات وما كانوا فيه من المعايش والمعنى ان كل ما قدر لكم من اللذات والطيبات فقد ذهبتم به وأخذتموه وتمتعتم به فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم منها شيء وقيل المعنى أفنيتم شبابكم في الكفر والمعاصي قال ابن بحر الطيبات الشباب والقوة مأخوذة من قولهم ذهب أطيباه أي شبابه وقوته قال الماوردي

كلهم ذلك سوى ابليس ولم يكن منهم جنسا كان من الجن فخانه طبعه وجبلته أحوج ما كان اليه فاستكبر عن السجود لآدم وخاصم ربه عز وجل فيه وادعى انه خير من آدم فانه مخلوق من نار وآدم خلق من طين والنار خير من الطين في زعمه وقد أخطأ في ذلك وخالف أمر الله تعالى وكفر بذلك فأبعده الله عز وجل

ووحدت الضمائر قاله أيضا قلت القول الأول أظهر والثاني فيه بعد (واستمتعتم بها) أي بالطيبات والمعنى انهم اتبعوا الشهوات واللذات التي في معاصي الله سبحانه ولم يبالوا بالذنب تكذيبا منهم لما جاءت به الرسل من الوعد بالحساب والعقاب والثواب (فاليوم تجزون عذاب الهون) أي العذاب الذي فيه ذلكم وخزي عليكم قال مجاهد وقتادة الهون الهوان بلغة قريش (بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق) أي بسبب تكبركم عن عبادة الله والايمان به وتوحيده (وبما كنتم تفسقون) أي تخرجون عن طاعة الله وتعملون بمعاصيه فجعل السبب في عذابهم أمرين التكبر عن اتباع الحق والعمل بمعاصي الله سبحانه وهذا شأن الكفرة فانهم جمعوا بينهما فقيل لما وبخ الله تعالى الكافرين بالتمتع بالطيبات آثر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه والصالحون من بعدهم اجتناب اللذات في الدنيا رجاء ثواب الآخرة وفي الباب أخبار وآثار تدل على ذم التمتع (واذكر) يا محمد لقومك (أخا عاد) هو هود بن عبد الله بن رباح كان أخاهم في النسب لا في الدين (اذ أنذر قومه) أي وقت انذاره اياهم (بالأحقاف) هي ديار عاد جمع حقف وهو الرمل العظيم المستطيل المعوج قاله الخليل وغيره وكانوا قهروا أهل الأرض بقوتهم والمعنى ان الله سبحانه أمره ان يذكر لقومه قصتهم ليتعظوا ويخافوا ويعتبروا بها وقيل أمره ان يتذكر في نفسه قصتهم مع هود ليقتدي به ويهون عليه تكذيب قومه له قال عطاء الأحقاف رمال لا تنبت الشجر والشجر قريب من عدن وفي القاموس الشحر كفتح الفم ساحل البحر بين عمان وعدن وقال مقاتل هي باليمن في حضرموت وقال ابن زيد هي رمال مشرفة مستطيلة مشرفة على البحر كهيئة الجبال ولم تبلغ أن تكون جبالا وقيل الأحقاف ما استدار من الرمل وقال ابن عباس الأحقاف جبل بالشام وقيل وادي بين عمان ومهرة واليه تنسب الابل المهرية وقيل كانوا من قبيلة ارم (وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه) أي وقد مضت الرسل من قبله ومن بعده كذا قال الفراء وغيره والمعنى أعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره فالذين قبله أربعة آدم وشيث وادريس ونوح والذين بعده كصالح وابراهيم واسمعيل واسحق وكذا سائر أنبياء بني اسرائيل (أن) أي بان قال (لا تعبدوا الا الله) وحده (اني أخاف عليكم) تعليل لما قبله (عذاب يوم عظيم) أي هائل بسبب شرككم قاله القاضي وفيه اشارة الى أن عظيم مجاز عن هائل لانه يلزم العظم (قالوا) أي جوابا لانذاره (أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا) أي لتصرفنا عن عبادتها وقيل لتزيلنا وقيل لتمنعنا والمعنى متقارب (فأتنا بما تعدنا) من عذاب يوم عظيم (ان كنت من الصادقين) في وعدك لنا به (قال انما العلم) بوقت مجيئه (عند الله) لا عندي ولا مدخل لي فيه فاستعجل به (وأبلغكم) أي وأنا انما علي وظيفتي التبليغ (ما أرسلت به) اليكم من ربكم من الانذار والاعذار لا الاتيان بالعذاب فليس من مقدوري بل هو من مقدورات الله تعالى (ولكني أراكم قوما تجهلون) حيث بقيتم مصرين على كفركم ولم تهتدوا بما جئتكم به بل اقترحتم علي ما ليس من وظائف الرسل

وارغم انفه وطرده عن باب رحمته وبحل انسه وحضرة قدسه وسماه ابليس اعلاما له بانه قد ابلس من الرحمة وانزله من السماء مذموما مدحورا الى الأرض فسأل الله النظرة الى يوم البعث فانظره الحليم الذي لا يعجل على من عصاه فلما أمن الهلاك الى يوم القيمة تمرد وطغى وقال فبعزتك لأغوينهم أجمعين الا عبادك

(فلما رأوه) الضمير يرجع إلى ما في قوله بما تعدنا وقال المبرد والزجاج يعود إلى غير مذكور وبينه قوله (عارضاً) فيعود إلى السحاب أي فلما رأوا السحاب عارضاً فعارضاً نصب على التكرير يعني التفسير وسمي السحاب عارضاً لأنه يبدو في عرض السماء قال ابن عباس العارض السحاب وبه قال الجوهري وزاد يعترض في الأفق ومنه قوله هذا عارض ممطرنا وانتصاب عارضاً على الحال أو التمييز (مستقبل أوديتهم) أي متوجهاً نحوها سائراً إليها قال المفسرون كانت عاد قد حبس عنهم المطر أياماً فساق الله إليهم سحابة سوداء فخرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوه مستقبل أوديتهم استبشروا و (قالوا هذا عارض ممطرنا) أي غيم فيه مطر وقوله مستقبل أوديتهم صفة لعارض لأن إضافته لفظية لا معنوية فصح وصف النكرة به وهكذا ممطرنا فلما قالوا ذلك أجاب عليهم هود أو القائل هو الله (بل هو ما استعجلتم به) من العذاب حيث قلتم فائتنا بما تعدنا (ريح فيها عذاب أليم) الريح التي عذبوا بها نشأت من ذلك السحاب الذي رأوه (تدمر كل شيء بأمر ربها) صفة ثانية لريح أي تهلك كل شيء مرت به من نفوس عاد وأموالها والتدمير الإهلاك وكذا الدمار وقرئ يدمر بالتحتية مفتوحة وسكون الدال وضم الميم ورفع كل على الفاعلية من دمر دماراً ومعنى بأمر ربها أن ذلك بقضائه وقدره أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مستجمعاً ضاحكاً حتى أرى منه لهواته إنما كان يتبسم وكان إذا رأى غيماً أو ريحاً عرف ذلك في وجهه قلت يا رسول الله الناس إذا رأوا الغيم فرحوا أن يكون فيه المطر وأراك إذا رأيته عرفت في وجهك الكراهية قال يا عائشة وما يؤمنني أن يكون فيه عذاب قد عذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا وأخرج مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا عصفت الريح قال اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به فإذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر فإذا مطرت سري عنه فسألته فقال لا أدري لعله كما قال قوم عاد هذا عارض ممطرنا (فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم) بعد خراب أموالهم وذهاب أنفسهم قرأ الجمهور بالفوقية على الخطاب لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم أو لكل من يصلح للرؤية ونصب مساكنهم وقرئ بالتحتية مبنياً للمفعول ورفع مساكنهم قال سيبويه معناه لا يرى أشخاصهم إلا مساكنهم وقال الكسائي والزجاج معناه لا يرى شيء إلا مساكنهم فهي محمولة على المعنى كما تقول ما قام إلا هند أي ما قام أحد إلا هند وفي الكلام حذف والتقدير فجاءتهم الريح فدمرتهم فأصبحوا الخ قال ابن عباس في الآية أول ما عرفوا أنه عذاب رأوا ما كان خارجاً من رحالهم ومواشيهم يطير بين السماء والأرض مثل الريش دخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم فجاءت الريح ففتحت أبوابهم ومالت عليهم بالرمل فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية أيام حسوماً لهم أنين ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم الرمل وطرحتهم في البحر فهو قوله

منهم المخلصين كما قال عز وجل أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتني إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلاً وهؤلاء هم المستثنون في الآية الأخرى وهي قوله تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلاً وقوله تبارك وتعالى قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين قرأ ذلك جماعة منهم مجاهد برفع الحق الأول وفسره مجاهد أن معناه أنا

فأصبحوا الآية وعنه قال ما أرسل الله على عاد من الريح الا قدر خاتمي هذا (كذلك
الجزاء (نجزي القوم المجرمين) قد تقدم تفسير هذه القصة في سورة الأعراف (ولقد مكناهم
فيما ان مكناكم فيه) قال المبرد ما في قوله فيما بمنزلة الذي وان بمنزلة ما النافية وتقديره
ولقد مكناهم في الذي ما مكناكم فيه من كثرة المال وطول العمر وقوة الأبدان وقيل ان
زائدة أي ولقد مكناهم فيما مكناكم فيه وبه قال القتيبي والأول أولى لأنه أبلغ في التوبيخ
لكفار قريش وأمثالهم قال ابن عباس يقول لم نمكنكم وعنه قال عاد مكنوا في الأرض
أفضل مما مكنت فيه هذه الامة وكانوا أشد قوة وأكثر أموالا وأطول أعمارا (وجعلنا
لهم سمعا وأبصارا وأفئدة) أي انهم أعرضوا عن قبول الحجة والتذكر مع ما أعطاهم الله من
الحواس وآلات الفهم التي بها تدرك الأدلة ولهذا قال (فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم
ولا أفئدتهم من شيء) أي فما نفعهم ما أعطاهم الله من ذلك حيث لم يتوصلوا به الى التوحيد
واعتقاد صحة الوعد والوعيد ووحد السمع لانه لا يدرك به الا الصوت وما يتبعه بخلاف
البصر حيث يدرك به أشياء كثيرة بعضها بالذات وبعضها بالواسطة والفؤاد يعم ادراكه كل
شيء قاله الكرخي وقد قدمنا من الكلام على افراد السمع وجمع البصر ما يغني عن الاعادة
ومن في من شيء زائدة والتقدير فما أغنى عنهم شيئا من الاغناء ولا نفعهم بوجه من وجوه
النفع (اذ كانوا يجحدون بآيات الله) أي لانهم كانوا جاحدين (وحاق بهم ما كانوا به
يستهزؤن) أي أحاط بهم العذاب الذي كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء حيث قالوا فأتنا
بما تعدنا (ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى) الخطاب لأهل مكة والمراد بالقرى قرى قوم
ثمود وهي الحجر وسدوم قرى قوم لوط بالشام ونحوهما مما كان مجاورا لبلاد الحجاز وكانت
أخبارهم متواترة عندهم (وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون) أي بينا الحجج ونوعناها لكي
يرجعوا عن كفرهم فلم يرجعوا ثم ذكر سبحانه انه لم ينصرهم من عذاب الله ناصر فقال
(فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) أي فهلا نصرهم آلهتهم التي تقربوا
بها بزعمهم الى الله لتشفع لهم حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ومنعتهم من الهلاك
الواقع بهم قال الكسائي القربان كل ما يتقرب به الى الله من طاعة ونسيكة والجمع قرابين
كالرهبان والرهابين وأحد مفعولي اتخذ ضمير محذوف راجع الى الموصول والثاني
آلهة وقربانا حال ولا يصح ان يكون قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى وقيل
يصح ذلك ولا يفسد المعنى ورجحه ابن عطية وأبو البقاء وأبو حيان وأنكر ان يكون في المعنى
فساد على هذا الوجه (بل ضلوا عنهم) أي غابوا عن نصرهم ولم يحضروا عند الحاجة اليهم
بالكلية وقيل بل هلكوا وقيل الضمير في ضلوا راجع الى الكفار أي تركوا الاصنام
وتبرؤا منها والأول أولى (وذلك افكهم) أي ذلك الضلال والضياع أثر افكهم الذي هو
اتخاذهم اياها آلهة وزعمهم انها تقربهم الى الله قرأ الجمهور افكهم بكسر الهمزة وسكون
الفاء مصدر افك يأفك افكا أي كذبهم وقرئ أفك بفتح الهمزة والفاء والكاف على أنه
فعل أي ذلك القول صرفهم عن التوحيد وقرئ بفتح الهمزة وتشديد الفاء أي صيرهم

الحق والحق أقول وفي رواية عنه الحق مني وأقول الحق وقرأ آخرون بنصبهما قال السدي هو قسم أقسم الله به قلت وهذه الآية كقوله تعالى ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وكقوله عز وجل قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ان هو الا ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد

آفكين قال أبو حاتم يعني فلهم عما كانوا عليه من النعيم وقرئ بالمد وكسر الفاء يعني صارفهم (وما كانوا يفترون) معطوف على إفكهم أي وأثر افترائهم أو أثر الذي كانوا يفترونه والمعنى وذلك إفكهم أي كذبهم الذي كانوا يقولون إنها تقربهم إلى الله وتشفع لهم وما كانوا يكذبون إنها آلهة ولما بين سبحانه أن في الإنس من آمن وفيهم من كفر بين أيضاً أن في الجن كذلك فقال (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن) أي واذكر إذ وجهنا إليك نفراً منهم وبعثناهم إليك وأقبلناهم نحوك والنفر دون العشرة (يستمعون القرآن) صفة ثانية لنفراً أو حال لأن النكرة قد تخصصت بالصفة الأولى عن ابن مسعود قال هبطوا يعني الجن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة فلما سمعوه قالوا أنصتوا قالوا صه وكانوا تسعة أحدهم زوبعة فأنزل الله وإذ صرفنا إلى قوله ضلال مبين وعن الزبير قال إذ صرفنا إليك نفراً من الجن بنخلة ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي العشاء الآخرة كادوا يكونون عليه لبداً وكانوا تسعة نفر من أهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رسلاً إلى قومهم وعنه قال أتوه ببطن نخلة وعنه قال صرفت الجن إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرتين وكانوا أشراف الجن بنصيبين وهي قرية من اليمن وجنها أشرف الجن وسادتهم وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن مسروق قال سألت ابن مسعود من آذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالجن ليلة استمعوا القرآن قال آذنته بهم الشجرة وأخرج أحمد ومسلم والترمذي عن علقمة قال قلت لابن مسعود هل صحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منكم أحد ليلة الجن قال ما صحبه منا أحد ولكنا فقدناه ذات ليلة فقلنا اغتيل استطير ما فعل قال فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما كان في وجه الصبح إذا نحن به يجيء من قبل حراء فأخبرناه فقال إنه أتاني داعي الجن فأتيتهم فقرأت عليهم القرآن فانطلق فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وأخرج أحمد عنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الجن وقد روي نحو هذا من طرق والجمع بين الروايات بالحمل على قصتين وقعتا منه صلى الله عليه وآله وسلم مع الجن حضر إحداهما ابن مسعود ولم يحضر في الأخرى وقد وردت أحاديث كثيرة أن الجن بعد هذا وفدت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرة بعد مرة وأخذوا عنه الشرائع وذكر سليمان الجمل في سبب هذه الواقعة قولين من الخطيب والخازن لا حاجة بنا إلى ذكرهما فإنهما ليسا من التفسير في شيء (فلما حضروه) أي حضروا القرآن عند تلاوته وقيل حضروا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويكون في الكلام التفات من الخطاب إلى الغيبة والأول أولى (قالوا أنصتوا) أي اسكتوا أمر بعضهم بعضاً لأجل أن يسمعوا (فلما قضي) قرأ الجمهور مبنياً للمفعول أي فرغ من تلاوته وقرئ مبنياً للفاعل أي فرغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم من تلاوته والأولى تؤيد أن الضمير في حضروه للقرآن والثانية تؤيد أنه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم (ولوا إلى قومهم منذرين) أي انصرفوا قاصدين إلى من وراءهم من قومهم منذرين لهم عن مخالفة القرآن ومحذرين لهم وانتصاب

حين) يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين ما أسألكم على هذا البلاغ وهذا النصح أجراً تعطونيه من عرض الحياة الدنيا وما أنا من المتكلفين أي وما أزيد على ما أرسلني الله تعالى به ولا أبتغي زيادة عليه بل ما أمرت به أديته لا أزيد عليه ولا أنقص منه وإنما أبتغي بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة قال سفيان الثوري عن الأعمش ومنصور عن أبي الضحى عن مسروق

منذرين على الحال المقدرة أى مقدرين الانذار وهذا يدل على أنهم آمنوا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وكانوا يهودا أو قد أسلموا والجن لهم ملل مثل الانس ففيهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاصنام وفي مسلمهم مبتدعة ومن يقول بالقدر وخلق القرآن ونحو ذلك من المذاهب والبدع قاله الخازن (قالوا يا قومنا) في الكلام حذف والتقدير فوصلوا الى قومهم فقالوا يا قومنا (انا سمعنا كتابا) أى قرآنا (أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه) أى لما قبله من الكتب المنزلة كالتوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وغيرها (يهدى الى الحق) أى الى الدين الحق أى العقائد الصحيحة (والى طريق مستقيم) أى الى طريق الله القويم أى الشرائع الفرعية والاحكام الدينية قال مقاتل لم يبعث الله نبيا الى الجن والانس قبل محمد صلى الله عليه وآله وسلم (يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به) يعنى محمدا صلى الله عليه وآله وسلم أو القرآن (يغفر لكم) جواب الامر (من ذنوبكم) أى بعضها وهو ما عدا حق العباد لانه لا يغفر الا برضا أصحابه وقيل ان من هنا لابتداء الغاية والمعنى انه يقع ابتداء الغفران من الذنوب ثم ينتهى الى غفران ترك ما هو الاولى وقيل هى زائدة والاول أولى (ويجركم من عذاب أليم) وهو عذاب النار وفي هذه الآية دليل على ان حكم الجن حكم الانس في الثواب والعقاب والتعبد بالاوامر والنواهى وقال الحسن ليس لمؤمنى الجن ثواب غير نجاتهم من النار وبه قال أبو حنيفة والاول أولى وبه قال مالك والشافعى وابن أبى ليلى وعلى القول الثانى فقال القائلون به انهم بعد نجاتهم من النار يقال لهم كونوا ترابا كما يقال للبهائم والاول أرجح وقد قال الله تعالى في مخاطبة الجن والانس ولمن خاف مقام ربه جنتان فبأى آلاء ربكما تكذبان فامتن الله سبحانه على الثقلين بان جعل جزاء محسنهم الجنة ولا ينافى هذا الاقتصار ههنا على ذكر اجارتهم من عذاب أليم ومما يؤيد هذا ان الله سبحانه قد جازى كافرهم بالنار وهو مقام عدل فكيف لا يجازى محسنهم بالجنة وهو مقام فضل ومما يؤيد هذا أيضا ما في القرآن الكريم في غير موضع ان جزاء المؤمنين الجنة وجزاء من عمل الصالحات الجنة وجزاء من قال لا اله الا الله الجنة وغير ذلك مما هو كثير في الكتاب والسنة وقد اختلف أهل العلم هل أرسل الله الى الجن رسولا منهم أم لا وظاهر الآيات القرآنية ان الرسل من الانس كما في قوله وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من أهل القرى وقال وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وقال سبحانه في ابراهيم الخليل وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب فكل نبى بعثه الله بعد ابراهيم فهو من ذريته وأما قوله سبحانه في سورة الانعام يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم فقيل المراد من مجموع الجنسين صادق على أحدهما وهم الانس كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان أى من أحدهما (ومن) شرطية (لا يجب داعى الله فليس بمعجز في الارض) أى لا يفوت الله ولا يسبقه ولا يقدر على الهرب منه لانه وان هرب كل مهرب فهو في الارض لا سبيل له الى الخروج منها وفي هذا ترهيب شديد (وليس له من دونه أولياء) أى أنصار يمنعونه من عذاب الله بين سبحانه بعد استحالة نجاته بنفسه استحالة نجاته بواسطة غيره (أولئك) أى من لا يجب داعى الله (فى

قال أتينا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال يا أيها الناس من علم شيأ فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فان من العلم ان يقول الرجل لما لا يعلم الله أعلم فان الله عز وجل قال لنبيكم صلى الله عليه وسلم قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين أخرجاه من حديث الاعمش به وقوله تعالى ان هو الا ذكر للعالمين يعنى القرآن ذكر لجميع المكلفين من الانس والجن قاله

ضلال مبين) أي ظاهر واضح وهذا آخر كلام الجن الذين سمعوا القرآن وقد أجمع فيها
هم بأن مقصودهم بيان من كلمتين وليس لهما طريق القرآن غير هذا ثم ذكر سبحانه دليلا على
البعث فقال (أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض) الرؤية هنا هي القلبية التي
بمعنى العلم والهمزة للإنكار والواو للعطف على مقدر أي ألم يتفكروا ولم يعلموا أن الذي
خلق هذه الأجرام العظام من السموات والأرض ابتداء (ولم يعي) مجزوم بحذف الألف
قرأ الجمهور بسكون العين وفتح الياء مضارع عيي وقرئ بكسر العين وسكون الياء
(بخلقهن) أي لم يتعب ولم ينصب ولم يعجز عن ذلك ولا ضعف عنه يقال عييت بالأمر وعيي
إذا لم يهتد لوجهه قال الشهاب عدم العي مجاز عن عدم الانطباع والمقصود يعني أن قدرته
واحدة لا تنقص ولا تنقطع بالإيجاد أبدا الآباد (بقادر على أن يحيي الموتى) قال أبو عبيدة
والأخفش الباء زائدة للتوكيد كما في قوله وكفى بالله شهيدا قال الكسائي والفراء والزجاج
العرب تدخل الباء مع الجحد والاستفهام فتقول ما أظنك بقائم والجار والمجرور في محل رفع
على أنها خبر لأن وقرأ جماعة يقدر على صيغة المضارع واختار أبو عبيد الأولى وأبو حاتم
الثانية (بلى إنه على كل شيء قدير) لا يعجزه شيء بل لما أفاده من تعليل الخاص بالعام
ولما أثبت البعث ذكر بعض ما يحصل في يومه من الأهوال فقال (ويوم يعرض الذين
كفروا على النار) أي فيقال لهم ذلك اليوم للذين كفروا (أليس هذا بالحق) وهذه الجملة هي
المحكية بالقول والإشارة بهذا إلى ما هو مشاهد لهم يوم عرضهم على النار وفي الاكتفاء
بمجرد الإشارة من التهويل للمشار إليه والتفخيم لشأنه ما لا يخفى كأنه أمر لا يمكن التعبير
عنه بلفظ يدل عليه (قالوا بلى وربنا) اعترفوا حين لا ينفعهم الاعتراف وأكدوا هذا
الاعتراف بالقسم لأن المشاهدة هي حق اليقين الذي لا يمكن جحده ولا إنكاره ولأنهم
يطمعون في الخلاص بالاعتراف بحقيقة ما هم فيه (قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون)
أي بسبب كفركم بهذا في الدنيا وإنكاركم له وفي هذا الأمر لهم بذوق العذاب توبيخ بالغ
وتهكم عظيم ولما قرر سبحانه الأدلة على النبوة والتوحيد والمعاد أمر رسوله بالصبر فقال
(فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) الصبر الوقوف بحكم الله والثبات من غير بث ولا
استكراه قاله القشيري والفاء جواب شرط محذوف أي إذا عرفت ذلك وقامت عليه
البراهين ولم ينجع في الكافرين فاصبر كما صبر أرباب الثبات والحزم وأولو الجد والصبر
قال بعضهم قال مجاهد أولو العزم من الرسل خمسة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وهم
أصحاب الشرائع وبه قال ابن عباس وقال أبو العالية هم نوح وهود وإبراهيم فأمر الله
رسوله أن يكون رابعهم وقال السدي هم ستة إبراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى
ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وموسى وقال ابن
جريج إن منهم إسمعيل ويعقوب وأيوب وليس منهم يونس وقال الشعبي والكلبي هم الذين
أمروا بالقتال فأظهروا المكاشفة وجاهدوا الكفرة وقيل هم نجباء الرسل المذكورين في
سورة الأنعام وهم ثمانية عشر إبراهيم وإسحق ويعقوب ونوح وداود وسليمان وأيوب ويوسف
وموسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وإسمعيل وإلياس واليسع ويونس ولوط واختار

ابن عباس رضي الله عنهما وروى
ابن أبي حاتم عن ابنه عن أبي غسان
مالك بن إسمعيل حدثنا قيس عن
عطاء بن السائب عن سعيد بن
جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما
في قوله تعالى للعالمين قال الجن
والإنس وهذه الآية كقوله تعالى
لأنذركم به ومن بلغ وكقوله عز وجل
ومن يكفر به من الأحزاب فالنار
موعده وقوله تعالى ولتعلمن نبأه أي

هذا الحسين بن الفضل لقوله بعد ذكرهم أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقيل
ان الرسل كلهم أولو عزم ولم يبعث الله عز وجل نبيا الا كان ذا عزم وحزم ورأى وكمال عقل
وقيل هم اثنا عشر نبيا أرسلوا الى بني اسرائيل وقال الحسن هم أربعة ابراهيم وموسى
وداود وعيسى وعن ابن عباس قال هم الذين أمروا بالقتال حتى مضوا على ذلك نوح وهود
وصالح وموسى وداود وسليمان وعن جابر بن عبد الله قال بلغني ان أولي العزم من الرسل
كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر وعن عائشة قالت ظل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صائما
ثم طوى ثم ظل صائما ثم طوى ثم ظل صائما قال يا عائشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد
يا عائشة ان الله لم يرض من أولي العزم من الرسل الا بالصبر على مكروهها والصبر عن
محبوبها ثم لم يرض مني الا ان يكلفني ما كلفهم فقال اصبر كما صبر أولو العزم من الرسل واني
والله لأصبرن كما صبروا جهدي ولا قوة الا بالله أخرجه ابن أبي حاتم والديلمي قيل هذه
الآية منسوخة بآية السيف وقيل محكمة قال القرطبي والاظهر أنها منسوخة لأن
السورة مكية وذكر مقاتل ان هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم
أحد فأمره الله ان يصبر على ما أصابه كما صبر أولو العزم تسهيلا عليه وتثبيتا له (ولا تستعجل
لهم) أي لا تستعجل العذاب يا محمد للكفار فانه نازل بهم لا محالة وان تأخر واللام للتعليل
ولما أمره سبحانه بالصبر ونهاه عن استعجال العذاب لقومه رجاء ان يؤمنوا قال (كأنهم
يوم يرون ما يوعدون) من العذاب في الآخرة لطوله (لم يلبثوا الا ساعة من نهار) أي
الا قدر ساعة من ساعات الايام لما يشاهدونه من الهول العظيم والبلاء المقيم (بلاغ) قرأ
الجمهور بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف أي هذا الذي وعظتم به بلاغ أو تلك الساعة
بلاغ أو هذا القرآن بلاغ أو هو مبتدا والخبر لهم الواقع بعد قوله ولا تستعجل لهم أي لهم
بلاغ وقرئ بالنصب على المصدر أي بلغ بلاغا وقرئ بلغ بصيغة الامر وبلغ بصيغة الماضي
(فهل يهلك الا القوم الفاسقون) قرأ الجمهور يهلك على البناء للمفعول وقرئ على البناء
للفاعل وقرئ بالنون ونصب القوم والمعنى انه لا يهلك بعذاب الله الا القوم
الخارجون عن الطاعة الواقعون في معاصي الله قال قتادة لا يهلك على
الله الا هالك مشرك ولى وهذه الآية أقوى آية في الرجاء وقال
الزجاج تأويله لا يهلك مع رحمة الله تعالى وفضله الا
القوم الفاسقون وهذا تطميع في
سعة فضل الله سبحانه
وتعالى

سحره وصدقه بعد حين اي عن قريب
قال قتادة بعد الموت وقال عكرمة
يعني يوم القيامة ولا منافاة بين
القولين فان من مات فقد دخل في
حكم القيامة وقال قتادة في قوله
تعالى ولتعلمن نبأه بعد حين قال
يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر
اليقين آخر تفسير سورة ص ولله
الحمد والمنة والله سبحانه وتعالى اعلم

(تم الجزء الثامن ويليه الجزء التاسع أوله سورة محمد صلى الله عليه وسلم)

(ولما طلعت شمس هذا التفسير البهيج وتضوّع في الآفاق عرفه الأريج وطارت صيته في البلدان وشنّف مسامعه بلطائفه كل قاصٍ ودانٍ نشط لتقريظه حضرة العلامة الأريب المصقع الأديب من لا يجاريه في مجال الأدب مجارى جناب الأمثل السيد محمد بن حسين بن محسن اليمنى الأنصارى فقال)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حمدًا لمن افتتح كتابه الكريم بسم الله الرحمن الرحيم وشكرًا لمن أنزل في بيانه العظيم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ونصلي ونسلم على نبيك الهادى الى الصراط المستقيم وعلى آله وصحبه المقتفين بهديه القويم ونسألك اللهم أن تفيض علينا شآبيب نعمتك وان تدخلنا بفضلك فسيح جنتك ((وبعد)) فان علم التفسير أجل العلوم مقدارا وأعلاها منارا وأوسعها بحرا وأعزها قطرا وأقدمها ذكرا وأعظمها ذخرا وانى بحمد الله قد وقفت على تفسير وحيد زمانه وفريد وقته وأوانه العلامة الامام والسيد الهمام رافع ألوية الاسلام الجامع لجل العلوم منثورها والمنظوم علامة المعقول فهامة المنقول أبو المحاسن والمكارم نخبة سادات بنى هاشم الجناب العالى من لم تسمح بمثله العصر الحوالى امير الملك وصاحب الجاه مولانا ابو الطيب السيد صديق الحسن خان والاجاه لا برح شمل الأحباب بوجوده مجموعا وحكمه مطاعا نافذا مسموعا وجنابه العالى من طوارق الحدثان ممنوعا

مدى الدهر مخصوصا بعز ورفعة * وارغام أعداء وتحقيق آمال

فألفيته روضة كللت السحاب رباها بلآلئ القطر ووشحت أعطاف قدود غصونها قلائد الزهر وتأرجت أريج ريحانها وصقلت يد الشمال صحيفة غدرانها أبهج سطرا وأرق أثرا على بلوغ الغاية القصوى تألفت القلوب وأقرت العقول السليمة باعجازه للنظراء فانه محجة علام الغيوب قد مدّت اليه البلغاء أعناقها مستسلمين لاعجاز بلاغته نابين عن جنا سعاياه المشرقة في دوحة فصاحته فلله هو من جنة علم قطوفها دانية لا يسمع فيها لاغية وحديقة فهوم أضاءت فيها شموس التحقيق وأشرقت فيها كواكب التدقيق وحصن مشيد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد قد سل صوارم الحجج القاطعة على أقوال الملحدين ورمى بسهمه شياطين المبطلين فخفض هام كل معاند ذلك السيف المسلول وأشهر فصيحته بين أرباب المنقول والمعقول فتنكب حروفا بقطعه الرحام حين رام لمناضلة ذلك الفاضل الهمام وقيل له وهو خائف وجل ما هكذا يا سعد تورد الابل فلعمرى ان هذا لهو التأليف الذى يفتخر به العالمون ولمثل هذا فليعمل العاملون فيه من دقائق العلوم شواردها ومن لطائف الفهوم قلائدها حوى من التفصيل ما لم يحوه كتاب وفتح للطالب الى أقصى المطالب كل باب وتناسق فيه جزيل المعانى مع لطيف الالفاظ تناسق العقد المنظوم حتى صار عمدة ينسج على منواله أرباب المنثور والمنظوم وسار لشهرته مسير الشمس فى الآفاق وترعب

بالثناء عليه ألسنة الفضلاء كلها الحمائم وهو في جيدها الاطواق وأيد قول من قال ان لكل علم رجال ولكل ميدان أبطال وانه ليس كل من صنف أجاد ولا كل من قال رقى بالمراد

ان السلاح جميع الناس تحمله ✽ وليس كل ذوات المخلب السبع

باهى به الاوائل في الفضيلة الدهر فحلى من نكت البديع برد العجز على الصدر ونادى لسان حال منشيه ومشيد أساسه ومعليه قائلا

وانى وان كنت الاخير زمانه ✽ لآت بما لم تستطعه الاوائل

فجزى الله مؤلفه عن المسلمين خيرا فانه قلد اجيادهم قلائد النعم ونصر الدين بما أحكمه من محكم هذا التفسير الذى على تزييف مقالة الخصم حكم هذا وانى وان أطلقت لسان البراعه ونظمت في أجياد الطروس قلائد البراعة فأنا معترف بانى عن ارتقاء مدارج الثناء انى قصور وان تبوأت من جنات المدائح أعلى قصور كيف وهو علامة وقته الذى انعقد الاجماع على انه الرئيس المقدم واذا راية مجد رفعت فهو المتلقى لها وليس ثم من يتقدم الحائز لا على شرفى العلم والنسب مفخر العجم والعرب واسطة عقد الكابر والموالى كوكب سماء دولة بهفال التى مازال نورها متعالى وفتحها متوالى وشرفها بين الدول عالى والسعد خادم والشرف قادم الآخذ من كل فن بأوفر نصيب الرامى للمعالى بكل سهم مصيب من زان منصب الرياسة بحسن سيرته وطرز حلة الزمان بجميل سريرته وخالص طويته وصافى سجيته

ولو أنى أنفقت عمرى في الثنا ✽ عليه لما وفيت جانب حقه

المشار اليه أعلاه حماه الله ورعاه وأبقاه ساميا ذرى المجد مخدوم العز والسعد رافلا في حلل الحبور واردا موارد السرور ولا زالت أيامه مشرقة السنى وبابه كعبة المرام والمنى ما ترنم بمدحه مادح وصدح بشكره صادح وبعد ما عجز القلم عن المديح أراد أن يجول في ميدان القريض الفسيح فقرض بابيات أبيات جارية فوق خيل عربيات تبوس أقدام مفسر الآيات البينات مطلعها الاول وآخرها الذى عليه المعول

فتح البيان الذى أبدى لنا فيه ✽ درا اذا نظمت كالدر من فيه

لله جدك كم أبديت من نكت ✽ قلائد الدر والعقيان تحكيه

قد ارتضاك اله الخلق منتجعا ✽ يا كعبة العلم تيها على تيه

يا حادى العيس اما جزت ناديه ✽ فاقرأ عليه سلاما من عبيديه

وسل طلال الغضى عنه فثم له ✽ مثوى به افتخر الجير يطيه

وحى أقمار ذاك الحى عن دنف ✽ عينيه الليل فكرا ثم يحييه

وانح الحمى يا جمال الله ملتمسا ✽ فك القلوب الاسارى عند أهليه

سقى الحيا عز أقوام صوارمهم ✽ عن منة الغيث عام الجدب تغنيه

وحقكم ان رضيتم في ضنى جسدى ✽ بحبكم لوجودى في تفانيه

الله يا ساكنى مهفال نفس شج ✽ على الطلول أسالتها مآقيه

تـبدو بدور معبكم وهـي * تأمهن شاناكـكم قصديـه
رعيا لمـنزل آنس بالمحسـن لنا * لازال صوب الحيا بالدر توليـه
شمس بهار ان وجه الدهر فانكسفت * عن أهـله ظلمات من مساويه
عـزا كأن أبا المسرور حولها * فريدسـ ـدور من أياديه
دال الامام الاثري المحدث شهدت * له الملاعـب في معنى فوائه
أبو المحاسن مولانا أبو حسن * لازال في رتب العليا ترقيه
السـيد العالم الحـبر الذي * كم دانيه به هاعلى تيه
من سيد العرب العرباء جوهره * كم قال منه شذا منبر اه به
حليف حزم له في كل معضلة * نور من الرأي نحو الحق يهديه
عنت هواه معالي المجد فاشتركت * في جوده الحال واحتصت به اليه
فلو أسنه النجوم الشهب يوم ندى * لم يرض بالشمس دينارا فيعطيه
تهوى الاهلة ان تسعى لخدمه * ولو مهابته عاب يوما مداركه
مقـداره عن ذوى الاقدار يرفعه * وجـوده لذوى الحاجات يدنيـه
ان يحمل الجـود رديا هو قاطعه * أو يجتني منه شهد فهو جانيه
هـام الزمان به حبا وشاء أن * يعود شوقا الى رؤياه ماضيه
دوح الفخار الذى من الامارة لا * تنفك في رشحات البر تسقيـه
من الملوك الأولى لولا احـتلامهم * تزلزل المجد واندكت رواسيه
تناهمو من الذى منه نشت فعدا * كل لصاحبه الأدنى يربيه
ساس الامـور فأجرى في أوامره * حكم المنى والمنايا في نواهيه
تعشق الحـمد طبلا واستهام به * فهان منه عليه ما يقاسيه
سل الخيانين عنه عن أنامله * أهـن أندى بنانا أم غـواديه
له خصال محيط الفخر لو نظمت * لم ينتظم سبع الداجي لياليه
شمائل لو حواها الليل واتقدت * نوره لعـ ـدا هافي دراريه
قلادة المجـد والعليا اصبعه * وزينة الدين والدنيا مساعيه
مولى كانك تتلو في مجالسنا * آى السعود علينا اذ تسميه
ياساعد الجود بل يامس خاتمه * يا مشرقة يا طوق هاديه
لازلت باعـوث لى عونا ومتعا * ولا برحت اليك المدح أهديه
لولا علاكم رقى تاً نعمكم * مارق شعري ولاراقت معانيه
واستجل من آي نظمي أي معجزة * تخلـد الذكر في الدنيا وتبقيه
مدح تسـير ادنا ما فيك تهت به * سير الكواكب في الدنيا قوافيه
سوت شعر ساها الله نكرمن ذهب * سكانها حور عين من معانيه
على السلام على مسك الختام أبى الز هراء أبهى صلاة منه ترضيه

والآل والصحب ما ناحت مطوقة * على غصون أراك الدار تشجيه

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

قاله بلسانه وحرره ببنانه أسير ذنوبه ورهين عيوبه الحقير الفقير

الى رحمة ربه العزيز البارى محمد بن حسين بن محسن

اليمنى الانصارى عفا الله

عنه آمين

